

المرابي المراب

نائيف العَلَّامَة اللّغوَيّ النّاقِدالأديب چُسِكِن بن أَجْهَ كَد بن جُسِكِن المرْصَفِيّ مدَرِّسُ العُلوم العَربيَّةِ وَعُلوم الأَدبِ بِدَارِ العُلوم الخديويَّة المَصريَّة رَحمَهُ الله تعالىٰ (ت ١٣٠٧ه/ م)

> عني به الدّكتورمحمّدعبدالرحمٰن شسيلنه الأهدل





الطّبْعَة الأولى ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م جَمَيْع الحُقوق مَحْفِيْ فُوظَة للنَّاشِر

عدد الأجزاء: (٢)

عدد المجلدات: (٤)

نوع الورق: شاموا فاخر

نوع التجليد : مجلَّد كرتوناج

عدد الصفحات : (۲۰۸۰ صفحة)

عدد ألوان الطباعة : لونان

اسم الكتاب: الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية

المؤلف: العلامة حسين المرصفي (ت ١٣٠٧ هـ) 🐇

الإعداد: مركز دار المنهاج للدراسات

موضوع الكتاب : لغة وأدب

مقاس الكتاب: (٢٥ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي: (٨١١)

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأيِّ شكلٍ من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقٍ من الناشر .



الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6



كالليتاج

لبنان _ بیروت

هاتف: 806906 05 ـ فاكس: 813906 05

كَارُ الْمِانِ عَنَى الْكَارِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَالِيْنِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِي الطناخِمَا عُمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ الْمَانِيْ اللهِ تَعَمَالًا

المملكة العربية السعودية _ جدة حي الكندرة _ شارع الملك فهد _ جانب البنك الفرنسي ماتف رئيسي 6326666 12 6320392 المكتبة 6322471 _ فاكس 6320392 _ حدة 1416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب عضو في الاتحاد العام للناشرين السعوديين والمركز المركز ا

www.alminhaj.com E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون لمغتمدون داخل كمملكة العرسبت السعودية

مكتبة دار كنوز المعرفة ماتف 6510421_6570628

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز ماتف 5473838 فاكس 5473939 مكة المكرمة

مكتبة الأسدي ماتف 5570506 5273037

المدينة المنورة

مكتبة الزمان هاتف 8366666 . فاكس 8383226 المدينة المنورة

دار البدوي ماتف 0503000240

مكتبة العبيكان وجميع فروعها داخل المملكة ماتف 4654424 فاكس 2011913

مكتبة جرير وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها هاتف 4626000 فاكس 4656363

الدمام مكتبة المتنب*ي* هاتف 8344946 فاكس 8432794 الرياض

دار التدمرية ماتف 4924706. فاكس 4937130

مكتبة المتنبي العلمية ماتف 6628586

الطائف

مكتبة أم هاني ماتف 7320809

الموزعون لمعتمدون خارج المملكذ العرست السعودتيز

دولة قطر	الجمهورية اليمنية
" مكتبة الثقافة ـ الدوحة	مكتبة تريم الحديثة . حضرموت المعالمة المحالمة ال
× ماتف 44421132. فاكس 44421131	× ماتف 418130 - فاكس 418130 ×
الإمارات العربية المتحدة	جمهورية مصر العربية
* حروف للنشر والتوزيع ـ أبو ظبي *	* دار السلام ـ القاهرة
أن ماتف 5593007 . فاكس 5593027	ماتف 22741578 ـ فاكس 22741750
🕴 مكتبة الإمام البخاري ـ دبي	المحتبة نزار الباز ـ القاهرة
x ماتف 2977766 فاكس 2975556	ء هاتف 25060822 ـ جوال 0122107253
المملكة المغربية	دولة الكويت
دار الأمان ـ الرباط	* مكتبة دار البيان ـ حَوَلي
ماتف 0537723276 . فاكس 0537200055	تلفاكس 22616490 ـ جوال 99521001
الدار العالمية الدار البيضاء	🕴 دار الضياء للنشر والتوزيع ـ حَوَلي
ماتف 052282882 فاكس 052283354	× مانف 22658180 . ناکس 22658180
الجمهورية اللبنانية	مملكة البحرين
الدار العربية للعلوم ـ بيروت	* مكتبة الفاروق ـ المنامة
ء ماتف 785107 . فاكس 786230	الله 17256936 فاكس 17256936
🕴 مكتبة التمام-بيروت	مكتبة الريان ـ المنامة
هاتف 707039 . جوال 03662783	مائف 0097339247759
الجمهورية العربية السورية	المملكة الأردنية الهاشمية
"« دار السنابل ـ دمشق	ا دار محمد دندیس ـ عمّان
× هاتف 0988156620 ـ فاكس 2237960	× ماتف 4653380 . فاكس 4653380 ×
هه جمهورية الجزائر المجرائر ا	جمهورية العراق
the second secon	The second of th

مكتبة دار الميثاق ـ الموصل

ماتف7704116177.فاكس7481732016

« دار المشرق والمغرب _ الجزائر

ماتف 0780380501 ـ 0559380141

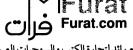
#ONDARCHONDA

جمهورية تشاد	جمهورية الصومال
مكتبة الشيخ التيجاني ـ أنجامينا	مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو
ماتف 0023599978036	ماتف 002525911310
ماليزيا	جمهورية أندونيسيا
* مكتبة توء كنالي ـ كوالا لمبور * مانف 00601115726830	دار العلوم الإسلامية ـ سوروبايا مانف 0062313522971 جوال 00623160222020
الهند	جمهورية داغستان
* مكتبة الشباب العلمية ـ لكنهو * مكتبة الشباب العلمية ـ لكنهو * مانف 00919198621671	مكتبة دار الرسالة . محج قلعة مكتبة دار الرسالة . محج قلعة م
<u>uiskcm</u> <u>uiskcm</u> <u>uiskcm</u> <u>uiskcm</u> <u>uiskcm</u>	مكتبة نور الإسلام. محج قلعة
مكتبة الحسن ـ دكا * 008801675399119 * .	ماتف 0079882124001 ماتف 0079887730306
الجمهورية التركية	جمهورية جنوب أفريقيا
* مكتبة الإرشاد ـ إستانبول	ت دار الإمام البخاري
ن مان 02126381633ناکس 02126381633ناکس	ا ماتف 0027114210824
إنكلترا	جمهورية فرنسا
 دار مكة العالمية ـ برمنجهام 	🔹 مکتبة سنا ـ باریس
ماتف07533177345.جوال07533177345 فاکس01217723600	ماتف 0148052927 ناکس 0148052997
أستراليا	الولايات المتحدة الأمريكية
" المكتبة الإسلامية	مكتبة الإمام الشافعي ـ جورجيا
ماتف 0061297584040	ماتف 0017036723653



MEGASTORE فيرجن وفروعها في العالم العربي

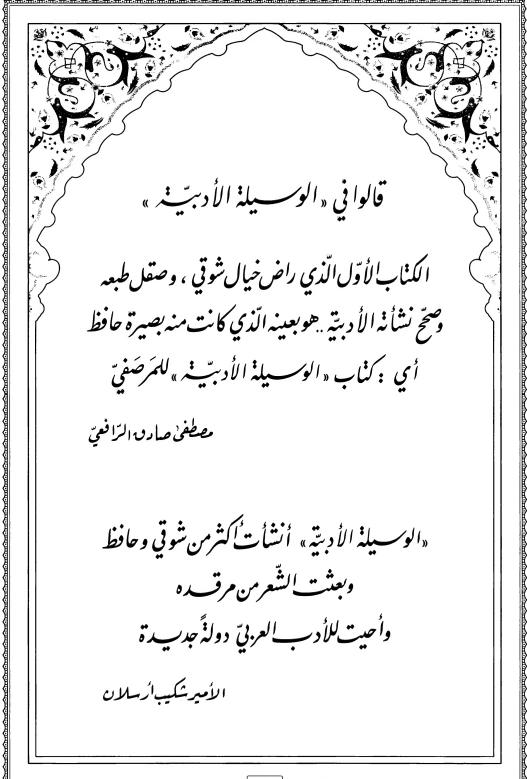


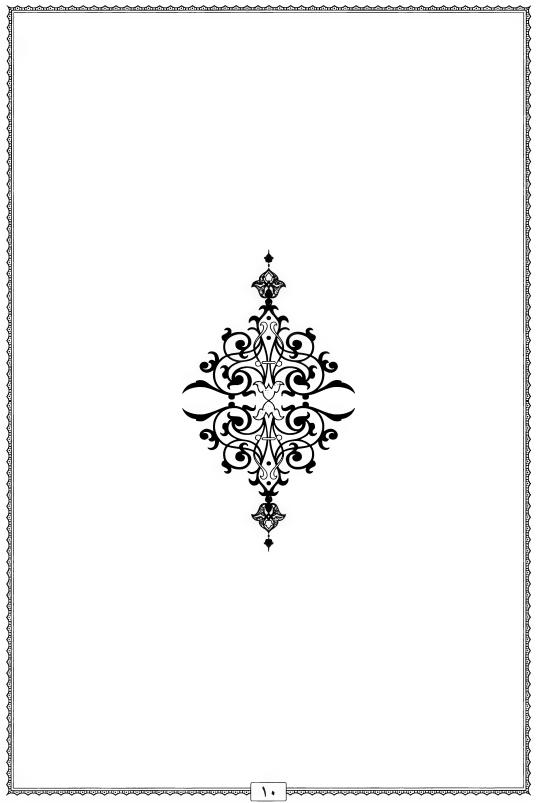


موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية www.furat.com

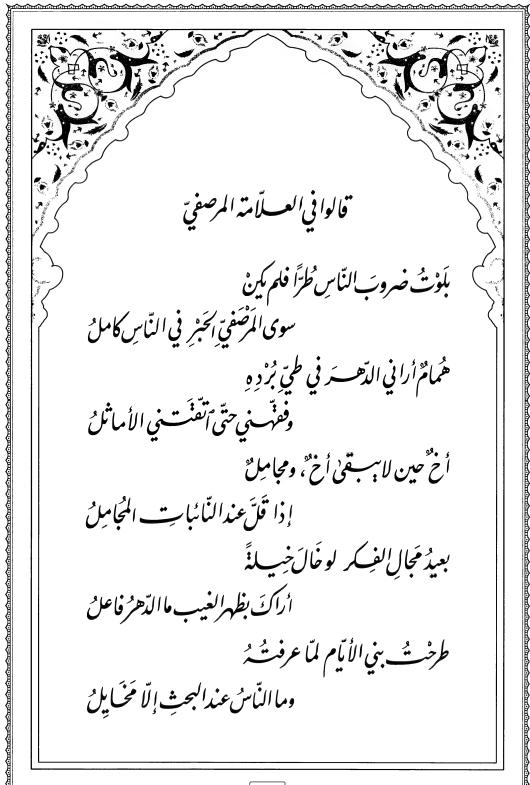


موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب www.nwf.com





ᠪᡴᡥᡳᢧᠲᡊᢖᡊᢖᡊᢖᡊᢖᡊᢖᡊᢖᡊᢖᠪᡜᠪᠽᠪᡜᡊᢖᡊᢖᡥᡳᡠᡜᠪᡜᡊᡓᡊᡓᡊᡓᠪᡎᠪᠽᠪᠽᠪᠽᠪᡓᡊᡓᡊᡓᡊᡓᡊᡓᡊᡓᠪᠽᠪᡜᠪᡓᡊᡓᡊᡓᡊᡓᡊᡓᡊᡓᡊᡓᡊᡓᠩᡓᡳ᠘ᡓᡊᡓ



فلوسامني مايورِ دُ النَّفْسَ حَنْفَهَا لأُوْرِ دُتُهَا.. والحَبُّ للنَّفْسِ قَالَلُ فلا برحَتْ مني إلى تحيّ بُرُ نَنا قَلُها عني الضّحي والأصائلُ ولازال غضَّ العُمُن مِمنَ عَ الذُّرا مَرْبِعَ الفَن اتُطُويُ إلى المراحلُ محمود سامي البارودي

> إنّ أستاذي الوحيد الّذي أَعُدُّنفسي مدينًا له هو استيخ حسين المرصفي ّ

طليت إلكناب

بقِکَر فضیلهٔ الإمام الأکبر أ . د أحمدالطّیب شیخ الأزهر ، رئیس مجلس حکماءالمسلمین

لهاذا السِّفر الجليل قصَّةُ يحسُنُ تسجيلها في هاذه التَّقدمةِ ؛ وهي أنِّي أثناء دراستي بكلية أُصول الدِّين كنتُ أهرب _ بينَ الحين والآخر _ مِنَ القراءة المفروضة في المقرَّرات الدِّراسيَّة من علوم النَّقل والعقل إلىٰ قراءةٍ حُرَّةٍ لها طَعمٌ مختلفٌ ومذاقٌ خاصٌ ؛ وهي القراءةُ في كتب الأدب نثراً وشعراً ، بقدر ما يتَسعُ له الوقت ، وحسبما نمتلِكُه من هاذه الكتب الَّتي كنَّا نعدِلُ في قسمة (المصروف) بينَها وبين النَّفقات الضَّروريَّة ؛ من إيجارٍ ومأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ .

وكانت مؤلَّفاتُ عميد الأدب العربي الدكتور/ طله حسين مِنْ أَحبِ الكتب إلى قلبي ، وكنتُ أجدُ في قراءتها متعةً للذوق والشُّعور ، وتأثيراً ملموساً في ترقية أفكارِنا ، وانفتاح وعينا على تجارب الحياة بكلِّ ما تضطرب به مِنْ آمالٍ وآلامٍ ، ومن دموعٍ وابتساماتٍ ، وعِبَر وَعِظَاتٍ ، ومعَ أن كتاباته كانت تجنَحُ ـ في بعض المواطن ـ إلى شيءٍ من النَّقد السَّاخر لمناهج تدريس الأدب في الأزهر الشَّريف مرَّةً ، وفي دار العلوم مرَّةً أُخرىٰ ، ومدرسة القضاء الشرعي مرَّةً ثالثةً ، إلَّا أنَّ هاذه الكتابات لم تكن لِتُثيرَ في نفوسنا ـ نحنُ أبناءَ الأزهر سيئاً من الحفيظة يُعكِّر على الشَّغف بهاذا الأُسلوب الرَّشيق الَّذي كُنَّا نحارُ في وصفه : هل هو شعرٌ منثورٌ ، أو نثرٌ منظومٌ ، أو هو فنٌ مبتكرٌ من فنون القول ، لا هو هاذا ولا هو ذاك .

وكانَ كتابه: « في الأدب الجاهلي » في مقدِّمة ما حرصتُ على قراءته ؛ لِما

ثارَ حولَ أصله المسمَّى: « الشِّعر الجاهلي » من ضجَّةٍ فِكريَّةٍ ، مُزجَتْ مِنْ جَدَلٍ دينيٍّ وآخرَ أَدبيٍّ في قِصَّةٍ قديمةٍ معروفةٍ ، وقد لفت هاذا الكتابُ أنظارنا _ نحن الطُّلاب _ وفي صفحته الأُولى إلى تلخيص دراسةِ مذاهبِ الأدب في مصرَ على عهده ، وكيفَ أنَّها انحصرت في مذهبين : مذهبِ القدماء في أروقة الأزهر ، والمذهب الأُوربي الذي استحدثَهُ المستشرق الإيطالي (نلينو) في الجامعة المصريَّة ، وتابعَهُ عليه ثلَّةٌ من زملائه المستشرقينَ ، وقد تولَّىٰ تدريسَ الأدب على طريقة القدماء الشَّيخ (سيد المرصفي) ، واضطلع فيه بشرح أُمَّهات كتب الأدب والنقد في اللَّمالي » ، وكتاب « الأمالي » ،

وقد أثارت كلماتُ الدكتور طله حسين عن شرح كتاب «الكامل » للشيخ سيد المرصفي ضمن كتابه « في الأدب الجاهلي » ، وكتب أُخرى رغبةً عارمةً في البحث عن الكتاب ؛ للاستعانة به على تلمُّس الطَّريق الصَّحيح لقراءة آدابنا العربيَّة ، والدُّربة على فهمها ، غيرَ أنَّه سرعانَ ما رغبتُ عن هلذا الكتاب حين نصحني أحدُ الخبراء من الورَّاقينَ بأنَّ كتاب «الوسيلة الأدبيَّة » للشَّيخ الأزهري العبقري حسين المرصفي . . أنسب وأسرع في تكوين مَلَكة الطَّالب الجامعي الأدبيَّة والعلميَّة من كتاب «رغبة الآمل من كتاب الكامل » للشيخ سيد بن على المرصفي (۱).

وهاكذا استبدلتُ البحثَ عن كتاب: «رغبة الآمل » بالبحثِ عن كتاب «الوسيلة الأدبيَّة » للشَّيخ حسين المرصفي عند الورَّاقين في حي الأزهر ، ومنطقة مستشفى أحمد ماهر ، وحي السَّيِّدة زينب ، وللكن بدا لي واضحاً - بعد طول بحث وطلب -: أنَّ هاذا الكتاب لم تُكتَب لَه الشُّهرةُ أو الانتشارُ مثل كُتبِ أُخرىٰ أَدُونَ منه قيمةً وأقلَّ وزناً ، وسرعانَ ما انقطعَ الرَّجاء وغاضَ

⁽۱) صدرت الطبعة الأولى من هلذا الكتاب عن مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م) ، وأعادت نشره أخيراً دار الذخائر مصوراً عن الطبعة الأولى بدون تاريخ .

الأمل في اقتناء نسخة منه ، ثمَّ ما لبثت الفكرةُ أن ارتحلت برُمَّتِها إلى هامش اللَّاشعور .

وظلَّ الأمرُ كذالك حتى فاجأنا الأستاذ المحقِّق المدقِّق الدُّكتور عبد العزيز الدُّسوقي (١) بتحقيق الجزء الأوَّل من «الوسيلة الأدبيَّة»، الَّذي كانَ يداعِبُ أحلامَ كثيرينَ ممَّن يعرفونَ قدر التُّراث، وقدرَ المتضلِّعين مِنْ حياضِهِ من جهابذة العلم وأساطين الفِكر، وما إن ظهرَ هنذا الجزء في عام (١٩٨٢م)، من الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب. . حتَّى تلقَّفه النَّاس تلقُّفَ الباحث عن ضالَّته بعد يأسٍ ونسيان، وظننَّا أيامئذٍ أنَّ أجزاءَ «الوسيلة» سوفَ تصدر وتتلاحقُ تباعاً، غيرَ أنَّه كانَ علينا أن ننتظرَ عشرةَ أعوامٍ أُخرىٰ ليصدرَ الجزءُ الثاني في عام (١٩٩١م)، ثمَّ ليسدَلَ ستارُ الإهمالِ بعدَ ذلكَ علىٰ هنذا السِّفر الجليل، وعلىٰ مؤلِّفه العلَّمة الكبير، ويُهملَ ذكرُهما في ساحة التَّعليم والثَّقافة والفِكر والأدب.

إلىٰ أن ساقت الأقدارُ رجلاً شاءَهُ اللهُ أن يكونَ رائداً في كتيبة إنقاذِ تراثِ المسلمينَ في أيَّامنا هاذه ، ونفضِ التُّراب عن محياه المضيء ، وبعثِه من مراقد البلىٰ والضَّياع ؛ وهوَ الأستاذ عمر سالم باجخيف ؛ صاحب دار المنهاج بجدَّة ، التي نشرت أُمهات التَّراث ، ومنها تراث الفقه الشَّافعي ك « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين الجويني ، و « النَّجم الوهَّاج » للدَّميري ، و « البيان » للعمراني ، ومؤلَّفات الإمام الغزالي وفي مقدِّمتها : « إحياء علوم الدِّين » وكثيرٍ من مؤلَّفاته الأُخرىٰ ورسائله ، وغيرِ ذلكَ من كنوز التُّراث الحديثيِّ والشُّوفيِّ والصُّوفيِّ .

⁽۱) عبد العزيز الدُّسوقي (۱۳٤٣ ـ ۱۳۲۱ هـ/۱۹۲۰ م) وُلِد في مركز قويسنا بمحافظة المنوفية ، وكانت نشأته الأولى أزهرية ، حصل على الابتدائية والثانوية الأزهريتين ، وحصل على الدكتوراه في الأدب والنَّقد من كُلِّية آداب عَينِ شمس ، وهو أوَّل رئيس تحرير لمجلَّة « الثَّقافة الجديدة » المصرية ، ويُعتَبر من الأُدباء والنُقَّاد الذين أثروا الحياة الفِكرية الأدبية المصرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين . انظر « من أعلام العصر : كَيف عرفتُ هاؤلاء ؟ » لمُحمَّد رجب البيُّومي : (۲۰۵ ـ ۲۱۱) .

وكنتُ ألمُسُ في النَّاشرِ في كلِّ مرَّةٍ يزورني فيها بمشيخة الأزهر غيرةً نادرةً ، وعزيمةً صادقةً ، وإخلاصاً لله ورسوله ، وتجرُّداً مُتعالياً على المادَّة وظلماتها .

وقد شجَّعني شغفُهُ بإحياء التُّراث على أن أطلب إليه نشرَ « الوسيلة الأدبيَّة » بحسبانِها ذخيرةً وكنزاً مِنْ ذخائر الأدب العربي وكنوزه في القرن التَّاسع عشر والقرن العشرين ، وذكرتُ له بعضاً مِمَّا احتفظَتْ به الذَّاكرة عن مؤلِّفها العلَّامة الشَّيخ حسين المرصفي ، والَّذي يَعدُّه أدباءُ مصرَ وعلماؤها من أكابر روَّاد النَّهضة العلميَّة وحركة إحياء الأدب العربي ، وتجديده ، وبعث تراثه ومصادره .

وكنتُ أشكُ في أن يأخذَ الأستاذُ عمر هاذا الأمر مأخذَ الجدِّ ؛ فالكتابُ مفقودٌ _ تقريباً _ في أسواق الكُتُب قديمها وحديثها ، وهوَ مجهولُ القَدر لدى طلَّب العلم وشباب الباحثين ، وأُسلوبه _ إن طُبع _ غيرُ مألوفٍ ولا مأنوسٍ لديهم ، وكلُّ هاذه « مثبِّطاتٌ » لا تُغري النَّاشرينَ بالإقدام على طبع مرجعٍ ضخمٍ في علوم اللُّغة والأدب ، يؤولُ مصيرهُ إلى المخازن ورفوفها المتربة .

لاكن سرعان ما تبدَّدت هاذه الشُّكوك حينَ شرحَ الله صَدْرَ صديقنا الكريم لإعادة هاذا السِّفر إلى الحياة مَرَّة ثانية ؛ بإخراجه مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّور ، ولم تمضِ أيَّام قلائلُ قبل أن يزورَني في مكتبي ، ومعَهُ نسخةٌ مُصوَّرةٌ مِنَ «الوسيلة الأدبيَّة » في طبعتها القديمة الوحيدة الَّتي لم يُقدَّر لها أن تُطبعَ مرَّة أُخرى منذ صدور الجزء الأول منها عام (١٨٧٥ م) بمطبعة المدارس الملكيَّة بالقاهرة ، والحزء الثاني عام (١٨٧٩ م) (١) بالمطبعة ذاتها بدرب الجماميز بالقاهرة المحروسة ، ومعَ وعدٍ كريم بالطَّبعة الثانية من «الوسيلة الأدبيَّة » في ثوبٍ تزهو الوسيلة » بجماله ، وتستعيد بجلاله ريادتَها ومكانتَها السَّامقة مِنْ جديدٍ .

وأخيراً ؛ هاذه هي « الوسيلة الأدبيّة » بمجلّداتها الأربعة ، وفي طبعتها المتألِّقة ، خذها أيُّها القارئُ الكريمُ ، وأطبق عليها بجمع يديك ، شادياً كنت

⁽١) انظر مقدمة تحقيق الدكتور/ عبد العزيز الدسوقي للوسيلة الأدبية ، ج ١ ، ص ٧ .

في طلب اللغة والأدب ، أو ضارباً في حياضها بحظٍ وافر ؛ فهنذا سفرٌ نادرٌ في بابه ، يستوي في الحاجة إليه الطَّالب والأستاذ والمثقَّف والأديب على حدٍ سواء ، بل هوَ درَّةٌ فريدةٌ أملاها هنذا الشَّيخ الأزهري الكفيف على طلابه ، ولم يجرؤ عالِم ولا أديبٌ في عهدِه ولا فيما تلاه مِنْ عهودٍ حتَّى الآنَ أن يأتي بمثل ما أتى به هنذا العلَّمةُ الأوحدُ المتفرّد في علمه وأستاذيَّته وبصيرته .

هاذا ؛ وقد كانَ في الحُسْبان أن أكتُب كلمةً وافيةً عن «الوسيلة » ومؤلِّفها ، ولا كُن وجدتني سأكرِّر كثيراً ممَّا كُتِب عنهُما ، ولا أُضيف جديداً لِما كتبه أساتذةٌ فُضلاء مُتخصِّصون في الأدب العربي وعلوم اللَّغة ، وبخاصَّة مقدِّمة اللَّدُكتور عبد العزيز الدُّسوقي عن الشَّيخ حسين ، للجزئين المنشورين في تسعينات القرن الماضي ؛ وذلك لِما امتازَ به الدُّكتور الدُّسوقي رحمه الله من ريادة في نهضتنا الأدبيَّة ، ومن دراسةٍ عبقريَّةٍ ضاربةٍ في جنبات هاذا السِّفر وفي أعمق أعماقه ، مع إنصافٍ ذبَّ عن الشَّيخ المرصفي كثيراً ممَّا أصابه من جرَّاء الغيرة وأخواتها ، وهو إنصافٌ لا يفي به إلَّا مَن هو في وزن الدُّكتور الدُّسوقي ؛ القول والعمل ، ويقظةً في الضَّمير ، وأمانةً في أداء الكلمة ، ورغبةً إلى الله في القول والعمل .

هاذا ؛ وكنتُ قد جمعتُ طائفةً من المصادر الَّتي ترجمتْ للشَّيخ حسين المرصفي ، وسَرَّحتُ فيها النَّظر ، وحصَّلتُ منها الكثيرَ ممَّا كنتُ أتطلَّع لمعرفته ، وكنتُ أجهلُه مِنْ سيرة الشَّيخ ، وآثرتُ أن أُلحِقَها هنا في هاذه الكلمة الموجزة ، بعناوينها ، وأسماء مؤلفيها ؛ فقد تلقىٰ رغبةً في صدور بعض الشَّباب مِنَ الحريصينَ علىٰ لُغتهم العربيَّة لعلهم يتنبهونَ إلىٰ أنَّ هاذه اللُّغة هي سرُّ قوَّتهم ، ومناطُ عزِّهم ، وسبيلُ استعادةِ مجدهم ، وهاذه المصادر هي :

_ الدُّكتور عبد العزيز الدُّسوقي : حسين المرصفي ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (١٩٩٠ م) ، رقم (٢) من سلسلة نقَّاد الأدب .

_ محمَّد عبد الغني حسن: أعلام مِنَ الشَّرق والغرب، دار الفكر العربي

(١٩٤٧ م) . فصل بعنوان : (أول رائد في تدريس الأدب العربي : الشَّيخ حسين المرصفي ت ١٨٨٩ م) ، (ص ٦٧ ـ ٨١) .

- عبد الحي دياب : التُّراث النَّقدي قبل مدرسة الجيل الجديد ، دار الكتاب العربي للطِّباعة والنَّشر (١٩٦٨ م) (ص ٣٩ ـ ٥٤) .

- رسالة الكلم الثَّمان ، للشَّيخ حسين المرصفي ، تحقيق ودراسة الدُّكتور أحمد زكريا الشَّلق ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (٢٠١٤ م) .

- الشَّيخ حسين المرصفي : جهوده البلاغيَّة والنَّقديَّة ، إعداد الطَّالب عبد الله أحمد العطَّاس ، رسالة ماجستير ، إشراف الدُّكتور عبد الواحد علَّام (١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ) ، كُليَّة اللَّغة العربيَّة ، جامعة أُمِّ القرى ، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة (نسخة مصورة) .

شكرَ الله للأخ الأستاذ/ عمر ، ولدار المنهاج ، ولكُلِّ العاملينَ بها على ها المعروف الذي أَسْدَوه إلى الأُمَّة الإسلاميَّة ، ولُغتها العربيَّة ؛ لُغة القُرآن ، وحصن العرب وسَنَد المسلمينَ .

أمس الطّيّب شيخ الأزهر رئيس مجلس حكماء المسلمين

مشیخة الأزهر ۲۷ من جمادی الآخرة سنة ۱٤٤٠ هـ الموافق : ٤ من مارس سنة ۲۰۱۹ م

بین پدھیے الکناب

حمداً لمن خلق الإنسان علمه البيان ، ورفد الأمة المحمدية بمعجزة الفرقان . وصلاة وسلاماً على من أعطي جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً ، وعلى صحابته والتابعين .

وبعرك :

فإن الوسائل هي الطرق الموصلة إلى المقاصد ، وصُنَّاع الصروح الأدبية متفننون في إتقانها ، متمرسون في تبيانها ، يركبون مطايا الإبداع ، ويرتشفون كؤوس البلاغة ، ثم يمجونها من لهواتهم على الطروس شهداً مصفّى ، يستهوي كل من ذاقه ، ويشفى من علل الجهل .

فكم من ذوَّاقة يستأسر لنفثات الأدباء ، « وإن من البيان لسحراً »!!
كيف أنجو وأسرها إيماء والشراك العيون نفسي الفداء

ولا مراء عند أولي المعرفة: أن بناء الوسائل الأدبية يعتريها التفاوت البياني ؟ بالنظر إلى الإيضاح والإفصاح عن مكونات أي فن من فنون الأدب .

وقد أجمع أولو العلم على أنه متى تعاضد التبيان والتحقيق في هندسة التأليف . . فإن المعروض العلمي ترتفع قيمته ، وتعلو مكانته ، وتسمو منزلته ، ويلبس تاج القبول ، ويعم نفعه .

(()

وبين يديَّ الآن كتاب « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » قد جمع بين البيان الأدبى والتحقيق المعرفى .

⁽١) من أبيات لكاتب هاذه الأحرف.

إضافة إلى مزايا سامية ارتفع بها إلى منزلة تقاصر عنها كثير من الأسفار الأدبية المعاصرة ، فأجرى الأقلام معنِقةً للإعلام بعلياء مكانته ، وأنطق الألسن لتبيان مناقبه وسمو شرفه ؛ لأنه أبهر الناظرين فيه بما أودعه من فوائد فرائد ، وبما طرزه بمحاسن بنت عدنان ، وبما حبره قلمه من أدبٍ عالٍ ، وتأليف بديع .

فكم منادم له ووارد منهله الروي !! وكم ناظر في فنونه ومقتبس من عيونه !! إنه نسيج هاذا الأزهري العبقري ، فمن طالع هاذا السفر . . يجزم بأن منتجه بحر الفنون ، وقاموس البلاغة ، ومعجم الأدباء ، فهو بدر يتجول في بروج التحقيق والتدقيق .

من نادم « وسيلته » . . علم أنه كان أعجوبة عصره ، وأن ما وشّاها به من العلوم والحكم تدل على مكانته الرفيعة ، ورسوخه العلمي .

وهبه المولى جل وعلا عقلاً ثاقباً ، وفكراً صائباً ، وقلماً لامعاً ، وهاذه « الوسيلة » من آثاره الروائع ، نسيجها محكم ، ووشاحها ذهبي ، تباعد فيها عن الحشو والإخلال ، وسبكها في قوالب الفصحاء ، فلا حذف ولا إعلال .

فرحمه الله تعالى ، وصب على جدثه شآبيب المغفرة والرضوان ، وغمره بعفو يفوز به في يوم التناد .

(ج)

ولعمري ؛ لقد أردت أن أقيد هنا أحرفاً تومئ إلى رفعة شأن الكتاب ، وتشيد بناسجه ، فسقطت في يم الحيرة ، وطفقت أتردد : من أين أبدأ ، عن أي خصيصة أتكلم ، وبأي المزايا أترنم ؟

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

نعم ؟ إن هاذا الكتاب ضم بين خوافيه علوم العربية ، ونثر جواهر من

المعارف تطوق أعناق الأدباء بفرائدها ، وتصقل الأذهان بعوائدها ، ويستهدي المتأدبون بضيائها .

ففي طيات هاذا الكتاب أكثر من ثلاثة عشر فناً من العلوم العربية ، تتلامع سناها في صفحاته ، ففواكهه العلمية دانية للأدباء ، وفوائده المصفوفة معروضة للنبلاء ؛ فقد اصطفىٰ من لغتنا الجميلة أحلاها ، وامتص برسوخه رحيقها ، واقتطف من السنة النبوية أحاديث تدعو إلىٰ مكارم الأخلاق ، وتنشر محاسن الدين .

كما ضمن « الوسيلة » روائع من نفثات يراعته ، وقيد فوائد تشي برسوخه وإتقانه .

فمن أراد التزود من علوم العربية ، والتأدب بأدب القوم . . فليسامر هذا الكتاب ، وليجعله من زمرة الأصحاب والأحباب .

أعز مكان في الدجئ سرح سابح وخير جليس للرجال كتاب

وقد اضطلعت عزيمة الشيخ الموفق أبي سعيد عمر بن سالم باجخيف وأخيه خادم العلم أبي نصوح محمد غسان عزقول الحسيني الدمشقي بإعادة نشر هاذا الكتاب ؛ بعد أن منَّ الله عليَّ بتصحيحه وضبطه ومراجعته وتدقيقه ؛ لما في نشره من النفع العام ، وخدمة الشرع الحكيم .

وها هو يتبدئ في طبعته الأنيقة ، وحلته الجديدة ، وتعليقاته المفيدة يتهادئ ، فالله تعالىٰ ينفع به .

وكتبه د . محمّدعبدالرحمٰن شسيلهٔ الأهدل الأزْهكِرِيّ يوم الشّلاثاء (۱۲) ربيع الأنور (۱٤٤٠ ه) (۲۰) نوفمبر/تشرين لشّاني (۲۰۱۸) الطّائف

نرجمة العلّامة الأديب، النّاقدالأريب حسين بن أحمد بن سين المرصفيّ رَحمَهُ الله تعسَالیٰ'' (ت ١٣٠٧ هـ/ ١٨٩٠م)

اسمه ونسبه

هو الشيخ العلامة ، والنابغة الفهامة ، المدرس المحقق ، والأديب المدقق ، الشيخ : حسين بن أحمد بن حسين أبي حلاوة الكبير ، المرصفى .

قال عنه الأستاذ محمد عبد الجواد في ترجمته له: (كان المترجم له معجزة زمانه ، ونابغة عصره ، وقد شع نوره ، وانتشر شعاعه ، فأضاء الأفق العلمي ؛ لقربه من أعرق القرئ ، وكشف عن فضل « مرصفا » وأهلها . . .) (٢).

نشأته وتعلمه

نشأ العلامة المرصفي في قرية (مرصفا) التي كانت منبتاً للعلماء ؟ فقد نبغ فيها كثير منهم حتى صارت النسبة إليها مفخرة من المفاخر ، فها هو ذا المرصفي لم ينسب إلى أحد أجداده ، بل نسب إلى قريته التي غدا لا يُعرَف إلا بها ، ولا تُعرَف إلا به .

قال عنها الأستاذ محمد عبد الجواد: (إن نسبة التعليم فيها عالية ، وخاصة

⁽۱) مصادر الترجمة : « الخطط التوفيقية الجديدة » للعلامة علي مبارك باشا (١٢٥/١٥ ـ ١٢٦) ، وكتاب « الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول للعلوم الأدبية بدار العلوم » للأستاذ محمد عبد الجواد ، ترجم فيه للمؤلف ، و« الأعلام » للزركلي (٢٣٢/٢) .

⁽Y) من مقدمة كتاب الأستاذ محمد عبد الجواد « الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول » ((Y)) .

التعليم الأولي ، فلا تكاد تجد فيها أمياً ، والمتعلمون فيها كثير ؛ ولذلك يضرب بها المثل ، فيقال : جاهل مرصفا أعلم من علماء الشموت ، والشموت : قرية تبعد عن مرصفا بنحو أربعة آلاف ذراع ، ويقال أيضاً : لو كان العلم ينبع من الحيطان . . لنبع من حيطان مرصفا)(۱).

ومرصفا: إحدى قرى مركز (بنها) بمحافظة (القليوبية)، وهي من القرى القديمة التي كانت عامرة قبل الإسلام $(^{7})$ ، ولأهلها اعتناء زائد بالعلم والتعليم، وقد ذكرها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» قائلاً: (نُسب إليها قوم من أهل العلم) $(^{7})$.

أخرجت لمصر وللعلم والعربية منذ أجيال عشرات من حملة ألوية العلم والأدب والفضل ؛ فمن يذكر المرحوم الشيخ زيناً المرصفي . . يذكر مفخرة من مفاخر الجيل الماضي ، ومن يذكر مترجمنا العلامة حسيناً المرصفي . . يذكر النبوغ والعبقرية ، وكذلك تجد أهل مرصفا من المشتغلين بطلب العلم أو بخدمته ('') .

والد العلامة المرصفي

هنذا ؛ وإن والد العلامة المرصفي من العلماء الأعلام ، ذكر صاحب « الخطط التوفيقية » : أنه كان بين علماء مرصفا الفضلاء الشيخ أحمد بن حسين المرصفي ، ويكنى بأبي الحلاوة ، دخل المكتب بعد بلوغه ثماني عشرة سنة ، فحفظ القرآن الكريم في ستة أشهر ، واشتغل بالعلم حتى صار إماماً فيه في

⁽١) الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول (ص ٢١).

⁽Y) انظر « الخطط التوفيقية الجديدة » (١٢٠/١٥) .

⁽٣) معجم البلدان (١٠٧/٥) .

⁽٤) انظر «الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٢٠) ، وذكر فيه أيضاً عن النسبة لهاذه القرية (ص ٢٦): أن عدداً من أهلها قديماً نزح منها ، واستقروا في بلاد وقرى أُخَر ، فأطلق عليهم لقب (المرصفاوي) ؛ ليتميزوا عن المرصفيين المحتفظين بعادات قريتهم وطباع أهلها .

أقرب زمن ، وأخذ عن جماعة من فضلاء الأزهر ، فلازم الشيخ داوود القلعاوي وسمع منه الكتب الستة ، وأخذ عن الشيخ الدمهوجي والفَضَالي والقُويسني والشَّرقاوي .

وكان رحمه الله تعالى زاهداً حافظاً ، يميل إلى حب العزلة ، لم يُرَ في وليمة إلا نادراً ، وكثيراً ما كان يدعوه الأمراء إلى منازلهم فلا يجيبهم ، وكان يزور الإمام الشافعي رضي الله عنه ماشياً على كبر سنه .

وكان رحمه الله تعالى مهيباً في درسه ؛ بحيث لا يستطيع الطالب أن يرفع فيه صوته ولو بالسعال .

سافر في مبدأ أمره إلى الصعيد مع بعض مماليك العزيز المرحوم محمد علي ، وأقام هناك سنتين ، ثم رجع وانقطع للعلم بالأزهر إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، وعمره اثنتان وسبعون سنة (١).

وذكر الأستاذ محمد عبد الجواد أن من طلاب الشيخ أحمد المرصفي: العلامة محمداً الأشموني ، ومن معاصريه العلامة الباجوري ، وأورد صورة إجازة من العلامة الأشموني يجيز الشيخ محمد حفني ناصف بروايته عن العلامة الباجوري والشيخ أحمد المرصفي أبي حلاوة ، وكفى بإجازة العلامة الأشموني هنذه دليلاً وشاهداً على مكانة والدِ مترجَمِنا هنذا .

ملامة وعتب على مؤرخي الأدب

لم يتبين لنا على وجه التحديد سنة ولادة العلامة المرصفي ، ولولا بضعة أسطر كتبها عنه العلامة على مبارك باشا . . لما علمنا من سيرته شيئاً .

قال الأستاذ محمد عبد الجواد مستغرباً ومتعجباً: (ولأقف هنيهة أُسائل فيها مؤرخي الأدب عن إغفالهم ترجمة الشيخ ترجمة وافية مفصلة ، تظهر

⁽١) الخطط التوفيقية (١٢٤/١٥ _ ١٢٥) بتصرف يسير .

مناحي شخصيته ، وتميط اللثام عن استعداده وكفايته ، وتفصح عن جوانب عبقريته ، وتوضح لماذا كان معجزة زمانه .

ويظهر أن الترجمة للشيخ حسين المرصفي كانت شاقة ، لمن جاؤوا بعد علي مبارك باشا ، فأغفله المرحوم جرجي زيدان بك ، وهو يترجم لقرابة تسعين علماً من أعلام النهضة في كتابه المشهور: « تراجم مشاهير الشرق » ، كما تركه الأستاذ حسن السندوبي في كتابه « أعيان البيان » ، الذي ترجم فيه لطائفة من أعلام الأدب والشعر منذ عصر محمد على .

وأعجب من ذلك كله: أن يتركه المغفور له أحمد تيمور باشا ، وهو يترجم لأربعة وعشرين عيناً من أعيان العلم والأدب في كتابه « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » الذي طبع بعد وفاته !!

وما زال حظ الشيخ المرصفي يضؤل من الأسطر التسعة التي تفرد بها علي مبارك باشا في «خططه» حتى بلغ نصيبه ثلاثة أسطر من الترجمة في كتاب «الآداب العربية في القرن التاسع عشر» للأب لويس شيخو اليسوعي، وهو نصيب لا يقوم كفاء ما أسداه الشيخ إلى دراسة تاريخ الأدب من خدمات، على أن مؤرخنا المنصف عبد الرحمان الرافعي بك لم يفته ـ وهو يترجم لأعلام الأدب في عصر إسماعيل ـ أن يردد بضعة الأسطر التي جاءت في كتاب علي مبارك باشا، وهي المصدر الوحيد في ترجمة الشيخ الجليل.

والحق: أن الشيخ المرصفي لم يترك لنا ترجمة تفي بحاجات المؤرخ، أو تلقى ضوءاً قوياً على حياته.

وأكثر من هاذا: أنه لم يمد المؤرخ بما يكفي لدراسته دراسة لا تشق على الذين يأتون من بعده ؛ فقد كان معاصراً لعلي مبارك باشا ، وكان صديقاً له ، وقد كان في مقدوره أن يمده بطرف من أخباره ؛ ليذكر في كتابه « الخطط » كما كانت عادة علي مبارك باشا مع رجالات عصره ؛ فقد كان يرجو أن يمدوه بآثارهم ليدونها في كتابه .

وإني قد أبحت لنفسي نقل هاذه الفقرات الثلاث من الأستاذ محمد عبد الغني حسن في ترجمته ؛ لأنها تمثل أصدق تمثيل ما كان يدور بخلدي وقت أن فكرت في الكتابة عنه ، وقبل اطلاعي على هاذه الترجمة وإن كنت أخالفه في بعض قضاياه ، كما سيتضح ذلك فيما بعد .

وإذا كان العجب قد استولى على الأستاذ من ترك تيمور باشا ترجمته للشيخ . . فقد كانت مفاجأة مدهشة أن أجده أغفل الشيخ مع ترجمته لبعض تلاميذه ؛ مثل الشيخ أحمد مفتاح ، ومع ذكره بعض أشعار هاذا التلميذ في الشيخ الحسين ، حين قال في شيخيه : حسن الطويل ، الذي خلف الحسين :

دَارُ ٱلْعُلُومِ شَكَتْ فِرَاقَ أَبِي ٱلْهُدَىٰ اَلْمَرْصَفِيُّ ٱلْحَبْرُ أَوْحَدُ ذَا ٱلزَّمَنْ فَأَجَبْتُهَا : حَسَنُ ٱلْمَعَارِفِ بَعْدَهُ لَا تَجْزَعِي إِنَّ ٱلْحُسَيْنَ أَخُو ٱلْحَسَنْ

وهاذا أيضاً مع ترجمته للشيخ زين المرصفي ، مع أنه كان صهر الحسين ، وإني أستبعد ألا يكون تيمور باشا عارفاً قدر الحسين !! وقد يكون السر في إغفال ترجمته : أن الكتاب طبع بعد وفاة الباشا ، فأسقط الترجمة من قام بالطبع) (۱) .

ومن الاطلاع على الوقائع يتبين أن ولادة العلامة حسين المرصفي كانت تقريباً مطلع القرن التاسع عشر ، نحو عام (١٨١٥ م) ؛ لأن وفاته كانت سنة (١٨٩٠ م) ، وعاش أكثر من سبعين سنة رحمه الله تعالى .

ثم ذكر الأستاذ محمد عبد الجواد بعض الأسباب التي اعتقد أنها السبب في إهمال ترجمة العلامة حسين المرصفي ، ثم قال: (ومن أهم الأسباب التي عملت على إغفال مؤرخي الأدب الترجمة للشيخ . . عدم مقدرتهم على تقويم علمه وفضله من كتبه ؛ فإن من يريد الترجمة له ترجمة قيمة . . لا بد له من

⁽١) الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول (ص ٩ - ١١).

قراءة كتبه وآثاره التي خلفها ، حتى يستشف منها فضل الشيخ ومقدرته ، وسعة أفقه في العلم والأدب ، وليس هذا الأمر بالهين أو اليسير على الذين كتبوا عن غيره من معاصريه ؛ لعدم إلمامهم بالفنون التي احتوتها مؤلفاته .

هاذا ؛ ولست أوافق الرأي القائل: بأن الشيخ لم يترك ترجمة تفي بحاجات المؤرخ . . . إلى آخره ، بل في الحق : أن ما ذكره على مبارك باشا عن الشيخ فيه الكفاية ، بالنسبة لدائرة المعارف التي وضعها في « خططه » ، وما يريده هاؤلاء من المعلومات عن الشيخ . . لم تكن تستحق التسجيل في نظره ، وبخاصة إذا علمنا أن الشيخ كان يثافنه ويجتمع به في مجالس خاصة ، ومحافل عامة .

ولولا ما كتبه علي مبارك باشا من الأسطر التسعة عن الشيخ في «خططه»، عرضاً في الكلام على قرية «مرصفا» والتي أصبحت مصدراً يستقي منه كل من يتعرض لترجمته . . لكان الشيخ نسياً منسياً)(١١) .

قال عنه العلامة علي مبارك باشا بعد أن ذكر ترجمة والده في « الخطط التوفيقية » : (وقد ترك ابنه العلامة الشيخ حسيناً : من أجلاء العلماء وأفضلهم ، له اليد الطولئ في كل فن ، وقل أن يسمع شيئاً إلا ويحفظه ، مع رقة المزاج ، وحدة الذهن ، وشدة الحذق .

اجتهد في التحصيل وحفظ المتون ، حتى متن « جمع الجوامع » ، و « تلخيص المفتاح » .

وتصدر للتدريس ، وقرَّأ بالأزهر كبار الكتبِ ك « مغني اللبيب » في النحو لابن هشام ، وله تآليف مفيدة ، أجاد فيها وأفاد ؛ منها : كتاب « الوسيلة الأدبية في علوم العربية » ، جمع فيها نحو اثني عشر فناً ، وتكلم باللسان الفرنساوي ، وقرأ الخط العربي والفرنساوي في أقرب زمن مع انكفاف بصره ؛ وهو حروف اصطلح عليها اصطلاحاً جديداً ، تدرك بالجس باليد .

⁽١) الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول (ص ١٢).

وقد أنشأ الخديوي إسماعيل من ضمن ما أنشأ من المدارس ، مدرسة للعميان يتعلمون فيها هلذا الخط مع فنون أخر ، وكان الشيخ حسين معلم العربية في دار العلوم وبالمدارس الكبرى وبمدرسة العميان)(١).

لقد أوفى رحمه الله تعالى على الغاية ، وجاء بخلاصة الخلاصة ، وقد هيأ المولى سبحانه الأستاذ محمد عبد الجواد لهاذه المهمة ، قال في مقدمة بحثه : (وقد شجعني على ذالك : أني لم أجد من ترجم لهاذا الشيخ الجليل ترجمة تليق بمركزه ، وتفصح عن قيمته ، وتلقي ضوءاً يكشف عن شخصيته .

هاذه الأسباب وغيرها حفزتني إلى الترجمة لهاذا العالم الأديب ، والنادرة الفذ ، حتى أستمتع بلذة البحث عن هويته ، في مهامِهِ الظلام التاريخي الحالك ، الذي كان يسود جوه وعصره ، وسأتتبع حال الشيخ من خلال تلك الوصاوص (٢) التي عثرت عليها حين كنت أجمع أصول « تقويم دار العلوم » ، وسأتخذ من هاذه الذرات مصابيح تضيء تاريخ الشيخ ، وتكشف عن أفق علمه الواسع ، وفضله السابغ ، مستعيناً بما أستنبطه من مؤلفاته القيمة النادرة ، ومما أتلقطه من أفواه بعض تلاميذه ومعاصريه ، ومن سمع عنه من بعض عارفيه ومشاهديه .

وإني لأعتبرها فرصة ذهبية _ كما يقولون _ أن أندمج في غمار من يعمل على إظهار فضل هذا العالِم البارع ، الذي يدعوه كل من تحدثت معه في تاريخه : معجزة زمانه ، ونادرة وقته ، مع أنه لم يفكر أو لم يوفق أحد من قبل في الترجمة له ، والحديث عنه في كتاب خاص !!) (٣).

ومن مفاتيح البحث عن سيرة الشيخ: آثاره ومؤلفاته ، وما يلقاه الباحث في ثنايا سطورها ، مما يشير إلى سعة في الاطلاع ، وتبحر في العلوم والفنون ، مع اتساع أفق معلوماته الخاصة والعامة .

⁽١) الخطط التوفيقية (١٢٥/١٥ ـ ١٢٦).

⁽٢) الوصاوص : جمع وصواص ؛ وهو الخرق في الستر بمقدار عين تنظر فيه .

⁽٣) الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول (ص ٩).

ومع أن العلامة المرصفي كان كفيف البصر . . للكنه ذو بصيرة ثاقبة ، وكم قد سبق من البصراء فلم يدركوا شأوه رحمه الله تعالى ، وكأن لسان حاله يردد ما قاله سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : (من البسيط)

إِنْ يَأْخُذِ ٱللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا فِفِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نُورُ (١) قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ وَقَالَ أَبُو العلاء المعريُّ : (من الوافر)

وَقَالُوا قَدْ عَمِيتَ فَقُلْتُ كَلَّا وَإِنِّي ٱلْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ سَوَادُ ٱلْعَيْنِ زَادَ سَوَادَ قَلْبِي لِيَتَّفِقَا عَلَىٰ فَهُمِ ٱلْأُمُورِ

ولقد أشار الأستاذ محمد عبد الجواد إلى أن الشيخ حسيناً المرصفيّ أصابته علة وهو في الثالثة من عمره أذهبت بصره ، ولم يكن أكمه ، وكان الشيخ إبان طلبه للعلم ملازماً للأزهر الشريف ، فلا يفارقه أياماً وليالي على الرغم من قرب بيت والده من الجامع الأزهر ؛ لأنه كان في (الباطنية) ، وكان من عادته أن يأكل مرة واحدة في اليوم والليلة (٢٠).

تدريسه في الأزهر الشريف

كان تدريسه في الأزهر أُولى ثمرات نبوغه ونتائج اجتهاده ، قال العلامة محمود الطناحي في كتابه « مدخل إلى تاريخ نشر التراث » : (أنشئت مدرسة

⁽۱) قال العلامة خليل بن أيبك الصفدي رحمه الله تعالى في « نكت الهميان » (ص ٧٢) : (قلَّ أن وجد أعمى بليداً ، ولا يرى أعمى إلا وهو ذكي ؛ منهم : الترمذي الكبير الحافظ ، والفقيه منصور المصري الشاعر ، وأبو العيناء ، والشاطبي المقرئ ، وأبو العلاء المعري ، والسهيلي صاحب « الروض الأنف » ، وابن سيده اللغوي ، وأبو البقاء العكبري ، وابن الخباز النحوي ، والنيلي شارح « الحاجبية » وغيرهم ، والسبب الذي أراه في ذلك : أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه ، ولا يعود متشعباً بما يراه ، ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه . . أغمض عينيه وفكر ، فيقع على ما شرد من حافظته ، وفي المثل : أخفظ من العميان . . .) .

⁽٢) انظر «الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول » (ص ٣٨).

دار العلوم سنة « ۱۸۷۲ م » ، وتولى التدريس فيها أفذاذ الرجال ، وكان على رأسهم الشيخ حسين المرصفي ، هذا الأزهري الضرير الذي تولى التدريس بالأزهر ، ثم كان أستاذاً للأدب العربي وتاريخه بمدرسة دار العلوم ، وكان يعرف الفرنسية ، وهو من عظماء رجال الإحياء _ أي : إحياء التراث _ وألف كتابه «الوسيلة الأدبية » وهو مجموع محاضراته على طلبة دار العلوم ، ولهذا الكتاب أثر ظاهر في إحياء اللغة وآدابها ، وقد انتفع به كل من تخرج في دار العلوم ، وكل أبناء الجيل عامة . . .) (۱).

لقد تصدى للتدريس في الأزهر قبل صدور القانون الذي ينظم إجازة التدريس أو شهادة العالمية سنة (١٢٨٨ هـ) ، واستمرَّ في التدريس بعد صدوره ، وكان واحداً من الأساطين التي يعتمد عليها بدار العلوم ، والذي سماها بهذا الاسم صديقه العلامة على مبارك باشا صاحب « الخطط التوفيقية » ، وكانت أشبه بمجمع علمي أو جامعة شعبية ، تلقىٰ فيها المحاضرات في كل فن ، ومن المحاضرين البارزين فيها الشيخ حسين المرصفى لمدة ثمانية عشر عاماً ، وتخرج على يديه عدد كبير من فطاحل العربية والأدب ، وظهر فضله ، وانتشر ذكره ، وكان يدرس العلوم الأدبية ؛ وهي التي تتضمن : النحو والصرف ، ورسم الحروف ، وحروف المعانى ، والعروض والقوافى ، والإنشاء وعلوم البلاغة ، وأدبيات اللغة والمنطق ، ولما أرادوا رفع مستوى المدرسة والطلاب . . أضاف الشيخ حسين المرصفى للطلاب درساً في « المقامات » ، ودرساً في كتاب « التمرين على القراءة في اللغة العربية » ، وهو كتاب يتضمن خمساً وعشرين مسامرة في مسائل عامة ؛ كونية ونباتية وحيوانية وطبيعية وفلكية ، ومن يتصدى لتدريسها . . لا بد أن يكون واسع الأفق ، غزير المعلومات ، مع تباينها وتنوعها ، وعندما تنظر في عناوينها تدرك بأنه يملك عقلية فذة ، ونظرة ثاقبة في غور الأمور ، وبصيرة سبقت الأبصار والمبصرين .

⁽١) مدخل إلىٰ تاريخ نشر التراث العربي (ص ٣٦) .

وذكر الأستاذ محمد عبد الجواد مثالاً لتبحره وغزارة علمه ؛ وهو : أنه دخل الفصل أول السنة فسأل : من الأول ؟ فرد عليه الأستاذ الحناوي : أنا ، فقال الشيخ : أعوذ بالله من قول « أنا » ، وسأله عن اسمه ، فقال له : الحناوي ، فأخذ الشيخ يسأله عن النسبة في كلمة (الحناوي) : هل هي قياسية أو غير قياسية ، وقال : الحناوي أو الحنى ، نسبة إلى الحنة أو الحناء ؟

ثم شرع يتكلم على نبات الحنة وأثرها في الصناعة وتلوين الورق ، وفوائدها وغير ذلك ، ويذكرون أنه قضى نحو أسبوع في الكلام على الحناء .

وفضلاً عما يفهم من سعة اطلاع الأستاذ . . تجد أنه يتبع طريقة التعليم بالمناسبة ، وهي خير طريقة لتثبيت المعلومات عند الطلاب (١) .

وكان يرتب الطلاب في الصف أول السنة بترتيب مخصوص ؟ بحيث يعرف مكان كل طالب ، ويحفظ أسماءهم ، فإذا حصل همس أو عبث . . نادئ باسم الطالب ، وكان يشعر بغياب من لم يحضر ، ولو دخل الطالب خلسة . . كان يقول : من الذي شوش علينا الدرس ؟!

وإذا سمع صريف القلم . . نادئ على صاحبه بالكف عن الكتابة ، وكان مرهف الحس ، حاضر الذهن ، سريع البديهة ، شعلة من الذكاء ، دقيق الملاحظة .

تدريسه بمدرسة العميان

تأسست هاذه المدرسة الخصوصية في عهد الخديوي إسماعيل سنة (١٨٧٥ م) ، وكانت الأُولى من نوعها بمصر ، وإن وجود العلامة المرصفي مدرِّساً بها مع تدريسه بدار العلوم ساعده على

⁽۱) انظر «الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٤٤) ، ونقل أن طلابه كانوا يروون عنه أشياء تشبه الأساطير كما هي العادة في الكلام على العباقرة مما يستدل من ذلك على نبوغه وتبحره ، وأنه كان خارقاً للعادة في حياته رحمه الله تعالىٰ .

تعلم الخط العربي والفرنسي على طريقة (بريل Braille) من خلال جس الحروف باليد .

وقد أتقنها الشيخ رحمه الله تعالى ، ووصل في تعلمه اللسان الفرنسي إلى أن صار يترجم كتباً عن الفرنسية إلى العربية ، وكان ذلك في وقت يسير ، وكان يمتلك آلة كاتبة في ذلك العصر .

مؤلفاته

لقد عاش العلامة المرصفي في عهد محمد علي وعباس الأول وسعيد ، وأدرك عهد إسماعيل وتوفيق ، فكان في عهد هنذين الأخيرين في طليعة المؤلفين ؛ لأن مؤلفاته لم تظهر إلا بعد تدريسه بدار العلوم ، وربما وقف على أمور في تدريسه الطلبة أحوجته إلى تجديد الأساليب وتنويع الخطاب والأمثلة ، فجاء بمَعينٍ عذب وردة واستقىٰ منه أجيال وأجيال ، فأضحىٰ بحق معلم الجيل الأول ، وشيخ مؤلفي العصر الحديث بلا منازع !!

قال العلامة المحقق محمود شاكر في كتابه القيم «أباطيل وأسمار»: (فأنشئت مدرسة دار العلوم سنة «١٨٧٢ م» أي: قبل وفاة رفاعة الطهطاوي بعام واحد، فتولى التدريس فيها رجل من عظماء رجال الإحياء.. هو الشيخ حسين المرصفي، فكان له أثر عظيم جداً على كل من تخرج في دار العلوم، واقترن وجود المرصفي بظهور شاعر فذ، نقل اللغة يومئذ من حال إلى حال، فأسقط عن الهمم تلك الأغلال التي كانت تمسكها إلى الأرض، وتقعدها بالعجز عن توهم إدراك الأوائل في نصاعة العبارة وتجويد الشعر، وهو الإمام الأول محمود سامي البارودي، المولود سنة «١٨٤٠ م»، وظهر اسمه وشعره في نحو هذا الوقت ؛ أي: «١٨٧٠ م»، وبدأت العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوتها، وانطلقت الألسنة من عقال العجز بفضل هاذين الرجلين) (١٠).

⁽١) أباطيل وأسمار (ص ١٣١).

وأما مؤلفات هذا العالم الكبير . . فأهمها أربعة كتب ؛ هي :

١ ـ « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » وهو أهم كتب العلامة وأشهرها ،
 وهو كتابنا هاذا الذى شرفنا الله بخدمته وبعثه من جديد .

 $^{(1)}$. $^{(1)}$ ه طبع بمصر دون تاريخ ، كما أشار إلى ذلك سركيس

٣ ـ « دليل المسترشد في فن الإنشاء » مخطوط في ثلاثة مجلدات ، وكان
 العلامة يلقيه في المحاضرات التي يدرسها في دار العلوم على طلبته .

٤ - « رسالة الكلم الثمان » في العلوم السياسية أو التربية الوطنية (علم الاجتماع) ، وهي تسمية مبتكرة جديدة ، يتكلم فيها المؤلف على (الأمة ، والوطن ، والحكومة ، والعدل ، والظلم ، والسياسة ، والحرية ، والتربية) ، وقد استفتحها بعد البسملة بهاذين البيتين :

أَرْجُ و قَبِ بُولَ هَ دِيَّةٍ لَقَّبْتُهَا ٱلْكَلِمَ ٱلثَّمَانِ أَرْجُ و قَبِي اللَّهَانِ أَبْنَاءِ ٱلنَّهَانِ أَهْدَيْتُهَا لِأُولِي ٱلنُّهَىٰ فِتْ يَانِ أَبْنَاءِ ٱلزَّمَانِ

ثم أعقبها بقوله: (هاذه رسالة ، ألتمس من قرائها أن يخصوها بجانب عظيم من عنايتهم ؛ حتى لا يفوت فهمهم شيء مما تشير إليه بعض عباراتها ، وأن يكرروا النظر لاستثبات معانيها ، وبها أخاطب أذكياء الشبان من أهل هاذه الأزمنة ، التي ابتدأتها الألطاف الحاضرة ، شرحت فيها كلمات جارية على ألسن الناس لهجوا بذكرها في هاذه الأوقات ؛ كلفظ الأمة والوطن والحكومة ، والعدل والظلم والسياسة ، والحرية والتربية ، وأرجو من الله تعالى كما هداني لذلك أن يستعقب المنفعة المنهوض لتحصيلها) (۲) .

فهي رسالة جديرة أن تُخدَم وتُقرأ وتُدرس.

⁽١) معجم المطبوعات العربية (١٧٣٥/٢) ، وعزاه له في « الأعلام » (٢٣٢/٢) ، وعزاه أيضاً لمحمد بن حسن نائل المرصفي (٩٥/٦) ، ولعل الثاني سبق قلم .

⁽٢) انظر «الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول » (ص ٩٢ ـ ٩٣).

لقد كان العلامة المرصفي نادرة عصره ، ودرة وقته ، حاملاً لواء النهضة ، أمضى عمره في التدريس ، وأوصل رسالته ، وأدى أمانته ، وسبق مَن معه وكثيراً ممن قبله ، لقد غرس لأهل مصر بل وللعربية جمعاء غرساً لا يقلع إلى يوم القيامة .

لقد تزعم رجال النهضة الحديثة ، وأخرج روَّاداً للحضارة من دار العلوم ؛ أمثال : محمد دياب ، وحفني ناصف ، والشيخ مفتاح ، والشيخ زيد ، وسلطان محمد ، وحسن توفيق العدل ، كما أخذ عنه من غيرهم أمثال : البارودي ، وعبد الله باشا فكري أميرَي البيان والشعر في وقتهما ، وكذلك أمير الشعراء أحمد شوقى ، والشيخ حمزة فتح الله . . . وهاكذا ؛ كان بحق شيخَ النهضة الأدبية .

ومن ثماره: أن تلاميذه هم الذين ألفوا الدروس النحوية: محمد بك دياب، ومحمد صالح باشا، وحفني ناصف بك، والشيخ مصطفى طموم، ومحمود عمر بك، وسلطان محمد بك، هنؤلاء هم مؤلفو الدروس النحوية للمدارس الابتدائية والثانوية ودروس البلاغة للمدارس الثانوية، ثم جاء الشيخ أحمد الحملاوي وألف « شذا العرف في فن الصرف » و « زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع »، واتبع طريقة المرصفى في التأليف.

وفاته

بعد حياة مليئة بالعلم دراسة وتدريساً ، وكتابة وتأليفاً . . لبئ نداء ربه سبحانه وتعالىٰ ، وانتقل هاذا الطود الشامخ إلىٰ رحمة الله تعالىٰ ، ولسان الحال ينشد :

(من البسبط)

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ ٱلْعَيْشِ إِنْسَانُ وَهَاذِهِ ٱلدَّارُ لَا تُبْقِى عَلَىٰ أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَىٰ حَالِ لَهَا شَانُ

وكانت وفاته في السنة التي توفي فيها صديقه عبد الله فكري باشا (١٣٠٧ هـ) غير أن وفاة الأخير كانت في يوليو سنة (١٨٩٠ م) . والواقع: أن وفاته كانت يوم الأحد (٥) من جمادى الآخرة سنة (١٣٠٧ هـ)، ويوافق (٢٦) من يناير سنة (١٨٩٠ م)؛ فقد جاء في عدد الوقائع المصرية الصادر يوم الاثنين (٢٧) من يناير سنة (١٨٩٠ م) النعي الآتي:

إنا لله وإنا إليه راجعون

في اليوم الماضي انتقل من هاذه الدار الفانية إلى دار الكرامة والرضاء، العالم الشهير، العلامة الكبير، الشيخ حسين المرصفي، مدرس العلوم العربية والآداب الشرعية بمدرسة دار العلوم الخديوية.

وقد شيعت جنازته في مشهد حافل ، كان فيه كبراء أهل العلم _ يؤمهم حضرات أصحاب الفضيلة: شيخ الجامع الأزهر ، ومفتي الديار المصرية _ وغيرُهم ، وعدد عظيم جداً من حضرات نظار المدارس الأميرية وموظفيها ، ورجال المعارف العمومية ، وكثير من الوجوه والأعيان .

ثم صلي عليه في الجامع الأزهر الأنور ، وتليت هناك قصائد الرثاء على ما جرت به العادة في موت العلماء الكبار ، ودفن بغاية التبجيل والتوقير ، رحمه الله رحمة واسعة ، وعزى آله وذويه وأهل العلم والفضل فيه العزاء الجميل .

هاذا ؛ وقد حُمل جثمانه إلى مقره الأخير بقرافة العفيفي ، بالقرب من الشيخ عبد الله المنوفي ، والشيخ عليش .

رحمب لشدرحت الأبرار

لمحاتُّ مضيبةٌ عن الوسيلة الأدبيّة إلى العلوم العربتِّير

دلالة العنوان:

قال الله تعالى : ﴿ وَأَبْتَغُواْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ (١).

إن اسم الشيء هو الصورة الدالة على صفاته ، ولمَّا كان العنوان أول شاهد على أي عمل . . كان لا بدَّ من نظرة تأمُّلية فيه تميط اللثام عن الغاية من ورائه .

الوسيلة: هي المنزلة عند الملك وذي السلطان، وهي الواسطة والدرجة والقربى، ويرادفها: الأداة والطريقة والأسلوب، والعلامة المرصفي قد ابتغى إلى علوم العربية وسيلة أحسَنَ في مبناها ومعناها معاً، فجاء العنوان مصدِّقاً لما بين يديها ؛ إذ قامت وسيلته على النظرِ في القديم الموروث من عصور الازدهار، بعلومه وأدبه ونقده، ثم بعثِه بعثاً جديداً ؛ ليكون الأداة المنتظرة لإيقاظ الراقدين من سباتهم.

فلمًّا اشتمل الكتاب على علوم العربية جميعِها . . هدَفَ إلى تقديم ثقافة كاملة متكاملة ، بأسلوبٍ جديد وطريقة بيانية ، تصل بالقارئ إلى البغية المنشودة في تعلَّم وتعليم العربية ، فالعلوم عند المؤلف ليست غايةً في ذاتها ، وإنما هي وسيلة للغاية الأسمى والمنزلة الأعلى ؛ ألا وهي الارتقاء بالقارئ إلى معرفة مكامن الجمال وإدراك مواطن الحسن في هاذه اللغة .

سبب ودافع التأليف:

بدايةُ الكتاب محاضراتٌ ألقاها الشيخ المرصفي على طلبة (دار العلوم)

⁽١) سورة المائدة : (٣٥) .

أولَ إنشائها ، إملاءً على الشيخ حسن أبي زيد سلامة الذي أشرف فيما بعد على طبعها ، بل إن هاذه المحاضرات كانت نواة إنشاء هاذه الدار التي أصبحت كليةً عريقةً ثم جامعةً فيما بعد .

وترتبط أسباب تأليف الكتاب بحركة الإحياء نهاية القرن التاسع عشرَ وبداية القرن العشرين ؛ أي : مع عصر النهضة ، حيث إن فلسفة الشيخ تنطلق من وضع كل شيء في موضعه المناسب ؛ كما بيَّنها في كتابه « الكلم الثمان » ، فيتحقق بذلك العدلُ وينتفى الظلمُ الذي هو سبب التخلف .

وقديماً قال أبو الطيّب المتنبّي: (من الطويل)

وَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِع ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْع ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِع ٱلنَّدَىٰ

فالكتاب أداة لوضع الإنسان العربي وغير العربي ممن أراد تعلَّم العربية على جادة الطريق القويم للنهوض بفكره ، ومن ثم النهوض بالأمة .

منزلة الكتاب وقيمته العلمية:

ظهرت ميول الشيخ الأدبية واضحة جلية بعد إتمام تعليمه في الأزهر الشريف ؛ فقد بدت هذه الميول في دروسه بمدرَّج (دار العلوم) ، ووجد الطلاب فيها منهجاً جديداً لم يألفوه ، ولم يسمعُه شيوخ الأزهر ولا عرفه ذوق العصر .

جاء الكتاب بأسلوب جديد ، واتّخذ فيه النقدُ طابعاً لغوياً وبيانياً ، عرض فيه المؤلف علوم العربية عرضاً مختلفاً ، ولا سيما علوم البلاغة في الجزء الثاني منه ؛ من خلال الحديث عنها حديثاً نظرياً ، مُبيّناً منزلة كل علم منها ، ثم تطبيقياً ؛ من خلال عرض نصوصٍ أدبية ونقدها وموازنتها بنصوص بعض القدماء والمحدثين ، معلّقاً ومصححاً بعض ما شذ وندّ عند القدماء في كتبهم .

عدَّه النقاد المعاصرون أولَ كتاب أدبي نقدي أُلِّف في علوم العربية في هـنذا

العصر على منهج حديث ، فأدخل المؤلِّف بكتابه على التفكير الأدبي ما أدخله تلميذه العلامة محمد عبده فيما بعد على التفكير الديني والاجتماعي ؛ حيث مثَّلت مادتُه وأسلوبُه ثورةً وانقلاباً في مجال النقد والدراسات الأدبية ، أثَّرتُ في مسار الثقافة العربية بالتزامه منهجاً علمياً غيرَ معهود في أيامه ، فكان مؤلِّفُه أبا روحياً لروَّاد النهضة الأدبية الحديثة ، ساهم في تشكيل عقولهم وتكوين أذواقهم ، وكان ملهماً للأدباء والشعراء باستنهاض مواهبهم وتحريك ملكاتهم .

لقد وجَّه الكتاب الأدب العربي وجهة جديدة ، صحَّحَتْ مساره في حركة البعث والإحياء ؛ من خلال النقل المباشر عن التراث والانتقاء منه وانتقاده في محاولة لإحياء الأدب العربي والتجديد فيه .

منهجه:

يمثل الكتاب اتِّجاه الانتقاء والانتقاد ، فجاء بمحاولة إحيائية واعية وناضجة ، كان هدفها تجديدياً أصيلاً ، وهنذا الاتجاه مع احترامه وإجلاله للتراث . . إلا أنه لا ينقاد له كلَّ الانقياد ، ولا يسلم له كلَّ التسليم ، بل إنه يتناوله ويفحصه ، ثم يستمد منه ما يتلاءم مع حاجة العصر ، فيحاول أن يعين القارئ على إنتاج تصوراتٍ ودلالاتٍ ؛ من خلال نصوص التراث التي يسوقها فيه ، يحيي بها فكره ويهدم الفجوة بينه وبينها ، مروراً بهدف إحياء الفكر العربي ووصولاً لهدف إحياء الأمة العربية .

اتبع العلامة المرصفي أسلوباً علمياً رصيناً ، يقوم على التدقيق والتحقيق ، والتأمل العميق ، بهدف الوصول إلى غايته المنشودة بوضع الشيء في موضعه المناسب ، وكان أميناً في النقل عن كتب غيره ممن سبقوه أو عاصروه ؛ فهو يشير في الغالب إلى المنقول عنه إلا ما ندر ، ثم إنه لا يكتفي بذكر اسم المنقول عنه ، بل ينعت فيه صاحبه بما يليق به من النعوت والأوصاف .

وتأتي نقوله أحياناً خالية من التعليق ومن محاولة التجديد ، وهـٰذا يرجِّح

أن الشيخ متمسك بالقديم أشدَّ التمسك ، للكن تأتي اختياراته بما يلائم مقتضيات عصره .

ولم يكن العلامة المرصفي في كتابه ناقداً فحسب ، بل كان مؤرخاً أيضاً ؟ حيث إنه يأخذ على عاتقه مهمة الكشف عن نشأة وتطور كل فن قبل أن يفصل حديثه عنه ، فكان يحرص عند مطلع كل باب أن يستحضر تاريخ العلم الذي يتناوله ، موضحاً تطوره وذاكراً أهم أعلامه .

وكان كثيرَ الاستطراد ما دام يرى في ذلك فائدة للموضوع الذي يتناوله ، وكثيرَ الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأمثال ، والحكايات ، والنوادر ، قاصداً بذلك أن يُمدَّ القارئ بأكبر قدر من الشواهد التي تعينه على تربية ملكته الأدبية وتحسين ذوقه ، وهو في استشهاداته يراعي التسلسل الزمني وتدرُّج العصور التاريخية ، وبذلك يكون قد أرسى قواعد المنهج التاريخي في الدرس الأدبي .

وأخيراً خلَّصَ العلامة المرصفي العلومَ العربية ، ولا سيما النحو والبلاغة من تعقيدات كتب الأقدمين ، فمهَّد السبيل لظهور مؤلفات بأسلوب جديد علىٰ يد تلامذته من بعده .

مضمونه:

إن الكتاب موسوعة عربية شاملة ، ودائرة معارف متكاملة ، وهو شبيه بكتب الأمالي العربية ، غير أنه شمل علوم العربية جميعَها ؛ فتناول فيه المؤلف ما يزيد على اثنين وعشرين فناً ؛ هي : (النحو ، والبلاغة ، والعروض ، والقوافي ، والكتابة ، والإنشاء ، وقرض الشعر ، والموازنات الأدبية ، والطرائف ، والأمثال ، والمقامات ، والنقد ، واللغة ، والمقولات العشر ، والتاريخ ، وتواريخ نشأة الفنون ، وتاريخ التربية ، والكتاب ، وتدوين العلوم ، ونشأة اللغة العامية وعلاجها ، ومخارج الحروف) .

أما منهجه في عرض هاذه الفنون . . فإنه لا يجري فيه مَجرىٰ كتب التراث ؟ فنجده يترك تقسيمها ويهجر تبويبها ، فلا يستعمل ألفاظ : (المقدمة ، والباب ، والفصل ، والكتاب) ، بل يأتي بألفاظ جديدة ؟ هي : (المقصد ، والصدر ، والجهة ، والقسم ، والتقسيم) .

وقد جاء أصل الكتاب في جزأين ، جعل المؤلف الجزء الأول مدخلاً للفنون التي تناولها في الجزء الثاني وتمهيداً نظرياً لها ؛ فتكلم على مقصدين ؛ الأول : في المنطق ، والثاني : في اللغة ، وقسَمَ الثاني أقساماً ثلاثة ؛ الأول : في فقه اللغة ، والثانث : في الصرف ، والثالث : في النحو .

واهتم في هاذا الجزء بتعريفات العلوم ، والقواعد العامة ، والمسائل النظرية المتصلة بالأدب ، والتأصيل النظري للعلوم الإنسانية ، وأنهى كلامه عليه بخاتمة تحدث فيها عن أحسن طرق تحصيل العلوم العربية .

أما الجزء الثاني . . فتكلم فيه كلاماً مفصلاً على مقصدين ؟ الأول : في البلاغة وفنونها : البيانِ والمعاني والبديع ، وألحق به الحديث عن العروض والقوافي ، والثاني : في الكتابة ، وتحدث فيه عن الإنشاء أو صناعة الترسل ، وألحق به فصلاً عن صناعة الشعر .

* * *

وصف النسخ المعتمدة

تم إخراج هاذا الكتاب النفيس بالاعتماد على النسخة التي طُبعت في حياة المؤلف رحمه الله تعالى ، وهاذا وصفها :

تتألف هاذه الطبعة من مجلدين بينهما تباين من حيث الحجم وسنة الطبع .

المجلد الأول: يتألف هاذا المجلد من (٢١٦) صفحة ، مع أربع صفحات لمحتوى الكتاب ، فهو لطيف الحجم مقارنة مع المجلد الثاني ؛ لأنه يعادل ثلث المجلد الثاني .

المجلد الثاني: يتألف من (٧٠٤) صفحات ، مع ست صفحات لمحتوى الكتاب .

جرى إثبات عنوان الكتاب في المجلد الأول: «الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية »، واختلف اختلافاً بسيطاً في المجلد الثاني فأثبت هلكذا: (للعلوم العربية) باللام بدل (إلى)، ولعل سبب الاختلاف هو ما سنذكره من التفاوت في تاريخ طبع المجلدين.

وأثبت في المجلد الأول وصف المؤلف بقوله: (تأليف الفاضل العلامة ، واللوذعي الكامل الفهامة ، المتوكل على ربه العلي ، حضرة الشيخ حسين المرصفي ، معلم العلوم العربية بدار العلوم الخديوية).

وأثبت في بداية المجلد الثاني: (تأليف حضرة الشيخ حسين المرصفي، مدرس علوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية).

والذي يلفت الانتباه ويستحق التأمل: هو تاريخ الطبع للمجلدين ؟ فقد أثبت مصحح الكتاب في نهاية المجلد الأول تاريخ طبعه ، وهو سنة

(۱۲۹۲ هـ) مع أنه أثبت على صفحة العنوان سنة (۱۲۸۹ هـ) (۱) .

وأثبت في نهاية المجلد الثاني أنه طبع سنة (١٢٩٦ هـ) ، وبين المجلدين أربع سنوات ، إضافة إلى أمر آخر ؛ وهو أن المجلد الأول طبع بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز بالقاهرة المحروسة ، والمجلد الثاني طبع بمطبعة باب النيل البهية ، بخط باب الشعرية من مصر المحمية (٢).

* * *

⁽١) لعله أرسل إلى المطبعة سنة (١٢٨٩ هـ) ، ثم أُنجز سنة (١٢٩٢ هـ) ، ثم أرسل الثاني إلى مطبعة ثانية وأنجز سنة (١٢٩٦ هـ) ، والله أعلم .

⁽٢) وقد تأيد هذا الملمح بما سطره العلامة محمود الطناحي في كتابه القيم «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي» (ص ٤٢) وهو يتكلم عن المطابع التي أنشئت بعد المطبعة البولاقية (الأميرية) فقال: (وأول هذه المطابع: المطبعة الأهلية التي عرفت فيما بعد بمطبعة الوطن، وقد أنشئت سنة « ١٨٦٠ م »، وقد أنشأها عبد الله أبو السعود أفندي، وطبع فيها صحيفة وادي النيل إلى جانب بعض كتب التراث، وفي هذه المطبعة تم طبع كتاب «الوسيلة الأدبية» للشيخ حسين المرصفي سنة « ١٢٩٦ ه »، وكان قد بدأ طبعه بمطبعة المدارس الحكومية بدرب الحجامة سنة « ١٢٩٠ ه »، وكان قد بدأ طبعه بمطبعة المدارس الحكومية بدرب الحجامة سنة « ١٢٩٠ ه » . .) .

منهج العمل في الكناب

اعتمدنا في إخراج هاذا الكتاب النافع المفيد على النسخة الأصلية التي طبعت في حياة المؤلف رحمه الله تعالى وفق الخطوات الآتية:

- ـ نسخ الكتاب عن هاذه النسخة ، ومعارضته بها بدقة وتمعن .
- كتابة الآيات القرآنية الكريمة برسم المصحف الشريف ، من رواية حفص عن عاصم ، والتنبيه على القراءات الأُخَر إن استشهد بها المؤلف ، وحصر هذه الآيات بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .
- تخريج الأحاديث النبوية ، والأخبار والأقوال المأثورة ، والحِكَم والأمثال ، والقصص والشواهد الواردة في الكتاب من مصادرها التي عزا لها المؤلف دون الاستطراد في ذلك ؛ مراعاة لمقصود المؤلف من الكتاب ، كيف لا ؛ وقد جعله نبراساً للطلاب ، ومرجعاً للكتاب ؟!
- عزو الأبيات الشعرية مع كثرتها في الكتاب إلى دواوين الشعر وكتب اللغة والأدب ، والبلاغة والنحو ، مع ذكر اسم البحر الشعري دون الاستفاضة في التخريج أيضاً.
- أضفنا بين معقوفين [] بعض التصويبات ضمن النص اعتماداً على مصادر المؤلف رحمه الله تعالى ، وأضفنا أيضاً بعض العناوين بين معقوفين ؛ ليسهل تقسيم مواضيع الكتاب وفهرسته .
- ضبطنا النص بالحركات الإعرابية مع ضبط المشكل منها ؛ تيسيراً على الطالب والقارئ .
- ـ زينا الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة ؛ زيادة في إيضاح النص وتيسير

- أثبتنا عنوان الكتاب كما ورد في المجلد الأول ، وأشرنا إلى سبب اختلاف ذلك خلال وصفنا لنسخة الأصل المعتمدة .

- قسمنا الكتاب إلى أربعة أجزاء متقاربة ، الأول منها: أبقيناه على تقسيم مؤلفه رحمه الله تعالى ، وقسمنا المجلد الثاني من الأصل إلى ثلاثة أجزاء ؟ تيسيراً على القارئ والطالب .

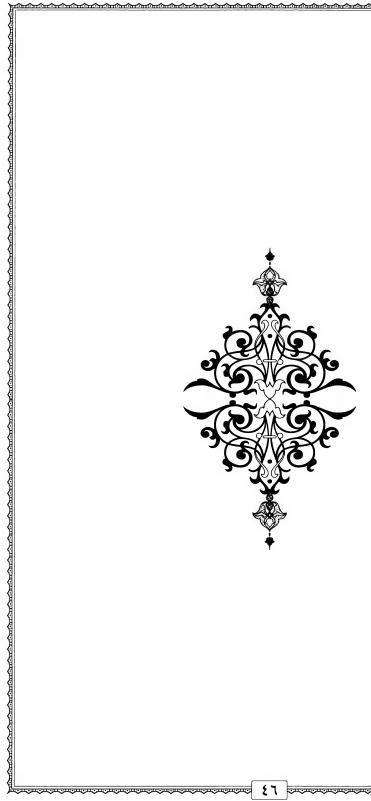
- ترجمنا للمؤلف ترجمة موجزة مختصرة ، وقدمنا للكتاب بمقدمة توضح أهميته ومنزلته بين كتب النقد الحديث ، مع بيان منهجه ومضمونه .

- صنعنا فهرساً لموضوعات الكتاب.

وفي الختام: نسأل الله الملك العلام، أن يكتب القَبول لهاذا الكتاب وينفع به جميع الأنام، وأن يجعلنا خداماً لدين الإسلام ولكتب الأئمة الأعلام، وأن تكون هاذه المؤلفات شافعة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحملتب درت لعالمين





ᡤᠽᠫᡓᡊᢣᡆᢙᡅᠪᡴᡊᠳᢐᠽᠪᡎᡊᢐᡎᢙᡙᠻᡎᡊᢐᡎᠪᡎᡊᢐᡎᠪᡎᡊᢐᡊᡎᡊᢐᡊᢐᡊᢐᡎᠪᡎᡊᡎᡊᢐᡎᢙᡊᢐᡎᢙᡎᡊᡎᡊᢐᡎᢗᡎᡊᡎᡊᢐᡎᠪᡎᡊᢐᡎᢓᡎᠫᠼᠫ

البدة المامل العدة والوقي المساولة المترك المامل العدة والوقي المساولة المترك ا



0(410)0

وزمن اقتصرا هوزمن المهاضر حيث كردانسية شديرة والدي مستكلا والروخ فروا مثال موروزي وبيا الاراض عن النبوات والإغاز عن كبرمن الفات كا كان هر قبال المدرت المراض عن النبوات والإغاز عن كتيمن الفات كا كان هراض المدرت التي المراض المراضا المالية والمعالية والمعالية والمعالية والمعالية والمعالية والمعالية والمعالية المعالية والمعالية المعالية المعالية

هولماندتراقى الطافر بدالتان حساحدروان فدتم معدالله الإراق من المساحد التاقيق التحدالات كي فنون من المساحد التناقية والقعد التاشيخ في فنون المدادة التي في المدادة التي المدادة التي المدادة المدادة التي المدادة المد

C

o(171)0

ساكمة لمناكز ضعيدالقد عن صريرة الورحليجة بالشراث وهوام وسعة المائل ويتالا عالى وقية المغمارات وأشها أما إسقه فلص الدورالات في والمتسمى القرواناس ميتما أوثانا كاناس الدين تقاهر وديد عاوى ضعيد هاة والمتسمى القرائص الميتما أوثانا كاناس الدين تقاهر وديد عاوى ضعيد هاة والمعارض الميتما إستواطها و بيانا أباؤها أدماء

والمرة هذا الل كان تصياب طه وإنشادك أمان بتدئ المطالب قصيل الفندي الإصافة صافة النهب المنافذ الاحتراث والرادا المبارات النقوضة فضلا للما وجلايها فيها مرحلي المنافذ المستر المكتب الترشاع والاشطر المضرة في الخط المنافذ المنافذ فيها المنافذ والمنافذ المنافذ المنافذ المنافذ المنافذ المنافذ والمنافذ المنافذ ال

> لاغـبالجدغواأنتاكاء ، لزنبلغالجدحى للمقالصبا وقبل

وس صدارات بالمسلم و سرم بالمسلم الدفل و سراس معداد سرموا الدفل و سراس همداد و لا أما قال و سراس همداد و لا أما قال و كا أما الله و المسلم و المسلم و كا أما الله و المسلم و كا أما الله و المسلم و كا أما الله و كا أما و كا أما

وزمن

الورق الأخيرة من المجلّدا لأوّل

الجزء السانى من الوسيلة الادبية العلوم العربية تاليف حضرة الشيخ حسسين المرصنى مسفوس صادم الادب بدار العسلوم الخسديوية المصرية

«(طبعة أولى)» «(طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب انجساميز)» من القاهرة المحروسة «(سنة ١٢٩٢ هجرية)»

ورقبهٔ العنوان من المجلّدالثّاني

اماداعة فيموهى بزاؤه واماخارجه عنه كاسبام وسسبباته ومشابهاته والكاسة

الهيشية غُشروبي بيع مايتكي بالمنتف المنافظة الميا فأحفا والتكلمة إلى يعمد الالتلاقا بية واستارها بوام يعمد والالتاكيين واستارها ماحدا الابراء

موالتعاقات سي ولالة الانتام وأذاك بقال ان الكاسة الوضوعة التي موضوعة

لأبؤاه وساليه مطفله وضعانيه يأوانن بتبينا تثان كل ماجيط رما الفظ مندمد وكتك كون أومن والكان ترييسه وتتصدفهم عضاطات المارمنه حيث تريدا عديث عند والمركط والأرافي أذية الزنة الاولمين الملاسنة عدالون موافني بتبادر

معناها لازل أنكرنها لقصود الافاشوا عمله وسيلذلا فادة بعض المعانى بنصب وابل

ملاقك ممت سليفت مرحة والاسب سنينة كايه والمساز والكاية كاسبات

ە(ائىكلامەلىاجىاز). انتا المسازاس مكان من بازالطريق اذا قطيع بوره أي وسطه وانهى لغايته تقول هـ أَمَّا الْعَلَمُ بِنَّ جِعَلَمُ لَكُنَّا مُسْمِعُوازاعَتَ أَرَافَكُ تَنْهَى مَنْ رَغُولِهِ عَنْ الْحَضْرَةُ والقنّا النويجازًا مسلامتي جائزا مسلامتا الاصلى الحاليش المساسسة الذي

ترجافانة وتمهمافت اطب الكوس مفايتكث أن تعناف آزيأه المنن الذى تمتد

فأتفهم واعلتيه اأسلاقة والترينة المسائعة فتساطبك أن يفهسه غير مرادك والفرينة عيالآمرالني وصب لفنا الجازء والمال أولتطا كنووالملافة هي المناسبة والارتباط ين

ألمني ألاه لي وأعني للواد وقد بعث المعاص العلاقات التي لاستلم العرر في عازاتُها

الاشارياليه هماموشر حمدا الفن

يهو يوب سمكم الحلسال أدموا دلتوان اعمد بتعث وعليعا عم ميكالمنككبك ماذكاذا أحبث النظايكريدل ملائه ترادك كالألفاظ بأمتبل ألارضاح الاسليسة والمانى الاتلية سيرسنات وإحبار الارسساح التبعية والمانى سي بجازات فاللغة اما حقيقة واماعياز والحقيقة ان وقف

ه(سمانصار حنازسم)ه ر(المُعُدَالْتَالَثُنُ فَنُونَ السَّلَامَةُ).

للمالفنون وغيرهامن ملوم العربية كاسبقت الاشبارة المه الماقصاة لبائل همهه في خصيلها بتنبيع السكلم العربي وحوفه مهم ويرة وضعتم وأول. و تنبيلا سفراج هدندالنون واقتافها مسيلوا اصناح المصسكلاء حسب ما تشتث الثاعران الشهيران سابر الوكيدوابوضام شبيسين أوس المطائى ولتكن لكيدقاء رافقا كالأوقاق المرافق المستوالية والمرافق المرافق المستوال متنياتم وتسوياسين شرفاق السرفالية المرافق المستوال متنياتم المديمان المقتالي أعدا اشرحت ضريبكم الربية عن فطال القرائرا المناهاي المناهاي المناهدة المناهدة المناهدي سين المناهدي المناهد أتسآم الأعياز والتثيه والاستبارة والتلازم وافغواصل والتبائس والتسريف والتغين وأببالنة وحسناليان عمأحذ فييان كلمنها والاستشادعك كارت المافاخه واسأات متوالقائم أفاله المطيه الفلسفية بيت المسلين ستى بهيأت كلمق تنليص المعائد الاسلامية وازاحة الشبه منه الخ كثف حقيقة الشؤة و بيان جهة إعادًا للوآن وأى التاس تنع هذًا للغنين في معرضًا عمادًا للوآن المنص هو برحان اللهذا أعق فصاد من البلوم للذينية ولتنظيما طائعة من الناس واكتثروا امنالنا كيف وأولسهالشيخ مدالفامر وحسب اشتلاف جهات المحت سيزوآ المنزل ونصوا كلاباتب وهي ثلاثة فنون فن يحث من الالفانا من حبث كونها شَحَلَتْ فِي مِسَانَهِ التَّى وَصَعَتْ لَمَا أُولِمِ مَا يَتَاسِهَا اسْتَقَادَا عَلَى المُتَاسِبَاتُ وَصِورٌ فَن البيان وفن يعت من المركات من حيث فتلف صورها لا نتلاف الأغراض منها وسي فن للداني وفن يعت عن أسوال تعرض المكالم فتكسبه مستاو سومالبد بسع ولنبط بفن اليانلان فمزالهاف لمالتعليه والبعيث ابع لما فتقول

الورقنه الأولى من المجلّد الثاني

+(++1)0

بماورديدا فسمالمات وبالجدادة التركة مزعتم البروابرك ماتتهد بداعيتان ولاجهة كبرس العبان الاترى المعذمال تركاتا فنونقا لتوجانية النزيز يقالصرية المرسة فظل المنزة اللكية بحسن الحسهالطية الداورية كيل بجدت أسبابها وانتضت بنوائده الربابها وسلعتك ملى احسن سبيسل فالعرا لخوال برائيل وكيضعارت عونا مسناعلى اللبارة والسياسة وتسهيل طريق الجلج بسنابة الأالناء مهاليم بذهذا متب فرات وطامخ لباج وانا لترجوهم اختب التقدم بجليل حقابكناب المديرى وحبارات وزاها كالملا بالتعلام فبابته قبل بانظامه لاشانام استانواه العم الصبي عالاكرم الناورى الانقر النصنسترتالاقواء بسابب ذكرسستاء وأملسنالتشار بتكرد شكرآلاله فأدامك دواته الستية خرظه ببهات الاصار كإجسل كوست العادلانا لمرضية غرة اديون الامصار هذا والرجوكل الريا من سندرات اعل للعارف وأربابانها أنلايبتواعلى لنوابس بماحط امكانهم منالقالات للليسدة والاراء المديدة والافكارات اج والاعبارالصللة المدرج مهمها مصف الوفاح وتنفر واسطرق مطمات الإباجية كرخدته ومأمور الوكاليها علاريل مايرها ليموهذا اللبيل والشاعل يوقتا بيمالت يوالها دويه يتأسوا عالمبيل

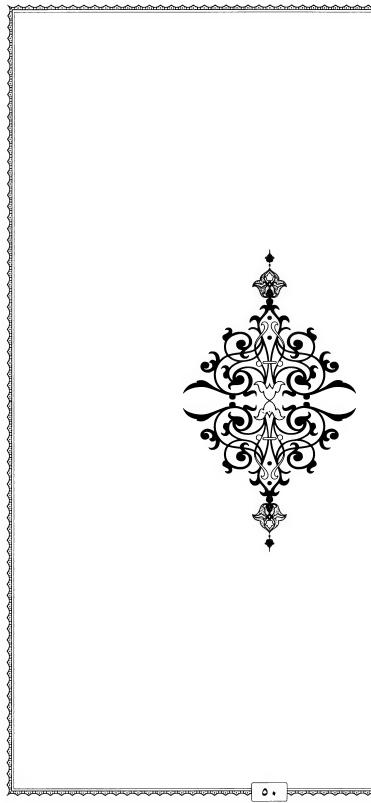
- وقالع معرالا تفاقت مستياء واجترف لمياد بمه من يناخ (م) فنوتأنُّس عليا عديث و سأتي القبل عز ويلها، المقالم وقلتحطيقا
- بالمعاسد لكإزها فوالى ويعابكم والسالمساطعا (م) تشلطوزهرا لموادثناتها . وجنيتو غرالهاتع ياضا ذلسكأ بهالا عوان النهل الصاف والمورد العذب البيرات أفي أسأل الصنتيث مزعناب والدنبسائركم فخارهدات موالاكلقاقر يسأن كالبطيويل فوانه المنظال عدالة آناني السكتاب تلميخ مواده سقا الاميرومة الله وبالغ يه أخى ملك واللبرس واذكية الاندوان وكالبهاذ كيضان بعرموا طبي حاساً

o(v·r)0 لجسو جيفاية الامتنادو يقتليه موألتعلج ومنادلا التوسعيد وتتدعوف الصراط

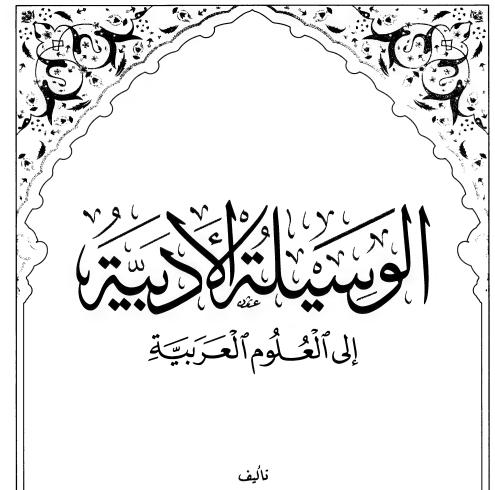
المنتقم وقدافتشان وتفسن تضعان بوضعها يراءمون الابضاح وانتصلح مادعاله وفيه المبلو عاصلاح والمضمينك ولكمتمها عين والوسباة اليت فيلك سيدالرملين سأوات أشونه اجاتعايها يحدين ورضاءهن أوليناكهم

بخوله أسيرالتهوات ومسكشيرا لمسارى والمؤلفوات واجها أتجاوزهن ذلاته وآثاءه مسنابن الثيج إوزيسلامه خرافة ذو يماجهوا كرامه والايماجت بغنة واقعامه والمسكينأ ببضين بجادنيها الصادق الامين بصدحت منبحسل القالعرب بيلتلم لللتونكاني والمسلاءوالسلام عبلى أشرف نتبتيب وكافوأحماء الفائز رنباط المآب والتسابعيناتسكينس التقرعباتوعسب تدتهام الالطاف الجليلة طبيعجس حانتين الادبوسية سوىمن كإعلأأسته وأشقل ط المالى درساست بنات فكرا نترمتها فكرتسلية وعرال بتدرابرزتها عاسن كرية قهو وسيقالادب ومباغلتمام الارب يعمالوالنهير الجمر البراكرير ساعب ليادالق سيهالنواس سنام للهالاشنق علامة وتته وقريدعمره الشيخ سيذلزمنى لاتال ملموظامن ابليسل بكال العشاية بمطوظا برعاية الكريه فأألبدا بذوانهابة خواليهم ويتل وبسرا بطيش وسترسل والتمجلن يصل هلا الجموع إليه أنبس بنوابطه طبه لينال غأية مابتهناه ويفوذ أخصيل مالفحواه ويفرج سنديقة أسرابليل وباوذ بديبة أطر أفضل وليتلفطا فبلسجصين قيول ويرجوس السكر يمالف فهبالميسه الميسول وكان فابطبته ومسنرتيهووضه بطيخوادعالنيلالييسة بخطبابالثعربة من سراغية غطلول الدينوالترفيق أتسنينا للدبانا توفيق جمهات رمقط النباد وفيا امرمالكل لمفروباد والرسنة سال الرعبة والبيلطة سائرالبرية معميابها فرنعذا الهدائلتير النكليس اخلطرالكير أواثل عهرافقد بمبالإصرا لاصبسلة ٢٩٦١ ستوتسين وبالتين يعد الاقت من هبرة من كلتيري من أحامة كابرى من اطاف من القدوسية عليه وآله وضمو كل. اليمنا الانبرسلامة ما يعني والان اللولان وعلى اللاح كمي

الورق، الأخيرة من المجلّد الثّاني

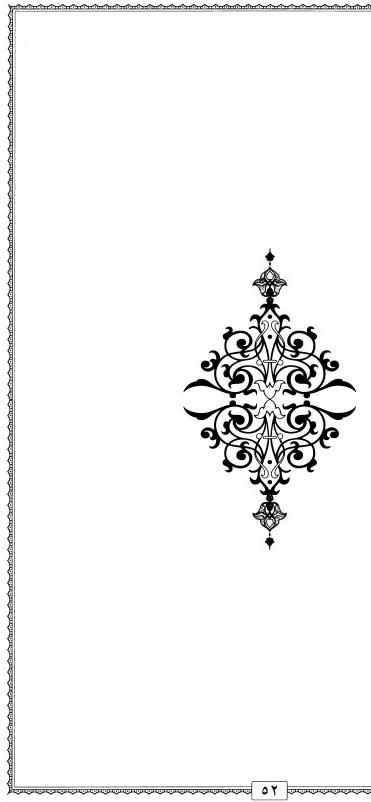


 $2m^2$



Quadrande in the second in the

نائيف المَكَّامَةُ اللّغَوَيِّ النّاقِدالأديب جُحْيَسِيْن بن أَجْهَكَد بن جُحْيَسِيْن المُرْصَفِيِّ مدرّس لعلوم العربيّة وعلوم الأدب بدارالعلوم الخديويّة المصريّة رَحمَهُ الله تعالىٰ (ت ١٣٠٧ه/ ١٨٩٠م)



خطت المؤتف

بِسُ لِيهُ الرَّمُ إِلَّاكِكِمُ مِ

باسمِكَ اللَّهمَّ نستفتحُ بابَ الرشادِ ، سائليكَ أن تصلَ بنا إلى غايةِ السَّدادِ ، راغبينَ إليكَ في أقربِ هدايةٍ ، آملينَ تمامَ العصمةِ مِنْ مهاوِي الغوايةِ ، رافعينَ لفضلِكَ أكفَّ الضراعةِ ، خافضينَ لجلالِ عِزِّكَ أرؤسَ الطاعةِ ، ناصبينَ لأمرِكَ قوائمَ الامتثالِ ، جازمينَ بحسْنِ الحالِ وأحسنيَّةِ المآلِ .

وندعوك ربَّنا مبتهلينَ ، ونحنُ مِنَ الإجابةِ على يقينٍ : أن تديمَ لنا رَوْحَ أرواحِنا (١) ، وحافظَ أشباحِنا ، ومُحكِمَ أسبابِ ارتياحِنا ؛ مَنْ صرَّفتَهُ فينا فحسُنَتْ سيرتُهُ ، وطابَتْ بشهادةِ الحالِ سريرتُهُ .

عَـزِيـزَ مِـصْـرَ أَدَامَ ٱللهُ دَوْلَـتَـهُ وَيُـكُـرِمُ ٱللهُ عَـبْـداً قَـالَ آمِـيـنَـا

فغيرُ خافٍ على ذوي الأسماعِ والأبصارِ ، ما قدِ اخترعَ لطيفُ فكرِهِ وأبدىٰ سديدُ رأيهِ ؛ مِنْ جلائلِ ثوابتِ الآثارِ ، وإذا أطنبَ لسانُ الحالِ . . فأحسِنْ بأن يُوجِزَ لسانُ القال !!

أدِمْهُ يا رَبِّ مُتمِّماً مقاصدَهُ ، واصلاً عليَّ همَّتَهُ بأكملِ مُساعَدةٍ ، مُفرِّحاً قلبَهُ الرحيمَ في كلِّ حالٍ ؛ بترقيةِ أنجالِهِ الكرامِ ورعيَّتِهِ إلى أوْجِ الكمالِ ، ناظراً بعينِ العنايةِ لِمَنْ أحسنَ خدمتَهُ ، وأعملَ في تحصيلِ أغراضِهِ همَّتَهُ ، بجاهِ سيّدِ المرسلينَ ، صلواتُ اللهِ عليهم وعلىٰ أهاليهم أجمعينَ .

⁽١) رَوْح _ بفتح الراء _ : الاستراحة .

⁽٢) البيت من البسيط ، وفيه اقتباس ظاهر بتصرف من قول مجنون ليلىٰ ، كما في « ديوانه » (ص ٢٨٣) : يَا رَبِّ لَا تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَداً وَيَرْحَمُ ٱللهُ عَبْداً قَالَ آمِينَا

أما بعد:

فإنَّ الله جلَّ ذكرُهُ هو المخصوصُ بكمالِ الذاتِ والصفاتِ ، وبمحضِ فضلِهِ شَرَّفَ النوعَ الإنسانيَّ بملابسَ مِنْ صفاتِهِ ، وأباحَهُ طَرَفاً مِنْ سماتِهِ ، فضلِهِ شَرَّفَ النوعَ الإنسانيَّ بملابسَ مِنْ صفاتِهِ ، وأباحَهُ طَرَفاً مِنْ سماتِهِ ، فكانَ سبحانَهُ بذاتِهِ حيّاً عالِماً مريداً قادراً فاعلاً ، وجعلَ هاذا النوعَ ذا حياةٍ وعلم وإرادةٍ وقدرةٍ وفعلٍ ؛ وهاذا معنى ما وردَ مِنْ خَلْقِ آدمَ على صورتِهِ (١٠).

والعِلْمُ رئيسٌ ؛ أريكتُهُ الحياةُ ، ورسولُهُ الإرادةُ ، ومُنْفِذُ أمرِهِ القدرةُ ، والعِلْمُ رئيسٌ ؛ أريكتُهُ الحياةُ ، ورسولُهُ الإرادةُ ، ومُنْفِذُ أمرِهِ القدرةُ ، ووظيفتُهُ تمييزُ الحسَنِ والأحسَنِ مِنْ غيرِهما ؛ فاللهُ يقولُ : ﴿ وَقُل لِعِبَادِى يَقُولُواْ اللّهِ هِى أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَنَ كَانَ لِلإِسْلِنِ عَدُوَّا مُبِينًا ﴾ (٢) ، فهاذا بعث على استعمالِ ما بهِ مَنَّ عليهِم مِنْ قُوَّةِ التمييزِ ، وبَيَّنَ أُنموذجَ ذلكَ بما يقولونَ في خطابِ المشركينَ : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمِّ إِن يَشَأْ يَرْحَمَّكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يَرْحَمَّكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُرْحَمِّكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُورِكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُرْحَمِّكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يَرْحَمِّكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يَرْحَمِّكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يَرْحَمِّكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يَرْحَمِّكُمْ أَوْ إِن يَشَأَ يَرْحَمِّكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يَرْحَمِّكُمْ أَوْ إِن يَشَالُ يَعْلَمُ اللهُ عَلَيْ إِنْ يَشَا لَيْ يَشَا لَيْ يَرْحَمِّهُ أَوْ إِن يَشَا اللهِ عَلْمُ اللهِ إِنْ يَشَا لَهُ يَرْحَمَّكُمْ أَوْ إِن يَشَا لَعُلْمُ اللهِ اللهُ اللهِ عَلْمُ اللهِ عَلْمُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

وما أكثرَ ما امتنَّ به ('' سبحانَهُ !! ومِنْ ذلكَ : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنَ بُطُونِ أُمَّهَا تِكُرُ لَا نَعَلَمُونَ شَيْعًا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَدَرَ وَٱلْأَفْدِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ('').

وضربَ لهُ (¹) المثلَ بالحياةِ ، ومَثَّلَ الجهلَ بالموتِ ، فقالَ : ﴿ أُومَن كَانَ مَيْتَا وَضربَ لهُ وَرَا يَشْفِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ وَ فِي ٱلظُّلُمُتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ؟! (٧) .

⁽١) إذ أخرج البخاري (٦٢٢٧) ، ومسلم (٢٨/٢٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « خلق الله أدمَ عليٰ صورته . . . » الحديث .

⁽٢) سورة الإسراء : (٥٣) .

⁽٣) سورة الإسراء : (٥٤) .

⁽٤) يعنى : العلم .

⁽٥) سورة النحل : (٧٨) .

⁽٦) أي : العلم .

⁽٧) سورة الأنعام: (١٢٢) .

فيَستعمِلُ الإنسانُ سمعَهُ وبصرَهُ ، فيَعقِلُ قلبُهُ ، وتربيتُهُ (١) بالعملِ بالقَدْرِ الذي حصلَ منهُ ، كما قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ . . أَوْرَثَهُ ٱللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (٢) ؛ وذلكَ بظهورِ ما يكونُ إتقانُ العملِ وراءَهُ ، كما أرشدَ إليهِ أيضاً بقولِهِ : « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ » (٣) .

ثمَّ العِلْمُ: صفةٌ واحدةٌ لها تعلُّقاتٌ كثيرةٌ ، كلُّ جملةٍ منها متناسبةٌ بوَحدةِ موضوعٍ وغايةٍ ورسمٍ ؛ ومِنْ هنا تَعدَّدَتِ العلومُ المُدوَّنةُ ، ومُيِّزَتْ بالأسماءِ ؛ وهي قسمانِ :

عقليةٌ : براهينُها مِنْ جهةِ العقل .

ونقليَّةُ : دلائلُها مِنْ جهةِ النقل .

والقسم الأول: نشوءه وبعض تربيتِهِ قبلَ الإسلامِ ، وقَسَمَهُ أصحابُهُ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ: الطبيعيِّ ، والرياضيِّ ، والإللهيِّ ، وجعلوا المَنطِقَ لهُ مُقدِّمةً ؛ إذ كانَ قانوناً تُورَدُ عليهِ البراهينُ مادةً وصورةً .

والثاني: نشوءُهُ وتربيتُهُ في الإسلامِ ؛ كتفسيرِ الكتابِ والسنَّةِ ، والعلومِ المُلقَّبةِ بعلومِ العربيةِ وفنونِ الأدبِ ؛

⁽١) أي: العلم.

⁽٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٤/١٠ ـ ١٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

⁽٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٢٩) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضى الله عنها.

وهيَ التي نظمَها محمدٌ النواجيُّ بقولِهِ (١):

خُذْ نَظْمَ آدَابٍ تَضَوَّعَ نَشْرُهَا يَحْكِي شَذَا ٱلْمَنْثُورِ حِينَ يَضُوعُ لُغَةٌ وَصَرْفٌ وَٱشْتِقَاقٌ نَحْوُهَا عِلْمُ ٱلْمَعَانِي وَٱلْبَيَانُ بَدِيعُ وَعَرُوضُ قَافِيَةٌ وَإِنْشَا نَظْمُهَا بِكِتَابَةِ ٱلتَّارِيخ لَيْسَ يَضِيعُ

[من الكامل]

فاللغة : عِلْمٌ يُبيِّنُ صورَ الألفاظِ ، وتعيينَها للأشياءِ التي يَفهمُها العالِمُ بوضعِها لها .

والصَّرفُ: عِلْمٌ يُبيِّنُ صيغَ الألفاظِ، وكونَها أصولاً وزوائدَ، ومتبادلةَ الحروفِ، وكيفيةَ النطق بها.

والاشتقاقُ: عِلْمٌ يُبيِّنُ جعلَ بعضِ الألفاظِ أصولاً ، وتفريعَ بعضٍ آخَرَ عنها .

والنَّحْوُ: عِلْمٌ يُبيِّنُ أحوالَ أواخرِ الكلماتِ عندَ تركيبِها ، وتقديمَ بعضِ الكلماتِ عندَ وكرَ بعضٍ وجوباً الكلماتِ عندَهُ على بعضٍ وجوباً وجوباً . وحذف بعضٍ وذكرَ بعضٍ وجوباً وجوازاً .

والمعاني : عِلْمٌ يُبيِّنُ الأغراضَ المُترتِّبةَ على إيرادِ التركيبِ في صورٍ مختلفةٍ ، وأنَّ لكلِّ صورةٍ غرضاً .

والبيانُ : عِلْمٌ يُبيّنُ المجازَ والكناية .

والبديعُ : عِلْمٌ يُبيِّنُ أحوالاً تَعرِضُ للَّفظِ فتكسوهُ حُسْناً ورَونقةً .

والعَروضُ: عِلْمٌ يُبيِّنُ الأوزانَ التي وَزَنَتْ بها العربُ شعرَها كيفيَّةً وكَمِيَّةً .

⁽١) أوردها العلامة نصر الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ٩) ونسبها لمحشي « القاموس » العلامة ابن الطيب الفاسي في « إضاءة الراموس » .

والقوافي : عِلْمٌ يُبيِّنُ أحوالاً تَعرِضُ لأواخرِ الأبياتِ ؛ منها ما يكونُ لازماً ، ومنها ما يكونُ لازماً ،

والإنشاء : عِلْمٌ يُبيِّنُ كيفية تأليفِ الخطبِ ، ورسائلِ المخاطباتِ ، وما أشبة ذلك ، ويُسمَّىٰ فنَّ الكتابةِ والنثر ، وصاحبُهُ الكاتب والناثر .

والنَّظمُ: ويُقالُ لهُ: القريضُ وقَرْضُ الشِّعرِ؛ وهوَ عِلْمٌ يُبيِّنُ كيفيةَ النَّظمِ في الأَغراضِ المُختلِفةِ؛ مِنْ حِكَمٍ، ووعظٍ، ونسيبٍ، ومدحٍ، وعَتْبٍ، وتعطُّفٍ، وتأديب، وغير ذلكَ.

والكتابة : ويُقالُ لها : فنُّ الرسمِ والخطِّ ؛ وهوَ عِلْمٌ يُبيِّنُ رسمَ الحروفِ على هيئاتٍ مخصوصةٍ حَسَبَ ما عليهِ الاصطلاحُ .

والتاريخ : عِلْمٌ يُبيِّنُ أسماءَ مشاهيرِ الناسِ ، وأزمنتَهُم ، وأمكنتَهُم ، وأعمارَهُم ، وأعمالَهُم .

ولعلَّ للتاريخِ الإسلاميِّ خصوصيَّةً أوجبَتْ عدَّهُ مِنَ العلومِ العربيَّةِ ، ولذلكَ أبدلَهُ بعضُهُم بالمحاضراتِ ؛ وهيَ النوادرُ في الفنونِ المُختلِفةِ التي يُحاضِرُ بها بعضُ الناس بعضاً في مسامراتِهِم .

وموضوعُ ما قبلَ عِلْمِ الخَطِّ : اللفظُ .

وباختلافِ الجهةِ تَنوَّعَتِ العلومُ ، وقدِ اختارَ بعضُ الناسِ في ترتيبِ تحصيلِ العلوم العربيَّةِ ما قالَ بعضُ شعراءِ المغاربةِ : [من مجزوء الرجز]

اَلْعِلْمُ شَيْءٌ حَسَنٌ فَكُنْ لَهُ ذَا طَلَبِ فَابُدَأُهُ بِالنَّحْوِ وَخُذْ مِنْ بَعْدِهِ فِي ٱلْأَدَبِ وَإِنْ أَرَدْتَ بَسِعْدِ ذَا جَاهاً وَفَضْلَ مَكْسَبِ فَاحْفَظ أُصُولَ مَالِكِ وَاعْرِفْ فُرُوعَ ٱلْمَذْهَب فَ إِنَّ قَ وَلَ مَ الِ كِ مِ الْ مِ الْ مِ الْ مَ الله مَ الله مَ الله مَ الله مَا وَلَكُونِ المعاربةِ أتباعَ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ الله عنه . . قالَ ذلكَ شاعرُهُم . واختارَ بعضٌ الابتداءَ باللغةِ .

واختارَ بعضٌ الابتداءَ بتعريفِ أنواعِ الأشياءِ التي عُيِّنَتِ الألفاظُ بإزائِها . ولكلٍّ وجهٌ ، والأخيرُ أَحكَمُ ، وإن كانَ لا بدَّ مِنْ تحصيلِ مِقدارٍ مِنَ اللغةِ يكونُ به التمكُّنُ مِنَ المخاطباتِ الأوليَّةِ .

* * *

تمهيدٌ [في تعريفِ الأدبِ]

اعلمْ: أنَّ الأدبَ معرفةُ الأحوالِ التي يكونُ الإنسانُ المُتخلِّقُ بها محبوباً عندَ أُولي الألبابِ ، الذينَ هُم أُمناءُ اللهِ على أهل أرضِهِ .

مِنَ القولِ في موضعِهِ المناسبِ لهُ ، فإنَّ لكلِّ قولٍ موضعاً يَخصُّهُ ؛ بحيثُ يكونُ وضعُ غيرِهِ فيه خروجاً عنِ الأدبِ ، كما قالَ جَرْوَلُ الشاعرُ المشهورُ بالحطيئةِ (١٠):

فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

ومِنَ الصَّمتِ _ وهوَ السكوتُ المقصودُ _ في موضعِهِ .

فإنَّ للصمتِ موضعاً يكونُ القولُ فيه خلافَ الأدبِ ؛ يرشدُ إلىٰ ذلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً ؛ قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ » (٢) .

وفي « لاميَّةِ الطُّغرائيِّ » (٣): [من البسيط]

وَيَا خَبِيراً عَلَى ٱلْأَسْرَارِ مُطَّلِعاً أُصْمُتْ فَفِي ٱلصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ ٱلزَّلَلِ

⁽١) انظر « ديوان الحطيئة » برواية وشرح ابن السكيت (ص ٣٣٥) ، والبيت بتمامه :

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَلَاكَ ٱلْمَلِيكُ فَلِي فَلِي لِللَّهِ مِلَّا مَلَيكُ وَلَا لَا اللَّالَ » (٢١) عن (٢) أخرجه هناد في « الزهد » (١١٠٦) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللَّالَ » (٤١) عن الحسن البصري رحمه الله تعالى مرسلاً ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٨٩) مرفوعاً عن البيدنا أنس رضى الله عنه .

⁽٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٩) .

ولبعضِهِم (١): [من الطويل]

عَجِبْتُ لِإِذْرَاءِ ٱلْغَبِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ بِٱلْعِلْمِ أَحْزَمَا وَلَيْ مِلْعِلْمِ أَحْزَمَا وَلَيْ مَا خَرْمَا صَحِيفَةُ لُبِّ ٱلْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ ٱلْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

والكلامُ المُنبِّهُ على مواضع الأقوالِ وعلى مواضع الصمتِ . . كثيرٌ .

ومِنَ الأحوالِ التي يكونُ التخلُّقُ بها أدباً . . وضعُ الأفعالِ في مواضعِها ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَزَوُا سَيِّعَةِ سَيِّعَةُ مِثْلُهاً فَنَ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾ (٢) ، فنبَّهَ سبحانَهُ على أنَّ المطلوبَ : العفْوُ المُصلِحُ دونَ المُفسِدِ .

وقالَ النابغةُ الجَعديُّ بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (٣):

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ لَبِيبٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ ٱلْأَمْرَ أَصْدَرَا

فقالَ لهُ النبيُّ : « لَا يَفْضُضِ ٱللهُ فَاكَ » (` أ) .

⁽۱) وهو الخطفىٰ جدُّ جرير ، والبيتان بروايتهما هنا عند الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ٤٤٤) ، ولا ولكن في « البيان والتبين » (٢٢٠/١) ، و« عيون الأخبار » (١٧٥/٢) : (العَيِيّ) بدل (الغبي) ، ولا تخفىٰ مناسبته ، وأثبتنا اسم كتاب الجاحظ بياء واحدة (التبيُّن) لأن محققه العلامة عبد السلام هارون رحمه الله تعالىٰ نصَّ في كتابه « قطوف أدبية » (ص ٩٧ - ٩٨) أنه بياء واحدة ، ثم قال : (وسأعيد هذه التسمية الصحيحة إلىٰ نصابها في الطبعة الخامسة إن شاء الله تعالىٰ) ، فاعتمدنا هذا التصويب في هوامش هذا الكتاب كله ، ونسأل الله أن يعيد الناشر التسمية إلىٰ نصابها ؛ فإن المنية اخترمت المحقق رحمه الله تعالىٰ .

⁽٢) سورة الشورئ : (٤٠) .

 ⁽٣) البيتان ضمن قصيدة في « ديوان النابغة الجعدي » رضي الله عنه (ص ٨٥) ، وانظر « أدب الدين والدنيا » (ص ٤٠٩) ، وفيهما : (حليم) بدل (لبيب) .

⁽٤) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢٣٢/٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٢/٥٠) عن سيدنا النابغة الجعدي رضي الله عنه .

وقالَ أبو الطيّب (١):

[من الطويل]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱلْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَا فَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ فَوَضْعُ ٱلنَّذَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ

والناسُ في الأدبِ متفاوتونَ تفاوتاً عظيماً ؛ فمَنْ قرأَ العلومَ ، وطافَ في البلادِ ، وعاشرَ طوائفَ الناسِ بعقلِ حاضرِ وتنبُّهٍ قائمٍ وضبطٍ جيدٍ ؛ حتى عرفَ العوائدَ المختلفةَ ، والأهواءَ المتشعِّبةَ ، ومَيَّزَ الحسنَ منها وتَخلَّقَ بهِ . . يكونُ بالضرورةِ أكثرَ أدباً ممَّنْ قرأَ وخالطَ ولم يطفْ ، وممَّن قرأَ وطافَ ولم يعاشرْ .

وموافقة جميع الناسِ أمرٌ غيرُ ممكنٍ ؛ فإنَّ الدِّينَ والعقلَ يمنعانِ مِنِ ارتكابِ أمورٍ لا يَسُرُّ بعضَ ذوي الأهواءِ غيرُها ، وأولئكَ همُ السفهاءُ الذينَ لا ألبابَ لهُم ، فهُم بمنزلةِ قُشورِ الأشياءِ التي لولا لبُّها . . لم تَصلُحْ إلَّا للنارِ أو ما أشبة .

فيجبُ على الإنسانِ لأجلِ أن يكونَ محبوباً عندَ الناسِ ، حاصلاً على أغراضِهِ منهم . . أن يطلبَ الأخلاقَ المحمودةَ عندَ أُولِي النُّهىٰ ؛ ليتحلَّىٰ بها ، ويَتخلَّىٰ عن أضدادِها ، وأن يعرفَ أنَّهُ لا سببَ لفسادِ الأقوالِ والأفعالِ حتى تكونَ مشنوءة مبغوضة . . إلَّا وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ ، فلا بدَّ لهُ مِنِ اجتهادٍ عظيمٍ في طلبِ مواضعِ الأشياءِ ؛ ليأمنَ كثيراً مِنَ الغوائلِ ومُكدِّراتِ النفوسِ ، ومِنَ العيبِ الفاحشِ ؛ وهوَ نقصُ القادرِ على التمامِ ، كما قالَ أبو الطيِّبِ أحمدُ بنُ الحسينِ المشهورُ بالمُتنبِّي (٢) :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ ٱلْقَادِرِينَ عَلَى ٱلتَّمَامِ

⁽١) البيتان ضمن قصيدة في « ديوان المتنبي » (ص ٢٨١) ، وقوله الآتي : (بالعلا) متعلق بقوله : (رصر الله) بعده .

⁽٢) كما في « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٤) من قصيدته التي مطلعها :

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ ٱلْمَلَامِ وَوَفْسِعُ فَعَالِهِ فَوْقَ ٱلْكَلَامِ

وهانه أمثلةٌ تُرشِدُكَ إلى كيفيةِ تَعرُّفِ محاسنِ الأشياءِ ومواضعِها:

المثالُ الأوَّلُ في التخلُّقِ ببعضِ الأخلاقِ

غيرُ خافٍ أن التخلَّقَ بالكِبْرِ والخُيلاءِ والإعجابِ والتعاظمِ على الناسِ بما أفضلَ الله بهِ على الناسِ بما أفضلَ الله بهِ على الإنسانِ مِنْ عِلْمٍ وجاهٍ ومالٍ . . أمرٌ غيرُ حسنٍ ؛ لِمَا جُبِلَتْ عليهِ النفوسُ مِنَ الإباءِ والنَّفرةِ عمَّنْ يَتعاظَمُ عليها ، فما أكثرَ ما بَدَّلَ حسنَ الوُدِّ والتألُّفِ بأشنع العداوةِ والتنافرِ !! للكنْ لذلكَ موضعٌ يكونُ فيهِ حسناً .

وبيانُهُ: أنَّ مِنَ المُشاهَدِ كُونَ النوعِ الإنسانيِّ محتاجاً في حُسْنِ تَعيُّشِهِ (۱) وتحصيلِ أغراضِهِ إلى اجتماعِ ألفةٍ ومَودَّةٍ وإنصافٍ ؛ بأن يُحِبَّ المرءُ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ ، وكلَّما كانَتِ الفِرْقةُ المُجتمِعةُ منهُ أكثرَ وأحفظَ للحقوقِ . . كانَتْ أحسنَ حالاً في العِلْمِ والجاهِ والثروةِ ، فإذا خرجَ بعضُ الناسِ عنِ الجمعيَّةِ ، وسعىٰ في الأرضِ بالفسادِ . . وجبَ على الناسِ تأديبُهُ بما يُعيدُهُ إلى الصلاح .

وربَّما كانَ التكبُّرُ والزَّهْوُ عليهِ أنكىٰ له ، وأرجىٰ لمَثابِ فكرِهِ وانحيازِهِ إلىٰ حَيِّزِ الاستقامةِ ، كما وردَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأىٰ فارساً مِنْ أصحابِهِ يمشي بينَ الصَّفَّينِ مُختالاً ، يميلُ يميناً وشِمالاً ، فقالَ : « هَالذِهِ مِشْيَةٌ يَكْرَهُهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ ، إلَّا فِي هَاذَا ٱلْمَوْضِعِ » (٢) ، فقد علمنا أنَّ للتكبُّرِ موضعاً يكونُ فيه حسناً .

⁽١) التعيُّش: تكلُّف أسباب المعيشة.

⁽٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٤/٧) عن خالد بن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خرشة ، عن أبيه عن جدِّه ، وأصله عند مسلم (٢٤٧٠) دون ذكر المشية ، وصاحب هذه المشهور بأبي دجانة رضى الله عنه .

المثالُ الثاني

التكلُّمُ بصحيح اللغةِ أمرٌ حسنٌ ، واللحنُ غيرُ حسنٍ

كما يُحكى : أنَّ هندَ بنةَ أسماءَ بنِ خارجةَ زوجَ الحَجَّاجِ لحنَتْ بينَ يدَيهِ يوماً ، فعابَ ذلكَ منها ، وازدراهُ عليها ، فقالَتْ : ألم تسمعْ قولَ أخي مالكِ :

[من الخفيف]

وَحَدِيثٍ أَلَذُهُ هُو مِمَّا يَنْعَتُ ٱلنَّاعِتُونَ يُوزَنَا وَحَدِيثٍ مَا كَانَ لَحْنَا نَا وَأَحْلَى ٱلْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

فقالَ الحَجَّاجُ: وهاذا خطأُ ثانٍ ؛ فإنَّ التحريفَ والخطأَ عيبٌ لا يُحسِّنُهُ أحدٌ ، فهوَ لم يُرِدْ باللحنِ ما فَهِمتِ ، وإنَّما أرادَ بهِ معنى لهُ آخرَ ؛ وهوَ الرمزُ والإشارةُ إلىٰ أمرٍ لم يكنِ الكلامُ المنطوقُ به موضوعاً لهُ ، ألم تسمعي إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَتَعْرَفَنَهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ (١).

ومِنْ ذَلكَ قولُ الشاعر (٢):

[من الكامل]

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَهُمْ لِكَيْمَا يَفْهَمُوا وَٱللَّحْنُ يَفْهَمُهُ أُولُو ٱلْأَلْبَاب

لَكُنْ لَمَّا اعتادَ الناسُ الميلَ بالكلامِ عن وجهِهِ العربيّ ، وصارَ فهمُهُم مربوطاً بالمَنطِقِ الملحونِ . . وجبَ التكلُّمُ معَهُم بما جرَتْ به عادتُهُم ؛ يدخلُ ذلكَ في عمومِ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ : « خَاطِبُوا ٱلنَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ » (٣) .

⁽١) الخبر عند أبي عبيد البكري في « سمط اللآلي » (١٧/١) ، والآية من سورة محمد : (٣٠) .

⁽٢) البيت للقتَّال الكلابي كما في « سمط اللآلي » (١٢/١) ، وهو بروايته عنده :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا وَوَحَيْتُ وَحْياً لَيْسَ بِٱلْمُرْتَابِ (٣) هو عند البخاري في «صحيحه» (٣٧/١) معلَّقاً من قول سيدنا علي رضي الله عنه بلفظ: (حدِّثوا الناس بما يعرفون ؛ أتحبُّون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسولُهُ ؟!).

وقولِهِ: « خَاطِبُوا ٱلنَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ » ('') ، وقد قيلَ: (خطأٌ مشهورٌ ولا صوابٌ مهجورٌ).

فعلمنا أنَّ للتكلَّمِ بالعربيةِ: موضعاً يكونُ فيه حسناً ؛ كقراءةِ الكتبِ ، ومحاورةِ الفُطناءِ ، حيثُ تكونُ في المباحثاتِ العلميَّةِ ، ومراجعاتِ التعليمِ والتعلُّمِ ، وموضعاً يكون فيه غيرَ حسنٍ ؛ وهيَ المخاطباتُ السائرةُ بينَ عمومِ الناس .

المثالُ الثالثُ الشعرُ كانَ زائدَ الحُسْن

بدليلِ شهرتِهِ وكثرتِهِ ، وارتياحِ عُقلاءِ السلفِ إليهِ ، حتى إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يَستنشِدُ الشعراءَ رجالاً ونساءً ؛ فكانَ يَستنشِدُ الخنساءَ ، فإذا رأى منها بعضَ الفُتورِ . . قالَ : « هِيه يَا خُنَاسُ » (٢) ؛ طلباً للمزيدِ ، يبعثُ مِنْ نشاطِها ، وأثابَ على الشعرِ مراراً (٣) ، وسنَّ الإجازةَ ، وقالَ : « إِنَّ مِنَ ٱلشِّعْرِ لَحِكْمَةُ عَلَىٰ ثَلاثَةِ أَعْضَاءٍ مِنْ بَنِي آدَمَ : عَلَىٰ لَحِكْمَةً » (١) ، وقالَ : « أُنْزِلَتِ ٱلْحِكْمَةُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ مِنْ بَنِي آدَمَ : عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْيُونَانِ ، وَعَلَىٰ أَيْدِي أَهْلِ ٱلصِّينِ ، وَعَلَىٰ أَلْسِنَةِ ٱلْعَرَبِ » (٥) .

وكانَ الملوكُ ونُبهاءُ الناسِ جاهليةً وإسلاماً مقبلينَ عليهِ غايةَ الإقبالِ ، حتى قيلَ : إنَّ الشعرَ يرفعُ قوماً ويضعُ آخرينَ ؛ مِنْ ذلكَ : ما وردَ أنَّ الحطيئةَ سافرَ مَرَّةً في طلبِ كريمٍ يَأْوِي إليهِ ، فلقيّهُ الزِّبرِقانُ بنُ بدرٍ في الطريقِ وهوَ مُتوجِّهٌ بصدقةِ قومِهِ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ ، فعرفَهُ وهوَ لم

⁽١) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٦١١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

⁽٢) كذا في « الاستيعاب » (ص ٨٩٧) .

⁽٣) كإثابته صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير رضي الله عنه ببردته ، كما في « الإصابة » (٣٧٩/٣) .

⁽٤) أخرجه البخاري (٦١٤٥) عن سيدنا أُبّي بن كعب رضي الله عنه .

⁽٥) هو قولٌ أورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٣٢٥/٥) ، وليس بحديث .

يَعرِفْهُ ، فقالَ : إلىٰ أينَ يا أبا مُليكةَ ؟ _ وهي كنيةُ الحطيئةِ _ فقالَ : أطلبُ كريماً ، فقالَ : قد وجدتَ ، وعَرَّفَهُ بنفسِهِ ، واعتذرَ لهُ عنِ الرجوعِ معهُ ، وأرسلَهُ إلىٰ ديارهِ ، وأوصىٰ بهِ .

فلمَّا وصلَ . . أكرمَهُ أهلُ الزِّبرِقانِ ، وبَنَوْا عليهِ بيتاً ، واهتمُّوا بأمرِهِ .

وكانَ في ذلكَ الموضعِ قومٌ قد أسقطَهُم جدُّهُم (١) ، يُقالُ لهُم: بنو أنفِ الناقةِ ، فعملوا حيلةً لصرفِ الحطيئةِ إليهِم ونزولِهِ عليهِم ، فجاؤوا زوجة الناقةِ ، فعملوا حيلةً لصرفِ الحطيئةِ إليهِم ونزولِهِ عليهِم ، فجاؤوا زوجة الزِّبرقانِ سِرَّا وقالوا لها: إنَّ زوجَكِ أرادَ أن يَتزوَّجَ ابنةَ هاذا الشاعرِ ، فتحيَّلي في إقصائِهِ عنكِ ، فأخذَتْ في ذلكَ ، فجاءَتِ الحطيئةَ يوماً وأخبرَتْهُ أنَّها تريدُ الانتجاعَ إلىٰ مكانٍ بعيدٍ ، وأنَّ جمالَ الحَمْلِ التي عندَها لا تكفي لحملِ متاعِها ومتاعِهِ ، فقالَتْ: تحمَّلْ أنتَ ثمَّ أرسلِ الظَّهرَ لنلحقكَ ، فقالَ: أنتُم أحقُ بالسَّبْقِ وأنتظرُكم ، فتحمَّلْ أنتَ ثمَّ أرسلِ الظَّهرَ والسماءِ ، وانتظرَها ، وفاتَ الموعدُ ولم يَجِئهُ منها خبرٌ .

فاجتمعَ إليهِ أولئكَ القومُ ، وأخذوهُ وأكرموهُ ، وجمعوا لهُ مالاً عظيماً ، وطلبوا منهُ أن يهجوَ الزِّبرِقانَ ، فقالَ : كيفَ أهجو رجلاً لم يَجْنِ عليَّ ، ولعلَّهُ إذا اطلعَ على ما صنعَتْ زوجتُهُ . . لمْ يرضَهُ ؟!

ثمَّ إِنَّهُ حضرَ وعرفَ ما حصلَ ، فتَغيَّرَ ، وطلبَ الحطيئةَ ، فامتنعَ ومنعَهُ أُولائكَ القومُ ، فطالَ الكلامُ ، وفَرَطَ مِنَ الزِّبرِقانِ فوارطُ ، فهجاهُ الحطيئةُ بقصيدةٍ ، منها (٢٠):

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ

⁽١) وهو جعفر أنفُ الناقة بن قريع ، كما في « الكامل » للمبرد (٧١٦/٢) ، و« ديوان الحطيئة » (ص ١٥) .

⁽٢) البيتان في « ديوان الحطيئة » (ص ٥٠ ـ ٥١) ضمن قصيدة .

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

فوضع مِنْ قدرِهِ ، وخفض مِنْ ذكرِهِ ، حتىٰ رفع أمرَهُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فاستحضرَهُ وقالَ : بماذا هجاكَ ؟ فأنشدَهُ ذلكَ ، فقالَ أميرُ المؤمنينَ : لا أرىٰ بأساً ؛ دعاكَ إلى الراحةِ ، وذكرَ كثرةَ نِعَمِ اللهِ عليكَ ، فقال : سلِ الشعراءَ يا أميرَ المؤمنينَ ليشهدوا لي عليه ، فقالَ حسانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ شاعرُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هوَ ما هجاهُ ، وإنَّما سَلَحَ عليهِ !! (١٠).

وكانَ مِنْ أمرِهِ بعدَ ذلكَ معَ أميرِ المؤمنينَ ما كانَ (٢).

وأصلُ وَضاعةِ بني أنفِ الناقةِ وخمولِ ذكرِهِم ونبزِهِم بهاذا اللقبِ : أنَّ والدَ أنفِ الناقةِ كانَ له جملةُ أولادٍ مِنْ عِدَّةِ أزواجٍ ، وكانَ أنفُ الناقةِ واحدَ أُمِّهِ ، فنحرَ يوماً ناقةً وقالَ لأولادِهِ : اذهبوا فاقتسموها ، فتباطأً أنفُ الناقةِ حتىٰ لم يبقَ منها إلا رأسُها ، فذهبَ ليأخذَهُ وأدخلَ ذراعَهُ في أنفِها واحتملَهُ ، فقيلَ له : أنفُ الناقةِ ، وعُيِّرَ بذلكَ (٣) ، فلمَّا قالَ في مدحِهِمُ الحطيئةُ (١) :

قَوْمٌ هُمُ ٱلْأَنْفُ وَٱلْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ ٱلنَّاقَةِ ٱلذَّنبَا

. . علا قَدرُهُم ، وارتفعَ ذِكرُهُم ، وصاروا يفتخرونَ بهاذا اللقبِ ، بعدَ أن كانَ

⁽۱) انظر الخبر في «الكامل » للمبرد (۷۱٥/۲) ، و« ديوان الحطيئة » بشرح ابن السكيت (ص ٥٠) ، وسلح عليه : تغوَّط وأخرج ما في بطنه رقيقاً ، وهو كناية عن أمر قبيح ، والمراد : أخرسه فلم ينبس ببنت شفة .

⁽٢) من حبس أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه للحطيئة باستعداء الزبرقان عليه ، إلى أن أطلقه حين قال كما في « ديوانه » (ص ١٩١) قصيدته التي مطلعها :

مَاذَا تَـقُولُ لِأَفْـرَاحِ بِـنِي مَرَحٍ حُمْرِ ٱلْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ عَلَيْكَ سَـلَامُ ٱللهِ يَا عُمَرُ غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَـلَامُ ٱللهِ يَا عُمَرُ

⁽٣) كذا أورد خبرهم ابن السكيت في « شرح ديوان الحطيئة » (ص ١٥) .

⁽٤) انظر « ديوان الحطيئة » (ص ١٥) .

الواحدُ منهُم إذا سُئِلَ أن يَنتسِبَ . . انتسبَ إلى بعضِ أجدادِهِ ، ولم ينطِقْ بهاذا اللقب .

ومِنْ ذَلكَ : أَنَّ قبيلةَ نُمَيْرِ كَانَتْ مِنْ أُعزِ قبائلِ العربِ ، وَكَانَتْ تُسمَّىٰ : جمرةَ العربِ ؛ إذ كَانَتْ أنسابُهُم مقصورةً عليهِم ، ليسَ فيهِم دخيلٌ ؛ لا يُخرِجونَ مِنْ نسائِهم ، ولا يُدخِلونَ مِنْ رجالِ غيرِهِم ، وإذا قيلَ لأحدِهم : يُخرِجونَ مِنْ نسائِهم ، ولا يُدخِلونَ مِنْ رجالِ غيرِهِم ، وإذا قيلَ لأحدِهم : ممَّنِ الرجلُ ؟ قالَ : (نُمَيْرِيّ) وفخَّمَها وملاً بها فاهُ ، فلمَّا قالَ جريرٌ يهجو الراعي (١٠) :

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا . . . ذلَّ هاذا الاسمُ واتَّضعَ ، وانتسبوا بعدَ ذلكَ لجدٍ أعلى منهُ ، فكانَ الرجلُ يقولُ إذا سُئِلَ الانتسابَ : (عامريّ) . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ .

وبالجملة : فقد كانَ الشِّعرُ هوَ الحاكمَ الأكبرَ والمُطاعَ الذي يَتصرَّف الناسُ تحتَ أُمرِهِ ونهيهِ ، وبقيَ على ذلكَ حتى مضى شطرٌ مِنْ أيامِ بني العباسِ وإن يكنْ حصلَ لهُ تنازلُ درجاتٍ في أثناء ذلكَ ؛ فلقد كانَ بعضُ الشعراء يهجو المَلِكَ يرىٰ أَنَّهُ يُؤدِّبُهُ ، حتىٰ قالَ بشَّارُ بنُ بُرْدٍ : [من البسيط]

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمُ إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُودِ ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَٱلْتَمِسُوا خَلِيفَةَ ٱللهِ بَيْنَ ٱلنَّايِ وَٱلْعُودِ

يريدُ محمدَ المهديِّ ثالثَ ملوكِ بني العباسِ ، فقتلَهُ ضرباً $(^{\Upsilon)}$.

ثمَّ صارَ الشعرُ ليسَ بتلكَ المنزلةِ ، بل صارَ كثيرُ ما يَتجدَّدُ منهُ لا يَخِفُّ على الأسماعِ ، ولا ترتاحُ إليه القلوبُ ، ولا تميلُ إليه النفوسُ ، ولا سببَ لذلكَ إلَّا وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ .

⁽۱) البيت ضمن قصيدة في « ديوان جرير » (۸۲۱/۲) .

⁽٢) الخبر والبيتان في « معاهد التنصيص » (٣٠١/١ ـ ٣٠٢) .

وبيانُهُ: أنَّ الشعرَ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ كثرَتْ أنواعُهُ بحَسَبِ كثرةِ أغراضِهِ ، وموضعُ تفصيلِ ذلكَ عندَ التكلُّمِ على قَرْضِ الشعرِ إن شاءَ اللهُ تعالى (۱) ، ولا بدَّ هنا مِنْ نُبذةٍ يسيرةٍ لأجلِ تحقيقِ الغرضِ الذي نحنُ بصددِهِ ، فنقولُ: الشعرُ ينقسمُ إلىٰ نَسيبٍ ، ومدح ، وتأديبٍ ، وغيرِ ذلكَ .

أَمَّا النَّسيبُ . . فهوَ ذكرُ محاسنِ النساءِ خَلْقاً وخُلُقاً ؛ يُقالُ : نَسَبَ بفلانةَ يَنْسِبُ نَسِيباً ؛ أي : تغنَّىٰ بذكر محاسنِها .

والمدحُ: الإخبارُ عنِ الأشياءِ بالأوصافِ الجميلةِ.

والتأديب : الإخبارُ عن الإنسانِ بأشياءَ لا يَستحسِنُها الناسُ .

ولكلِّ جودةٌ ورَداءةٌ ، فيحسنُ النسيبُ إذا كانَ جيداً مُنزَّهاً عنِ الإفحاشِ ، حتىٰ يكونَ كما قيلَ : يدخلُ على العذراءِ في خِدْرِها ، فلا تستحيي مِنْ إنشادِهِ .

وكانَ إنشادُهُ بحضرةِ فُطناءِ الناسِ وظرفائِهِمُ ، الذينَ تمَّتْ فحولتُهُم ، وطابَتْ طباعُهُم ، واعتدلَتْ أمزجتُهُم ، فلقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستمعُ إليهِ وهوَ يُنشَدُ بينَ يدَيهِ ، والصحابةُ يتناشدونَهُ في المسجدِ ، ويشغلونَ بهِ كثيراً مِنْ أوقاتِهِم ؛ تَرَوُّحاً واستنشاطاً واستجماماً للأفكارِ والعقولِ ، وكلَّما كانَ الرجلُ تامَّ الفُحولةِ . . كانَ أميلَ إلى التقوُّلِ .

وهو أمرٌ مقصودٌ ، يُنبِّهُ علىٰ ذلكَ ما وردَ : أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كانَ عندَها كفيلةٌ لها (٢) ، فزوَّجَتْها لبعضِ الأنصارِ (٣) ، وزفَّتُها

⁽١) انظر (٣١٩/٣) .

⁽۲) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » ($\Lambda V/\Lambda$): (كانت يتيمة في حجرها ، كما في « الأوسط » للطبراني [$\Psi \Lambda \Lambda$] ، وعند ابن ماجه [$\Psi \Lambda \Lambda$]: قرابة لها ، وعند أبي الشيخ : بنت أختها ، أو ذات قرابة منها ، وفي « أسد الغابة » [$\Psi \Lambda \Lambda$] ما يدل على أن اسمها الفارعة بنت أسعد بن زرارة) . ($\Psi \Lambda \Lambda$ ($\Psi \Lambda \Lambda$) .

بنفسِها وصواحبُ لها ، فلمَّا رجعَتْ . . قالَ لها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا عَائِشَهُ ؟ أَمَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْ وٌ ؟ فَإِنَّ ٱلْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ فَيْ مَعَكُمْ لَهْ وٌ ؟ فَإِنَّ ٱلْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ عَزَلٌ ، يُعْجِبُهُمُ ٱللَّهُو » قالَتْ : لا ، فقالَ : « هَلَّا بَعَثْتُمْ جَارِيَةً تَضْرِبُ بِاللهِ وَ وَتُغَنِّي » فقالَ : « كَانَتْ بِالسولَ اللهِ ؛ ما كانَتْ تقولُ ؟ فقالَ : « كَانَتْ تَقُولُ : [من مجزوء الوافر]

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ فَلَمَ يَّانَا وَحَيَّاكُمْ فَلَ فَلَا اللَّهُ الأَحْمَ لَلْ مَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ وَلَـ وَلَا الْحِنْطَةُ السَّمْرَا ءُمَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ " وَلَـ وْلَا الْحِنْطَةُ السَّمْرَا ءُمَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ "

ويُحكىٰ: أنَّ بعضَ أتقياءِ أهلِ الحجازِ وعُبَّادِهم (٢) رأىٰ بمنى امرأةً ذات حسنٍ فائقٍ وجمالٍ رائقٍ ، وهي مُلقِيةٌ على وجهِها بُرْداً مُهلهَلَ النَّسجِ ، مُظهِراً لمحاسنِها ، فقالَ : يا هاذهِ ؛ اختبئي !! فقالَتْ لهُ : أنا مِنَ اللَّواتي قالَ فيهِنَّ عمرُ بنُ أبى ربيعة (٣) :

أَمَاطَتْ رِدَاءَ ٱلْخَرِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا وَأَلْقَتْ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ بُرْداً مُهَلْهَلَا مِنَ ٱللَّءِ لَمْ يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ جَنَّةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلْنَ ٱلتَّقِيَّ ٱلْمُغَفَّلَا

فقالَ : اللَّهمَّ ؛ لا تُعذِّبْ هـٰذا الوجهَ ، ومضىٰ .

فبلغَ ذٰلكَ بعضَ الأئمَّةِ أصحابِ المذاهبِ في وقتِهِ (') ، فقالَ : تلكَ ظرافةُ

⁽۱) أخرجه البخاري (۱۹۲۲) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دون الشعر المذكور ، وأخرجه مع الشعر الطبراني في « المعجم الأوسط » (۳۲۸۹) من حديثها رضي الله عنها .

⁽٢) هو أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالى .

⁽٣) البيتان إنما هما للعرجي ، كما في « ديوانه » (ص ٧٤) ضمن قصيدته التي مطلعها :

رَأَتْنِي خَضِيبَ ٱلرَّأْسِ شَمَّرْتُ مِثْزَرِي وَقَـدْ عَهِدَتْنِي أَسْـوَدَ ٱلشَّعْرِ مُسْبِلَا
وفي « المنتظم » : (يبغين ريبة) بدل (يبغين جنَّة) ، ولعلها أنسب .

⁽٤) هو سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى .

أهلِ الحجازِ ، أمَا لو سمعَها بعضُ مُتنطِّعةِ أهلِ العراقِ . . لشتمَها وصَخِبَ عليها (١) .

فعلمنا مِنْ ذلكَ موضعَ حسنِ النسيبِ مِنْ غيرِهِ ، وحسنِ المدحِ إذا كانَ مدحاً بالأوصافِ القائمةِ ، باعثاً على الازديادِ وعُلُوِّ الهِمَّةِ مِنْ ممدوحِهِ وممَّنْ يَسمعُهُ ، كما قالَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ في تفضيلِ زهيرٍ على الشعراءِ : (كانَ لا يُعاظِلُ في الكلام ، ولا يَمدحُ الرجلَ بغيرِ ما هوَ فيهِ) (٢).

فعلمنا أنَّ مدحَ الرجلِ بغيرِ ما هوَ فيهِ . . وضعٌ للشيءِ في غيرِ موضعِهِ ، مُوجِبٌ لسقوطِ صاحبِهِ وتفضيلِ غيرِهِ ، كما قيلَ (٣) : [من البسيط]

وَإِنَّمَا ٱلشِّعْرُ عَقْلُ ٱلْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى ٱلْبَرِيَّةِ إِنْ كَيْساً وَإِنْ حُمُقَا وَإِنَّ حُمُقا وَإِنَّ حُمُقا وَإِنَّ مُلتَهُ صَدَقا وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ يُقَالُ إِذَا مَا قُلْتَهُ صَدَقا

والمُعاظَلةُ في الكلامِ: أن يُدخِلَ الشاعرُ أجزاءَ جملةٍ في أجزاءِ جملةٍ حتىٰ يصيرَ مُعقَّداً ، خارجاً عنِ الفصاحةِ والمَلاحةِ ، لا يبينُ معناهُ إلَّا بعدَ لَأْي وشِدَّةٍ ؛ كقولِ الفرزدقِ يمدحُ إبراهيمَ المخزوميَّ خالَ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ أحدِ ملوكِ بني أميَّةُ (1):

وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُـقَارِبُهُ وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ (°).

⁽١) أخرج الخبر ابن الجوزي في « المنتظم » (٩٦/٥) ، وفيه تعيين مبهماته المنقولة .

⁽٢) أخرجه أبو زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب » (١٨٧/١ _ ١٨٨) .

 ⁽٣) البيتان في « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (٤٣٠/١) ، والحُمُق _ بضمتين _ : قلة العقل ،
 بخلاف الكَيْس الذي هو الفطنة .

⁽٤) كذا في « طبقات فحول الشعراء » (٣٦٤/٢ _ ٣٦٥) .

^(°) قال المبرد في « الكامل » (٤٢/١) : (يعني بالمملّك : هشاماً ، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ، ولو كان هذا الكلام على وجهه . . لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن

ومتىٰ كَانَ المدحُ شكراً واعترافاً بالنعمةِ . . كَانَ داخلاً في عمومِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَكِرْثَ ﴾ (١) ، وهوَ المرادُ بقولِ النبيِّ : « لَا أَحَدَ أَحَبُ إِلَيْهِ ٱلْمَدْحُ مِنَ ٱللهِ » (١) .

ومتىٰ كانَ آلةَ كسبٍ ، مُدخِلاً لصاحبِهِ في المُلحِفينَ المُلحِينَ في السؤالِ ، سيَّما إذا كانَ قادراً ، ذا قُوىً يَصرِفُها في منافعِ الناسِ ، حتىٰ يَحصُلَ علىٰ مطالبِهِ باستحقاقٍ . . لم يكنْ أمراً حميداً ؛ وهوَ المعنيُّ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «احثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ » (٣) ، وبقولِ بعضِهِم (١) : [من السريع] الْكَلْبُ وَالشَّاعِرُ فِي مَنْزِلٍ يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ شَاعِراً الْكَلْبُ وَالشَّاعِرُ فِي مَنْزِلٍ يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ شَاعِراً أَلْكَلْبُ وَالشَّاعِرا فِي مَنْزِلٍ يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ شَاعِرا أَلْكَلْبُ وَالشَّاعِرُ فِي مَنْزِلٍ يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ شَاعِرا وَالسَّادِرَا أَمَا تَولِهُ وَالسَّادِرَا وَالسَّادِرَا وَالسَّادِرَا فَي اللهِ لَا حُولَةُ وَالسَّادِرَا وَاللهِ لَولَا وَي وَالسَّادِرَا وَاللهِ لَولَا حُرُقَاتُ اللهِ لَا خُولَةً اللهِ لَا حُرْدَا اللهِ لَا حُرْدَا اللهِ لَا حُرْدَا اللهِ لَا حُرْقَاتُ الْمَهَوَىٰ مَا كُنْتُ أَلِا رَجُلاً تَاجِرا اللهِ لَا يُولِلهِ لَا خُولَةً اللهِ لَا عُرَالًا اللهِ لَا خُولِ اللهِ لَا اللهِ لَا عُرَالَ اللهِ لَا عُرالِهُ لَا عُرالِهُ لَا عُرالِهُ لَا عُرَالًا اللهِ لَا عُرالِهُ لَا عُرالِهُ لَلْ عَلَى اللهِ لَا عَلَالِهُ لَا عُرالِهُ لَا عُمْ اللهِ لَا عُرالِهُ لَا عُرالِهُ لَا عُلِهِ لَا عُرالِهُ لَولَا عُرالِهُ لَا عُرالِهُ لَا عُرالِهُ لَا عُرالِهُ لَا عُمْ اللهِ لَا عُرالِهِ لَا عُرالِهُ لَا عُولَا عُمْ اللهِ لَا عُمْ لَا عُرالِهُ لَا عُمْ لَا عُرالِهُ لَا عُمْ لَا عُلَاهُ اللهِ لَا عُمْ لَا عُلَالِهُ لَا عُمْ لَا عُمْ لَا عُلَالِهُ لَا عُمْ لَا عُلَالِهُ لَا عُمْ لَا عُلْهِ لَا عُمْ لَا عُلْمَالِهُ لَا عُلْمَا عَلَا لَا عَلَاهُ لَا عُلْمُ لَا عُلِي لَا عُمْ لَا عُلْمُ لَا عُلْمَالِهُ لَا عُلْمَا عُلْمَا عَلَا لَا عُلْمَا عَلَا لَا عَلَاهُ لَا عُلْمِ لَا عُلْمُ لَا عُلْمَا عُلْمَا عُلْمِ لَا عُلْمَا لَا عُلْمَا عُلَا عَلَا لَا عَلَا اللهِ اللّهِ اللّهِ اللهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا اللّهِ اللّهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللّهُ اللّهِ اللهُ اللهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ ا

وأمَّا التأديبُ _ وهوَ الهجوُ _ . . فإنَّما يَحسُنُ إذا عُلِمَ تأثيرُهُ وردعُهُ المُفسِدَ ، فهوَ أمرُ مُتناهِ في القبحِ ؟ المُفسِدَ ، فهوَ أمرُ مُتناهِ في القبحِ ؟ لأنَّهُ الغِيبةُ المُفْظِعُ أمرُها في القرآنِ المجيدِ (°) .

والقولُ العامُّ في الشعرِ: أنَّهُ وإن كانَ صناعةً مِنَ الصِّناعاتِ.. يجودُ بِدِقَّةِ معناهُ، ومَلاحةِ لفظِهِ، وإحكامِ بنائِهِ، كما سيأتي بيانُهُ، ويَردُؤُ بخلافِ ذلكَ ، للكنَّهُ مُتغيِّرُ الأمرِ والحالِ بتغييرِ العوائدِ تغييراً عظيماً ؛ إذ لم يكنْ

له . وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلا مملَّك ، أبو أم هـٰذا المملَّك أبو هـٰذا الممدوح ، فدل علىٰ أنه خاله بهـٰذا اللفظ البعيد ، وهجَّنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير) .

⁽١) سورة الضحي : (١١) .

⁽٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٧) ، ومسلم (٣٣/٢٧٦٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

⁽٣) أخرجه مسلم (٦٩/٣٠٠٢) عن سيدنا المقداد رضى الله عنه .

⁽٤) هو أبو سعيد المخزومي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٨٧) ، وفي صلبها البيتان الأولان ، ونحو البيت الثالث في هامشها نسخة .

⁽٥) أفظع الأمر: اشتدَّت شناعته ، وجاوز المقدار في ذلك .

مِنْ حوائجِ الناسِ الأصليَّةِ ، إذْ كانَ بمنزلةِ الفاكهةِ التي لا تطيبُ إلَّا بعدَ الغذاءِ .

وَأَوَّلُ مُغيِّرٍ لَهُ الإسلامُ ، وقولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَبِعُهُمُ ٱلْغَاوُنَ أَلَمُ الْعَاوَنَ اللهِ عَزَّ وجلَّ : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَبِعُهُمُ ٱلْغَاوُنَ اللهِ عَنَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَقَعِلُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

معناهُ: أنَّ الشعراءَ كانوا مُترسِّلينَ معَ الأهواءِ ، لا يمنعُهُم مانعٌ ولا يَردعُهُم رادعٌ ، حَسَبَ ما تقتضيهِ وساوسُ الشهواتِ ، ولهُم قُوَّةٌ على تحسينِ القبيحِ ، وتقبيحِ الحسنِ ، وسفهاءُ الناسِ لهُم تَبَعٌ ، فكانَ يَتولَّدُ مِنْ ذٰلكَ ما يَتولَّدُ مِنَ الفتنِ والفسادِ بينَ الناسِ .

وقد استثنى سبحانَهُ الشعراءَ الذين عَقَلوا الدِّينَ ؛ فوقفوا عندَ حدودِهِ ، واجتنبوا الفحشاءَ والمُنكرَ ، حيثُ كانَتْ أوقاتُهُم معمورةً بذكرِ محاسنِ ما أرشدَ اللهُ إليهِ ، فهُم لا يَضعونَ الأشياءَ إلَّا في مواضعِها .

وهـٰـذا معنىٰ كثرةِ ذكرِ اللهِ في قولِهِ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ (١) .

فمعنى ﴿ وَذَكَرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ مُفسَّرٌ بقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّهَلَوْةَ تَنْهَلَ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنَكِّرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٣) .

وقولُهُ : ﴿ وَٱنتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ تنبيةٌ على موضع الهجوِ .

ثمَّ تَغيَّرَ أمرُ الشعرِ بعدَ ذلكَ تغيراً (١) عظيماً باشتغالِ الناسِ بالعلومِ

⁽١) سورة الشعراء : (٢٢٤ ـ ٢٢٦) .

⁽٢) سورة الشعراء : (٢٢٧) .

⁽٣) سورة العنكبوت : (٤٥) .

⁽٤) في الأصل: (تغييراً).

الكثيرةِ المتزايدةِ التي ارتبطَ بها مصالحُ الناسِ ، حتىٰ قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ (١):

وَلَوْلَا ٱلشِّعْرُ بِٱلْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ ٱلْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ وقالَ: (لولا مُجونُ أبي نُواس. . لَأخذتُ عنهُ العِلْمَ).

وحَرَّمَ قبلَ ذٰلكَ لبيدٌ الشعرَ على نفسِهِ وقالَ : (لا أقولُهُ بعدَ أن حفظتُ « البقرةَ » و « آلَ عمرانَ ») (٢٠ .

وخلاصةُ القولِ في ذلكَ : أنَّ مدارسةَ الأشعارِ العربيةِ ؛ لِمَا فيها مِنَ الفوائدِ العلميَّةِ المُتعلِّقةِ بأوضاعِ اللغةِ العربيَّةِ . . أمرٌ لازمٌ ؛ لكونِهِ مُعرِّفاً لمقاصدِ القرآنِ وأقوالِ النبيّ ، فهوَ مِنَ الدِّينِ ، كما قيلَ (٣) : [من المجتث]

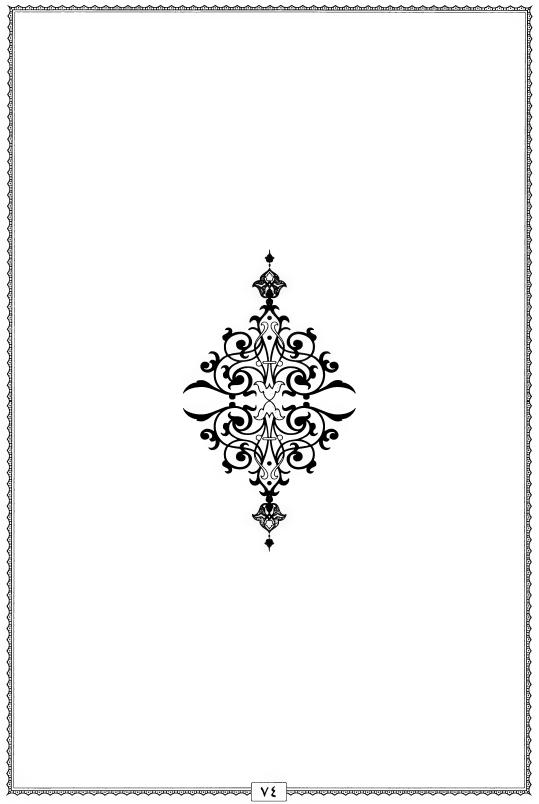
حِفْظُ ٱللَّغَاتِ عَلَيْنَا فَرْضٌ كَفَرْضِ ٱلصَّلَاةِ فَلَا مِنْ كَفَرْضِ ٱلصَّلَاةِ فَلَا يَسْتَ مَنْ اللَّعَاتِ فَلَا يَسْتَ مَنْ اللَّعَاتِ فَلَا يَسْتَ مَنْ اللَّعَاتِ مَنْ اللَّعَاتِ مَنْ اللَّعَاتِ مَنْ اللَّعَاتِ مَنْ اللَّعَاتِ مَنْ اللَّعَاتِ مَنْ اللَّعْتَ الْعَلَيْمِ اللَّعْتَ الْعَلَيْمُ اللَّعْتَ الْعَلَيْمِ اللَّعْتَ اللَّعْتَ الْعَلَيْمُ اللَّعْتَ الْعَلَيْمِ اللَّعْتَ الْعَلَيْمُ اللَّعْتَ الْعَلَيْمِ اللَّعْتَ الْعَلَيْمُ اللَّعْتَ الْعَلَيْمُ اللَّعْتَ الْعَلَيْمُ اللَّعْتَ الْعَلَيْمُ اللَّعْلَى الْعَلَيْمُ الْعَلَيْمُ الْعَلَيْمُ اللَّعْلَى الْعَلَيْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِمُ الْعُلَيْمُ الْعُلْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِيْمُ الْعُلِمُ الْعُلِمُ الْعُلِيْمُ الْع

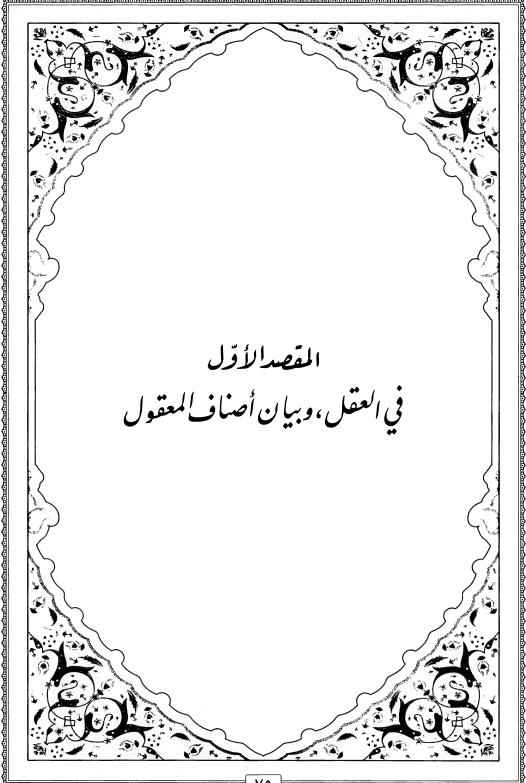
وأمَّا إنشاؤُهُ . . فمعَ الإتقانِ بوضعِهِ في مواضعِهِ ، وصرفِهِ بحَسَبِ اللزومِ ؟ فهو حِليةُ العلماءِ ، وزينةُ الأدباءِ ، والأعمالُ بالنيَّاتِ ، واللهُ الهادي إلىٰ أحسنِ المقاصدِ .

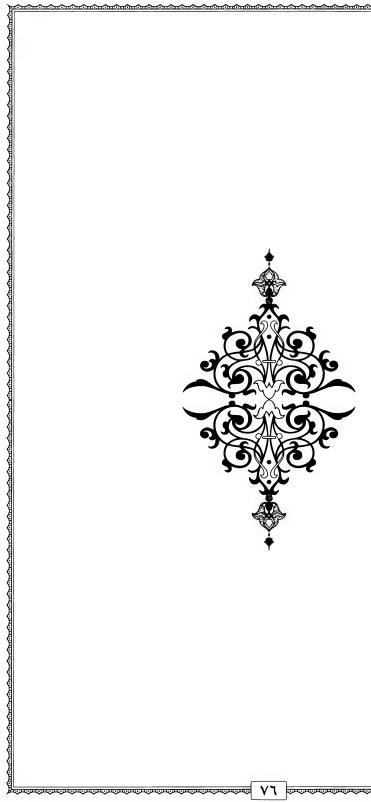
* * *

⁽٢) انظر « الإصابة » (٣٠٧/٣) .

⁽٣) أوردهما الإمام السيوطي في « المزهر » (٣٠٢/٢) من غير عزو .







[بيانُ معنى كلمةِ العقل]

كلمةُ (العَقْل) لها معنيانِ :

المعنى الأوَّلُ: جمعُ ساقِ البعيرِ وفخذِهِ بحبلٍ يُربَطُ عليهِما ، ويُسمَّىٰ : عِقالاً ؛ ليثبتَ مكانَّهُ فلا يشرُدَ .

* *

المعنى الثاني: رؤيةُ النفسِ الشيءَ واطلاعُها عليهِ وضبطُها له، والمرادُ بالنفسِ: الأمرُ الساكنُ في أبدانِنا، الذي نجدُهُ يتحدَّثُ بالأشياءِ، ويكونُ تحدُّثُ اللسانِ تابعاً لتحدُّثِهِ ؛ تقولُ: عَقَلْتَ الشيءَ عَقْلاً، فأنتَ عاقلٌ، والشيءُ معقولٌ.

ويُستعمَلُ الإدراكُ والعلمُ والمعرفةُ في هذا المعنى ، وأصلُ الإدراكِ : الوصولُ إلىٰ غايةٍ ؛ ومنهُ : طلبتُ فلاناً الهاربَ فأدركتُهُ في مكانِ كذا ، ومنهُ : أدركَ الغلامُ ؛ أي : بلغَ الحُلُمَ ؛ تقولُ : أدركتُ الشيءَ ؛ فأنتَ مُدرِكٌ ، والشيءُ مُدرَكٌ .

*

والحفظُ : إثباتُ النفسِ صورَ الأشياءِ .

والفهمُ : أن تدركَ ما أُريدَ منها .

تقولُ: حفظتُ القرآنَ ؛ أي: عقلتُ ألفاظَهُ وأثبتُها إثباتَ النقوشِ على الأحجار.

وفهمتُهُ ؛ أي : عقلتُ ما أُريدَ بألفاظِهِ ، فالحفظُ والفهمُ نوعانِ خاصًانِ مِنَ التعقُّل .

[مراتب العقل]

وللعقل [أربع] مراتب (١١) :

- المرتبةُ الأُولى : عقلُ الطفلِ قبلَ أوانِ التكلُّم ، ويُسمَّى : العقلَ بالطبعِ ، وبالفطرةِ ، وبالقوَّةِ ، والهَيُولَىٰ .

- المرتبةُ الثانيةُ: عقلُهُ بعدَ أوانِ التكلُّم، ويُسمَّى: العقلَ بالفعلِ ، وبالحالِ ، والتلقينِ ، وفي هاذه المرتبةِ يدركُ الإنسانُ مِنْ صورِ الأشياءِ ومِنْ تأثيراتِها إدراكاً به يَطلُبُ المحبوبَ ، ويَهرُبُ مِنَ المكروهِ .

- المرتبةُ الثالثةُ : عقلُ الغلامِ الذي حَصَلَ عندَهُ كثيرٌ مِنَ المعقولاتِ ، وتمكَّنَ مِنِ استحضارِها إذا أرادَ ، وأخذَ يستعملُ شيئًا مِنَ القياسِ حتىٰ يستحصلَ ما لم يكنْ حاصلاً عندَهُ ، ويُسمَّى العقلُ في هاذهِ المرتبةِ : العقلَ بالملكتينِ ؛ وهما :

ملكةُ الاستحضارِ ، وتُسمَّى : المُذكِّرةَ ؛ وهيَ قُوَّةٌ للنَّفْسِ تَتمكَّنُ بها مِنِ استحضار ما عَقَلَتْ .

وملكةُ الاستحصالِ ، وتُسمَّى : المُفكِّرةَ ؛ وهيَ قُوَّةٌ للنَّفْسِ تَتمكَّنُ بها مِنِ استحصالِ ما ليسَ معقولاً لها بالقياس على ما هوَ معقولٌ .

ـ المرتبةُ الرابعةُ : عقلُهُ إذا مَهَرَ في الاستحصالِ ودَرِبَ عليهِ بالفكرِ والنظرِ ،

⁽١) وأوصلها الحكماء إلىٰ ثمانية ، وانظر التفصيل في «معيار العلم» (ص ٣٤٦) ، وفي الأصل : (أربعة) بدل (أربع) .

الذي هوَ ملاحظةُ المعقولاتِ الحاضرةِ عندَ المُدرِكِ لتحصيلِ المجهولاتِ الغائبةِ عنه ، ويُسمَّى العقلُ في هاذه المرتبةِ : العقلَ المُستفادَ .

وقد يُرادُ مِنَ العقلِ : قُوَّةُ النَّفْسِ التي تُدرَكُ بها الأشياءُ ، ولذلكَ تسمعُهُم يقولونَ : العقلُ الغريزيُّ والعقلُ المطبوعُ ، والعقلُ الكسبيُّ والعقلُ المسموعُ .

ثمَّ الأشياءُ التي يَتعلَّقُ بها العقلُ فتكونُ معقولةً . . أحدَ عشرَ صنفاً (١): _ الصِّنفُ الأوَّلُ : ذاتٌ ثابتٌ ثبوتاً أزليّاً لم يَسبقْهُ عدمٌ ، أبديّاً لا يلحقُهُ عدمٌ ، موصوفٌ بصفاتٍ كذلكَ ، يُسنِدُ العقلُ إليهِ جميعَ الكائناتِ بالسببيَّةِ والمُسبَبيَّةِ ، فهوَ السببُ وغيرُهُ مُسبَّبُ لهُ ؛ وهوَ اللهُ جلَّ ذكرُهُ .

- الصِّنفُ الثاني : أعيانُ الكائناتِ ، وتُسمَّىٰ : ذواتِ الكائناتِ وجواهرَها ، ويقابلونَ العينَ بالحالِ ، والذاتَ بالصفةِ ، والجوهرَ بالعرضِ ، ومعنى الحالِ والصفةِ والعرضِ واحدٌ ، ومعنى العينِ والذاتِ والجوهرِ واحدٌ ؛ وهوَ الأمرُ الثابتُ الذي تتعاقبُ عليهِ الأحوالُ .

وينقسمُ الجوهرُ إلى : جوهرٍ غيرِ مُمتدٍّ ، مُتحيِّزٍ ؛ أي : شاغلٍ فراغاً ؛ والحَيِّزُ : الفراغُ المشغولُ به ، ويُسمَّىٰ : جوهراً فرداً ، وجزءاً لا يَتجزَّأُ .

وإلى جوهرٍ مُتحيِّزٍ مُمتدٍّ ، ويُسمَّىٰ : جسماً .

وينقسمُ الجسمُ إلىٰ :

نامٍ: أي: متزايدٍ في الحجمِ.

⁽١) انظر تفصيل المقولات العشر في « معيار العلم » (ص ٣٨٦ ـ ٤١٠) .

وإلىٰ جامدٍ : أي : غير متزايدٍ فيه .

وينقسمُ النامي إلى : حَسَّاسٍ مُتحرِّكٍ بالإرادةِ ، وإلى غيرِهِ ، ويُسمَّى الحَسَّاسُ : حيواناً ، ويُسمَّىٰ غيرُهُ : نباتاً .

وينقسمُ الحَسَّاسُ إلى: ناطقٍ ؛ أيْ: مطبوعٍ على أن يَتفكَّرَ فيما عَقَلَ ؛ ليعقلَ شيئاً بشيءٍ ، ويُعبِّرَ عمَّا حصلَ عندَهُ مِنْ ذلكَ ؛ وهوَ النوعُ المُسمَّى: إنساناً وبشراً ، ويُسمَّى الإنسانُ : النوعَ الآخرَ ؛ وهوَ مُركَّبُ مِنْ أمرَينِ ؛ أمرٍ مُشترَكِ بينَهُ وبينَ الأنواعِ التي في رتبتِهِ ، ويُسمَّىٰ هنذا الأمرُ : جنسَهُ القريبَ ؛ ويُعبَّرُ عنهُ بالحيوانِ ، وأمرٍ مُختصِّ بهِ مُميِّزٍ لهُ عن غيرِهِ ، ويُسمَّىٰ : فَصْلاً ؛ ويُعبَّرُ عنهُ بالحيوانِ ، وأمرٍ مُختصِّ بهِ مُميِّزٍ لهُ عن غيرِهِ ، ويُسمَّىٰ : فَصْلاً ؛ فَقُولُ : الإنسانُ : حيوانٌ ناطقٌ ، والجملُ : حيوانٌ راغٍ ، والبقرُ : حيوانٌ خائرٌ ، فالحيوانُ عنه بالكونِهِ مشتركاً ، والناطقُ والراغي والخائرُ فصولٌ ؛ لكونِها فمختصَّةً .

والشيءُ العامُّ الذي لا خصوص فيه _ وهوَ الجوهرُ _ يُسمَّى : جنساً عالياً ، وجنسَ الأجناسِ ، والأشياءُ التي بينَهُ وبينَ الإنسانِ تُسمَّى : الأجناسَ المُتوسِّطةَ إذا نسبتَها لِمَا تحتَها باعتبارِ شمولِها لهُ ، وتُسمَّى : الأنواعَ المُتوسِّطةَ إذا نسبتَها لِمَا فوقها باعتبارِ كونِها مشمولةً لهُ ، وتُسمَّىٰ : فصولاً باعتبارِ ما فيها مِنَ الخصوصِ والتمييزِ .

فالجوهرُ: جنسٌ لا غيرُ ، والجسمُ والنامي والحَسَّاسُ: أجناسٌ وأنواعٌ وفصولٌ بالاعتباراتِ الثلاثةِ ، والإنسانُ وما في رتبتِهِ مِنَ الحيوانِ: أنواعٌ لا غيرُ .

وكيفية تعقُّلِ هاذهِ المعانِي: أنَّهُم نظروا إلى الأشياءِ المحسوسةِ المتمايزةِ عايةَ التمايزِ وسَمَّوْها: أشخاصاً ، ووجدوا أموراً مُشترِكة بينَ جملِ الأشخاصِ اشتراكاً متفاوتاً على الترتيبِ الذي سبقَ شرحُهُ ، فسمَّوها بتلكَ الأسماءِ حسَت اختلاف الاعتباراتِ .

ويُخبَرُ بالنوعِ وسائرِ الأجناسِ عنِ الشخصِ ، والشخصُ لا يُخبَرُ بهِ ، والجنسُ العالى لا يُخبَرُ بهِ ،

والحكماء يُسمُّونَ الإخبارَ بالشيءِ عنِ الشيءِ : حَمْلاً وقولاً ، ويُسمُّونَ المُخبَرَ بهِ : محمولاً ومقولاً ، ويُسمُّونَ المُخبَرَ عنه : موضوعاً ومقولاً عليهِ ، فتقولُ :

زيدٌ : إنسانٌ ، وحيوانٌ ، ونام ، وجسمٌ ، وجوهرٌ .

والإنسانُ : حيوانٌ ، ونام ، وجسمٌ ، وجوهرٌ .

والحيوانُ : نام ، وجسمٌ ، وجوهرٌ .

والنامي : جسمٌ ، وجوهرٌ .

والجسم : جوهرٌ .

وليسَ قبلَ الجوهرِ شيءٌ يكونُ خبراً عنِ الجوهرِ ، وليسَ بعدَ الشخصِ شيءٌ يكونُ الشخصُ مُخبَراً بهِ عنهُ .

فالشخصُ موضوعٌ لا غيرُ ، والجنسُ العالي محمولٌ لا غيرُ ، وما بينَهُما موضوعٌ لِمَا قبلَهُ ، محمولٌ على ما بعدَهُ .

والأمرُ الشاملُ يُسمَّىٰ: عاماً ، والمشمولُ يُسمَّىٰ: خاصًا ، والارتباطُ بينَ الشاملِ والمشمولِ يُسمَّىٰ: عموماً وخصوصاً ، وتفصيلُ العامِّ الشاملِ إلىٰ خاصيَّةِ المشمولينَ لهُ بضمِّ الأمورِ المميزةِ التي سبقَ تسميتُها بالفصولِ . . يُسمَّىٰ: تقسيماً ، وحينَئذٍ يُسمَّى الشاملُ : مُقسَّماً ، ويُسمَّىٰ كلُّ مِنَ المشمولينَ بالنسبةِ له : قِسْماً منهُ ، ويُسمَّىٰ كلُّ منهُما بالنسبةِ لصاحبهِ : قِسْماً لهُ (١) .

والأنواعُ مُقسِّمةٌ للأجناسِ ، والأجناسُ مُقوِّمةٌ للأنواع ، ومُحصِّلةٌ لها بضمّ

⁽١) كذا في الأصل ، ولعله أراد : (قسيماً له).

الفصولِ إليها ، والجميعُ مُقوِّمٌ للشخصِ ؛ فكلُّ عالٍ مُقوِّمٌ للسافلِ ، وكلُّ سافل مُقسِّمٌ للعالي .

- الصِّنفُ الثالثُ : أحوالٌ تُسمَّىٰ : كمّاً ؛ والكمُّ قسمانِ :

مُتصِلٌ: وهوَ الأبعادُ العارضةُ للجسمِ ؛ مِنَ الخَطِّ ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً فقطْ ، والسَّطحِ ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً وعَرْضاً ، والجسمِ التعليميِّ ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً وعَرْضاً ، والجسمِ التعليميِّ هوَ الجسمُ ما يَنقسِمُ طُولاً وعَرْضاً وعُمقاً ، ومَعروضُ الجسمِ التعليميِّ هوَ الجسمُ الطبيعيُّ ، والمرادُ بالطُّولِ : الامتدادُ المفروضُ أوَّلاً ، والمرادُ بالعَرْضِ : الامتدادُ الآخِذُ مِنَ السَّطحِ الأعلىٰ الامتدادُ الآخِدُ مِنَ السَّطحِ الأعلىٰ ذاهباً إلى السَّطحِ الأسفلِ ، فإنِ اعتبرَ آخِذاً مِنَ الأسفلِ إلى الأعلىٰ . . سُمِّي : ذاهباً إلى السَّطحِ الأعلىٰ . . سُمِّي : سَمْكاً ، وإنِ اعتبرَ قائماً واصلاً بينَ السَّطحَينِ مِنْ غيرِ اعتبارِ أخذٍ مِنْ جهةٍ إلىٰ جهةٍ . . يُسمَّىٰ : ثِخَناً ، وهاذا القسمُ يُسمَّى : المِقدارَ .

ومنفصلٌ : وهوَ العددُ .

ويُسمَّى المِقدارُ مُتَّصِلاً ؛ لأنَّ كلَّ جزأَينِ منهُ يَشترِكانِ في نُقطةٍ تكونُ نهايةً لأحدِهِما وبدايةً للآخرِ ، وتُسمَّىٰ هاذهِ النُّقطةُ : حدًّا مُشترَكاً ، وليسَ للمُنفصِل حدٌ مُشترَكُ .

- الصِّنفُ الرابعُ: أحوالٌ تُسمَّىٰ: كيفاً ؛ والكيفُ: هوَ المُبصَراتُ مِنَ الألوانِ والأضواءِ والأشكالِ ، والمسموعاتُ ؛ مِنَ الأصواتِ ، والمشموماتُ مِنَ الروائحِ ، والمَذوقاتُ مِنَ الطُّعومِ ، والملموساتُ مِنَ الحرارةِ والبرودةِ ، والنعومةِ والخشونةِ ، وجميعُ ما ذُكِرَ يُسمَّىٰ بالمحسوساتِ .

والوجدانياتُ : وهيَ الأحوالُ الباطنةُ ، ما رَسَخَ منها وثبتَ يُسمَّىٰ : مَلَكَةً ، وغيرُهُ يُسمَّىٰ : حالاً .

والصَّلابةُ واللِّينُ لكونِهِما يُدرَكانِ ولو بالغمزِ بعُودٍ في اليدِ . . لم يَعدُّوهُما مِنَ الكيفياتِ .

ـ الصِّنفُ الخامسُ : حالٌ يُسمَّىٰ : أَيناً ؛ وهوَ الحصولُ في المكانِ .

- الصِّنفُ السادسُ: حالٌ يُسمَّى: متى ؛ وهوَ الحصولُ في الزمانِ ، والزمانُ أطولُ امتدادٍ وجوديٍّ يُتوهَّمُ تَجزِئتُهُ إلى الامتداداتِ المتفاوتةِ ، واسمُ الزمانِ يُطلَقُ عليهِ وعلى جميعِ الامتداداتِ كيفَما كانَتْ ، والجزءُ الذي لا يَنقسِمُ مِنْ أجزاءِ الامتدادِ يُسمَّى : آناً ، واسمُ الدَّهرِ واسمُ السَّرمدِ مُختصَّانِ ؛ فالدَّهرُ : الامتدادُ الطويلُ ، والسَّرمدُ : الأطولُ .

_ الصِّنفُ السابعُ: حالٌ يُسمَّىٰ: إضافةً ؛ وهوَ حالٌ لا يُعقَلُ إلَّا بتعقُّلِ حالٍ آخَرَ ، كما أَنَّ الحالَ الآخَرَ لا يُعقَلُ إلَّا بهِ ؛ كالأُبوَّةِ لا تُعقَلُ إلَّا بتعقُّلِ البُنوَّةِ ، كما أَنَّ البُنوَّةَ لا تُعقَلُ إلَّا بتعقُّل الأُبوَّةِ .

_ الصِّنفُ الثامنُ : حالٌ يُسمَّىٰ : وضعاً ؛ وهو حالُ الشيءِ المأخوذُ مِنْ نسبةِ أجزائِهِ بعضِها إلىٰ بعضٍ وإلى الخارجِ عنها ؛ كحالِ القائمِ والقاعدِ ، والمقابلِ والمجانبِ ، والفوقِ والتحتِ ، وغيرِ ذلكَ .

- الصِّنفُ التاسعُ: حالٌ يُسمَّىٰ: مِلْكاً وجِدةً ووَجداً؛ وهوَ هيئةُ إحاطةٍ طبيعيَّةٍ أو غيرِ طبيعيَّةٍ تُوجِبُ انتقالَ المحيطِ بانتقالِ المُحاطِ؛ كالجلودِ والملابسِ.

_ الصِّنفُ العاشرُ: حالٌ يُسمَّىٰ: فعلاً ؛ وهوَ التأثيرُ ؛ أي : إيجادُ الأثرِ ، ويُعبَّرُ عنهُ به (أن فعلَ) و(أن يفعلَ) .

_ الصِّنفُ الحاديَ عشرَ : حالٌ يُسمَّى : انفعالاً ؛ وهوَ التأثُّرُ ؛ أي : قَبولُ أثرِ المُؤثِّر ، ويُعبَّرُ عنهُ به (أنِ انفعلَ) و(أن ينفعلَ) .

وهاذه الفصولُ التي شرحَتِ الأصنافَ العشرةَ الواقعةَ بعدَ الصِّنفِ الأوَّلِ الذي هوَ وحدَهُ في مقابلةِ مجموعِ هاذهِ الأصنافِ . . تُسمَّىٰ بالمَقولاتِ العشرِ ، ومجموعُ هاذهِ الأصنافِ هوَ المُسمَّىٰ بالعالَمِ وبالممكنِ ، في مقابلةِ ذاتِ الصانع الواجبِ الثُّبوتِ .

* * *

[التكلُّمُ عن أنواع المعقولِ ضمنَ مسائل]

ثمَّ للمعقولِ حالَ تعقُّلِهِ تنقُّعٌ إلىٰ أنواعٍ يَستجِقُّ كلُّ نوعٍ منها لقباً يَخصُّهُ ، ولنوردْ ذلكَ في مسائلَ :

المسألة الأولى

[في صور المعقول ، وأوجه تعقُّلِ النِّسَبِ التصديقيَّةِ] (١) المعقول : تارةً يكونُ حيناً مِنَ الأحوالِ ، وتارةً يكونُ حالاً مِنَ الأحوالِ ، وتارةً يكونُ التباط أمر بأمر ؛ ويُسمَّىٰ ذلك الارتباط : نسبة ، ونفسُكَ مُحِبَّةٌ للاظِّلاعِ على الأشياءِ الواقعةِ ، ونسبةُ أمر إلىٰ أمرٍ مُتردِّدةٌ عندَكَ بينَ أن تكونَ واقعةً وألَّا تكونَ ، وإن كانَتْ في نفسِها علىٰ حالٍ منهُما ، وحينَئذٍ يكونُ تعقُّلُكَ لها علىٰ ثمانيةِ أوجهِ :

- ـ الوجهُ الأُوَّلُ: أن تَتخيَّلُها ضارباً صَفْحاً عن كونِها واقعةً أو غيرَ واقعةٍ .
 - _ الوجهُ الثاني : أن تَتعقَّلَها مُنكِراً لوقوعِها مُكذِّباً بهِ .
- الوجهُ الثالثُ: أن تَتعقَّلَها مُتردِّداً بينَ الوقوعِ وعدمِهِ ، لا يَتميَّزُ أحدُ طرفَيها عندَكَ على الآخر.
- الوجهُ الرابعُ: أن تَتعقَّلَها مُرجِّحاً لطرفٍ مِنْ طرفَيها بسببِ أَمارةٍ قامَتْ عندَكَ لا تَصِلُ بكَ إلى حدِّ الجزم .
- وحينَئذ يكونُ الطَّرفُ الآخَرُ مرجوحاً معَ كونِهِ يَحتمِلُ أَن يكونَ هوَ الحقَّ ، فلهُ تعقُّلُ أيضاً ؛ وهوَ الوجهُ الخامسُ مِنْ وجوهِ تعقُّل النسبةِ .

⁽۱) انظر «معيار العلم» (ص ٢١٢) ، و«حاشية العطار على جمع الجوامع» (١٩٢/١).

- الوجهُ السادسُ: أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها عن تقليدِ الغير.
- الوجهُ السابعُ: أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها بسببِ جزمِكَ بمعقولٍ آخَرَ هوَ حقٌّ يكونُ الجزمُ بهِ مُوجِباً لجزمِكَ بأحدِ طرفَيها ، ويُسمَّىٰ هاذا المُوجِبُ: دليلاً وبرهاناً وحُجَّةً .
- الوجهُ الثامنُ : أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها بسببِ جزمِكَ بمعقولٍ آخَرَ هوَ غيرُ حقّ ، ويُسمَّىٰ هاذا المعقولُ : شُبْهةً .

التعقُّلُ في الوجهِ الأَوَّلِ يُسمَّىٰ: تَخيُّلاً ، وفي الثاني يُسمَّىٰ: تكذيباً ، وفي الثالثِ يُسمَّىٰ: تكذيباً ، وفي الثالثِ يُسمَّىٰ: في الثالثِ يُسمَّىٰ: في الرابع يُسمَّىٰ: ظنّاً ، وفي الخامسِ يُسمَّىٰ: وَهُماً ، وفي السادسِ يُسمَّىٰ: تقليداً ، وفي السابعِ يُسمَّىٰ: يقيناً ، وفي الثامنِ يُسمَّىٰ: جهلاً مركَّباً .

وكلٌّ مِنَ الظَّنِّ والتقليدِ واليقينِ والجهلِ المُركَّبِ . . يُسمَّىٰ : تصديقاً ، وما عدا هاذهِ الأربعةَ _ وهوَ ستَّةُ تعقُّلاتٍ _ يُسمَّىٰ : تصوراً ؛ فالتعقُّلُ : إمَّا تصورُّ ، وإمَّا تصديقٌ .

المسألةُ الثانيةُ

[في انقسامِ التعقَّلِ إلى نظريٍّ وبديهيٍّ ، وأنواعِ البديهياتِ] التعقُّلُ: إن كانَ مستفاداً مِنْ تعقُّلٍ آخَرَ . . يُسمَّىٰ : نظريّاً ، وإن لم يكنْ مستفاداً مِنْ تعقُّلِ آخَرَ . . سُمِّيَ : بديهياً .

والبديهيُّ ستَّةُ أنواع:

- النوعُ الأوَّلُ: ويُسمَّىٰ بالأولياتِ ؛ وهيَ نِسَبٌ تجزمُ بها بمُجرَّدِ تصوُّرِ المنسوبِ والمنسوبِ إليهِ .
- النوعُ الثاني : ويُسمَّىٰ بالمشاهداتِ ؛ وهيَ المحسوساتُ والوجدانياتُ .

- النوعُ الثالثُ : ويُسمَّىٰ بالتجرِبيَّاتِ ؛ وهيَ التعقُّلاتُ التي تُستفادُ مِنَ التجربةِ .

_ النوعُ الرابعُ: وتُسمَّىٰ بالحدسيَّاتِ ؛ وهيَ التي تُستفادُ مِنَ الحَدْسِ والتخمين الكثير الصِّدْقِ.

_ النوعُ الخامسُ: وتُسمَّىٰ بالفطرياتِ؛ وهيَ تعقُّلاتٌ مفيدُها حاضرٌ معَها دائماً.

- النوعُ السادسُ: وتُسمَّىٰ بالتواتريَّاتِ؛ وهيَ تعقُّلاتُ تفيدُها أخبارٌ تَنقُلُها جماعةٌ ، لا يُجوِّزُ العقلُ تَواطُؤَهُم وتوافقَهُم على الكذبِ ، عن مثلِهِم ، حتىٰ ينتهي ذلكَ إلى المشاهدةِ .

المسألةُ الثالثةُ

[في انقسامِ المعقولِ إلىٰ كليِّ وجزئيِّ] (١)

المعقولُ: إن كانَ شاملاً لأكثرَ مِنْ شيءٍ . . شُمِّيَ كلِّيّاً ، وإن لم يكنْ لهُ شمولٌ . . سُمِّيَ جزئيّاً .

ويُسمَّىٰ شمولُ الشيءِ للشيءِ : صِدْقاً ، ويُسمَّى الشاملُ : صادقاً على المشمولِ ، ويُسمَّى المشمولُ : ماصَدَقاً وفرداً .

المسألةُ الرابعةُ [في انقسام المعقولِ إلىٰ كلِّ وجزْءٍ] (٢)

المُركَّبُ مِنْ شيئينِ يُسمَّىٰ : كُلًّا ، والشيئانِ اللَّذانِ تَركَّبَ منهُما يُسمَّيانِ :

⁽۱) انظر « معيار العلم » (ص ٦٩) .

⁽Y) انظر « حاشية الصبان على الملوى على السلم » (ص ٧٨) .

جزأينِ ، فيُنسَبُ الجزءُ إلى الكلِّ لكونِهِ داخلاً فيهِ ، فيُقالُ لهُ : كُلِّيٌّ ، ويُنسَبُ الكلُّ إلى الكلِّ لكونِهِ ماحبَهُ ، فيُقالُ : جزئيٌّ ، ومِنْ هنا يُقالُ : (كلُّ كلِّيٍّ جزءٌ لجزئيِّهِ ، وكلُّ جزئيٍّ كلُّ لكلِّيِّهِ) .

المسألةُ الخامسةُ [في الكليَّاتِ الخمسةِ]

طبيعةُ الشيءِ ذاتُهُ مِنْ جهةِ كونِها مبداً ومَنشاً لآثارِهِ المُختصَّةِ بهِ ، فالإنسانُ مثلاً مَنشاً للنطقِ وتوابعِهِ مِنْ حيثُ إنَّهُ إنسانٌ ، لا مِنْ حيثُ كونُهُ حيواناً ، وإلَّا . . لكانَ كلُّ حيوانٍ مَنشاً للنطقِ وتوابعِهِ ، والحيوانُ مِنْ حيثُ إنَّهُ حيوانٌ مَنشأً للجسِّ والحركةِ الإراديةِ ؛ فالإنسانُ ذو طبيعتَينِ ؛ طبيعةٌ مُشترَكةٌ ، وطبيعةٌ مُختصَّةٌ ؛ وهي الجنسُ والفصلُ ، وبهاذا يُسمَّىٰ : حقيقةً مُركَّبةً ، ونوعاً .

والنوعُ والجنسُ والفصلُ تُسمَّىٰ بالكليَّاتِ الذاتيَّةِ ، وما يُؤخَذُ مِنَ الأحوالِ المُختصَّةِ بالنوعِ ليخبرَ بهِ عنهُ يُسمَّىٰ : خاصَّةً ؛ كالضاحكِ المأخوذِ مِنَ الضَّحكِ المُشتركةِ الضَّحكِ المُختصِّ بالإنسانِ ليُخبَرَ بهِ عنهُ ، وما يُؤخَذُ مِنَ الأحوالِ المشتركةِ بينَ نوعَينِ فأكثرَ يُسمَّىٰ : عرضيًا عامًا ؛ كالماشي المأخوذِ مِنَ المَشْيِ الذي هوَ عَرَضٌ عامٌّ للإنسانِ وغيرِهِ مِنْ أنواعِ الحيوانِ ، والخاصَّةُ والعَرَضيُّ العامُّ كليَّانِ ؛ لكونِهِما شاملينِ .

فالكليَّاتُ خمسةٌ:

النوعُ ، والجنسُ ، والفصلُ ، والخاصَّةُ ، والعَرَضيُّ العامُّ ، وما عداها فجزئيَّاتٌ وأفرادٌ وأشخاصٌ .

⁽١) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٦٧) .

المسألةُ السادسةُ [في النسبةِ بينَ مفهومَينِ] (١)

كلُّ مفهومَينِ قرنتَ بينَهُما _ لا محالةَ _ يكونُ بينَهُما إحدى نسبٍ أربعٍ ؟ وهي التساوِي ، والتباينُ ، والعمومُ والخصوصُ المُطلَقانِ ، والعمومُ مِنْ جهةٍ والخصوصُ مِنْ جهةٍ .

لأنَّهُما إن تصادقا تصادقاً كلِّيّاً ؛ بحيثُ يكونُ جميعُ الأفرادِ التي هيَ مشمولةٌ لأحدِهِما مشمولةً للآخرِ ، كما بينَ النوعِ والفصلِ وخواصِّهِ . . فهيَ التساوي ، وحينَئذٍ يُسمَّى المفهومانِ اللَّذانِ هنذا شأنُهُما بالمتساويين .

وإن تفارقا تفارقاً كلِّيّاً ؛ بحيثُ لا يكونُ شيءٌ مِنْ أفرادِ أحدِهِما فرداً للآخَرِ ، كما بينَ نوع ونوع . . فهوَ التباينُ ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ بالمُتباينَينِ .

وإن تصادقا على شيء وانفرد واحدٌ منهما بشيء يَصدُقُ هوَ عليهِ دونَ الآخرِ . . فهوَ العمومُ والخصوصُ المُطلَقانِ ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ بالعامِّ المُطلَقِ والخاصّ المُطلَق ، كما بينَ الأجناس والأنواع .

وإن تصادقا على شيء واختصَّ كلُّ منهُما بشيء كما في العَرَضيَّاتِ معَ أَنفسِها أو معَ غيرِها . . فالعمومُ مِنْ جهةٍ والخصوصُ مِنْ جهةٍ ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ بالعامِّ مِنْ جهةٍ والخاصِّ مِنْ جهةٍ ، وهاذهِ النِّسَبُ هي مَنشأُ جميع الأحكامِ .

المسألةُ السابعةُ

[في بيانِ القياسِ الحمليِّ ، والشرطيِّ المتصلِ والمنفصلِ] (٢) الحكمُ : هوَ إدراكُ الارتباطِ بينَ الشيءِ [والشيءِ] على وجهِ الاعترافِ بوقوعِهِ ، فهوَ بمعنى التصديق .

⁽۱) انظر « شرح تنقيح الفصول » (ص ٩٦) .

⁽٢) انظر « معيار العلم » (ص ١٢٠) .

ثمَّ الارتباطُ بينَ الشيئينِ ثلاثةُ أنواع:

_ النوعُ الأوَّلُ: ثبوتُ أمرٍ لأمرٍ أو انتفاؤُهُ عنهُ ، ويُسمَّىٰ: نسبةً حمليَّةً ؛ وذٰلكَ كالنسبةِ في قولِكَ: (العدلُ حسنٌ) و(الظلمُ ليسَ بحسنِ).

- النوعُ الثاني: لزومُ وقوعِ نسبةٍ لوقوعِ نسبةٍ أخرى ؛ بمعنى : أن يكونَ بينَ وقوعَيهِما لزومٌ ؛ وهوَ امتناعُ الانفكاكِ بحيثُ يَحصُلُ واحدٌ ولا يَحصُلُ الآخرُ ، وذلكَ كالنسبةِ في قولِكَ : (إن كانَتِ الشمسُ طالعةً . . كانَ النهارُ موجوداً) ويُسمَّى الأَوَّلُ : ملزوماً ، والثاني : لازماً .

ـ النوعُ الثالثُ: عنادُ وقوعِ نسبةٍ لوقوعِ نسبةٍ أخرى ؛ فهُما لا يَقعانِ معاً ولا يَرتفعانِ معاً ، أو لا يرتفعانِ معاً وقد يَرتفِعانِ ، أو لا يَرتفِعانِ معاً وقد يَقعانِ معاً ؛ كالنسبةِ في قولِكَ : (إمَّا أن تكونَ الشمسُ طالعةً ، وإمَّا أن يكونَ النهارُ غيرَ موجودٍ) .

والنوعُ السابقُ يُسمَّى: النسبةَ الشرطيَّةَ الاتصاليَّةَ ، وهاذا النوع يُسمَّى: النسبةَ الشرطيَّةَ الانفصاليَّةَ .

ومَنشأُ الاتصالِ: السببيَّةُ في الوجودِ أو التضايفِ، ومَنشأُ الانفصالِ: التناقضُ والتضادُّ.

والنقيضانِ: هما الأمرانِ اللَّذانِ لا يَجتمعانِ في موضوع ولا يَرتفِعانِ معاً عنه ؛ وهما الثبوتُ والانتفاء ، أو ما يساوي الانتفاء ؛ مثلُ قولِكَ : (العددُ : زوجٌ أو لا زوجٌ) ، وقولِكَ : (العددُ : زوجٌ أو فردٌ) فقولك : (فردٌ) يساوي قولكَ : (لا زوجٌ) .

والضِّدَّانِ: هما الأمرانِ الوجوديانِ اللَّذانِ لا يَجتمعانِ في موضوعٍ وقد يرتفِعانِ لحلولِ ثالثٍ بدلَهُما ؛ كالبياضِ والسَّوادِ المرتفعَينِ عنِ الأحمرِ مثلاً .

9.

ويُسمَّى الحكمُ: إيجاباً وسلباً ، وإثباتاً ونفياً ، ويُسمَّى الطرفُ الأوَّلُ في النسبةِ الحمليَّةِ: موضوعاً ، والثاني: محمولاً ، كما سبق ، ويُسمَّى الأوَّلُ في الشرطيتَينِ: مُقدَّماً ، والثانِي: تالياً.

المسألةُ الثامنةُ [في أنواع الحدودِ] (١)

تمييزُ الشيءِ بذكرِ ما يميّزُهُ من فصْلِ أو خاصَّة يُسمَّىٰ: تعريفاً ، والتعريفُ بجنسِهِ القريبِ وفصلِهِ يُسمَّىٰ: حدّاً تامّاً ، وبجنسِهِ البعيدِ والفصلِ يُسمَّىٰ: حدّاً ناقصاً ، وبجنسِهِ القريبِ وخاصَّتِهِ يُسمَّىٰ: رسماً تامّاً ، وغيرهُ يُسمَّىٰ: رسماً ناقصاً .

والأُدباءُ يُسمُّونَ كلَّ مُميِّزٍ للشيءِ عن غيرِهِ حدّاً ورسماً ، ولا يُفصِّلونَ تفصيل أهلِ المَنطِقِ .

المسألةُ التاسعةُ [في أنواع النِّسَبِ ، والخبرِ والإنشاءِ]

العبارةُ عنِ النسبةِ وطرفَيها مُركَّبُ تامٌ إِن كانَتِ النسبةُ مقصودةً بالإفادةِ ؛ بحيثُ يَصِحُ السكوتُ على المُركَّبِ الذي يفيدُ النسبةَ بهيئتِهِ التركيبيَّةِ ، ويُسمَّى المُركَّبُ التامُّ : قضيةً وكلاماً خبريّاً إِن كانَ حكايةً عن واقعٍ ، وإنشائيّاً إِن لم يكنْ حكايةً عن واقع .

وناقصٌ إن كانَتِ النسبةُ غيرَ مقصودةٍ بالإفادةِ ؛ بحيثُ لا يَصِحُّ السكوتُ على المُركَّبِ الذي يفيدُها بهيئتِهِ ؛ وهي [كنسبةِ] المملوكِ إلى المالكِ ،

⁽١) انظر « محك النظر » (ص ١٨٦) .

⁽٢) انظر « حاشية الصبان على الملوى على السلم » (ص ٨٨) .

وتُسمَّى: النسبة الإضافيَّة ؛ مثلُ: (دارُ زيدٍ) و(عبدُ عمرٍو) ، ونسبةُ الصفةِ إلى الموصوفِ ، وتُسمَّى: النسبة التوصيفيَّة ؛ مثلُ قولِكَ: (الرجلُ العاقلُ) و(الإنسانُ الكاملُ) ، وكلتا هاتينِ النسبتينِ تُسمَّىٰ بالتقييديَّةِ ، وهيَ لا تُخرِجُ المعقولَ عن كونِهِ تصوُّراً.

والعبارةُ عن غيرِ النسبةِ مفردٌ: فعلٌ إن أفادَ تأثيراً أو تأثُّراً في أحدِ الأزمنةِ الثلاثةِ ؛ الماضي والحالِ والآتي ؛ طلباً لذلك أو إخباراً عنهُ ، واسمٌ إن كانَ مَفادُهُ عيناً مِنَ الأعيانِ أو حالاً مُستقِلاً بالمعقوليَّةِ والملاحظةِ ، وحرفٌ إن كانَ مَفادُهُ حالاً غيرَ مُستقِلٍ بالمعقوليَّةِ ، بل كانَ لا يمكنُ تعقُّلُهُ إلَّا بالتبعيَّةِ لتعقُّلِ غيرِهِ .

فالعبارةُ: إمَّا مُركَّبٌ ، وإمَّا مُفرَدٌ ، والمُركَّبُ : إمَّا تامُّ ، وإمَّا ناقصٌ ، والمُفرَدُ : إمَّا فعلٌ ، وإمَّا اسمٌ ، وإمَّا حرفٌ .

ومِنْ هنا أمكنَ أن نشرعَ في العلومِ العربيَّةِ التي موضوعُها الألفاظُ ، وأمكنَ أن نُتمِّمَ المسائلِ بعضُها ، فنقولُ على الإجمالِ :

المسألةُ العاشرةُ [في أنواع القضايا] (١)

القضيةُ إن كانَ موضوعُها شخصاً . . سُمِّيَتْ شخصيَّةً ومخصوصةً ، وإن كانَ موضوعُها غيرَ شخصٍ ؛ فإن حُكِمَ فيها على جميعِ الأفرادِ ، وذُكِرَ في موضوعِها لفظةُ (كلِّ) . . سُمِّيَتْ : كُلِّيَّةً ، ولفظةُ (كلِّ) تُسمَّىٰ : سُوراً ، وإن حُكِمَ فيها على بعضِ الأفرادِ ، وذُكِرَ في الموضوعِ لفظةُ (بعضٍ) . . سُمِّيَتْ : جُرئيَّةً ، ويُسمَّىٰ لفظُ (البعضِ) : سُوراً ، وإن حُكِمَ على الأفرادِ ولم يُذكَرُ لفظُ (كلّ) ولا (بعضِ) . . سُمِّيَتْ : مُهمَلةً ، وهيَ جزئيَّةٌ في الاستعمالِ ، وإن

⁽١) انظر « محك النظر » (ص ٨١) .

لم تُلحَظِ الأفرادُ وكانَ الحكمُ على طبيعةِ المعنى الشاملِ ؛ مثلُ : (الحيوانُ جنسٌ) ، و(الإنسانُ نوعٌ) . . سُمِّيَتْ : طبيعيَّةً .

فالقضيَّةُ: شخصيةٌ، أو كليةٌ، أو جزئيةٌ، أو مهملةٌ، أو طبيعيةٌ.

وما أفادَ العمومَ مِنَ الألفاظِ يقومُ مَقامَ لفظةِ (كلِّ) في التسويرِ ؟ مثلُ : (جميعاً) و(قاطبةً) و(طُرّاً) في الإيجابِ ، و(لا شيءَ) و(لا واحدَ) في السَّلبِ .

وكلفظِ (البعضِ) ما أفادَ البعضيَّةَ والجزئيَّةَ إيجاباً وسلباً ؛ كـ (واحدٍ) و (شيءٍ) و (رُبَّ واحدٍ) و (ليسَ بعض) و (بعضٌ ليسَ) و (ليسَ كلّ) .

المسألةُ الحاديةَ عشرةَ [في انقسام القضايا إلىٰ ضروريةٍ وممكنةٍ] (١)

ثبوتُ شيءٍ لشيءٍ أو انتفاؤُهُ عنهُ: إمَّا أن يكونَ واجباً لا يُجوِّزُ العقلُ خلافَهُ ؛ بحيثُ يُقالُ: بالضَّرورةِ هاذا كذا ، أو ليسَ كذا ، وحينَئذٍ تُسمَّى القضيةُ : ضروريَّةً ، وإن كانَ كلُّ مِنَ الثبوتِ والانتفاءِ ممكناً ؛ بحيثُ يُجوِّزُ العقلُ كُلاَّ بدلَ الآخر . . شُمِّيَتْ ممكنةً .

فالقضايا: ضرورياتٌ ، أو ممكناتٌ .

المسألةُ الثانيةَ عشرةَ [في أدلَّةِ صدقِ القضايا] (٢)

حيثُ كانَتِ القضيةُ حكايةً عن واقعٍ . . جازَ أن تكونَ مطابقةً لهُ ، وألَّا تكونَ مطابقةً لهُ ، وألَّا تكونَ مطابقةً .

⁽١) انظر « محك النظر » (ص ٨٣) .

⁽۲) انظر «معيار العلم» (ص ١٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٠) .

والمطابقةُ تُسمَّىٰ: صِدْقاً ، وعدمُ المُطابقةِ يُسمَّىٰ: كذباً ، وحينَئذٍ لا يلتزمُ العقلُ الوقوفَ عن تجويزِهِما إلَّا بمُلزِمٍ ؛ وذلكَ المُلزِمُ يُسمَّىٰ: دليلاً وحُجَّةً ، وكذلِكَ لا يُرجِّحُ أحدَهُما إلَّا بمُرجِّح ؛ ويُسمَّىٰ: أَمارةً .

والدليلُ ثلاثةُ أنواعٍ : نوعٌ يُسمَّى : استقراءً ، ونوعٌ يُسمَّىٰ : تمثيلاً ، ونوعٌ يُسمَّىٰ : قياساً .

- الاستقراءُ: تَتبُّعُ جميعِ أفرادِ الشيءِ ليحكمَ عليها بحكمٍ كلِّيٍ ، ويُسمَّى: استقراءً تامّاً ، أو تتبعُ أكثرِ الأفرادِ لذلك ، ويُسمَّى: استقراءً ناقصاً ؛ كتتبُّعِ أكثرِ أفرادِ الحيوانِ ، فقالوا: (كلُّ حيوانٍ يُحرِّك فَكَّهُ الأسفلَ) ، فوُجِدَ التِّمساحُ على خلافِ ذلك .

- والتمثيلُ: إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ في صفةٍ ليحكمَ على المُلحَقِ بحكمِ المُلحَقِ به بذلِكَ به ؛ حيثُ تكونُ تلكَ الصفةُ هيَ السببَ في الحكمِ على المُلحَقِ بهِ بذلِكَ الحكم .

- والقياسُ: تصديقانِ يَلزمُهُما تصديقٌ ثالثٌ ، والتصديقانِ يُسمَّيانِ: مُقدِّمتَيِ القياسِ ، والتصديقُ الثالثُ يُسمَّىٰ: نتيجةً ، والنتيجةُ قبلَ الاستدلالِ تُسمَّىٰ: مطلوباً ، والمُقدِّمتانِ تشتملُ إحداهُما على موضوعِ النتيجةِ ، والأخرىٰ على محمولِها ، وتَشترِكانِ في شيءٍ يكونُ سبباً لربطِ محمولِ النتيجةِ بموضوعِها ، وحينَئذٍ يُسمَّىٰ موضوعُ النتيجةِ حالَ كونِهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملَتْ عليهِ: حدّاً أصغرَ ، ويُسمَّىٰ محمولُها حالَ كونِهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملَتْ عليهِ: حدّاً أكبرَ ، ويُسمَّىٰ المُشترَكُ: حدّاً كونِهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملَتْ عليهِ: حدّاً أكبرَ ، ويُسمَّى المُشترَكُ: حدّاً

وَسَطاً ، وحينَ الاستدلالِ يَسقطُ المُشترَكُ ، فتنتظمُ النتيجةُ ، وتُسمَّىٰ ذاتُ المُقدِّمتَينِ : مادَّةَ القياسِ ، وتُسمَّىٰ هيئتُهُما الحاصلةُ لهُما مِنْ تأليفِهِما : صورةً وشكلاً .

والشَّكلُ يكونُ على أنحاءٍ شتَّى ، كلُّ نحوٍ منها يُسمَّى : ضرباً ، وللشكلِ صحَّةٌ وفسادٌ ، فالأشكالُ الصحيحةُ تُسمَّى : ضُروباً مُنتِجةً ، والفاسدةُ تُسمَّى : ضُروباً مُنتِجةً ، والفاسدةُ تُسمَّى : ضُروباً عقيمةً .

ثمَّ القياسُ باعتبارِ صورتِهِ نوعانِ : نوعٌ يُسمَّى : اقترانيًا ، ونوعٌ يُسمَّى : استثنائيًا .

فالاقترانيُّ : مثلُ قولِكَ : (كلُّ إنسانٍ حيوانٌ ، وكلُّ حيوانٍ مُتنفِّسٌ) يُنتِجُ : (كلُّ إنسانٍ مُتنفِّسٌ) .

والاستثنائيُّ : مثلُ قولِكَ : (لو كانَ هاذا الشيءُ حيواناً . . لكانَ مُتنفِّساً ، لكنَّهُ غيرُ مُتنفِّساً ، للكنَّهُ غيرُ مُتنفِّسِ) يُنتِجُ : (هاذا الشيءُ غيرُ حيوانٍ) .

والقياسُ باعتبارِ مادَّتِهِ: خمسةُ أنواع تُسمَّىٰ بالصِّناعاتِ الخمسِ ؛ لأنَّهُ إن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ يقينيةٍ بديهيةٍ أو منتهيةٍ إلى البديهيةِ . . فهوَ نوعٌ يُسمَّىٰ بالبرهانِ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ مُسلَّمةٍ عندَ الخصمِ وإن لم تكنْ حَقَّةً في نفسِها . . فهوَ نوعٌ يُسمَّىٰ بالجَدَلِ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ مقبولةٍ مشهورةٍ صادرةٍ عمَّنْ يَحسُنُ فيهِ الاعتقادُ . . فهوَ نوعٌ يُسمَّى : الخطابةَ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ تخييليَّةٍ تُؤثِّرُ في الأنفسِ قبضاً أو بسطاً . . فهوَ نوعٌ يُسمَّى : يُسمَّى : السَّفسطة . . فهوَ نوعٌ يُسمَّى : السَّفسطة .

والمُتكلِّمُ بالبرهانِ يُسمَّىٰ : حكيماً ، والمُتكلِّم بالسَّفسطةِ يُسمَّىٰ

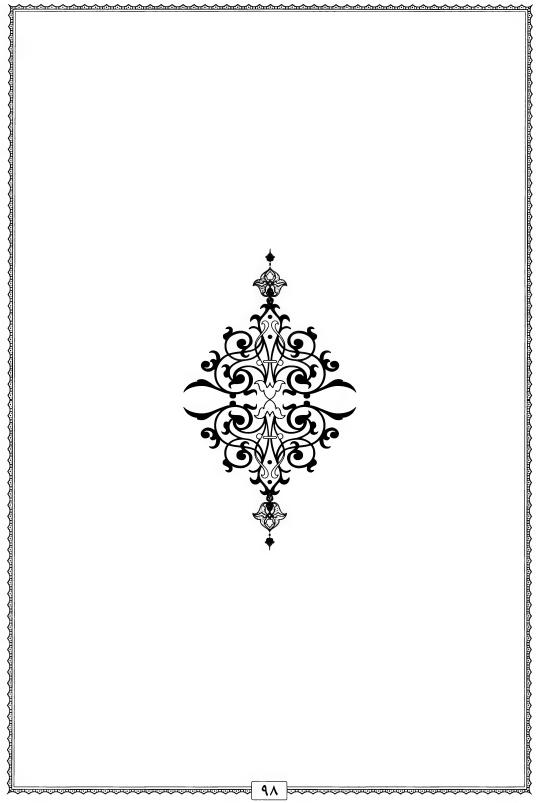
[سُوفسطائيّاً] (١) ، وكلامُهُ معَ الحكيمِ يُسمَّىٰ : مغالطةً ، ومعَ غيرِهِ يُسمَّىٰ : مشاغبةً .

والبرهانُ أشرفُ أنواع الدليلِ ، والحصولُ عليه أحسنُ غايةٍ .

وحيثُ كانَ الغرضُ التكلُّمَ على العلومِ العربيَّةِ ، وكانَ فهمُ كثيرٍ مِنْ مسائلِها فهماً حقيقيًا مُتوقِّفاً على الشعورِ بما أسلفنا مِنَ المسائلِ الحُكْميَّةِ . . وجبَ أن نَقتصِرَ على هلذا القَدْرِ ، ونشرعَ فيما هوَ المقصودُ بالأصالةِ ؛ فنقولُ :

⁽١) في الأصل: (سوفسطي).





[تعريفُ اللغةِ وأقسامُ علومِها]

اللغةُ العربيةُ: ألفاظٌ معدودةٌ عُيِّنَتْ عندَ العربِ للأشياءِ لتحضرَ بها في العقولِ عندَ الإرادةِ ، كانوا يَنطِقونَ بها على صور مُعيَّنةٍ إفراداً وتركيباً .

اللفظُ: يكونُ حرفاً ، ويكونُ أكثرَ ، والحروفُ التي تتكوَّنُ منها الألفاظُ تُسمَّىٰ: حروفَ المباني ، والحروفُ بالمعنى السابقِ في تفصيلِ العبارةِ مِنَ المسائِل المنطِقيَّةِ تُسمَّىٰ: حروفَ المعاني ، وربَّما كانَ حرفُ المعنىٰ حرفَ مبنىً واحداً ، ويكونُ أحرفاً .

وحرفُ المبنى : صوتٌ مقطوعٌ على مقطع مِنَ المقاطعِ التسعةِ والعشرينَ التي تُسمَّىٰ : مخارجَ الحروفِ حَسَبَ ما وُجِدَ فِي اللغةِ العربيةِ .

والصوتُ: كيفيةٌ قائمةٌ بالهواءِ ؛ أي: حالةٌ مسموعةٌ منسوبةٌ إلى الكيفِ الذي فُصِّلَ فِي المَقولةِ الثالثةِ (١).

وتعيينُ اللفظِ للشيءِ بحيثُ يكونُ وظيفةُ اللفظِ إحضارَ ذلكَ الشيءِ في أذهانِ المخاطبينَ عندَ إطلاقِهِ وإرسالِهِ مِنَ الفمِ . . يُسمَّىٰ : وضعاً .

ويُسمَّى الشيءُ الذي وُضِعَ لهُ اللفظُ : معنى ؛ أي : موضعَ العنايةِ والقصدِ ، وإحضارُ اللفظِ معناهُ في ذهنِ مَنْ عَلِمَ وضعَهُ عندَ سماعِهِ يُسمَّىٰ : دلالةً ، واللفظُ : الدالُّ ، والمعنىٰ : مدلولٌ ، وحروفُ اللفظِ تُسمَّىٰ : مادَّتَهُ ، والهيئةُ الحاصلةُ للحروفِ مِنْ تأليفِها وأوصافِها مِنْ حركاتٍ وسكناتٍ تُسمَّى : الصورةَ الإفراديَّةَ ، ومادةُ المُركَّبِ : لفظانِ فأكثرَ ، وصورتُهُ : الهيئةُ الحاصلةُ لهُ مِنْ التأليفِ المُرتَّب علىٰ تألُّفِهِ وارتباطِهِ معنى .

⁽۱) تقدم (۸۲/۱).

والعِلْمُ الذِي يُعرِّفُكَ أوضاعَ الألفاظِ لمعانيها . . هوَ المُسمَّىٰ بعِلْمِ متنِ اللغةِ ، وللألفاظِ باعتبارِ تخالفِها في المعاني التي وُضِعَتْ لها . . أحوالُ بحثَ بعضُ العلماءِ عنها ، وضبطُوها وفصَّلُوها ، وسمَّوْها : فقهَ اللغةِ .

والعِلْمُ الذي يُعرِّفُكَ صورَ الألفاظِ الإفراديَّةِ وكيفيةَ النطقِ بها . . هوَ المُسمَّىٰ بعِلْم الصَّرفِ .

والعِلْمُ الذي يُعرِّفُكَ صورَ المُركَّباتِ ، وأنَّ معانيَ المُركَّباتِ تَختلِفُ باختلافِ صورِها . . هوَ المُسمَّىٰ بعِلْمِ النَّحْوِ .

فالكلامُ على اللغةِ العربيَّةِ في هنذا المَقصِدِ ثلاثةُ أقسام:

- _ قسم فقهِ اللغةِ .
- وقسم الصرف.
 - ـ وقسمُ النحوِ.

وأمّا عِلْمُ متنِ اللغةِ . . فليسَ مِنَ القوانينِ ، وإنّما هوَ سردُ الألفاظِ ، وذكرُ ما لهُ وُضِعَتْ ، وقد أكثرَ الناسُ فيهِ مِنْ وَضْعِ الكتبِ ما بينَ مُكثِرٍ ومُقِلٍ ، وأسهلُها وأنفعُها ما كانَ مُبوّباً بالأواخرِ ، مُفصّلاً بالأوائلِ ، مميّزَ المَوادِّ ؛ ك « قاموسِ » المجدِ ، و « أقيانوسِ » عاصم رحمَهُما اللهُ تعالى (١) ، وسَيرِدُ عليكَ عندَ الكلامِ على فقهِ اللغةِ ألفاظٌ مبينةُ المعنى لا تخرجُنا عن مَقصِدِ بيانِ القوانين .

ولا بأسَ بالتكلُّمِ على أُمَّةِ العربِ بما عسى أن يكونَ مُقيِّداً (٢) فيما إليهِ قصدُنا ، فنقولُ :

⁽١) أراد مجد الدين الفيروزابادي ، وأحمد عاصم العينتابي .

⁽٢) كذا في الأصل ، ولعلها : (مفيداً) .

[لمحةٌ عن أُمَّةِ العرب](١)

أُمَّةُ العربِ : إحدى الأُمم المُتميِّزةِ بالألسنةِ ، والعوائدِ ، والمساكنِ .

أمَّا مساكنُهُم . . فكانَ أوَّلُها أرضَ اليمنِ ، فلمَّا كثروا وانتشروا في البلادِ . . استقرَّ أمرُهُم على سكنى جميعِ اليمنِ وما تحتَها إلى جهةِ الشمالِ مِنْ نجدٍ والحجازِ وتِهامة ، وهيَ في ترتيبِ الهُبوطِ على هلذا الترتيبِ ؛ أخذاً مِنَ الجَنوبِ إلى الشمالِ ، وبعضِ أرضِ الشَّامِ من جهةِ الشمالِ أيضاً ، ومِنْ جهةِ الشَّرقِ الحِيرةُ وما صاقبَهُما ، ويُسمَّىٰ : عراقَ العربِ .

وأمَّا عوائدُهُم . . فكثيرةٌ مُفصَّلةٌ مُبيَّنةٌ في أشعارِهِم وأخبارِهِم ، وقد وُضِعَ لذٰلكَ كتبٌ كثيرةٌ .

منها: أنَّهُم كانوا لا يخالطونَ غيرَ جنسِهِم إلَّا مخالطةَ التجارةِ ؛ يذهبونَ الله أطرافِ بلادِهِم وأطرافِ بلادِ غيرِهِم ، فيعطونَ ما عندَهُم ، ويأخذونَ ما عندَ غيرهِم ، ثمَّ يَرجِعونَ إلى مَقارِّهِم .

ومنها: أنَّهُم كانوا لا يُدخِلونَ في أنسابِهِم دخيلاً مِنْ غيرِهِم ؛ لا مِنْ جهةِ العَصَبِ ، ولا مِنْ جهة الرَّحِمِ ، ويستنكرونَ ذلكَ استنكاراً عظيماً ، حتى إنَّ ذلكَ إذا كانَ في خيلِهِم أو إبلِهِم . . استنكروهُ واستنكفوا منهُ ، وربَّما كانَ بعضُ الأوضاعِ أو مَنْ غلبَتْ عليهِ الأحوالُ البهيميةُ داخَلَ غيرَ العربِ ، وكانَ منهُ نسلٌ ؛ فإذا كانَ الفحلُ عربياً والأُنثىٰ غيرَ عربيةٍ . . شُمِّيَ النسلُ الحاصلُ بينَهُما : هجيناً ، ومنهُ اشتقاقُ الهُجْنةِ ، وهَجَّنهُ ؛ أي : قبَّحَ أمرَهُ ،

⁽١) انظر « الرحيق المختوم » (ص ١٩) .

وإذا كانَتِ الأُنثىٰ عربيةً والفحلُ غيرَ عربيٍّ . . سُمِّيَ النسلُ : [مُقرِفاً] ، فهُم كانوا يتحاشونَ [الإقرافَ] والهُجْنةَ ، بل كانَ بعضُ القبائلِ يحافظونَ علىٰ أنفسِهِم لا يخالطونَ غيرَهُم مِنَ العربِ .

ومنها: محافظتُهُم على الأنسابِ، ومِنْ ذلك كانوا شُعوباً وقبائلَ وعمائرَ وفصائلَ وأفخاذاً وبطوناً وبيوتاً، كلُّ اسمٍ مِنْ هاذهِ الأسماءِ لقبٌ لجماعةٍ يجمعُهُم جَدٌّ، فجدُّ الشَّعْبِ أعلىٰ جدٍّ معروفٍ، وجدُّ البيتِ أدنى الجدودِ إلى جماعةِ البيتِ، فكانَ الواحدُ ينتسبُ فيَعُدُّ مِنَ الجدودِ عدداً متفاوتاً ؛ فمنهُمُ المُقِلُّ والمُتوسِّطُ والمُكثِرُ.

وأعدلُ الأنسابِ نسبُ النبيِّ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، الذي ينتهي بالتحقيقِ إلىٰ عدنانَ ، وإلىٰ عدنانَ تُنسَبُ العربُ العدنانيَّةُ ، وهُم غيرُ أهلِ اليمنِ ، وأهلُ اليمنِ يُسمَّونَ بالعربِ القحطانيَّةِ ؛ نسبةً إلىٰ قحطانَ الذي يُقالُ : إنَّهُ أوَّلُ مَنْ تكلَّمَ باللغةِ العربيَّةِ ، ومنهُ كانَ نَشُؤُها ، وكانَتْ تربيتُها يُقالُ : إنَّهُ أوَّلُ مَنْ تكلَّمَ باللغةِ العربيَّةِ ، ومنهُ كانَ نَشُؤُها ، وكانَتْ تربيتُها وكثرتُها واتساعُها . . بحسب كثرةِ أولادِهِ ، حتى انتهتْ بانتهائِهِم ، ويُقالُ لأولادِ قحطانَ قبلَ دخولِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهِما الصلاةُ والسلامُ فيهِم : العربُ العاربةُ والعَرباءُ ، فلمَّا دخلَ فيهِم إسماعيلُ ، ونشأَ فيهِم ، وتكلَّمَ بلغتِهِم ، ونسلَ حتى قامَ منهُ جيلٌ عظيمٌ (١١ . . قبلَ لهُ ولأولادِهِ : العربُ المُستعربةُ والمُتعرّبةُ .

فالعربُ إذاً قسمانِ: عَرباءُ ومُتعرِّبةٌ ، وأوَّلُ شَعْبِ اسْتَهرَ مِنْ ولدِ إسماعيلَ . . عدنانُ ؛ أوَّلُ النَّسبِ الصحيحِ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ اشتَهرَ نزارٌ ، ثمَّ اسْتَهرَ أربعةُ شعوبٍ مِنْ أولادِ نزارٍ : مُضَرُ ، وربيعةُ الفرسِ ، وإيادٌ ، وأنمارٌ ؛ أولادُ صلبِ نزارٍ ، وصاروا قبائلَ أربعةً كباراً ، ثم اسْتَهرَ

⁽١) قوله : (نَسَلَ) أي : كثر نسله .

كنانة ، ثم اشتَهرَ قريشٌ وبقيَتْ لهُ الشهرة ؛ وهيَ قبيلةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ؛ ولذلكَ يُقالُ : القرشيُّ .

و[سبب] دخولِ إسماعيلَ عليهِ السلامُ في العربِ ، وانتقالِهِ مِنْ أرضِ كنعانَ التي كانَتْ مُهاجَرَ أبيهِ مِنْ بلدِهِ أرفةَ إلى أرضِ الحجازِ : أنَّ إبراهيمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا خرجَ مِنْ بلدِهِ لأسبابِ اقتضَتْ ذلكَ . . تَوطَّنَ أرضَ كنعانَ مِنَ الشام جوارَ بيتِ المقدس ، وأخذَ يطوفُ البلادَ .

فلمَّا نزلَ مصرَ . . كانَ بها إذ ذاكَ مَلِكُ جبَّارٌ ، مِنْ حالِهِ أَنَّ لهُ عيوناً ينظرونَ لهُ في المُتوطِّنينَ والأغرابِ ، فمتىٰ رَأَوُا امرأةً جميلةً . . حملُوها لهُ ، فعثروا بالسيدةِ سارةَ زوجةِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ، فحملوها إليهِ ، وأخذَ إبراهيمُ في توصيتِها يقولُ : تَعلَّمي أَنَّهُ ليسَ علىٰ وجهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيرُكِ ، ولمَّا سُئِلَ عنها إبراهيمُ . . قالَ : هيَ أختي ؛ أي : في الدينِ .

فلمَّا وصلَتْ سارةُ إلى المَلِكِ وهمَّ بالدُّنوِّ منها . . فزعَتْ إلى اللهِ ، وقامَتْ تُصلِّي ، فارتعدَتْ فرائصُ المَلِكِ ، وعَجَزَ عنِ الحركةِ ، فخضعَ لها ، وسأَلَها أن تدعوَ ربَّها الذي قامَتْ تعبُدُهُ وفعلَ بهِ ما حصلَ لهُ ، فدعَتْ ، فسُرِّى عنه .

ثمَّ تكرَّرَ هاذا الحالُ مِراراً حتى أيقنَ أنَّهُ مِنْ ربِّها الذي تعبدُهُ ، فعندَ ذلكَ أخذَ في إكرامِها وإجلالِها هي وزوجِها ، وأهدى لها في ضمنِ ما أهدى مِنَ التحفِ والكرامةِ جاريةً اسمُها هاجَرُ .

فأخبرَتْ إبراهيمَ بما جرى ، وأهدتْهُ تلكَ الجاريةَ ، فواقعَها ، وولدَتْ له إسماعيلَ ، فلحقَتْ سارةَ الغيرةُ الطبيعيَّةُ ، وخافَتِ الافتتانَ في دينِها ، فسألَتْ إبراهيمَ أن يُغيِّبَ عنها الجاريةَ وولدَها ، فأوحى اللهُ إلى إبراهيمَ : أن أسكنْهُما مكَّةَ ، فحملَهُما إليها وهيَ حينَئذٍ ليسَ بها أنيسٌ ؛ لكونِها لا

ماءَ فيها ولا مرعىٰ ، فأكرمَ اللهُ إسماعيلَ ، فأخرجَ لهُ هنالكَ ماءً كثيراً طيباً ومراعى .

واتَّفق أن جازَ بعضُ العربِ وهُم ناسٌ مِنْ قبيلةٍ يُقالُ لها: جُرْهُمُ بنواحي مكَّةَ ، فوجدوا الطَّيرَ صاعداً هابطاً بذلكَ الموضع ، فقصدوهُ ، فوجدوا هنالكَ هاجَرَ وابنَها ، وسألوها أن ينزلوا معَها بذلكَ الموضع ، فاشترطَتْ عليهِم شروطاً عاقدوها عليها ، وسكنوا معَها ، وعُمِرَتْ تلكَ الناحيةُ ، وكانَ بعدَ ذلكَ ما كانَ مِنْ كِبَرِ إسماعيلَ ، وتزوُّجِهِ في جُرْهُمَ ، وتجديدِهِ معَ أبيهِ الكعبةَ ، وغير ذلكَ .

فإسماعيلُ أوَّلُ دخيلٍ مِنَ العجمِ في ولدِ قحطانَ الذينَ همُ العربُ ، ثمَّ كانوا بعدَ ذلكَ يتحاشونَ غايةَ التحاشي مِنْ مداخلةِ العجمِ ، حتى إنَّ إياداً أحدَ الشعوبِ الأربعةِ لمَّا ساكنَتِ الفرسَ وخالطَتْهُمْ . . سقطَتْ منزلتُهُم بينَ العربِ ، واحتُقِروا احتقاراً شديداً ، وعُدُّوا مِنَ العجمِ ، واتُقِيَتْ مداخلتُهُم .

يرشدُكَ إلى تحقُّق ذلكَ : أنَّ قبيلتَيْ تغلبَ وبكرِ اللَّتَينِ يجمعُهما وائلٌ مِنْ بني ربيعة قويَ أمرُهُما ، وعزَّا في العربِ ، وقهرا كثيراً مِنَ الناسِ ، وفي بعضِ الأيامِ نزلَ منهُم رجلٌ بناحيةِ قريةٍ مِنْ بلادِ الفرسِ مِنْ منازلِ إيادٍ ومعَهُ ابنتُهُ ، وكانَتْ مِنْ أجملِ نساءِ العالمِ ، فوشى بها رجلٌ مِنْ إيادٍ يُقالُ لهُ : بردٌ كانَ مِنْ خاصَّةِ مَلِكِ الفُرْس إذ ذلكَ .

فقالَ لهُ المَلِكُ: ما عسى أن تبلغَ منها والعربيةُ تُقدِّمُ القتلَ على أن يغشاها عجميٌ ؟! فقالَ: تُرغِّبُها بمحاسنِ المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمساكنِ والمطاعم (١)، وكثرةِ المالِ والخولِ.

⁽١) كذا تكررت كلمة (المطاعم) في الأصل .

وتمَّ بينَهُما هاذا الحيالُ ، وأرسلَ المَلِكُ فاغتصبَها مِنْ أبيها ، ثمَّ عرضَ عليها جميعَ المشتهياتِ ، وخَوَّفَها بجميعِ العقوباتِ ، ومسَّها بكثيرٍ مِنَ المؤلماتِ ؛ ليرىٰ وجهَها ، فأبَتْ ، وخيَّرتْهُ بينَ أن يقتلَها أو يعيدَها لأبيها ، فلمَّا يئسَ منها . أسكنَها في موضعٍ ، وأجرىٰ عليها الوظائفَ الترقُّهيَّة ، واكتفىٰ برؤيةِ قامتِها تحتَ ملابسِها فِي بعضِ الأحيانِ .

وبسببِ ذلك نشبَتِ الحروبُ بينَ العربِ والفُرْسِ ، حتى قهرَ العربُ الفُرْسَ ، وأخذوا كثيراً مِنْ بلادِهِم ، وكانَ مِنْ بني بكرٍ فارسٌ عظيمٌ يُقالُ لهُ: البراقُ ، يهوى هاذهِ المرأة وهي تهواهُ ، وخطبَها مِنْ أبيها فامتنعَ ، واشتدَّ بينَهُما العشقُ ، والبراقُ لا يرضى بقهرِ أبيها معَ تمكُّنِهِ مِنْ ذلكَ ، وأشارَتِ العربُ عليهِ بهِ ، فما زالَ يحتالُ حتى خلَّصَها وقتلَ مَلِكَ الفُرْسِ .

ومِنْ كلامِ ليليٰ بنتِ لُكَيْزٍ هاذهِ في أثناءِ ما حصلَ لها: [من الرمل]

مَا أُلَاقِي مِنْ بَلَاءٍ وَعَنَا يَا جُنَيْداً أَسْعِدُونِي بِالْبُكَا بِعَذَابِ ٱلنُّكْرِ صُبْحاً وَمَسَا مَلْمَسَ ٱلْعِفَّةِ مِنِّي بِالْعَصَا وَمَعِي بَعْضُ حُشَاشَاتِ ٱلْحَيَا كُلَّ مَا شِئْتُمْ جَمِيعاً مِنْ بَلَا وَيَقِينُ ٱلْمَوْتِ شَيْءٌ يُرْتَجَى أَتَدُلُّونَ عَلَيَّ ٱلْأَعْجَمَا خَالَطَ ٱلْمَنْظَرَ مِنْ بَرْدٍ عَمَى كُلُّ نَصْر بَعْدَ ضُرِّ يُرْدٍ عَمَى كُلُّ نَصْر بَعْدَ ضُرِّ يُرْدَ عَمَى لَيْتَ لِلْبَرَّاقِ عَيْناً فَتَرَىٰ
يَا كُلَيْباً وَعَقِيلاً إِخْ وَتِي
عُلْبَتْ أُخْتُكُم يَا وَيْلَكُمْ
غُلِّبَتْ أُخْتُكُم يَا وَيْلَكُمْ
غُلِّبَتْ أُخْتُكُم يَا وَيْلَكُمْ
غَلَّلُونِي ضَرَبُوا
يَكْذِبُ ٱلْأَعْجَمُ مَا يَقْرَبُنِي
قَيِّدُونِي غَلِّلُونِي وَٱفْعَلُوا
قَيِّدُونِي غَلِّلُونِي وَٱفْعَلُوا
فَانَا كَارِهَةٌ بَعْيَكُمُ
يَا بَنِي كَهْلَانَ يَا أَهْلَ ٱلْعُلَا
يَا إِيَاداً خَسِرَتْ أَيْدِيكُمُ

مِثْلَ تَغْلِيلِ ٱلْمُلُوكِ ٱلْعُظَمَا وَتُطَالَبُ بِقَبِيحَاتِ ٱلْعَنَا لِبَنِي مَبْغُوضَ تَشْمِيرَ ٱلْوَفَا وَٱشْهَرُوا ٱلْبِيضَ وَسِيرُوا لِي ضُحَىٰ وَذَرُوا ٱلْغَفْلَةَ عَنْكُمْ وَٱلْكَرَىٰ وَعَلَيْكُمْ مَا بَقِيتُمْ فِي ٱلدُّنَا أَصْبَحَتْ لَيْلَىٰ يُغَلَّلُ كَفُّهَا وَتُهَ عَيَدُ وَتُكَبَّلُ جَهْرَةً وَتُهَ عَدْنَانَ هُدِيتُمْ شَمِّرُوا قُلْ لِعَدْنَانَ هُدِيتُمْ شَمِّرُوا وَاعْقِدُوا ٱلرَّايَاتِ فِي أَقْطَارِهَا يَا بَنِي تَغْلِبَ سِيرُوا وَٱنْصُرُوا إحْذَرُوا ٱلْعَارَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ

وللعرب في ذٰلكَ المعنىٰ وقائعُ كثيرةٌ .

وأمَّا لسانُهم . . فهوَ هاذا اللسانُ الذي يَتكلَّمُ بهِ أهلُ مصرَ والحجازِ واليمنِ والشامِ ومغربِ مصرَ ، غيرَ أنَّهُ على صورةٍ فاسدةٍ ، خرجَ بها عن كونِهِ لساناً عربيّاً ، وصارَ يُقالُ له : لغةٌ عاميةٌ ، وهوَ لسانٌ قد دخلَ فيهِ الاستحسانُ على أربع مراتبَ :

- المرتبةُ الأُولى: استحسانُ قدماءِ العربِ الذينَ همُ العاربةُ ، فإنّهُم كما قيلَ: كانوا يأخذونَ بعضَ الألفاظِ مِنَ اللُّغاتِ ، فيختصرونَها ويُغيّرونَ أشكالَها إلى أن تصيرَ خفيفةً عذبةً ، وحكى صاحبُ «المثلِ السائرِ»: أنّهُ وردَ في بعضِ سياحتِهِ مصرَ ، فلقيَ رجلاً مِنْ بني إسرائيلَ عالِماً ، فجرى بينهُما ذكرُ اللغةِ بالفصاحةِ والمَلاحةِ ، فقالَ اليهوديُّ: كيفَ لا تكونُ فصيحةً مليحةً وهيَ مُنتخَبةٌ مِنَ اللغاتِ ؟! ومَثّلَ لذلكَ بلفظِ الجملِ فقالَ : إنّهُ كانَ بالعبرانيّةِ ([كوميل]) فغيّرَ إلى ما سمعتَ ، فصارَ عذباً فصيحاً (٢)

⁽١) قولها: (وتقيد وتكبل) كلاهما بالسكون لضرورة الشعر.

⁽٢) المثل السائر (١٩٣/١) .

- المرتبةُ الثانيةُ : استحسانُ إسماعيلَ عليهِ السلامُ وأوائلِ أولادِهِ ، فقد كانَتْ لهُ لغةٌ عربيَّةٌ فصيحةٌ تُنسَبُ إليهِ بشهادةِ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقد سُئِلَ : ما لكَ يا رسولَ اللهِ أفصحُنا ، ولم تخرجْ مِنْ بينِ أظهرِنا ؟ قالَ : « إِنَّ لُغَةَ إِسْمَاعِيلَ كَانَتْ دَرَسَتْ ، فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ فَحَفِظْتُهَا » (١٠) .

وسببُ دروسِ لغةِ إسماعيلَ: ما جرى بينَ أولادِهِ مِنَ الحُروبِ الضُّرْسِ (٢) التي فَنِيَ بها منهُم كثيرٌ ، وتَشتَّتَ منهُم في البلادِ كثيرٌ ، وبحكمِ العادةِ أنَّ الإنسانَ إذا خالطَ أهلَ لسانٍ . . غلبَ عليهِ وغَيَّرَ لسانَهُ .

- المرتبةُ الثالثةُ : استحسانُ قريشٍ ، وهم سُكّانُ مكّةَ وما حولَها ؛ فقد كانَتِ العربُ تَرِدُ إليهِم في موسمِ الحجِّ كلَّ سنةٍ ، فيقيمونَ عندَهُم قريباً مِنْ خمسينَ يوماً ؛ ثلاثةَ أيامٍ بسوقِ ذي المَجازِ ، وسبعةً بسوقِ مَجَنَّة ، وثلاثينَ بسوقِ عكاظٍ ، والباقي في مواضعِ مناسكِ الحجِّ ، يَعرضونَ عليهِم أشعارَهُم ، ويتحاكمونَ في قضاياهم ، ويتعاقدونَ ويتعاتبونَ . . . إلىٰ غيرِ ذُلكَ مِنَ الأمورِ التي تقتضي كثرةَ المقاولةِ ، فكانوا ينتخبونَ مِنْ سائرِ لغاتِ العربِ ما حَلِيَ في الذَّوقِ ، وخَفَّ على السمعِ ؛ مثلاً : يسمعونَ الحَوْجَمَ والحَوْجمةَ بفتح الحاءِ وسكونِ الواوِ ، والوردَ والوردة ، فيستعملونَ الثانيَ ، ويجتنبونَ الأُولَ .

هنذا ما كان قبل مجيء الإسلام.

- فلمَّا جاءَ الإسلامُ ، وحصلَتِ الدعوةُ إلى الاجتماعِ العامِّ والمخالطةِ الشاملةِ . . جاءَتِ المرتبةُ الرابعةُ مِنَ الاستحسانِ ؛ وهوَ استحسانُ فُطناءِ

⁽١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/٤) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

⁽٢) الضُّرْس _ جمع ضَرُوس _ : وهي الحرب الطاحنة .

الناسِ مِنْ بقايا العربِ وغيرِهِم ، الذينَ نصبوا أنفسَهُم لضبطِ اللغةِ العربيةِ مفرداتٍ ومُركَّباتٍ ، وتدوينِها في كتبٍ ، ونوَّعَتْهُم مقاصدُهُم أنواعاً .

فمنهُم نَقَلَةُ المفرداتِ على صورِها وبيانِ معانيها ، ذاهبينَ إلى تمييزِ اللغاتِ إلى مشهورٍ . اللغاتِ إلى مشهورٍ .

ومنهُم نَقَلَةُ صورِ المُركَّباتِ ، مُنبِّهينَ على اختلافِ معانيها باختلافِ صورِها ، ذاهبينَ أيضاً إلى تمييزِ الفصيح مِنْ غيرِ الفصيح .

ومنهُم نَقَلَةُ الأشعارِ والخُطَبِ وعالي الكلامِ ، مُنبِّهينَ على محاسنِ السياقاتِ ، ولطائفِ العباراتِ ، وعلى توشُعاتِ العربِ في الاستعمالاتِ .

ومِنْ ذلكَ تَنوَّعَتِ العلومُ الباحثةُ عنِ اللغةِ العربيَّةِ مُميَّزةً بالألقابِ وجهاتِ البحثِ .

[فشوُ اللحنِ سببٌ لوضع علم النحوِ]

والذي دعا الناسَ إلى النُّهُوضِ في التفتيشِ في أحوالِ اللغة : أنَّ العربَ لمَّا بعثَهُمُ الإسلامُ في البلادِ ، واختلطوا بغيرِ جنسِهِمُ اختلاطَ المعاشرةِ والمصاهرةِ . . حصلَ في مُدَّةٍ يسيرةٍ تغييرٌ عظيمٌ في اللغة ، وفشا بينَ الناسِ اللحنُ ، وصارَ مَنْ يضبطُ مِنَ العربِ لسانَهُ عنِ اللحنِ يفتخرُ بذلكَ ، كما وردَ أنَّ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ حضرَ يوماً مجلسَ عبدِ المَلِكِ بنِ مروانَ ، فجرَتُ مخاطبةٌ بينَهُ وبينَ الوليدِ بن عبدِ المَلِكِ .

فكانَ مِنْ كلامِ خالدٍ التمدُّحُ بالسلامةِ مِنَ اللَّحنِ ، والغضُّ مِنَ الوليدِ بكونِهِ لَحَّانةً (١).

⁽۱) انظر « تاریخ دمشق » (۳۱۰/۱۶) .

ولبعض شعراء العرب (١):

[من البسيط]

قِ إِلَى ٱبْنِ عَمِّكَ وَٱذْكُرْهُ بِإِحْسَانِ

قُ لَيْسَتْ بِخَزِّ وَلَا مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ

عُلْويَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَانِ

أَبَا ضُبَيْعَةَ لَا تَعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ أَمَا تَرانِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ أَمَا تَرانِي وَأَثْوابِي مُقَارِبَةٌ فَإِنَّ فِي ٱلْمَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي

ومِنَ اللَّحنِ في العربِ ما دعا إلى وضع النحوِ ؛ وذلكَ أنَّ رجلاً مِنْ أصحابِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ يُقالُ لهُ : أبو الأسودِ ظالمٌ الدُّؤليُّ ، قالَتْ لهُ ابنتُهُ ليلةً : يا أبتِ ؛ ما أحسنُ السماءِ !! بضمِّ نونِ (أحسنُ) وكسرِ همزةِ (السماءِ) ، فقالَ لها : نجومُها ، فقالَتْ : أنا مُخبِرةٌ لا سائلةٌ ، فقالَ لها : كانَ يلزمُ أن تقولي : ما أحسنَ السماءَ !! بفتحِ النونِ والهمزةِ .

فلمّا أصبح . . أخبر بذلك عليّاً رضي الله عنه ، وسأله النظر في طريقة لله لحفظ اللغة العربيّة مِنَ الضّياع ، فقالَ له عليٌ رضي الله عنه : الكلام كلّه لا يخرجُ عن اسم وفعلٍ وحرف جاء لمعنى ؛ فالاسم : ما أنباً عن المُسمّى ، والعرف : ما ليسَ كذلك ، ثمّ قال : انحُ والفعل : ما أنباً عن حركة المُسمّى ، والحرف : ما ليسَ كذلك ، ثمّ قال : انحُ هذذا النحو يا أبا الأسود .

ومِنْ هنا جاءَ الاسمُ للعِلْمِ الباحثِ عن حالِ المُركَّباتِ ، فبدأَ لهُ علمُ النَّحْوِ (٢) ، وتكلَّم أبو الأسودِ بعدَ ذلكَ ، وأخذَ الناسُ في تتميمِهِ .

ولا غروَ أن يسرعَ الفسادُ إلى اللغةِ العربيةِ والأطفالُ يَتعلَّمونَ التلفُّظَ أَوَّلاً مِنْ أُمَّهاتِهِم ، فإذا كنَّ عجمياتٍ لا يَقدِرنَ على التكلُّمِ بصحيحِ اللغةِ . . فكيفَ تبقى صورةُ اللغةِ العربيةِ ؟!

⁽۱) نسبت الأبيات لسويد بن أبي كاهل اليشكري كما في « ديوانه » (ص ٤١) ، وانظر « البيان والتبين » (١٦٧/١) .

⁽٢) أي : أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه ، أو : (فبدا له) بمعنى : ظهر .

وقد ابتُدِئَ التعليمُ والتأديبُ في أوائلِ أيامِ مُلْكِ بني أُميَّةَ ، فكانَ المَلِكُ يُحضِرُ لأولادِهِ وأولادِ أتباعِهِ مِنَ العلماءِ مَنْ يُؤدِّبُهُم ، ويُعوِّدُ ألسنتَهُم على التكلُّمِ بفصائح اللغاتِ ، ويُلقِّنُهم مختارَ الأشعارِ .

وكانَ للمُؤدِّبينَ معَ الأطفالِ نوادرُ ؛ منها : أنَّ مُؤدِّبَ أولادِ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ _ وكانَ اسمُهُ عبدَ الصمدِ _ وردَ عليهِ غلامٌ مِنْ أولادِ عظماءِ بني أميَّةَ ليُؤدِّبَهُ معَ أولادِ المَلِكِ ، وكانَ غلاماً جميلاً ، فاتفقَ في بعضِ الأيَّامِ أن أُميَّةَ ليُؤدِّبَهُ معَ أولادِ المَلِكِ ، وكانَ غلاماً جميلاً ، فاتفقَ في بعضِ الأيَّامِ أن أساءَ المُؤدِّبُ أدبَهُ معَ ذلكَ الغلامِ ، فقامَ يعدو للمَلِكِ ، وتَمثَّل بينَ يدَيهِ وقالَ شعراً :

إِنَّهُ وَٱللهِ لَهُ لَا أَنْهَ لَهُ لَهُ الصَّمَدُ الصَّمَدُ وَٱللهِ لَهُ لَهُ الصَّمَدُ الصَّمَدُ فقالَ المَلِكُ : ولماذا ؟ فقالَ الغلامُ :

إِنَّهُ قَدْ رَامَ مِنِيِّي خُطَّةً لَمْ يَرُمْ هَا قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدْ فقالَ المَلِكُ: وما رامَ ؟ فقالَ الغلامُ:

رَامَ جَـهْ للَّ بِـي وَجَـهْ للَّ بِـأَبِـي يُولِجُ ٱلْعُصْفُورَ فِي خِيسِ ٱلْأَسَدْ

ثمَّ أَخذَ التعليمُ في التزايدِ والكثرةِ بتزايدِ انتشارِ المسلمينَ في البلادِ ، وظهورِ تغيُّرِ اللسانِ ، إلى أن تَقرَّرَتِ العلومُ المُتعلِّقةُ باللغةِ ، وتَهذَّبَتْ بعدَ أن كانَتْ مُختلِطةً كثيرةَ السَّقْطِ والغلطِ ، خفيةَ الدلالةِ ، عسيرةَ الإرشادِ ، كما هو شأنُ الأمورِ المُتجدِّدةِ ، فبتلاحقِ الأفكارِ يتزايدُ حسنُ المخترعاتِ وإتقانُها ، حتىٰ لو بذلَ واحدٌ همَّتَهُ وكانَ جيدَ الحفظِ والضبطِ . . أمكنَهُ في مُدَّةٍ غيرِ طويلةٍ أن يقفَ علىٰ أمر اللغةِ العربيَّةِ .

ومِنْ حيثُ كونُ اللغةِ قد فسدَتْ صورتُها في الصَّدر الأوَّلِ ، وتزايدَ فسادُها

⁽١) انظر « محاضرات الأدباء » (١١٠/١ _ ١١١) .

كما شرحنا . . كانَتْ ألفاظُها معدودةً ؛ إذ لم يبقَ مِنْ أهلِها مَنْ يُنسَبُ إليهِ ما يَضطرُ تجدُّدُ الأحوالِ واستكشافُ الأشياءِ إلى وضعِهِ مِنَ الألفاظِ للأشياءِ التي يَتجدَّدُ ظهورُها والاطلاعُ عليها ، فلا جرمَ تكونُ ألفاظاً غيرَ عربيَّةٍ ما لم تكنْ مأخوذة بطريقِ الاشتقاقِ مِنْ ألفاظِهِم ، وذلكَ أمرٌ عسيرٌ ، ومحتاجٌ إلى نظرِ جمٍّ غفيرٍ ، والتنبيهُ على ما حصلَ مِنَ الفسادِ في اللغةِ يَقرُبُ أن يكونَ مُعجِزاً ، وقد تَعرَّضَ لذلكَ بعضُ المغاربةِ ؛ فوضعَ فيهِ كتاباً ، فلم يأتِ بطائلٍ عظيمٍ .

وإذا قراً الطالبُ العلوم ، وعرف الصحيح . . عرف الفساد ، ولا بأس بالتنبيهِ على البعضِ ليظهرَ الداعي إلى وضعِ العلومِ غايةَ الظُّهورِ ؛ فمِنْ عادةِ العامَّةِ إبدالُ الذالِ المعجمةِ حيثُما كانَتْ دالاً مهملةً ، فيقولونَ في عادةِ العامَّةِ إبدالُ الذالِ المعجمةِ حيثُما كانَتْ دالاً مهملةً ، فيقولونَ في (ذا وذي) : دَهْ ، ودِي ، وفي (حاذقٍ) : حادئ ، فيبدلونَ القاف همزةً حيثُما كانَتْ ، ويبدلونَ الثاءَ المثلثةَ تاءً مثناةً فوقيةً أو سيناً ؛ فيقولونَ في (ثابتٍ) : تابت ، وفي (ثوبٍ) : توب ، وفي (ثُمَّ) : سم ، ويحذفونَ بعضَ الحروفِ ، ويبدلونَ الحركاتِ ؛ فيقولونَ في (وجهٍ) مثلاً : وش ، فهاذا يَضطرُّ إلىٰ وضعِ علم متن اللغةِ .

ويقولونَ : (فلان يوعد ويخلف) بكسرِ الياءِ وسكونِ ما بعدَها ، والصَّوابُ : يَعِدُ ويُخْلِفُ ؛ بفتحِ الياءِ الأُولَىٰ ، وحذفِ الواوِ ، وضمِّ الياءِ الثانيةِ ، ويقولونَ : (إوعه) بهمزةٍ مكسورةٍ وواوٍ ساكنةٍ ، والصَّواب : (عِهْ) بلا همزةٍ ولا واوٍ ، فهاذا وأمثالُهُ أوجبَ وضعَ علم الصَّرْفِ .

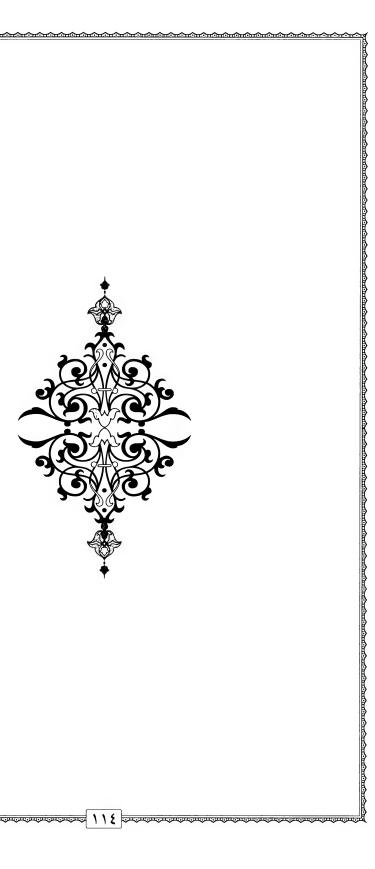
ثمَّ اللغةُ العامِّيَّةُ وإن كانَتْ بهاذهِ المنزلةِ مِنَ الفسادِ مُشتمِلةٌ على كثيرٍ مِنَ الله العربيَّةِ الفصيحةِ بحَسَبِ الحاجةِ ، ومُتضمِّنةٌ كثيراً مِنْ محاسنِ السياقاتِ ولطائفِ الكناياتِ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الأمورِ التي يُسمَّى العالِمُ بها

111

العاملُ بمقتضاها: فصيحاً بليغاً ، كما يَتبيَّنُ ذلكَ عندَ التكلَّمِ على علومِ البلاغةِ ، فإذا تأمَّلَ المُتعلِّمُ في كلامِ الناسِ . . سَهُلَ عليهِ كثيرٌ مِنَ المسائلِ البلاغةِ ، فإذا تأمَّلَ المُتعلِّمُ في كلامِ الناسِ . . سَهُلَ عليهِ كثيرٌ مِنَ المسائلِ التي صعَّبَتْها وأبعدَتْ فهمَ معناها العباراتُ الاصطلاحيَّةُ والمناظراتُ فيها ؛ بحيثُ يَقرُبُ أن يُخرَجَ غيرُ المعتادِ إلى المعتادِ .

وقدْ آنَ أن نشرعَ في بيانِ الأقسامِ الثلاثةِ التي ضمَّنَاها هاذا المَقصِدَ ؛ فنقولُ:





[تقاسيم الكلمة]

سبقَتِ الإشارةُ إلى أنَّ فقهَ اللغةِ: هو العلمُ الباحثُ عن أحوالٍ عامَّةِ للألفاظِ (١) ، ولنوردُ ذلكَ في ثلاثةِ تقاسيمَ وتتميمِ:

التقسيمُ الأوَّلُ (٢): اللفظُ

- إمَّا أَن يُعيِّن لشخصٍ ؛ وهوَ - كما عرفتَ في المسألةِ الخامسةِ مِنَ المسائلِ المَنطِقيَّةِ - الموجودُ البالغُ إلىٰ غايةِ التمييزِ ، فيُسمَّى اللفظُ حينَئذِ باسم الشخصِ وعَلَم الشخصِ .

- وإمَّا أن يُعيِّنَ لأمرٍ كلِّيٍّ مشروطاً استعمالُهُ في مُعيَّنٍ عندَ المُخاطَبِ معروفٍ لهُ بسببِ انضمامِ أمرٍ آخَرَ ملحوظٍ لهُ هوَ المُعيِّنُ للمرادِ ، ويُسمَّىٰ ذلكَ الأمرُ: قرينةَ المرادِ باللفظِ ، ويُسمَّى اللفظُ الذِي هنذا شأنه: معرفةً بالقرينةِ ، ويُسمَّىٰ عَلَمُ الشخص: معرفةً بنفسِهِ .

- وإمَّا أَن يُعيِّنَ لأمرٍ كلِّيٍّ غيرِ مشروطٍ فيهِ ذلكَ ؛ بحيثُ يكونُ صالحاً لأن يُرادَ بهِ مُبهَماً يُرادَ بهِ مُلكَ الأمرُ الكليُّ ، فيكونُ المرادُ بهِ مُبهَماً على المُخاطَبِ ، ويُسمَّىٰ : نكرةً .

ثمَّ الأمرُ الكليُّ الذي عُيِّنَ لهُ اللفظُ المُسمَّىٰ نكرةً:

- إمَّا أَن يكونَ جنساً مِنَ الأجناسِ الجوهريَّةِ ، ويُسمَّى اللفظُ حينَئذِ : اسمَ جنسِ جوهريًّا جامداً .

⁽١) انظر (١٠٠/١) .

⁽٢) انظر « إتحاف الإنس في العلمين واسم الجنس » للعلامة الأمير الكبير .

- وإمَّا أَن يكونَ جنساً مِنَ الأجناسِ العَرَضيَّةِ ، ويُسمَّى اللفظُ المُعيِّنُ لهُ: اسمَ جنس عَرَضيّاً جامداً ، ويُسمَّىٰ : مصدراً ، فلهُ اسمانِ .

- وإمّا أن يكونَ أمراً إجماليّاً يمكنُ للعقلِ أن يفصلَهُ إلى عَرَضٍ منسوبٍ ، وإلى نسبةٍ ، وإلى منسوبٍ إليهِ ، وحينَئذٍ إن كانَ الملحوظُ أوّلاً حالةَ الاستعمالِ هوَ العَرَضَ ، والملحوظُ ثانياً النسبةَ ، والملحوظُ ثالثاً المنسوبَ إليهِ المُعيّنَ عندَ المُتكلّمِ ملاحظةً وعندَ المُخاطَبِ حُكْماً ؛ بحيثُ يكونُ مُنتظِرَ العبارةِ عنهُ فقطْ . . يُسمَّى اللفظُ المُعيّنُ لذلكَ : فِعْلاً .

وإن كانَ الملحوظُ أوَّلاً هوَ المنسوبَ إليهِ ، والملحوظُ ثانياً النسبةَ ، والملحوظُ ثانياً النسبةَ ، والملحوظُ ثالثاً المنسوبَ العَرَضَ . . سُمِّيَ اللفظُ المُعيّنُ لذلكَ : مُشتقاً .

- وإمَّا أن يكونَ الأمرُ الكلِّيُ نسبةَ أمرٍ لأمرٍ وارتباطَهُ بهِ ، أو حالَ نسبةٍ يُعيِّنُ لهُ اللفظُ مشروطاً استعمالُهُ في نِسَبٍ مُعينةٍ مُتبدِّلةٍ بتبدُّلِ المعاني والتراكيبِ ، أو اللفظُ الذي هاذا أو في أحوالٍ كذلك ؛ طلباً لمعرفتِهِ ، أو إخباراً بهِ . . يُسمَّى اللفظُ الذي هاذا شأنُهُ : حَرْفاً .

ومِنْ هنذا التقسيمِ يخرجُ تنويعُ اللفظِ إلى الاسمِ والفعلِ والحرفِ بينةَ الحقائق .

وبتأمُّلِ ما سبقَ تَعرِفُ ضوابطَ عديدةً لكلِّ نوعٍ مِنْ هاذهِ الأنواعِ الثلاثةِ ، وهاذا تقسيمٌ إجماليٌّ لِلَّفظِ ، ولأجلِ تمامِ المعرفةِ وجبَ أن نتكلَّمَ على أقسام اللفظِ قِسْماً ؛ فنقولُ :

قِسْمُ العَلَمِ (١)

العَلَمُ: اسمٌ مُعيِّنٌ لشخصٍ لا يُرادُ بهِ غيرُهُ وَضْعاً ، ولا يُخرِجُهُ عن ذلكَ عُروضُ الاشتراكِ فيهِ بعدُ وإن أحوجَ إلىٰ قرينةٍ تُعيِّنُ المرادَ بهِ حالةَ الاستعمالِ ؟ ولذلكَ يُسمَّىٰ: معرفةً بالنفسِ .

ويَنقسِمُ العَلَمُ إلى : ألقابٍ ، وكُنيَّ ، وأسماءٍ .

فالاسم : هوَ الموضوعُ أوَّلاً لغرضِ تمييزِ المُسمَّىٰ بهِ عن غيرِهِ عندَ الحاجةِ لذٰلكَ .

واللقبُ: ما وُضِعَ ثانياً لذلكَ الغرضِ ولغرضِ الإشعارِ بالمدحِ أو الذمِّ ؛ تفاؤُلاً أو استهزاءً.

والكُنيةُ: ما صُدِّرَتْ بأبِ أو أُمِّ ، أو ابنِ أو بنتٍ .

فالاسمُ : كزيدٍ ، وخالدٍ ، وعمرِو ، وعيسىٰ ، وموسىٰ .

واللقبُ: كفخرِ الدِّينِ ، وعَلَمِ الدِّينِ ، وسيفِ الدَّولةِ ، وعَضُدِ الدَّولةِ ، وعَضُدِ الدَّولةِ ، والمستعينِ باللهِ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنْ ألقابِ الخُلفاءِ والسلاطينِ وسائرِ الناسِ ، وكبطَّةَ ، وأنفِ الناقةِ .

والكُنيةُ: كأبي بكرٍ ، وأبي حفصٍ ، وأُمِّ هانئ ، وأُمِّ كُلثومٍ ، وابنِ بطوطةَ ، وابنِ المراغةِ ، وبنتِ بري (٢٠) .

وقد أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالمبادرةِ إلى وضع الكُنى،

⁽١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١٢٦/١) .

⁽٢) كذا في الأصل ، ولعلها : (بنت برح) ، وهي الشدة .

فقالَ : « ٱكْنُوا أَوْلَادَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَغْلِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَلْقَابُ » (' ' ، ونهى اللهُ جلَّ ذكرُهُ في كتابِهِ العزيزِ عنِ التنابزِ ؛ أي : الترامي بالألقابِ ، فقال : ﴿ وَلَا تَنَابَرُواْ فِي كَتَابِهُ الْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ (' ') .

وقد سمَّتِ العربُ بمفرداتٍ .

وبمركباتٍ تامَّةٍ ؛ ك (بَرَقَ نَحرُهُ) و (تَأبَّطَ شرّاً) و (شابَ قرناها) .

وبمُركَّبٍ ناقصٍ إضافيِّ ؛ ك (عبدِ شمسٍ) و(أبي قُحافةً) .

وبمُركَّباتٍ مزجيَّةٍ ؛ بمزجِ الكلمتَينِ وجعلِهِما كلمةً واحدةً ؛ كـ (بعلبكً) و(مَعدِيكربَ) و(سيبويهِ) و(درستويهِ) .

وأسماءُ الأشخاصِ: للنَّاسِ ، والبلادِ ، والأقطارِ ، والجبالِ ، والبحارِ ، وبعض الحيوانِ .

وقد عاملَ العربُ بعضَ الأجناسِ معاملةَ الأشخاصِ ، فوضعوا لها أعلاماً أجروا عليها أحكامَ الأعلامِ الشخصيَّةِ ؛ لكونِهِم ميَّزوها مِنْ بينِ الأجناسِ ، ورأوا بها معنى خاصًا ، فهُم لا يزالونَ يستحضرونَها .

مِنْ ذَلْكَ: تسميتُهُمُ الأسدَ: أسامةَ ؛ لظهورِ شرِّهِ عندَهُم، وخوفِهِم إيَّاهُ، وتسميتِهِمُ الثعلبَ: ثُعالةَ، وتكنيتِهِ بأبي الحصينِ ؛ لكثرةِ إفسادِهِ في غنمِهم، وامتناعِهِ منهُم.

وهلكذا كلُّ جنسٍ سَمَّوهُ ؛ فإنَّهُ لا بدَّ أن يكونَ راعَوْا فيهِ معنى مميزاً مُحْوجاً إلى تمييزهِ وإفرادِهِ بالعبارةِ عنهُ .

⁽١) أخرجه الدارقطني ، كما في « أطراف الغرائب والأفراد » (٢٩٩٩) ، وكذا أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٠٧٦) عن سيدنا ابن عمر رضى الله عنهما .

⁽٢) سورة الحجرات : (١١) .

وقد سمَّوْا بعضَ الأجناسِ المعنويَّةِ ؛ فَسمَّوا المَبرَّةَ : برَّةَ ، بغيرِ ميمٍ ، وسَمَّوُا الفُجورَ : فَجَار ؛ ك (نَزَالِ) ، قالَ الشاعرُ (١٠) : [من الكامل]

إِنَّا ٱقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةَ وَٱحْتَمَلْتَ فَجَارِ

وسَمَّوُا الغدرَ كَيْسَانَ كسكرانَ ، ومنهُ (٢): [من الطويل]

إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى ٱلْغَدْرِ أَسْعَىٰ مِنْ شَبَابِهِمُ ٱلْمُرْدِ

وسَمَّوُا اليسرَ يَسَار كفَجار ، ومنهُ (٣): [من الطويل]

فَقُلْتُ ٱمْكُثِي حَتَّىٰ يَسَار لَعَلَّنَا نَحُجُّ مَعاً قَالَتْ وَعَاماً وَقَابِلَهْ

* * *

⁽١) هو للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ٥٥) .

⁽٢) هو للنمر بن تولب في « ديوانه » (ص ٦٠) .

⁽٣) هو لحميد الأرقط كما في « خزانة الأدب » (٣٢٧/٦ ، ٣٣٨) .

قسمُ المعارفِ بالواسطةِ (١)

هي ستة أصنافٍ:

الصِّنفُ الأوَّلُ : الضمائرُ

ضمائرُ المُتكلِّمِ مَعرِفةٌ بقرينةِ حكايتِهِ عن شخصِهِ الحاضرِ ، ومثلُها ضمائرُ المُتكلِّمِ مَعرِفةٌ بقرينةِ حكايتِهِ عن شخصِهِ الحاضرِ ، ومثلُها ضمائرُ المُخاطَبِ ، وضمائرُ الغائبِ لا تُذكرُ إلَّا بعدَ ذكرِ ما يدلُّ على الغائبِ مِنَ الأسماءِ الظاهرةِ ؛ فلا يجيءُ الضميرُ إلَّا ومعناهُ مُعيَّنٌ ملحوظٌ ، وبيانُ الضمائر يأتي بعدُ .

الصِّنفُ الثاني: أسماءُ الإشارةِ

وهي أسماءٌ موضوعةٌ لكلّ مُشارٍ إليهِ بإحدى الجوارحِ حاضرٍ مُبصَرٍ ، ودليلُ أنّهُ المقصودُ بعينِهِ: الإشارةُ إليهِ ، وألفاظُهُ: (ذا) لمفردٍ مذكرٍ قريبٍ ، و(ذاكَ) و(ذلكَ) لمفردٍ مُذكّرٍ بعيدٍ أو أبعدَ ، و(ذي) و(ذه) و(تي) و(تيه) و(تا) و(ذاتُ) للمفردةِ المؤنثةِ القريبةِ ، و(تيكَ) و(تلكَ) للبعيدةِ أو البُعدىٰ ، و(ذاتِ) للاثنينِ القريبينِ ، و(ذانِكَ) للبعيدينِ ، ولا تَدخلُهُ اللامُ ، و(تانِ) للاثنينِ القريبينِ ، و(تانِكَ) للبعيدينِ ، و(أولاءِ) مُشترَكةٌ بينَ ور تانِ) للاثنتينِ القريبينِ ، و(تانِكَ) للبعيدتينِ ، و(أولاءِ) مُشترَكةٌ بينَ جماعتي الذُّكورِ والإناثِ ، وأهلُ الحجازِ يأتونَ بالهمزةِ بعدَ الألفِ ، وتميمٌ لا ، ويُقالُ في البعدِ : (أولائكَ) و(أولاكَ) .

ويُشارُ بهاذهِ الأسماءِ إلى كلِّ شيءٍ ، وتَختصُّ الأمكنةُ بأسماءٍ يُشارُ بها إليها ؛ وهيَ : (هنا) للمكانِ القريبِ ، و(هناكَ) و(قَمَّ) _ بفتح

⁽١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١٣٨/١ ـ ١٧٦) .

المثلثة _ للبعيدِ ، ويُؤتى عندَ اختلاطِ ما يُشارُ إليهِ بغيرِهِ باسمِ جنسِ المُشارِ المُشارِ المُشارِ المُشارِ إليهِ ؛ ليَتِمَّ بهِ التمييزُ ؛ فتقولُ : ذلكَ الرجلُ ، وذلكَ الكتابُ .

الصِّنفُ الثالثُ : الأسماءُ الموصولةُ

وهي أسماءٌ تُعبِّرُ بها عنِ الشيءِ الذي علمتَ أنَّ مُخاطبَكَ عرفَهُ بسببِ اطلاعِهِ على حالٍ مِنْ أحوالِهِ عَيَّنَتُهُ عندَهُ ، فالواسطةُ في تعينِهِ عهدُ المُخاطَبِ إيَّاهُ بتلكَ الحالِ ، والعبارةُ عنِ الحالِ التي هي صفةُ معنى الموصولِ تُسمَّىٰ : صلةً ، وللصلةِ أحكامٌ تُبيَّنُ عندَ الكلام على الجملِ مِنْ قسم النحوِ .

الأسماءُ الموصولةُ هي : (الذي) للمفردِ المذكرِ ، و(التي) للمفردةِ المؤنثةِ ، و(اللَّذانِ) للاثنينِ ، و(اللَّتانِ) للاثنتينِ ، و(اللَّلىن) و(الأللى) لجماعةِ الذكورِ ، و(اللَّاتِي) و(اللائِي) لجماعةِ الإناثِ ، وهاذهِ الأسماءُ تُسمَّىٰ بالموصولاتِ المُختصَّةِ (١٠).

ومِنَ الموصولاتِ أسماءٌ تُسمَّىٰ بالموصولاتِ المُشترَكةِ ؛ وهيَ : (مَنْ) لذوي العِلْم ، و(ما) لغيرهِم ، و(أل) و(أيْ) ك (ما) .

وتُستعمَلُ الأسماءُ الموصولةُ في أجناسٍ ، وفي جميعِ أفرادِ جنسٍ ، وفي فردٍ معهودٍ ، وضابطُ ما يُستعمَلُ في جميعِ الأفرادِ : أن يَصِحَّ دخولُ (كلٍّ) عليهِ ، عليهِ ، وضابطُ ما يُستعمَلُ في الجنسِ ألَّا يَصِحَّ دخولُ (كلِّ) عليهِ .

مثالُ ما يُرادُ بهِ الجنسُ: (الذي تثيرُ بهِ الأرضَ، وتسقي الحرثَ نوعُ لحمِهِ داءٌ، ولبنُهُ شفاءٌ) فإنَّهُ لا يَصِحُ أن تقولَ: (كلُّ واحدٍ نوعُ...).

ومثالُ ما يُرادُ بهِ جميعُ الأفرادِ: قولُكَ: (اللهُ يعلمُ الذي غابَ ، والذي حضرَ). حضرَ) فإنَّه يَصِعُ أن تقولَ: (اللهُ يعلمُ كلَّ شيءٍ غابَ ، وكلَّ شيءٍ حضرَ).

⁽١) المختصة ؛ أي : التي ليست بمشتركة .

ومثالُ ما يُرادُ بهِ واحدٌ معهودٌ: قولُكَ: (الذي كانَ عندَنا أمسِ رجلٌ آتاهُ اللهُ الحكمةَ وفصلَ الخطاب).

الصِّنفُ الرابعُ: [المُحلَّىٰ بر أل)]

الشيءُ المعهودُ القائمُ الصورةِ في الذهنِ بسببِ حضورِهِ أو شهرتِهِ . . يُعبَّرُ عنهُ باسم جنسِهِ مُفتتَحاً بكلمةِ (أل) ويُسمَّىٰ حرفَ التعريفِ :

وحينَئذِ يُسمَّى الاسمُ المقرونُ بها: ذا الأداةِ والمُحلَّىٰ به (أل) نحوُ: خذِ الكتابَ ، واقرأ الكتابَ بينَ يدَيكَ ، وقَدِمَ الأميرُ ، ونحوُ: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَاۤ إِلَىٰ فَرَعَوْنَ الرَّسُولَ ﴾ (١) .

ويُستعمَلُ ذو الأداةِ كما يُستعمَلُ الموصولُ ، وعندَ استعمالِهِ في الجنسِ تُسمَّىٰ (أل): (أل) الجنسيَّةَ ، وعندَ استعمالِهِ في جميعِ الأفرادِ تُسمَّىٰ: (أل) الاستغراقية ، وعندَ استعمالِهِ في المعهودِ تُسمَّى: العهديَّة .

مثالُ ما يُستعمَلُ في الجنسِ: قولُكَ: (الرجلُ حيرٌ مِنَ المرأةِ) فإنَّ المعنى: هاذا النوعُ إجمالاً خيرٌ مِنْ هاذا النوعِ ، ولا يَسوعُ أن تلاحظَ في التفضيلِ تفصيلَ الأشخاصِ ؛ فلو قلتَ: (كلُّ رجلٍ خيرٌ مِنْ كلِّ امرأةٍ).. كذبَ الكلامُ به (مريمَ) مثلاً وكثيرٍ مِنَ الرجالِ ، ونظيرُ ذلكَ: (القائمُ أكثرُ مِنَ القاعدِ ، والماشي أقلُّ مِنَ الراكبِ) إذ لا يمكنُ أن تقولَ: (كلُّ قائمٍ أكثرُ) لأنَّ الواحدَ لا يُوصَفُ بالكثرةِ .

ومثالُ استعمالِهِ في المعهودِ : قولُكَ : (صبيحةَ يومِنا جاءَ الرجلُ وأخبرَني بكذا) لمعهودِ بينَكَ وبينَ مُخاطَبكَ .

⁽١) سورة المزمل : (١٥ _ ١٦) .

الصِّنفُ الخامسُ: المُضافُ لشيءٍ مِنَ المعارفِ

ويُستعمَلُ كما يُستعمَلُ الموصولُ وذو الأداةِ ، والأحكامُ تُميِّزُ المرادَ مِنْ جنسٍ وغيرِهِ ؛ فما يُرادُ بهِ الجنسُ هوَ موضوعُ القضيَّةِ الطبيعيَّةِ ، وما يُرادُ بهِ جميعُ الأفرادِ هوَ موضوعُ القضيةِ الكليةِ ، وما يُرادُ بهِ شخصٌ مُعيَّنٌ مِنَ الأعلامِ والضمائرِ وأسماءِ الإشارةِ والموصولاتِ وذي الأداةِ والمُضافاتِ . . هوَ موضوعُ القضيَّةِ الشخصيَّةِ .

وقد يُرادُ بالأشياءِ التي لها الاستعمالاتُ الثلاثةُ واحدٌ ما ملحوظٌ تَعيُّنهُ بتعيُّنِ جنسِهِ ، حيثُ يَحصُلُ الغرضُ بواحدٍ مِنْ آحادِ الجنسِ ؛ فهوَ مُعيَّنٌ مِنْ جهةٍ ، مُبهَمٌ مِنْ جهةٍ ، ويُسمَّى : المعهودَ الذهنيَّ ؛ مثلُ قولِكَ : (ادخلِ الشُوقَ فاشترِ لنا طعاماً) فإنَّكَ لا تريدُ سُوقاً بشخصِهِ ، بل تريدُ واحداً مِنْ هاذا الجنسِ لحصولِ الغرضِ ، فتعريفُ الموصولِ وذي الأداةِ والمضافِ أربعةُ أنواعٍ ، لكلِّ نوعٍ مواضعُ تخصُّهُ مِنَ الكلامِ .

الصِّنفُ السادسُ : الاسمُ المقرونُ به (يا)

المطلوبُ بهِ إقبالُ شخصِ بعينِهِ مُتوجَّهِ إليهِ ؛ مثلُ : (يا رجلُ ، ويا زيدُ) .

فالمعارفُ سبعٌ: مَعرِفةٌ بنفسِها ؛ وهي الأعلامُ الشخصيَّةُ ، والأعلامُ الشخصيَّةُ ، والأعلامُ الجنسيَّةُ ، والعلمُ الجنسيُّ بمنزلةِ ذي الأداةِ الذي يُرادُ بهِ الجنسُ ، إلَّا أنَّ الإشارةَ إلى التعيُّن بنفس اللفظِ في الأولِ ، وبكلمةِ (أل) في الثاني .

* * *

قِسْمُ اسمِ الجنسِ الجوهريِّ الجامدِ

هوَ: كإنسانِ ، وحيوانِ ، وأسدِ ، وحَجَرٍ ، وشجرٍ ، وماءِ ، ونارِ ، ويُقسَمُ إلىٰ ثلاثةِ أنواع :

- نوعٌ يُسمَّىٰ: أسماءَ الجنسِ الأحاديَّةَ .
- ونوعٌ يُسمَّىٰ : أسماءَ الجنسِ الجمعيَّة .
- ـ ونوعٌ يُسمَّىٰ : أسماءَ الجنسِ الإفراديَّةَ .

فالأوَّلُ: هوَ ما وُضِعَ للجنسِ ليُرادَ بهِ كلُّ واحدٍ مِنْ آحادِهِ لا يَتميَّزُ بهِ واحدٌ عن واحدٌ عن واحدٍ ؛ كإنسانٍ ، وأسدٍ ، وشجرةٍ ، ومَدَرةٍ .

الثاني: هوَ ما وُضِعَ للجنسِ يُستعمَلُ في كلِّ جماعةٍ مِنْ جماعاتِ الجنسِ إلى الجميعِ ، فلا يُستعمَلُ في غيرِ الجماعةِ ؛ كشجرٍ ، ومَدَرٍ ، وتمرٍ ، وبقرٍ . وهذانِ النوعانِ فيما إذا تَفصَّلَتْ أفرادُ الأجناسِ وتَشخَّصَتْ ؛ بحيثُ تُعدُّ فيكونُ فيها الآحادُ والجماعاتُ ، وإذا دخلَتْ على اسمِ الجنسِ الجمعيِّ التاءُ . . صارَ للواحدِ ؛ كشجرٍ وشجرةٍ ، ومَدَرٍ ومَدَرةٍ ، ورملٍ ورملةٍ ؛ فذو التاءِ للواحدِ ، والمُجرَّدُ منها للجماعةِ ، إلَّا في لفظِ (كَمْءٍ وكمأةٍ) ، فذو التاءِ للجماعةِ ، والمُجرَّدُ للواحد .

والثالثُ: ما وُضِعَ ليُستعمَلَ في الكثيرِ والقليلِ منهُ حيثُ لم تكنْ لهُ آحادٌ مُفصَّلةٌ مُتميِّزةٌ ؛ كأسماءِ السَّوائلِ ؛ مِنْ ماءٍ ، وزيتٍ ، وسَمْنٍ ، وعسلٍ ؛ فإنَّ المُفصَّلَ منها لو جمعتَهُ . . صارَ شيئاً واحداً ، بخلافِ الأجناس ذوي الآحادِ .

178

قسم المصدر

عرفتَ المرادَ به ، ولفظُهُ يكونُ على صور كثيرةِ يأتي شرحُها في قسمِ الصَّرفِ ، ومعناهُ مُطلَقٌ يَتقيَّدُ بالنسبِ إلى مُتعلَّقاتِهِ ، ويَتبيَّنُ في قسمِ النحوِ ، كما أنَّ الكلامَ على قسمَيِ الفعلِ والمُشتقِ يأتي بعضُهُ في قسمِ الصَّرفِ ، وبعضُهُ في قسم النحوِ .

* * *

قسمُ الحروفِ

بيانُ معاني حروفِ المعاني مِنْ وظيفةِ عِلْمِ متنِ اللغةِ ، وتُذكَرُ في عِلْمِ النحوِ لاحتياجِهِ إلى [بعضِها] ، ورأيتُ إيرادَها في هاذا الموضعِ لتجيءَ المسائلُ الموقوفةُ على معرفتِها بينةً واضحةً ، ليسَ فيها إحالةٌ ؛ فنقولُ :

[أحرف الإضافةِ]

سبعةَ عشرَ حرفاً تُسمَّىٰ: أحرفَ الإضافةِ ؛ لكونِها لربطِ معنىٰ كلمةٍ بمعنىٰ كلمةٍ بمعنىٰ كلمةٍ ، والمربوطُ بهِ يُسمَّىٰ: مُتعلِّقاً بكسرِ اللامِ ، والمربوطُ بهِ يُسمَّىٰ: مُتعلَّقاً بفتحِها ؛ وهي : (مِنْ ، وإلىٰ ، وعن ، وعلىٰ ، وعدا ، وحاشا ، وخلا ، وفي ، وكاتُ ، ولامٌ ، وباءٌ ، [وواوٌ] ، وتاءٌ ، ومُذْ ، ومُنذُ ، وحتىٰ ، وكي) .

الكلام في (مِنْ) : بكسرِ الميمِ وسكونِ النونِ ، وتُفتَحُ لوقوعِ (أل) بعدَها ، وتُكسَرُ لوقوع ساكنٍ آخَرَ ، [وهيَ] مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

- الأوَّلُ: كونُ موضع أو وقتٍ - وهما مدلولُ ما بعدَها - مَبدأً مسافةِ فعلٍ ؛ وهوَ مدلولُ ما قبلَها ؛ مثالُهُ: (سعيتُ مِنَ الصَّفا، وطُفتُ مِنَ الصُّفا، وطُفتُ مِنَ الصُّبح).

_ الثاني : كونُ ما بعدَها عِلَّةً لِمَا قبلَها ؛ مثالُهُ : (أكرمتُكَ مِنْ عِلْمِكَ) وكثيراً ما يُذكَرُ بعدَها كلمةُ (أَجْلِ) فيُقالُ : (مِنْ أَجْلِ عِلْمِكَ) .

- الثالثُ : كونُ ما قبلَها مُبعِّضاً لِمَا بعدَها ؛ مثالُهُ : (أنفقْ مِنْ مالِكَ . . نُخلَفْ عليكَ) .

- الرابعُ: كونُ شيءٍ بدلَ شيءٍ بتعويضٍ أو بغيرِ تعويضٍ ؛ مثالُهُ: (ارغبُ في الأعلىٰ مِنَ الأدنىٰ).

- الخامسُ: كونُ ما بعدَها هوَ الجنسَ المرادَ مِنْ أجناسٍ يَحتمِلُها لفظُ سابقٌ عليها ، وتُسمَّى: البيانيَّة ؛ مثالُهُ: (أنتَ علي ما أسلفتَ مِنْ خيرٍ مأجورٌ).

الكلامُ في (إلىٰ) : بكسرِ الهمزةِ ، وألفُها بدلٌ مِنْ ياءٍ تظهرُ في بعضِ الكلام ، وهيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

_ الأوَّلُ: كونُ ما بعدَها مِنْ مكانٍ أو وقتٍ غايةَ مسافةِ فعلٍ ، وهي في مقابلةِ (مِنْ) الابتدائيةِ ؛ تقولُ: (سارَ مِنَ المغربِ إلى المَشرِقِ ، مِنَ الصُّبحِ إلى العصرِ) .

_ الثاني : كونُ ما قبلَها مصاحباً لِمَا بعدَها ؛ كقولِكَ : (فلانٌ شَرَّفَهُ كَرَمُ حَسَبٍ وعُلُوُّ نَسَبٍ إلىٰ طبع نقيٍّ) .

ـ الثالث : كونُ ما بعدَها مفعولاً لِمَا قبلَها لا فاعلاً ، وهاذه تقعُ في تركيبِ (أحبَّ) في مقابلةِ (لامٍ) تدلُّ على أنَّ ما بعدَها مفعولٌ لِمَا قبلَها ؛ كقولِك : (زيدٌ أحبُّ إليَّ مِنْ عمرٍ و) فه (إلى) تدلُّ على أنَّ ما بعدَها محبوبٌ ، بخلافِ (أحبُّ لي) فاللامُ للدلالةِ على أنَّ ما بعدَها مُحِبُّ (١) ، ومثلُ (أحبً) : (أبغضُ) ، وتُسمَّى (اللَّامُ) و(إلى) في هاذا التركيبِ : حرفي التبيينِ .

⁽١) كذا في الأصل ، والذي في « حاشية الصبان على الأشموني » (Υ \ Υ) : (اعلم : أن ما بعد « إلى » التبيينية فاعل ، وما قبلها مفعول ، واللام التبيينية بعكس ذلك ؛ فإذا قلت : « زيد أحب إليَّ » . . كنت أنت المحبوب وزيد المحبوب ، وإذا قلت : « زيد أحبُّ لي » . . كنت أنت المحبوب وزيد المحب) .

الكلامُ في (عَنْ) : بسكونِ النونِ ، وتُكسَرُ لوقوعِ ساكنٍ بعدَها ، ومعناها : كونُ شيءٍ فارقَ شيئاً بعدَ اجتماع .

الكلامُ في (علىٰ): (علىٰ) ألفُها بدلٌ مِنْ ياءِ تظهرُ في بعضِ الكلامِ ، ومعناها: كونُ شيءٍ فوقَ شيءٍ حِسّاً أو معنىً ؛ نحوُ: (زيدٌ واقفٌ على الأرضِ علىٰ نيَّةِ المَشْي).

الكلامُ في (عدا) و(حاشا) و(خلا): معنى هذه الحروفِ: كونُ ما بعدَها مصروفاً عنهُ حكمٌ على أمرٍ شاملٍ للمصروفِ عنهُ وغيرِهِ ؟ مثلُ: (خرجَ أهلُ البلدِ عدا زيدٍ ، وحاشا عمرِه ، وخلا بكرٍ).

الكلامُ على (في) : هيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

ـ الأوَّلُ: كونُ ما بعدَها ظرفاً لِمَا قبلَها.

- الثاني: كونُ ما بعدَها سبباً ؛ كقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « دَخَلَتِ ٱمْرَأَةٌ ٱلنَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاش ٱلْأَرْضِ » (١٠).

_ الثالثُ : كونُ شيءٍ فوقَ شيءٍ ؛ فهيَ ك (علىٰ) نحوُ : ﴿ وَلَأَصَلِبَنَّكُمُ فِي جُذُوعِ ٱلتَّخْلِ ﴾ (٢) .

⁽١) أخرجه البخاري (٢٣٦٥) ، ومسلم (٢٢٤٢) عن سيدنا ابن عمر رضى الله عنهما .

⁽٢) سورة طنه : (٧١) .

الكلامُ في (الكافِ) : هيَ مُشترِكةٌ بينَ معنيَينِ :

_ أحدُهما: كونُ ما قبلَها شبيهاً لِمَا بعدَها.

ـ وثانيهما : كونُ ما بعدَها عِلَّةً لِمَا قبلَها .

مثلُ : (زيدٌ كالقمرِ) ، ومثلُ : ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ (١) .

الكلامُ في (اللامِ) : وهيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

_ أحدُها: كونُ ما قبلَها مملوكاً لِمَا بعدَها أو مُنزَّلاً منزلتَهُ.

ـ وثانيها: كونُ ما بعدَها عِلَّةً.

- وثالثُها : كونُهُ نهايةً (٢) .

* *

الكلامُ في (الباءِ) : هيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

_ أحدُها: كونُ ما قبلَها مُلصَقاً بما بعدَها.

_ وثانيها : كونُهُ مُصاحِباً ؛ مثلُ : (اشترى الفرسَ بسرجِهِ ، وأخذَ الشيءَ برمَّتِهِ وبأسرهِ) .

- وثالثُها: كونُ ما بعدَها ظرفاً.

_ ورابعُها : كونُهُ سبباً ؛ مثلُ : ﴿ فَظِلْمِ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَزَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَتٍ أُعِلَّتَ لَهُمْ ﴾ (٣) .

⁽١) سورة البقرة : (١٩٨) .

⁽٢) مثال الأول ؛ وهو لام الملك : (المالُ لزيد) ، ومثال ما نزل منزلة الملك : (أدومُ لكَ ما تدومُ لي) ، ومثال الثاني ؛ وهو كون اللام بمعنىٰ (إلى) التي لانتهاء الغاية قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبُّكَ لَتَخَا لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٥] .

⁽٣) سورة النساء: (١٦٠).

- ـ وخامسُها: كونُهُ عوضاً.
- _ وسادسُها: كونُهُ آلةً ، وتُسمَّىٰ : باءَ الاستعانةِ .
- وسابعُها: كونُ ما بعدَها مُقْسَماً ومحلوفاً بهِ لتأكيدِ الدَّعوىٰ أو الاستعطافِ، والواوُ والتاءُ كالباءِ في معنى القَسَم لغيرِ الاستعطافِ.

الكلامُ في (مُذْ) و(مُنْذُ) : هما بمعنى (مِنْ) إن صحبَتا زماناً ماضياً ، وبمعنى (مِنْ) و(إلى) إن صحبَتا وماناً حاضراً ، وبمعنى (مِنْ) و(إلى) إن صحبَتا زماناً ماضياً بعضُهُ ؛ مثلُ : (مُذْ أوَّلِ يومِ ، ومُذْ يومِنا ، ومُذْ عامِ ، ومُذْ يومَينِ) .

الكلامُ في (حتىٰ): معناها: كونُ ما بعدَها غايةً لِمَا قبلَها في أمرٍ مُرتَّبٍ في الذِّهنِ شَرَفاً أو خِسَّةً ؛ مثلُ: (اقرأ العِلْمَ حتى السَّحَرِ).

الكلامُ في (كَيْ): هيَ في هاذا البابِ لا تَصحَبُ إلَّا كلمةَ سؤالِ ؛ وهيَ (ما) مثلُ: (كَيْمَهُ) فهي للعلَّةِ المطلوبةِ بـ (ما).

[أحرفُ المعاني]

حرفا التشبيهِ: هما الكافُ السابقة ، و(كأنَّ) مثلُ: (كأنَّ زيداً قمرٌ) .

أحرفُ التوكيدِ: وهيَ التي تفيدُ بها أنَّكَ جازمٌ بنسبةِ أمرٍ إلى أمرٍ: (إِنَّ) بكسرِ الهمزةِ ، و(أَنَّ) بفتجها ، ولامٌ تُسمَّىٰ: (لامَ الابتداءِ) نحوُ: (لَزيدٌ أفضلُ مِنْ عمرٍو) ، و(قَدْ) وتَختصُّ بالأفعالِ .

حرفُ الاستدراكِ (للكنَّ) ، والاستدراكُ : رفعُ وَهْمٍ نشأً مِنَ الكلامِ السابقِ ؛ نحوُ : (فلانٌ عالمٌ ، للكنَّهُ سيِّعُ الخُلُق) .

حرفُ التمنِّي (ليتَ)، والتمنِّي: تَشوُّفُ النفسِ وطلبُها حصولَ ما لا يمكنُ أو يَبعُدُ.

حرفُ التوقُّع (لعلَّ) ، ويُقالُ : الترجِّي والترقُّبِ .

أحرفُ النَّفْيِ : هيَ (ما) و(لا) و(لن) و(لم) و(لمَّا) و(إنْ) و(لاتَ).

أحرفُ الجوابِ : (نَعَمْ) و(بللي) و(أَجَلْ) و(جَيْرِ) و(إِنَّ) ، و(إِيْ) .

ف (نَعَمْ) و (أَجَلْ) و (جَيْرِ) و (إِنَّ) : لتصديقِ المُخبِرِ ، ووعدِ الطالبِ ، و إعلامِ السائلِ ، و (لا) ضدُّها ، و (بلئ) لإبطالِ نَفْيِ سابقٍ ، و (إِيْ) يَعْلِبُ وقوعُها بعدَ الاستفهام ، ويَصحَبُها القَسَمُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَسْتَلْبِعُونَكَ أَحَقُّ وقوعُها بعدَ الاستفهام ، ويصحَبُها القَسَمُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَسْتَلْبِعُونَكَ أَحَقُّ وَقَلُ اللهِ عَلَىٰ اللهِ مَا اللهُ مَا اللهِ مَا اللهُ عَلَىٰ واوِهِ ، وإلحاقِ هاءِ تُسمَّىٰ : هاءَ السكتِ ، تقعُ في مواضعَ مِنْ كلام العربِ ، يأتي بيانُها في قسم الصَّرفِ .

أحرفُ النداءِ : وهوَ التصويتُ طلباً للإقبالِ : (أَيْ) و(أَيَا) و(آ) و(يا) وهمزةٌ مفردةٌ .

⁽١) سورة يونس: (٥٣).

حرفُ العَرْضِ : وهوَ الطلبُ برفقٍ : (أَلَا) .

أحرفُ التحضيضِ : وهوَ الطلبُ بشدَّةِ : (ألَّا) و(هلَّا) و(لولا) و(لوما) .

حرفا الاستفهام: الهمزةُ و(هلْ)، (هلْ) لطلبِ التصديقِ، فيكونُ المُتكلِّمُ بها غيرَ حاكم بوقوعِ النسبةِ ، يَطلُبُ أَن تُعلِمَهُ ليحكمَ ، والهمزةُ مثلُها ، ولطلبِ التصوُّرِ ، فيكونُ المُتكلِّمُ بها حاكماً بوقوعِ النسبةِ ، مُتردِّداً بينَ فاعلَينِ ، أو مفعولَينِ ، أو مكانَينِ ، أو زمانَينِ ، أو حالَينِ ، أو غيرهِما ، وبعدَ الهمزةِ التي لطلبِ التصوُّرِ يُؤتئ بـ (أَمْ) وتُسمَّىٰ : (أمِ) المُتصِلةَ والمُعادِلةَ .

همزةُ التسويةِ : هيَ التي تقعُ بعدَ (سواءٍ) غالباً ، ويُؤتى معَها بـ (أمِ) المُتصِلةِ ، كما يُؤتى بها معَ همزةِ الاستفهام .

[أحرف الشَّرطِ]

أحرفُ الشرطِ : (إنْ) و(لو) و(أمَّا) و(لولا) و(لمَّا) .

ف (إِنْ) لتعليقِ حصولِ أمرٍ على أمرٍ آخَرَ مشكوكٍ في حصولِهِ ، للكنْ بفَرْضِ حصولِهِ يلزمُ حصولُ ما علقتَهُ بهِ ووقفتَهُ عليهِ ، وهاذا هوَ معنى لفظِ (الشَّرْطِ).

وتمامُ الكشفِ عن ذلكَ : أنَّ كلَّ أمرٍ مُتردَّدٍ بينَ أن يكونَ وألَّا يكونَ . . لا بدَّ لهُ مِنْ سببٍ يُرجِّحُ أحدَ طرفَيهِ ، وربَّما تَوقَّفَ تَحقُّقُ ما يُرجِّحُهُ السببُ على شروطٍ ، فمتى وُجِدَ السببُ وتمَّتِ الشروطُ . . وجبَ حصولُ المُسبَّبِ ؛ مثلُ قولِكَ : (إن طلعَتِ الشمسُ ولم يَحجُبْها الغَمامُ . . أضاءَتِ الآفاقُ) فطلوعُ قولِكَ : (إن طلعَتِ الشمسُ ولم يَحجُبْها الغَمامُ . . أضاءَتِ الآفاقُ) فطلوعُ

الشمس سببٌ للإضاءة ، وعدمُ حَجْبِ الغَمامِ شرطٌ ، فالعبارةُ الواقعةُ بعدَ (إنْ) عبارةٌ عن سببِ أو شرطٍ ، فهي لتعليقِ الأمورِ المستقبلةِ .

وأمَّا (لو) . . فهيَ لربطِ أمرِ بأمرٍ والحكمُ باللزومِ بينَهُما في الماضي ، ولها في اللغةِ ثلاثةُ استعمالاتٍ :

- الأوَّلُ: أن يُفادَ بها أنَّ شيئاً انتفى وامتنعَ وجودُهُ لانتفاءِ سببِهِ أو شرطِهِ ؟ كقولِ الشاعر (١٠):

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ وَلَاكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ

وحينَئذِ يكونُ المرادُ منها: هاذا المعنى يُستدرَكُ برفعِ ما يليها ؛ وهوَ المُقدَّمُ ، ليرتَفِعَ ما يليهِ ؛ وهوَ التالي .

- الاستعمالُ الثاني: أن يُفادَ بها أنَّ مضمونَ التالي واقعٌ على كلِّ حالٍ ؟ وذلكَ حيث يُعلَّقُ حصولُهُ على ما ينافيه ، فإذا كانَ واقعاً معَ ما ينافيه . فوقوعُهُ معَ ما يلائمُهُ أولى ؟ كقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في بعضِ الصَّحابةِ : « إِنَّ سَالِماً شَدِيدُ ٱلْحُبِّ لِلهِ ، لَوْ لَمْ يَخَفِ ٱلله َ . . لَمْ يَعْصِهِ » (١) فعدمُ العصيانِ يلائمُهُ الخوفُ ، فلمَّا عُلِّقَ على المُنافي . . عُرِفَ أنَّه واقعٌ على فعدمُ العصيانِ يلائمُهُ الخوفُ ، فلمَّا عُلِّقَ على المُنافي . . عُرِفَ أنَّه واقعٌ على أيِّ حالٍ فُرِضَتْ ، وحينَئذٍ يكونُ المرادُ منها : هذا المعنى لا يُستدرَكُ ؟ إذِ الغرضُ التقريرُ .

ـ الاستعمالُ الثالثُ : أن يُفادَ بها أنَّ بينَ مُقدَّمِها وتاليها لزوماً ؛ فيُستدَلُّ بوقوعِ المُقدَّمِ الملزومِ على وقوعِ التالي اللازمِ ، ويُستدَلُّ بانتفاءِ التالي اللازمِ على انتفاءِ المُقدَّمِ المُقدَّمِ المُقدَّمِ المُقدَّمِ المُقدَّمِ ليثبتَ التالي ، ويُستدرَكُ بانتفاءِ التالي لينتفي المُقدَّمُ .

⁽١) هو أُبي بن أبي سلمي بن ربيعة بن ريَّان ، كما في « الزهرة » (٢٤٣/٢) .

⁽Y) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٧٧/١) عن سيدنا عمر رضى الله عنه .

مثالُ ذلك : قولُكَ : (لو كانَ زيدٌ عالماً . . أحبَّ العلماءَ ، للكنَّهُ عالِمٌ ؛ فهو يُحِبُّ العلماءَ . . فهوَ ليسَ بعالم) .

ولمَّا كانَ اللازمُ قد يكون لازماً لأكثرَ مِنْ شيءٍ ؛ كالمُسبَّبِ الذي لهُ أسبابٌ كلُّ واحدٍ منها يكفي لوجودِهِ . . لم يكنْ وجودُ اللازمِ المُسبَّبِ دليلاً على انتفاءِ دليلاً على انتفاءِ المُسبَّب .

مثالُ ذلك : الضَّوءُ ؛ فإنَّهُ يَتسبَّبُ عنِ الشمسِ ويَتسبَّبُ عنِ النارِ ، فلا يكونُ وجودُهُ دليلاً على وجودِ الشمسِ ، ولا يكونُ انتفاءُ الشمسِ دليلاً على انتفاءِ الضَّوءِ .

وهاذا الاستعمالُ لـ (لو) هوَ المبحوثُ عنهُ في عِلْمِ المَنطِقِ ؛ لأنَّهُ هوَ العِلْمُ الباحثُ عن حالِ الاستدلالِ ، وجميعُ استعمالاتِ (لو) واردةٌ في الكتاب العزيز .

- فالأوَّلُ: كقولِهِ: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ (١)؛ أي: للكنَّهُ لم

- والثاني: كقولِهِ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقَلَمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُهُ, مِنْ بَعْدِهِ عَلَى أَي شَبَعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتَ كَلِمَتُ ٱللَّهِ ﴾ (١٠) ؛ أي: فكلماتُ اللهِ غيرُ متناهيةٍ على أي حال فُرضَ.

- والثالثُ : كقولِهِ : ﴿ وَلَقَ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لَأَعَدُواْ لَهُ عُدَّةً ﴾ (٣) ؛ أي : للكنَّهُم لم يُعِدُّوا ، فهوَ دليلٌ على عدم إرادتِهِمُ الخروجَ .

⁽١) سورة الأنفال : (٢٣) .

⁽٢) سورة لقمان : (٢٧) .

⁽٣) سورة التوبة : (٤٦) .

وأمَّا كلمةُ (أمَّا) . . فهيَ للتحقيقِ في صورةِ التعليقِ .

مثلاً: تقولُ: أنا مسافرٌ الحجازَ، فيقولُ لكَ إنسانٌ: إنَّ الوقتَ شديدُ الحرّ، والطرقَ مَخوفةٌ، ولولا ذلكَ . . لصحبتُكَ .

فتقولُ : (أمَّا أنا . . فمسافرٌ) ومعناهُ : مهما يكنْ مِنْ حرٍّ أو بردٍ أوِ اعتدالٍ ، أو أمن أو خوفٍ . . فأنا مسافرٌ .

استغنَتِ العربُ بكلمةِ (أمَّا) عن (مهما يكنْ) وبيانِ (مهما) ، وزحلقَتِ الفاءَ اللازمةَ لـ (أمَّا) عن موضعِها ، فبانَ أنَّ الغرضَ مِنْ تركيبِ (أمَّا) هوَ التحقيقُ بصورةِ التعليق .

وأمَّا (لولا) . . فهي لإفادةِ انتفاءِ شيءٍ لوجودِ آخَرَ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْلَا وَأَمَّا (لولا) . . فهي لإفادةِ انتفاء شيءٍ لوجودِ آخَرَ ؛ أي : انتفى الفسادُ لوجودِ الدَّفع .

ويُقالُ في (لولا): (لوما).

وأمَّا (لمَّا). . فهي لإفادة حصولِ أمرٍ لحصولِ سببِهِ في الماضي ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَمَّا ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْإِنْرِي ﴾ (٢) .

وغيرُ سيبويهِ وأتباعِهِ يقولُ: إنَّ (لمَّا) هاذهِ اسمٌ بمعنى (إذ) مِنْ أسماءِ الزمنِ الماضي (٣).

أحرفُ التنبيهِ: (يا) و(ألاً) و(أمَا) ويُستفتَحُ بهاذهِ الكلامُ ، والتنبيهُ يُنبئُ عن الاعتناءِ ، و(ها) وتَصحَبُ أسماءَ الإشارةِ التي ليسَ معَها لامٌ ؟

⁽١) سورة البقرة : (٢٥١) .

⁽٢) سورة يونس : (٩٨) .

⁽٣) انظر « شرح التصريح على التوضيح » (٣٩/٢ _ ٤٠) .

مثلُ: (هنذا) و(هاذاكَ) فلا يُقالُ: (هاذالِكَ) ، وتَصحَبُ ضميراً مصحوباً باسمِ إشارةٍ ؛ مثلُ: (هنأنذا) ، و(هنأنتَ ذا) ؛ لدقّةِ الإشارةِ ، وصغرِ لفظِها ، وغلبةِ الإشكالِ في المُشار إليهِ .

وتَصحَبُ وتعقبُ كلمةَ (أيِّ) مثلُ : (يا أيُّها الإنسانُ) .

أحرفُ التشريكِ بينَ شيئينِ في حكمٍ أو حصولٍ :

الفاءُ و(ثُمَّ): للتشريكِ والترتيبِ ، معَ الاتصالِ في الأُولىٰ والفوريَّةِ ، ومعَ الانفصالِ في الثانية والمهلةِ ؛ مثلُ : (قرأَ زيدٌ فعمرٌو) أو (ثمَّ عمرٌو) ، أو (قرأَ زيدٌ فقرأَ عمرٌو) أو (ثمَّ مدرٌ) ، وربَّما أفادَتِ الفاءُ سببيةَ السابقِ للَّحقِ .

والواوُ و(حتى): للتشريكِ المطلقِ ، بترتيبٍ وبغيرِ ترتيبٍ ، باتصالٍ وغيرِهِ ؛ مثلُ : (خرجَ زيدٌ وعمرٌه) ، وزيدٌ قبلُ أو بعدُ أو مقارنٌ .

لَكُنْ (حتى) لا تكونُ إلَّا معَ ذي أجزاءٍ أو جزئياتٍ ، ويكونُ ما بعدَها غايةً لِمَا قبلَها في خِسَّةٍ أو شرفٍ ؛ مثلُ : (خرجَ أهلُ البلدِ للنزهةِ حتى الكنَّاسونَ ، أو أُمراؤُها) .

حرفُ الترديدِ للشكِّ ، أوِ التشكيكِ ، أوِ الإبهامِ (أو) مثلُ : ﴿ وَإِنَّا أَوَ الْإِبهامِ (أو) مثلُ : ﴿ وَإِنَّا أَوَ التَّكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالِ مُّبِينِ ﴾ (١) ، وتكونُ للتخييرِ بينَ أمرَينِ لا يجوزُ جمعُهُما عقلاً أو شرعاً ؛ مثلُ : (تكلَّمْ أوِ اسكتْ) ، و(تزوَّجْ

⁽١) سورة سبأ : (٢٤) .

هنداً أو أُختَها)، وللإباحةِ عندَ جوازِ الجمعِ؛ مثلُ: (جالسِ العلماءَ أوِ الزُّهَّادَ).

حرفُ الإضرابِ والإعراضِ ؛ أي : الانتقالِ مِنْ ضَرْبٍ إلى ضَرْبٍ ، وعُرْضٍ المعين - إلى عُرْضٍ : كلمةُ (بلْ) وهي مثلُ : (جاءَ زيدٌ بل عمرٌو) ، و(أَحسِنْ إلى زيدٍ بل عمرو) ظاهرةٌ في صرفِ الحكمِ عنِ الأوَّلِ وتخصيصِهِ بالثاني ، معَ جوازِ اشتراكِهِما ، فإذا قلتَ : (لا بل) . . كانَ صرفُ الحكمِ قطعيًا ، وفي مثلِ : (ما أساءَ زيدٌ بل عمرٌو) و(لا تُهِنْ زيداً بل عمراً) لتقريرِ ما سبق ، والانتقالِ بضدِّهِ لِمَا بعدَها ، وما فيهِ تقريرُ السابقِ يُسمَّىٰ : إضراباً ما سبق ، وما فيهِ رفعُ السابقِ يُسمَّىٰ : إضراباً إبطاليًا .

وتُستعمَلُ كلمةُ (أم) بمعنى (بل) فقطْ ، وبمعنى (بل) والهمزةِ جميعاً في بعضِ الكلامِ ، وحينَئذٍ تُسمَّىٰ : (أمِ) المُنقطِعةَ في مقابلةِ (أمِ) المُتصِلةِ ، التي سبقَ القولُ بأنَّها تكونُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ التصوُّريِّ ، وبعدَ همزةِ التسويةِ (۱).

حرفُ التفصيلِ (إمَّا) بكسرِ الهمزةِ : مثلُ : (إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرٌو) . وتقومُ مقامَ الثانيةِ (أو) مثلُ : (إمَّا زيدٌ أو عمرٌو) .

حرفُ النَّهْي (لا) : في مثلِ : (لا تَحقِرْ نفسَكَ) .

⁽١) انظر (١٣٢/١).

حرفُ الأمرِ اللامُ: في مثلِ: (لِيَحسُنْ رأيُكَ ، فلْيَزِدْ جِدُّكَ ، ولْتَطِبْ نفسُكَ ، ثمَّ لِتطلُبْ كلَّ خيرٍ) ، وتُسكَّنُ بعدَ الواوِ والفاءِ ، وتُكسَرُ معَ غيرهِما .

حرفُ الاستثناءِ (إلَّا): مثلُ : (كلُّ الكلامِ حسنٌ ، إلَّا كلاماً أعقبَ شرّاً) .

أحرفُ التعليلِ : (مِنْ) ، واللامُ ، والكافُ ، والفاءُ ، والباءُ ؛ مثلُ : (أكرمُ زيداً مِنْ أَنَّهُ حكيمٌ) ، أو (لأنَّهُ) ، أو (كما أنَّهُ) ، أو (فإنَّهُ) ، أو (بأنَّهُ) .

أحرفُ الاستقبالِ _ أي : التي يكونُ ما بعدَها مُستقبَلاً آتياً لا يَحتمِلُ الكونَ في الحالِ _ : السينُ ، و(سوف) ، و(أنْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ النونِ ، و(إنْ) بكسرِ الهمزةِ ، و(لن) مثلُ : (سيقولُ) ، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَنَ تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (١) ، و(إن تجهدْ . . تسعدْ) ، و(لن تَعٰلِبَكَ صعوبةُ صعبِ إن صبرتَ وسلكتَ إليهِ مِنْ مسالِكِهِ) .

خمسة أحرفٍ تُسمَّى: الأحرف المصدريَّة ، والموصولاتِ الحرفيَّة ، والأحرف السوابك ؛ لأنَّها تجعلُ ما بعدَها _ وهوَ صلتُها مِنْ فعلِ أو مُشتقِّ آخَرَ _ بمنزلةِ مصدرٍ ، فكأنَّها سَبَكَتْ ما بعدَها مصدراً ؛ بحيثُ لو رفعتَها وصلتَها ووضعتَ المصدرَ مكانَهُما . . استقامَ لكَ الكلامُ ، ولذلك تُسمَّى

⁽١) سورة الضحي : (٥).

⁽٢) سورة البقرة : (١٨٤) .

هاذهِ الأحرفُ معَ ما بعدَها: المصادرَ التأويليَّةَ ؛ لأنَّها في اللفظِ أحرفٌ وأفعالٌ أو مُشتقَّاتٌ أُخَرُ ، وفي اللَّحظِ هيَ مصادرُ ، والمصادرُ التأويليَّةُ في مقابلةِ المصادر الصريحةِ .

والأحرفُ المذكورةُ هي : (أَنْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ النونِ ، و(أَنَّ) بفتحِ الهمزةِ والنونِ النونِ ، و(أَنَّ) بفتحِ الهمزةِ والنونِ المشدَّدةِ ، و(كَيْ) ، و(ما) ، و(لو) مثلُ : (حَسُنَ أَن تكتبَ العِلْمَ ؛ لأَنَّ الكَتْبَ يَحفظُهُ مِنَ الضَّياعِ ، ولكي تراجعَ الكتابَ متى شئتَ ، وممَّا وُضِعَتِ الكتبُ حُفِظَتِ العلومُ).

وقد يُلحَظُ معَ (ما) هاذهِ معنى الوقتِ ، فتُسمَّى : المصدريةَ الظرفيةَ ؛ مثلُ : (أنتَ حكيمٌ محبوبٌ ما طلبتَ الخيرَ وجهدتَ في تحصيلِهِ) فهوَ على معنى مُدَّةِ ما طلبتَ الخيرَ ، وعلىٰ تأويل مُدَّةِ طلبكَ .

و(أودُّ لو تَتحفَّظُ) و﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ٱلْفَ سَنَةِ ﴾ (١).

حرفُ المردعِ والمزجرِ (كلّا): مثلُ: ﴿ أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ صَتَّى زُرْتُهُ ٱلْمَقَابِرَ كَلّا ﴾ (٢).

حرفا التفسيرِ (أَيْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الياءِ ، و(أَنْ) بالفتحِ فالسكونِ : ف (أَيْ) : تكونُ بعدَ ما يَحتاجُ إلى البيانِ [بلاحقِها] ؛ مثلُ : (غضنفرٌ ؛ أي : ذهبٌ) .

و(أن): تقعُ بعدَ مُبهَم مذكورِ أو محذوفٍ مُتعلِّقٍ بفعلِ في معنى القولِ

⁽١) سورة البقرة : (٩٦) .

⁽٢) سورة التكاثر : (١ ـ ٣) .

دونَ حروفِهِ ؛ ك (أمرَ) و(أشارَ) ، وما بعدَ (أن) جملةٌ مُفسِّرةٌ للمبهَمِ السابقِ هي معناهُ ؛ مثلُ : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنِ ٱقْذِفِهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِهِ فِي ٱلْتَبُوتِ فَٱقْذِفِهِ فِي ٱلْتِيرِ ﴾ (١٠) .

ومثلُ : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ (٢) ؛ أي : [فأوحينا] إليهِ موحىً هوَ : اصنع الفلكَ .

حرفا التوكيدِ الفعليِّ: نونٌ ساكنةٌ تُسمَّىٰ: نونَ التوكيدِ الخفيفةَ ، ونونٌ مفتوحةٌ مُشدَّدةٌ تُسمَّىٰ: نونَ التوكيدِ الثقيلةَ .

لا يلحقانِ الأفعالَ الماضية ، ويلحقانِ الأفعالَ الأمريَّةَ عندَ الحاجةِ إلى التوكيدِ .

ويلحقانِ المضارعَ وجوباً ؛ إذا كانَ مُستقبَلاً مثبتاً جوابَ قَسَمٍ ؛ مثلُ : ﴿ وَتَالَّنَهِ لَأَكِيدَنَ أَصْنَمَكُم بَعْدَ أَن تُولُولْ مُدْبِرِينَ ﴾ (٣) .

وقريباً مِنَ الوجوبِ ؛ إذا كانَ شرطاً له (إن) المزيدِ معَها لفظُ (ما) مثلُ : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ () .

وكثيراً ؛ إذا كانَ ذا طلبٍ ؛ مِنِ استفهامٍ ، أو تَمَنٍّ ، أو نَهْيٍ ، أو عَرْضٍ ، أو حَرْضٍ ، أو حَضٍّ ؛ مثلُ : (هل تصغيَنَّ) ، و(ليتَكَ تَحفَظَنَّ) ، و(لا تَكسَلَنَّ) ، و(ألا تَكسَلَنَّ) ، و(ألا تَكسَلَنَّ) . و(هلَّا تَطلُبَنَّ) .

وقليلاً _ والأحسنُ تركُهُ والاقتصارُ على ما سُمِعَ مِنَ العربِ _ إذا كانَ

⁽١) سورة طله : (٣٨ ـ ٣٩) .

⁽٢) سورة المؤمنون : (٢٧) .

⁽٣) سورة الأنبياء: (٥٧) .

⁽٤) سورة الزخرف : (٤١) .

منفيّاً بر (لم) أو زِيدَ قبلَهُ لفظُ (ما) كقولِ الشاعرِ ('': [من الطويل] وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا

أو كانَ شرطاً لغير (إمَّا) .

ويمتنعُ توكيدُ المضارعِ بِهما في غيرِ هاذهِ المواضعِ ، فلهُما معَ المضارعِ خمسُ أحوالٍ ، وقد شذَّ بعضُ العربِ فلا يُنطَقُ بمثلِ ما بهِ نطقَ ، فأكَّدَ الفعلَ الماضيَ الدعائيَّ ؛ تنزيلاً لهُ منزلةَ الأمرِ لاشتمالِهِ على معنى الطلبِ ، فقالَ (۲):

دَامَنَّ سَعْدُكِ إِنْ رَحِمْتِ مُتَيَّماً لَوْلَاكِ لَمْ يَكُ لِلصَّبَابَةِ جَانِحَا

فهوَ بمنزلةِ : اللَّهمَّ ؛ أديمنَّ سعدَها ، وشذَّ بعضٌ آخَرُ ، فأكَّدَ اسمَ الفاعلِ ؛ تنزيلاً لهُ منزلةَ المضارع ، فقالَ (٣) :

أَرَيْتَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمْلُودَا مُرَجَّلًا وَيَلْبَرُودَا مُسَرَجَّلًا وَيَلْبَرُودَا الشُّهُ وَاللَّمُ الْمُسَلِّمُ الْمُسَلِّمُ الْمُسَلِّمُ الْمُسَلِّمُ الْمُسَلِّمُ الْمُسَلِّمُ وَالْمُسُلِّمُ الْمُسَلِّمُ وَالْمُسُلِّمُ الْمُسَلِّمُ وَالْمُسُلِّمُ الْمُسَلِّمُ وَالْمُسُلِّمُ الْمُسَلِّمُ وَالْمُسُلِّمُ الْمُسَلِّمُ وَالْمُسُلِّمُ اللَّمِ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ المُحْمَلِمِ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ المُحْمَلِمِ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ المُحْمَلِمِ اللَّمُ المُحْمَلِمِ اللَّمُ اللَّمُ المُحْمَلِمِ اللَّمُ اللِّمُ اللَّمُ الْمُلِمُ اللَّمُ اللْمُعِلَّمُ اللَّمُ الْمُعِلَّمُ الْمُعِلَّمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلَّمُ الْمُعْمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِمِ اللَّمُ الْمُعِلَمُ الْمُعِلَمُ اللْمُعِلَمُ الْمُعِمِي الْ

فهو بمنزلة : أتقولَنَّ .

وللنطقِ بالأفعالِ معَهُما كيفياتٌ لم تكنْ لهُ بدونِهِما ، تقفُ عليها في قسم الصَّرفِ .

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ سُرِقَ ٱبْنُهُ وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا وقال : (يريد أن الابن يشبه أباه ، فمن رأى هلذا . . ظنَّه هلذا ، فكأن الابن مسروق) ، والشكير : ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، والعضة : واحدة العضاه ؛ شجر .

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٢٢/٤) ، والبيت بتمامه :

⁽٢) انظر « شرح الصبان على الأشموني » (٢١٣/٣) .

⁽٣) ديوان رؤبة بن العجاج (ص ١٧٣) ، وانظر « خزانة الأدب » (٤٢٠/١١) ، والأملود : الناعم اللين .

تكملةٌ للكلام علىٰ قسمِ الحروفِ

اعلمْ: أنَّ العربَ قد يُسمُّونَ الشيءَ باسمٍ ، ثمَّ يزيدونَهُ حرفاً ويُسمُّونَ بهِ ما هوَ أكبرُ مِنْ ذٰلكَ الشيءِ مِنْ جنسِهِ ؛ ومِنْ هنا قالَتِ العلماءُ: (زيادةُ المبنى تدلُّ على زيادةِ المعنىٰ) .

مِنْ ذلك : ما حكاهُ الزمخشريُّ عن نفسِهِ قالَ : اجتزتُ يوماً بساحلِ البحرِ ، فرأيتُ رجلاً أعرابياً عندَ مَركبَينِ صغيرٍ وكبيرٍ ، فسألتُهُ عنِ اسمِ الكبيرِ ، فأشارَ إلى الصغيرِ وقالَ : أليسَ هاذا الشُّقْدُفَ ؟ فقلتُ لهُ : بلىٰ ، فقال : فهاذا [الشِّقِندافُ].

إذا وَعَيْتَ هاذا.. فاعلمْ: أنَّ بعضَ أحرفِ المعاني تُستعمَلُ في بعضِ الكلامِ زائدةً لا لإفادةِ معنى ، بل لغرضِ التوكيدِ والتقويةِ ؛ مِنْ بابِ (زيادةُ المعنى بزيادةِ المبنى) وتلكَ الأحرفُ هي : (مِنْ) ، والباءُ ، واللَّامُ ، و(إن) بكسرِ الهمزةِ ، و(لا) ، و(ما) ، والكاف .

فتُزادُ (مِنْ) بعدَ نَفْيِ أَو نَهْيِ أَوِ استفهامِ داخلةً على نكرةٍ ؛ مثلُ : ﴿ فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَلِجِنِينَ ﴾ (١) ، و(ما لباغٍ مِنْ مَفَرِّ) (١) ، و(لن ترى مِنْ أحدٍ يَعرِفُ الخيرَ ولا يأتيهِ ، ولا يجهلُ الشرَّ وهوَ يبتغيهِ) ، و(لا تُخَيِّبُ مِنْ آملٍ وأنتَ قادرٌ) .

(من الرجز)

نَـكِـرَةً كَـمَا لِـبَـاغ مِـنْ مَـفَـرُّ

⁽١) سورة الحاقة : (٤٧).

 ⁽٢) ألمح إلى قول الإمام ابن مالك في « الألفية » :
 وَزِيدَ فِي نَفْ ي وَشِبْ هِ هِ فَجَرُّ

وتُزادُ (الباءُ) كثيراً بعدَ نَفْيِ (ما) و(ليسَ) مثلُ: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرِ ﴾ (١٠) .

ومثلُ : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (٢) .

ونادراً في غيرِهما ، فلا يَسوغُ أن يُحمَلَ فصيحُ الكلامِ عليهِ معَ إمكانِ غيرِهِ ، ومِنَ الشاذِّ قولُهُم : (بحَسْبِكَ درهمٌ) فلا يُقالُ في (بسمِ اللهِ الرحمانِ الرحيمِ) : يُحتمَلُ زيادةُ الباءِ .

وتُزادُ (اللَّامُ) في مثلِ : (لِلعِلْمِ يكتبُ مَنْ أحبَّهُ) و(زيدٌ كاتبٌ للعِلْمِ) . للعِلْمِ) .

وتُزادُ (إن) بعدَ (ما) النافيةِ في مثلِ (٣) : [من البسيط]

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ

وتُزادُ (ما) معَ بعضِ أحرفِ الإضافةِ ؛ مثلُ : ﴿ فَهِمَا رَحْمَةِ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴿ ثَا مَ اللَّهِ لِنتَ اللَّهِ لِنتَ اللَّهُ لِنتَ اللَّهِ لِنتَ اللَّهِ لِنتَ اللَّهُ ﴿ (*) ، و ﴿ عَمَّا قَلِيلِ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ (*) ، و ﴿ عَمَّا قَلِيلِ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ (*) ،

⁽١) سورة الحاقة : (٤١) .

⁽٢) سورة الزمر : (٣٦) .

⁽٣) انظر « مغني اللبيب » (٣٨/١) ، والشطر للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ٢٥) ، ورواية البيت فيه :

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ إِذا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

⁽٤) سورة آل عمران : (١٥٩) .

⁽٥) سورة نوح : (٢٥) .

⁽٦) سورة المؤمنون : (٤٠).

¹⁵⁴

ومثلُ (۱) : [من الطويل]

وَنَنْصُ رُ مَوْلَانَا وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا ٱلنَّاسِ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارِمُ وتُزادُ أيضاً بعدَ (أينَ)، و(أيٍّ)، و(إذا)، و(متى)، و(حيثُ)، و(كيفَ)، و(إنَّ)، و(أنَّ)، و(ليتَ)، و(لعلَّ)، و(كأنَّ)، و(لكنَّ).

وتُزادُ (لا) بعدَ عاطفٍ علىٰ منفيٍّ ؛ مثلُ : (ما جاءَ زيدٌ ولا عمرٌو) ، وبعدَ (أنْ) واللَّامِ ؛ مثلُ : ﴿ لِئَلَا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰكِ ﴾ (' ') .

وتُزادُ (الكافُ) في نحوِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ عَنَيْهُ ﴾ (٣) .

وثَمَّةَ حرفٌ يُقالُ لهُ: الشبيهُ بالزائدِ ؛ وهوَ (رُبَّ) وذلكَ أنَّهُ يُذكَرُ معَ أحرفِ الإضافةِ يفيدُ معنىً ويَحتاجُ إلى أحرفِ الإضافةِ يفيدُ معنىً ويَحتاجُ إلى مُتعلَّقٍ ، وبذلكَ سُمِّيَ: حرفاً أصلياً ، وما لا يفيدُ معنىً ولا يَحتاجُ لمُتعلَّقٍ يُسمَّىٰ: زائداً ، فلفظُ (رُبَّ) لكونِهِ يفيدُ معنىً وهوَ غيرُ مُحتاجٍ إلىٰ مُتعلَّقٍ . . شبيهاً بالزائدِ والأصليّ .

ومعنى (رُبَّ) تكثيرُ شيءٍ أو تقليلُهُ ؛ مثلُ قولِ الشاعرِ (''): [من الخفيف] رُبَّمَا تَكْرَهُ ٱلنُّفُوسُ مِنَ ٱلْأَمْ ____ لِلهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ [ٱلْعِقَالِ]

⁽١) انظر « همع الهوامع » (٤٧٦/٢) .

⁽٢) سورة الحديد : (٢٩) .

⁽٣) سورة الشورئ : (١١) .

⁽٤) هو أمية بن أبى الصلت في « ديوانه » (ص ٤٤٤) .

وقولِ الآخَر (١):

رُبَّهُ فِـتْـيَـةً دَعَـوْتُ إِلَـي مَـا

وقول آخَرَ (٢):

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَلَم

وتُستعمَلُ في مَقام التسليةِ ، والإدلالِ ، والافتخارِ ، والامتنانِ ، والتهديدِ ،

[من الخفيف]

[من المديد]

يُكْسِبُ ٱلْمَجْدَ دَائِباً فَأَجَابُوا

تَـرْفَعَـنْ ثَـوْبـي شَـمَالَاتُ

وتُحذَفُ (رُبَّ) ويُعوَّضُ عنها الواوُ ، ويُقالُ لها : (واوُ ربَّ) كقولِ الشاعر (") :

وَفِــــــُــــةٍ زَهَـــرُ ٱلْآدَابِ بَـــيْــنَــهُــمُ أَزْهَىٰ وَأَزْهَرُ مِنْ زَهْرِ ٱلْبَسَاتِين

وَٱلرَّاحُ تَمْشِي بِهِمْ مَشْيَ ٱلفَرَازِينِ مَشَوْا إِلَى ٱلرَّاحِ مَشْيَ ٱلرُّخِّ وَٱنْصَرَفُوا

وقول آخَوَ (١): [من البسيط]

وَلَيْلَةٍ بِتُّ أُسْقَىٰ فِي غَيَاهِبِهَا رَاحاً تَسُلُّ شَبَابِي مِنْ يَدِ ٱلْهَرَم

غَزَالَةِ ٱلصُّبْحِ تَرْعَىٰ نَرْجِسَ ٱلظُّلَم مَا زلْتُ أَشْرَبُهَا حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ

وقول آخَرَ (٥): [من السريع]

وَأَهْيَفٍ [مُبْتَسِمِ] عَنْ حَبَبْ مُورَّدِ ٱلْخَدِّ مَلِيح ٱلشَّنَبُ يَـلُـومُـنِـي ٱلْعَاذِلُ فِي حُبّهِ وَمَا دَرَىٰ شَعْبَانُ أَنِّي رَجَبْ

انتهى الكلامُ على معاني الحروفِ ، ولها أحكامٌ يجيئُكَ تفصيلُها في قسم النحو .

⁽۱) انظر « مغنى اللبيب » (٦٣٨/٢) .

⁽٢) انظر « مغنى اللبيب » (١٨٠/١) .

⁽٣) هو السري الرفاء في « ديوانه » (ص ٤٥٥) ، والبيت من البسيط .

⁽٤) هو مجير الدين ابن تميم ، كما في « الوافي بالوفيات » (٢٣٢/٥) .

⁽٥) انظر « ديوان الصبابة » (ص ١٧١ ـ ١٧٢) .

التقسيمُ الثاني مِنْ تقاسيمِ فقهِ اللغةِ [في الخاصِّ والمُشترَكِ] (١)

اللفظُ الواحدُ:

_ إمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليًا لمعنى واحدٍ ، ويُسمَّىٰ : مُختصًا ككثيرِ مِنْ أسماءِ الأجناسِ .

- وإمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليّاً لأكثرَ مِنْ معنى ، ويُسمَّىٰ : مُشترَكاً .

- وإمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليّاً لمعنى ، وتبعيّاً لجميع ما يناسبُ ذلكَ المعنى ، وله به علاقةٌ وارتباطٌ ؛ كالمشابهة ، واللُّزوم ، والسببيّة ، والكليّة ، والجزئيّة . . . إلى غير ذلكَ مِنَ العلاقاتِ بينَ المعاني .

ويُسمَّى اللفظُ باعتبارِ الوضعِ الأصليِّ : حقيقةً ، وباعتبارِ الوضعِ التبعيِّ : مجازاً إن كانَتِ المناسبةُ مَرعيَّةً حالةَ الوضع والاستعمالِ دائماً .

فإن كانَتِ المناسبةُ مرعيةً حالةَ الوضعِ فقطْ ؛ بحيثُ صارَ المعنى الثاني الذي وُضِعَ لهُ اللفظُ وضعاً تبعيّاً هوَ الذي يتبادرُ إلى الأفهامِ عندَ استعمالِ اللفظِ ، ويكونُ المعنى الأوَّلُ مهجوراً غيرَ ملحوظٍ عندَ الاستعمالِ . . سُمِّيَ اللفظُ : منقولاً ؛ فإن كانَ الناقلُ عامَّةَ الناسِ . . سُمِّيَ : حقيقةً عرفيَّةً ، وإن كانَ الناقلُ الشرعَ . . سُمِّيَ : حقيقةً شرعيةً ، وإن كانَ الناقلُ أهلَ فنٍّ مِنَ الفنونِ . . سُمِّيَ : حقيقةً اصطلاحيةً .

فَالْأَوَّلُ : كَلَفْظِ (الدابَّةِ) كَانَ اسماً لكلِّ ما يَدِبُّ على وجهِ الأرضِ ، ثمَّ

⁽¹⁾ انظر « معيار العلم » (∞ Λ 7).

تعارفَهُ الناسُ اسماً لذواتِ الأربعِ ، وك (النجمِ) كانَ اسماً لكلِّ كوكبٍ ، ثمَّ تعارفَهُ الناسُ اسماً للثريَّا ، وعليهِ وردَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (١) ، والمثلُ : (إذا طلعَ النجمُ عِشاءً . . ابتغى الراعي كساءً) ، وك (العقبةِ) كانَ اسماً لكلِّ كُديةٍ (٢) تَعترِضُ في الطريقِ ، ثمَّ تعارفَهُ الناسُ اسماً له (عقبةِ أيلةَ) التي في طريقِ أهلِ مصرَ إلى الحجازِ ، وهلذا النوعُ غيرُ كثيرٍ .

والثاني: ك (الصَّلاةِ ، والطَّهارةِ ، والوُضوءِ ، والتيممِ ، والصَّومِ ، والتَّومِ ، والتَّومِ ، والتَّومِ ، والزَّكاةِ) . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الألفاظِ التي نقلَها الشرعُ عن معانيها اللغويةِ إلىٰ معانٍ تَجدَّد تُ بتجدُّدِ الإسلام .

والثالث : كلفظ (الفاعل ، والمفعول ، والحال ، والتمييز) . . . إلى غير ذلك مِنَ الألفاظِ التي نقلَها أهلُ النحو ، وكذلك أكثرُ ألفاظِ الفنونِ العلميَّةِ .

ثمَّ الحقائقُ: تارةً تُستعمَلُ في معانيها وهي المرادةُ بالإفادةِ ، وتارةً تُستعمَلُ في معانيها والمرادُ بالإفادةِ غيرُها مِنَ المعاني المناسبةِ لها ، وحينئذٍ تُسمَّى الحقائقُ بالاعتبارِ الأوَّلِ: صرائحَ ، وبالاعتبارِ الثاني: كناياتٍ .

مثالُ ذلك : (زيدٌ كثيرُ الرمادِ) والرَّمادُ : ما تبقيهِ النارُ بعدَ انتهاءِ فعلِها ؟ فتارةً يكونُ المرادُ الإخبارَ بكثرةِ رمادِ زيدٍ فقطْ ؛ كأن يكونَ خبَّازاً أو طبَّاخاً ، وتارةً يكونُ المرادُ الإخبارَ بكرمِ زيدٍ ؛ فإنَّ كثرةَ الرمادِ دليلٌ على كثرةِ الإحراقِ ، وكثرةَ الإحراقِ دليلٌ على كثرةِ الخبزِ والطبخِ ، وكثرةَ الخبزِ والطبخِ دليلٌ على كثرةِ الخبزِ والطبخِ دليلٌ على كثرةِ النَّيوفِ وسماحِهِ لهُم دليلٌ على كثرةِ الضَّيوفِ وسماحِهِ لهُم بما ملكَتْ يداهُ واختصَّ بحيازتِهِ .

⁽١) سورة النجم: (١).

⁽٢) الكدية : ما ارتفع من الأرض وكان فيه غلظ وصلابة .

وتفصيلُ العلاقاتِ بينَ المعاني ، وتنويعُها إلىٰ أنواعٍ بسببِها تَنوَّعَ المجازُ ، وبيانُ أنواعِ الكنايةِ . . قد وُضِعَ لهُ فنٌّ هوَ المُسمَّىٰ بـ (فَنِّ البيانِ) .

[المُشترَكُ ولطائفُهُ]

وأمَّا المُشترَكُ . . فلا بدَّ مِنْ تفصيلِهِ في هاذا الموضعِ نوعاً مِنَ التفصيلِ ، وبيانِ ما تسهلُ بسببهِ للبلغاءِ مِنَ [اللطائفِ].

فنقولُ: المُشترَكُ واجبُ الوقوعِ ؛ لأنَّ الأشياءَ التي تَستحِقُ العبارةَ عنها غيرُ متناهيةٍ ، والألفاظ متناهيةٌ ؛ لكونِها مُؤلَّفةً مِنَ الحروفِ المتناهيةِ ، ولكثرةِ المُشترَكِ ادَّعلى بعضُهُم أنَّ المُشترَكَ أكثرُ مِنَ المُختصِّ ، واستدلَّ بأنَّ جميعَ الحروفِ مُشترَكةٌ ، والأفعالَ الماضيةَ مُشترَكةٌ بينَ الدعاءِ والإخبارِ ، والأفعالَ المضارعةَ مُشترَكةٌ بينَ الحالِ والاستقبالِ ، والأفعالَ الأمريَّةَ مُشترَكةٌ بينَ الطلبِ الجازمِ والإباحةِ والتخييرِ والتهديدِ ، وكثيرٌ مِنَ الأسماءِ مُشترَكةٌ ؛ فإذا ثبتَ أنَّ قسمَينِ وبعضَ الثالثِ مِنْ أقسامِ الكلمةِ مِنَ المُشترَكِ . . ثبتَ أنَّ المُشترَكَ أكثرُ مِنَ المُختص ، للكنَّ الاستقراءَ مُبطِلٌ دعواهُ .

[من أغراضِ اشتراكِ المعاني في اللفظِ الواحدِ] ولتشريكِ المعاني في اللفظِ الواحدِ أغراضٌ :

منها: التوريةُ بالشيءِ عن غيرِهِ لدفعِ المحذورِ معَ الصدقِ (١) ؟ كما رُوِيَ: أَنَّ أَبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ خرجَ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُهاجرَينِ إلى المدينةِ . . سألَهُ رجلٌ : مَنْ هاذا الذي معَكَ ؟ فقالَ لهُ : هاذا رجلٌ يهديني السبيلَ (٢) .

⁽١) انظر «عروس الأفراح» (٣٤٤/٤).

⁽٢) أخرجه البخاري (٣٩١١) عن سيدنا أنس رضى الله عنه .

فالهداية مُشترَكة بينَ تعريفِ ما ينبغي وما لا ينبغي مِنَ الأعمالِ ، وبينَ الدلالةِ على الطريقِ المُوصِلِ إلى الجهةِ المقصودةِ ، فأوهمَ أنَّهُ يريدُ هدايةَ الطريق ، وهوَ يريدُ هدايةَ الدِّين .

ورُوِيَ أيضاً: أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا خرجَ يريدُ غزوَ المشركينَ غزوةَ بدرٍ ، وانتهى إلى نصفِ الطريقِ مِنَ المدينةِ إلى مكَّةَ . . وجدَ رجلاً أعرابيًّا ، فسألَهُ : « مَا عِلْمُكَ بِقُرَيْشٍ وَمُحَمَّدٍ ؟ » فقالَ لهُ الأعرابيُّ : [ممَّنْ] أنتَ ؟ فقالَ له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم : « حَتَّىٰ تُخْبِرَنِي » فقالَ الأعرابيُّ : بلغني أنَّ قريشاً خرجوا يومَ كذا ، ومحمداً خرجَ يومَ كذا ؛ فإن كانَ هذا صِدْقاً . . فمحمدٌ بموضع كذا ، وقريشٌ بموضع كذا .

ثمَّ استنجزَ الأعرابيُّ الوعدَ ، فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَنَا مِنْ مَاءٍ » ومضى ، فأوهمَ أنَّهُ مِنَ العراقِ ؛ لأنَّ مِنْ أسماءِ العراقِ : ماءً ، وهوَ يريدُ أنَّهُ مِنْ ماءٍ دافقٍ ، يخرجُ مِنْ بينِ الصُّلبِ والترائبِ (١) .

ومِنْ ثَمَّ قَالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « إِنَّ فِي ٱلْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ ٱلْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ ٱلْكَذِبِ » (٢).

[ألفاظٌ وأضدادُها من المشتركِ]

ومِنَ المُشترَكِ: ألفاظٌ موضوعةٌ لأشياءَ وأضدادِها سمَّاها نَقَلَةُ اللغةِ بالأضدادِ ؛ فتراهُم يقولونَ مثلاً: الجونُ _ بفتحٍ فسكونٍ _ : الأبيضُ ، والأسودُ ؛ ضدٌّ .

⁽١) الخبر عند ابن هشام في « السيرة النبوية » (٦١٦/١) .

⁽٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤٥٨) عن سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

مِنْ ذَلْكَ : الجَلَلُ : للعظيم ، والحقير ، قالَ الشاعرُ مِنَ الأُوَّلِ (١) : [من الكامل] فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي [من الرمل]

وَٱلْفَتَىٰ يَسْعَىٰ وَيُلْهِيهِ ٱلْأَمَلُ [من البسيط]

وَأَنْتَ تَخْذُلُنِي فِي ٱلْحَادِثِ ٱلْجَلَل

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُونْ جَلَلاً ومِنَ الثاني قولُ آخَرَ (٢):

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱلْمَوْتَ جَلَلْ وقولُ الطُّغرائيِّ (٣):

فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجُلِّي لِتَنْصُرَنِي

ومنهُ: الغابرُ: لماضي الزمنِ وغيرِهِ ، وللآتي .

قيلَ : ومِنَ الأضدادِ : لفظُ (سوىً) فإنَّها تُطلَقُ على عين الشيءِ ، وعلى غيرهِ ، وخرَّجوا علىٰ ذٰلكَ قولَ حسَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ يمدحُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (،) : [من الطويل]

أَتَانَا فَلَمْ نَعْدِلْ سِوَاهُ بِغَيْرِهِ نَبِيٌّ أَتَىٰ مِنْ عِنْدِ ذِي ٱلْعَرْش هَادِيَا

قالوا: إنَّ معناهُ: لم نجعلْ شخصَهُ عديلاً لشخص مِنَ الأشخاص المغايرينَ لهُ ، بل فضَّلناهُ على الكلّ ، وخَرَّجَهُ غيرُ هلؤلاءِ على أنَّ لفظَ (سوىً) بمعنى (غير) فقالوا : إنَّ معناهُ : لم نشتغلْ بتفضيل أحدٍ على غيرهِ إلَّا محمداً ؛ فإنَّا مُشتغِلونَ بإثباتِ فضلِهِ علىٰ كلّ مَنْ عداهُ ، فالضميرُ في (بغيرهِ) يعودُ على (سوىً) ، وعلى التخريج الأوَّلِ يعودُ الضميرُ على (النبيِّ) ، فإنَّ التقديرَ : أتانا نبيٌّ فلم نَعدِلْ شخصَهُ بغيرهِ .

⁽١) هما للحارث بن وعلة الذهلي ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١٠٧/١) .

⁽٢) انظر « المزهر في علوم اللغة » (٣٩٨/١).

⁽٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣) . (٤) كذا في « المزهر » (٣٩٢/١) .

[الجناسُ التامُّ من لطائفِ المشتركِ]

ومِنْ لطائفِ المُشترَكِ (١): تحسينُ الكلامِ بالنوعِ الذي عدَّهُ أهلُ فنِّ البديعِ مِنَ الأمورِ المُحسِّنةِ وسمَّوهُ: الجناسَ التامَّ ، وإنِ ازدراهُ بعضُ فُطناءِ المُتأخِّرينَ ، حتى قالَ مُنفِّراً عنهُ (٢):

طَبْعُ ٱلْمُجَنِّسِ فِيهِ نَوْعُ قِيَادَةٍ أَوَمَا تَرَىٰ تَأْلِيفَهُ لِلْأَحْرُفِ

وذلكَ أنَّ ناساً مِنَ المُتقدِّمينَ لَهِجُوا باستعمالِهِ ، حتى انصرفَتْ أفكارُهُم إلى جهةِ الألفاظِ مُهمِلينَ جانبَ المعاني ، حتى صارَ أكثرُ كلامِهِم ركيكاً مرذولاً ، وأحسنُ الجناسِ ما اقتضاهُ المعنى حتى تكونَ الألفاظُ في مواقعِها مُتمكِّنةً ، ويكونَ الشاعرُ أو الناثرُ بريئاً مِنْ تكلُّفِهِ ، ساعياً في الطريقِ الذي نَهَجَهُ بعضُ الأُدباءِ بقولِهِ (٣):

إِذَا أَحْبَبْتَ قَوْلَ ٱلشِّعْرِ فَٱخْتَرْ لِنَظْمِكَ كُلَّ سَهْلٍ ذِي ٱمْتِنَاعِ وَلَا تَقْصِدْ مُجَانَسَةً وَمَكِّنْ قَوَافِيَهُ وَكِلْهُ إِلَى ٱلطِّبَاع

ومِنَ الجناسِ المقصودِ بهِ إحصاءُ المعاني التي اشتركَتْ في اللفظِ: قولُ يحيى بنِ سلامةَ الحصكفيِّ نسبةً إلىٰ (حصنِ كيفا) إحدىٰ بلادِ الشامِ ('')، مِنْ أُدباءِ القرنِ السادسِ ؛ عصرِ أبي محمدٍ الحريريِّ صاحبِ «المقاماتِ »:

عَادَكَ عِيدٌ وَطَالَمَا عَادَا وَهَاكَذَا كُلَّمَا ٱنْقَضَى عَادَا عَدَا كَلَّمَا ٱنْقَضَى عَادَا عَدَاكَ عَدَاكُ عَدَاكَ عَدَاكُ عَدَاكَ عَدَاكَ عَدَاكَ عَدَاكَ عَدَاكَ عَدَاكَ عَدَاكَ عَدَاكُ عَدَاكُ عَدَاكُ عَدَاكُ عَدَاكَ عَدَاكُ عَدَاكَ عَدَاكَ عَدَاكُ عَدَاكُوا عَدَاكُ عَدَاكُ عَدَاكُ عَدَاكُ عَدَاكُ عَدَاكُ ع

⁽١) انظر « عروس الأفراح » (٣٧٧/٤) .

⁽٢) هو الأسعد ابن ممَّاتي ، كما في « خزانة الأدب » للحموي (٣٨٣/١) .

⁽٣) هو ابن الوردي ، كما ذكر في « خزانة الأدب » للحموي (٣٨٢/١) .

⁽٤) انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (٣٦٩/١) .

سَالَم فَاعْلَم بِأَنَّهُ عَادَا عَدْوَاهُ مَخْشِيَّةٌ فَمَا عَادَا يَكُسِرُ كِسْرَىٰ وَقَبْلَهُ عَادَا تَبْدُ شَمَّاتاً فَرُبَّمَا عَادَا فَالْتَزَمَ ٱلْمُدَّعَىٰ وَمَا عَادَا سُلِّمَ فِيهِ ٱلْمُنَىٰ وَمَا عَادَا نَالَ ٱلْمَدَا مَنْ مَشَىٰ فَمَا عَادَا وَمَاتَ مَنْ طَبَّهُ وَمَنْ عَادَا

يَجْنَحُ لِلسَّلْمِ مَاكِراً فَإِذَا وَكَمْ عَدَا دَاؤُهُ إِلَى مَلِكِ قَصَّرَ آمَالَ قَيْصَرٍ وَمَضَىٰ فَإِنْ رَمَى صَرْفُهُ عِدَاكَ فَلَا فَإِنْ رَمَى صَرْفُهُ عِدَاكَ فَلَا كَمِ أُدَّعَى مُلَوْعٍ عَلَى وَرَعٍ وَكُمْ عَدَا ظَالِمٌ فَأَبْصَرَ مَنْ وَكُمْ عَدَا ظَالِمٌ فَأَبْصَرَ مَنْ وَكُمْ عَدَا ظَالِمٌ فَعَيتَ وَكَمْ

فلفظُ (عادَ يعودُ) مُشترَكٌ بينَ ثلاثةِ معانٍ :

_ الأوَّلُ: اتخذَ عادةً وديدناً ؛ وهوَ المرادُ به (عادَكَ عيدٌ) ، والعيدُ: ما تَكرَّرَ ورودُهُ عليكَ مِنَ الأحوالِ ؛ فكلَّما انصرفَ أو قلَّ . . عادَ .

- والثاني: رجع بعد ذهابٍ ؛ وهو المراد بقافية البيتِ الأوَّلِ ، والألفُ المرسومة بعد الدالِ ليسَتْ مِنَ اللفظِ ، تُرسَمُ في رَوِيِّ الشعرِ المفتوحِ ؛ تُسمَّىٰ: ألف الإطلاقِ ؛ لإطلاقِ الصوتِ بها ، ولأجلِها يُرسَمُ بالألفِ ما حقُّهُ أن يُرسَمَ بالياءِ ؛ كالقوافي السبع مِنْ هلذا الشعرِ ؛ وهي غيرُ الأُولىٰ والخامسةِ أن يُرسَمَ بالياءِ ؛ كالقوافي السبع مِنْ هلذا الشعرِ ؛ وهي غيرُ الأُولىٰ والخامسةِ والأخيرةِ ، و(عاد) في القافيةِ الخامسةِ : اسمُ القبيلةِ المشهورةِ المذكورُ معَ والأخيرةِ ، وكانَ اسمَ أبيها ، فسُمِّيَتْ بهِ كما هوَ عادةُ العربِ ؛ يُسمُّونَ القبائلَ بأسماءِ آبائها .

- والمعنى الثالثُ لـ (عادَ): زارَ المريضَ ؛ وهوَ المرادُ بقافيةِ البيتِ الأخيرِ .

zż

و(عدا يعدو) مُشترَكٌ بينَ أربعةِ معانٍ :

- عداهُ عنِ الأمرِ: صرفَهُ عنهُ ، وربَّما قيلَ: (عادَهُ) بالقلبِ ؛ وهوَ مِنْ سَنَنِ العربِ ، ويُسمَّى: القلبَ المكانيَّ ؛ لكونِهِ تقديمَ حرفٍ عن مكانِهِ وتأخيرَ آخَرَ ، فلا يَردُ نقضاً علىٰ حصر معاني (عادَ).

ـ وعدا الداءُ مِنْ موضعِهِ إلى غيرهِ : لم يَقتصِرْ عليهِ ، وجاوزَهُ إليهِ .

_ وعدا عليهِ : بغي وظلمَ .

_ وعدا: أَحْضَرَ ؛ أي : جرى شديداً .

و(عادىٰ) على صيغةِ المغالبةِ مُشترَكةٌ بينَ سبعةِ معانٍ ، نَسرُدُها على ترتيبِ القوافي :

- عاداهُ: صارفَهُ ؛ أي : غالبَهُ في الصَّرفِ والعطفِ عنِ الوجهةِ .

_ وعاداهُ: كانَ عدوّاً مثلَ ما كانَ .

ـ وعاداهُ: جاوزَهُ وتحامىٰ أن يصلَ إليهِ.

- وعادى بينَ الشيئينِ: والى بينَهُما ؛ كأن يواليَ بينَ صيدَينِ

في طَلَقٍ ؛ أي: شوطٍ واحدٍ ؛ مِنَ العَدْوِ ، وقالَ امرؤُ القيسِ يصفُ حصانَهُ (١٠):

فَعَادَىٰ عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكاً وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

_ وعاداه : قابلَهُ بالظلمِ والبغي .

ـ وعاداه إلى الحاكم : رافعَهُ بالخصومةِ إليهِ .

ـ وعاداهُ: جاراهُ.

ومِنْ هـٰذا النوع قولُ المذكورِ (٢٠):

أَقُولُ فَرُبَّمَا نَفَعَ ٱلْمَقَالِي ثُكَاثِرُنِي [بِآلَاتِ ٱلْمَعَانِي] ثُكَاثِرُنِي [بِآلَاتِ ٱلْمَعَانِي] وَتَطْمَعُ أَنْ تَنَالَ ٱلْمَجْدَ قَبْلِي وَتَطْمَعُ أَنْ تَنَالَ ٱلْمَجْدَ قَبْلِي وَتُبْطِنُ شِرَّةً فِي لِينِ مَسِ وَتُبْسِمُ حِينَ تُبْصِرُنِي نِفَاقاً وَتَبْسِمُ حِينَ تُبْصِرُنِي نِفَاقاً وَتَعْمَ فِي ذُلِّ مَثْوى كَاكِنْ وَتَعْرَاضٍ أُذِيلَتْ لِللَّهَاجِي وَلَلْكِنْ وَأَعْرَاضٍ أُذِيلَتُ لِللَّهَاجِي وَلَلْكِنْ وَمَا تُغْنِي ٱلْكَتَائِفُ فِي صُدُوعِ وَمَا تُغْنِي ٱلْكَتَائِفُ فِي صُدُوعِ وَمَا تُغْنِي ٱلْكَتَائِفُ فِي صُدُوعِ وَمَا تُغْنِي ٱلْكَتَائِفُ فِي صُدُوعِ

[من الوافر]

إلَيْكَ سُهَيْلُ إِذْ طَلَعَ ٱلْهِلَالُ وَكَيْفَ يُكَاثِرُ ٱلْبَحْرَ ٱلْهِلَالُ وَأَنَّىٰ تَسْبِقُ ٱلنُّجُبَ ٱلْهِلَالُ كَما لَانَتْ مَعَ ٱلشّرِ ٱلْهِلَالُ وَشَخْصِي فِي جَوَانِحِكَ ٱلْهِلَالُ عَلَيْكُ تَدُورُ بِٱلشّرِ ٱلْهِلَالُ عَلَيْكُ تَدُورُ بِٱلشّرِ ٱلْهِلَالُ وَفَرْطِ صَلَابَةٍ فِيهَا ٱلْهِلَالُ وَفَرْطِ صَلَابَةٍ فِيهَا ٱلْهِلَالُ كَمَا تَبْدُو عَلَى ٱلْقَدَمِ ٱلْهِلَالُ كَمَا تَبْدُو عَلَى ٱلْقَدَمِ ٱلْهِلَالُ بِهَا أَنْ يَرْأَبَ ٱلصَّدْعَ ٱلْهِلَالُ بِهِا لَالْهِلَالُ بِهَا أَنْ يَرْأَبَ ٱلصَّدْعَ ٱلْهِلَالُ السَّلْكِ الْهِلِكُ لَالْهِلَالُ السَّلْعَالَ عَلَى الْهَالَالُ السَّلْعَالَ عَلَى الْهَالِيلُ السَّلْمَ عَلَى الْهِلَالُ السَّلْمَ عَلَى الْهُ الْهُلِلُ الْهِلَالُ السَّلْمُ الْهُ الْهُلِيلُ لَهُ الْهِلَالُ السَّلْمَ عَلَى الْهَالَةُ الْهِلَالُ السَّلْمَ عَلَى الْهَالِيلُ السَّلْمُ الْهِلَالُ الْهِلَالُ السَّلْمَ عَلَى الْهُلَالُ الْهِلَالُ السَّلْمَ عَلَى الْهُ الْهُ اللَّهُ الْهُ الْهُ الْمُؤْلِ الْهَالَةُ الْهُالُولُ اللْهِلَالُ السَّلْمَ عَلَيْهِ اللْهِ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ الْهُ الْمُؤْلُولُ اللْهِلَالُ الْهُ الْمُعْلِيلُ الْهُ الْهِلَالُ الْهِلَالُ الْمُؤْلِدُ الْعَلَيْمِ الْمُؤْلُولُ الْهِلَالُ السَّلَالُ الْهِلَالُ الْهُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْهِلَالُ الْمُلْعُلُولُ الْمِلْمُ الْمُؤْلُولُ الْهِلَالُ الْهُلِيلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْهُلِلْمُ الْمُؤْلُولُ الْمُلْعُلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِمُ الْمُؤْلِمُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُلْمُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِمُ الْمُؤْلِمُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِمُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِمُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِمُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُ

⁽١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢٢) .

⁽٢) يعني : يحيى بن سلامة الحصكفي ، وانظر « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) ، وهو الجزء الثاني من شعراء الشام .

⁽٣) في « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) : (وأعراضاً أُذيلت) .

⁽٤) في « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) : (الكثائف) .

وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَلْزَمُكُمْ كِتَابٌ وَأَعْقَلُ مِنْ لَبِيبِكُمُ ٱلْهِلَالُ

للهلالِ ثمانية عشرَ معنى ، ذكرَها صاحبُ « القاموسِ » ، وأتى هذا الشاعرُ منها بعشرةٍ ، فلم يفِ بالمقصودِ مِنْ مثلِ هذا الشعرِ ، والذي ذكرَهُ : الهلالُ المعروفُ ، وبقيةُ الماءِ في الحوضِ ، والناقةُ الهزيلةُ ، والحيةُ ، والحربةُ ذاتُ الحدّينِ يُعرقَبُ بها الصيدُ ، والرحا ، ونعلُ الدابةِ ، وجمعُ (هَلٍّ) بفتحِ الهاءِ كالهَلْهَلِ ؛ وهوَ الثوبُ لا يُضَمُّ نسجُهُ ، والقطعةُ مِنَ السلكِ يُشعَبُ بها الإناءُ ؛ وهيَ الكتائفِ ، واحدةُ الكتائفِ ، والطفلُ الصغيرُ .

وفيما ذكرَهُ بعضُ مخالفةٍ لِمَا في « القاموسِ » ، ومثلُ هاذا الشعرِ كثيرٌ ، ولكونِ المقصودِ منهُ ما أسلفنا . . يُحتمَلُ ركاكتُهُ ، ويُرمئ بالقصورِ أو التقصيرِ مَنْ لم يُوفِّهِ حقَّهُ مِنِ استيفاءِ المعاني المُشترَكةِ في اللفظِ .

[ألغازٌ فقهيةٌ من لطائفِ المشتركِ]

ومِنْ لطائفِ المُشترَكِ: أن تَمكّنَ بعضُ الأدباءِ مِنْ وَضْعِ أسئلةٍ فقهيّةٍ يكونُ الجوابُ عنها مخالفاً للشرعِ بحَسَبِ المعنى المتبادرِ مِنَ المُشترَكِ، موافقاً بحَسَبِ غيرِهِ، وسمّوهُ: فُتيا فقيهِ العربِ ؛ مِنْ ذلكَ ما وضعَ الحريريُّ في (المَقامةِ الثانيةِ والثلاثينَ) مِنْ « مقاماتِهِ » (١) . . السؤالَ على لسانِ شابٍ عربيّ ، والجوابَ على لسانِ أبي زيدِ السروجيّ ، قالَ : (ما تقولُ فيمَنْ تَوضَّاً ثمّ لمس ظهرَ نَعْلِهِ ؟ قالَ : انتقضَ وضوءُهُ مِنْ فعلِهِ) المتبادرُ مِنَ النَّعلِ : المَداسُ ، ولمسُهُ لا يَنقضُ الوضوءَ ، وغيرُ المتبادرِ : الزوجةُ ، ولمسُها يَنقضُ الوضوءَ .

قَالَ : (فَإِن تَوضَّأُ ثُمَّ أَتكأَهُ البردُ ؟ قَالَ : يُجدِّدُ الوضوءَ مِنْ بعدُ) أَتكأَهُ :

⁽١) مقامات الحريري (ص ٢٣٨) .

أضجعَهُ على مرفقِهِ ، والمُتبادَرُ مِنَ البردِ : ضدُّ الحَرِّ ، وإتكاؤُهُ صاحبَهُ لا يُبطِلُ الوضوءَ ، ولا يُوجِبُ تجديدَهُ ، والبردُ : النومُ ، ومِنْ كلامِهِم : (منعَ البردُ البردَ) وإتكاءُ النومِ صاحبَهُ بحيثُ يُخرِجُهُ عنِ التمكُّنِ . . مُبطِلٌ للوضوءٌ .

قالَ: (أيمسحُ المُتوضِّئُ أنثيَيهِ ؟ قالَ: قد نُدِبَ إليهِ ، ولم يجبْ عليهِ) ، المتبادرُ مِنَ الأُنثيَينِ: الخِصيتانِ ، وليستا مِنْ أعضاءِ الوضوءِ ، والأنثيانِ: الأذنانِ ، ومسحُهُما في الوضوءِ مطلوبٌ محبوبٌ غيرُ لازم .

قالَ: (أيجوزُ التوضُّؤُ ممَّا يَقذفُهُ الثُّعبانُ ؟ قالَ: وهل ماءٌ أنظفُ منهُ [للعُربانِ]) ، المُتبادرُ مِنَ الثُّعبانِ: الحيوانُ المعروفُ ، ولا يجوزُ التوضُّؤُ ممَّا يَقِذِفُهُ مِنْ لُعابِهِ وغيرِهِ ، والثُّعبانُ: جمعُ ثَعْبِ بفتحٍ فسكونٍ ؛ وهيَ مناقعُ الماءِ يَقَرُّ فيها فيصفو.

قالَ: (أَيُستباحُ ماءُ الضريرِ؟ قالَ: نعمْ ، ويُجتنَبُ ماءُ البصيرِ) المُتبادرُ مِنَ الضَّريرِ: واجدُهُ ، وماؤُهُما ـ وهوَ المنيُّ ـ مِنَ النصيرِ: واجدُهُ ، وماؤُهُما ـ وهوَ المنيُّ ـ مُجتنَبٌ لا يجوزُ استعمالُهُ ، والضَّريرُ: حرفُ الوادي ، وماؤُهُ كماءِ وَسَطِهِ ، والبصيرُ: الكلبُ .

قالَ: (أيَحِلُّ التطوُّفُ في الربيعِ ؟ قالَ: [يُكرَهُ] ذلكَ للحدثِ الشنيعِ)، المُتبادرُ مِنَ الربيعِ: زمانُ نضارةِ النباتِ وكثرةِ الأعشابِ، والتطوُّفُ: تردُّدُ المُتبادرُ مِنَ الربيعِ: زمانُ نضارةِ النباتِ وكثرةِ الأعشابِ، والتطوُّفُ: الإنسانِ في البلادِ لحوائجِهِ، وذلكَ أمرٌ جائزٌ أو واجبٌ في أيِّ زمنٍ، والتطوُّفُ: قضاءُ الحاجةِ ، والربيعُ: النهرُ الصغيرُ، وقضاءُ الحاجةِ فيهِ مكروهٌ؛ للنهي عنِ البولِ في الماءِ الدائم؛ أي: الراكدِ.

ومضى الحريريُّ على هاذا حتى استتمَّ مئةَ مسألةٍ مِنْ أبوابِ الفقهِ ،

وحذا حذوهُ في ذلكَ [الحصكفيُ] المُقدَّمُ ذكرُهُ (١) ، فوضعَ مسائلَ ؛ منها : (ما تقولُ في قاطعِ الطريقُ : النخلُ القِصارُ .

قالَ : (ما تقولُ في قتلِ العاقلِ ؟ قالَ : حلَّ وإن كانَ غيرَ واقلٍ) العاقلُ : التيسُ الوحشيُّ ، والواقلُ : الصاعدُ في الجبلِ .

قالَ : (فما تقولُ في ركوبِ الخيلِ ؟ قالَ : هوَ بريدُ الويلِ) الخيلُ : الظنُّ .

قالَ : (فما تقولُ في ركوبِ الداية ؟ قال : حلَّ كصيدِ الجداية) الداية : في ظهر الدابةِ ، والجداية : الظبيةُ الفتيَّةُ .

وقد ألَّفَ بعضُ أهلِ اللغةِ في المُشترَكِ مُؤلَّفاتٍ سَمَّوها: «شجرَ اللدرِّ » (۲) ؛ وذلكَ أنَّهُم سلكوا في التأليفِ كيفيةً بها يمكنُ وضعُ الكلامِ على صورةِ شجرةٍ ذاتِ أصلٍ وفروع ؛ وذلكَ أنَّ المُؤلِّفَ منهُمُ اختارَ كلمةً مُشترَكةً ، فصدَّرَ بها الكلامَ ، وبَيَّنَ أحدَ معانيها بلفظٍ مُشترَكٍ ، وتركَ معناهُ المُتبادرَ ، وبَيَّنَ معنى آخرَ لهُ بلفظٍ مُشترَكٍ ، وعملَ فيهِ ما عملَ في سابقِهِ ، وهاكذا حتى وقف عندَ حدٍ ، ثمَّ قالَ : (فرعٌ) وأتى بالكلمةِ التي صَدَّرَ بها ، وفسَّرَها بمعنى آخرَ ، ومضى على تلكَ الصورةِ حتى استوفى معانيَ الكلمةِ الأُولى .

وهنذا مثالُهُ: (العَيْنُ: عينُ الوجهِ، والوجهُ: القصدُ، والقصدُ: الكسرُ، والكسرُ: والعَيْنُ: عينُ الوجهِ، والحسرُ خابَأْتُ الرجلَ ؛ إذا خبأتَ لهُ خَبْنًا، وخَبَأً لكَ مثلَهُ، والخَبْءُ: السَّحابُ ؛ مِنْ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ

⁽۱) انظر (۱/۱۱).

⁽٢) هو أبو الطيب اللغوي ، كما في « المزهر » (٤٥٤/١) .

فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١) ، والسَّحابُ: اسمُ عِمامةٍ كانَتْ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ ، والنبيُّ: التلُّ العالي ، والتلُّ : مصدر التليلِ ؛ وهوَ المصروعُ على وجهِهِ ، والتليلُ : صَفحُ العُنُقِ ، والعُنُقُ : الرِّجْلُ مِنَ الجرادِ) (٢) .

ثمَّ قالَ : (فرعٌ (٣) : والعَيْنُ : عينُ الشمسِ ، والشمسُ : شِمَاسُ الخيلِ ، والخيلُ : الوَهْمُ ، والوَهْمُ : الجملُ الكبيرُ ، والجملُ : دابَّةٌ مِنْ دوابِّ البحرِ ، والبحرُ : الماءُ المِلْحُ ، والمِلْحُ : الحُرْمةُ ، والحُرْمةُ : ما كانَ للإنسانِ حراماً على غيرِهِ ، وحَرامٌ : حيُّ مِنَ العربِ ، والحيُّ : ضدُّ الميتِ .

فرعٌ: والعَيْنُ: النقدُ، والنقدُ: ضَرْبُكَ أذنَ الرجلِ أو أنفَهُ بإصبَعِكَ، والأُذُنُ: الرَّجُلُ القابلُ لِمَا يسمعُ، والقابلُ: الذي يأخذُ الدَّلْوَ مِنَ الماتحِ، والدلوُ: السيرُ الرفيقُ، والرفيقُ: الصاحبُ، والصاحبُ: سيفٌ، والسيفُ: مصدرُ سافَ مالُهُ ؛ إذا أودى، وأودى الرَّجُلُ: إذا خرجَ مِنْ إحليلِهِ الوَدْيُ، والوَدْيُ: والوَدْيُ: الفسيلُ.

فرعٌ: والعَيْنُ: موضعُ انفجارِ الماءِ ، والانفجارُ: انشقاقُ عَمودِ الصبحِ ، والصَّبحُ: جمعُ أصبحَ ؛ وهوَ لونٌ مِنْ ألوانِ الأسودِ ، واللَّونُ: الضَّربُ ، والصَّبحُ: جمعُ أصبحَ ؛ وهوَ لونٌ مِنْ ألوانِ الأسودِ ، واللَّونُ: الضَّربُ المحسورُ فِقَرِ والضَّيرُ ؛ الرجلُ المهزولُ ، والمهزولُ : الفقيرُ ، والفقيرُ : المحسورُ فِقَرِ الظَّهْرِ ، والفقرُ : الأوائلُ مِنْ كلِّ الظَّهْرِ ، والواحدُ أُنفٌ بضمّ الهمزةِ ، وفي النونِ الضمُّ والسكونُ .

فرعٌ: والعَيْنُ: عينُ الميزانِ، والميزانُ: برجٌ في السماءِ، والسماءُ: أعلى متنِ الفَرَس، والمتنُ: الصلبُ من الأرضِ، والأرضُ: قوائمُ الدابَّةِ،

⁽١) سورة النمل : (٢٥) .

⁽٢) انظر «المزهر» (٤٥٤/١).

⁽٣) أي : عودة للكلمة كما بيَّنَ المؤلف ، على أن الفرع هنا بمعنى غصن الشجرة .

والقوائمُ: جمعُ قائمةِ ؛ وهيَ الساريةُ ، والساريةُ : المُزنةُ تنشأُ ليلاً ، واللّيلُ : فَرْخُ الكَرَوَانِ ، والفرخُ : ما اشتملَتْ عليهِ قبائلُ الرأسِ مِنَ الدِّماغِ ، والقبائلُ مِنَ العربِ : دونَ الأحياءِ .

فرعٌ: والعَيْنُ: مطرٌ لا يُقلِعُ أياماً، ومطرٌ: حيٌّ مِنْ أحياءِ العربِ، والأحياءُ: جمعُ حياءِ الناقةِ، والحياءُ: الاستحياءُ، والاستحياءُ: الاستبقاءُ، والاستبقاءُ: الاستبقاءُ: الاستبقاءُ: التماسُ النظرةِ، والالتماسُ: الجماعُ، والجماعُ: ضدُّ الفِراقِ، والاستبقاءُ: التماسُ النظرةِ، والالتماسُ: الجماعُ، والجماعُ: ضدُّ الفِراقِ، والفِراقُ: جمعُ فارقٍ، والفِراقُ: جمعُ فارقٍ، والفورقُ: جمعُ فارقٍ، والفارقُ مِنَ النوقِ والأتنِ: التي تذهبُ على وجهِها عندَ الولادةِ، فلا يُدرى أينَ تُنتَجُ.

فرعٌ: والعَيْنُ: رئيسُ القومِ ، والرئيسُ: المُصابُ في رأسِهِ بعصاً أو غيرِها ، والرأسُ: زعيمُ القبيلةِ ؛ أي: سيِّدُها ، والزعيمُ: الصَّبيرُ ؛ أي: الكفيلُ ، والصَّبيرُ: السحابُ الأبيضُ المُتراكِمُ أعناقاً في الهواءِ .

فرعٌ: والعَيْنُ: نفسُ الشيءِ ، والنفسُ: ملءُ الكفِّ مِنْ دباغٍ ، والكفُّ: الذَّبُّ ، والذَّبُّ ، والذَّبُّ : الثورُ الوحشيُّ ، والثورُ : قُشورُ القصبِ تعلو على وجهِ الماءِ ، والقصبُ : رهانُ الخيل .

فرعٌ: والعَيْنُ: الذهبُ، والذهبُ: زوالُ العقلِ، والعقلُ: الشدُّ، والشدُّ: الإحكامُ...) (١١).

وعلى هنذا سياقُ تأليفِ المُشجَّرِ في المُشترَكِ.

وكلُّ لفظٍ تَعدَّدَ معناهُ يجبُ عندَ استعمالِهِ أن يكونَ مقروناً بما يُعيِّنُ المرادَ منهُ ؛ حيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الكلام الإفادةَ والاستفادةَ ، ولمَّا كانَ

⁽١) انظر «المزهر» (٤٥٤/١ _ ٤٥٩).

الكلامُ عندَ أُمَّةِ العربِ كأنَّهُ صنعتُهُمُ التي بإتقانِها يتفاخرونَ ، وفي أحكامِها يتفاوتونَ ، حتى قيلَ : خطيبٌ مِدْرَهٌ ، ومِصْقَعٌ ، وشاعرٌ مُفْلِقٌ وبليغٌ . . كانَ المحازُ والمُشترَكُ لِمَا فيهِما مِنَ المحاسنِ الكلاميَّةِ والمقاصدِ في المحاوراتِ لازمَينِ للغةِ العربيةِ ، ومَنْ لم يَقِفْ مِنَ الأعاجمِ على مرادِ اللغةِ منهُما وانتفاعِ أهلِها بهِما . . عدَّهُما مِنْ عيوبِ اللغةِ ، واللهُ يهدي مَنْ شاءَ لِمَا شاءَ .

التقسيمُ الثالثُ [في الأسماءِ المتباينةِ والمترادفةِ والمتكافئةِ]

العددُ مِنَ اللفظِ:

- إمَّا أن يُوضَعَ لمعانِ متخالفةٍ مِنْ ذواتٍ ، أو صفاتٍ ، أو موصوفاتٍ ؛ كإنسانٍ وفرسٍ ، ونطقٍ وصهيلٍ ، وناطقٍ وصاهلٍ ، وهاذا النوعُ يُسمَّى : الألفاظَ المتباينة .

- وإمَّا أن يُوضَعَ لمعنى واحد دونَ اعتبارِ أحوالِ زائدةٍ على الشيءِ الموضوعِ لهُ ؛ كالحنطةِ والبُرِّ والقمح ، وهاذا النوعُ يُسمَّى : الألفاظَ المترادفةَ .

- وإمَّا أن يُوضَعَ لمعنى واحد باعتبار أحوال زائدة على الشيء الموضوع له ؟ كالصَّارم والعَضْبِ والباتر للسيفِ ، وهنذا النوعُ يُسمَّى : الألفاظ المتكافئة ، ومنه أسماءُ اللهِ تعالى ؟ مِنَ العليم والقادر والمُقتدر وغيرها ، ويُقالُ لهنذا النوع : الأوصافُ التي غلبَتْ عليها الاسمية ؛ لأنَّها عندَ استعمالِها لا يُقصَدُ بها إلّا إحضارُ المُسمَّىٰ دونَ التوصيفِ .

وادعىٰ بعضُ أهلِ اللغةِ أنَّ المترادفَ مُتكافِئٌ ، وتَكلَّفَ تبيينَ الاعتباراتِ في بعضِ الألفاظِ ، والجمهورُ علىٰ ما فصَّلنا .

وفائدةُ المترادفِ: التوسيعُ على الشاعرِ والناثرِ ؛ فإذا لم يوافقِ اللفظُ وزناً أو سلاسةً . . عَدَلَ إلى مرادفِهِ الموافقِ ، قالَ المقَّرِيُّ في « مزدوجتِهِ » في تعريفِ الحُبِّ (٢):

فَإِنْ تَشَأْ فَقُلْ عَذَابٌ يَعْذُبُ أَوْ ضَرَبَانٌ فِي ٱلْهَوَىٰ أَوْ ضَرَبُ

⁽۱) انظر «معيار العلم » (ص ۸۰).

⁽٢) انظر « مجموع مزدوجات مستغربات » (ص ٢) ، وأوله مزدوجة المقري .

فلفظُ (الضَّرَبِ) مرادفٌ للفظِ (العسلِ) ، فلمَّا لم يوافقُ لفظُ (العسلِ) . . عدلَ إلى مرادفِهِ ، ومضى في شعرِهِ .

ومعرفةُ ذلكَ في الشعرِ سهلةٌ ، وفي النثرِ تحتاجُ إلى دقَّةِ نظرٍ ، ولطفِ حِسِّ ، وفضلِ ذوقٍ .

وقد تَتعدَّدُ الأسماءُ للشيءِ المُسمَّىٰ باسمٍ واحدٍ بسببِ تنوُّعِهِ لملاحظةِ قيودٍ ؛ بحيثُ لا يكونُ الاسمُ مِنْ تلكَ الأسماءِ مُحضِراً لجميعِ أنواعِ ذلكَ الشيءِ ؛ كالمتكافئ والمترادفِ ، فلا تكونُ منهُما ؛ وذلكَ كالكأسِ والكوبِ والكوزِ والقدحِ ؛ فإنَّ القدحَ : اسمٌ لكلِّ ما تتناولُ بهِ الماءَ وتشربُ منهُ ، والكأسُ : اسمٌ للقدحِ الممتلئ مِنَ الماءِ أو غيرِهِ ، والكوبُ : اسمٌ للقدحِ الذي لا عروةَ لهُ ، والكوزُ : اسم للقدح الذي لهُ عروةٌ .

وكالدَّلوِ والذَّنُوبِ والسَّجْلِ ؛ فالدَّلوُ : اسمٌ لِمَا يُشَدُّ في الرشا ليُستخرَجَ مِنَ البئر بهِ الماءُ ، والذَّنُوبُ : اسمٌ لهُ بشرطِ أن يكونَ ممتلئاً .

ومِنْ ذَلكَ : أسماءُ الصوتِ المختلفةُ بحَسَبِ اختلافِ الإضافةِ ؛ كصوتِ الريحِ في الشجرِ يُسمَّىٰ حفيفاً ، وفي الفلواتِ دَوِيّاً ، وكلُّ صوتِ شيءٍ لهُ اسمٌ يَخصُّهُ ؛ كرُغاءِ الجملِ ، وخُوارِ البقرِ ، ونُباح الكلابِ ، وعُواءِ الذئابِ .

وهاذا يُسمِّيهِ أهلُ اللغةِ: المُطلَقَ والمُقيَّدَ ؛ فإذا أردتَ إفادةَ الخاصِّ . . وجبَ أن تأتيَ باسمِهِ ، ولم يَصِحَّ أن تأتيَ بالاسمِ العامِّ إلَّا إذا تركتَ الإيجازَ إلى الإطنابِ ؛ فتقولُ مثلاً : الحفيفُ ربَّما نشأَ مِنْ شدَّتِهِ الدُّوارُ ، أو تقولُ : صوتُ الريحِ في الأشجارِ ، وهاذهِ الألفاظُ التي سَمَّوها مُطلقاً ومُقيَّداً داخلةٌ في قسمِ المتباينِ ؛ لكونِها مِنْ أسماءِ الأنواعِ المُشترَكةِ في أمرٍ ، المُتميِّزةِ بَاخَرَ .

التتميمُ [في ذكرِ أربعةِ أنواع من الأسماءِ العامةِ]

أوردنا في هاذا التتميم أربعة أنواع مِنَ الأسماءِ العامَّةِ ؛ أي : أسماءِ الأجناسِ ؛ وهي : أسماءُ الأزمانِ ، وأسماءُ الأزمانِ ، والضمائرُ ، وألممنا بكلام عام على الأفعالِ .

أسماء الشرط

هيَ أسماءٌ ذاتُ معانٍ مُستقِلَّةٍ ضُمِّنَتْ معنىٰ كلمةِ (إنْ) فأغنَتْ عنِ النطقِ بها ؛ وهيَ : (مَنْ) لذوي العلمِ ، و(ما) و(مهما) و(أيُّ) لكلِّ شيءٍ ، و(متىٰ) و(إذا) و(أيَّانَ) للزمانِ ، و(حيثُما) و(أينَ) و(أنَّىٰ) للمكانِ ، و(كيفَما) للحالِ .

فقولُكَ : (مَنْ يعملْ خيراً . . لم يلقَ ضيراً) معناهُ : (كلُّ شخصِ إن يعملْ خيراً . . .) ، فلفظةُ (مَنْ) _ وهيَ حرفانِ _ أغنتْكَ عن قولِكَ : (كلُّ شخصٍ إن) ، وقولُكَ : (متى تَجِدَّ) معناهُ : (إن تَجِدَّ في وقتٍ مِنَ الْأُوقاتِ . . .) وهاكذا بيانُ البقيَّةِ .

أسماء الاستفهام

هيَ أيضاً أسماءٌ ذاتُ معانٍ مُستقِلَةٍ ضُمِّنَتْ معنى همزةِ الاستفهامِ التصوُّريّ ، فأغنَتْ عن النطق بها .

وهي : (مَنْ) و(مَنْ ذا) لذوي العِلْمِ ، و(ما) و(ماذا) و(أيُّ) لكلِّ شيءٍ ، و(متىٰ) للزمانِ ، و(أينَ) للمكانِ ، و(كيفَ) للحالِ ، و(أنَّىٰ)

تكونُ بمعنى (مِنْ أينَ) فهي للمكانِ ، وتكونُ بمعنى (كيفَ) فهي للحالِ ، و و كم) للعددِ .

فإذا قلتَ : (مَنْ عندَكَ ؟) . . فمعناهُ : أزيدٌ عندَكَ ، أم عمرٌو ، أم بكرٌ ؟ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنْ كلِّ شخصٍ يجوزُ أن يكونَ عندَكَ ، فلفظةُ (مَنْ) أغنتْكَ عن الهمزةِ و(أم) وما يُعجِزُكَ مِنْ سَرْدِ الأسماءِ .

وإذا قلتَ: (كيفَ زيدٌ؟) . . فمعناهُ: أمستقيمٌ زيدٌ أم مُعْوَجٌ ؟ صحيحٌ أم مريضٌ ؟ حاضرٌ أم غائبٌ ؟ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأحوالِ الممكنةِ ، فلفظةُ (كيفَ) أغنَتْ عن هاذا .

وإذا قلت : (كم بيتاً تحفظُ ؟) فمعناه : أعشرينَ بيتاً أم ثلاثينَ أم مئةً أم ألفاً ؟ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ العددِ ، فلفظةُ (كم) مغنيةٌ عن هاذا التفصيلِ ، وهاكذا بيانُ البقيَّةِ .

أسماء الزمان

نقلتُ هاندا البابَ وتفسيرَهُ مِنْ « مُقدِّمةِ الأدبِ » للزمخشريِّ ، يذكرُ المفردَ وما وردَ لهُ مِنْ جمع ، قالَ (١):

بابٌ

- (م) وقتٌ ، (ج) أوقاتٌ .
- (م) حِينٌ ، (ج) أحيانٌ .
- _ (م) أَجَلُّ : مُدَّةُ بِقاءِ الشيءِ ، (ج) آجالٌ .
- ـ (م) أَوَانٌ _ بفتحِ الهمزةِ ، وكسرُها لغةٌ _ : وقتُ وجودِ الشيءِ ، (ج) آوِنةٌ .

⁽١) مقدمة الأدب (ص ٣) ، مع تصرُّفِ في بيان بعض المفردات من « القاموس المحيط » وغيره .

- (م) إبَّانٌ : وقتُ صلاحِ الشيءِ وإقبالِ نضرتِهِ ، وزنُهُ فِعْلَانٌ ؛ مِنْ أَبَّ الشيءُ ؛ أي : تَهيَّأَ ، (ج) أبابينُ .
- (م) دهرٌ: اسمٌ للزمنِ مُعتبَراً اتصالُهُ، بخلافِ الزمانِ ؛ فإنَّهُ يُعتبَرُ فيهِ التفصيلُ إلى الساعاتِ والأيامِ والشهورِ والفصولِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ ، (ج) دُهورٌ أدهارٌ .
- _ (م) حُقْبٌ _ بضمٍّ فسكونٍ _ : مُدَّةٌ طويلةٌ ؛ ثمانونَ سنةً أو أكثرُ ، ويُضَمُّ ثانيهِ ، (ج) حِقابٌ وأحقابٌ .
 - _ (م) حِقْبٌ بكسرِ فسكونٍ ، (ج) حِقَبٌ ؛ كعِنَبٍ .
- _ (م) بُرْهةٌ _ بضمٍّ فسكونٍ ، وتُفتَحُ باؤُها _ : قطعةٌ مِنَ الزمنِ ، والسَّبتُ ، والسَّبتُ والسَّبتُ والسَّبتُ والسَّبتُ والسَّبتُ والسَّبتُ والسَّبتُ والسَّبتَ والسَّبتَ والسَّبتَ والسَّبتَ والسَّبتَ والسَّبتَ والسَّبتَ والسَّبتَ البُرْهةُ . « قاموس » .
- _ (م) مَنُونٌ : مِنْ أسماءِ الدَّهرِ ؛ مأخوذٌ مِنْ (مَنَّ) بمعنىٰ : قطعَ ؛ لكونِهِ قَطُوعاً غيرَ وَصُولٍ ، على صيغةِ المبالغةِ ، ورَيبُ المَنُونِ ورُيوبُهُ : حوادثُ الدَّهر .
- (م) عَصْرٌ بفتحٍ فسكونٍ وبضمتَينِ : مُدَّةُ الجيلِ ، (ج) أعصارٌ وعُصورٌ .
- ـ (م) أُمَّةٌ : طائفةٌ مِنَ الزمنِ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (١) .
 - _ (م) زمنٌ ، (ج) أَزمُنٌ .
- _ (م) زمانٌ ، (ج) أَزمِنةٌ ، وصَرْفُ الزَّمانِ وصُروفُهُ : تغيُّراتُهُ وتنقُّلاتُ أحوالِهِ .

⁽١) سورة يوسف : (٤٥) .

- $_{-}$ (م) فترةٌ ، $_{-}$ (ج) فَتَراتٌ $_{-}$ $_{-}$
- ـ (م) قَرْنٌ : مئةُ سنةٍ ، (ج) قُرونٌ .
- _ (م) سَنَةٌ ، (ج) سِنُونَ وسنواتٌ وسَنَهَاتٌ ، وتقولُ : سانيتُ وسانهتُ ، وآجرتُ الدارَ مساناةً ومسانهةً .
 - (م) حَوْلٌ ، (ج) أحوالٌ .
 - (م) حِجّةٌ بكسر الحاءِ ، (ج) حِجَجٌ .
 - (م) عامٌ ، (ج) أعوامٌ .

والأسماءُ الأربعةُ (٢) لمُدَّةِ اثنيْ عشرَ شهراً ، وتقولُ : أَحُجُّ العامَ ، وحججتُ عاماً أَوَّلَ ، وأَحُجُّ القابلَ .

- _ (م) فصلٌ : اسمٌ لربعِ السنةِ ، (ج) فصولٌ : ربيعٌ ، صيفٌ ، خريفٌ ، شتاءٌ شَتْوةٌ [مَشتاةٌ] .
 - _ (م) شهرٌ ، (ج) شهورٌ وأشهرٌ ، والأشهرُ المعلوماتُ : أشهرُ الحجِّ .
 - _ (م) غُرَّةٌ : أوَّلُ الشهر.
 - (م) محاقٌ مثلثُ الميمِ ، وسَرَارٌ ، وسَلْخٌ : الثلاثةُ آخرُ الشهرِ .

أسماءُ الشهورِ: المُحرَّمُ ، وصفرٌ ، وشهرُ ربيعِ الأوَّلِ ، وشهرُ ربيعِ الآخِرِ ، وجُمادى الأُولئ ، وجُمادى الآخِرةُ ، ورجبٌ ، وشعبانُ ، وشهرُ رمضانَ ، وشَوَّالٌ ؛ وهوَ أوَّلُ أشهرِ الحَجِّ ، وذو القَعدةِ بفتحِ القافِ وكسرِها ، وذو الحِجَّةِ كذٰلكَ ؛ وهوَ آخِرُ أشهرِ الحَجِّ .

⁽١) ما بين معقوفين زيادة من «مقدمة الأدب» (ص ٣).

⁽٢) السنة ، والحول ، والحجة ، والعام .

أسماءُ اليومِ والليلةِ : الجديدانِ ، والمَلَوانِ ، والعَصْرانِ ، والدَّائبانِ ، مُثنَّى لا يُستعمَلُ له مفردٌ .

- (م) ليلةُ : اسمُ جنسِ جمعيّ ، ليلٌ ، (ج) ليالٍ .
 - ـ (م) قطعةٌ: اسمُ الجنسِ: قِطْعٌ.
 - _ (م) زلفةٌ: قطعةٌ، (ج) زُلَفٌ.
- (م) وَهْنٌ ومَوْهِنٌ : ثُلُثُ الليلِ الأوَّلُ ، أو ربعُهُ أو نصفُهُ ، وبهرةُ الليلِ : وَسَطُهُ ، والجُنْحُ : جزءٌ الليلِ : وَسَطُهُ ، والجُنْحُ : جزءٌ مِنَ الليلِ .

وتقولُ: زرتُ زيداً الليلةَ: للحاضرةِ التي أنتَ فيها مِنَ المغربِ إلىٰ زوالِ الشمسِ، وتقولُ: البارحةَ: لليلةِ التي مضىٰ يومُها، والبارحةَ الأُولىٰ: للتي قبلَها، وليلةُ غدٍ: للَّيلةِ المُقبِلةِ، وليلةُ السَّذَقِ _ بفتحِ الذالِ المعجمةِ _ وليلةُ الوَقُودِ: للَّيلةِ الأربعينَ مِنَ الشتاءِ، وليلةُ القَدْرِ، وليلةُ القضاءِ: لليلةِ نصفِ شعبانَ، وليلةُ البراءةِ _ وفي « القاموسِ »: البراءِ _: اسمٌ لآخِرِ ليلةٍ مِنَ الشهرِ، أو لآخِرِ يوم منهُ، أو لأوَّلِ ليلةٍ مِنَ الشهرِ، أو لأوَّلِ يوم منهُ.

- _ (م) يومٌ ، (ج) أيامٌ .
- (م) نهارٌ: مِنَ الفجرِ الصادقِ لغروبِ الشمسِ في لسانِ الشرعِ ، ومِنْ طلوعِ الشمسِ إلى غروبِها في لسانِ أهلِ الهيئةِ ، (ج) نُهُرٌ ، نحرُ النهارِ وصدرُهُ ووجهُهُ : لأوَّلِهِ .

تقولُ: صاحبتُ فلاناً مُدَّةَ إقامتِهِ بمصرَ يومَ يومَ ، بالتركيبِ والفتحِ ؛ أي : جميعَ الأيامِ على التعاقبِ ، وتقولُ : أنتظرُ اليومَ قُدومَ زيدٍ ؛ للحاضرِ ، وتقولُ : جئتُكَ أمسِ ؛ بكسرِ آخِرِهِ ؛ للوقتِ المُعيَّنِ الذي قبلَ وقتِكَ بلا

فصلٍ ، وتقولُ لِمَا قبلَهُ: أولَ مِنْ أمسِ ، وتقولُ لِمَا قبلَهُ: أولَ مِنْ أَوَّلَ مِنْ أَمَّلَ مِنْ أَمَّلَ ، وتقولُ : ألقاكَ غداً ؛ لِمَا يلي يومَكَ ، وبعدَ غدٍ ؛ لِمَا يليهِ .

تباشيرُ الصبحِ: عمودُ الفجرِ ، الفَلَقُ: لوقتِ انفصالِ الليلِ مِنَ النهارِ وذهابِ الظُّلمةِ وبُدُوِّ النورِ ، الفجرُ والصبحُ والصباحُ والبُكْرةُ: لوقتِ النورِ قبلَ الشمسِ ، والغَداةُ: لِمَا قبلَ الضَّحوةِ ؛ وهوَ ربعُ النهارِ الأوَّلِ ، والجمعُ: غَدَوَاتٌ ، ومثلُها الغُدُوةُ بضمٍ فسكونٍ ، والجمعُ : غُدُواتٌ - بضمَّتينِ ، أو بضمٍ فسكونٍ ، والجمعُ : غُدُواتٌ - بضمَّتينِ ، أو بضمٍ فسكونٍ ، أو ففتحٍ - ولا يُقالُ : غدايا إلَّا معَ عشايا ؛ للازدواجِ ، وتقولُ : خرجَ زيدٌ الغَداةَ ؛ للحاضرةِ القائمةِ أو الذاهبةِ مِنْ يومِكَ ، وغداةَ أمسِ ، وغداةً غدِ .

والضَّحىٰ - بضمِّ أُوَّلِهِ والقصرِ - والضَّحوة : لربعِ النهارِ الثاني ، والظُّهرُ والظَّهرُ ، والجمعُ ظهائرُ ، والقائلةُ : لربعِ النهارِ الثالثِ ، والعصرُ والأصيلُ ، والجمعُ : أَصُلُ ، وجمعُهُ : أصائلُ ، والمُسْئِ والمَساءُ والجمعُ : أصائلُ ، والمُسْئِ والمَساءُ والعشيَّةُ ، واسمُ الجنسِ : العَشِيُّ ، والجمعُ : العشيَّاتُ والعشايا : لآخِرِ النهارِ ، والعِشاءُ : مِنْ أواخرِ النهارِ إلىٰ منتهى الليلِ ، والعَتَمَةُ : لأولِ الليلِ ، وتقولُ : تَعهَّدتُ الشيءَ صباحَ مساءَ ، بالتركيبِ والفتحِ ؛ أي : كلَّ صباحِ ومساءِ .

أسماءُ الأيامِ في لسانِ العربِ القديمِ : يومُ السبتِ : شِيارٌ ؛ بكسرِ أُولِهِ ، ويومُ الأُحدِ : أُولَ ، ويومُ الاثنينِ : أهونُ ، ويومُ الثَّلاثاءِ : جُبارٌ ؛ بضمِّ أُوَّلِهِ وكسرِهِ ، ويومُ الأربعاءِ : دُبارٌ كذلكَ ، ويومُ الخميسِ : مُؤنِسٌ ، ويومُ الجُمُعةِ : العَروبةُ ، وبغيرِ (أَل) فيكونُ عَلَمَ جنسٍ .

اسمُ مجموع الأيامِ: أُسبوعٌ ، (ج) أسابيعُ .

_ (م) يومُ عاشوراءَ وتاسوعاءَ : للتاسع والعاشرِ مِنَ المُحرَّمِ .

النُّوروزُ : أوَّلُ يومِ مِنَ الخريفِ .

المِهْرَجانُ : أُوَّلُ يوم مِنَ الربيع .

عيدُ الفِطر ، عيدُ الضَّحِيَّةِ ، (ج) أعيادٌ .

يومُ الترويةِ: للثامنِ مِنْ ذي الحِجَّةِ، يومُ عرفةَ: للتاسعِ منهُ، يومُ النَّحرِ: للعاشرِ، أيامُ التشريقِ: للثلاثةِ بعدَهُ ؛ وهيَ الأيامُ المعدوداتُ، والأيامُ المعلوماتُ: العشرُ قبلَها.

- _ (م) مُدَّةٌ ، (ج) مُدَدٌ ، (م) أَمَدٌ ، (ج) آمادٌ ، (م) مَدىً ، (م) غايةٌ ، (م) نهايةٌ ، (م) أبدٌ ، يُقالُ : لا أفعلُ كذا أبدَ الدهرِ ، ومَدَى الدَّهرِ ، وجَدَى الدَّهرِ ؛ أي : أبداً .
 - _ (م) ساعةٌ ، (ج) ساعاتٌ ، اسمُ جنسِ : ساعٌ .
 - ـ (م) إِنْيٌ ، (ج) آناءٌ ، وأُنِيُّ .
- (م): فَيْنةٌ: قطعةٌ مِنَ الزمنِ ؛ تقولُ: كنتُ أذهبُ لزيدٍ الفَينةَ بعدَ الفَينةِ ، (ج) فَيْناتٌ .
- (م) فُواقٌ بضمِّ أَوَّلِهِ: الزمنُ بينَ الحلبتَينِ ؛ تقولُ: انتظرْني فُواقَ ناقةٍ ؛ أي: زمناً قَدْرَ تلكَ المُدَّةِ ، وتقولُ: الساعةَ يجيءُ زيدٌ: للحاضرةِ ، وتقولُ: حضرَ الآنَ: للوقتِ الحاضرِ ، وآنفاً: للوقتِ الذاهبِ .

ومِنَ الأسماءِ الزمانيَّةِ: (متى) ، و(أيَّان) ، و(إذ) ، و(إذا) التي سبقَ لها ذكرٌ في أسماءِ الشرطِ والاستفهامِ ، و(مُذْ) و(مُنْذُ) اللَّتانِ تَقدَّمَ ذكرُهُما في الحروفِ ، فهُما مُشتركتانِ بينَ الاسميَّةِ والحرفيَّةِ .

والكَرَّةُ : الغَداةُ والعَشِيُّ ، وتقولُ : ألقاهُ كرَّتي النهارِ ؛ أي : طرفَيهِ .

ـ (م) تارةٌ وطورٌ : حِينٌ ، (ج) تاراتٌ وأطوارٌ .

وتقولُ : لقيتُهُ ذاتَ مَرَّةٍ ؟ أي : مُدَّةً صاحبةً مَرَّةٍ ، وعلى هاذا التقدير كلُّ ما

وردَ مِنْ (ذاتِ كذا) وهي : ذاتُ سنةٍ ، وذاتُ شهرٍ ، وذاتُ ليلةٍ ، وذاتُ يومٍ ، وذاتُ غداةٍ ، وذاتُ عشاءٍ .

ويُؤتى ببعضِ أسماءِ الزمانِ مُضافةً إلىٰ كلمةِ (إذ) مُضافةً إلىٰ جملةٍ مذكورةٍ أو محذوفةٍ ؛ اعتماداً على علمِها مِنْ سياقِ الكلامِ ، ويُعوَّضُ عنها عندَ حذفِها نونٌ يُلفَظُ بها ولا تُكتَبُ تُسمَّى : التنوينَ ؛ نحوُ : حينَئذٍ ، وعامَئذٍ ، وغداتَئذٍ ، وعشيَّتَئذٍ ، وساعتَئذٍ ، ويومَئذٍ ، وليلتَئذٍ ؛ تقولُ : حينَ إذ أطاعَ اللهَ زيدٌ وأكرمَهُ الناسُ حينَئذٍ ؛ أي : حينَ إذ أطاعَ اللهَ زيدٌ وأكرمَهُ الناسُ حينَئذٍ ؛ أي : حينَ إذ أطاعَ اللهَ .

أسماء يوم القيامة : الساعة ، يوم القيامة ، يوم البعث ، يوم البعث ، يوم الدِّين ، يوم النَّشور ، يوم الخُروج ، يوم الحَشْر ، يوم الجَمْع ، يوم الحساب ، يوم العَرْض ، النَّشور ، يوم الحَشْر ، يوم النَّدامة ، الحاقّة ، القارعة ، الواقعة ، الطامّة ، يوم العَشية ، يوم الرّفة ، وأكثرُها واردٌ في القرآنِ المجيدِ ، وأشراط الساعة الصاخّة ، الغاشية ، الآزفة ، وأكثرُها واردٌ في القرآنِ المجيدِ ، وأشراط الساعة

_ جمعُ شَرَطٍ بفتحاتٍ _ : العلاماتُ على قرْبِ يومِ القيامةِ .

أسماءُ مُدَّةِ النَّشأةِ الأُولى : الدُّنيا ، والأُولىٰ ، والعاجلةُ .

أسماء مُدَّةِ النَّشأةِ الآخِرةِ: الآخِرةُ ، الآجِلةُ ، الأُخرى .

أسماءُ المُدَّقِ بينَ النشأتَينِ: الرَّقْدةُ ، الهَمْدةُ ، البَرْزخُ . انتهى ما نقلناهُ مِنْ « مُقدِّمةِ الأدبِ » ببعض تصرُّفِ وزيادةٍ (١١) .

الضَّمائرُ (٢)

(أنا) ، و(إِيَّايَ) ، وتاءٌ مضمومةٌ ؛ مثلُ : كتبتُ ، وياءٌ ساكنةٌ تُفتَحُ

⁽١) مقدمة الأدب (ص ٣ _ ٥).

⁽٢) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١٠٧/١) .

أحياناً ؛ نحوُ: كتابي ، اذكرْني . . لكلِّ مُتكلِّمٍ يريدُ الحكايةَ عن نفسِهِ وحدَهُ .

و (نحنُ) ، و (إيَّانَا) ، و (نا) نحوُ : عرفْنا . . لكلِّ مُتكلِّمٍ يريدُ الحكايةَ عن نفسِهِ وغيرهِ .

و(أنتَ)، و(إيَّاكَ)، وتاءٌ مفتوحةٌ؛ مثلُ: فهمتَ، وكافٌ مفتوحةٌ؛ مثلُ: علَّمَكَ . . لكلّ مُخاطَب مُذكَّر .

و(أنتِ) بكسرِ التاءِ، و(إياكِ) بكسرِ الكافِ، وتاءٌ مكسورةٌ؛ مثلُ: قرأتِ، وكافٌ مكسورةٌ؛ مثلُ: أَخبرَكِ .. لكلِّ مُخاطَبةٍ مُؤنَّتةٍ (١).

و(أنتُما)، و(إيَّاكُما)، وتاءٌ مضمومةٌ بعدَها ميمٌ فأَلِفٌ ؛ مثلُ : حفظتُما، وكافٌ مضمومةٌ فميمٌ فألفٌ ؛ مثلُ : هداكُما ربُّكُما . . لكلِّ مُخاطَبَينِ مُذكَّرينِ أو مُؤنَّفين أو مُختلِطَين .

و(أنتُم)، و(إيَّاكُم)، وتاءٌ مضمومةٌ فميمٌ، وكافٌ مضمومةٌ فميمٌ.. لكلِّ جماعةِ ذكورٍ مُخاطَبينَ، وإن تكنِ الجماعةُ مُختلِطةً.. غُلِّبَتِ الذُّكورُ على الإناثِ.

و (أنتُنَّ) ، و (إيَّاكُنَّ) ، وتاءٌ مضمومةٌ بعدَها نونٌ مُشدَّدةٌ ، وكافٌ مضمومةٌ بعدَها نونٌ مُشدَّدةٌ . لكلِّ جماعةِ إناثٍ مُخاطَباتٍ .

و (هوَ) ، و (إيَّاهُ) ، والمُستتِرُ المَلحوظُ بعدَ : عَرَفَ ؛ نحوُ : زيدٌ عرفَ . . لكلِّ مُذكَّرِ غائبٍ .

و(هيَ) ، و(إيَّاها) ، والمُستتِرُ المَلحوظُ بعدَ : عرفَتْ ، مِنْ نحوِ : هندٌ عرفَتْ . . لكلِّ مُؤنَّثةٍ غائبةٍ .

⁽١) وياء ساكنة ؛ مثل : تضربين .

و(هُما) ، و(إيَّاهُما) ، والألفُ مِنْ نحو : عَرَفَا وعَرَفَتَا . لكلِّ غائبَينِ مُذكَّرينِ أو مُؤنَّثِينِ أو مُختلِطَينِ ، لا فرقَ إلَّا معَ الأَلِفِ ؛ فالتاءُ قبلَها حرفٌ يَدُلُّ على أنَّ المَحكيَّ عنهُ مُؤنَّثُ ، وكانَتْ ساكنةً فَفُتِحَتْ لأجلِ الأَلفِ ، وتُسمَّىٰ هلذهِ التاءُ : تاءَ التأنيثِ الساكنة .

و(هُم) ، و(إيَّاهُم) ، والواؤ في نحوِ : عَرَفوا . . لكلِّ جماعةِ ذكورٍ غائبينَ .

و (هُنَّ) ، و (إِيَّاهُنَّ) ، والنونُ في نحوِ : عَرَفْنَ . . لكلِّ جماعةِ إناثِ غائباتٍ .

والأَلِفُ والواوُ والنونُ تكونُ في الخطابِ أيضاً ؛ مثلُ : اكتُبا ، واحفظوا ، وافهمْنَ ، وما عدا هلذهِ الأسماءَ يُسمَّى : الأسماءَ الظاهرةَ .

وما كانَ مِنَ الضَّمائرِ ظاهرَ الاستقلالِ في النُّطقِ . . يُسمَّىٰ : مُنفصِلاً ، وما كأنَّهُ حرف مِنَ الكلمةِ السابقةِ عليهِ . . يُسمَّىٰ : مُتَّصِلاً .

وللضَّمائرِ مواضعُ مِنَ الكلام يَختصُّ كلُّ صنفٍ منها بموضعٍ ، وبيانُ ذلكَ في قسمِ النحوِ .

الكلامُ العامُّ على الأفعالِ [تقسيمُ الفعلِ إلىٰ لازمِ ومُتعَدِّ] (١)

الفعلُ: إن كانَ يكفي في حصولِ معناهُ شيءٌ واحدٌ مُحصِّلٌ له ؛ وهوَ الفاعلُ . . يُسمَّى الفعلُ : قاصراً ، ولازماً ، والفعلَ ذا النِّسبةِ الواحدةِ .

وإن كانَ يَفتقِرُ في حصولِ معناهُ لأكثرَ مِنْ شيءٍ . . يُسمَّىٰ : مُتجاوِزاً ، ومُتعدِّياً والفعلَ ذا النِّسبتَينِ .

فتارةً يكونُ مُفتقِراً لشيئينِ : فاعلِهِ ، وشيءٍ آخَرَ يقعُ بهِ تأثيرُهُ ؛ وهوَ المفعولُ به ، وحينئذٍ يُسمَّى : المُتعدِّيَ لواحدٍ .

[أقسامُ الفعل المتعدِّي]

وتارةً يكونُ يَفتقِرُ إلى ثلاثةِ أشياءَ : فاعلٍ ، ومفعولَينِ ، وهذا النوعُ ثلاثةُ أصنافٍ :

الصِّنفُ الأوَّلُ: أفعالٌ تَدُلُّ علىٰ أنَّ فاعلَها جعلَ شيئاً يَفعَلُ فعلاً في شيءٍ آخَرَ، فيكونُ المجعولُ فاعلاً مفعولاً أوَّلَ، والشيءُ الآخَرُ مفعولاً ثانياً، فالمفعولُ الأوَّلُ في هاذا الصِّنفِ: هوَ ما لهُ فاعليَّةٌ في المعنى، والمفعولُ الثاني: ما لا فاعلية لهُ في المعنى، بل لهُ المفعوليةُ الخالصةُ ، وهلذا الصِّنفُ مِنَ الأفعالِ يُسمَّى : بابَ أعطى ؛ كأعطى ، ومنعَ ، ومنحَ ، وكسا ، ووهبَ ، وألبسَ ، وأطعمَ ، وأسقى ، وسقى .

وبيانُ ذٰلكَ : أنَّ قولَكَ : أعطىٰ زيدٌ عمراً درهماً ؛ معناهُ : أنَّ زيداً جعلَ

⁽١) انظر « همع الهوامع » (٧/٣) .

عمراً عاطياً ؛ أي : مُتناوِلاً درهماً ؛ تقولُ : عطا عمرٌو درهماً يَعطوهُ ، وأعطيتُهُ إِيَّاهُ ؛ فأنتَ [مُناوِلٌ] ، وعمرٌو مُتناوِلٌ لنفسِهِ ، مُناوَلٌ منكَ ، والدِّرهمُ بينكُما مفعولٌ خالصٌ .

الصِّنفُ الثاني: أفعالٌ تَتعلَّقُ بنسبةِ أمرٍ لأمرٍ حقيقةً ، وبطرفَيِ النِّسبةِ ظاهراً ، وتُسمَّى: الأفعالَ الإدراكية ، وأفعالَ القلوبِ ، بعضُها لليقينِ ، وبعضُها للظنِّ والحِسْبانِ ؛ فما لليقينِ فقطْ أربعةُ أفعالٍ ، هيَ : وجدَ ، وألفى ، وبعضُها للظنِّ والحِسْبانِ ؛ فما لليقينِ فقطْ أربعةُ أفعالٍ ، هيَ اللغةِ وليسَ لها فعلٌ ودرئ ، وتَعلَّمْ ؛ بمعنى : اعلمْ ، وهلذهِ الكلمةُ وردَتْ في اللغةِ وليسَ لها فعلٌ ماضٍ ولا مضارعٌ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرِ بَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ (١) . وقالَ : ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِينَ ﴾ (١) .

وقالَ بعضُ العرب (٣):

فَإِنَّ ٱغْتِبَاطاً بِٱلْوَفَاءِ حَمِيدُ

دُرِيتَ ٱلْوَفِيَّ ٱلْعَهْدِ يَا عُرْوَ فَٱغْتَبِطْ وقالَ آخَرُ (١٠):

[من الطويل]

[من الطويل]

تَعَلَّمْ شِفَاءَ ٱلنَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا وَبَالِغْ بِلُطْفٍ فِي ٱلتَّحَيُّلِ وَٱلْمَكْرِ

وما للظنِّ فقطْ خمسةُ أفعالٍ ؛ وهي : جعلَ ، وحَجَا ، وعَدَّ ، وهَبْ _ ولا تكونُ إلَّا طلباً (°) ، فهي أختُ (تَعلَّم) السابقةِ ، ولا ثالثَ لهُما في اللغةِ _ وزعم .

⁽١) سورة المزمل : (٢٠) .

⁽٢) سورة الصافات : (٦٩) .

⁽٣) انظر « أوضح المسالك » (٣٢/٢) .

⁽٤) هو لزياد بن سيار ، كما في « خزانة الأدب » (179/9) .

⁽٥) يعني : هَبْ .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَتَهِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَكُ ٱلرَّحْمَانِ إِنَاتًا ﴾ (١).

وقالَ الشاعرُ (٢):

[من البسيط]

حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرو أَخَا ثِقَةٍ [من الطويل]

وقالَ آخَرُ (٣):

وَلَاكِنَّمَا ٱلْمَوْلَىٰ شَرِيكُكَ فِي ٱلْعُدْم فَلَا تَعْدُدِ ٱلْمَوْلَىٰ شَريكَكَ فِي ٱلْغِنَىٰ

وقالَ آخَرُ (١):

وَإِلَّا فَهَبْنِي ٱمْرَأً هَالِكَا

[من الخفيف]

[من المتقارب]

فَـقُـلْتُ أَجِـرْنِـى أَبَـا خَـالِـدٍ وقالَ آخرُ (٥):

زَعَمَتْنِي شَيْخًا وَلَسْتُ بِشَيْخ إِنَّمَا ٱلشَّيْخُ مَنْ يَدِبَّ دَبِيبَا

وما للأمرَينِ _ والخالبُ استعمالُهُ في اليقينِ _ فعلانِ : رأى ، وعَلِمَ .

قالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ و بَعِيدًا وَنَرَيْهُ قَرِيبًا ﴾ (١) .

وقالَ : ﴿ فَأَعْلَمْ أَنَّهُۥ لَا إِلَنَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٧) .

وقالَ : ﴿ فَإِنْ عَاِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ (^).

⁽١) سورة الزخرف: (١٩).

⁽٢) هو لأبى شبل ، كما في « معجم الأدباء » (٣٨٦/٢) .

⁽٣) هو سيدنا النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، كما في « عيون الأخبار » (٩٧/٣) .

⁽٤) انظر « مغنى اللبيب » (٧٧٥/٢) .

⁽٥) انظر « مغنى اللبيب » (٧٧٥/٢) .

⁽٦) سورة المعارج: (٦ - ٧).

⁽٧) سورة محمد: (١٩) .

⁽٨) سورة الممتحنة : (١٠).

وما للأمرَينِ _ والغالبُ استعمالُهُ في المُرجَّحاتِ _ ثلاثةُ أفعالٍ : ظنَّ ، وحَسِبَ ، وخالَ .

قالَ الشاعرُ (١):

ظَنَنْتُكَ إِنْ شَبَّتْ لَظَى ٱلْحَرْبِ صَالِياً فَعَرَّدْتَ فِيمَنْ كَانَ عَنْهَا مُعَرِّدَا وَقَالَ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَقُولُ رَبِّهِمْ ﴾ (٢) .

وقالَ الشاعرُ (٣): [من الطويل]

(١) وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً عَشِيَّةَ لَاقَيْنَا جُذَامَ [وَحِمْيَرَا]

وقالَ آخَرُ () :

حَسِبْتُ ٱلتُّقَىٰ وَٱلْجُودَ خَيْرَ تِجَارَةٍ رَبَاحاً إِذَا مَا ٱلْمَرْءُ أَصْبَحَ ثَاقِلَا

وقالَ آخَرُ (٦):

إِخَالُكَ إِنْ لَمْ تَغْضُضِ ٱلطَّرْفَ ذَا هَوىً يَسُومُكَ مَا لَا يُسْتَطَاعُ مِنَ ٱلْوَجْدِ

وقالَ آخَرُ (٧):

مَا خِلْتُنِي زِلْتُ بَعْدَكُمْ ضَمِناً أَشْكُو إِلَيْكُمْ حُمُوَّةَ ٱلْأَلْمِ

الصِّنفُ الثالثُ : أفعالٌ تَدُلُّ على تحويلِ شيءٍ ونقلِهِ مِنْ حالةٍ إلى غيرِها ،

⁽١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (٢١/٢) .

⁽٢) سورة البقرة : (٤٦) .

⁽٣) انظر « أوضح المسالك » (٤٠/٢) .

⁽٤) في الأصل : (وحمير) .

⁽٥) انظر « أوضح المسالك » (٤١/٢) .

⁽٦) انظر « أوضح المسالك » (٤٢/٢) .

⁽٧) انظر «أوضح المسالك» (٤٣/٢).

وتُسمَّىٰ: أفعالَ التصييرِ ؛ وهيَ : جعلَ ، وردَّ ، وتركَ ، واتَّخذَ ، وتَخِذَ ، وصَيَّرَ ، ووَهَبَ .

قالَ تعالىٰ : ﴿ فَعَلْنَهُ هَبَآءُ مَّنتُورًا ﴾ (١).

وقالَ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِتَٰكِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنَ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ (٢).

وقالَ : ﴿ وَتَرَكُّنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَ إِذِ يَمُوجُ فِي بَعْضِ ﴾ (٣) .

وقالَ : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ('').

وقالَ الشاعرُ (٥): [من الوافر]

تَخِذْتُ [غُرَازَ] إِثْرَهُمُ دلِيلاً وَفَرُّوا فِي ٱلْحِجَازِ لِيُعْجِزُونِي

وقالَ الراجزُ (٦): [من السريع الموقوف]

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولُ

وسُمِعَ مِنَ العربِ : (وَهَبَني اللهُ فداءَكَ) ولم يستعملوا منهُ غيرَ الماضي . ولمفعولَيْ أفعالِ الإدراكِ مباحثُ تأتي في قسم النحو .

وتَتعلَّقُ أحرفُ الإضافةِ بجميع الأفعالِ ؛ لازمِها ومُتعدِّيها ، ويُقالُ لها :

⁽١) سورة الفرقان : (٢٣) .

⁽٢) سورة البقرة : (١٠٩) .

⁽٣) سورة الكهف : (٩٩) .

⁽٤) سورة النساء: (١٢٥) .

⁽٥) انظر « أوضح المسالك » (٤٧/٢) .

⁽٦) هو عجز بيت لرؤبة بن العجاج في « ديوانه » (ص ١٨١) ، والبيت بتمامه : وَلَـعِبَتْ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَـابِيلْ فَصَيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَـأْكُـولْ انظر « أوضح المسالك » (٤٨/٢) .

مفاعيلُ غيرُ صريحةٍ ، ويُقالُ للأفعالِ اللَّازمةِ : مُتعدِّيةٌ بالواسطةِ ؛ لأنَّ أحرفَ الإضافةِ تربطُها بما بعدَها ؛ فإذا قلتَ : (خرجتُ مِنَ الدارِ إلى الطريقِ) فكلمتا (مِنْ) و(إلىٰ) ربطتا (خرجَ) به (الدار) و(الطريقِ) .

وأمًّا مفاعيلُ الأفعالِ المُتعدِّيةِ بنفسِها . . فإنَّها تُسمَّى : المفاعيلَ الصَّريحة .

تقسيمٌ آخَرُ للفعلِ [إلىٰ تامّ وناقصٍ] (١)

الفعلُ: منهُ ما يكونُ معناهُ مقصوداً بالإفادةِ ؛ بحيثُ يَتِمُّ بهِ وبشيءِ واحدٍ معَهُ وهوَ فاعلُهُ . . كلامٌ ، ويُسمَّىٰ : فعلاً تامّاً ؛ كقامَ زيدٌ ، وأعطىٰ خالدٌ ، ومَنْ يَسمعْ . . يَخَلْ .

وإمَّا ألَّا يكونَ معناهُ مقصوداً بالإفادةِ ؛ بحيثُ لا يكونُ لهُ فاعلٌ يَتِمُّ بهِما كلامٌ ، بل يكونُ المقصودُ بهِ الذهابَ إلى حكايةِ نسبةِ أمرٍ لأمرٍ مُفاداً بذلكَ الفعلِ وقتَ تلكَ النسبةِ وحالِها ، وهلذا النوعُ مِنَ الفعلِ يُسمَّىٰ: ناقصاً ، وألفاظهُ:

(كان) لمُطلَقِ التوقيتِ ، و(أصبح) للتوقيتِ بالصَّبحِ ، و(أضحى) للتوقيتِ بالصَّبحِ ، و(أضحى) للتوقيتِ بالضَّحى ، و(أمسى) للتوقيتِ بالمَساءِ ، و(ظلَّ) للتوقيتِ بالنَّهارِ ، و(باتَ) للتوقيتِ باللَّيلِ ، و(صارَ) للتوقيتِ والدلالةِ على التحويلِ مِنْ صفةٍ إلى صفةٍ ، ومثلُها (حارَ) و(آضَ) في ألفاظٍ أُخَرَ ، و(ليسَ) للنفي ، و(زالَ) و(بَرِحَ) و(فَتِئَ) و(انفكَ) و[رامَ] للاستمرارِ (٢٠ ، ولا تُستعمَلُ هاذهِ إلَّا مَنفيَّةً أو مَنهيًا عنها ؛ كن ما زالَ ، ولن يزالَ ، وما رامَ ، ولا يريمُ .

⁽۱) انظر « همع الهوامع » (٤٠٨/١) .

⁽٢) في الأصل : (و« دام » للاستمرار) ، وسيذكر بعد قليل : (وما رام) .

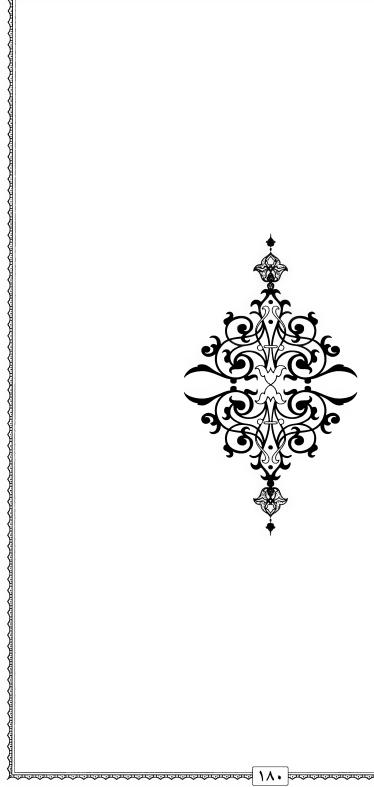
ولفظُ (ما دامَ) لبيانِ مُدَّةِ حكمٍ يُذكَرُ قبلَها ، ولا تُستعمَلُ هـٰذا الاستعمالَ إلَّا معَ (ما) المَصدريَّةِ الظرفيَّةِ .

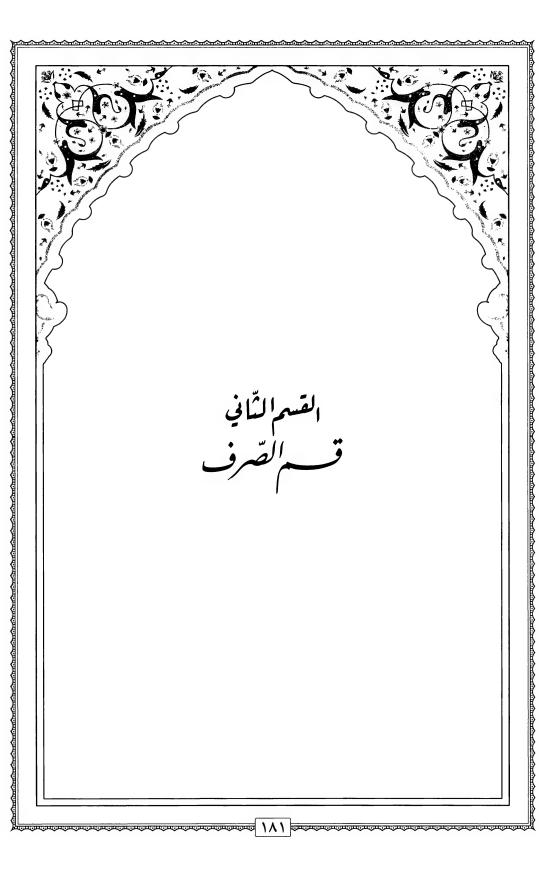
و(عسىٰ) و(حَرَىٰ) و(اخلَوْلَقَ) للدلالةِ علىٰ أنَّ أمراً قاربَ أن يُحصِّلَ أمراً بحَسَب الرجاءِ ، وتُسمَّى الأفعالُ الثلاثةُ : أفعالَ الرجاءِ .

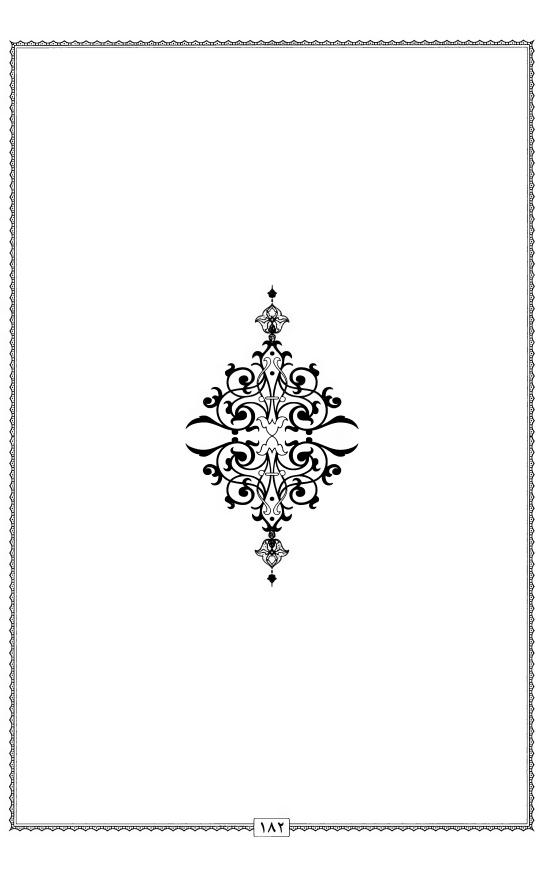
و(كادَ) و(أوشكَ) و(كَرَبَ) للدلالةِ على أنَّ أمراً قاربَ أن يَحصُلَ منهُ أمرٌ بحَسَبِ الواقعِ ونفسِ الأمرِ ، فهيَ للإخبارِ بذلكَ ، وتُسمَّىٰ : أفعالَ المقاربةِ .

و(جعلَ) و(أخذَ) و(طَفِقَ) و(أَنشأَ) و(أقبلَ) للدلالةِ علىٰ أنَّ أمراً شرعَ في أن يُحصِّلَ أمراً ، وتَهيَّأَ لذٰلكَ وتَصدَّىٰ .

وكما تُسمَّىٰ هاذهِ الأفعالُ: أفعالاً ناقصةً .. تُسمَّى: الأفعالَ النسبيَّة ؛ لكونِها _ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ _ لشرحِ حالِ نسبةٍ تُذكَرُ بطرفَيها بعدَها ، ولها اسمٌ ثالثٌ يأتي هوَ وأحكامُ تراكيبِها في قسمِ النحوِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .







[تعريفُ الصرفِ ومحاورُ البحثِ]

عرفتَ أنَّ الصَّرفَ: عِلْمٌ يُبيِّنُ صيغَ الألفاظِ، وكونَها أصولاً وزوائدَ، ومتبادلةَ الحروفِ، وكيفيةَ النطقِ بها (١٠).

ولنجعلِ الكلامَ عليهِ في :

- _ مُقدِّمةٍ .
- _ ومَقالتَينِ .
 - _ وخاتمةٍ .

(۱) تقدم (۱/۲۵) .

المُقدِّمةُ [في التمهيدِ لعلمِ الصرفِ]

اعلمْ: أنَّ الناسَ الذينَ نصَبوا أنفسَهُم لضبطِ صورِ مفرداتِ اللغةِ . . وجدوا أنَّ العربَ تَقصِدُ إلى الحروفِ ، فتُركِّبُ منها الكلمةَ لأجلِ أن تضعَها لشيءٍ تكونُ دالةً عليهِ مفيدةً لهُ ، فإذا أرادوا جعلَها مفيدةً لمعنى آخَرَ يكونُ المعنى الأولُ جزءً لهُ . . غيَّروا صورةَ الكلمةِ ؛ إمَّا بتبديلٍ في الحركاتِ ، وإمَّا بزيادةٍ أو نقصِ في الحروفِ ، ومِنْ هنا جاءَ الاشتقاقُ .

فيكونُ اللفظُ بصورتِهِ الأُولىٰ أصلاً ، وبالصورةِ الأُخرىٰ فرعاً ، وحينَئذٍ يُسمَّى الأصلُ : مصدراً ، وتُسمَّى الفروعُ : مُشتقًاتٍ .

[الاشتقاقُ ، والميزانُ الصرفيُّ]

فالاشتقاقُ: تبديلُ صورةِ كلمةٍ ذاتِ معنىً بصورةٍ أخرى لتكونَ ذاتَ معنىً آخَرَ .

وللمصدرِ أنواعٌ يأتي بيانُها وبيانُ فروعِها في الموضع المناسبِ لذلك .

ثمَّ نظروا في الألفاظِ ؛ فوجدوا أكثرَ الكلماتِ الموضوعةِ للمعاني الأصليَّةِ لا تزيدُ على ثلاثةِ أحرفٍ ، فذهبوا إلىٰ جعلِ أصولِ الكلماتِ ثلاثة أحرفٍ ، وعن ثانيها به (العينِ) ، وعن ثالثِها به (اللَّام) .

به (اللَّام) .

ووضعوا لوزنِ أصولِ الكلمةِ لفظ (فعل) مُصوّراً عندَ النطقِ بصورةِ الموزونِ .

[أنواعُ الزيادةِ في الكلماتِ] ثمَّ الكلماتُ الزائدةُ على ثلاثةِ أحرفٍ ثلاثةُ أنواع:

نوعٌ تكونُ زيادتُهُ أصليةً ؛ بأن تكونَ الكلمةُ مِنْ أُوَّلِ وضعِها على الأحرفِ الزائدةِ على ثلاثةٍ ، وتُسمَّى الكلماتُ التي هلذا شأنُها بالكلماتِ المُجرَّدةِ .

فإن كانَتِ الكلمةُ فعلاً . . لم تَزِدْ عن أربعةٍ ، وإن كانَتِ اسماً . . لم تَزِدْ على خمسةٍ .

فالأفعالُ المُجرَّدةُ: ثُلاثياتٌ ؛ كنصرَ وذهبَ ، ورُباعياتٌ ؛ كدَحْرجَ وعَرْبدَ .

والأسماءُ المُجرَّدةُ: أُحاديةٌ ؛ ك (تاءِ) أكرمتُكَ و(كافِهِ) ، وثُنائيةٌ ؛ ك (مَنْ) و(كَمْ) ، وثُلاثياتٌ ؛ كفهم وحفظ وزيدٍ وعمرٍ و ، ورباعياتٌ ؛ كبُرْثُنِ ، وجعفرٍ ، وزبْرِج ، وخماسياتٌ ؛ كسَفَرْجَلٍ ، وجَحْمَرِشٍ .

فإذا أردتَ أن تَزِنَ ما زادَ على الثلاثةِ مِنْ هاذا النوعِ . . كرَّرتَ اللَّامَ ؛ فجئتَ بلامَينِ أو ثلاثةٍ ، فتقولُ : (دَحْرَجَ) على وزنِ (فَعْلَلَ) ، وتقولُ : (سَفَرْجَلٌ) على وزنِ (فَعْلَلِ) . (سَفَرْجَلٌ) على وزنِ (فَعْلَلِ) .

ونوعٌ تكونُ زيادتُهُ بتكريرِ عينِ الكلمةِ أو لامِها ؛ ويُسمَّىٰ : مُضعَّفاً ، فإذا أردتَ أن تَزِنَ كلمةً مِنْ هاذا النوعِ . . كرَّرتَ العينَ في مُضعَّفِ العينِ ، وكرَّرتَ العينَ في مُضعَّفِ العينِ ، وكرَّرتَ العينَ في مُضعَّفِ العينِ ، وللهَّمَ اللَّامَ في مُضعَّفِ اللَّامِ ، فتقولُ : (عَظَّمَ) وزنُهُ (فَعَلَ) بتشديدِ العينِ ، فتكونُ ناطقاً بعينينِ ، ومُجرَّدُهُ (عَظُمَ) بتخفيفِ الظاءِ ، وتقولُ : (جَلْبَبَ) وزنُهُ (فَعْلَلَ) .

ونوعٌ تكونُ زيادتُهُ حرفاً أو أكثرَ مِنْ حروفِ (سألتُمونيها) وهيَ عشرةُ أحرفِ تُسمَّىٰ : أحرف الزيادةِ .

ولا يَتجاوزُ الفعلُ بالزيادةِ ستةَ أحرفٍ ، ولا يَتجاوزُ الاسمُ بالزيادةِ سبعةَ أحرفٍ ، وكلُّ زائدٍ أقلَّ ممَّا قبلَهُ في عددِ الكلماتِ .

فإذا أردتَ أن تَزِنَ الكلمةَ مِنْ هلذا النوعِ . . نطقتَ بألفاظِ الحروفِ الزائدةِ ؛ فتقولُ : (ضارَبَ) وزنُهُ (فاعَلَ) ، و(استخرجَ) وزنُهُ (استفعلَ) ، و(اقتدرَ) وزنُهُ (افتعلَ) وهلكذا ، وتعيينُ مواضعِ الزياداتِ يأتي في مواضعِهِ مِنَ الكلام على الأفعالِ والأسماءِ .

المقالةُ الأُولىٰ في الكلامِ على الفعلِ

للفعلِ تقاسيمُ

التقسيمُ الأوَّلُ [مِنْ حيثُ الزمنُ]

قد عرفتَ أنَّ الفعلَ كلمةٌ موضوعةٌ لمنسوبِ ملحوظٍ أوَّلاً ، ونسبةٍ ملحوظةٍ ثانياً ، ومنسوبِ إليهِ مُعيَّنِ ملحوظٍ ثالثاً .

فإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الزمنِ الماضي . . فهوَ الفعلُ الماضي . وإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الحالِ ؛ أي : الزمنِ الحاضرِ الذي فيهِ المكالمةُ . . فهوَ الفعلُ المضارعُ الحاليُّ .

وإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الزمنِ الآتي بعدَ زمنِ التكلُّمِ . . فهوَ الفعلُ المضارعُ الاستقباليُّ .

وإن كانَ مطلوباً بهِ تحصيلُ أمرٍ في الزمنِ المُستقبَلِ . . فهوَ فعلُ الأمرِ . فالفعلُ أربعةُ أصنافٍ ، وصيغةُ المضارعَينِ واحدةٌ مُشترَكةٌ بينَهُما ، وتَعيُّنُ المرادِ منها كسائرِ المُشترَكاتِ . . بالقرينةِ ؛ أي : الدليلِ على المرادِ ؛ مثلُ : كتبَ زيدٌ ، وقرأً ، وحفظَ ، وعمرٌ و يكتبُ وسيقرأُ ، وسوفَ يحفظُ ، واكتب يا بكرُ ، واقرأ ، واحفظ .

التقسيمُ الثاني [مِنْ حيثُ الصحةُ والاعتلالُ](١)

الفعلُ: إن كانَتْ أصولُهُ غيرَ الألفِ والواوِ والياءِ . . يُسمَّىٰ : صحيحاً ؟ كعَلِمَ ، وشَرُفَ .

وإن كانَ بعضُ أصولِهِ مِنَ الأحرفِ الثلاثةِ . . يُسمَّىٰ : مُعتلًّا .

فإن كانَتْ فاؤُهُ منها . . يُسمَّىٰ : مِثالاً ؛ كوَعَدَ ، ويَسَرَ .

وإن كَانَتْ عَيْنُهُ . . يُسمَّىٰ : أَجُوفَ ؛ كَعَوِرَ ، وغَيِدَ ، وقالَ .

وإن كانَتْ لامُهُ . . يُسمَّىٰ : ناقصاً ؛ كرَضِيَ ، وخَشِيَ ، وتَلا ، ورَمَىٰ .

وإن كانَ منها اثنانِ . . يُسمَّىٰ : لفيفاً مَفروقاً إن لم يَجتمِعا ؛ كوَقَىٰ ، ووَفَىٰ ، ولفيفاً مَقروناً إنِ اجتمعا ؛ كيَاوَمَ ، وغَوَىٰ ، ورَوَىٰ .

والأحرف الثلاثة تُسمَّىٰ: أحرف العِلَّةِ ؛ لأنَّ الفعلَ كثيراً ما يَتغيَّرُ عن صورةِ نوعِهِ بسببِها ؛ فإن كانَتْ هلذهِ الأحرفُ ساكنةً . . سُمِّيَتْ : أحرف اللِّينِ ، فإن كانَتْ ساكنةً ، وقبلَ الواوِ ضمةٌ ، وقبلَ الياءِ كسرةٌ (٢) . . سُمِّيَتْ : أحرف مَدِّ .

فالأَلِفُ حرفُ مَدِّ ولينِ دائماً ؛ لدوامِ سكونِها وفتحِ ما قبلَها ؛ لامتناعِ غيرِ ذلكَ فيها .

وأمَّا الواوُ والياءُ . . فلهُما ثلاثةُ أحوالٍ يَستجقَّانِ في واحدةٍ منها اسماً واحداً ، وفي أخرى اسمَينِ ، وفي الثالثةِ ثلاثةَ أسماءٍ تَستجقُّها الأَلِفُ مُطلَقاً .

⁽١) انظر «همع الهوامع» (٣٠٨/٣).

⁽٢) أي : وقبل الألف فتحة .

وإن كانَ بعضُ الأصولِ همزةً . . يُسمَّى الفعلُ : مهموزاً ؛ كأخذَ ، وسألَ ، وقرأً ، وإن كانَ أصلانِ مِنْ جنسٍ واحدٍ كباءين أو لامين . . يُسمَّى الفعلُ : مُضعَّفاً ، كسَبَّ ، ومَلَّ ، وشَدَّ .

ولكونِ الفعلِ يَتغيَّرُ عن صورةِ نوعِهِ بسببِ الهمزةِ والتضعيفِ . . قالَ أهلُ الفَنِّ : يُسمَّى الفعلُ سالماً إذا خلا مِنَ الهمزةِ والتضعيفِ وحروفِ العِلَّةِ ؟ فكلُّ سالم صحيحٌ ، وليسَ كلُّ صحيح سالماً .

ثمَّ إِنَّ هَاذِهِ الْأَسْمَاءَ لِتَلْكَ الْأُسْبَابِ لا تَخُصُّ الفَعْلَ ، بل تكونُ في الاسمِ .

التقسيمُ الثالثُ الفعلُ باعتبارِ مادَّتِهِ وعددِ حروفِهِ أربعةُ أصنافٍ

ثُلاثيٌّ ، ورُباعيُّ ، وخُماسيٌّ ، وسُداسيٌّ ؛ كنصرَ ، ودحرجَ ، وانطلقَ ، واستخرجَ .

وباعتبارِ صورتِهِ التي هيَ هيئتُهُ الحاصلةُ لهُ مِنَ الحركاتِ أوِ الحركاتِ والسَّكَناتِ على التراتيبِ الخاصَّةِ . . سبعةٌ وثلاثونَ باباً :

ستةُ أبوابٍ للثُّلاثيِّ ، وعشرةٌ للرُّباعيِّ ، وثلاثةَ عشرَ للخُماسيِّ ، وثمانيةٌ للسُّداسيِّ .

لَكُنَّ أَبُوابَ الثُّلاثيِّ باعتبارِ حالِ الماضي ومضارعِهِ ؛ لاختلافِ صورةِ المضارعِ معَ اتفاقِ صورةِ الماضي ، بخلافِ جميعِ الأبوابِ ؛ فإنَّها باعتبارِ حالِ الماضي فقطْ ؛ لأنَّ كلَّ فعلِ منها يكونُ مضارعُهُ على صورةٍ واحدةٍ .

الكلامُ على أبوابِ الثلاثيِّ (١)

هيَ مُرتَّبَةٌ بحَسَبِ الكثرةِ والقِلَّةِ ؛ فكلُّ سابقٍ منها أكثرُ أفراداً مِنْ لاحقِهِ . ولا يَخرِجُ الماضي عن ثلاثِ صورٍ : (فَعَلَ) بفتحِ العينِ ؛ كنصَرَ ، وضرَبَ ، وفتَحَ ، و(فَعِلَ) بكسرِ العينِ ؛ كفرِحَ ، وحَسِبَ ، و(فَعُلَ) بضمِّ العين ؛ كشرُفَ .

وكلٌّ منها بعضُ أفرادِهِ مُتعدِّ والبعضُ لازمٌ ، إلَّا (بابَ شرُفَ) فإنَّ جميعَ أفرادِهِ لازمةٌ ، فهيَ باعتبارِ التعدِّي واللُّزوم أحدَ عشرَ صنفاً .

البابُ الأوَّلُ

(فَعَلَ) بفتحِ العينِ (يَفعُلُ) بضمِّها ، ويُسمَّىٰ : (بابَ نَصَرَ) كنَصَرَ يَنْصُرُ ، وأَخَذَ يأخُذُ ، وقالَ يقولُ ، ودعا يدعو ، وشَدَّ يَشُدُّ ، وقَعَدَ يَقعُدُ ؟ فهاذهِ الأفعالُ وأمثالُها بفتحِ العينِ في الماضي ، وضمِّها في المضارع .

والأمرُ مِنْ كلِّ فعلٍ: على صورةِ مضارعِهِ بحذفِ حرفِ المضارعةِ .

فإذا كانَ أوَّلُهُ ساكناً وأردتَ الابتداءَ بهِ . . جئتَ بهمزةِ مضمومةٍ في مضموم العينِ ، ومكسورةٍ في غيرِهِ ؛ تُسمَّىٰ : همزةَ الوصلِ ؛ لكونِكَ تَصِلُ بها إلى التمكُّنِ مِنَ النطقِ بالساكنِ .

ولهمزةِ الوصلِ مواضعُ يأتي بيانُها ، للكنْ إذا كانَتْ فاءُ الفعلِ مِنْ هلذا البابِ همزةً ؛ كأخذَ ، وأمرَ ، وأكلَ . . أُبدِلَتْ في المضارعِ أَلِفاً إذا سبقَتْها همزةُ المُتكلِّم ؛ لقاعدةِ : أنَّهُ متى اجتمعَ همزتانِ في أوَّلِ الكلمةِ وسَكَنَتْ

⁽١) انظر « همع الهوامع » (٣٠٨/٣) ، و« شذا العرف » (ص ٤١) .

ثانيتُهُما . أُبدِلَتْ مِنْ جنسِ حركةِ الأُولى ، فتُبدَلُ أَلِفاً للفتحةِ ، وواواً للضمةِ ، وياءً للكسرةِ ، وحُذِفَتْ همزةُ الفعلِ مِنَ الأمرِ ، فيبقىٰ عينُهُ ولامهُ ؛ تقولُ : آخُذُ وآمُرُ وآكُلُ ، وخُذْ ومُرْ وكُلْ ، وحينَئذٍ يستغني الأمرُ عن همزةِ الوصلِ .

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ واواً ؛ كقَوَلَ ورَوَمَ . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي ، ونُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، وبَقِيَتْ ساكنةً سكوناً مُرسَلاً في المضارع ، فإذا سكنَ آخِرُهُ . . حُذِفَتْ كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إذا لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ، فيكونُ النطقُ هاكذا : قالَ ، يَقُولُ ، لم يَقُلْ ، قُلْ ، قَولاً (١) ، ورَامَ ، يَرُومُ ، لم يَرُمْ ، رُمْ ، رُومُوا .

وإذا كانَتْ لامُ الفعلِ واواً ؛ كدَعَوَ ، وعَلَوَ . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي .

ولها في المضارع ثلاثة أحوال : السكونُ المُرسَلُ ، والفتحُ ، والحذفُ ، وبيانُ سببِ ذلكَ مِنْ وظيفةِ النحو .

ولها في الأمرِ ثلاثةُ أحوالٍ: حذفُها عندَ خطابِ الواحدِ ، وعندَ خطابِ جماعةِ الذُّكورِ ، وعندَ خطابِ الواحدةِ ، وفي هنذا تُبدَلُ الضمةُ التي كانَتْ قبلَها كسرةً ، وبقاؤها مفتوحةً عندَ خطابِ الاثنينِ ، وبقاؤها ساكنةً عندَ خطابِ جماعةِ الإناثِ ، فيكونُ النطقُ هنكذا : علا ، يعلو ، لن يعلو - بفتحِ الواوِ - لم يَعْلُ ، أعلُ ، أعلُ ، أعلُوا ، أعلُوا ، أعلُونَ .

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ ولامُهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كدالَينِ أو جيمَينِ كرَدَدَ . . سكنَتِ العينُ ، وأُدغِمَتْ في اللّامِ في الماضي ، ونُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، فتَسكُنُ وتُدغَمُ في المضارعِ والأمرِ ، ولذلك يُحرَّكُ آخِرُ الأمرِ في موضع سكونِهِ .

⁽١) لعل القياس أن يقول: (قولوا) ، كما سيأتي في (رُوموا) ، والله تعالى أعلم.

الباب الثاني

(فَعَلَ) بفتحِ العينِ (يَفْعِلُ) بكسرِها ، ويُسمَّىٰ : (بابَ ضَرَبَ) كضرَبَ ، وباعَ ، ورمىٰ ، ووَعَدَ ، ووَفَىٰ ، ووَجَدَ .

فإذا كانَتْ عينُ الفعلِ ياءً ؛ كبَيَعَ . . قُلِبَتْ أَلِفاً في الماضي ، ونُقِلَتْ كسرتُها إلى الساكنِ قبلَها ، وبَقِيَتْ ساكنةً سكوناً مُرسَلاً في المضارعِ ، وحُذِفَتْ إن سكنَ آخِرُهُ ، كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إن لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ؛ كباعَ ، يَبِيعُ ، لم يَبِعْ ، بِعْ ، بِعْنَ ، بِيعا ، بِيعُوا ، بِيعِي .

وإذا كانَتْ لامُ الفعلِ ياءً ؛ كرَمَيَ . . قُلِبَتْ أَلِفاً في الماضي .

ولها في المضارع ثلاثةُ أحوالٍ : سكونُها ، وفتحُها ، وحذفُها .

ولها في الأمرِ ثلاثةُ أحوالٍ: حذفُها في خطابِ الواحدِ والواحدةِ وجماعةِ الذُّكورِ ، وتُبدَلُ الكسرةُ التي كانَتْ قبلَها في هاذا ضمةً ، وبقاؤُها مفتوحةً في خطابِ الاثنينِ ، وبقاؤُها ساكنةً في خطابِ جماعةِ الإناثِ ، فيكونُ النطقُ هاكذا: رمى ، يَرمي ، لن يَرميَ بفتحِ الياءِ ، لم يَرمِ ، ارمِ يا زيدُ ، ارمي يا هندُ ، ارموا يا رجالُ ، ارميا ، ارمين .

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً . . حُذِفَتْ مِنَ المضارعِ والأمرِ ، فيبقى الفعلُ على حرفينِ هما عينُهُ ولامُهُ ؛ كوَعَدَ ، يَعِدُ ، عِدْ ، ووَزَنَ ، يَزِنُ ، زِنْ .

وإذا كانَتْ فاءُ الفعلِ واواً ، ولامُهُ ياءً ؛ كوَقَىٰ ووَفَىٰ . . عُومِلَ معاملةً ما فاؤُهُ واوٌ ، وما لامُهُ ياءٌ ، فيكونُ نطقُهُ هاكذا : وَقَىٰ ، يَقي ، لن يَقِي ، لم يَقِ ، في ، قُوا ، قِيَا ، قِينَ .

وعندَ حذفِ لامِهِ يبقىٰ علىٰ حرفِ واحدِ هوَ عينُهُ ، وإذا أردتَ حينَئذِ أن تَقِفَ عليهِ . . أتيتَ بهاءِ السكتِ ؛ فتقولُ : قِهْ ، وعِهْ ، وفِهْ .

وإذا كانَتْ عينُهُ ولامُهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ . . عملتَ فيهِ عملَكَ في (ردَّ) سوى أنَّ هنا كسرةً ، وهناكَ ضمةً .

البابُ الثالثُ

(فَعَلَ ، يَفْعَلُ) بِفتحِ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ : (بابَ فتحَ) كَفَتَحَ يَفْتَحُ ، وذَهَبَ يَذَهَبُ ، ولم يَرِدْ هاذا البابُ إلَّا وعينُهُ أو لامُهُ مِنَ الحروفِ الحلقيَّةِ ؛ وهي : الهمزةُ ، والهاءُ ، والعينُ ، والحاءُ ، والغينُ ، والخاءُ ؛ كسألَ يسألُ ، ولجأَ يَلجَأُ ، ودَهَمَ يَدهَمُ ، وشَذَّ : أبي يَأْبَيٰ ، وكانَ حقُّه : يَأْبِي ؛ كيرمي .

ومتىٰ كانَتْ لامُ الفعلِ ياءً ؛ كسَعَيَ ورَعَيَ . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الأفعالِ الثلاثةِ ، وتُحذَفُ مِنَ المضارعِ والأمرِ في بعضِ التراكيبِ ـ علىٰ قياسِ أُختَيها الياءِ والواوِ مِنْ نحوِ : (يَرمي) و(يدعو) ـ غيرَ أَنَّ فتحتَها تُحفَظُ ولا تُبدَلُ كسرةً لأجلِ الياءِ أو ضمةً لأجلِ الواوِ ، فيكونُ النطقُ هلكذا : سَعَىٰ ، يَسْعَىٰ ، لَسْعَىٰ ، لسعىٰ ، لم يَسْعَ ، اسعَ ، اسعَيْ بفتحِ العينِ ، اسعَوْا بفتحِها أيضاً ، اسعَيَا لن يسعىٰ ، لم يَسْعَ ، اسعَ ، الشعَيْ بفتحِ العينِ ، اسعَوْا بفتحِها أيضاً ، اسعَيَا المَعْيْنَ بالياء فيهِما على الأصلِ ، والمُضعَّفُ منهُ كالمُضعَّفِ مِنْ غيرِهِ ، والتخالفُ بالحركةِ .

البابُ الرابعُ

(فَعِلَ) بكسرِ العينِ (يَفْعَلُ) بفتحِها ، ويُسمَّىٰ : (بابَ فَرِحَ) كَفَرِحَ يَفْرَحُ ، وفَهِمَ يَفْهَمُ ، وخَافَ يَخَافُ ، وعَوِرَ يَعْوَرُ .

ومِنْ هاذا البابِ: الأفعالُ الدالَّةُ على الفرحِ وتوابعِهِ ، والحُزْنِ وتوابعِهِ ، والحُزْنِ وتوابعِهِ ، والامتلاءِ ، والخُلُقِ ، والألوانِ ، والعُيوبِ ، والخِلَقِ الظاهرةِ التي تُذكَرُ لتحليةِ الإنسانِ في الغزلِ ؛ كَفَرِحَ ، وطَرِبَ ، وبَطِرَ ، وأَشِرَ ، وكغَضِبَ ، وحَزِنَ ، وكشَبِعَ ، ورَوِيَ ، وسَكِرَ ، وعَطِشَ ، وظمِعَ ، وصَدِيَ ، وهَيِمَ ، وكحمِرَ ،

وسَوِدَ ، وكَعَوِرَ ، وعَمِشَ ، وعَشِيَ ، وجَهِرَ ، وكَغَيِدَ ، وهَيِفَ ، ولَمِيَ .

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ مِنْ هاذا البابِ واواً أو ياءً ؛ فإن كانَ مصدرُهُ على (فَعَلٍ) بفتحتينِ ؛ كعَوِرَ عَوراً ، وغَيدَ غَيداً . . سَلِمَتْ ولم تُغيَّرْ ، وإن كانَ مصدرُهُ على (فَعْلٍ) بفتح فسكونٍ ؛ كخاف يَخاف خَوْفاً . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي ، وكذا في المضارع ، بعد نقلِ فتجها إلىٰ ما قبلَها ، وإذا سكنَ آخِرُهُ . . حُذِفَتْ كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إن لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ؛ كخاف ، يَخاف ، لم يَخف ، خَفْ ، خَفْ ، خَفْ ، خافي ، خافا ، خافوا .

وإذا كانَتْ لامُهُ واواً . أُبدِلَتْ ياءً في الماضي ، وأَلِفاً في المضارعِ والأمرِ ، وعُومِلَتْ معاملة أَلِفِ (يسعىٰ) كرَضِيَ وعَشِيَ ، أصلُهُما : رَضِوَ وعَشِوَ ؛ بدليلِ الرضوانِ ، وعشواءَ ، ومثلُ الياءِ المُبدَلةِ . . الياءُ الأصليةُ في إبدالِها أَلِفاً في المضارعِ والأمرِ ؛ كلّمِيَ يَلْمَىٰ ، والمُضعَّفُ مِنْ هاذا البابِ كغيرِهِ .

البابُ الخامسُ

(فَعُلَ ، يَفْعُلُ) بضمِّ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ : (بابَ كَرُمَ) نحوُ : كَرُمَ يَكرُمُ ، وشَرُفَ يَشرُفُ .

وجميعُ أفعالِ هاذا البابِ دالَّةٌ علىٰ غرائزَ مطبوعةٍ في الفِطرِ ، ولكَ أن تُحوِّلَ كلَّ ثُلاثيٍ إلىٰ هاذا البابِ ؛ للدلالةِ علىٰ أنَّ معناهُ قد صارَ كالغريزةِ في صاحبِهِ ، وربَّما تَعجَّبوا بأفعالِ هاذا البابِ ، فلا تكونُ للإخبارِ عن حدوثِها كما هوَ وضعُ الأفعالِ ، ولهاذا شرحٌ في النحو .

البابُ السادسُ

(فَعِلَ ، يَفْعِلُ) بكسرِ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ : (بابَ حَسِبَ) كَحَسِبَ يَحْسِبُ ، ووَثِقَ يَثِقُ .

وهاذا البابُ أقلُّ الأبوابِ أفعالاً ، ولذلك أُخِّرَ ولم يكنْ معَ (بابِ فَرِحَ) كما تقتضي المناسبةُ لكسرِ عينِ الماضي فيهِما .

ولم يُوجَدْ في اللغةِ العربيةِ _ فهوَ مُهمَلٌ _ (فَعِلَ) بكسرِ العينِ (يَفعُلُ) بضمِّها ، ولا (فَعُلَ) بضمِّ العينِ (يَفعِلُ) أو (يَفعَلُ) بكسرِها أو فتحِها ، ولو وُجِدَتْ . . لكانَتْ أبوابُ الثُّلاثيّ تسعةً .

الكلامُ على أبوابِ الرباعيِّ (١)

هيَ خمسةُ أقسام : قسمُ المُجرَّدِ ، وقسمُ مُلحقاتِ المُجرَّدِ بالزيادةِ ، وقسمُ المهموزِ ، وقسمُ المهموزِ ، وقسمُ المفاعلةِ ؛ كدَحْرجَ ، وبَعْثرَ ، وعَرْبدَ ، ودَرْبجَ ، وكحَوْقلَ ، وبَيْطرَ ، وجَهْورَ ، وعَثيرَ ، وجَلْببَ ، وسَلْقىٰ ، وكأكرمَ ، وكعَظَّمَ ، وكفاخَرَ .

ومِنَ المُجرَّدِ: أفعالٌ نحتَتْها العربُ مِنْ مُركَّباتٍ ؛ ك (بَسْمَلَ) مِنْ : السمِ اللهِ ، و (حَمْدَلَ) مِنَ : الحمدُ للهِ ، و (حَوْقَلَ) مِنْ : لا حولَ ولا قوَّةَ [إلَّا باللهِ] ، و (طَلْبَقَ) مِنْ : أطالَ اللهُ بقاءَهُ ، و (دَمْعَزَ) مِنْ : دامَ عِزُّهُ ، و (جَعْفَلَ) مِنْ : جعلَني اللهُ فداءَكَ ، ويُقتصَرُ مِنْ هاذا على ما سُمِعَ ، فليسَ لنا أن نَنجِتَ كما نحتوا .

والزيادةُ في المُلحقاتِ للدلالةِ على قُوَّةِ الفعلِ أو كثرتِهِ ، وأمَّا صيغةُ المهموزِ ، وصيغةُ مُضعَّفِ العينِ ، وصيغةُ المفاعلةِ . . فهيَ لمعانِ يَكثرُ في الكلام دورُها ، فلا بدَّ مِنْ تفصيلِها ، والتنبيهِ على مواضعِها .

صيغةُ المهموزِ : يَكثرُ استعمالُها في ستَّةِ معانٍ :

_ أحدُها: تصييرُ شيءٍ فاعلاً فِعْلاً ؛ كأقمتُ زيداً ، وأقعدتُهُ ، وأقرأتُهُ القرآنَ ؛ أي: صيَّرتُهُ فاعلاً للقيام والقعودِ والقراءةِ .

فمتىٰ كانَ أصلُ الفعلِ لازماً . . صارَ بالهمزةِ مُتعدِّياً لواحدِ ، ومتىٰ كانَ مُتعدِّياً لواحدِ . . صارَ مُتعدِّياً لاثنَينِ ؛ وذلكَ أنَّ صيغةَ المهموزِ مُشتمِلةٌ علىٰ

⁽١) انظر «شذا العرف» (ص٥١).

معنيَينِ هما فعلانِ : التصييرُ ، ومعنى أصلِ الفعلِ ، فإذا قلتَ : (أعطى زيدٌ عمراً درهماً ؛ فالتصييرُ : فعلُ زيدٍ ، عمراً درهماً ؛ فالتصييرُ : فعلُ زيدٍ ، وعمرٌ و مفعولُهُ (١) ، والعطوُ _ أي : التناولُ والأخذُ _ فعلُ عمرٍ و ، والدرهمُ مفعولُهُ .

ولم يَرِدْ في اللغةِ إدخالُ همزةٍ على فعلٍ مُتعدِّ لاثنَينِ ليصيرَ مُتعدِّياً لاثنَينِ ليصيرَ مُتعدِّياً لثلاثةٍ إلا (رأى) و(علمَ) وهما مِنَ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي سبقَ معرفتُكَ أَنَّها مُتعدِّيةٌ لاثنَينِ بعدَ الفاعلِ ، فإذا أدخلتَ الهمزةَ . . صارَ ما كانَ فاعلاً مفعولاً ؛ فتقولُ : أريتُ زيداً بكراً نافعاً ، أو أعلمتُهُ .

ومِنْ كلامِهِمُ: البركةُ أعلمَنا اللهُ معَ الأكابرِ.

وثَمَّ خمسةُ أفعالٍ مُتضمِّنةٌ معنى الإعلامِ ، فهيَ مُتعدِّيةٌ إلى ثلاثةٍ ؛ وهي : أخبرَ ، وخَبَّرَ ، ونَبَّأَ ، وأنبأَ ، وحَدَّثَ .

_ وثانيها: سلبُ شيءٍ وإزالتُهُ عن شيءٍ ؛ كأعتبَ زيدٌ عمراً ، وأشكاهُ ، وأقذى عينه ؛ أي : أزالَ عَتْبَهُ عليهِ بترضِّيهِ والاعتذارِ لهُ ، وأزالَ شكايتَهُ منهُ ، وسلبَ القَذى عن عينِهِ ؛ والقَذَىٰ : ما يسقطُ في العين فيؤذيها .

- وثالثُها: مصادفةُ الشيءِ على صفةٍ ؛ كأكرمتُ زيداً وأحمدتُهُ حينَ قصدتُهُ ، وأبخلتُ عمراً وأذممتُهُ ؛ أي : وجدتُ زيداً كريماً محموداً ، وصادفتُ عمراً بخيلاً مذموماً .

- ورابعُها: صيرورةُ شيءٍ ذا شيءٍ بكونِهِ مالكاً لهُ: كألبنَ ، وأتمرَ ، وأفلسَ ، وأنقدَ ، وأعرضَ ؛ أي: صارَ مالكاً للَّبنِ ، والتمرِ ، والفلوسِ ، والنقدِ ، والعَرَضِ ، أو حاصلاً فيهِ ؛ كأمسىٰ ، وأصبحَ ، وأشأمَ ، وأعرقَ .

⁽١) في الأصل : (وعمرو ومفعوله) .

- وخامسُها: حينونةُ الشيءِ للشيءِ ؛ أي: مجيءُ حينِهِ وأوانِهِ ؛ كأحصدَ الزرعُ ، وأَجدَّ النخلُ ، وأقطفَ الكَرْمُ ، وأجنى الوردُ ، وأزوجَتْ عقيلةُ فلانِ ؛ أي: جاءَ حينُ ذلكَ .

_ وسادسُها: تعريضُ الشيءِ لشيءٍ ؛ كأرهنتُ المتاعَ فما وجدتُ مُرتهِناً ، وأبعتُ الجاريةَ فلم أرَ مشترياً ؛ أي : عرضتُها لذلكَ .

وربَّما جاءَ المهموزُ كأصلِهِ ، وهو نادرٌ ؛ كلَحِقَ وأَلحقَ ، وحَرَمَ وأَحَرَمَ ، ورَّمَ وأَحَرَمَ ، وربَّما جاءَ المهموزُ كأصلِهِ ، وهو نادرٌ يكونُ المتروكُ المُسترَدُّ هو الثلاثيَّ كحبٌ ، فالفصيحُ : أحبٌ ، وتارةً يكونُ المهموزَ كأشغلَ ، فالفصيحُ : شغلَ .

يُحكىٰ : أَنَّ كاتباً للصاحبِ إسماعيلَ بنِ عبَّادٍ رفعَ لهُ ذاتَ يومٍ كتاباً فيهِ : (وأشغلَني هاذا الأمرُ) فوَقَّعَ الصاحبُ تحتَهُ : (لا يَصلُحُ لعملِنا مَنْ يقولُ : أشغلَني) وأبعدَهُ عنِ الخدمةِ .

وربَّما كانَ الفعلُ الثلاثيُّ مُتعدِّياً ، فتدخلُ عليهِ الهمزةُ ، فيصيرُ لازماً على خلافِ المعتادِ ؛ مِنْ ذلكَ : نَسَلتُ ريشَ الطائرِ ، وأَنسلَ ريشُ الطائرِ ، وعرضتُ الشيءَ ؛ أي : ظهرَ ، وكَبَبتُ زيداً على وجههِ ، وأَكبَ زيدٌ ، وقَشَعَتِ الريحُ السحابَ ، وأقشعَ السحابُ .

قالَ الشاعرُ (١): [من الطويل]

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً سَحَابَةٌ فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

صيغةُ المُضعَّفِ: تشاركُ المهموزَ في معنيينِ:

_ أحدُهُما: تصييرُ الشيءِ فاعلاً ؛ كقَوَّمتُ زيداً ، وقَعَّدتُهُ ، وقَرَّأتُهُ شِعراً .

⁽١) انظر « معاهد التنصيص » (٥١/٢) .

- وثانيهِ ما : السَّلْبُ والإزالةُ ؛ كَقَشَّرتُ الشيءَ ، وجَرَّبتُهُ ؛ أي : أزلتُ عنهُ قِشرَهُ وجَرَبَهُ .

وَتنفرِدُ بستَّةِ معانٍ :

_ أحدُها: صيرورةُ الشيءِ شبه شيءٍ ؛ كِقَوَّسَ زيدٌ ، وحَجَّرَ عمرٌو ؛ أي : صارَ شبه القوسِ في الانحناءِ ، وشبه الحَجَرِ في الجمودِ .

_ وثانيها: نسبةُ شيءٍ لشيءٍ باعتقادٍ أو دونِهِ ؛ كوَحَدتُ اللهَ وقَدَّستُهُ ، وخَطَّأَ زيدٌ عمراً وفَسَّقَهُ ، أو صَوَّبَهُ وحَسَّنَ رأيَهُ .

_ وثالثُها: الحضورُ إلى شيءٍ ؛ كجَمَّعَ ، وسَوَّقَ ، ووَسَّمَ ؛ أي : حضرَ الجُمُعةَ ، والسُّوقَ ، والمَوسِمَ .

- ورابعُها: النطقُ بألفاظٍ تأخذُ منها الصيغة : كلَبَّى ، وسَمَّى ، وسَبَّحَ .

_ وخامسُها: قَبولُ شيءٍ وتحصيلُ الغرضِ منهُ ؛ كشَفَّعتُ زيداً في عمرٍو ؛ أي : قَبِلتُ شفاعتَهُ وأبرأتُهُ مِنَ الدَّينِ .

- وسادسُها: التكثيرُ ، وربَّما اعتُبِرَ معَ التكثيرِ التدريجُ ؛ نحوُ: نَزَّلَ اللهُ القَّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ على النبيِّ صلَّى اللهُ علي وسلَّمَ نجوماً .

ثمَّ التكثيرُ يكونُ :

بالنظرِ للفعلِ في نفسِهِ ؛ نحوُ : طَوَّفَ زيدٌ ، وجَوَّلَ ، وفرَّيتُ الأديمَ .

وقد يكونُ بالنظرِ للفاعلِ ، حيثُ لا يكونُ الفعلُ في نفسِهِ قابلاً للتكثير ؛ نحوُ : مَوَّتَتِ الإبلُ ، أو بَرَّكَتْ ، ورَبَّضَتِ الشاءُ . وقد يكونُ بالنظر للمفعولِ ؛ نحوُ : ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبُوابَ ﴾ (١).

وربَّما لم يَزِدِ المُضعَّفُ على أصلِهِ ولم يَتغيَّرْ معناهُ ؛ كعاضَ وعَوَّضَ ، وبَشَرَ وبَشَّرَ ، ومازَ ومَيَّزَ .

وربَّما استُعمِلَتْ صيغةُ المُضعَّفِ هاذهِ بمعنى (تَفعَّلَ) كَوَلَّىٰ ؛ بمعنى : تَوَلَّىٰ ، وربَّما أغنَتْ عنِ الثُّلاثيِّ ، كعَرَّدَ في القتالِ ؛ إذا فرَّ ، وعَيَّرَهُ ؛ أي : عابَهُ ، وعَجَّزَتِ المرأةُ ؛ أي : صارَتْ للسِّنِ العاليةِ .

*

صيغةُ (فاعَلَ) : تأتي لمعنَيينِ :

- أحدُهُما: أنَّ شيئاً فَعَلَ فِعلاً معَ شيءٍ آخَرَ ، فقابلَهُ ذٰلكَ الشيءُ الآخَرُ بمثلِهِ ؛ فيكونُ كلُّ فاعلاً مفعولاً ، للكنْ ليسَ النظرُ لمُجرَّدِ الاشتراكِ ، بل معَ أنَّ أحدَهُما بدأً والآخَرَ قابَلَ ، فلذٰلكَ يُنسَبُ لأحدِهِما [نسبةُ] الفاعليَّةِ ، وللآخَر نسبةُ المفعوليَّةِ .

وإذا كانَ أصلُهُ لازماً . . صارَ مُتعدِّياً لواحدٍ ، وإذا كانَ مُتعدِّياً لواحدٍ . . فربَّما صارَ مُتعدِّياً لاثنَينِ ؛ نحو : ماشيتُهُ ، وأصلُهُ : مشى ومشيتُ ، وجاذبتُهُ الثوبَ ، والأصلُ : جذبتُ ثوبَهُ وجذبَهُ ، وفي هاذه الصيغةِ معنى المغالبةِ والمسابقةِ .

ويُدَلُّ على سبقِ أحدِهِما وغَلَبتِهِ بصيغةِ (فَعَلَ) مِنْ (بابِ نَصَرَ) ، إلَّا إذا كانَ واويَّ الفاءِ أو يائيَّ العينِ أو اللامِ ؛ فإنَّهُ مِنْ (بابِ ضَرَبَ) تقولُ : كاثَرَ زيدٌ عمراً وفاخَرَهُ ، فكَثَرَهُ يَكثُرُهُ وفَخَرَهُ يَفخُرُهُ ؛ كنصَرَهُ يَنصُرُهُ ، وتقولُ : واثبَهُ فوثَبَهُ يَثِبُهُ ، وبايعَهُ فباعَهُ يَبيعُهُ ، وماشاهُ فمشاهُ يَمشِيهِ .

⁽١) سورة يوسف : (٢٣) .

فمتى كانَ (فَعَلَ) للدلالةِ على الغَلَبةِ . . كانَ مُتعدِّياً وإن كانَ أصلُهُ لازماً ، ومِنْ (بابِ نَصَرَ) وإن كانَ أصلُهُ مِنْ أيِّ بابٍ ؛ تقولُ : كارمَ زيدٌ عمراً ، فكَرَمَهُ يكرُمُهُ ؛ كنصَرَهُ يَنصُرُهُ ، وأصلُهُ (كَرُمَ) لازمٌ مِنْ البابِ الخامسِ .

- وثاني المعنيَينِ: تصييرُ الشيءِ ذا صفةٍ ؛ كتابعتُ القراءةَ ، وواليتُ السَّفرَ ؛ أي : صَيَّرتُ القراءةَ تابعاً بعضُها بعضاً ، وصَيَّرتُ السَّفرَ كذلكَ .

وربَّما كانَتْ هاذهِ الصيغةُ بمعنى (فَعَّلَ) مُضعَّفاً ؛ كضاعفتُ الشيءَ ؛ بمعنى : ضَعَّفتُهُ ؛ أي : جعلتُ لهُ ضِعفاً ؛ وهوَ قدرُهُ مَرَّةً .

وربَّما كانَتْ صيغةُ المفاعلةِ قائمةً مَقامَ (فَعَلَ) ثلاثيًا أو (أفعلَ) مهموزاً .

فالأوَّلُ : كباركَ ، وقاسىٰ ، وبالىٰ .

والثاني : كوارى الشيء ؛ أي : أخفاه .

وربَّما كانَتِ المُفاعلةُ بتنزيلِ غيرِ الفعلِ منزلةَ الفعلِ وجعلِهِ مِنْ جنسِهِ ؟ مثلُ : حاربَ اللهُ الكُفَّارَ ؟ جَعَلَ عِنادَهُم ونُفورَهُم عن قَبولِ الحقِّ حرباً ، وحَربُهُم : إيذاؤُهُم بسَلْبِ أموالِهِم وإهلاكِ أبدانِهِم .

الكلامُ على أبوابِ الخُماسيِّ (١)

هيَ ثلاثةُ أقسامٍ : خُماسيُّ الثلاثيِّ ، وخُماسيُّ الرُّباعيِّ ، وخُماسيُّ الرُّباعيِّ ، وخُماسيُّ مُلحقاتِ الرُّباعيِّ .

نحوُ: انبعثَ ، واحمَرَّ ، وتغافلَ ، وتَصبَّرَ ، واقتدرَ ، ونحوُ: تَدحرجَ ، ونحوُ: تَدحرجَ ، ونحوُ: تَشَيْطَنَ ، وتَجَوْرَبَ ، وتَرَهْوَكَ ، وتَجَلْبَبَ ، وتَقَلْنَسَ ، وتَقَلَّسَ ، وتَمَسْكَنَ .

بيانُ المعاني التي تأتي لها تلكَ الصِّيغُ

صيغة (ٱنْفَعَلَ) كانبعث وانطلق : تأتي لمعنى واحدٍ ؛ وهوَ المُطاوعة ؛ أي : قَبولُ تأثيرِ الغيرِ ، ولا تكونُ إلَّا في الأفعالِ العِلاجيَّةِ ، وتكونُ لمطاوعةِ ثُلاثيِّ كثيراً ؛ كطبعتُهُ فانطبعَ ، وبَعثتُهُ فانبعثَ ، وكسرتُهُ فانكسرَ ، ولغيرِهِ قليلاً ؛ كأطلقتُهُ فانطلقَ ، وعَدَّلتُهُ بالتضعيفِ فانعدلَ ، فلا يُقالُ : علمتُ الشيءَ فانعلمَ ؛ لكونِهِ غيرَ علاجيٍّ .

صيغةُ (ٱفْعَلَ) كاحمرً ، واسودً ، واعورً ، واعمشً : تأتي لمعنى واحدٍ ؛ هوَ قُوَّةُ اللَّونِ أو العيبِ .

صيغةُ (تَفَاعَلَ) : تأتي لأربعةِ معانٍ :

_ أحدُها: تَشاركُ شيئينِ فأكثرَ ، فيكونُ كلُّ فاعلاً مفعولاً ، لا يُنظَرُ فيهِ

⁽١) انظر « شذا العرف » (ص ٦٢) .

للبَدْءِ والمقابلةِ كما يُنظَرُ في المفاعلةِ ؛ ولذلكَ إذا كانَ (فاعَلَ) مُتعدِّياً لواحدٍ . . صارَ بها مُتعدِّياً لواحدٍ . . صارَ بها مُتعدِّياً لواحدٍ .

فتقولُ : ضاربَ زيدٌ عمراً ، وتَضاربَ زيدٌ وعمرٌو ، وجاذبَ زيدٌ عمراً ثوباً ، وتَجاذبَ زيدٌ عمراً ثوباً ، وتَجاذبَ زيدٌ وعمرٌو ثوباً ، فتُلغى نسبةُ المفعوليَّةِ ما لم تَزدْ عن واحدةٍ .

- وثانيها: التظاهرُ بالفعلِ دونَ حقيقةٍ ؛ كتَغافلَ وتَناومَ [وتغابىٰ] ؛ أي : أظهرَ الغفلةَ والنومَ والغَباوةَ ، ولا غفلةَ ولا نومَ ولا غَباوةَ ، قالَ الشاعرُ (١):

لَيْسَ ٱلْغَبِيُّ بِكَامِلٍ فِي قَوْمِهِ لَلْكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ ٱلْمُتَغَابِي

_ والثالثُ : حصولُ الشيءِ تدريجاً ؛ كتَزَايَدَ النِّيلُ ، وتَكاثَفَ الغَمامُ ؛ أي : حَصَلَتْ زيادةُ النِّيلِ وكثافةُ الغَمام شيئاً فشيئاً .

_ والرابعُ : مُطاوعةُ (فاعَلَ) كباعدتُهُ فتَباعَدَ .

صيغةُ (تَفَعَّلَ) : تأتي لخمسةِ معانٍ :

ـ أحدُها: تَكَلُّفُ الشيءِ ومحاولةُ أن يَحصُلَ ؛ كتَحَلَّمَ وتَصَبَّرَ وتَشَجَّعَ ؛ حيثُ يقومُ الغضبُ والجَزَعُ والجُبْنُ ، فهوَ يَتعقَّلُ ما في هاذهِ الأشياءِ مِنَ المَضائِرِ ، وما في تلكَ مِنَ المنافعِ ؛ فهوَ يُحاوِلُ أن يَتحلَّىٰ بتلكَ الفضائلِ ويُحصِّلَ منافعَها .

- وثانيها: تَجنُّبُ الشيءِ ؛ نحوُ: تَحرَّجَ ، وتَأَثَّمَ ، وتَهجَّدَ ؛ أي : تَجنَّبَ الحَرَجَ ، والإثمَ ، والهُجودَ .

⁽١) انظر « عيون الأخبار » (٢٢٥/١) .

- وثالثُها: اتخاذُ الشيءِ شيئاً (١)؛ نحوُ: تَوسَّدتُ الحَجَرَ، وتَفرَّشتُ الأَرضَ، وتَبيَّتُ الدنيا؛ أي : اتخذتُ الحَجَرَ وِسادةً، والأرضَ فِراشاً، والدُّنيا بيتاً.
- ورابعُها: تحصيلُ الشيءِ تدريجاً ؛ نحوُ: تَحفَّظتُ العِلْمَ ، وتَفهَّمتُ مسائلَهُ .
- وخامسُها: مُطاوعةُ (فَعَلَ) مُضعَّفَ العينِ ؛ نحوُ: عَلَّمتُهُ فتَعلَّمَ ، ونَبَّهتُهُ فتَنَبَّهَ .

وربَّما كانَتْ صيغةُ (تَفَعَّلَ) مُغنِيةً عنِ النطقِ بفعلِ الثُّلاثيِّ قائمةً مَقامَهُ ؟ نحوُ : تَكلَّمَ ، وتَصدَّىٰ .

صيغةُ (ٱفْتَعَلَ) : تأتي لستةِ معانٍ :

- أحدُها: الاتخاذُ ؛ نحوُ: اختتمَ زيدٌ ، واختدمَ ؛ أي : اتخذَ خاتِماً وخادماً .
 - وثانيها: الاجتهادُ ؛ نحوُ: اكتتبَ ، واحتمَلَ ، واجتهد .
- وثالثُها: التشاركُ في الفعلِ ، فترادفُ صيغةَ (تَفاعلَ) نحوُ: اختصمَ زيدٌ وعمرٌو ؛ أي: تخاصما ، واجتورَ العربُ ، واختلفَ الناسُ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِن طَآبِهُ مَنَ الْمُؤْمِنِينَ الْقُتَلُواْ ﴾ (٢٠) .
- ورابعُها: إظهارُ الشيءِ ؛ نحوُ: اعتذرَ ، واعتظمَ ؛ أي: أظهرَ عُذرَهُ وعَظمَتهُ .

⁽١) أي : اتخاذُ أصلِ ما اشتُقَّ منه ذلك الفعلُ ، والأصل هو : الوسادة والفراش والبيت كما مثل به المؤلف .

⁽٢) سورة الحجرات : (٩).

_ وخامسُها : القُوَّةُ ؛ نحوُ : اقتدرَ ، [واحتدَّ] ، وارتدَّ .

- وسادسُها: مُطاوعةُ ثلاثي كثيراً ، ومُطاوعةُ غيرِهِ قليلاً ؛ نحوُ: عَدَّلتُهُ فاعتدلَ ، وهَمَّمتُهُ بالتضعيفِ فاعتدلَ ، وهَمَّمتُهُ فاغتمَّ ، وقَرَّبتُهُ بالتضعيفِ فاقتربَ ، وحَمَّلتُهُ فاحتمَلَ .

هلذا ؛ ومتى كانَتْ فاءُ (افتعلَ) زاياً أو دالاً . . وجبَ إبدالُ التاءِ دالاً ؛ ليحسنَ اللفظُ ويَخِفَّ النطقُ بهِ ؛ نحوُ : ازدانَ ؛ مِنَ الزينةِ ، وادَّان ؛ مِنَ الدَّينِ .

ومتىٰ كانَتْ ذالاً . . فأنتَ مُخيَّرٌ بينَ أن تُبدِلَ التاءَ والذالَ دالَينِ ، وبينَ أن تُبقِيَ الدالَ وتقلِبَ التاءَ ذالاً ؛ فتقولَ في (اذتكرَ) : ادَّكرَ ، أوِ اذَّكرَ ، وبكلتيهما يَحصُلُ المقصودُ .

ومتىٰ كانَتْ أحدَ حروفِ الإطباقِ ؛ وهي : الطاءُ ، والضادُ ، والصادُ ، والصادُ ، والظاءُ . . وجبَ إبدالُ التاءِ طاءً في الثلاثةِ الأُولِ ؛ نحوُ : اطَّحَنَ ؛ مِنَ الطَّحنِ ، واضطُّرَ ؛ مِنَ الصَّبرِ ، وفي الرابعِ أنتَ مُخيَّرٌ بينَ أن تُبدِلَ واضطُّرَ ؛ مِنَ الصَّبرِ ، وفي الرابعِ أنتَ مُخيَّرٌ بينَ أن تُبدِلَ التاءَ طاءً ، أو تُبدِلَها ظاءً ، أو تُبدِلَ الظاءَ والتاءَ [طاءَينِ] ؛ فتقولَ : اظطلمَ ، أو اظلمَ ، أو اطَّلَمَ ، أو اطلمَ ، في (ظلمَ) وبالأوجهِ الثلاثةِ رُويَ قولُ زهيرِ (۱) : [من البسيط] هُو ٱلنَّجَوَادُ ٱلَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْواً وَيُظْلَمُ أَحْيَاناً فَيَظَّلِمُ ويَظَطِيمُ ، ويَطَّلِمُ ،

ومتى كانَتْ فاءُ (افتعلَ) واواً أو ياءً.. وجبَ إبدالُها تاءً ؛ نحوُ: ٱتَّكَلَ وَاتَّأَدَ وَاتَّقَىٰ ، ونحوُ: ٱتَّسَرَ ؛ وأصلُهُ: إِنْ تَكَلَ ، وإِوْ تَقَىٰ ، ونحوُ: ٱتَّسَرَ ؛ وأصلُهُ: إِيتَسَرَ ، فهاذهِ التغيُّراتُ التى تَلحَقُ هاذهِ الصيغةَ.

⁽۱) انظر « شرح شعر زهير بن أبي سلمي » (ص ١١٩) .

صيغةُ (تَفَعْلَلَ) : نحوُ : (تَدَحْرَجَ) لمطاوعةِ أصلِهِ في الأفعالِ المُتعدِّيةِ ، وفي غيرها لمُجرَّدِ التقوِّي .

وقيلَ في نحوِ: (تَمَسْكَنَ): إنَّهُ ليسَ مِنَ المُلحقاتِ، بل هوَ مِنْ بابِ (تَفَعْلَلَ) بناءً على تَوهُّمِ أصالةِ الميمِ في نحوِ: (مِسكينٍ، ومكانٍ، ومكرمةٍ) وهي زائدةٌ لكونِها مِنَ السُّكونِ والكونِ والكرمِ، ومَنِ ادَّعىٰ هاذا.. كَمَّلَ أبوابَ الفعلِ بعَدِّ (تَكَلَّمَ) مِنَ المُلحقاتِ؛ وهوَ فعلٌ وُضِعَ بهاذهِ الصورةِ لم يُنطَقُ لهُ بثُلاثيّ.

الكلامُ على أبوابِ السداسيِّ (١)

هيَ قسمانِ : سُداسيُّ الثُّلاثيِّ ، وسُداسيُّ الرُّباعيِّ .

كاُحمارً ؛ مِنْ حَمِرَ ، واُخشَوْشَنَ ؛ مِنْ خَشُنَ ، واَجْلَوَّذَ ؛ مِنْ جَلذَ ، واَجْلَوَذَ ؛ مِنْ جَلذَ ، واَقْعَنْسَسَ ؛ مِنْ قَعِسَ ، واَسْلَنْقَىٰ ؛ مِنْ سَلَقَ ، واستخرجَ ؛ مِنْ خَرَجَ ، وكاُحْرَنْجَمَ ؛ مِنْ حَرْجَمَ ، واَقْشَعَرً ؛ مِنْ قَشْعَرَ .

والخمسةُ الأُولُ مِنَ القسمِ الأولِ ؛ للدلالةِ على قُوَّةِ المعنى .

والصِّيغةُ السادسةُ منهُ تأتي لستةِ معانٍ :

_ أحدُها: طلبُ الشيءِ حقيقةً أو مجازاً ؛ كاستكتبَ زيداً ؛ أي : طلبَ منهُ الكَتْبَ ، واستخرجتُ المَعدِنَ ؛ أي : طلبتُ منهُ الخروجَ ؛ سمَّيتَ علاجَكَ ومحاولتَكَ أن يخرجَ : طلباً .

- وثانيها: اعتقادُ الشيءِ ؛ كاستحسنَ زيدٌ كذا أوِ استقبحهُ ، واستنسبَ واستصوبَ ؛ أي : اعتقدَ حسنَهُ أو قبحهُ .

- وثالثُها: صيرورةُ الشيءِ ؛ كاستحصنَ المُهْرُ ؛ أي: صارَ حصاناً ، واستحجرَ الطِّينُ (٢).

- ورابعُها: المُصادفةُ والوِجدانُ ؛ كاستكرمتُ زيداً حينَ قصدتُهُ ، أو استبخلتُهُ .

⁽١) انظر «شذا العرف» (ص ٦٧).

⁽٢) استحجر الطين: صار حجراً.

- وخامسُها: النطقُ بكلامٍ أُخِذَ منهُ الفعلُ ؛ كاسترجعَ ؛ أي: قالَ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ .

_ وسادسُها: القُوَّةُ ؛ كاستحمقَ ، واستهتَرَ ؛ أي : قَوِيَتْ حماقتُهُ وهِتارُهُ .

والصِّيغةُ الأُولىٰ مِنَ القسمِ الثاني: للمطاوعةِ ؛ كحرجمتُ الإبلَ ؛ أي: جمعتُها ، فاحرنجمَتْ ؛ أي: اجتمعَتْ ، والصِّيغةُ الثانيةُ منهُ: للتقويةِ .

تكملةٌ فيها مسائلُ المسألةُ الأولى

[في همزتي الوصلِ والقطع في الأفعالِ]

الهمزةُ التي تُبدَأُ بها مواضي هاذهِ الأفعالِ وأوامرُها . . همزةُ وصلٍ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ (١) ، إلَّا همزةَ مهموزِ الثلاثيِّ كأكرمَ ؛ فإنَّها تُسمَّىٰ : همزةَ قطعِ ، لا تسقطُ أصلاً ، بدأتَ بها أو وصلتَها بغيرِها ، بخلافِ السابقةِ .

فتقولُ: أكرمَ ، وأجملَ ، وأحسنَ ، وأكرمْ ، وأجملْ ، ﴿ وَأَحْسِن كُمَا أَخْسَنَ ٱللَّهُ اللَّهُ ﴾ (٢) ، فتنطقُ بالهمزةِ .

وتقولُ: انطلقَ، واستخرجَ، فتَنطِقُ بالهمزةِ في الأُولئ فقطْ، معَ كونِها تُرسَمُ مطلقاً إلَّا في (بسمِ اللهِ . . .)، كما قالَ بعضُ الشعراءِ مشيراً لذلكَ (٣):

أَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ يُعْطَىٰ ثَلاثُونَ شَاعِراً وَيُحْرَمَ مَا دُونَ ٱلرِّضَا شَاعِرٌ مِثْلِي

⁽١) انظر (١٩١/١).

⁽٢) سورة القصص : (٧٧) .

⁽٣) هو أبو سعيد الرستمي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٢) .

كَمَا سَامَحُوا عَمْراً بِوَاوِ مَزِيدَةٍ وَضُويِقَ (بِسْم ٱللهِ . . .) فِي أَلِفِ ٱلْوَصْلِ

وبقيةُ مواضعِ همزةِ الوصلِ : مصادرُ هاذهِ الأفعالِ الآتي بيانُها ، إلَّا همزةَ مصدرِ نحوِ : (أكرمَ) وعشرةُ أسماءٍ ؛ هيَ : ٱسمٌ ، وٱبنٌ ، وٱبنُمٌ ، وٱبنُهٌ ، وٱمرُؤٌ ، وٱمرأةٌ ، وٱستٌ ، وٱثنانِ ، وٱثنتانِ ، وٱيمُنُ القَسَميَّةُ ؛ كقولِ الشاعر (۱۰) :

وَقَالَ فَرِيتٌ لَآيْهُنُ ٱللهِ مَا نَدْدِي

وحرفٌ واحدٌ على خلافٍ فيهِ ؛ وهوَ (ألِ) التعريفيَّةُ ، فمَنْ قالَ : إنَّ حرفَ التعريفيَّةُ ، ومَنْ قالَ : مجموعُ التعريفِ هوَ اللامُ فقطْ . . حكمَ بوصليَّةِ الهمزةِ ، ومَنْ قالَ : مجموعُ الحرفينِ . . حكمَ بقطعيتِها ، وتسقطُ تخفيفاً لكثرةِ الاستعمالِ .

المسألةُ الثانيةُ [[في أحرفِ المضارعةِ]

الأحرفُ الأربعةُ التي يُبتداأُ بها المضارعُ ويَجمعُها قولُكَ : (أنيتُ) . . تُسمَّىٰ : أحرفَ المضارعةِ ، وهيَ مفتوحةٌ إلَّا في مضارعِ الرباعيِّ مُجرَّداً أو مزيداً ؛ فإنَّها مضمومةٌ .

والهمزةُ : للمُتكلِّمِ المُخبِرِ عن نفسِهِ وحدَهُ .

والنونُ : للمُتكلِّم المُخبِرِ عن نفسِهِ وغيرِهِ .

والتاءُ: للمُخاطَبِ ، والمُخاطَبةِ ، والمُخاطَبَينِ ، والمُخاطَبتَينِ ، والمُخاطَبتَينِ ، والمُخاطَبتَ ، والمُخاطَباتِ ، وللغائبةِ ، والغائبتَين .

⁽۱) عجز بيت من قصيدة لنصيب بن رباح في «ديوانه» (ص ۱۵۲)، والبيت بتمامه: فَ قَ ال فَرِيتُ ٱلْـ قَـ وْمِ لَا وَفَرِيقُهُمْ وَقَــالَ فَرِيتٌ لَآيْـمُـنُ ٱللهِ مَا نَــدْرِي وانظر «مغنى اللبيب» (١٣٧/١).

والياءُ: للغائبِ ، والغائبَينِ ، والغائباتِ ، والغائبينَ .

الأمثلةُ لذلك : أنا أكتب : نحنُ نكتب ، يا رجلُ تكتب ، يا امرأةُ تكتبينَ ، يا رجلُ تكتب ، يا امرأةُ تكتبينَ ، يا رجلانِ تكتبانِ ، يا امرأتانِ تكتبانِ . لا فرقَ بينَ خطابِ الاثنينِ وخطابِ الاثنتينِ . يا رجالُ تكتبونَ ، يا نساءُ تكتبنَ . بسكونِ الباءِ . هندٌ تكتبُ ، والهندانِ تكتبانِ ، والرجالُ يكتبونَ ، والنساءُ يكتبنَ . بسكونِ الباءِ . .

المسألة الثالثة

[في حركة الحرف الواقع قبل آخر المضارع في غير الثلاثي] الحرفُ الواقعُ قبلَ آخرِ المضارعِ مِنْ غيرِ الثلاثيِّ مكسورٌ ولو تقديراً (١٠)، إلَّا في الأفعالِ المُبتدَأةِ بالتاءِ الزائدةِ ؛ كتَصبَّرَ وتَغافلَ ، فإنَّهُ مفتوحٌ .

المسألةُ الرابعةُ

[في اشتمالِ المضارعِ على أحرفِ الماضي ، وما يُستثنى مِنْ ذلك] المضارعُ يَشتمِلُ على جميعِ أحرفِ الماضي غيرِ همزةِ الوصلِ ، إلَّا في (بابِ أكرمَ) فتسقطُ همزتُهُ ؛ فتقولُ : أُكرِمُ ، ونُكرِمُ ، وكانَ حقُّهُ أُؤكرِمُ كأُدَحرجُ ، فخُفِّفَ بإسقاطِ الهمزةِ .

المسألة الخامسة [في أحوالِ النطق بالفعل الماضي]

الفعلُ الماضي متى أُسنِدَ للتاءِ أو نونِ الإناثِ أو (نا) . . يَسكُنُ آخرُهُ ، فإن كانَ قبلَهُ أَلِفٌ . . حُذِفَتْ ؛ لقاعدةِ : متى التقىٰ ساكنانِ ؛ فإن كانَ أولُهُما

⁽١) الحرف المكسور تحقيقاً نحو: (يستغفِر)، والمكسور تقديراً نحو: (يحمَرُّ).

مَدًا ليسَ بعدَهُ حرفٌ مُشدَّدٌ . . حُذِفَ ، وإلَّا . . حُرِّكَ أحدُهُما ؛ للتخلُّصِ ، وتعيينُ المُتحرِّكِ منهُما بالسماع .

فبناءً على هاذا تقولُ في (قالَ ، وباعَ ، وخافَ): قُلتُ وبِعتُ وخِفتُ ، والنساءُ قُلْنَ وبِعنَ وخِفْنَ ، ونحنُ قُلْنا وبِعْنا وخِفْنا ، فإن كانَتِ الأَلِفُ المحذوفةُ بدلاً عن واو غيرِ مكسورةٍ . . ضَممتَ أوَّلَ الفعلِ ؛ تنبيهاً على أنَّهُ مِنْ بناتِ الواوِ ؛ كقُلْتُ ، الأوَّلُ مِنْ (بابِ نَصَرَ) ، والثاني مِنْ (بابِ كَرُمَ) .

وإن كانَتِ الأَلِفُ بدلاً مِنْ ياءٍ أو واوٍ مكسورةٍ . . كُسِرَ أوَّلُ الفعلِ ؛ تنبيهاً على أنَّهُ مِنْ بناتِ الياءِ في الأوَّلِ ، وعلى كسرِ عينِهِ في الثاني ؛ كخِفْتُ ونِمْتُ ؛ مِنَ الخوفِ والنوم ، وهما مِنْ (بابِ فَرِحَ) (١) .

ومتىٰ أُسنِدَ لواوِ جماعةِ الذُّكورِ . . ضُمَّ آخِرُهُ ؛ كقاموا ، وباعوا ، وأكلوا ، و وشربوا ، ويُفتَحُ في غير ذٰلكَ .

ومتىٰ كانَ آخِرُهُ أَلِفاً . . حُذِفَتْ عندَ إسنادِهِ للواوِ لتلكَ القاعدةِ (٢) ، وتبقى الفتحةُ التي كانَتْ قبلَها ، فتقولُ : رجالٌ سَعَوْا ودَعَوْا ؛ بفتحِ العينِ وحذفِ الأَلِفِ مِنْ سعىٰ ودعا .

وعندَ إسنادِهِ لغيرِ الواوِ مِنَ الضَّمائرِ البارزةِ يَرجِعُ الفعلُ لأصلِهِ ؛ فتقولُ : دَعَوْتُ ، ودَعَوْنا ، [ودَعَوَا] ، والنِّسوةُ دعَوْنَ ، ورَمَيْتُ ، ورَمَيْنا ، ورَمَيَا ، والنِّسوةُ رَمَيْنَ .

ومتىٰ كَانَ آخِرُهُ يَاءً لَم تُبدَلُ ؛ كَرَضِيَ وخَشِيَ . . خُذِفَتْ عندَ إسنادِهِ لواوِ الجماعةِ ، وأُبدِلَتِ الكسرةُ التي قبلَها ضمَّةً ؛ فتقولُ : رَضُوا وخَشُوا .

⁽١) مثال ما كان من بنات الياء: (بعثُ) من البيع .

⁽٢) وهي : (متى التقلي ساكنان . . .) المارَّةُ أول هلذه المسألة .

المسألةُ السادسةُ [في أحوالِ النطقِ بالفعلِ المضارعِ]

الفعلُ المضارعُ إذا أُسنِدَ لأَلِفِ الاثنينِ ، أو لواوِ الجماعةِ ، أو لياءِ المُخاطَبةِ . . جيءَ بعدَ الضَّمائرِ بنونِ لا معنىٰ لها ، ولها فائدةٌ تُعرَفُ في النحوِ ، وحينئذِ إذا كانَتْ لامُ الفعلِ واواً أو ياءً . . حُذِفَتْ معَ ياءِ المُخاطَبةِ ، وتُبدَلُ الضَّمةُ التي قبلَ الواوِ كسرةً ؛ كتَدعِينَ وتَرمِينَ ، وحُذِفَتْ أيضاً معَ واوِ الجماعةِ ، وتُبدَلُ الكسرةُ التي قبلَ الياءِ ضمةً ؛ كتَرْمُونَ .

والأمرُ كالمضارع ، للكنِ النونُ الزائدةُ لا يُنطَقُ بها معَهُ .

وإذا أُكِّدَ بإحدى نونَيِ التوكيدِ ؛ فإنِ اتصلَتْ بهِ . . فُتِحَ آخِرُهُ ، وإنِ انفصلَتْ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ . . حُذِفَتِ النونُ الزائدةُ ، وحُذِفَتْ واوُ الجماعةِ وياءُ المُخاطَبةِ ، إلَّا معَ الفعلِ المُعتلِّ بالأَلِفِ ؛ فإنَّهُما يَبقيانِ وتُضَمُّ الواوُ وتُكسَرُ الياءُ ؛ كتخشَوُنَّ وتخشَينَ .

وأمَّا الأَلِفُ . . فلا تُحذَفُ ، ولا يقعُ بعدَها مِنَ النُّونَينِ إلَّا الثقيلةُ مكسورةً ، وكذلكَ بعدَ نونِ الإناثِ ، ويُفصَلُ بينَها وبينَ نونِ التوكيدِ بأَلِفٍ ؛ كَتَعْرفْنَانِ .

وإذا وَلِيَ الخفيفةَ ساكنٌ . . حُذِفَتْ وبقيَتِ الفتحةُ التي كانَتْ قبلَها ؟ كقولِ الشاعرِ (١) :

لَا تُهِينَ ٱلْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْماً وَٱلدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

⁽١) هو الأضبط بن قريع ، كما في « خزانة الأدب » (٤٥٠/١١) .

التقسيمُ الرابعُ [في بنائِهِ للفاعلِ والمفعولِ]

الفعلُ إِن ذُكِرَ فَاعلُهُ . سُمِّي : فعلَ معلومٍ ، وإِن لَم يُذَكَرْ فَاعلُهُ . سُمِّي : فعلَ مجهولٍ ، وحينَئذٍ تَتغيَّرُ صورتُهُ ؛ فإِن كَانَ ماضياً . . كُسِرَ ما قبلَ آخِرِهِ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ وثالثُهُ إِن كَانَ مُفتتَحاً بِتَاءِ زائدةٍ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ وثالثُهُ إِن كَانَ مُفتتَحاً بِهمزةِ وصلٍ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ فقطْ في غيرِ ذلكَ .

فإن كانَ بعدَ المضمومِ أَلِفٌ . . قُلِبَتْ واواً ؛ كَبُويِعَ وتُغُوفِلَ ، وإن كانَتْ عينُ الفعلِ أَلِفاً ؛ سواءٌ كانَتْ بدلَ واو أو ياءٍ . . أُبدِلَتْ ياءً وكُسِرَ ما قبلَها على عينُ الفعلِ أَلِفاً ؛ سواءٌ كانَتْ بدلَ واو أو ياءٍ . . أُبدِلَتْ ياءً وكُسِرَ ما قبلَها على الأفصح ؛ كقِيلَ ، وبيعَ ، وإختِيرَ ، وإنقيدَ ، وإستُقيدَ ، وإن كانَ مُضارِعاً . . ضُمَّ أَوَّلُهُ وفُتِحَ ما قبلَ آخِرِهِ ، فإن كانَ ما قبلَ الآخِرِ واواً أو ياءً ؛ كيقولُ ويبيعُ ويستطيلُ . . أُبدِلَتْ أَلِفاً ؛ كيُقالُ ويُباعُ ويستطالُ .

التقسيمُ الخامسُ [في انقسامِهِ إلىٰ مُتصرِّفٍ وجامدٍ]

الفعلُ إمَّا مُتصرِّفٌ: تامُّ التصرُّف يجيءُ ماضياً ومُضارِعاً وأمراً ؛ كنصرَ ينصرُ انصرُ ، وناقصُهُ يجيءُ ماضياً ومُضارِعاً فقطْ ؛ كزالَ يزالُ ، وبَرِحَ يَبرَحُ ، وفَتِعَ يَفتأُ ، وانفكَّ يَنفَكُّ ، وكادَ يَكادُ ، وأَوشَكَ يُوشِكُ .

وإمَّا جامدٌ: لا يجيءُ منهُ غيرُ الماضي ؛ كليسَ ، وأفعالِ الشُّروعِ ، وبقيةِ أفعالِ الشُّروعِ ، وبقيةِ أفعالِ المقاربةِ ، ونِعْمَ وبئسَ في المدحِ [والذَّمِّ] ، وعدا وخلا وحاشا في الاستثناءِ .

المقالةُ الثانيةُ في الكلامِ على الاسمِ

للاسمِ تقاسيمُ التقسيمُ الأوَّلُ [في الجامدِ والمُشتقِّ]

الاسمُ: إمَّا جامدٌ؛ وهو أسماءُ الأجناسِ الجوهريَّةِ ، وأسماءُ الأجناسِ العرضيَّةِ ؛ كإنسانٍ وسبعٍ وفرسٍ وشجرٍ ووَرَقٍ ، وكفَهْمٍ وعِلْمٍ وقيامٍ وقُعودٍ .

وإمَّا مُشتقٌ ؛ كأكثرِ الأفعالِ ، وهوَ الأسماءُ الدالَّةُ على أمرٍ ذي صفةٍ .

والاشتقاقُ: مِنْ أسماءِ الأجناسِ المعنويَّةِ ؛ كالفَهْمِ والعِلْمِ والحفظِ ، وجاءَ قليلاً مِنِ اسمِ العينِ ؛ كأورقَ الشجرُ ؛ مِنَ الوَرَقِ ، وأسبعَتِ الأرضُ ؛ مِنَ السَّبُعِ .

والأصلُ الذي منهُ الاستقاقُ غالباً: يُسمَّىٰ _ كما عرفتَ _ مصدراً ، ويُشتقُ منهُ عشرةُ أشياءَ: (الماضي ، والمضارعُ ، والأمرُ ، واسمُ الفاعلِ ، واسمُ المفعولِ ، والصِّفةُ ، واسمُ الزمانِ ، واسمُ المكانِ ، واسمُ الآلةِ ، واسمُ التفضيلِ) فتَحصَّلَ معنا أحدَ عشرَ شيئاً ؛ الأصلُ والفروعُ العشرةُ ، وكلُّ يحتاجُ إلى البيانِ .

أمًّا بيانُ الأفعالِ . . فقد مضى .

بيانُ المصدر (١)

سبقَ أَنَّ الفعلَ باعتبارِ مادتِهِ أربعةُ أنواعٍ ('') ، ولكلِّ نوعٍ مصادرُ ؛ فهيَ أنواعٌ أربعةٌ :

النوعُ الأوَّلُ مصادرُ الثُّلاثيّ

اعلمْ : أنَّهُم يقولونَ : هلذا الشيءُ قياسيٌّ ، وهلذا الشيءُ سماعيٌّ .

أمَّا القياسيُّ . . فهوَ كلُّ شيءٍ كَثُرَتْ أفرادُهُ وصَعُبَ حصرُها وعدُّها ، فوُضِعَ لهُ ضابطٌ كُلِّيُّ يَنتظِمُ بهِ جميعُ أفرادِها أو أكثرُها .

وأمَّا السماعيُّ . . فهوَ ما قَلَّتْ أفرادُهُ فعُدَّتْ ، ولم يُوضَعْ لها ضابطٌ .

فإذا سمعتَ القياسيَّ والسماعيُّ . . فهوَ على هاذا المعنى .

كلُّ فعلٍ ثُلاثيِّ يَدُلُّ على حركةٍ واضطرابٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعَلَاناً) بفتحاتٍ ؟ كجالَ جَوَلَاناً ، وطافَ طَوَفَاناً ، وغلى غَلَيَاناً .

وكلُّ ثُلاثيِّ يَدُلُّ على حِرفةٍ أو صناعةٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فِعَالةً) بكسرِ أوَّلِهِ ؛ كوَلِيَ البلادَ وِلايةً ، وساسَ العبادَ سِياسةً ، وراضَ الخيلَ رياضةً .

وكلُّ ثُلاثيِّ يَدُلُّ على إباءٍ وامتناعٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فِعَالاً) بكسر أُوَّلِهِ ؛ كأبى إباءً ، وشَرَدَ شِراداً ، وحَرَنَ حِراناً .

⁽۱) انظر «شذا العرف» (ص ۱۱۹).

⁽٢) انظر (١٨٧/١).

وكلُّ ثُلاثيِّ يَدُلُّ على سيرٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعِيلاً) بفتحِ أُوَّلِهِ ؛ كرَحَلَ رَحِيلاً ، ورَسَمَ رَسِيماً ، وذَمَلَ ذَمِيلاً .

وكلُّ ثُلاثيِّ يَدُلُّ علىٰ داءٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعَالاً) بضمِّ أَوَّلِهِ ؟ كدارَ رأسُهُ دُواراً ، وصُدِعَ صُداعاً ، ومَشَتْ بطنهُ مُشَاءً .

وكلُّ ثُلاثيِّ يَدُلُّ على صوتٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ نوعانِ يَتوزَّعانِهِ : أحدُهُما يوازنُ (فَعِيلاً) بضمِّ أولِهِ ، والآخَرُ يوازنُ (فَعِيلاً) بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كَصَرَخَ صُرَاخاً ، ونَبَحَ الكلبُ نُبَاحاً ، وعَوَى الذِّئبُ عُواءً ، وكزَأَرَ الأسدُ زَيْراً ، وصَهَلَ الفرسُ صَهِيلاً .

وكلُّ ثُلاثيٍّ مِنْ (بابِ كَرُمَ).. فمصدرُهُ القياسيُّ نوعانِ يَقتسمانِهِ: أحدُهُما يوازنُ (فَعَالةً) بفتحِ أوَّلِهِ ، والآخَرُ يوازنُ (فَعَالةً) بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كصَعُبَ صُعُوبةً ، وخَشُنَ خُشُونةً ، وسَهُلَ سُهُولةً ، وجَزُلَ جَزَالةً ، ونَبُهَ نَبَاهةً ، وظَرُفَ ظَرَافةً .

وكلُّ ثُلاثي لازم مِنْ (بابِ فَرِحَ). فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعَلاً) بفتحتَينِ ؟ كَفَرِحَ فرَحاً ، وهَوِيَ هَوىً ، وشَلَّ شَلَلاً ، وكلُّ ما دَلَّ مِنْ هاذا البابِ علىٰ لونٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعْلةً) بضمٍّ فسكونٍ ؟ كحَمِرَ حُمْرةً ، وصَفِرَ صُفْرةً ، وحَويَ حُوَّةً .

وكلُّ فعلٍ ثُلاثيِّ لازم ليسَ مِنْ (بابِ فَرِحَ) ولا مِنْ (بابِ كَرُمَ).. فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُّ (فُعُولاً) بضمِّ أُولِهِ ؛ كَقَعَدَ قُعُوداً، وجَلَسَ جُلُوساً، وذَهَبَ ذُهُوباً، ووَثِقَ وُثُوقاً.

وكلُّ ثُلاثيٍّ مُتعدِّ كنَصَرَ وضَرَبَ وفَتَحَ وفَهِمَ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعْلاً) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كنَصَرَ نَصْراً ، وضَرَبَ ضَرْباً ، وفَتَحَ فَتْحاً ، وفَهِمَ فَهْماً ، وخافَ خَوْفاً . فهانه هي أنواعُ المصادرِ القياسيَّةِ للأفعالِ الثُّلاثيَّةِ ؛ وهي ثلاثةَ عشرَ نوعاً .

ولأهلِ العربيةِ خلافٌ في تفسيرِ القياسيِّ ؛ فمنهُم مَنْ ذهبَ إلى أنَّهُ: ما وُضِعَ لهُ قانونٌ كُلِّيٌّ يَضبِطُ أفرادَهُ ؛ بحيثُ متى سمعتَ فِعْلاً مِنْ أيِّ بابٍ . . نطقتَ بمصدرِهِ حسبَ القانونِ الموضوعِ لمصدرِ نوعِ ذلك الفعلِ وإن لم يكنْ مسموعاً مِنَ العربِ وكان المسموعُ غيرَهُ ؛ فلكَ إذاً الخيارُ بينَ أن تَنطِقَ بالمسموع ، وأن تَنطِقَ بما اقتضاهُ القياسُ .

ومنهُم مَنْ ذهبَ ـ وهوَ الصحيحُ ـ إلى أنَّهُ: ما وُضِعَ للكثيرِ المسموعِ منهُ قانونٌ ، فيكونُ الضبطُ لِمَا كَثُرَ ، لا لجميعِ الأفرادِ ، فوجبَ أن تقفَ على حدِّ ما شُمِعَ ؛ فإن كانَ المسموعُ مِنَ المضبوطِ . . فذاكَ ، وإلّا . . نطقتَ بما شُمِعَ .

وفائدة وضع القوانين حينئذ : التنبيه على الكثير ، وأنَّكَ إذا سمعتَ مصدراً مِنَ المضبوطاتِ . . عرفتَ هيئةَ فعلِهِ .

وأمّا المسموعُ القليلُ مِنْ مصادرِ الثلاثيةِ . . فهي هاذهِ نَسرُدُها عليكَ : (شُرْبٌ) بضم فسكونٍ ، و(حِفْظٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(رَحْمةٌ) [بفتحٍ فسكونٍ ، و(نِشْدةٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(ذَعْوىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(ذِكْرىٰ) بصمٍ فسكونٍ ، و(اليّانُ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(حِرْمانٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(بُشْریٰ) بضم فسكونٍ ، و(اليّانُ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(حِرْمانٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(غُفْرانُ) بضم فسكونٍ ، و(طَلَبٌ) بفتحتينِ ، و(حَنِفٌ) بفتحٍ فكسرٍ (الله فقتحٍ ، و الله فقتحٍ ، و الله فقتحٍ ، و الله بفتحٍ فقتحٍ ، و الله بفتحٍ أوّلِهِ ، و السَرِقةٌ) بفتحٍ فكسرٍ ، و الله فقتحٍ ، و الله بفتحٍ أوّلِهِ ، و الله بكسرِهِ ، بكسرِهِ ، شهوةُ الكلبةِ إلى الفحلِ ، و الزَهَادةٌ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابةُ الكلبةِ إلى الفحلِ ، و الزَهَادةٌ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابةُ الكلبةِ إلى الفحلِ ، و الزَهَادةٌ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابةُ الكلبةِ إلى الفحلِ ، و الزَهَادةٌ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابةُ الكلبةِ الى الفحلِ ، و الزَهَادةٌ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابةُ الكلبةِ الى الفحلِ ، و الزَهَادةٌ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابة الفحلِ ، و النَهادةُ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابة الكلبةِ الله الفحلِ ، و النَهادةُ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابة الفحلِ ، و النَهادةُ) بفتح أوّلِهِ ، و الإرابة) بكسرِه ،

⁽١) حَنِف : كذا في الأصل ، ولعلها : (حَلِفٌ) باللام بدل النون .

و (بُغَايةٌ) بضمِّهِ ، و (قَبُولٌ) بفتحِهِ ، و (كَرَاهيةٌ) بفتحِهِ ، و (رُجُوليَّةٌ) بضمِّهِ ، و تشديدِ الياءِ ، و (شَيْخوخةٌ) بفتح فسكونٍ .

وربَّما نُطِقَ للفعلِ بمصدرَينِ فأكثرَ .

فهاذه خمسة وعشرون وزناً وردَتْ مصادرَ لبعضِ الأفعالِ الثُّلاثيَّةِ ، لا يجوزُ على الصَّحيحِ أن تَنطِقَ بغيرِ المسموعِ منها قياساً على الكثيرِ في مصدرِ نوعِهِ .

وقد وردَتْ ألفاظٌ على أوزانٍ أُخَرَ اختلفَ أهلُ العربيَّةِ في كونِها مصادرَ: فمنهُم مَنْ بنى على ظاهرِ ما يعطيهِ الكلامُ ؛ فحَكَمَ بمصدريَّتِها .

ومنهُم مَنْ رأى سُهولةَ التأويلِ ؛ محافظةً على ضبطِ الانتشارِ ، فحكمَ بكونِها غيرَ مصادرَ ، وأخرجَها في أبوابِ أشكالِها .

وذلك : كالمعقول ، والمفهوم ، والميسور ، والمعسور ، والمجلود ، والباقية ، والعاقبة ؛ في مثل (ليس لفلان معقول) على معنى : ليس له عقل ، مصدر عقل بمعنى أدرك ، فالظاهر أنَّهُ مصدرٌ جاء على وزن (مفعول) لأنَّ الغرض مِنْ هاذا الكلام كما عرفت نفي العقل بمعنى الإدراك .

وبمصدريَّتِهِ _ بناءً على هنذا _ حكمَ الأوَّلونَ ؛ فهوَ نفيٌ للعقلِ بغيرِ واسطةٍ .

وقالَ الآخَرونَ : معنى الكلامِ : (ليسَ لفلانٍ أمرٌ معقولٌ) وإذا لم يكنْ لهُ أمرٌ معقولٌ . . لم يكنْ لهُ عقلٌ ؛ فهوَ نفيٌ للعقلِ بواسطةٍ .

ومِنْ هاذا قالَ المُفسِّرونَ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ فَهَلَ تَرَىٰ لَهُم مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ ('): يحتملُ أن يكونَ معناهُ: فهل ترى لهم مِنْ بقاءٍ ، وأن يكونَ معناهُ: مِنْ فِرقةٍ باقيةٍ ، أو حالةٍ باقيةٍ ؛ فلفظُ (باقيةٍ) على الأولِ : مصدرٌ جاءَ علىٰ وزنِ (فَاعلةٍ) ، وعلى الثاني : غيرُ مصدرٍ ، والتأويلُ في بعضِ المواضع مُتكلَّفٌ .

وجاءَ للدلالةِ على الكثرةِ مصدرٌ لهانه الأبوابِ يوازنُ (التَّفْعالَ) بفتحٍ فسكونٍ ؟ كالتَّطوافِ ، والتَّجوالِ ، والتَّكرارِ ، والتَّذكارِ ، وشذَّ كسرُ [التاءِ] في : تِبيانٍ وتِلْقاءِ .

وثَمَّ لجميعِ الأفعالِ الثُّلاثيةِ مصدرٌ يُقالُ لهُ: المصدرُ الميميُّ ؛ لكونِهِ مبتدأً بميمٍ زائدةٍ ، لا خلافَ في كونِهِ مُشتقاً مِنَ المُجرَّدِ عنِ الميم ، أو مرادفاً لهُ .

ومبنى الأوَّلِ على أنَّ الاشتقاقَ لا يلزمُ أن يُغيِّرَ المعنى ، ومبنى الثاني على ذاك .

وضابطُهُ لتَعرِفَ كيفيَّةَ النطقُ بهِ: أنَّهُ إذا كانَ مصدراً لمثالٍ حُذِفَتْ فاؤُهُ في المضارعِ وصَحَّتْ لامُهُ.. فهوَ بكسرِ عينِهِ ؛ كمَوْعِدٍ لـ (وَعَدَ) ومَوْئلٍ لـ (وَأَلَ) تقولُ : وعدَني وَعْداً . لـ (وَأَلَ) تقولُ : وعدَني وَعْداً .

وفي غيرِ ذلكَ بفتحِ عينِهِ ؛ كَمَنْظَرِ ، ومَضْرَبٍ ، ومَجْلَسٍ ، ومَفْرَحٍ ، ومَخْلَسٍ ، ومَفْرَحٍ ، ومَكْرَمٍ ، ومَوْجَلِ ، ومَيْسَرٍ ، ومَعْلَى ، ومَرْمَى ؛ تقولُ : رميتُ مَرْمَىٰ زيدٍ ؛ على معنىٰ : رميتُ مَرْمَىٰ مثلَ مَرْمَىٰ زيدٍ ؛ كما تقولُ : رَمْياً مثلَ رَمْيِ زيدٍ ، فهوَ علىٰ معنىٰ تمثيلِ الفعلِ الصادرِ منكَ بالفعلِ الصادرِ منهُ .

وقد سُمِعَ ما يُخالِفُ هلذا الضابطَ في قليلٍ مِنَ الكلماتِ ، فيُلتزَمُ المسموعُ ؟

⁽١) سورة الحاقة : (٨) .

كلفظِ (مَعْرِفةٍ) بكسرِ الراءِ ، والضابطُ يقتضي فتحَها ، و(مَقْدرةٍ) بتثليثِ الدالِ ، والموافقُ الفتحُ .

ولوجودِ الشَّواذِّ لم تَتِمَّ جميعُ القوانينِ ، فأنتَ بعدُ مُفْتقِرُ للكشفِ في كتبِ متنِ اللغةِ عنِ المصدرِ وغيرِهِ مِنَ الألفاظِ التي تريدُ أن تستعملَها لتَعرِفَ صورتَها ، وللكنْ لوضع القوانينِ فوائدُ سبقَ تنبيهُكَ لها .

النوعُ الثاني مصادرُ الأفعالِ الرباعيَّةِ

للرباعيِّ المُجرَّدِ وما أُلحِقَ بهِ _ إلَّا نحوَ : زلزلَ وقلقلَ وبخبخَ _ : وزنٌ واحدٌ ؛ هوَ (فَعْلَلَةٌ) كدَحْرَجَ دَحْرَجَةً ، وحَوْقَلَ حَوْقَلةً ، وبَيْطَرَ بَيْطرةً .

وأمَّا نحوُ: (زلزلَ).. فلهُ وزنانِ: هما (فَعْلَلَةٌ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ، وأمَّا نحوُ: (زلزلَ).. فلهُ وزنانِ: هما (فَعْلَلَةٌ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ، و(فِعْلَالٌ) بكسرٍ فسكونٍ ؟ كزَلْزَلَ زَلْزَلَةً وزِلْزَالاً ، ووَسْوَسَ وَسْوَسَةً ووِسْوَاساً ؟ قيلَ: ويُفْتَحُ هاذا ، وقيلَ: هوَ حينَئذٍ غيرُ مصدرٍ ، بلِ اسمٌ موضوعٌ لذلكَ المعنىٰ .

ولمهموز الثُّلاثي ؛ كأسلم وآمن : (الإِفْعالُ) كأسلم إسلاماً ، وآمن إيماناً ، وأَحسن إحساناً ، للكنْ إذا كانَتْ فاءُ (الإفعالِ) همزةً كالإيمان . . قُلِبَتْ ياءً ، وإذا كانَتْ واواً . . فكذلك ؛ كأوصى إيصاءً ، وأوغل إيغالاً ، وأوعد إيعاداً .

وإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً . . حذفتَ منهُ أَلِف (الإفعالِ) وجئتَ بعدَهُ بتاءٍ هي عوضٌ منها ، فيكونُ وزنُ المصدرِ (إِفَعْلةً) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ ؟ كأقامَ إقامةً ، وأجازَ إجازةً ، وأبانَ إبانةً ، ويُقالُ في تصريفِهِ : أصلُ (إبانةٍ) مثلاً : إِبْيَانٌ كإِكْرَام ، نُقِلَتْ فتحةُ الياءِ إلى الباءِ وأُبدِلَتْ أَلِفاً ، وحُذِفَتْ أَلِفُ

الإفعالِ ، وعُوِّضَ منها التاءُ ؛ وذلكَ ليَخِفَّ اللَّفظُ ويَعذُبَ ؛ إذ كانَ وضعُ اللغةِ على مَلَاحةِ المَنطِقِ ورَشاقةِ اللَّفظِ .

وإذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً . . صارَتْ فيهِ همزةً ؛ كأحلى إحلاءً ، وألقى إلقاءً ، وأبقى إبقاءً .

ولمُضعَّفِ العينِ : (التَّفْعِيلُ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ فسكونٍ ؛ كسَبَّحَ تَسبِيحاً ، وجَرَّبَ تَجرِيباً ، للكنْ إذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُعتلَّةً . . حُذِفَتْ منهُ ياءُ التفعيلِ ، وعُوِّضَ منها تاءٌ بعدَهُ ، فوزنُهُ (تَفْعِلَةٌ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كزَكَّىٰ تَزْكِيَةً ، ورَبَّىٰ تَرْبِيَةً ، وحَلَّىٰ تَحْلِيَةً ، وسُمِعَ هاذا التغييرُ في بعضِ الصَّحائح ، فلا يتجاوزُ المسموعَ ؛ كتَجْرِبَةٍ وتَكْرِمَةٍ .

ومثلُ مُعتلِّ اللَّامِ مهموزُها ؛ مثلُ : جَزَّأَ تَجْزِئَةً ، ووَطَّأَ تَوْطِئَةً ، وبَرَّأَ تَبْرِئَةً .

ول (فَاعَلَ) كضَارَبَ وخَاصَمَ : مصدرانِ : (فِعالٌ) بكسرِ أُوَّلِهِ ، و(مُفاعَلةٌ) ؛ كعِيانٍ ومُعايَنةٍ ، وخِصامٍ ومُخاصَمةٍ ، للكنْ إذا كانَتْ فاؤُهُ ياءً ؛ كياوَمَ ويامَنَ وياسَرَ . . التُزِمَ الثاني وتُرِكَ الأُوَّلُ ؛ لثقلِهِ ؛ كمُياوَمةٍ ، ومُيامَنةٍ ، ومُياسَرةٍ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . فهيَ في الأوَّلِ همزةٌ ، وفي الثاني أَلِفٌ ؛ كواليٰ ولاءً ومُوالاةً ، وجارئ جِراءً ومُجاراةً .

النوعُ الثالثُ مصادرُ الخماسيِّ

ل (تَفَعْلَلَ) نحوُ : تَدَحْرَجَ ، وتَشَيْطَنَ : (التَّفَعْلُلُ) بفتحِ أُوَّلِهِ وثانيهِ وسكونِ ثالثِهِ وضمِّ رابعِهِ ؛ كالتَّدَحْرُجِ ، والتَّشَيْطُنِ .

ولا (تَفَعَّلَ) نحوُ: تَصَبَّرَ ، وتَكَلَّمَ: (التَّفَعُّلُ) بفتح أوَّلِهِ وثانيهِ وضمّ

ثالثِهِ مُشدَّداً إِن لَم تَكُنْ لَامُهُ مُعتلَّةً ، فإن كانَتْ . . كُسِرَ ؛ فالأولُ : كتَصَبُّرٍ وتَكَلُّمِ ، والثاني : كتَدَلَّىٰ تَدَلِّياً ، وتَأَلَّىٰ تَأَلِّياً ، وتَأَنَّىٰ تَأَنِّياً .

ولا (تَفَاعَلَ) : كَتَغَافَلَ وتَقَاصَرَ : (التَّفَاعُلُ) بضمِّ ما قبلَ آخِرِهِ إن لم يكنِ الآخِرُ مُعتلاً ، وإلَّا . . كُسِرَ ؛ كَتَغَافُلٍ وتَدَاخُلٍ ، والتَّغابي والتَّداني والتَّقاضي (١١) ، وإن كانَ الآخِرُ وما قبلَهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ . . سَكَنَتْ وأُدغِمَتْ كما هوَ الواجبُ في مثلِهِ ؛ كتَحابِّ ، وتَوادٍّ ، وتَشادٍّ .

ول (ٱنفعلَ) كانطلقَ : (الأنفعالُ) كالانطلاقِ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدلَتْ همزةً ؛ كالأنجلاءِ ، والأنطواءِ ، والأنضواءِ . ولا نضواءِ . ولا أفتعالُ) كالاقتدار .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كالاصطفاءِ ، والاقتداءِ ، والاختباءِ .

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً أو ياءً . . أُبدِلَتْ تاءً وأُدغِمَتْ في تاءِ (الاَفتعالِ) كما فَعَلْتَ بفعلِهِ ؛ كاتِقاءِ واتِّكالٍ واتِّسارِ .

ول (ٱفعلَّ) كاحمرَّ الذي أصلُهُ قبلَ الإدغامِ الواجبِ في مثلِهِ احْمَرَ ، وارعوى الذي أصلُهُ قبلَ الإبدالِ الواجبِ في مثلِهِ ارعوَيَ : (الأَفْعِلَالُ) بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كاحمرارِ واصفرارٍ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كارعواءٍ .

النوعُ الرابعُ مصادرُ السداسيّ

ل (ٱستفعَل) كاستخرج : (الأستفعالُ) كاستخراج واستمهالٍ .

⁽١) هذه المفردات الثلاثة مكانها في الأصل بعد قوله: (وتشادٍّ) .

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً . أُبدِلَتْ ياءً ؛ كاستوعدَ استِيعاداً ، واستولى استِيلاءً . وإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلةً ألِفاً . . حُذِفَتْ أَلِفُ الاستفعالِ ، وعُوِّضَ منها تاءٌ لزوماً ؛ كاستعانةٍ ، واستقامةٍ ، واستطالةٍ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كاستبقاءٍ ، واستيفاءٍ ، واستهداءٍ . ولنحو (ٱخْشَوْشَنَ) الاخْشِيشانُ ؛ بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ، وإبدالِ الواوِياءً . وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كاعريراءٍ .

ولمصادر الأفعالِ المبدوءةِ بهمزةِ الوصلِ ضابطٌ ؛ وهوَ أنَّ المصدرَ كالفعلِ الماضي ، غيرَ أنَّهُ يُكسَرُ ثالثُهُ ، وإذا كانَتْ بعدَهُ أَلِفٌ أو واوٌ . . أُبدِلَتْ ياءً ، ويُزادُ قبلَ آخِرِهِ أَلِفٌ ، وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً .

ومَنْ وعى صورَ الأفعالِ . . لم يَصعُبْ عليهِ تمثيلُ المصادرِ .

تكملةٌ

[في صيغتَي المَرَّةِ والهَيئةِ]

بنيتانِ إحداهُما توازن (فَعْلَةً) بفتحِ فسكونِ ، والثانيةُ توازنُ (فِعْلَةً) بكسرٍ فسكونٍ . . يُصوَّرُ بهِما كلُّ مصدرِ فعلٍ ثُلاثيِّ لم يكنْ وضعُهُ على إحداهُما :

الأُولىٰ : تُذكَرُ بعدَ الفعلِ للدلالةِ علىٰ حصولِهِ مَرَّةً .

والثانيةُ : للدلالةِ على هيئةِ الفعلِ حالَ صدورِهِ مِنْ فاعلِهِ .

تقولُ: زارَني زيدٌ زَوْرةً ، وجلسَ جَلْسةً ، وفَرِحَ فَرحْةً ، وتقولُ: مشى مِشْيةَ الأُمراءِ ، وهوَ حسنُ السِّيرةِ ، وخاتمٌ جَيِّدُ الصِّيغةِ ؛ بإبدالِ الواوِ ياءً كما هوَ الواجبُ في مثلِهِ ؛ كقيمةٍ .

فإذا كانَ وضعُ المصدرِ علىٰ (فَعْلةٍ) كَرَحْمةٍ ، أو (فِعْلةٍ) كَنِشْدةٍ . . ذَلَلتَ على المَرَّةِ والهَيئةِ بما يفيدُ ذٰلكَ ؛ تقولُ : رَحِمَ رَحْمةً واحدةً ، ونَشَدَ الضَّالَّةَ نِشْدةَ المنادي ، كما هو الحالُ إذا أردتَ الدلالةَ على الهيئةِ مِنْ غيرِ الثُّلاثيَّاتِ ؛ تقولُ : عظَّمتُهُ تعظيمَ العنايةِ والاحتفالِ ، أو تعظيماً قويّاً .

وأمَّا الدلالةُ على المَرَّةِ مِنْ غيرِ الثُّلاثيِّ . . فبإلحاقِ التاءِ للمصدرِ المشهورِ للفعلِ ؛ كعظَّمتُهُ تعظيمةً ، وأكرمتُهُ إكرامةً ، فإن كانَ المصدرُ مختوماً بالتاءِ ؛ كإقامةٍ ودحرجةٍ . . دَلَلْتَ على المَرَّةِ بلفظِ (واحدةٍ) .

ومِنَ الشَّاذِّ: قولُهُمُ: اعتمَّ عِمَّةَ الأعرابيِّ، وتَقمَّصَ قِمْصةَ الرُّعاةِ، واختمرَتْ خِمْرةَ الحضرِ، وانتقبَتْ نِقْبةً حسنةً ؛ إذ لم تكنِ الأفعالُ ثُلاثيةً كما هوَ شرطُ البنيةِ.

* * *

بيانُ اسمِ الفاعلِ (١)

كلُّ فعلٍ ثُلاثيِّ مُتعدِّ مطلقاً أو لازمٍ ليسَ مِنْ بابِ (فَرِحَ) أو (كَرُمَ) . . فاسمُ الفاعلِ منهُ يوازنُ (فَاعِلاً) كناصرٍ مِنْ نَصَرَ ، وضَارِبٍ مِنْ ضَرَبَ ، وفَاتِح مِنْ فَتَحَ ، وحَافِظٍ مِنْ حَفِظَ ، ووَارِثٍ مِنْ وَرِثَ .

فإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً ؛ كقامَ وباعَ . . فهيَ فيهِ همزةٌ ؛ كقائمٍ وبائع . .

وإذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُعتلَّةً . . فهيَ فيهِ ياءٌ تُحذَفُ لوقوعِ ساكنٍ بعدَها ؟ كقاضٍ وداع ، وقاضي البلدِ ، وداعي الخيرِ ، والقاضي والداعي .

وتَلحقُهُ التاءُ في الأوصافِ المُشترَكةِ بينَ الذُّكورِ والإناثِ للفَرْقِ ؛ كقائمٍ وقائمةٍ ، ولا تَلحَقُ الأوصافَ المُختصَّةَ بالإناثِ لعدمِ الحاجةِ ؛ كحائضٍ ، وامرأةٍ حاملِ وحائلِ وفاركٍ .

والغرضُ مِنِ اسمِ الفاعلِ: الدلالةُ علىٰ أنَّ صاحبَهُ مُتلبِّسٌ بإيجادِ الفعلِ وإحداثِهِ ، فهوَ بمنزلةِ المضارعِ الحالي وقائمٌ مَقامَهُ ؛ بحيثُ يَصِحُّ وضعُ كلِّ مكانَ الآخرِ ، فيَحصُلُ المعنى المقصودُ ، أوِ الدلالةُ علىٰ أنَّهُ سيَتلبَّسُ أو سوفَ يَتلبَّسُ بالفعلِ ، فهوَ بمنزلةِ المضارع الاستقباليّ كذلكَ .

مثلاً : يسألُكَ سائلٌ : ما حالُ زيدٍ الآنَ ؟ فتقولُ : ها هوَ ذا قائمٌ ، أو يقومُ ، حالَ ما هو آخذٌ في نصبِ أعضائِهِ والهُوِيّ برأسِهِ إلىٰ جهةِ الفَوقِ .

أو: ما يفعلُ زيدٌ غداً ؟ فتقولُ: هوَ راكبٌ فرسَهُ ، ومُسابِقٌ الفُرسانَ ، أو يركبُ ويُسابِقُ .

⁽۱) انظر «شذا العرف» (ص ۱۳۱).

ويُقالُ لاسمِ الفاعلِ في هاذَينِ الموضعَينِ : اسمُ الفاعلِ الذي يَحُلُّ مَحَلَّهُ الفعلُ .

وقد يُذكَرُ لتعيينِ موصوفِهِ ؛ حيثُ يكونُ سبقَ عهدُهُ بهِ ؛ كما تقولُ : هاذا سائلُكَ أمسِ ، ويُسمَّىٰ حينَئذِ : اسمَ الفاعلِ الذي يَحُلُّ مَحَلَّهُ الموصولُ وصلتُهُ ؛ فإنَّهُ في معنىٰ : هاذا الشخصُ الذي سألكَ أمسِ وعرفتَهُ بذلكَ .

[اسم الفاعل من غير الثلاثي]

وكلُّ فعلٍ غيرِ ثُلاثيِّ فاسمُ الفاعلِ منهُ: يوازنُ مضارعَهُ ، غيرَ أنَّ اسمَ الفاعلِ مبدوءٌ بميمٍ مضمومةٍ مكسورٍ ما قبلَ آخرِهِ مطلقاً ؛ كمُدحرِجٍ ، ومُكرِمٍ ، ومُعظِّم ، ومُخاصِم ، ومُنطلِق ، ومُقتدِر ، ومُتغافِل ، ومُستخرِج ، وهاكذا .

بيانُ اسم المفعولِ (١)

كلُّ فعلٍ غيرِ ثُلاثيٍّ فاسمُ المفعولِ منهُ يوازنُ اسمَ فاعلِهِ ، غيرَ أَنَّهُ يُفتَحُ ما قبلَ آخِرِهِ ؛ كمُدحرَجِ ، ومُنتظرٍ ، ومُستخرَجِ .

وكلُّ فعلِ ثلاثيِّ فاسمُ المفعولِ منهُ يـوازنُ (مفعولاً) ؛ كمَخلوقٍ ، ومَرزوقٍ ، ومَوجودٍ ، ومَقصودٍ ، ومَفروحِ به ، ومَفروغ منهُ .

وإذا كانَتْ عينُهُ واواً . . نُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، فتبقىٰ ساكنةً ، وتُحذَفُ إحدى الواوَين ؛ كمَصونِ ومَقولٍ .

وإذا كانَتْ عينُهُ ياءً . . نُقِلَتِ الضَّمَّةُ وحُذِفَتِ الواوُ ، وأُبدِلَتِ الضَّمَّةُ كسرةً ؛ للفرقِ بينَ ذواتِ الياءِ وذواتِ الواوِ ؛ كمَبيع ومَدِينِ .

وتميمُ تُصحِّحُ هاذا ؛ فيقولونَ : مَبْيُوعٌ ومَدْيُونٌ ، وعليهِ لسانُ مصرَ ، قالَ شاعرُ تميمَ (٢) :

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّداً وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ وَلَا مَعْيُونُ ، أصابَهُ بعينِهِ .

وإذا كانَتْ لامُهُ واواً . . سَكَنَتْ واوُ مفعولٍ سُكوناً مُقيَّداً ، وأُدغِمَتْ ، وشَذَّ قلبُ الواوَينِ ياءَينِ ، وإبدالُ الضَّمَّةِ كسرةً ، كما هوَ لسانُ مصرَ ، قالَ بعضُ الشُّعراءِ (٣٠) :

وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِي كَمَا ٱلنَّاس مَعْدِيّاً عَلَيَّ وَعَادِيَا

⁽١) انظر « شذا العرف » (ص ١٣٥) .

⁽٢) هو العباس بن مرداس ، كما في « ديوانه » رضي الله عنه (ص ١٥٦) .

⁽٣) انظر « الكتاب » لسيبويه (٣٨٥/٤) .

مِنْ عدا عليهِ يعدو ، والفصيحُ : مَعدقٌ عليهِ ؛ كمَدعةِ ومَقلةِ .

وإذا كانَتْ لامُهُ ياءً . . أُبدِلَتْ واوُ مفعولٍ ياءً ، وأُدغِمَتْ ، وأُبدِلَتِ الضَّمَّةُ كسرةً ؛ كمَرمِيِّ ومَرضِيِّ .

[ألفاظٌ على وزنِ (فعيلِ) بمعنى أوزانٍ أخرى]

وقد جاءَتْ ألفاظٌ كثيرةٌ توازنُ (فَعِيلاً) تُستعمَلُ بمعنىٰ (مفعولٍ) ، ولا يُفرقُ فيها بينَ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ غالباً ؛ كقتيلٍ ، وجَريحٍ ، وكَحيلٍ .

وكذا وردَتْ ألفاظٌ تُستعمَلُ بمعنى (مُفْعَلٍ) اسمَ مفعولٍ ؛ نحوُ : حكيمٍ ، وألفاظٌ تُستعمَلُ بمعنى (مُفاعِلٍ) كسميرٍ وخَليطٍ وجَليسٍ ، وبمعنى (مُفاعِلٍ) كسميرٍ وخَليطٍ وجَليسٍ ، وبمعنى (مُفعِلٍ) اسمَ فاعلِ نحوِ : أبدعَ ؛ كبديعٍ وحكيمٍ وسميعٍ ، وندرَ هاذا ، حتى نفاهُ الكثيرُ ، ومَنْ أثبتَهُ . . عدَّ منهُ اثنيُ عشرَ لفظاً .

بيانُ الصفةِ (١)

الأوصافُ مِنْ (بابِ كَرُمَ) وكذا مِنْ (بابِ فَرِحَ) اللازمِ . . تُسمَّىٰ : صفاتٍ مُشبَّهةً ، ولا يُقالُ لها : اسمُ فاعلٍ ؛ وذلكَ لأنَّها لإفادةِ الأوصافِ باعتبارِ قرارِها وثبوتِها لمَحالِّها ، مِنْ غيرِ نظرٍ إلىٰ حدوثٍ وتَجدُّدٍ كما هوَ المُعتبَرُ في حقيقةِ اسمِ الفاعلِ ؛ بحيثُ لا يَصِحُّ أن تُوضَعَ الأفعالُ مكانَ تلكَ الصفاتِ ، حتىٰ لو أُريدَ أن يُفادَ بها معنى الحدوثِ والتجدُّدِ . . وجبَ ردُّها إلىٰ زنةِ فاعلٍ .

مثلاً: إذا قلتَ: زيدٌ حسنُ الوجهِ ، كانَ المعنى: زيدٌ لهُ صفةُ الحسنِ ، لا أنّها حدثَتْ أو تَحدُثُ ، فلو قلتَ: حَسنَ وجهه أو يَحسنُ . . فاتَ الغرضُ المقصودُ ، وتَبدَّلَ المعنى ، فلو أردتَ هاذا المعنى الفعليّ . . قلت : زيدٌ حاسنٌ وجهه ؛ لاستعمالِ الأغذيةِ اللّطيفةِ والأدويةِ المُنضِّرةِ ، فهوَ على معنى : آخِذٌ وجهه في الحُسْنِ لذلكَ ؛ بحيثُ يَصِحُ أن تقولَ : زيدٌ يَحسنُ وجهه .

وكلُّ وصفِ فاعلٍ أو مفعولٍ استُعمِلَ بهاذا المعنى المشروحِ لأوصافِ هاذَينِ البابَينِ . . فهوَ مِنَ الصِّفةِ المُشبَّهةِ .

الأوصاف مِنْ بابِ (كَرُمَ)

منها ما جاءَ على وزنِ (فَعْلٍ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كضَخْمٍ وشَهْمٍ ، ومنها ما جاءَ على وزنِ (فَعِيلٍ) بفتحٍ فكسرٍ ؛ كجَمِيلٍ وظَرِيفٍ ، وهـٰذانِ الوزنانِ يقتسمانِ حَسَبَ السماع أكثرَ أوصافِ البابِ .

ومنها ما وردَ بأوزانٍ أُخَرَ كصُلْبٍ بضمٍّ فسكونٍ ، وبَطَلٍ بفتحتَينِ ، وشُجَاعٍ وجَبَانِ .

⁽۱) انظر «شذا العرف» (ص ۱۳۸).

والفرقُ بينَ الإناثِ والذُّكورِ في هـٰذه الأوصافِ بالتاءِ .

الأوصافُ مِنْ بابِ (فَرِحَ)

جاءَتْ أوصافُ هـُـذا البابِ علىٰ ثلاثةِ أنواع :

ـ النوعُ الأوَّلُ : يوازنُ (فَعِلاً) بفتحٍ فكسرٍ ، ويُؤنَّثُ بالتاءِ ؛ كَفَرِحٍ وطَرِبٍ وَبَطِرٍ وأشِرٍ .

_ النوعُ الثاني : يوازنُ (أَفْعَلَ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ للمُذكّرِ ، و(فَعْلاءَ) بفتحٍ فسكونٍ وفي آخِرِهِ همزةٌ للمُؤنّثِ ؛ كأحمرَ وحمراءَ ، وأجهرَ وجهراءَ .

- النوعُ الثالثُ : يوازنُ (فَعْلانَ) بفتحٍ فسكونٍ للمُّذكَّرِ ، و(فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ وآخِرُهُ أَلِفٌ للمُؤنَّثِ ؛ كغضبانَ وغَضْبىٰ ، وسكرانَ وسَكْرىٰ .

ولهاذه الأنواع ضابطٌ بهِ تُميِّزُ بينَ مواضعِها:

فَالْأَوَّلُ : في أحوالٍ تَحصُلُ ويَسرُعُ زوالُها عادةً ؛ كالفَرَح والطَّرَبِ والأَشَرِ .

والثاني: في صفاتٍ وضعُها على البقاءِ ؛ وهوَ دائرٌ بينَ الألوانِ والعيوبِ والحِلَىٰ ؛ كالحُمرةِ والصُّفرةِ ، والحُمق والعَمىٰ ، والهَيفِ والغَيدِ .

والثالث: في أمور بطيئة الزوالِ ؛ كالرَّيِّ والعَطَشِ ، والجُوعِ والشِّبعِ ، والشُّبعِ ، والشَّبعِ ، والشَّبع ، والشُّكْرِ والغَضَبِ ، وتسميةُ هاذه الأوصافِ صفاتٍ مُشبَّهةً يُذكَرُ سببُهُ في النحوِ (١٠) .

* * *

⁽١) انظر (١/٧٥) .

بيانُ اسم زمانِ الفعلِ واسمِ مكانِهِ مِنْ مادَّتِهِ (١)

صيغتُهُما واحدةٌ ؛ فإن كانا مِنْ غيرِ الثُّلاثيِّ . . فهي كصيغةِ اسمِ المفعولِ منهُ ، وكذلكَ مصدرُهُ الميميُّ ، فالصِّيغةُ مُشترَكةٌ بينَ أربعةِ أشياءَ ؛ تقولُ : استخرجتُ الذهبَ مِنَ المَعدِنِ صُبحاً مُستخرَجاً حسناً ، فالذَّهبُ مُستخرَجٌ ، والصبحُ مُستخرَجُهُ أيضاً ؛ أي : وقتُ استخراجِهِ ، والمَعدِنُ مُستخرَجُهُ أيضاً ؛ أي : مكانُ استخراجِهِ .

وقولُكَ : (مُستخرَجاً حسناً) بمنزلةِ قولِكَ : (استخراجاً حسناً) ، فهوَ مصدرُهُ ، ومنهُ قولُ الشاعرِ (٢٠) :

أَظَلُومُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً رَدَّ ٱلسَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ معناهُ: إِنَّ إصابتَكُم بالمكروهِ رجلاً حيَّاكُم وسَلَّمَ عليكُم.. ظلمٌ منكُم لهُ.

وإن كانَ مِنَ الثُّلاثيِّ . . فهُما علىٰ زنةِ (مَفْعلٍ) فإذا كانَ مضمومَ عينِ المضارعِ ، أو مفتوحَها ، أو مُعتلَّ اللَّامِ . . فُتِحَتْ عينُهُ ؛ كمَنْصَرٍ ومَنْظَرٍ ، ومَفْتَح ومَفْرَح ومَطْرَح ، ومَرْمىً ومَدْعىً ومَسْعىً .

وإن كانَ مكسورَ عينِ المضارعِ ، أو كانَ فعلُهُ مثالاً واويّاً ، أو يائيّاً . . كُسِرَتْ عينُهُ ؛ كمَضْرِبٍ ومَجْلِسٍ ، ومَوْعِدٍ ومَوْئِلٍ ومَوْضِعٍ ومَوْجِلٍ ، ومَنْسِر .

وما جاءَ على خلافِ ذلكَ ؛ ك (مَسْجِدٍ) بالكسرِ ، و(مَشْرُبَةٍ) بالضَّمِّ ،

⁽١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٣) .

⁽٢) هو للعرجي ، وانظر خبره في « مغنى اللبيب » (٦٩٧/٢) .

وحقَّهُما الفتحُ ؛ لكونِ مضارعِهِما مضمومَ العينِ في الأوَّلِ ، ومفتوحَها في الثاني . . فإنَّهُ جُعِلَ اسماً للموضعِ المُعَدِّ للفعلِ وإن لم يقعْ فيهِ الفعلُ ، ألا ترى أنَّكَ إذا بنيتَ بيتاً للعبادةِ . . كانَ اسمُهُ مَسْجِداً وإن لم يَسْجُدْ فيهِ أحدٌ ؟!

وأمَّا اسمُ مكانِ الفعلِ المضبوطِ . . فهوَ للموضعِ الذي وقعَ فيهِ الفعلُ ، فإذا أردتَ مِنْ لفظِ المَسْجِدِ هاذا المعنى . . فتحتَ عينَهُ ، كما تقولُ : (اسجدْ مَسْجَدَ زيدٍ . . تَعُدْ عليكَ بركتُهُ) فمعناهُ : في الموضعِ الذي سجدَ فيهِ زيدٌ .

بيانُ اسمِ آلةِ الفعلِ (١)

آلةُ الفعلِ التي وقعَ بها يكونُ اسمُها على وزنِ (مِفْعَلٍ) بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ ، أو (مِفْعَالٍ) بزيادةِ الأَلِفِ ؛ كمِفْصَلٍ ، ومِفْصَدٍ ، ومِبْضَعٍ ، ومِقْوَلٍ ، ومِقْوَدٍ ، ومِخْيَطٍ ، ومِسْبَرِ ، ومِسْبَارِ ، ومِهْمَازِ ، ومِخْيَاطٍ .

وتلحقُهُ التاءُ ؛ كمِنْسَأةٍ ، ومِكْنَسَةٍ ، ومِقْرَعَةٍ .

ولا يُغيَّرُ مِنْ أسماءِ الآلةِ ما عينُهُ واوٌ أو ياءٌ كما رأيتَ ، على خلافِ قاعدةِ : (أنَّهُ إذا تَحرَّكَتِ الواوُ أو الياءُ وسَكَنَ ما قبلَهُما . . نُقِلَتْ حركتُهُما إليهِ ، وبقيتا ساكنتينِ ، سكوناً مرسلاً ، أو أُبدِلتا أَلِفاً) كما سبق التصريحُ بهِ في مواضع ، والإشارةُ إليهِ في غيرِها (٢٠) .

وكما استُثنِيَ مِنْ هلذهِ القاعدةِ أسماءُ الآلاتِ . . استُثنِيَ منها نحوُ : ٱبْيَضَ ، وٱسْوَدً ، وأَسْوَدَ ، وأَقْوَمَ وأَفْيَحَ ، للكنْ إذا كانَتْ فاءُ الكلمةِ واواً . . أبدلتْ ياءً كما هوَ شأنُ كلِّ واوٍ وقعَتْ إثرَ كسرةٍ ؛ كمِيزانٍ ومِيقاتٍ مِنَ الوزنِ والوقتِ ، ودِيمةٍ وقِيامٍ مِنْ يدومُ ويقومُ .

⁽١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٧) .

⁽۲) انظر (۱۹۲/۱ ، ۳۰۰) .

بيانُ اسمِ التفضيلِ (١)

هوَ اسمٌ يوازنُ (أَفْعَلَ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ، وكما يُسمَّى اسمَ تفضيلٍ . . يُسمَّىٰ : (أَفْعَلَ مِنْ) .

وهانده الصِّيغةُ للدلالةِ علىٰ أنَّ شيئينِ اشتركا في صفةٍ ، وزادَ أحدُهُما على الآخر فيها ، والزائدُ مُفضَّلٌ ، والآخَرُ مُفضَّلٌ عليهِ ، وهوَ الذي يُقرَنُ به (مِنْ) .

ثمَّ لا تكونُ هاذهِ الصِّيغةُ إلَّا لفعلٍ ، ثُلاثيٍّ ، مُتفاوِتٍ قُوَّةً وضَعفاً أو قِلَّةً وكثرةً ، مُتصرِّفٍ ، مُثبَتٍ ، ليسَ وصفُهُ علىٰ وزنِ (أفعلَ) ولا علىٰ صورةِ فعلِ المجهولِ ، ولا مِنَ الأفعالِ الناقصةِ .

لأنَّ غيرَ الثُّلاثيِّ لا تُمكِنُ فيهِ الصِّيغةُ ، وغيرَ المُتفاوِتِ لا يزيدُ فيهِ شيءٌ عن شيءٍ ، والجامدَ لا يُصاغُ منهُ شيءٌ ، والمَنفيَّ مُركَّبٌ معَ أداةِ النفي ، وما وصفُهُ على (أفعلَ) مشغولٌ بهاذه الصِّيغةِ لغيرِ معنى التفضيلِ ، وما على صورةِ فعلِ المجهولِ يُؤدِّي للإلباسِ ، والأفعالُ الناقصةُ لم يُقصَدْ بها إفادةُ إحداثِها .

ومِنَ الشَّواذِ قُولُهُم : (أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَينِ) ، و(زيدٌ أَشْهَرُ مِنْ عَمْرِو) فإنَّ معناهُ : أقوى مشغوليَّةً ومشهوريَّةً ؛ فهوَ مِنْ فعلِ المجهولِ .

⁽۱) انظر «شذا العرف» (ص ١٤٣).

⁽٢) كما في « ديوان المتنبي » (ص ٢٤) .

وقيلَ : (كلامٌ أخصرُ) صوغاً مِنِ (اختُصِرَ) فعلٍ مجهولٍ خماسيٍّ ؛ ففيهِ شذوذانِ .

للكنْ أنتَ محتاجٌ إلى التفضيلِ فيما فقدَ بعضَ تلكَ الشروطِ ؛ فالطريقُ لذلكَ : أن تَصوغَ اسمَ تفضيلٍ مِنْ نحوِ : (قَوِيَ) و(كَثُرَ) و(عَظُمَ) و(زادَ) ، ثم تأتي بمصدرِ الفعلِ المُمتنِعِ صوغُ (أفعلَ منهُ) بعدَ ذلكَ ، مُبيِّناً بذلكَ أنَّهُ موضعُ التفضيلِ ؛ مثلاً تقولُ : زيدٌ أقوى إكراماً لعمرو ، وأزيدُ اشتغالاً بالخيرِ ، وأكثرُ استخراجاً للفوائدِ ، وأقوى حمرةً .

ويقومُ مَقامَ المصدرِ لفظٌ مُركَّبٌ مِنِ: اسمِ فاعلٍ أو اسمِ مفعولٍ ، وياءٍ مُشدَّدةٍ تُسمَّىٰ ياءَ النِّسبةِ ، وتاءٍ ؛ كضاربيّةٍ ، ومَضروبيَّةٍ ، ومُكرِميَّةٍ ؛ فتقولُ: (زيدٌ أكثرُ مُكرِميَّةً بينَ الناسِ) مُتوصِّلاً بذلكَ لإفادةِ التفضيلِ في فعلٍ مجهولٍ ؛ لأنَّ معناهُ: أنَّ زيداً أكرمُ وغيرُهُ أكرمُ ، مِنْ غيرِ تَعرُّضٍ إلىٰ بيانِ المكرمِ ، وزيدٌ أكثرُ مِنْ غيرِهِ في ذلكَ المعنىٰ .

ثمَّ إنَّ اسمَ التفضيلِ لهُ مِنْ جهةِ نطقِهِ ثلاثُ حالاتٍ ، ومِنْ جهةِ معناهُ ثلاثةُ استعمالاتِ :

أمَّا كيفياتُ نطقِهِ:

- فالأُولى: أن تَنطِقَ بهِ مُفرَداً مُذكَّراً دائماً ، سواءٌ كانَ صفة واحدٍ أوِ اثنَينِ أو جماعةٍ مِنَ الإناثِ أوِ الذُّكورِ ؛ وذلكَ حيثُ تضيفُهُ إلى نكرةٍ ، أو تأتي بعدَهُ بالمُفضَّلِ عليهِ مقروناً به (مِنْ) فتقولُ : زيدٌ أفضلُ رجلٍ ، والزيدانِ أفضلُ أفضلُ رجلينِ ، والزيدونَ أفضلُ رجالٍ ، وهندٌ أفضلُ امرأةٍ ، والهِندانِ أفضلُ امرأتينِ ، والهِنداتُ أفضلُ نساءٍ ، فتُطابِقُ الموصوفَ بالمُضافِ إليهِ وجوباً كما رأيتَ .

وتقولُ : زيدٌ أفضلُ مِنْ عمرٍو ، والزيدانِ أفضلُ منهُ ، والزيدونَ أفضلُ منهُ ، وهندٌ أفضلُ منها . وهندٌ أفضلُ مِنْ دعدٍ ، والهِندانِ أفضلُ منها ، والهِنداتُ أفضلُ منها .

- الحالةُ الثانيةُ : أن تَنطِقَ باسمِ التفضيلِ مطابقاً للمُفضَّلِ في التذكيرِ والتأنيثِ ، والإفرادِ والتثنيةِ والجمع .

وتأنيثُ اسمِ التفضيلِ: أن تجعلَهُ على وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ ؟ وذٰلكَ حيثُ تُعرِّفُ اسمَ التفضيلِ بـ (أَلْ) ، وحينَئذٍ لا تأتي بـ (مِنْ) ، فتقولُ: زيدٌ الأفضلُ ، والزيدونَ الأفضلونَ أو الأفاضلُ ، وهندٌ الفُضْلَىٰ ، والهِندانِ الفُضْلَيَانِ ، والهِنداتُ الفُضْلَيَاتُ أو الفُضَلُ .

_ الحالةُ الثالثةُ : أن تَنطِقَ بهِ كيفَ شئتَ ، مُطابِقاً أو غيرَ مُطابِقٍ ؛ وذلكَ حيثُ يُضافُ لمعرفةٍ ؛ فتقولُ : الزيدونَ أفضلُ الرجالِ ، أو أفاضلُهُم ، وهندٌ أفضلُ النساءِ ، أو فُضْلاهُنَ ، وهنكذا .

[استعمالاتُ اسم التفضيل]

وأمًّا استعمالاتُهُ بحَسبِ المعنى :

- فالأوَّلُ : ما سَلَفَ شرحُهُ .

- والثاني: أن تفيد به أنَّ شيئاً زاد في صفة نفسه على شيء آخر في صفته ؛ فلا يكونُ المُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليه مُشترِكينِ في صفةٍ ، كما هو الحالُ في الاستعمالِ الأوَّلِ ؛ كقولِهِمُ : (العسلُ أحلىٰ مِنَ الخَلِّ) ، و(الصَّيفُ أحرُّ مِنَ الخَلِّ) ، معناهُ : العسلُ زائدٌ في حلاوتِه على الخلِّ في حموضتِه ، وعلىٰ هنذا تأويلُ ما وردَ مِنْ ذلك .

_ الاستعمالُ الثالثُ : أن تفيدَ بهِ ثبوتَ الوصفِ لمَحَلِّهِ ؛ فهوَ كاسمِ الفاعلِ لم يُقصَدْ تفضيلُ شيءٍ على شيءٍ ، وأهلُ العربيَّةِ يُمثِّلونَ لذلكَ بقولِ بعضِ

العربِ: (الأشجُّ والناقصُ أعدلا بني مروانَ) أي : هما العادلانِ ، ولا عدلَ في غيرهِما .

ومِنْ هاذا الاستعمالِ قولُ الحسنِ بنِ هانعُ (۱): [من البسيط] كَأَنَّ صُغْرَىٰ وَكُبْرَىٰ مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرِّ عَلَىٰ أَرْضٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ كَأَنَّ صُغْرَىٰ وَكُبْرَىٰ مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرِّ عَلَىٰ أَرْضٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ كَأَنَّ صُغيرةَ الفواقعِ وكبيرتَها ، وإلّا . . لأفردَ وذَكَّرَ ؛ لعدمِ التعريفِ والإضافةِ لمعرفةٍ .

تكملةٌ

[في صيغ المبالغةِ]

كلٌّ مِنَ الفعلِ واسمِ الفاعلِ إذا نسبتهُ لصاحبِهِ . . كفىٰ في صدقِهِ حصولُهُ منهُ ولو مَرَّةً ؛ فهوَ يَحتمِلُ القلَّة والكثرة ، فإذا أردتَ أن تَنُصَّ على الكثرةِ . . ضَعَّفتَ عينَ الفعلِ فقلتَ في (ضَرَبَ) مثلاً : (ضَرَّبَ) بتشديدِ الراءِ ، وقد سبقَ (۲) ، وجئتَ بدلَ (فاعلٍ) بإحدىٰ صيغ ثلاثٍ مُطَّردةٍ في ذلكَ ؛ وهيَ (فَعَالٌ) بفتحِ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ ، و(مِفْعالٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(فَعُولٌ) بفتحٍ فضم إلى فتقولُ : زيدٌ رَكَّابٌ للخيلِ ، ومِنْحارٌ للإبلِ ، وصَبُورٌ على الشدائدِ ، وأهلُ الفنِّ يُسمُّونَ هاذهِ الصيغَ : صيغَ المبالغةِ .

وسُمِعَ مِنَ العربِ _ على قِلَّةٍ ، فيُقتصَرُ على ما سُمِعَ _ للدلالةِ على الكثرةِ صيغٌ أُخَرُ ؛ كعليمٍ ، ورحيمٍ ، وقديرٍ ، هاذا بنقلِ الفعلِ لـ (بابِ فَعُلَ) بضمِّ العينِ الذي سبقَ القولُ بكونِهِ مُختصًا بالغرائزِ ، ونحوُ : حَذِرٍ ، ومِعْطِيرٍ ، وشِرِيبٍ .

وإذا كانَتْ فاءُ (مِفْعالٍ) واواً . . أُبدِلَتْ ياءً ؛ كمِيزانٍ .

⁽١) كما في « ديوان أبي نواس » (ص ٦٢) .

⁽٢) انظر (٢٠٠/١) .

وإذا كانَتْ لامُهُ أو لامُ (فَعَالٍ) مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كمِشْواءٍ ومِقْلاءٍ ، وشَوَّاءٍ وقَلَّاءٍ .

وإذا كانَتْ عينُ (فَعُولِ) واواً . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كَقَؤُولٍ وصَوُّولٍ . وإذا كانَتْ لامُهُ واواً . . أُدغِمَتْ فيها الواوُ قبلَها ؛ كعَدُوِّ وصَبُوِّ .

وإذا كانَتْ ياءً . . أُبدِلَتِ الواوُ قبلَها ياءً ، وأُدغِمَتْ فيها ؛ كَبَغِيِّ وسَعِيٍّ ، وأصلُهُما : بَغُويٌ وسَعُويٌ .

* * *

التقسيمُ الثاني [في المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ] (١)

الاسمُ: إمَّا مُذكَّرٌ ، وإمَّا مُؤنَّثُ .

فالمُذكَّرُ: ما وُضِعَ لذكرٍ.

والمُؤنَّثُ: ما وُضِعَ لأُنثى.

وقدِ اعتبَرتِ العربُ التأنيثَ في بعضِ الأشياءِ لأسبابٍ ، فعاملوها معاملةَ الإناثِ ؛ كالشَّمسِ اعتبروها أُنثىٰ لوقوعِها في مقابلةِ القمرِ ، والكأسِ ؛ لوقوعِها في مقابلةِ الإبريقِ ، والحربِ ؛ اعتبروها وَلَّادةً غَرَّارةً كما قالَ عمرٌو (٢٠) :

اَلْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فُتَيَّةٌ تَسْعَىٰ بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ حَتَّىٰ إِذَا ٱلْتَهَبَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

ومِنْ ثَمَّ قالَ أهلُ العربيَّةِ: مُؤنَّثُ حقيقيٌّ لذواتِ الفروجِ ، ومُؤنَّثُ مجازيٌّ لغيرِها .

ومعرفةُ المُؤنَّثِ المجازيِّ بتتبع كتبِ اللغةِ ؛ إذ ليسَ لها ضابطٌ .

وقد يكونُ التأنيثُ لفظيّاً فقطْ ؛ بمعنى : أنَّ اللَّفظَ يكونُ معَهُ علامةُ التأنيثِ ، ومدلولُهُ مِنَ الذُّكورِ ؛ كطلحةَ وبَطَّةَ اسمَيْ رجلَينِ .

وللمُؤنَّثِ أحكامٌ ؛ كاختصاصِهِ بإشارةٍ وضميرٍ ، كما تقولُ : (هاذهِ الكأسُ

⁽١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٩) .

⁽٢) هو سيدنا عمرو بن معديكرب ، كما في « شعر عمرو بن معديكرب » رضى الله عنه (ص ١٥٤) .

لا أشربُها) للكنَّ المؤنَّثَ اللَّفظيَّ تَتبعَّضُ فيه الأحكامُ ؛ ففي بعضِ الأبوابِ يُعامَلُ مُعاملةَ المُذكَّرِ ، كما يَتبيَّنُ ذلكَ يُعامَلُ مُعاملةَ المُذكَّرِ ، كما يَتبيَّنُ ذلكَ في مواضعِهِ ، والمُؤنَّثُ المجازيُّ يُخالِفُ المُؤنَّثَ الحقيقيَّ في بعضِ الأحكامِ كما يَتبيَّنُ في مواضعِهِ أيضاً .

ثمَّ إنَّ الأشياءَ التي لا يَتميَّزُ ذَكَرُها مِنْ أُنثاها ؛ ما كانَ منها بالتاءِ . . مُؤنَّثُ ؛ كنملةٍ وبعوضةٍ ، وما خلا منها . . مُذكَّرٌ ؛ كبُرغوثٍ وجُنْدَبٍ .

[علاماتُ التأنيثِ]

وللتأنيثِ ثلاثُ علاماتٍ :

- تاء مُتحرِّكة يُختَم بها الاسم .

_ وأَلفُ بعدَ أَلِفٍ لا يمكنُ النطقُ بها فتُبدَلُ همزةً ، وتُسمَّىٰ : أَلِفَ التأنيثِ الممدودة .

_ وأَلِفٌ مفردةٌ ، وتُسمَّىٰ : أَلِفَ التأنيثِ المقصورة .

الكلامُ على التاءِ

أكثرُ ما تَلحَقُ الأوصافُ المُشترَكةُ للفَرْقِ ، وقَلَّ لُحوقُها الأسماءَ لذلكَ ؛ كرَجُلٍ ورَجُلَةٍ ، وغلام وغلامةٍ ، وفتى وفتاةٍ ، كما قلَّ لُحوقُها لذلكَ ؛ كرَجُلٍ ورَجُلَةٍ ، وغلام وغلامةٍ ، وفتى وفتاةٍ ، كما قلَّ لُحوقُها للأوصافِ المُختصَّةِ بالإناثِ ؛ فلا يُقالُ : حائضةٌ ومرضعةٌ ، إلَّا إذا أريدَ بها معنى الفعلِ ؛ كما تقولُ : هي حائضةٌ بعدَ شهرٍ ، فهي بمنزلة : هي تحيضُ .

ولا تَلحقُ مِنَ الأوصافِ ما كانَ على وزنِ (مِفْعالٍ) أو (مِفْعِيلٍ) أو (فَعولٍ) أو (فَعولٍ) بمعنى (مفعولٍ) إن عُلِمَ في هنذا

787

الموصوف ؛ فتقول : امرأة مِكْسال ، ومِعطِير ، وصَبور ، وجَريح ، وتقول : رأيت جريحة (١) .

وتكونُ التاءُ معَ التأنيثِ للوَحْدةِ في أسماءِ الأجناسِ الجمعيَّةِ ، وتكونُ للمبالغةِ فقطْ ، أو لتأكيدِها ؛ [كراويةٍ] ، وعلَّامةٍ ، وفَروقةٍ ، وتكونُ عوضاً عن حرفٍ محذوفٍ كما سبق في نحوِ: إقامةٍ وتزكيةٍ ، ويأتي لذلكَ مواضعُ (٢).

الكلامُ على الألفَينِ

قدِ اختصَّ كلُّ بأبنيةٍ ، واشتركتا في أبنيةٍ .

[أبنية الألفِ المقصورةِ]

فمِنْ أبنيةِ المقصورةِ: (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(فُعَالَىٰ) بضمٍّ أوَّلِهِ ، و(فُعَالَىٰ) بضمٍّ أوَّلِهِ ، و(فُعَلَىٰ) بضمٍّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ، و(فِعَلَىٰ) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ ("" ، و(فُعُلَىٰ) بضمٍّ أوَّلِهِ وثانيهِ وتشديدِ ثالثِهِ ، و(فُعُلَىٰ) بضمٍّ أوَّلِهِ وثانيهِ وتشديدِ ثالثِهِ ، و(فُعَلَىٰ) بضمٍّ أوَّلِهِ وفتح ثانيهِ مُشدَّداً .

- فالأوَّلُ: كَبُهْمَىٰ لنبتٍ ، وحُبْلَىٰ ، وكُبْرَىٰ ، وطُولَىٰ ، وأُولَىٰ ، ورُجْعَىٰ ، وبُشْرَىٰ .

- والثاني : كحُمَادَىٰ (١) ، وسُمَانَىٰ وحُبَارَىٰ لطائرَينِ .
 - والثالثُ : كسُمَّهَىٰ للباطل .

⁽١) لأجل تعيين التأنيث ؛ إذ لا قرينة دالة عليه .

⁽٢) انظر (٢٧٣/١).

⁽٣) لعل الأولى والأنسب: (فتشديد ثالثه) بدل (فسكون) .

⁽٤) بمعنى : الغاية ؛ يقال : حماداك وحماديَّ ؛ أي : غايتك وغايتي ، أو أن التمثيل بـ (جُمادَى) اسم شه .

- والرابع : كسِبَطْرَىٰ ودِفَقَّىٰ ؛ لنوعَينِ مِنَ المشي .
- والخامسُ: كحِجْلَىٰ ، في جمعِ حَجَلَةٍ بفتَحاتٍ ؛ لطائرٍ ، وظِرْبَىٰ ، في ظَرِبانٍ بفتحٍ فكسرٍ ؛ لدابَّةٍ مُنتِنةِ الفَسوِ في حجمِ الهِرَّةِ ، ولا ثالثَ لهاٰذَينِ الجمعَينِ في أوزانِ الجموع .

وكدِفْلَىٰ لنبتٍ ، وكِيصَىٰ للرجلِ يأكلُ وحدَهُ ، وينزلُ وحدَهُ ، ولا يُهِمُّهُ غيرُ نفسِهِ ، وذِفْرىٰ للعظم خَلْفَ الأَذْنِ ، وضِيزَىٰ بالياءِ وهوَ بالهمزِ ، مُثلَّثُ الأَوَّلِ .

وربَّما نُوِّنَ بعضُ الكلماتِ الواردةِ على هاذا الوزنِ ، فتكونُ أَلِفُهُ للإلحاقِ بدرهمٍ مِنَ الأسماءِ الرُّباعيَّةِ ؛ مِنْ ذلكَ : ذِفْرىٰ ؛ فعلىٰ كونِ الأَلِفِ للتأنيثِ . . تقولُ : (هاذهِ ناقةٌ ذاتُ ذِفْرىٰ نضَّاخةٍ) بالأَلِفِ ، وعلىٰ كونِها للإلحاقِ . . تقولُ : (ذِفْرىُ) بالتنوين .

- _ والسادسُ : كَخُذُرَّىٰ للحَذَرِ ، وبُذُرَّىٰ للتبذيرِ ، وكُفُرَّىٰ لوعاءِ الطَّلْع .
 - _ والسابع : كخُبَّازَىٰ وشُقَّارَىٰ ؛ لنبتَين .

[أبنية الألفِ الممدودةِ]

ومِنْ أبنيةِ الممدودةِ : (فَاعُولَاءُ) ، و(مَفْعُلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ فضمٍ ، و فِعْلِيَاءُ) بغتحٍ ور فَعَالَاءُ) بفتحٍ و فَعَالَاءُ) بغتمٍ فلكياءُ) بكسرٍ ففتحٍ ، و (فَعَالَاءُ) بفتحٍ أوَّلِهِ ، و (فَعِيلَاءُ) بفتحٍ فكسرٍ ، و (فَاعِلَاءُ) بكسرِ ثالثِهِ ، و (أَفْعِلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ .

- _ فالأوَّلُ : كتاسُوعاءَ ، وعاشُوراءَ .
 - ـ والثاني: كمَشْيُخاءَ للشيوخ.
- والثالثُ : ككِبْرياء ، وكِيمِياء ، وإيلِياء لبيتِ المقدس .

- والرابعُ: كسِيَراءَ ؛ للثيابِ المُخطَّطةِ ألواناً .
- _ والخامسُ: كبَراساءَ؛ للناسِ، يُقالُ: لا أدري مِنْ أيِّ البَراساءِ هوَ، وبَراكاءَ؛ لمُعظَم القتالِ.
 - والسادسُ : كبَرِيساءَ ؛ لغةٌ في سابقِهِ ، وقَرِيشاءَ ؛ لنوع من التمرِ .
 - _ والسابعُ: كقاصِعاءَ ونافِقاءَ ؛ لبابَيْ جُحْرِ اليَربوع .
- ـ والثامنُ : كأَصْدِقاءَ ، وأَنْبِياءَ ، وأَرْبِعاءَ لليومِ الرابعِ مِنَ الأُسبوعِ ، ويُضَمُّ ثالثُهُ ويُفتَحُ .

[الأبنيةُ المشتركةُ بينَ الألفِ المقصورةِ والممدودةِ]

ومِنَ الأبنيةِ المُشترَكةِ بينَهُما : (فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(فُعَلَىٰ) بضمٍّ ففتحٍ ، و(فُعَلَىٰ) بضمٍّ ففتحٍ ، و(أَفْعَلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ .

فالمقصورُ مِنَ الأوَّلِ: كَسَكْرَىٰ ، وشَبْعَىٰ ، وقَتْلَىٰ ، وجَرْحَىٰ ، ودَعْوىٰ ، ونَجْوَىٰ .

والممدودُ: [كصَحْراءَ]، وحَمْراءَ، وهَطْلاءَ، وطَرْفاءَ.

والمقصورُ مِنَ الثاني: كأُرَبَىٰ للشدائدِ ، وأُدَمَىٰ ، وجُنَفَىٰ ، وشُعَبَىٰ ؛ لمواضعَ ، ومِنْ كلام جريرِ (١):

أَعَبْداً حَلَّ فِي شُعَبَىٰ غَرِيباً أَلُؤْماً لَا أَبَا لَكَ وَٱغْتِرَابَا وَالْمَدُودُ: كَجُنَفَاءَ ، لغةٌ في السابق ، وكُبَرَاءَ ، وعُلَمَاءَ ، وحُنَفَاءَ .

والمقصورُ مِنَ الثالثِ: كَمَرَطَىٰ ، وبَشَكَىٰ ، وجَمَزَىٰ ؛ لسرعةِ العَدْوِ ، وَحَيَدَىٰ ؛ يُقالُ: حمارٌ حَيَدَىٰ ؛ أي: يحيدُ عن ظلِّهِ لنشاطِهِ ، وبَرَدَىٰ لنهرِ

⁽۱) انظر « ديوان جرير » (۲٥٠/۲) .

بالشأم؛ وهوَ المعنيُّ في قولِ حسَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ (١): [من الكامل] يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ ٱلْبَرِيصَ عَلَيْهِمُ بَرَدَىٰ يُصَفِّقُ بِٱلرَّحِيقِ ٱلسَّلْسَل

والممدودُ: كقرَماءَ وَجَنَفاءَ لموضعَينِ ، ودَأَثاءَ للأمةِ ، وابنُ دَأَثاءَ: الأحمقُ .

والمقصورُ مِنَ الرابعِ: كأَجْفَلَىٰ للدعوةِ العامَّةِ ؛ يقالُ: فلانٌ يدعو الأَجْفَلَىٰ والمقصورُ مِنَ الرابعِ: ويقابلُها النَّقَرَىٰ بفتَحاتٍ للدعوةِ الخاصَّةِ ، ولبعضِ والجَفَلَىٰ بفتَحاتٍ للدعوةِ الخاصَّةِ ، ولبعضِ العرب (۲):

نَحْنُ فِي ٱلْمَشْتَاةِ نَدْعُو ٱلْجَفَلَىٰ لَا تَـرَى ٱلْآدِبَ مِـنَّـا يَـنْـتَـقِـرْ والممدودُ: كأَرْبَعَاءَ.

والغرضُ مِنْ ذكرِ هاذهِ الأبنيةِ: التنبيهُ على أنَّ لأَلِفَيِ التأنيثِ أبنيةً مُشتِبهةً ؛ بحيثُ ينبغي عندَ رؤيةِ بعضِ الكلماتِ التي يكونُ آخِرُها أَلِفاً أن يُبحَثَ عن كونِها ممدودةً أو مقصورةً ، للتأنيثِ أو للإلحاقِ ، وهاذا الموضعُ مِنَ المواضع الصَّعبةِ في اللغةِ .

* * *

⁽۱) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضى الله عنه (٧٤/١) .

⁽٢) هو لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٦٥) .

التقسيمُ الثالثُ [في المُجرَّدِ والمزيدِ] (١)

الاسمُ : إمَّا مُجرَّدٌ ، وإمَّا مزيدٌ .

والمُجردُ : إمَّا ثُلاثيٌّ ، أو رُباعيٌّ ، أو خُماسيٌّ ، ولكلٍّ أنواعٌ مِنَ الأوزانِ لم يَرِدْ علىٰ غيرِها .

بيانُ أوزانِ الثُّلاثيّ

(فَعلٌ) بفتحِ أَوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو ضمِّهِ أو كسرِهِ ؛ كسَهْلٍ وجَفْنٍ وسَيْفٍ وتَوْبٍ ، وكشَرَطٍ وحَسَنٍ وبابٍ وحَوَلٍ ، وكنَدُسٍ وعَضُدٍ ، وكفَرِحٍ وكَتِف .

و(فُعلٌ) بضمِّ أُوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو ضمِّهِ أو كسرِهِ ؛ كحُسْنِ ونُعْمِ ، وكرُطَبٍ وصُرَدٍ ، وكعُنُقٍ وسُبُلٍ ، وكدُئِلٍ ورُئِمٍ ؛ وهو قليلٌ جدًاً .

و(فِعلٌ) بكسرِ أُوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو كسرِهِ ؛ كذِكْرٍ ونِحْيٍ ، وكعِنَبٍ وقِرَبٍ ، وكإِبِلِ .

و (فِعُلٌ) بكسرِ أوَّلِهِ وضمِّ ثانيهِ غيرُ موجودٍ في اللَّغةِ ، فأوزانُ الثُّلاثيِّ أحدَ عشرَ .

بيانُ أوزانِ الرُّباعيّ

(فَعْلَلٌ) بفتحِ فسكونِ ففتحِ ؛ كَسَلْهَبٍ ، وجَعْفَرٍ .

و (فُعْلُلٌ) بضمٍّ فسكونٍ فضمٍّ ؛ كبُرْقُع ، وبُرْثُنِ .

⁽۱) انظر « شذا العرف » (ص ۱۰۹) .

و (فِعْلِلٌ) بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كزِبْرِجٍ ، وحِرْمِلٍ . و فِعْلِلٌ) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ ؛ كفِطَحْلٍ ، وسِبَطْرٍ . و فِعْلَلٌ) بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ ؛ كدِرْهَمٍ ، وضِفْدَعٍ . فلهُ خمسةُ أوزانٍ ليسَ غيرُ .

بيانُ أوزانِ الخماسيّ

[فَعَلَّلٌ] بفتحتَينِ فسكونٍ ففتحةٍ ؛ كسَفَرْجَلِ ، وشَمَرْدَلٍ .

و (فَعْلَلِلٌ) بفتح فسكونٍ ففتح فكسرٍ ؛ كقَهْبَلِسٍ ، وجَحْمَرِشٍ .

و[فِعْلَلٌ] بكسرٍ فسكونٍ ففتحِ فسكونٍ ؛ كقِرْطَعْبٍ ، وجِرْدَحْلٍ .

و[فُعَلِّلٌ] بضمٍّ ففتحِ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كقُبَعْثِرٍ ، وقُذَعْمِلٍ .

فهاذه عشرون صيغة لم يرد اسمٌ مُجرَّدٌ على غيرِها ، فما عداها . . فمزيدٌ ؟ كمُنطلِقٍ ، ومُحْرَنْجِمٍ ، وظَريفٍ ، وحُبلى ، أو ناقصٌ : كعُلَبِطٍ بضمٍ ففتحٍ فكسرٍ ، أصلُهُ : عُلَابِطٌ ، أو أعجميُّ الوضعِ : كسَرَخْسَ وبَلَخْسٍ ، بفتحتَينِ . والمزيدُ : كلُّ لفظٍ قامَ دليلٌ على أنَّ بعضَ حروفِهِ ليسَ أصلاً .

[أدلةُ الزيادةِ في الاسم تسعةٌ]

وأدلَّةُ الزيادةِ تسعةٌ :

- الأوَّلُ: سقوطُ بعضِ الكلمةِ مِنْ أصلِها ؛ كضاربٍ وتَضارُبٍ مِنَ الضَّربِ ، فما زادَ على الضَّادِ والراءِ والباءِ التي هيَ حروفُ الأصلِ تحكمُ بزيادتِهِ لذَٰلكَ .

- الدليلُ الثاني : سقوطُ بعضِ الكلمةِ مِنْ فرع ؛ كأسبلَ الزرعُ ، [وحَظِلَتِ]

781

الإبلُ ؛ أي : خرجَ سنبلُ الزرعِ ، وتأذَّتِ الإبلُ مِنْ أكلِ الحنظلِ ، فنونا (سنبلٍ) و حنظلِ) زائدتانِ ؛ لسقوطِهِما في الفرعَينِ .

- الدليلُ الثالثُ: لزومُ خروجِ الكلمةِ عن أوزانِ نوعِها لو حكمنا بأصالةِ حروفِها ؛ كتَنْضُبِ وتَتْفُلِ (١) بفتحٍ فسكونٍ فضمٍّ ، فالتاءُ فيهِما زائدةٌ لعدمِ هاذا الوزنِ في الرُّباعيّ المُجرَّدِ .

- الدليلُ الرابعُ: التكلُّمُ بالكلمةِ أربعةً مرَّةً ، وثلاثةً مرَّةً ؛ مثلاً: كأَيْطَلِ وإطْلِ .

- الدليلُ الخامسُ: ورودُ الكلمةِ على صورتَينِ تخرجُ بإحداهُما عن أوزانِ نوعِها لو حكمنا بأصالةِ حروفِها دونَ الأخرىٰ ، فنحكمُ بالزيادةِ علىٰ كلتا الصورتَين ؛ لوحدةِ الكلمةِ .

- الدليلُ السادسُ: كونُ بعضِ الكلمةِ دالاً على معنى ؛ كأحرفِ المضارعةِ.

- الدليلُ السابعُ: وقوعُ الحرفِ مِنَ الكلمةِ الجامدةِ في [موضع] لو كانَتِ الكلمةُ مُشتقَّةً.. قطعنا بزيادتِهِ ؛ كنونِ (غضنفرٍ) التي هيَ في موضعِ نونِ (جحنفلٍ) المحكومِ بزيادتِها ؛ لسقوطِها مِنْ أصلِ الكلمةِ ؛ وهيَ الجحفلةُ .

- الدليلُ الثامنُ : وقوعُهُ منها في موضعٍ تَغلِبُ زيادتُهُ فيهِ مِنَ المُشتقَّةِ ؛ كهمزةِ (الأفكل) الموازنةِ لـ (الأحمرِ) .

- الدليلُ التاسعُ: اختصاصُ الحرفِ بموضع لا يقعُ فيهِ إلَّا حرفٌ مِنْ حروفِ الزيادةِ ؛ كالنونِ في كِنْتَأْوِ وجِنْطَأْوِ ، بكسرِ فسكونِ ففتحٍ فسكونِ فيهِ ما ، والأوَّلُ يُستعمَلُ بالمثناةِ فوقُ وبالمثلثةِ: عظيمُ اللِّحيةِ ، والثاني [يُستعمَلُ] بالطاءِ والظاءِ : عظيمُ البطن .

⁽١) التنضب: شجر تتخذ منه السهام، والتتفل: الثعلب أو ولده.

[ضوابط الزيادة]

وحاصل ذلك : أنَّك تَعرِفُ الزيادة والأصالة بمعرفة الاشتقاق ؛ فتقول : حروفُ الأصلِ أصولٌ ، وما عداها في الفروع زوائد ، وبضبط الأوزانِ التي جاءَتْ عليها الألفاظُ المقطوعُ بأصالةِ حروفِها ، فإذا سمعتَ لفظاً مُحتمِلاً للزيادةِ والأصالةِ ؛ فإن وافق وزنَ نوعِهِ على تقديرِ الأصالةِ . . فأصلٌ ، وإن لم يوافقُ . . فزائدٌ ، ويكونُ الحرفُ الذي تريدُ الحكمَ عليه معروفَ الزيادةِ بطريقِ الاشتقاقِ في كثيرٍ مِنَ المواضع .

مثلاً: همزةُ (إصبع) تحكمُ بزيادتِها ؛ لأنَّ الاشتقاقَ دَلَّكَ علىٰ زيادتِها في أسماءِ التفضيلِ ، ومضارعِ المُتكلِّمِ ، وفي الجمعِ علىٰ أفعل .

ثم إن خروج اللفظ عن التجرُّد: تارة يكون بتكرُّر بعض أصولِهِ ويُسمَّى: المُضعَّف ، ولا يَختصُّ التكرُّرُ ببعضِ الحروفِ دونَ بعضٍ ، وتارة يكونُ خروجه عنِ التجرُّد بزيادة بعضِ الحروفِ ؛ وذلك مُختصُّ بالأحرفِ يكونُ خروجه عنِ التجرُّد بزيادة بعضِ الحروفِ ؛ وذلك مُختصُّ بالأحرفِ العشرة التي عرفتَها سابقاً (۱) ، وجمعَها ابنُ مالكِ في بيتٍ أربعَ مرَّاتٍ فقالَ (۲):

هَنَاءٌ وَتَسْلِيمٌ ، تَلَا يَوْمَ أُنْسِهِ نِهَايَةُ مَسْؤُولٍ ، أَمَانٌ وَتَسْهِيلُ

غيرَ أَنَّ زيادةَ الهاءِ واللَّامِ قليلةٌ ، ومَثَّلوا لزيادةِ الهاءِ بقولِهِم : أَهَراقَ الماءَ ، وب (أُمَّهاتٍ) في جمعِ أُمِّ ، على خلافٍ في هلذا ، ومَنْ مَثَّلَ لزيادةِ الهاءِ بهاءِ السكتِ في نحوِ : (لِمَهْ) و(لم تَرَهْ) و(عِهْ) . . رُدَّ عليهِ بكونِ الهاءِ السكتيَّةِ كلمةً مُستقلَّةً .

⁽١) انظر (١٨٦/١).

⁽٢) انظر « شرح التصريح على التوضيح » (٣٦٠/٢) .

ومَثَّلُوا للَّامِ بـ (طَيْسَلِ) و(زَيْدَلٍ) ، والأصلُ : طَيْسٌ ؛ وهو الكثيرُ ، وزَيْدٌ ، ومَنْ مَثَّلَ لها بلام ذلكَ وتلكَ . . رُدَّ عليهِ بردِّ هاءِ السَّكتِ .

ولزيادةِ بقيَّةِ الأحرفِ ضوابطُ هي دلائلُ حاضرةٌ معَكَ ؛ متى تَحقَّقَتْ . . قطعتَ بالزيادةِ ، وإلَّا . . رجعتَ للدلائل السابقةِ .

وبيانُ ذلكَ : أنَّهُ متى صحبَتِ الألفُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ . . فهي زائدةٌ ؟ كضارَبَ ، وعمادٍ ، وحُبْلىٰ .

ومتى صحبَتِ الواوُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، ولم تَتصدَّرْ ، ولم تكنْ كلمتُها مِنْ (بابِ سمسمٍ) . . فهي زائدةٌ ؛ كمحمودٍ ، وبُويِعَ .

ومتى صحبَتِ الياءُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، ولم تَتصدَّرْ سابقةً أكثرَ مِنْ ثلاثةِ أصولٍ ، ولم تكنْ كلمتُها مِنْ (بابِ سمسمٍ) . . فهي زائدةٌ ؛ كيَضرِبُ فعلاً ، ويَرْمَع (١) اسماً .

ومتى سبقَتِ الميمُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ . . فهي زائدةٌ ؛ كمحمودٍ ، ومنطلقٍ ، ومَسجِدٍ ، ومِفتاح .

ومتى سبقَتِ الهمزةُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، أو تأخَّرَتْ مسبوقةً بأَلِفٍ مسبوقةٍ بأكثرَ مِنْ أصلَينِ . . فهي زائدةٌ ؛ كاحفظْ فعلاً ، وأفضلَ اسماً مُشتقاً ، وإصبع اسماً جامداً ، وأفلُسٍ في جمع فَلْسٍ ، وكحمراءَ وصحراءَ .

ومتى تطرَّفَتِ النونُ مسبوقةً بأَلِفٍ مسبوقةٍ بأكثرَ مِنْ أصلَينِ ؛ كسَكرانَ وعُثمانَ ، أو تَوسَّطَتْ ساكنةً غيرَ مُضعَّفةٍ أربعةَ أحرفٍ ؛ كغَضَنْفَرٍ وقَرَنْفُلٍ ، أو كانَتْ في بابِ (الانفعالِ) ؛ كانطلقَ ومُنطلقٍ ، أو بدأتِ المضارعَ . . فهي زائدةٌ .

⁽١) اليرمع : حجارة رخوة إذا فُتِّتت . . انفتَّت .

ومتىٰ كانَتِ التاءُ في بابِ (التفعُّلِ) كالتفهُّمِ ، أو (التَفَعْلُلِ) كالتَّدحرجِ ، أو (التَّفاعُلِ) كالتَّعاوُنِ ، أو (الافتعالِ) كالاقترابِ ، أو (الاستفعالِ) كالاستخراجِ ؛ وهوَ الموضعُ الذي تقطعُ بزيادةِ السينِ فيهِ ، أو كانَتِ التاءُ في (التفعيلِ ، أو التَّفعالِ) ، أو كانَتْ للتأنيثِ ، أو بدأتِ المضارعَ . . فهيَ زائدةٌ .

التقسيمُ الرابعُ [في المقصور والممدودِ والمنقوصِ]

الاسمُ إِن كَانَ آخِرُهُ أَلِفاً . . سُمِّيَ : مقصوراً ، وإِنْ كَانَ آخِرُهُ همزةً بعدَ أَلِفٍ زائدةٍ . . سُمِّيَ : ممدوداً ، وإِن كَانَ آخِرُهُ ياءً مكسوراً ما قبلَها . . سُمِّيَ : منقوصاً ، وليسَ في الأسماءِ ما يكونُ آخِرُهُ واواً مضموماً ما قبلَها .

وألفُ المقصورِ: إمَّا أصلٌ بدلٌ مِنْ واوٍ ؛ كعصاً وقفاً ، بدليلِ عصوتُهُ وقفوتُهُ ، أو مِنْ ياءٍ ؛ كفتى ورحى .

وإمَّا زائدةٌ للتأنيثِ ؛ كحُبلىٰ وذِكرىٰ ، أو للإلحاقِ ؛ كذِفرى وأَرطى علىٰ ما سبقَ (١).

وهمزةُ الممدودِ: إما أصلٌ ؛ كقَرَّاءِ ووَضَّاءِ مِنْ [قرأً] (٢) ووَضُوَّ .

وإمَّا بدلٌ مِنْ أصلِ واوِ أو ياءٍ ؛ ككِساءٍ مِنَ الكسوةِ ، وولاءٍ مِنَ الوَلْي .

وإمَّا بدلٌ مِنْ زائدةٍ للتأنيثِ ؛ كحمراءَ وصحراءَ ، أو للإلحاقِ ؛ ك (عِلْبَاءٍ) المُلحَقِ بزيادةِ الياءِ المُبدلةِ همزةً ب (قِرْطَاسِ) مِنَ الصحيح .

* * *

⁽١) انظر (٢٤٤/١).

⁽٢) في الأصل : (قرء) .

التقسيمُ الخامسُ [في المُفرَدِ والمُثنَّىٰ والجمع] (١)

الاسمُ: إمَّا مُفرَدٌ، وإمَّا مُثنَّى، وإمَّا جمعُ تصحيحٍ للذُّكورِ، وإمَّا جمعُ تصحيحٍ للذُّكورِ، وإمَّا جمعُ تصحيحٍ للإناثِ، وإمَّا جمعُ تكسيرٍ؛ تارةً يكونُ مُشترَكاً، وتارةً يكونُ مُختصًاً، كما ستقفُ عليه عندَ تفصيلِهِ.

فالمُثنَّى : اسمٌ مُشترَكُ بينَ شيئينِ تزيدُ بعدَهُ أَلِفاً ونوناً في حالٍ ، وياءً ونوناً في حالٍ ، وياءً ونوناً في حالٍ ؛ ليَدُلَّ على اثنينِ أو اثنتينِ .

وأمَّا جمعُ تصحيحِ الذُّكورِ . . فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ ثلاثةِ أشياءَ فأكثرَ ، تزيدُ بعدَهُ واواً ونوناً في حالٍ ، وياءً ونوناً في حالٍ ؛ ليَدُلَّ على أكثرَ مِنِ اثنين .

وأمَّا جمعُ تصحيحِ الإناثِ . . فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ ثلاثِ إناثٍ أو أكثرَ ، تزيدُ بعدَهُ أَلِفاً فتاءً ؛ ليَدُلَّ على أكثرَ مِنِ اثنتَينِ .

وأمَّا جمعُ التكسيرِ . . فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ أكثرَ مِنْ شيئينِ ، تُغَيِّرُهُ إلى صورةٍ مِنَ الصُّورِ الآتي بيانُها ؛ ليَدُلَّ على أكثرَ مِنْ شيئينِ .

الكلامُ على المثنىٰ

الاسمُ الذي تريدُ تثنيتَهُ:

إِن كَانَ مقصوراً ؛ فإِن زادَ على ثلاثةِ أحرفٍ . . وجبَ إبدالُ أَلِفِهِ ياءً ؛ ك (حُبْلَيَانِ ، ومُصْطَفَيَانِ) وإِن لم يَزِدْ ؛ فإِنْ كَانَتْ أَلِفُهُ بدلَ واوٍ . . عادَتِ

⁽١) انظر « شذا العرف » (ص ١٧٤) .

الواوُ ؛ كه (عَصَوَانِ ، وقَفَوَانِ) وإن كانَتْ بدلَ ياءٍ . . عادَتِ الياءُ ؛ كه (فَتَيَانِ ، ورَحَيَانِ) ورَحَيَانِ) ورُحَيَانِ) ويُعرَفُ ذٰلكَ بالتتبع .

وإن كانَ الاسمُ ممدوداً: فإن كانَتْ همزتُهُ للتأنيثِ . . أُبدِلَتْ واواً ؟ ك (حَمْراوانِ ، وصَحْراوانِ) وإن كانَتْ أصلاً . . لم تُبدَلُ ؛ ك (قَرَّاءانِ ، ووَضَّاءانِ) وإن كانَتْ أبدالُها واواً ، والأحسنُ إبقاؤُها ، ووَضَّاءانِ) وإن كانَتْ غيرَ ما ذُكِرَ . . جازَ إبدالُها واواً ، والأحسنُ إبقاؤُها ، فتقولُ : عِلْباوانِ وكِساوانِ مثلاً ، والأحسنُ : عِلْباءانِ وكِساءانِ .

وإن كانَ الاسمُ غيرَ ما ذُكِرَ . . فتحتَ آخِرَهُ فقطْ ؛ كه (زيدانِ ، وقاضيانِ) والنونُ التي تزيدُها للتثنيةِ مكسورةٌ .

الكلامُ على جمع تصحيحِ الذُّكورِ

الاسمُ الذي تريدُ جمعَهُ:

إن كانَ مقصوراً . . حذفتَ أَلِفَهُ .

وإن كانَ ممدوداً . . عملتَ بهِ عملَكَ بالمُثنَّىٰ .

وإن كانَ منقوصاً . . حذفتَ ياءَهُ ، وضممتَ آخِرَ ما بقيَ معَ الواوِ ، وكسرتَ معَ الياءِ ، كما هوَ الحالُ في بقيَّةِ الأسماءِ غيرِ المقصورةِ .

ولا يُجمَعُ هلذا الجمعَ إلَّا الأسماءُ الخاليةُ مِنْ تاءِ التأنيثِ والتركيبِ ؟ مِنْ أسماءِ الذُّكورِ العُقلاءِ ، أو أوصافِهِمُ الواردةِ علىٰ غيرِ (أفعلَ ، فَعلاءَ) بالفتحِ والقصرِ ، وليسَتْ مِنَ الأوصافِ التي يستوي فيها المُذكَّرُ والمُؤنَّثُ .

الكلامُ على جمع المؤنَّثِ السالمِ

تُعامَلُ الأسماءُ في هاذا الجمع معاملتَها في التثنيةِ ، وصورةُ المفردِ عندَ

زيادةِ الأَلِفِ والتاءِ بعدَهُ ؛ لتقومَ صيغةُ هاذا الجمعِ . . محفوظةٌ ، لا يَعرِضُ لها تَغيُّرُ إلَّا في الأسماءِ ذواتِ التاءِ ؛ فإنَّها تُحذَفُ تاؤُها ، وإلَّا في الأسماءِ الثُّلاثيَّةِ الساكنةِ العينِ التي لم تكنْ عينُها مُضعَّفةً ولا حرفَ عِلَّةٍ ؛ فإنَّها إذا كانَتْ مفتوحة الفاءِ . . وجبَ فتحُ عينِها عندَ الجمعِ ؛ كخَطْوةٍ وخَطَواتٍ ، وجَفْنةٍ وجَفْناتٍ ، ووَثباتٍ ، ودَعْدَ ودَعَداتٍ .

وإذا كانَتْ مضمومة الفاءِ . . جازَ في العينِ ثلاثةُ أوجهِ : الضمُّ ، والتسكينُ ، والفتحُ ، إلَّا إذا كانَتْ لامُ الكلمةِ ياءً ، فإنَّهُ يَمتنِعُ ضمُّ العينِ ، ويجوزُ الوجهانِ الآخرانِ ؛ فتقولُ في جمعِ غُرْفةٍ وخُطُوةٍ : غُرفاتٌ وخُطواتٌ ، بالأوجهِ الثلاثةِ ، وفي جمع زُبْيةٍ : زُبياتٌ ، بتسكين الباءِ وفتحِها لا بضمِّها .

وإذا كانَتْ مكسورة الفاءِ . . جازَ في العينِ ثلاثةُ أوجهِ أيضاً : الكسرُ ، والتسكينُ ، والفتحُ ، إلَّا إذا كانَتْ لامُها واواً ، فإنَّهُ يمتنعُ الكسرُ ؛ فتقولُ في جمعِ كِسْرةٍ : كِسراتٌ ، بالأوجهِ الثلاثةِ ، وفي جمعِ : ذِرْوةٍ : ذرواتٌ ، بالتسكينِ والفتح .

تنبية

[على أنَّ المرادَ بالاسم في الجموع ما يقابلُ الصفة]

المرادُ بالاسمِ في أبوابِ الجُموعِ: ما قابلَ الصفة ؛ فنحوُ: (ضَخْمةٍ) بفتحِ الضّادِ وسكونِ الخاءِ . . صفةٌ مِنَ الضَّخامةِ ، إذا جمعتَها . . قلتَ : ضَخْماتُ ، بسكونِ الخاءِ لا غيرُ ؛ لِمَا عرفتَ مِنْ أَنَّ فتحَ العينِ إتباعاً لفتحِ الفاءِ . . إنَّما هوَ في الأسماءِ ؛ كجَفْنةٍ وشَرْبةٍ .

الكلامُ على جمع التكسيرِ

هوَ نوعانِ :

جمعُ قِلَّةٍ : يُستعمَلُ في العَشَرةِ فما دونَها إلى الثَّلاثةِ .

وجمعُ كثرةٍ : يُستعمَلُ في الثَّلاثةِ فما فوقَها إلى غيرِ نهايةٍ .

ولكلِّ صيغٌ ؛ منها ما كثرُ واشتَهرَ ، ومنها ما قَلَّ ونَدَرَ ، والمقصودُ في هلذا البابِ ضبطُ الكثيرِ المُشتَهِرِ ؛ لتقليلِ الانتشارِ ، وسهولةِ الحفظِ .

صيغُ جمعِ القِلَّةِ

هيَ أربعٌ:

أَفْعِلةٌ : بفتح فسكونٍ فكسرٍ .

وأَفْعالٌ : بفتح فسكونٍ .

وأَفْعُلُ : بفتح فسكونٍ فضمٍّ .

وفِعْلَةٌ : بكسر فسكونٍ .

الصِّيغةُ الأُولىٰ: تكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مُذكَّرٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ؛ كطعامٍ وأَطعِمةٍ ، وجِرابٍ وأَجرِبةٍ ، وغُرابٍ وأَغرِبةٍ ، ورَغيفٍ وأرغِفةٍ ، وسَريرٍ [وأسِرَّةٍ] ، وعَمودٍ وأَعمِدةٍ .

وما كانَ مِنْ أسماءِ هاذا النوعِ الذي يُجمَعُ هاذا الجمعَ مفتوحَ الفاءِ أو مكسورَها ، مُضعَّفاً ، أو مُعتلَّ اللَّامِ ومَدَّتُهُ أَلِفٌ . . لم يكنْ لهُ جمعٌ غيرُ هاذا ؛ كبَتَاتٍ وأَبِتَّةٍ ، وكزِمامٍ وأَزِمَّةٍ ، وكقَباءٍ وأقبيةٍ ، وكإناءِ وآنيةٍ .

صيغةُ (أَفْعَالٍ) : تكونُ جمعاً لكلِّ اسم ثُلاثيِّ علىٰ أيِّ صورةٍ ، إلَّا ما كانَ منها موازناً له (فُعَل) بضمّ ففتح ، فإنَّ هاذهِ الصِّيغةَ فيهِ قليلةٌ ، والكثيرُ

غيرُها كما سيأتي التنبيهُ عليه (١) ، وإلَّا ما وازنَ (فَعْلاً) بفتح فسكونٍ ، وصَحَّتْ عينُهُ ، ولم تكنْ فاؤُهُ واواً ، ولم يكنْ مُضعَّفاً ؛ كفَلْسٍ وكَلْبٍ ، فإنَّ هاذهِ الصِّيغةَ لا تكونُ جمعاً لهُ إلَّا نادراً جدّاً ؛ كقولِهِ (٢): [من البسيط]

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخِ بِنِي سَلَمٍ

وما عدا هلذَينِ النوعَينِ مِنَ الأسماءِ الثُّلاثيَّةِ: فتلكَ الصِّيغةُ فيهِ إمَّا لازمةٌ ، وإمَّا أكثرُ مِنْ غيرِها ؛ كبَيْتٍ وأبياتٍ ، وثَوْبٍ وأثوابٍ ، ووقتٍ وأوقاتٍ ، وجَدِّ وأجدادٍ .

صيغةُ (أَفْعُلٍ) : تكونُ جمعاً لنوعَينِ مِنَ الأسماءِ : أحدُهُما : كلُّ اسمٍ موازنٍ لـ (فَعْلٍ) الذي سبقَ أنَّهُ لا يُجمَعُ على أفعالٍ ؛ ككَلْبٍ وأَكْلُبٍ ، وفَلْسٍ وأَفْلُسٍ ، وجَرْوِ وأَجْرٍ ، وظَبْي وأَظْبٍ .

وما كانَ مِنْ هاذا النوعِ واويَّ اللَّامِ أو يائيَّها . . تُكسَرُ عينُهُ في الجمعِ ، وتُحذَفُ لامُهُ إن وَلِيَها ساكنٌ ، كما رأيتَ في أَجْرِ وأَظْبٍ .

وثانيهِما: كلُّ اسمٍ مُؤنَّثٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ؛ كعَناقٍ بفتحِ أُوَّلِهِ وأَعْنُقٍ ، وثانيهِما : كلُّ اسمٍ مُؤنَّثٍ رُباعيٍّ قبلَ الخِدِّ على لغةِ تأنيثِها وأَذْرُعٍ ، ولِسانٍ كذلكَ وأَلْسُنٍ ، وعُقابٍ بضم أُوَّلِهِ وأَعْقُبٍ ، ويَمينِ وأَيْمُنِ .

صيغةُ (فِعْلَةٍ) : هي مِنَ النوادرِ ؛ لكونِها لم تَرِدْ إلَّا في أسماءٍ معدودةٍ ،

⁽۱) انظر (۲۲۳/۱ _ ۲۶۲) .

⁽٢) هو للحطيئة في « ديوانه » (ص ١٩١) ، وفيه :

مَاذَا تَـ قُـُولُ لِأَفْـرَاخِ بِـذِي مَـرَخِ حُـمْرِ ٱلْحَـوَاصِـلِ لَا مَـاءٌ وَلَا شَجَرُ ويُروىٰ أيضاً : (زغب الحواصل . . .) .

وإنَّما ذُكِرَتْ لاستيفاءِ جموعِ القِلَّةِ ؛ سُمِعَ : صِبْيَةٌ في جمعِ صبيّ وصبيَّةٍ ، وفِتْيَةٌ في جمعِ فتى ، وغِلْمةٌ في جمعِ غلامٍ ، وغِزْلةٌ في جمعِ غزالٍ ، وثِيرةٌ في جمعِ ثني بضمّ المثلثةِ أو في جمعِ ثني بضمّ المثلثةِ أو كسرِها وسكونِ النونِ ؛ وهوَ الثاني في السيادةِ .

صيغُ جموع الكثرةِ

هي سبع عشرةً:

الصِّيغةُ الأُولىٰ: (فُعْلُ) بضمٍّ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لكلِّ صفةٍ توازنُ (أفعلَ) أو (فعلاءَ) كأحمرَ وحمراءَ وحُمْرٍ ، فإنْ كانَتْ عينُ الكلمةِ ياءً ؟ كأبيضَ وبيضاءَ . . كُسِرَتْ فاءُ الجمع ؟ كبِيضٍ وغِيدٍ .

الصِّيغةُ الثانيةُ : (فُعُلٌ) بضمَّتَينِ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ مِنَ الأسماءِ ، ونوعٍ مِنَ الأوصافِ .

- فالأوَّلُ: كلُّ اسمٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ، ولم تكنْ لامُهُ حرفَ عِلَّةٍ ، ولم يكنْ مُضعَّفاً ومَدَّتُهُ أَلِفٌ ؛ كحمارٍ وحُمُرٍ ، وأتانٍ وأُتُنِ ، وسريرٍ وسُرُرٍ ، وعَمودٍ وعُمُدٍ .

ـ والثاني : كلُّ وصفٍ على وزنِ (فَعُولٍ) بمعنى فاعلٍ ؛ كصَبورٍ وصُبُرٍ ، وصَدوقٍ وصُدُقٍ .

الصِّيغةُ الثالثةُ : (فُعَلٌ) بضمٍّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ مِنَ الأسماءِ ، ونوع مِنَ الأوصافِ .

- فالأوَّلُ: كلُّ اسمٍ على وزنِ (فُعْلَةٍ) بضمٍّ فسكونٍ ؛ كَبُرْمَةٍ وبُرَمٍ ، وقُرْبَةٍ وقُرْبَةٍ وقُرْبَةٍ وقُرْبَةٍ .

فإن كانَتْ لامُ الكلمةِ واواً أو ياءً . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الجمعِ ؛ كرَبْوَةٍ ورُبىً ، وزُبيَّةٍ ومُنيَّةٍ ومُنيّ .

- والثاني: كلُّ صفةٍ على وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ في تأنيثِ (أفعلَ) للتفضيلِ ؟ كالكُبْرَىٰ والكُبنِرِ ، والدُّنْيَا والدُّنَا ، والعُلْيَا والعُلاَ ، والقُصْوَىٰ والقُصْدَىٰ ؛ بحذفِ أَلِفِ التأنيثِ ، وإبدالِ الأَلِفِ مِنَ الواهِ والياءِ .

الصِّيغةُ الرابعةُ : (فِعَلٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ يوازنُ (فِعْلةً) بكسرِ فسكونٍ ، كقِرْبَةٍ وقِرَبٍ ، ودِيمَةٍ ودِيَم .

وربَّما نابَتْ هاذهِ الصِّيغةُ عن سابقتِها ، ونابَتْ سابقتُها عنها ؛ كصُورةٍ وقُوَّةٍ بالنصرِ ، وحُلىً ولُحىً بالنصمِ ، وصِوَرٍ وقِوى [بالكسرِ] ، وكحِلْيةٍ ولِحْيةٍ بالكسرِ ، وحُلىً ولُحىً بالضمّ .

الصِّيغةُ الخامسةُ : (فُعَلَةٌ) بضمٍّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لوصفِ عاقلٍ على وزنِ (فاعلٍ) منقوصٍ ، وتُقَلَبُ الياءُ فيها أَلِفاً ؛ كداعٍ ودُعاةٍ ، وراوٍ ورُواةٍ .

الصِّيغةُ السادسةُ : (فَعَلَةٌ) بفتَحاتٍ ، تكونُ جمعاً لفاعلٍ وصفِ عاقلٍ صحيحِ اللَّامِ ، فإن كانَتْ عينُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ أَلِفاً ؛ مثلُ : كاملٍ وكَمَلَةٍ ، وبائعِ وبَاعَةٍ .

الصِّيغةُ السابعةُ : (فَعْلَىٰ) بفتح فسكونٍ وأَلِفِ التأنيثِ المقصورةِ ، تكونُ جمعاً لكلِّ وصفٍ فيهِ معنى الآفةِ أو الهلاكِ ؛ كمَرِيضٍ ومَرْضَىٰ ، وأسيرٍ وأَسْرَىٰ ، وشَتِيتٍ وشَتَّىٰ ، وجَرِيحٍ وجَرْحَىٰ ، وأَحْمَقَ وحَمْقَىٰ ، وسَكْرَانَ وسَكْرَانَ وسَكْرَانَ ، وقَتِيلٍ وقَتْلَىٰ ، وهالكِ وهَلْكَىٰ ، وزَمِنٍ وزَمْنَىٰ ، ومَيِّتٍ ومَوْتَىٰ ، ولكونِ عَتيقِ يقعُ في مقابلةِ أسيرِ قيلَ في جمعِهِ : عَتْقَىٰ .

فَعَلَةٌ) بكسر ففتح ، تكونُ جمعاً لاسم صحيح اللَّا

الصِّيغةُ الثامنةُ : (فِعَلَةٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لاسمٍ صحيحِ اللَّامِ يوازنُ (فُعْلاً) بضمٍ فسكونٍ ؛ كدُرْجٍ ودِرَجَةٍ ، وكُوزٍ وكِوَزَةٍ ، وحُبِّ وحِبَبَةٍ .

الصِّيغةُ التاسعةُ : (فُعَّلُ) بضمِّ أَوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ، تكونُ جمعاً لكلِّ وصفٍ مُذكَّرٍ أو مُؤنَّثٍ صحيحِ اللَّامِ يوازنُ (فاعلاً) كعاذلٍ وعاذلةٍ وعُذَّلٍ ، وصائمٍ وصائمةٍ وصُوَّمٍ .

الصِّيغةُ العاشرةُ: (فُعَّالٌ) بضمِّ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ وبعدَهُ أَلِفٌ ، تكونُ جمعاً لمُذكَّر الصِّيغةِ الماضيةِ ؛ فلهُ صيغتانِ .

الصِّيغةُ الحاديةَ عشرةَ : (فِعَالٌ) بكسرِ أَوَّلِهِ ، تكونُ جمعاً بكثرةِ لثمانيةِ نواع :

- أحدُها وثانيها: (فَعْلُ) و(فَعْلَةٌ) بفتح فسكونٍ ، اسمَينِ أو وصفَينِ ، ليسَتْ عينُهُما ياءً ؛ مثلُ : كَلْبٍ وكَلْبةٍ وكِلَابٍ ، وصَعْبٍ وصَعْبةٍ وصِعَابٍ ، وتُبَدَّلُ الواوُ ياءً ؛ كثَوْبِ وثِيَابِ .

- وثالثُها ورابعُها: (فَعَلٌ) و(فَعَلَةٌ) بفتَحاتٍ ؛ اسمَينِ صحيحَيِ اللَّامِ ، ليسَتْ عينُهُما [ولامُهُما] مِنْ جنسِ ؛ مثلُ : جَمَلِ وجِمَالٍ ، ورَقَبَةٍ ورِقَابٍ .

- وخامسُها: (فِعْلٌ) بكسرٍ [فسكونٍ] اسماً ؛ كقِدْحٍ وقِدَاحٍ ، وذِئْبٍ وذِئْبٍ ، ونِهَاءٍ .

ـ وسادسُها : (فُعْلُ) بضمِّ فسكونٍ ، اسماً صحيحَ اللَّامِ ؛ كرُمْحٍ ورِمَاحٍ ، وجُبِّ وجِبَابِ .

- وسابعُها وثامنُها: (فَعِيلٌ) و(فَعِيلَةٌ) وصفَيْ (بابِ كَرُمَ) صحيحَيِ اللَّامِ ؛ كظريفٍ وظريفةٍ وظِرَافٍ ، وتلزمُ صيغةُ (فِعَالٍ) فيما عينُهُ واوٌ مِنْ هلذا النوع ، فلا يُجمَعُ على غيرِ هلذهِ الصِّيغةِ ؛ كطويلٍ وطويلةٍ وطِوالٍ .

وشاعَتْ هاذهِ الصِّيغةُ أيضاً في كلِّ وصفٍ علىٰ (فَعْلانَ) بفتحٍ فسكونٍ للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَلَنَ) بلمؤنثِ ، و(فُعْلانَ) بضمٍّ فسكونٍ لهُ ، و(فُعْلانةٍ) للمُذكَّرِ ، و(فَعْلانَ) بضمٍّ فسكونٍ لهُ ، و(فُعْلانةٍ) لها ؛ كغَضْبانَ وعَطْشىٰ وعِطاشٍ ، وكخُمْصانٍ وخُمْصانةٍ وخِماصٍ .

الصِّيغةُ الثانيةَ عشرةَ : (فُعُولٌ) بضمَّتَينِ ، تكونُ جمعاً لخمسةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

- النوعُ الأوّلُ: (فَعِلٌ) بفتحٍ فكسرٍ ؛ مثلُ: كَبِدٍ وكُبُودٍ ، وكَرِشٍ وكُرُوشٍ .

- النوعُ الثاني : (فَعْلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً لا وصفاً ،
وألّا تكونَ عينُهُ واواً ؛ كفَلْسٍ وفُلُوسٍ ، وقَلْبٍ وقُلُوبٍ ، وبَيْتٍ وبُيُوتٍ ،
وذَلْوٍ ودُلِيٍّ ، ونَهْيٍ ونُهِيٍّ ، وفي مثلِ هلذَينِ تُقلَبُ واوُ (فُعُولٍ) ياءً ، وتُدخَمُ
في الياءِ ؛ لقاعدة : (متى اجتمعَ واوٌ وياءٌ وسُبِقَتْ إحداهُما بالسكونِ . . قُلِبَتِ

الواوُ ياءً ويُدغَمُ الأوَّلُ في الثاني) فلا يُجمَعُ الوصفُ ؛ كصَعْبِ ولا واويُّ العينِ ؛ كحوضٍ على هاذهِ الصِّيغةِ إلَّا نادراً .

ـ النوعُ الثالثُ : (فَعْلٌ) بضمّ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، وألَّا تكونَ عينُهُ واواً ، وألَّا تكونَ لأمُهُ ياءً ، وألَّا يكونَ مُضعَفاً ؛ مثلُ : جُنْدِ وجُنُودٍ ، وبُرْدٍ وبُرُودٍ ، فلا يُجمَعُ على هاذه الصِّيغةِ وصفٌ ؛ كحُلْوٍ ، ولا واويُّ العينِ ؛ كحُوتٍ ، ولا يائيُّ اللَّمِ ؛ كمُدْيِ لنوع مِنَ المَكاييلِ ، ولا مضاعفٌ ؛ كخُفٍّ .

- النوعُ الرابعُ: (فِعْلٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ؛ كقِرْدٍ وقُرُودٍ ، وحِمْلٍ وحُمُولٍ ، ونِحْيٍ ونُحِيّ ، ونِهْيٍ ونُهِي لغةٌ في النَّهْي [مفتوحَ] الأَوَّلِ ؛ اسمٌ للنهرِ الصغيرِ ، وتُلحَظُ فيهِ وفي أمثالِهِ قاعدةُ الواوِ والياءِ ، فلا يُجمَعُ على هاذهِ الصِّيغةِ وصفٌ ؛ كحِلْفٍ .

- النوعُ الخامسُ: (فَعَلُ) بفتحتَينِ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، وألَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ كأَسَدٍ وأُسُودٍ ، وذَكرٍ وذُكُورٍ ، ورَحىً ورُحِيٍ ، وعصاً وعُصِيٍّ ، وكلُّ ما تَصرَّفتَ فيهِ بقاعدةِ الواوِ والياءِ . . يجوزُ كسرُ أوَّلِهِ إتباعاً لثانيهِ ؛ لتخفيفِ النطقِ فتقولُ : عِصِيٍّ بكسرِ العينِ ، ورحِيٍّ ودِلِيٍّ كذلكَ ، فلا يُجمَعُ علىٰ هاذهِ الصِّيغةِ الوصفُ منهُ ؛ كحَسَنِ وبَطَلِ ، ولا المُضعَّفُ ؛ كَلَبَبٍ وعَدَدٍ .

الصِّيغةُ الثالثةَ عشرةَ : (فِعْلانٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لأربعةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

ـ النوعُ الأوَّلُ: (فُعَالٌ) بضمِّ أوَّلِهِ ؛ كغُلامٍ وغِلْمانٍ ، وغُرابٍ وغِرْبانٍ ، وقُرادٍ وقِرْدانٍ .

_ النوعُ الثاني : (فُعَلٌ) بضمِّ ففتحٍ ؛ كصُرَدٍ وصِرْدانٍ لطيرٍ ، وجُرَدٍ وجِرْذانٍ

لنوعٍ مِنَ الفأرِ ، وغلبَ الاكتفاءُ بهذهِ الصيغةِ في جمعِ هذا النوعِ عن صيغةِ (أَفعالٍ) التي هيَ جمعُ القِلَّةِ لغالبِ الثُّلاثيَّاتِ .

- النوعُ الثالثُ : (فُعْلُ) بضمٍّ فسكونٍ واويَّ العينِ ؛ كحُوتٍ وحِيتانٍ ، ونُونٍ ونِينانٍ ، وكُوز وكِيزانٍ .

- النوعُ الرابعُ: (فَعَلٌ) بفتحتَينِ واويَّ العينِ أيضاً ؛ كقاعِ وقِيعانِ ، وبابٍ وبِيبانٍ ، ولحركةِ الواوِ وفتحِ ما قبلَها في هلذا النوعِ تُبدَلُ أَلِفاً ؛ بحكمِ قاعدةِ: (متى تَحرَّكَتِ الواوُ أو الياءُ وانفتحَ ما قبلَها . . قُلبَتْ أَلِفاً) .

الصِّيغةُ الرابعةَ عشرةَ : (فُعْلانٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لثلاثةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

- النوعُ الأوَّلُ: (فَعُلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً لا صفةً ؛ كَبَطْنِ وبُطْنانٍ ، وسَيْفٍ وسُوفانٍ ، وتُبدَلُ الياءُ واواً لأجلِ الضمَّةِ .

- النوعُ الثاني : (فَعِيلٌ) بشرطِ أن يكونَ اسماً أيضاً ؛ مثلُ : كَثِيبٍ وكُثْبانٍ ، وغَديرِ وغُدْرانٍ ، وقَضِيبِ وقُضْبانٍ .

_ النوعُ الثالثُ : (فَعَلٌ) بفتحتَينِ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، صحيحَ العينِ ؟ كحَمَل وحُمْلانٍ ، وذَكر وذُكْرانٍ .

الصِّيغةُ الخامسةَ عشرةَ: (فُعَلاءُ) بضمٍ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ واحدٍ مِنَ المفرداتِ ؛ وهوَ (فَعِيلٌ) مِنْ أوصافِ الفاعلينَ ، بشرطِ ألَّا تكونَ عينهُ واواً ، وبشرطِ ألَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ نحوُ: واواً ، وبشرطِ ألَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ نحوُ: بَخِيلٍ وبُخَلاءَ ، وكَرِيمٍ وكُرَماءَ ، ونَبِيهٍ ونُبَهاءَ ، وحُمِلَ عليهِ مِنْ (فاعلٍ)

778

ما دلَّ علىٰ ما يُشبِهُ المطبوعَ ؛ كصالحٍ وصُلَحاءَ ، وفاسقٍ وفُسَقاءَ ، وعاقلٍ وعُقَلاءَ .

الصِّيغةُ السادسةَ عشرةَ : (أَفْعِلاءَ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ ، تكونُ جمعاً لنوعَينِ :

_ أحدُهُما : (فَعِيلٌ) المُضعَّفُ ؛ كخَلِيلٍ وأَخِلَّاءَ ، وجَلِيلٍ وأَجِلَّاءَ ، وذَلِيلٍ وأَجِلَّاءَ ، وذَلِيلٍ وأَذِلَّاءَ ، وعزيز وأَعِزَّاءَ .

ـ وثانيهِما : (فَعِيلٌ) مُعتلُّ اللَّامِ ؛ كنَبِيٍّ وأَنْبِياءَ ، وتَقِيٍّ وأَتْقِياءَ ، ووَلِيٍّ وأَوْلِياءَ .

الصِّيغةُ السابعةَ عشرةَ: صيغةٌ تُسمَّىٰ صيغةَ منتهى الجموع ، والجمعَ الذي لا نظيرَ لهُ في الآحادِ ؛ وذلكَ أنَّ صيغَ الجموعِ ربَّما جُعِلَتْ مفرداتٍ وجُمِعَتْ ، فيكونُ جمعُها جمعَ الجمعِ ؛ كأفراسٍ جمعَ فَرَسٍ ، يُجمَعُ على أفارِسَ ، وحينَئذٍ يكونُ لكلِّ صيغةٍ مِنَ الصِّيغِ السالفةِ نظيرٌ مِنَ المفرداتِ ؛ مثلاً : غِرْبانٌ جمعَ غُرابٍ ؛ نظيرُهُ في المفرداتِ : سِرْحانٌ اسماً للذئبِ ، وحُمْرٌ جمعَ أحمرَ ، نظيرُهُ في المفرداتِ : قُفْلٌ ، وهاكذا ، وهاذهِ الصِّيغةُ لا تُجمَعُ ، وليسَ لها في المفرداتِ نظيرٌ ، ولذلكَ مُنِعَتِ الصَّرف كما تَعرِفُهُ في علمِ وليسَ لها في المفرداتِ نظيرٌ ، ولذلكَ مُنِعَتِ الصَّرف كما تَعرِفُهُ في علمِ النحو .

ثمَّ إنَّ هاذهِ الصِّيغةَ تكونُ على أوزانٍ شتَّى ، وضابطُها: أنَّها مُتحصِّلةٌ مِنْ خمسةِ أحرفٍ إذا لم يكنْ قبلَ آخِرِ المفردِ حرفُ لينٍ ، وإلَّا . . كانَتْ ستةَ أحرفٍ ؛ حرفانِ مُتحرِّكانِ بعدَهُما أَلِفٌ ، وبعدَ الأَلِفِ حرفٌ مكسورٌ ، وآخِرُ الصِّيغةِ أو بينَهُما ياءٌ ساكنةٌ ؛ كصَيْرَفٍ وصيارفَ ، وفرعونَ وفراعينَ .

[تفصيلُ أوزانِ منتهى الجموع]

تفصيلُ أوزانِها:

الوزنُ الأوَّلُ: (فواعلُ) يكونُ جمعاً لستةِ أنواع مِنَ المفرداتِ:

ـ النوعُ الأوَّلُ : (فَوْعَلٌ) كجوهرٍ وجواهرَ ، وجوربٍ وجواربَ ، وصومعةٍ وصوامعَ .

_ النوعُ الثاني : (فاعَلٌ) بفتحِ ثالثِهِ ؛ كطَابَعٍ وطوابعَ ، وخاتَمٍ وخواتمَ ، وقالَب وقوالبَ .

_ النوعُ الثالثُ : (فاعِلاءُ) بكسرِ ثالثِهِ ؛ كقاصِعاءَ وقواصعَ ، ونافِقاءَ ونوافق ، ورواهط ؛ أسماءُ أبوابِ جُحْرِ اليربوع .

_ النوعُ الرابعُ : كلُّ اسمٍ غيرِ صفةٍ يوازنُ (فاعِلاً) مثلُ : كاهلٍ وكواهلَ ، وعامرِ وعوامرَ ، وجابرِ وجوابرَ .

- النوعُ الخامسُ: أوصافُ الإناثِ الموازنةُ له (فاعِلٍ) مُختتَمةً بالتاءِ أو لا ؛ كحائضٍ وحوائضَ ، وفاركٍ وفواركَ ؛ وهيَ المُبغِضةُ لزوجِها ، وصائمةٍ وصوائمَ ، وقائمةٍ وقوائمَ .

_ النوعُ السادسُ : أوصافُ غيرِ العُقلاءِ الموازنةُ لـ (فاعِلِ) كصاهلِ وصواهلَ ، وناهق ونواهقَ .

الوزنُ الثاني مِنْ أوزانِ صيغةِ منتهى الجموع : (فَعائِلُ) بفتحِ أَوَّلِهِ وكسرِ [رابعِهِ] ، يكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مُؤنَّثٍ ، قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ، مُختتَم بالتاء ؛ كسَحابةٍ وسحائبَ ، ورسالةٍ بكسرِ أَوَّلِهِ ورسائلَ ، وذُوَابةٍ بضمِّ أَوَّلِهِ وذوائبَ ، وحَمُولةٍ بفتحِ أَوَّلِهِ بفتحِ أَوَّلِهِ ؛ كصَحيفةٍ وصحائفَ ، وحَمُولةٍ بفتحِ أَوَّلِهِ ؛ كصَحيفةٍ وصحائفَ ،

777

وخَمِيلةٍ وخَمائلَ ، وتُجمَعُ الأوصافُ الموازنةُ لـ (فَعِيلةٍ) بهاذهِ الصِّيغةِ ؛ كعقيلةٍ وعقائلَ ، وكريمةٍ وكرائمَ ؛ إن لم تكنْ بمعنى (مفعولٍ) كجريحةٍ وقتيلةٍ .

الوزنُ الثالثُ : (فَعالِي) بفتحِ أَوَّلِهِ وكسرِ رابعِهِ وآخِرُهُ ياءٌ ، وتُبدَلُ الياءُ أَلِفاً في البعضِ ، فيُفتَحُ ما قبلَها ضرورةً ، وقدِ التُزِمَتِ الهيئةُ الأُولىٰ في بعضِ المفرداتِ ، والتُزِمَتِ الثانيةُ في بعضٍ آخَرَ ، ووردَ كلُّ منهُما في بعضٍ ثالثٍ ، فأنتَ بالخيار بينَهُما .

فممّا التُزِمَتْ فيهِ الأُولى: حِذْرِيَةٌ بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ [فياءٍ] خفيفةٍ ؟ اسمٌ للقطعةِ الغليظةِ مِنَ الأرضِ ، والأَكَمةِ ، فجمعُها: [حَذَارٍ] لا غيرُ ، وسِعْلَاةٌ بكسرٍ فسكونٍ ؛ اسمُ ساحراتِ الجِنِّ ؛ فجمعُهُ: [سَعالٍ] ، وعَرْقُوةٌ بفتحٍ فسكونٍ فضمٍ فواوٍ خفيفةٍ ؛ كتَرْقُوةٍ ، فالجمعُ : [عَراقٍ وتَراقٍ] ، والعَرْقُوةُ : العظمُ هيَ الخشَباتُ التي تُجعَلُ للدِّلاءِ مِنْ فوقٍ يُربَطُ فيها الرِّشاءُ ، والتَّرْقُوةُ : العظمُ الذي يلي العنقَ إلى الكتفِ مِنْ أعلى الصَّدرِ .

وممَّا التُزِمَتْ فيهِ الثانيةُ: كلُّ وصفٍ على (فَعْلانَ) للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَىٰ) للمُذكَّرِ ، و فَعْلَىٰ) للمُؤنَّثِ ؛ كَسَكْرانَ وسَكُرىٰ وسَكارَىٰ ، وغَضْبانَ وغَضْبیٰ وغَضابَیٰ ، وعَطْشانَ وعَطْشیٰ وعَطاشَیٰ .

وممَّا وردَ فيهِ كلُّ منهُما: كلُّ اسمٍ على وزنِ (فَعْلاءَ) كصحراءَ ؛ فتقولُ : صَحارِي بالكسرِ والياءِ ، وصَحارَىٰ بالفتحِ والألفِ .

وكلُّ اسمِ على وزنِ (فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كعَلْقَى اسمَ نبتٍ ؛ فتقولُ : عَلاقِي وعَلاقَىٰ .

أبقيت هاذه الياءات مثبتة للتوضيح فقط.

وكلُّ اسمٍ على وزنِ (فِعْلَىٰ) بكسرٍ فسكونٍ ؛ كذِفْرى ، اسمٌ للعظمِ خلفَ أُذُنِ الناقةِ ؛ فتقولُ : ذَفاري وذَفارَىٰ .

وكلُّ وصفٍ على وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ لمُؤنَّثٍ غيرِ (أفعلَ) كحُبْلَىٰ ؛ فتقولُ : حَبالِي وحَبالَىٰ .

الوزنُ الرابعُ: (فُعالَىٰ) بضمِّ أَوَّلِهِ وآخِرُهُ أَلَفٌ ، يكونُ جمعاً لـ (فَعْلانَ) و (فَعْلانَ) و فَعْلانَ) و فَعْلانَ) كَسَكْرانَ وسَكْرىٰ وسُكارىٰ ، وهوَ أرجحُ مِنَ المفتوح .

الوزنُ الخامسُ: (فَعالِيُّ) بفتحِ أُوَّلِهِ وكسرِ رابعِهِ وتشديدِ الياءِ ، يكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مختومٍ بياءٍ مُشدَّدةٍ تُشبِهُ ياءَ النَّسبِ [وليسَتْ] لهُ ؛ مثلُ : كُرْسيِّ وكراسيَّ ، وكُرْكيِّ وكراكيَّ .

* * *

خاتمةٌ فيها مسائلُ

المسألة الأولى

[في ضوابطِ الجمع بصيغةِ منتهى الجموع]

اعلمْ: أنَّ صيغةَ منتهى الجموعِ إنَّما يُجمَعُ بها مِنَ الأسماءِ ما زادَ على ثلاثةِ أحرفٍ مِنَ الأسماءِ الرُّباعيَّةِ والخُماسيَّةِ والسُّداسيَّةِ والسُّباعيَّةِ ، وحيثُ كانَتْ غيرَ مُمْكِنةٍ فيما زادَ على أربعةِ أحرفٍ . . وجبَ أن تَرُدَّ ما زادَ على الأربعةِ إليها ؛ ليمكنكَ أن تَجمعَهُ بهاذهِ الصِّيغةِ .

ولذلكَ تفصيلٌ ؛ حاصلُهُ: أنَّ الاسمَ إذا كان خُماسيًا مُجرَّداً . . وجبَ حذفُ خامسِهِ ؛ كسَفَرْجَلِ وسَفَارِجَ .

وإن كانَ خُماسيّاً بزيادةٍ . . حُذِفَ الزائدُ ، إلَّا إذا كانَ ليناً قبلَ الآخِرِ ؛ فإنَّهُ يُبدَلُ ياءً ويَبقى ؛ كغَضَنْفَرٍ وقَرَنْفُلٍ وغَضَافِرَ وقَرافلَ ، وكفِرْعَوْنَ وفَراعينَ ، وغُرْنَيْقٍ] وغرانيقَ ، وكِرْبَاسِ وكَرابيسَ ، وعُصْفورِ وعصافيرَ .

وإن كانَ اسماً مُشتمِلاً على زيادتَينِ أو أكثرَ.. حذفتَ باختيارِكَ مِنَ الزوائدِ ما يكونُ الباقي بعدَهُ صالحاً لأن يُجمَعَ بهاذهِ الصِّيغةِ ، إلَّا إذا كانَ أحدُ الزائدَينِ ذا مزيَّةٍ ؛ بحيثُ يكونُ دالاً على معنى مُحقِّقاً لصيغةٍ ، أو كانَ حذفُهُ مُخرِجاً للكلمةِ عنِ النظائرِ ؛ فتقولُ في عَلَنْدَىٰ [وسَرَنْدَىٰ] مثلاً : علاندُ [وعلادٍ] ، وسراندُ [وسرادٍ] .

وتقولُ في مستدع ومقتدر: [مداع] ومقادرُ ، وفي نحوِ استخراجِ : تخاريجُ ، على وزنِ تماثيلَ ، فلا تَحذِفُ التاءَ وتُبْقِي السينَ ؛ لخروجِهِ بذلك عنِ النظائرِ ، وإلَّا إذا كانَتِ الكلمةُ ك (حَيْزَبُونٍ) و(عَيْطَبُولٍ) . . فإنَّ

779

الواجبَ حذفُ الياءِ دونَ الواوِ ؛ فتقولُ في جمعِهِ : حزابينُ وعطابيلُ .

وممَّا علمتَ في هلذا الموضعِ تَعرِفُ سائرَ أوزانِ صيغةِ منتهى الجموعِ ؟ فتقولُ في جمعِ (جعفرِ) مثلاً : جعافرُ ، وزنهُ (فَعالِلُ) وفي جمعِ (أفضلَ) : أفاضلُ ، وزنهُ (أفاعلُ) وفي جمعِ (مسجدٍ) : مساجدُ ، وزنهُ (مفاعلُ) وبالتفكُّر لا يَخفى عليكَ اعتبارُ ذلكَ .

المسألةُ الثانيةُ [في جمع الجمع]

قد تَتفصَّلُ آحادُ النوعِ جُملاً ، وتَتصنَّفُ أصنافاً ، فيُستعمَلُ جمعٌ في كلِّ جملةٍ ، فإذا أردتَ أن تَدُلَّ على تلكَ الجملِ . . جمعتَ الجمعَ .

مثلاً: إذا كانَ لزيدٍ جِمالٌ نجاتيةٌ (١) ، وجِمالٌ مصريَّةٌ ، وجِمالٌ شاميةٌ . . قلتَ : جِمالُ زيدٍ المصريَّةُ ؛ وهوَ جمعُ (جملٍ) وقلتَ : أحصيتُ جِمالاتِ زيدٍ ؛ وهو جمعُ (جملٍ) وهاذا ضابطُ جمعِ الجمعِ ؛ زيدٍ ؛ وهو جمعُ (جملٍ) وهاذا ضابطُ جمعِ الجمعِ ؛ فإذا [لم] تَتفصَّلِ الآحادُ جُملاً . . لم يَصِحَّ أن تجمعَ الجمع ؛ وذلكَ أنَّ الجمعَ يقتضي ثلاثةَ أفرادٍ ، والجمعُ الأصليُّ مستغرقٌ لجميعِ الآحادِ ، فمِنْ أينَ يجيءُ مفردٌ ثانٍ وثالثُ حتى تأتيَ بجمعِ الجمعِ ما لم تَتفصَّلِ الآحادُ حملاً ؟!

وتأمَّلْ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ تَرْمِى بِشَرِرِ كَالْقَصِّرِ ۚ كَأَنَّهُ مِمَلَتُ صُفْرٌ ﴾ ('') ، فإنَّهُ لو قالَ : (كأنَّهُ جِماعةً جماعةً ، فكانَ جمعُ الجمع لازماً لإفادةِ هاذا المعنىٰ .

⁽١) كذا بالنون والجيم في الأصل ، ولعلها : (بخاتية) وهي الإبل الخراسانية .

⁽٢) سورة المرسلات: (٣٢ _ ٣٣) ، وهي قراءة أغلب السبعة .

وعلى هاذا الحدِّ تَعتبِرُ جمعَ الجمعِ في نحوِ : بيوتاتِ العربِ ، ورجالاتِ قريشِ ، وأفارس العسكرِ ، وهاكذا .

المسألةُ الثالثةُ

[في الجمع ، واسم الجمع ، واسم الجنس الجمعي] يقولونَ : جمعٌ ، واسمُ جمع ، واسمُ جنسٍ جمعيٌ .

والفرقُ بينَ هاذهِ الأنواع الثلاثةِ :

_ أنَّ الجمع : هوَ ما يُعتبَرُ فيهِ تفصيلُ الآحادِ ؛ بحيثُ يكونُ الحكمُ مُنصرِفاً لكلِّ واحدٍ .

فإذا قلتَ : (رجالُ البلدِ قائلونَ) . . فمعناهُ : كلُّ رجل منهُم قائلٌ .

- وأنَّ اسمَ الجمعِ: هوَ ما وُضِعَ للجملةِ مِنْ غيرِ تفصيلِ الآحادِ ، فيكونُ الحكمُ مُنصرِفاً للمجموعِ ؛ مثلاً: تقولُ: ارتحلَ قومُ فلانٍ وحلُّوا بكذا ، ورَكْبُ هلؤلاءِ أحسنُ مِنْ رَكْبِ أولئكَ .

- وأنَّ اسمَ الجنسِ الجمعيَّ: هوَ ما وُضِعَ لماهيَّةٍ بشرطِ أن يُستعمَلَ في جماعةٍ جماعةٍ مِنْ آحادِها إلى الجميعِ ، فإذا أردتَ بهِ واحداً . . ألحقتَهُ التاءَ للفرقِ ؛ كتمرٍ وتمرةٍ ، وقمحٍ وقمحةٍ ، وتُثنِّي ذا التاءِ إذا أردتَ اثنتَين .

وكما يُجمَعُ الجمعُ . . يُجمَعُ اسمُ الجمعِ وأسماءُ الأجناسِ الجمعيَّةُ للاختلافِ وتعدُّدِ الجماعاتِ ؛ فتقولُ : الأقوامُ ، والتمورُ ، والأعنابُ .

والتثنيةُ كالجمعِ عندَ الحاجةِ ، فتقولُ : قومانا مُؤتلِفانِ ، ومدينةُ كذا يُوجَدُ فيها تمرانِ ، أحدُهُما أحلى مِنَ الآخر .

المسألةُ الرابعةُ

[في كيفية جمع المُركَّباتِ والمُثنَّىٰ والجمع إذا جُعِلَتْ أعلاماً] المُركَّباتُ الإضافيَّةُ التي جُعِلَتْ أسماءً (١) تُجمَعُ أجزاؤُها الأُولُ كما تُثنَّىٰ ؛ فتقولُ : عبدا اللهِ ، وعُبدانُ اللهِ ، وعبادُ الحقِّ ، وذَوُو القَعدةِ والحِجَّةِ ، وأذواءُ القَعدةِ ، وذواتُ القَعدةِ .

وما كانَ مِنَ الأسماءِ ؛ كابنِ عِرْسٍ ، وابنِ آوى ، وابنِ لَبُونٍ . . يُقالُ في جمعِهِ : بناتُ عِرْسِ ، وبناتُ آوى ، وبناتُ لَبُونٍ .

والمُركَّباتُ المزجيَّةُ ، والمُركَّباتُ الإسناديَّةُ ، والمُثنَّىٰ ، والجمعُ ؛ إذا جُعِلَتْ أسماءً (٢) . . جئتَ بـ (ذو) وثَنَّيتَ أو جمعتَ حَسَبَ حاجتِكَ ؛ فتقولُ : [ذَوَا] معديكربَ ، وذَوُو بعلبكَّ ، وأذواءُ سيبويهِ ، وهاكذا .

المسألةُ الخامسةُ

[في زيادة ياء لصيغة منتهى الجموع التي حُذِف منها] الأسماءُ التي حُذِف منها لتَصِحَّ صيغةُ منتهى الجموع . . يجوزُ أن يُزادَ قبلَ آخِرِها ياءٌ ساكنةٌ في الجمع ؛ لتكونَ عوضاً عنِ المحذوفِ (٣) .

المسألةُ السادسةُ [في أنَّ صيغةَ منتهى الجموعِ تلحقُها تاءُ التأنيثِ] صيغةُ منتهى الجموع تَلحقُها تاءُ تأنيثٍ ؛ وهيَ علىٰ ثلاثةِ أصنافٍ :

⁽١) في « شذا العرف » (ص ٢١٤) : (أعلاماً) بدل (أسماء) .

⁽٢) في « شذا العرف » (ص ٢١٤) : (أعلاماً) بدل (أسماء) .

⁽٣) مثال هذه المسألة : (سفرجل) تقول في جمعه : (سفارج) بحذف اللام ، وإن عوضت عن المحذوف . . قلت : (سفاريج) بزيادة الياء قبل آخره . انظر « شذا العرف » (ص ٢١٠) .

_ أحدُها: تاءٌ تُجعَلُ عوضاً عنِ الياءِ التي قبلَ آخِرِ الجمعِ بعدَ حذفِها ؟ تقولُ في مثل قناديلَ: قنادلةٌ .

- وثانيها: تاءٌ تَلحقُ جمعَ المنسوبِ للدلالةِ علىٰ أنَّ الجمعَ لهُ لا لأصلِهِ ؟ كالأشاعثةِ والأزارقةِ والمهالبةِ في جمعِ أشعثيِّ نسبةً إلىٰ أشعثَ ، وأزرقيِّ نسبةً إلى الأزرقِ ، ومُهَلَّبي نسبةً إلى [المُهَلَّبِ].

فلو كانَ الجمعُ للأشعثِ والأزرقِ [والمُهلَّبِ] . . قلتَ : المهالبُ والأزارقُ والأشاعثُ ، دونَ تاءٍ .

- وثالثُها: تاءٌ تُزادُ لإلحاقِ الجمعِ بمفردِ ؛ كصيارفةِ في جمعِ صَيْرَفِ ، وصياقلةٍ في جمع صَيْرَفِ ، وصياقلةٍ في جمع صَيْقَلِ ؛ لإلحاقِهِ بكراهيةِ وطواعيةٍ .

وما أدخلتَ فيهِ التاءَ مِنْ هاذهِ الجموعِ . . يَنصرِفُ بعدَ أَن كَانَ ممنوعاً من الصرفِ .

وربَّما لحقَتِ التاءُ بعضَ صيغِ الجموعِ لتحقيقِ معنى الجمعيَّةِ ؛ كالتاءِ في حِجارةٍ جمعِ حجرٍ ، وفُحولةٍ وعُمومةٍ وخُؤولةٍ جمعِ فَحْلٍ وعمٍّ وخالٍ ؛ فالأصلُ حِجارٌ كجِبالٍ ، وفُحولٌ وعُمومٌ وخُؤولٌ .

المسألةُ السابعةُ [في الأفصح مِنْ صِيَغ الجمع عندَ تعدُّدِها]

تَبِيَّنَ لَكَ أَنَّ النوعَ الواحدَ مِنَ المفرداتِ قد يَعتوِرُهُ صيغتا جمعٍ أو أكثرُ ؟ مثلُ : كاملٍ ، وكَمَلَةٍ بفتحتَينِ ، وكُمَّلٍ بضمِّ أَوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مشدَّداً ، ومثلُ : فَحْلٍ ، وفحالٍ ، وفحولٍ ، وفحلانٍ ، وأَفْحُلٍ ، هاذا مقتضى ما تَقدَّمَ مِنْ توزيعِ ضيع الجموع على أنواع المفرداتِ .

وللكنْ حيثُ كنتَ مريداً أن تَتكلَّمَ باللغةِ العربيةِ كما نطقَ بها أهلُها . .

فواجبٌ عليكَ أن تبحثَ عنِ الصِّيغةِ التي نطقوا بها ؛ فتارةً تجدُهُم نطقوا بالصيغتَينِ للمفردِ الواحدِ ، وتارةً تجدُهُمُ اقتصروا على إحداهُما ، فتنطقُ كما نطقوا .

وقد سبق التنبيهُ على أنَّ هاذهِ الضوابطَ إنَّما هيَ للتقريبِ والتسهيلِ (''، وإلَّا . . فالسماعُ لازمٌ ، ولذلكَ ترى أصحابَ كتبِ اللغةِ يذكرونَ المفردَ ويُعقِّبونَهُ بذكرِ جمعِهِ وإن كانَ مِنَ المشاهيرِ ؛ تنبيهاً على أنَّهُ المنطوقُ بهِ للعربِ .

* * *

(١) انظر (٢١٧/١).

التقسيمُ السادسُ [في المُكبَّرِ والمُصغَّرِ [(١)

الاسمُ: إمَّا مُكبَّرٌ؛ وهوَ المنطوقُ بهِ على صيغتِهِ الوضعيَّةِ ، وإمَّا مُصغَّرٌ؛ وهوَ المُحوَّلُ إلى إحدى الصِّيَغِ الآتي بيانُها لغرضِ الدلالةِ على حقارةِ قدرِ مُسمَّاهُ ، أو صِغَر حجمِهِ ، أو قربهِ مكاناً أو زماناً .

وربَّما استُعمِلَتِ الصِّيغةُ للتلطُّفِ والتملُّحِ ، أو فظاعةِ المُسمَّىٰ ونكارتِهِ ؛ كرُجَيْلٍ ، وجُبَيْلٍ ، ودُوَيْنٍ ، وقُبَيْلٍ ، وحُبَيْبٍ ، ودُوَيْهِيَةٍ .

بيانُ الصِّيَغ

هيَ ثلاثٌ : (فُعَيْلٌ) بضمِّ أَوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ وزيادةِ ياءٍ ساكنةٍ تُسمَّىٰ : ياءَ التصغيرِ ؛ لتصغيرِ الثُّلاثيَّاتِ .

و(فُعَيْعِلٌ) و(فُعَيْعِيلٌ) بضمٍّ ففتحٍ فزيادةِ تلكَ الياءِ وكسرِ تاليها ، ولأجلِ الكسرةِ تُبدَلُ الألفُ والواوُ الواقعتانِ بعدَها ياءً ؛ في تصغيرِ الأسماءِ الزائدةِ على ثلاثةِ أحرفِ .

[مسائلٌ في أحكامِ التصغيرِ] ولنوردُها في مسائلَ :

المسألةُ الأُولىٰ [في أحوالِ الحرفِ الثاني بعدَ التصغير]

الحرفُ الثاني مِنْ أحرفِ الاسمِ الذي تريدُ [تصغيرَهُ] إن كانَ أَلِفاً مبدلةً

⁽۱) انظر « شذا العرف » (ص ۲۱۸) .

مِنْ واوٍ ، أو مبدلةً مِنْ همزةٍ ؛ لوقوعِها ساكنةً بعدَ همزةٍ مفتوحةٍ ، أو كانَتْ زائدةً ، أو أصليَّةً مجهولةً لم يُعلَمْ أنَّها بدلٌ عمَّاذا ، أو كانَ ياءً مبدلةً مِنْ واوٍ . . وجبَ أن تَنطِقَ بهِ عندَ التصغيرِ واواً ؛ كبابٍ وبُويْبٍ ، وكآدمَ وأُويْدِمٍ ؛ أصلُها أَأْدمُ بهمزتَينِ ؛ لكونِهِ وصفَ المُذكَّرِ مِنَ الأُدمةِ ، ومُؤنَّثُهُ أَدماءُ ، ونحو : ضاربٍ وضُويْربٍ ، وكاهلٍ وكُويْهِلٍ ، وعاصمٍ وعُويْصِمٍ ، وجاموسٍ وبُويْمِيسٍ] ، ونحو صابٍ وصُويْبٍ ؛ اسمُ شجرٍ مُرِّ ، وعاجٍ وعُويْجٍ ؛ اسمُ عظم الفيلِ ، ونحو : قيمةٍ وقُويْمَةٍ ، ودِيمةٍ ودُويْمَةٍ ، ومِيزانٍ ومُويْزِينِ .

وإذا كانَ ذلكَ الحرفُ أَلِفاً مبدلةً مِنْ ياءٍ ، أو واواً كذلكَ (١) . . نُطِقَ بهِ عندَ التصغيرِ ياءً ؛ كنابٍ ونُيَيْبٍ ، ومُوقِنٍ ومُيَيْقِنٍ ، ومُوسِرٍ ومُيَيْسِرٍ ؛ مِنَ اليقينِ واليسار .

وإذا كانَ ذلكَ الحرفُ ياءً مبدلةً مِنْ همزةٍ . . رُدَّ في التصغيرِ همزةً ؛ كذئبٍ وذُوَيْبٍ .

وإذا كانَ ياءً بدلَ حرفٍ صحيحٍ . . رُدَّ لأصلِهِ ؛ كدينارٍ ودُنَيْنِيرٍ ، وقِيراطِ وقُرَيْرِيطٍ ، ودِيوانٍ ودُوَيْوِينِ .

فإذا كانَ ذلكَ الحرفُ ياءً أصليَّةً . . فالأفصحُ إبقاؤُها في التصغيرِ ، وفي لغةٍ رديئةٍ إبدالُها واواً ، وعليه قولُ العامَّةِ : (شوية) في تصغيرِ شيءٍ ؟ فتقولُ على الفصيح : بيتٌ وبُيَيْتٌ ، وفي الأسماءِ : حُيَيُّ بنُ أخطبَ .

ويشاركُ التصغيرُ في غالبِ ما سلف وما سيأتي جمعَ التكسيرِ ؛ ولذلكَ اشتَهرَ أنَّ التصغيرَ والتكسيرَ يَرُدَّانِ الألفاظَ إلى أصولِها .

ألا ترى أنَّكَ تقولُ في جمعِ بابٍ : أبوابٌ ، كما قلتَ في تصغيرِهِ : بُوَيْبٌ ، وعليكَ باعتبار ذلكَ .

⁽١) يعني : أو كان ذلك الحرف واواً مبدلة من ياء .

المسألةُ الثانيةُ

[في أحوالِ الحرفِ التالي لياءِ التصغير]

الحرفُ التالي لياءِ التصغيرِ إن كانَ ياءً مُشدَّدةً حُذِفَتْ أُولاهما لتوالي الأمثالِ ؛ تقولُ في تصغيرِ صبيّ وصبيَّةٍ : صُبَيُّ وصُبَيَّةٌ .

وإن كانَ أَلِفاً أو واواً ساكنةً . . أُبدِلَ ياءً ؛ كمَقامٍ ومُقَيِّمٍ ، وعَجُوزٍ وعُجَيِّزٍ .

وإن كانَتِ الواوُ مُتحرِّكةً . . جازَ إبقاؤُها ، والأفصحُ إبدالُها ياءً ؛ فتقولُ في تصغيرِ أسودَ وجدولٍ : أُسَيْوِدٌ وجُدَيْوِلٌ ، والأفصحُ : [أُسَيِّدٌ] وجُدَيِّلٌ إذا لم تكنِ الواوُ المُتحرِّكةُ لامَ الكلمةِ ، وإلَّا . . وجبَ إبدالُها ياءً ؛ كدَلْوٍ ودُلَيَّةٍ وكَرَوَانٍ وكُرَيَّانٍ .

المسألة الثالثة

[في تتمةِ أحوالِ الحرفِ التالي لياءِ التصغير]

الحرفُ التالي لياءِ التصغيرِ: إن كانَ بعدَهُ تاءُ تأنيثٍ أو أَلِفُهُ أو مَدَّتُهُ، أو أَلِفُ أن الذي لم يُجمَعْ على فَعالِينَ كسراحينَ. أو أَلِفُ أفعالٍ جمعاً، أو مَدَّةُ فعلانِ الذي لم يُجمَعْ على فَعالِينَ كسراحينَ. يجبُ فتحُهُ، وإلا . . جرَتْ عليهِ حركاتُ الإعرابِ في الصِّيغةِ الأُولى (١)، وكُسِرَ في الصِّيغةِ الثانيةِ (١)، ولأجلِ كسرتِهِ إذا كانَ بعدَهُ أَلِفٌ أو واوٌ . . وكُسِرَ في الصِّيغةِ الثانيةِ (١)، ولأجلِ كسرتِهِ إذا كانَ بعدَهُ أَلِفٌ أو واوٌ . . قُلِبَتْ ياءً ؛ فتقولُ : فُويْطِمَةُ (٣)، وحُبَيْلَىٰ ، وحُمَيْراءُ ، وأُجَيْمالٌ ، وسُكَيْرانٌ ، وتقولُ : جُعَيْفِرٌ ، وتقولُ : جُعَيْفِرٌ ، وحُصَيْفِيرٌ] ، بالإبدالِ .

⁽١) وهي : (فُعَيْلٌ) .

⁽٢) وهي : (فُعَيْعِلٌ ، وفُعَيْعِيلٌ) .

⁽٣) كذا في الأصل ، وتمثيله به لا ينطبق على القاعدة ، ومثَّل له فني « شذا العرف » (ص ٢٢٥) . (شُجَيْرة) .

المسألةُ الرابعةُ [في تصغيرِ الاسم الزائدِ علىٰ أربعةِ أحرفٍ]

متى زاد الاسمُ الذي تريدُ تصغيرَهُ على أربعةِ أحرفٍ . . وجبَ حذفُ الزائدِ وردُّهُ إلى الأربعةِ ؛ لتمكنَ صيغةُ التصغيرِ على التفصيلِ الذي سبقَ في صيغةِ منتهى الجموعِ ، إلَّا إذا كانَتِ الزيادةُ ألفَ التأنيثِ الممدودةَ ، أو تاءَهُ ، أو ياءَ نسبٍ ، أو زائدَيْ نحوِ : زعفرانٍ ، أو علمَ تثنيةٍ ، أو علمَ جمعِ تصحيحٍ للذُّكورِ أو الإناثِ ، أو جزءاً ثانياً مِنَ المُركَّبِ المزجيِّ . . فإنَّكَ لا تَحذِفُها ؛ لكونِها في تقديرِ الانفصالِ ، وكأنَّها كلماتٌ مُستقِلَّةٌ ، والتصغيرُ واردٌ على ما قبلَها .

وأمَّا أَلِفُ التأنيثِ المقصورةُ إذا لم تكنْ رابعة (۱) ؛ فإن كانَتْ سادسةً أو سابعةً . . حُذِفَتْ ، وإن كانَتْ خامسةً ؛ فإن لم تَسبِقْها مَدَّةٌ في الاسمِ الذي هي فيهِ [وبحذفها] تصلحُ الصِّيغةُ . . حُذِفَتْ أيضاً ، وإلَّا . . فأنتَ بالخيارِ بينَ حذفِ المَدَّةِ السابقةِ وإبقاءِ ألِفِ التأنيثِ ، وبينَ حذفِ ألِفِ التأنيثِ وإبقاءِ المَدَّةِ .

نحوُ: حُبَارَىٰ ؛ فلكَ أَن تقولَ: حُبَيِّرٌ ؛ بحذفِ أَلِفِ التأنيثِ وإبقاءِ المَدَّةِ التي هيَ الأَلِفُ المبدلةُ ياءً لأجلِ ياءِ التصغيرِ ، وأَن تقولَ: حُبَيْرَىٰ ؛ بحذفِ المَدَّةِ وإبقاءِ الأَلِفِ .

المسألةُ الخامسةُ [في تصغيرِ الاسم الباقي على حرفَينِ]

إذا كانَ الاسمُ الذي تريدُ تصغيرَهُ باقياً على حرفَينِ بحذفِ أحدِ حروفِهِ ؟

⁽١) وإذا كانت رابعة . . فإنها تثبت في التصغير ؛ فتقول في (حبليٰ) : (حُبَيْلي) انظر « شذا العرف » (ص ٢٢٧) .

كعِدَةٍ أَصلُها وِعْدٌ ، وسَنَةٍ أَصلُها سَنْوَةٌ أَو سَنْهَةٌ ، وشَفَةٍ أَصلُها شَفْهَةٌ ، ويدِ أَصلُها يَدْيُ . . رددت المحذوف ليمكن التصغير ؛ فتقول : وُعَيْدَةٌ ، وسُنَيَّةٌ أَو سُنَيَّةٌ ، وشُفَيْهَةٌ ، ويُدَيَّةٌ ، ودُمَيُّ .

وإذا كانَ على حرفَينِ وضعاً وجعلتَهُ اسماً ؛ فإن كانَ ثانيهِ صحيحاً . . ضَعَّفتَهُ بزيادةِ حرفٍ مِنْ جنسِ ثانيهِ ، أو كمَّلتَهُ بياءٍ ؛ فتقولُ في تصغيرِ (هل) : هُلَيْلٌ ، أو [هُلَيُّ] .

وإن كانَ ثانيهِ حرفَ عِلَّةٍ . . كمَّلتَهُ بحرفٍ مِنْ جنسِهِ ؛ كـ (لـو) و(كـي) و(ما) فتقولُ : لُوَيُّ ؛ بإبدالِ الـواو ياءً ، وكُيَيُّ ، [ومُوَيُّ] .

المسألةُ السادسةُ [في تصغيرِ الأسماءِ المُؤنَّنةِ الثُّلاثيَّةِ]

الأسماءُ المُؤنَّنهُ الثُّلاثيَّةُ ولو حالَ التصغيرِ ، الخاليةُ مِنْ علامةِ التأنيثِ إذا صغرتَها . . ألحقتَها تاءَ التأنيثِ ، إلَّا إذا حصلَ لَبْسٌ ؛ فتقولُ : دُوَيْرةٌ ، وسُنَيْنَةٌ ، وعُيَيْنَةٌ ، وأُذَيْنَةٌ ، ولا تقولُ : شُجَيْرةٌ ؛ لالتباسِهِ بتصغيرِ شجرةٍ ، وأنتَ تريدُ تصغيرَ شَجَرٍ ، ولا تقولُ : خُمَيْسَةٌ ؛ لالتباسِهِ بتصغيرِ ضحسةٍ وأنتَ تريدُ تصغيرَ خَمْسٍ .

وقد شَذَّ التجريدُ مِنَ التاءِ في بعضِ الأسماءِ ؛ نحوُ : قُوَيْسٍ ، ونُعَيْلٍ . وشذَّ إلحاقُ التاءِ بغيرِ الثُّلاثيِّ ؛ فقالوا في تصغيرِ أمامٍ ووراءٍ وقُدَّامٍ : وُرَيِّئةٌ ، وأُمَيِّمةٌ بتشديدِ الياءِ فيهِما ، وقُدَيْدِيمةٌ .

المسألةُ السابعةُ [في تصغيرِ الترخيمِ]

قد يُقتصَرُ مِنَ الاسم على أصولِهِ ويُصغَّرُ ويُسمَّى : تصغيرَ الترخيم ؟

فتقولُ في تصغيرِ إروادٍ: رُوَيْدٌ ، وفي تصغيرِ مِعطَفٍ: عُطَيْفٌ ، وفي تصغيرِ حمَّادٍ ، وحَمْدانَ ، وحَمْدُونَ ، ومحمودٍ ، ومُحمَّدٍ : حُمَيْدٌ ، والاعتمادُ في بيانِ المرادِ على القرينةِ .

المسألة الثامنة

[في شذوذ تصغيرِ الأفعالِ والحروفِ والأسماءِ المبنيةِ]

يَتبيَّنُ لكَ ممَّا سلفَ أنَّ التصغيرَ خاصٌّ بالأسماءِ المُتمكِّنةِ ، لا يكونُ في الأفعالِ ، ولا في الحروفِ ، ولا في الأسماءِ المَبنيَّةِ ، وشذَّ تصغيرُ أفعلَ في التعجُّبِ ، وتصغيرُ أسماءِ الإشارةِ ، وبعضِ الأسماءِ الموصولةِ ؛ فسُمِعَ : ذَيًّا وتيًّا واللَّتيَّا بفتحِ أوائلِها ، وأُولَيَّاءُ بضمِّ أوَّلِهِ ، قالوا : بعدَ اللَّتيَّا [والتي] أي : بعدَ الصغيرةِ والكبيرةِ ، وقالَ (١) :

يَا مَا أُمَيْلِحَ غِزْلَاناً شَدَنَّ لَنَا مِنْ هَا عُولَيَّائِكُنَّ ٱلضَّالِ وَٱلسَّمُرِ

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٣٦٣/٩) .

[النَّسَبُ]

المنسوب: اسمُ قبيلةٍ أو قُطرٍ أو بلدٍ أو غيرِ ذلك ، تزيدُ بعدَ آخِرِهِ ياءً مُشدَّدةً يَنتقِلُ إليها الإعراب ، ولأجلِها يُكسَرُ آخِرُ الاسمِ ؛ لأنَّ المجموعَ صارَ كلمةً واحدةً ؛ [كنزاريِّ] (١) ومُضَريِّ ، وحِجازيِّ وشاميٍّ ومِصْريِّ ودِمَشْقيٍّ ، وقُطْنيِّ وشاهيٍّ .

وبذلكَ العملِ يصيرُ الاسمُ وصفاً يُنعَتُ بهِ ، ويَعملُ عملَ الأوصافِ كما يَتبيَّنُ في النحوِ .

[مسائلُ في أحكامِ المنسوبِ] وللمنسوبِ أحكامٌ نوردُها في مسائلَ :

المسألةُ الأُولىٰ [في النَّسَبِ لِمَا آخِرُهُ ياءٌ مُشدَّدةٌ]

الاسمُ الذي تريدُ أن تَنسُبَ إليهِ: إذا كانَ آخِرَهُ ياءٌ مشدَّدةٌ ؛ فإذا كانَتْ مسبوقةً بحرفٍ واحدٍ . . فتحتَ الياءَ الأُولىٰ ، ورددتَها لأصلِها إن كانَتْ مُنقلِبةً عن واوٍ ، وقلبتَ الياءَ الثانيةَ واواً مطلقاً ؛ فتقولُ في النسبةِ إلىٰ (حيٍ) : حَيَوِيٌّ ، وإلىٰ (طيٍّ ، وليٍّ) مصدرَيْ طَوَىٰ ولَوَىٰ : طَوَوِيٌّ ، ولَوَوِيٌّ ، ولَوَوِيٌّ .

وإذا كانَتْ مسبوقةً بحرفَينِ . . خففتَها ، وقلبتَها واواً ، وفتحتَ ثانيَ الاسمِ ؛ فتقولُ في النسبةِ إلىٰ (عَليٍّ ، وعَديٍّ ، وقُصَيٍّ) بضمِّ أولِهِ : عَلَوِيٌّ ، وعَدويٌّ ، وقُصَويٌٌّ .

⁽١) انظر «شذا العرف» (ص ٢٤٠).

وإذا كانَتْ مسبوقةً بثلاثةِ أحرفٍ فأكثرَ ؛ فإن كانَتْ زائدةً . . حذفتَها ؛ [لئلاً يجتمعَ أربعُ ياءاتٍ في] كلمةٍ واحدةٍ ؛ فتقولُ في النسبةِ إلى (شافعيٍّ) : (شافعيٍّ) حُذِفَتْ ياءُ الاسمِ ، ووُضِعَتْ مكانَها ياءُ النَّسَبِ .

وإذا كانَتْ قائمةً مِنْ أصليِّ وزائدٍ ؛ كمَرْميِّ اسمَ مفعولٍ ، أصلُهُ : مَرْمُويٌ ؛ فالياءُ لامُ الكلمةِ ، والواوُ زائدةٌ قُلِبَتْ ياءً كما هوَ القاعدةُ في مثلِهِ . . فالأحسنُ أن تُحذَف كسابقِهِ ، وفي لغةٍ تُحذَف الياءُ الزائدةُ ، وتُقلَبُ الأصليةُ واواً ؛ فتقولُ على الأول : مَرْميٌّ ، وعلى الثاني : مَرْمَويٌّ .

المسألةُ الثانيةُ [في النَّسَبِ للاسمِ المقصورِ والمنقوصِ] الاسمُ إذا كانَ مقصوراً أو منقوصاً:

فمتى جازَتْ أَلِفُ الأُوَّلِ أو ياءُ الثاني أربعةَ أحرفٍ . . حُذِفَتْ ، ومتى كانتا ثالثتَينِ . . قُلِبَتا واواً ، وفُتِحَ ما [قبلَهُما] ؛ فتقولُ في المُصطفى اسمَ مفعولٍ ، والمُصطفي اسمَ فاعلٍ : مصطفيٌ ، وتقول في النِّسبةِ إلى العصا والرَّحا : عَصَوِيٌّ ورَحَوِيٌّ ، وإلى الشَّجا : شَجَوِيٌّ .

ومتىٰ كانتا رابعتَينِ . . فالأفصحُ حذفُ الياءِ ؛ كقاضيٍّ وقاليٍّ ، ويجوزُ قلبُها واواً ، فيُفتَحُ ما قبلَها ؛ كقاضَوِيّ وقالَوِيّ .

وأمَّا الأَلِفُ ؛ فإذا كانَتْ أَلِفَ تأنيثٍ ولم يَسكُنْ ثاني الاسمِ الذي هيَ فيهِ . . حُذِفَتْ أيضاً ، فإن سَكَنَ . . فالأحسنُ الحذفُ ، ويجوزُ قلبُها واواً ، ولكَ زيادة أَلِفٍ قبلَها ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلى نحوِ حُبْلىٰ : حُبْلِيٌّ ، وحُبْلَوِيٌّ ، وحُبْلَويٌّ ، وحُبْلَويٌّ .

وإذا كانتِ الألفُ لإلحاقِ كلمةٍ بكلمةٍ أخرى ؛ كلفظةِ (أَرْطَى) التي

أصلُها (أَرْطٍ) ، فزيدَتْ فيها الألفُ لإلحاقِها به (جعفرٍ) ، أو كانَتِ الألفُ أصلُها (أَرْطٍ) ، فزيدَتْ فيها الألفُ الماحسنُ فيهِما القلبُ واواً ؛ فتقولُ : أَرْطَوِيٌّ ومَعْلَوِيٌّ ، ويجوزُ الحذفُ ؛ فتقولُ : أَرْطِيٌّ ومَعْلَيٌّ .

المسألة الثالثة

[في النَّسَبِ إلى الاسم المختوم بتاء التأنيثِ]

الاسمُ إذا كانَ مختوماً بتاءِ التأنيثِ . . حُذِفَتْ (١) ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلى فاطمةَ : فاطميُّ .

وإذا كانَ نحوُ طَيِّبٍ ونَيِّرٍ . . خُذِفَتِ الياءُ الثانيةُ ؛ فتقولُ : طَيْبِيٌّ ونَيْرِيٌّ ، بياءٍ واحدةٍ ساكنةٍ ، وعليهِ فكانَ حقُّ النِّسبةِ إلىٰ طَيِّئَ : طَيْئِيٌّ ، لــٰكنَّهُم شَذُّوا فقالوا : طائيٌّ .

وإذا كانَ الاسمُ علىٰ وزنِ (فُعَيْلَةٍ) بضمٍّ ففتحٍ فسكونٍ ؛ نحوُ : جُهَيْنَةَ ومُزَيْنَةَ . . حُذِفَتْ ياؤُهُ ؛ فقيلَ : جُهَنيٌّ ومُزَنيٌّ .

وإذا كانَ على وزنِ (فَعِيلةٍ) بفتحٍ فكسرٍ فسكونٍ ، ولم يكنْ واويَّ العينِ ولا مضاعفاً . . حُذِفَتْ ياؤُهُ ، وفُتِحَتْ عينُهُ ؟ فتقولُ في النِّسبةِ إلى حَنيفةَ : حَنفِيٌّ ، وفي النِّسبةِ إلى طَويلةٍ وجَليلةٍ : طَويليٌّ وجَليليُّ ، دونَ تغييرٍ .

المسألةُ الرابعةُ [في النَّسَبِ إلى المُركَّباتِ]

المُركَّباتُ الإسناديَّةُ المُسمَّىٰ بها ؛ نحوُ: تأبَّطَ شرَّا ، وبَرَقَ نحرُهُ ، وجادَ المُركَّباتُ الإضافيَّةُ . . إذا نسبتَ إليها . .

⁽١) أي: خُذِفت تاؤه.

حذفتَ أعجازَها ، واقتصرتَ على صدورِها ناسباً لها ؛ فتقولُ : تأبَّطيُّ ، وبرَقيٌّ ، وجاديٌّ .

وتقولُ: بعليٌّ في النِّسبةِ إلى بعلبكَّ ، ومعديٌّ وقاليٌّ في النسبةِ إلى معديكربَ وقاليٌّ في النسبةِ إلى معديكربَ وقالي مِنَ المنقوصِ ؛ فإذا كانَتِ الياءُ رابعةً . . فحكمُها ما مرَّ في المنقوص (٢) .

ويُستثنى مِنَ المُركَّبِ الإضافيّ: الكُنى والأعلامُ الغالبةُ ، وما يكونُ فيهِ المضافُ لفظاً واحداً أُضيفَ إلىٰ أشياءَ كثيرةٍ على البدلِ ؛ كأبي بكرٍ ، وأبي طالبٍ ، وأمِّ كُلثوم ، وابنِ عباسٍ ، وابنِ الزبيرِ ، وابنِ عمرَ ، وعبدِ الأشهلِ ، وعبدِ قيسٍ ؛ فإنَّهُم نسبوا في هاذهِ المواضع إلى الأعجازِ ، وحذفوا الصُّدورَ ، وقالوا: بكريٌّ ، وطالبيٌّ ، وكُلثوميٌّ ، وعباسيٌّ ، وهاكذا .

وربَّما نحتوا مِنَ المضافِ والمضافِ إليهِ اسماً على وزنِ (فَعْلَلٍ) بفتحِ الفاءِ وسكونِ العينِ وفتحِ اللَّامِ الأُولى ؛ كحَضْرَمٍ [من] حضرموتَ ، وعَبْشَمٍ مِنْ عبدِ شمسٍ ، وعَبْقَسٍ مِنْ عبدِ القيسِ ، ومَرْقَسٍ مِنِ ٱمرِئَ القيسِ الشاعرِ ؛ فقالوا : الشِّعرُ المَرْقَسيُّ أُوّلُ ما يُستجادُ مِنْ شعرِ العربِ ، وقالَ الشاعرُ (") : [من الطويل] وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأَنْ لَمْ تَرَا قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيَا

المسألةُ الخامسةُ [في النَّسبِ إلىٰ فعِل بتثليثِ أوَّلِهِ]

الاسمُ إذا كانَ على وزنِ فعِلٍ بتثليثِ أُوَّلِهِ وكسرِ ثانيهِ ، كَدُئِلٍ

⁽١) قالى قلا : موضع ، وهما اسمان جُعلا واحداً ، وبُني كل واحد منهما على الوقف .

⁽٢) أي : من جواز : مَعْدَويّ ، وقَالَويّ .

⁽٣) هو عبد يغوث بن الحارث . انظر « البيان والتبين » (٢٦٨/٢) ، و(ترا) في البيت : تسهيل (ترأ) على لغة (راء) بمعنى (رأى) ، وانظر « مغنى اللبيب » (٣٦٥/١ ـ ٣٦٦) .

بضمّ أوَّلِهِ ، وإِسِلٍ ، ونَمِرٍ بفتحِ أوَّلِهِ . . وجبَ عندَ النِّسبةِ إليهِ فتحُ عينهِ ؛ فتقولُ : دُوَّلَيُّ بفتحِ الهمزةِ ، وإبَليُّ بفتحِ الباءِ ، ونَمَريُّ بفتحِ الميم .

المسألةُ السادسةُ [في النَّسَبِ إلى الاسمِ الممدودِ]

المنسوبُ إليهِ إذا كانَ ممدوداً ؛ فإن كانَتْ أَلِفُهُ للتأنيثِ . . قُلِبَتْ واواً ؛ فتقولُ : حمراويٌّ ، وخَضراويٌّ ، وصَفراويٌّ .

وإذا كانَتِ الهمزةُ بدلاً عن أصلٍ ؛ نحوُ : كِساءٍ أصلُهُ كِساوٌ مِنَ الكسوةِ ، وإذا كانَتِ الهمزةُ بدلاً عن أصلٍ ؛ نحوُ : كِساءٍ أصلُهُ عِلْبٌ ، زِيدَتِ المَدَّةُ أو مزيدةً بإلحاقِ الكلمةِ بكلمةٍ أخرىٰ ؛ كعِلْباءٍ أصلُهُ عِلْبٌ ، زِيدَتِ المَدَّةُ لإلحاقِهِ بقِرْطاسٍ . . فلكَ قلبُ الهمزةِ واواً وإبقاؤُها ؛ فتقولُ : كساويٌ وعِلْبائيٌّ .

وإذا كانَتِ الهمزةُ أصليةً ؛ كقَرَّاءٍ ووَضَّاءٍ . . بقيَتِ الهمزةُ ؛ فتقولُ : قَرَّائيٌّ ووَضَّاءً يُّ .

المسألةُ السابعةُ [في المنسوبِ الثُّلاثيّ إن بقيَ منهُ حرفانِ]

المنسوبُ إليهِ إذا كانَ اسماً ثُلاثيّاً ، حُذِفَ منهُ حرفٌ في الاستعمالِ ، فإذا كانَ المحذوفُ لامَهُ ؛ فإن عُهِدَ رَدُّهُ في تثنيةٍ أو جمع تصحيحٍ . . وجبَ ردُّهُ في النَّسَبِ ؛ كأبٍ وأخٍ ، قيلَ في تثنيتِهِ : أبوانِ وأخوانِ ، فيُنسَبُ إليهِ بالردِّ ؛ فيُ النَّسَبِ ؛ كأبٍ وأخٍ ، قيلَ في تثنيتِهِ : أبوانِ وأخوانِ ، فيُنسَبُ إليهِ بالردِّ ؛ في النَّسَبِ ؛ مَنُواتٌ وعِضَواتٌ ، فيُقالُ : أَبَوِيُّ وعِضَهاتٌ ، على اللَّغتينِ ؛ فتقولُ في النَّسَبِ : سَنَويُّ وعِضَويٌّ ، وسَنَهاتٌ وعِضَهيٌّ ، على اللَّغتينِ ؛ فتقولُ في النَّسَبِ : سَنَويٌّ وعِضَهيٌّ .

وإن لم يُعهَدُ ردُّ اللَّامِ في التثنيةِ وجمعِ التصحيحِ ؛ نحوُ ثُبَةٍ . . جازَ الردُّ وعدمُهُ ؛ فتقولُ : ثُبِيٌّ وثُبَوِيٌّ ، إلَّا إذا كانَتْ عينُهُ مُعتلَّةً ؛ فإنَّهُ يجبُ الردُّ أيضاً ، فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ شاةٍ و(ذي) بمعنى صاحبٍ : شاهيٌّ وذَوويٌّ ، ومَنْ قالَ : ومَنْ قالَ نيدٍ ودمٍ : يَدانِ ودَمانِ . . جازَ عندَهُ الردُّ والحذفُ ، ومَنْ قالَ : يَدَيانِ ودَمانِ . . جازَ عندَهُ الردُّ والحذفُ ، ومَنْ قالَ : يَدَيانِ ودَمانِ . . جازَ عندَهُ الردُّ والحذفُ ، ومَنْ قالَ : يَدَيانِ ودَمَيانِ . . وجبَ عندَهُ الردُّ .

ويجبُ فتحُ عينِ هاذهِ الأسماءِ عندَ ردِّ لاماتِها ، وتكونُ كالثُّلاثيَّاتِ المقصورةِ في قلبِ أَلِفِها عندَ النَّسبةِ واواً .

والنِّسبةُ لأُختِ كالنِّسبةِ لأخٍ ، وبنتُ كابنٍ ؛ فتقولُ : أَخَوِيُّ وبَنَوِيٌّ بفتحِ أُوَّلِهِما وثانيهِما ، وما كانَ كابنٍ واسمٍ محذوفَ اللَّامِ مُعوَّضاً عنها همزةُ الوصلِ . . يجوزُ ردُّ لامِهِ وحذفُ الهمزةِ ، ويجوزُ عكسهُ ، و(كِلتا) مثلُ (كِلا) ، و(اثنتانِ) ك(اثنانِ) فتقولُ : كِلَوِيٌّ بفتحِ اللَّامِ ، وثَنَوِيٌّ بفتحِ النونِ .

وإذا كانَ المحذوفُ الفاءَ ؛ فإن كانَتِ اللَّامُ صحيحةً . . لم يُرَدَّ المحذوفُ ؛ تقولُ في النِّسبةِ لعِدَةٍ وزِنَةٍ : عِدِيُّ وزِنِيٌّ ، وإن كانَتْ مُعتلَّةً ؛ كشِيَةٍ ودِيَةٍ . . رُدَّتْ ؛ فتقولُ : وَشَوِيٌٌ بفتح أُوَّلِهِ وثانيهِ (١)

وإن كانَ المحذوفُ العينَ ؛ فإن كانَتْ لامُهُ صحيحةً . . لمْ تُرَدَّ ؛ نحوُ : مُذْ أصلُها منذُ ، يُنسَبُ إليها : مُذِيُّ .

وإنْ كانَتِ اللَّامُ مُعتلَّةً . . رُدَّتِ العينُ ، فتُنسَبُ إلىٰ (مُرٍ) اسمَ فاعلٍ مِنْ (رُرِعُ) فتقولُ : مُرْئِيُّ .

⁽١) كذا في الأصل: (بفتح أوله وثانيه)، وذكر صاحب «شذا العرف» (ص ٢٥٤) أنها بكسر الواو الأولى، ومثال (دِية): ودَوىّ.

المسألةُ الثامنةُ [في النَّسَبِ إلى الثُّنائيّ وضعاً]

إذا كانَ المنسوبُ إليهِ ثُنائيّاً وَضْعاً ؛ فإن كانَ ثانيهِ صحيحاً ؛ نحوُ : (كَمْ) و(لَمْ) . . جازَ تضعيفُهُ عندَ النَّسَبِ إليهِ ، وإبقاؤُهُ على صورتِهِ ؛ فتقولُ : كَميٍّ ولَميّ بالتشديدِ والتخفيفِ .

وإذا كانَ ثانيهِ مُعتلاً . . وجبَ تضعيفُهُ ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ (لا) و(ما) : لائيٌ ، ومائيٌ .

وفي النِّسبة إلىٰ (كيْ): كَيَوِيٌّ ؛ كالنِّسبةِ إلىٰ حَيٍّ ، وفي النِّسبةِ إلىٰ (لوْ): لَوّيٌّ ؛ كالنِّسبةِ إلى الدَّق.

المسألةُ التاسعةُ [في النَّسَبِ إلى الجمع]

إذا نسبتَ إلى الجمعِ . . أعدتَهُ إلى لفظِ المفردِ ونسبتَ إليهِ ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلى أجمالٍ : جَمَلِيٌّ ، إلَّا إذا صارَ الجمعُ بمنزلةِ المفردِ لاستعمالِهِ استعمال الأسماءِ ؛ كالأنصارِ ، فإنَّهُ يُنسَبُ إليهِ على لفظِهِ ؛ فتقولُ : أنصاريٌّ ، أو لكونِهِ لا واحدَ لهُ ؛ كعبابيدَ .

المسألةُ العاشرةُ [في النَّسبِ إلى الحِرَفِ]

قد نسبوا في الحِرَفِ بلفظٍ على وزنِ (فَعَالٍ) فقالوا : حَدَّادٌ ، ونَجَّارٌ ، وبَجَّارٌ ، وبَجَّارٌ ،

وربَّما استُعِملَ معَ (فعَّالٍ) النَّسبُ الأصليُّ ؛ فقالوا لبائع العِطْرِ : عَطَّارٌ

وعِطْرِيٌّ ، وهاذا كثيرٌ ، واستعملوا أيضاً وزنَ (فاعلٍ) وهوَ قليلٌ ؛ فقالوا : لابنٌ وتامرٌ ؛ أي : ذو لبنٍ وذو تمرٍ ، وأقلُّ منهُ وزنُ (فَعِلٍ) بفتحٍ فكسرٍ ، قالَ الشاعرُ (١٠) :

وَلَسْتُ بِلَيْلِيِّ وَلَلْكِنَّنِي نَهِرْ

أرادَ : لستُ ممَّنْ كسبُهُ باللَّيلِ فأُنسَبَ إليهِ ، وللكنَّ كسبي بالنهارِ ، فقولُهُ : (نَهرٌ) كقولِهِ : نَهاريٌّ .

* * *

⁽١) أراد رجزاً أورده سيبويه في « الكتاب » (٣٨٤/٣) ، والبيت بتمامه : لَـسْتُ بِـلَـيْـلِـيّ وَلَكِئْنِي نَـهِـرْ لَا أُدْلِـــجُ ٱلـلَّـيْـلَ وَلَكِنْ أَبْتَكِـرْ

الخاتمة للللل المُحْمِي المُحاتِمة المُحامِد المُحامِد

الأمرُ الأوَّلُ: أحكامُ الوقفِ (١)

وهوَ قطعُ النطقِ عندَ آخِرِ الكلمةِ ؛ إمَّا لتمام الكلام ، أو للاستراحةِ .

إذا وقفتَ على الضَّمائرِ المتصلةِ ؛ نحوُ : لهُ ، وبهِ ، وغلامِهِ . . حذفتَ الواوَ والياءَ وسَكَّنتَ الهاءَ إذا لم يكنْ قبلَ الضَّميرِ ساكنٌ موجودٌ أو محذوفٌ ، وإلله عند وألا . . جازَ لكَ حذفُ الواوِ والياءِ وإبقاؤُهُما ؛ نحوُ : منهُ ، وإليهِ ، وادعهُ ، وارمِهِ ، ولا تُحذَفُ الأَلِفُ مِنْ نحوِ : بها وغلامِها .

وإذا وقفتَ على المُنوَّناتِ . . حذفتَ تنويناتِها ، إلَّا إذا كانَ التنوينُ بعدَ فتحةٍ ؛ فإنَّهُ يُبدَلُ أَلِفاً .

وإذا كانَ آخِرُ الموقوفِ عليهِ أَلِفاً . . وقفتَ على أَلِفِهِ ، وألحقوا (إذاً) الناصبةَ للمضارع أحياناً بالمُنوَّنِ المفتوح ، فأبدلوا نونَها أَلِفاً .

وإذا وقفتَ على المنقوصِ ؛ فإذا لم يكنْ منصوباً ولا محذوفَ الفاءِ ؛ ك (يفي) مُسمّى بهِ ، ولا محذوفَ العينِ ك (مُرٍ) اسمَ فاعلٍ مِنْ (أرىٰ) فإن كانَ مُنوَّناً . . فالأحسنُ حذفُ يائِهِ ، وإن لم يكنْ مُنوَّناً . . فالأحسنُ إثباتُها .

وفي المنصوبِ وما بعدَهُ يجبُ الإثباتُ .

⁽١) انظر « شذا العرف » (ص ٣٤٥) .

وإذا وقفتَ على مُتحرِّكٍ غيرِ تاءِ تأنيثٍ . . سَكَّنتَهُ ؛ وهوَ الفصيحُ في اللغةِ .

وبعضُ العربِ يَميلُ بالحرفِ نحوَ الحركةِ ميلاً خفيفاً ، ويُسمِّيهِ العلماءُ : وماً .

وبعضُهُم إذا وقفَ على المضمومِ . . ضمَّ شفتَيهِ ومدَّهُما ، ويُسمُّونَهُ : إشماماً .

وبعضُهُم يُشدِّدُ الحرفَ الموقوفَ عليهِ ، ويُسمَّىٰ : تضعيفاً ، ومحلُّ ذلكَ إذا لم يكنْ همزةً ولا واواً ولا ياءً ولا أَلِفاً ، ولم يكنْ ما قبلَهُ ساكناً .

وبعضُهُم يَنقُلُ غيرَ الفتحةِ مِنَ الحرفِ الصحيحِ لسابقِهِ الساكنِ الذي يمكنُ تحريكُهُ ولم يَثقُلُ بالتحريكِ ، إذا لم يُؤدِّ النقلُ إلى صيغةٍ لا نظيرَ لها ، ويُغتفَرُ ذلكَ إذا كانَ الموقوفُ عليهِ همزةً كما ينقلُ الفتحةَ من الهمزةِ .

ونقلُ الحركةِ للمُتحرِّكِ السابقِ بعدَ سلبِ حركتِهِ . . لغةٌ لخميَّةٌ بقيَتْ في لسانِ أهلِ مصرَ ؛ فيقولونَ في الوقفِ علىٰ (كتبَهُ) بفتحِ الباءِ : (كتبُهُ) بضمِّها .

وإذا وقفتَ على تاءِ التأنيثِ المتصلةِ بالأفعالِ أوِ الحروفِ ، أو في أختٍ وبنتٍ . . لم يَتغيَّرْ لفظُها إلَّا بتسكينِ المُتحرِّكِ منها ؛ فتقولُ : ثَمَّتْ ، ورُبَّتْ ، وأبَّتْ ، وأبَّتْ ، وأبَّتْ ،

وإذا وقفتَ على التاءِ مِنْ جمعِ المُؤنَّثِ السالمِ وما أشبهَهُ . . فالأحسنُ إبقاؤُها تاءً ساكنةً ، والأحسنُ في غير ذلكَ إبدالُها هاءً .

وإذا وقفتَ على الفعلِ المحذوفِ اللَّامِ للجزمِ أوِ البناءِ ، أو على (ما)

79.

الاستفهامية المخفوضة ويجبُ حذفُ ألفِها عندَ ذلك ، أو على مبنيٍ على حركةٍ وليسَ فعلاً ماضياً ، ولا اسمَ (لا) ، ولا منادى ، ولا (قبلُ) و(بعدُ) وما أُلحِقَ بهِما . . جازَ لكَ أن تَقِفَ على أواخرِ هاذهِ الكلماتِ بالسكونِ ، وما أُلحِقَ بهِما . . جازَ لكَ أن تَقِفَ على أواخرِ هاذهِ الكلماتِ بالسكونِ ، وجازَ لكَ أن تَجتلِبَ هاءً ساكنةً تُسمَّىٰ : هاءَ السَّكتِ ، إلَّا معَ (ما) الاستفهاميةِ المخفوضةِ بالاسمِ ؛ فإنَّهُ يجبُ ، وإلَّا معَ الفعلِ المحذوفِ اللَّامِ والفاءِ جميعاً ؛ فإنَّهُ يترجَّحُ ، حتىٰ قيلَ بوجوبِهِ في المضارعِ ؛ ك (لم [يَعِهُ]) و(لم [يَقِه]) ، ويجبُ في الأمر ؛ ك (قِهُ) و(عِهُ) .

* * *

الأمرُ الثاني

مِنَ الأمورِ التي لا تَخُصُّ بعضَ أنواع الكلمةِ: الإبدالُ (١)

وهوَ جعلُ حرفٍ مكانَ حرفٍ جعلاً مُلتزَماً ، وسببُهُ : التخفيفُ ولَطافةُ الأَلفاظِ .

والإبدالُ وإن سبقَ التنبيهُ عليهِ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ إلَّا أنَّهُ يَحتاجُ لضبطٍ واستيفاءٍ ؛ لتكونَ على بصيرةٍ مِنْ أصولِ الألفاظِ وما آلَتْ إليهِ ؛ إذ هوَ ركنٌ عظيمٌ مِنْ أركانِ الصَّرفِ (٢).

اعلمْ: أنَّهُ قد وقعَ الإبدالُ في لغةِ العربِ على نوعَينِ:

نوعٌ شائعٌ مُطَّردٌ في اللُّغاتِ ، وهوَ المرادُ بالبيانِ والشرحِ في هاذا الموضعِ . النوعُ الآخَرُ مُختصٌّ ببعضِ اللُّغاتِ ، يُطَّلَعُ عليهِ في كتبِ اللُّغةِ ، وليسَ النوعُ الآخَرُ مُختصٌّ ببعضِ اللُّغاتِ ، يُطَّلَعُ عليهِ في كتبِ اللُّغةِ ، وليسَ يَحتاجُهُ مَنْ يريدُ معرفة الفنونِ العربيةِ لأجلِ أن يَنطِقَ بالنطقِ الصحيحِ ويأمنَ الغلطَ في شائعِ الحديثِ ؛ إذِ المُهِمُّ للطالبِ أن يَعرِفَ الأمورَ الكثيرةَ الاستعمالِ التي تستوفي معظمَ أحوالِ الكلام .

[أحرف الإبدالِ]

ثمَّ الأحرفُ التي يكونُ فيها التبادلُ . . تسعةٌ ، يَجمعُها قولُكَ : هدأتَ مُوطِياً ، ومِنْ هاذهِ الأحرفِ ما يكونُ بدلاً عن غيرِهِ ، ويكونُ غيرُهُ بدلاً عنهُ (٣) ، كما ستطَّلِعُ عليهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

⁽١) انظر « شذا العرف » (ص ٢٧٥) .

⁽٢) انظر (١٩٥/١ ، ٢٠٦ ، ٢١٤) .

⁽٣) في الأصل هنا زيادة : (ومنها ما يكون بدلاً عن غيره) ، ويظهر أنه تكرار .

حرفُ الهاءِ

تكونُ بدلاً مِنْ تاءِ التأنيثِ في الوقفِ كما سلفَ بيانُهُ (١) ، وربَّما نطقوا بها بدلاً مِنَ الهمزةِ فقالوا في (أراقَ الماءَ): هَرَاقَ ، وفي (آتى): هاتى ، وذلكَ مقصورٌ على ما سُمِعَ منهُ .

حرف الهمزة

الهمزةُ تكونُ بدلاً عن غيرِها على سبيلِ الوجوبِ في خمسةِ مواضع ، وعلى سبيل الجوازِ في مواضعَ يأتي الإلمامُ بها .

- الموضعُ الأوَّلُ مِنْ مواضعِ الوجوبِ: الواوُ والياءُ إذا وقعتا طرفَينِ بعدَ أَلِفٍ زائدةٍ . . وجبَ إبدالُهُما همزةً ؛ نحوُ : كساءٍ مِنَ الكسوةِ ، وسماءٍ مِنَ السُّمُوِّ ، ودعاءٍ مِنْ دعوتُ ، وظِباءٍ جمع ظَبْي ، ودِلاءٍ جمع دَلْوٍ .

- الموضعُ الثاني : الواوُ والياءُ مِنِ اسمِ فاعلِ الفعلِ الأجوفِ بإحداهُما مُبدَلةً أَلِفاً يجبُ إبدالُهُما همزةً ؛ كقالَ فهوَ قائلٌ ، وباعَ فهوَ بائعٌ .

- الموضعُ الثالثُ : المَدَّةُ الثالثةُ الزائدةُ في المفردِ إذا جمعتَهُ بصيغةِ منتهى الجموعِ . . يجبُ إبدالُها همزةً ؛ نحوُ : قلادةٍ وقلائدَ ، وصحيفةٍ وصحائفَ ، وعجوزِ وعجائزَ .

- الموضعُ الرابعُ: إذا اجتمعَ في الكلمةِ واوانِ ، أو ياءانِ ، أو ياءٌ وواوٌ ، وجمعتَها على صيغةِ منتهى الجموعِ . . وجبَ إبدالُ الثانيةِ منهُما همزةً ، كالأوائلِ في جمع (أَوَّلَ) ، والنيائفِ في جمع (نَيِّفٍ) ، والسيائدِ في جمع (سَيِّدٍ) .

⁽١) انظر (٢٩٠/١).

- الموضعُ الخامسُ: الواوانِ إذا اجتمعتا في أوَّلِ الكلمةِ وتَحرَّكَتْ ثانيتُهُما أو سَكَنَتْ وكانَتْ أصليةً . . وجبَ إبدالُ أُولاهُما همزةً ؛ فتقولُ في واصلةٍ إذا صَغَرتَها: أُويْصِلَةٌ ، وإذا جمعتَها: أَواصلُ: قالَ الشاعرُ (()): [من الخفيف] ضَعَربَت صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَت يَا عَدِيّاً لَقَدْ وَقَتْكَ ٱلْأَوَاقِي جَمعُ واقيةٍ ؛ أي: حافظةٍ .

وتكونُ الهمزةُ على سبيلِ الجوازِ: بدلاً مِنْ واوِ مضمومةٍ ضمّاً لازماً ، غيرِ مُشدَّدةٍ ؛ كوُجوهٍ وأُجُوهٍ ، ووُقُوتٍ وأُقُوتٍ ، وأَدْوُرٍ وأَدْوُرٍ ، وأَنْوُرٍ وأَنْوُرٍ وأَنْوُرٍ وأَنْوُرٍ ، وأَنْوُرٍ وأَنْوُرٍ ؛ في جمعِ دارٍ ونارٍ ، وقَوُولٍ وصَوُولٍ صيغةِ مبالغةٍ مِنْ قالَ وصالَ ، وصُؤُولٍ وعُؤُورٍ مصدرَيْ صالَ وغارَ ، وخُؤُولٍ جمع خالٍ .

وكذُلكَ تكونُ بدلاً مِنْ ياءٍ بعدَ أَلِفٍ وقبلَ ياءٍ مُشدَّدةٍ ؛ كغائيٍّ في النِّسبةِ لـ (غايةٍ) ، ورائيّ في النِّسبةِ لـ (رايةٍ) .

وكذلك تكونُ بدلاً عن واو مكسورة في أوَّلِ الكلمة ؛ كإشاحٍ وإفادةٍ وإسادةٍ ؛ في وِشاح ووِفادةٍ ووِسادةٍ .

وجاءَتِ الهمزةُ بدلاً مِنَ الهاءِ في ماءٍ ؛ لتصغيرِهِ على مُويْهٍ ، وجمعِهِ على أمواهِ .

تنىية

إنَّما تُبدَلُ الهمزةُ مِنَ الواوِ والياءِ نطقاً بعدَ أَلِفِ صيغةِ منتهى الجموعِ إذا لم يكنْ لامُ الكلمةِ همزةً أو واواً أو ياءً ، وإلَّا . . نطقتَ بالواوِ في جمعِ مثلِ هِراوةٍ ، وبالياءِ في جمعِ مثلِ خطيئةٍ وهديَّةٍ ومطيَّةٍ ، وتُبدَلُ لامُ الكلمةِ أَلِفاً

⁽۱) هو المهلهل بن ربيعة . في « ديوانه » (ص ٥٨) .

فيها ، فتقول : هَراوَىٰ وهدايا وخطايا ومطايا ، ذلك أمرٌ لازمٌ لا يَصِحُّ النطقُ بغيرهِ .

حرفُ الياءِ

تكونُ بدلاً عن الألفَ في موضعَين :

- الموضعُ الأوَّلُ: إذا وقعَتْ بعدَ كسرةٍ ، كما في جمعِ مِصباحٍ وقِنطارِ على مصابيحَ وقناطيرَ ، وكما في تصغيرهما .

- الموضعُ الثاني : إذا وقعَتْ بعدَ ياءِ التصغيرِ ، كما في غزالٍ وغُزَيِّلٍ .

وتكونُ بدلاً عن الواو في عشرةِ مواضعَ :

- الموضعُ الأولُ: أن تقعَ مُتطرِّفةً إثرَ كسرةٍ ، ولا يَمنعُ مِنْ كونِها طرفاً وقوعُ تاءِ التأنيثِ أو أَلِفِهِ أو مَدَّتِهِ أو أَلِفٍ ونونٍ زائدتَينِ بعدَها ؛ نحوُ: رضيَ مِنَ الرضوانِ ، وقَوِيَ مِنَ القُوَّةِ ، والغازي والداعي مِنْ غزوتُ ودعوتُ .

- الموضعُ الثاني: أن تقعَ عيناً لمصدرِ فعلٍ أُعِلَّتْ فيهِ وقبلَها كسرةٌ وبعدَها أَلِفٌ ؛ كصِيامٍ وقِيامٍ لصامَ وقامَ ، وانقِيادٍ واعتِيادٍ مِنِ انقادَ واعتادَ .

- الموضعُ الثالثُ : أن تقعَ عيناً لجمعٍ قبلَها كسرةٌ وبعدَها أَلِفٌ إذا صَحَّتْ في المفردِ ، فإذا أُعِلَّتْ فيهِ . . لم يُشترَطِ الأَلِفُ ؛ كدِيمةٍ مِنَ الدوامِ ، وقِيمةٍ مِنْ يقومُ ، وحِيلةٍ مِنْ يحولُ ، فجمعُهُ : دِيَمٌ وقِيَمٌ وحِيَلٌ ، وكحوضٍ وثوبٍ ، جمعُهُ : حِياضٌ وثِيابٌ .

هاندا إذا لم تَعتلَّ لامُ الكلمةِ ، وإلَّا . . لم تُبدَلِ الواوُ ياءً ؛ تقولُ في جمعِ جَوّ : جِواءٌ .

- الموضعُ الرابعُ: أن تقعَ طرفاً رابعةً فصاعداً ؛ نحوُ: أعطيتُ وعاطيتُ وعاطيتُ وتعاطيتُ ، وما تَصرَّفَ منها .
- الموضعُ الخامسُ: أن تقعَ ساكنةً غيرَ مُشدَّدةٍ إثرَ كسرةٍ ؛ نحوُ: مِيزانٍ مِنَ الوزنِ ، ومِيقاتٍ مِنَ الوقتِ ، وإيصاءٍ مِنَ الوصيَّةِ .
- الموضعُ السادسُ : أن تقعَ لاماً لوصفٍ على وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمِّ الفاءِ ؟ كَدُنْيَا مِنَ الدُّنوِّ ، وعُلْيَا مِنَ العُلُوِّ .

وخالفَ أهلُ الحجازِ في قُصْوَىٰ ، وتميمٌ يقولونَ : [قُصْيَا] على حكمِ القاعدةِ .

- ـ الموضعُ السابعُ: أن تَجتمِعَ معَ الياءِ ويكونَ السابقُ ساكناً واجبَ الوجودِ في كلمةٍ واحدةٍ ؛ كسَيِّدٍ مِنَ السُّؤْدُدِ ، وعَلِيٍّ مِنَ العُلُوِّ ، وعُصِيٍّ ، وكطَيٍّ مِنْ طَوَيْتُ ، ولَيَّانٍ .
- الموضعُ الثامنُ : أن تقعَ لامَ (مفعولٍ) لفعلٍ مكسورِ العينِ ؛ كرضيَ فهوَ مَرْضيٌ .
- الموضعُ التاسعُ: أن تقعَ لاماً لجمع على فُعُولٍ ؛ كعُصِيِّ ودُلِيٍّ ، أصلُهُما: عُصُووٌ ودُلُووٌ ، جمعُ عَصاً ، أصلُها: عَصَوٌ ، ودَلْو.
- الموضعُ العاشرُ: أن تكونَ عيناً لجمعِ على (فُعَلٍ) بضمِّ أُوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ ؟ كصُيَّمٍ ، وذلكَ إبدالٌ جائزٌ ، والتصحيحُ أفصحُ ؟ كصُوَّمٍ ونُوَّمٍ .

حرف الواو

يكونُ بدلاً عنِ الأَلِفِ إذا اقتضى الحالُ ضمَّ ما قبلَها ؛ كبُويِعَ مجهولِ بايعَ ، وضُوَيْرِبٍ مُصغَّرِ ضاربٍ .

ويكونُ بدلاً عن الياءِ في أربعةِ مواضعَ :

- الموضعُ الأوَّلُ: أن تقعَ بعدَ ضمَّةٍ ؛ كمُوقنٍ مِنَ اليقينِ ، ومُوسرٍ مِنَ اليسارِ ، إلَّا إذا كانَتِ الكلمةُ جمعاً لنحوِ أبيضَ ؛ فإنَّ الياءَ تبقىٰ ، ولأجلِها تُبدَلُ الضمَّةُ كسرةً ؛ فتقولُ : بيضٌ ، بكسر الباءِ .

_ الموضعُ الثاني : أن تقعَ لامَ كلمةٍ بعدَ ضمَّةٍ ؛ مثلُ : نَهُوَ مِنَ النُّهيةِ ، وقَضُوَ المُحوَّلِ مِنْ (قضىٰ يقضي) للتعجُّبِ وإلحاقِهِ بالطبائع .

_ الموضعُ الثالثُ : أن تقعَ لاماً لاسمٍ على وزنِ (فَعْلَىٰ) بفتح الفاء ؟ كتَقوىٰ وفَتوىٰ .

- الموضعُ الرابعُ: أن تقعَ عيناً لاسمٍ على وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمِّ الفاءِ وما في حكمِ الاسمِ ؛ وهيَ الصِّيغةُ التفضيليةُ ؛ كطُوبي مِنَ الطِّيبِ ، والكُوسيٰ مِنَ الكِياسةِ .

حرف الأَلِفِ

تكونُ الأَلِفُ بدلاً عنِ الواوِ والياءِ إذا تحرَّكتا تَحرُّكاً أصليّاً وانفتحَ ما قبلَهُما مِنْ كلمتِهِما، وتَحرَّكَ ما بعدَهُما إن كانتا غيرَ لامِ كلمةٍ ، وإلّا . . فالشرطُ ألّا يقعَ بعدَهُما ألِفٌ ولا ياءٌ مُشدَّدةٌ ، ولا [تُبدَلانِ] إذا وقعتا عيناً في (فَعِلَ) الذي مصدرُهُ على (فَعَلٍ) بفتحتَينِ ، وكذا في مصدرِهِ ؛ نحوُ : غيدَ غَيداً ، وعَورَ عَوراً ، ولا تُبدَلُ الواوُ إذا كانَتْ عيناً له (افتعلَ) الدالِّ على التفاعلِ ؛ نحوُ : اجتوروا ، واشتوروا ، واعتوروا ، ولا يُبدَلانِ أيضاً إذا وقعَ بعدَهُما حرفٌ أُعِلَّ بإعلالِهِما ؛ كالهوى والجوى .

وكذلك إذا وقعَ بعدَهُما زيادةٌ تَخُصُّ الاسمَ ؛ كالأَلِفِ والنونِ مِن [نحوِ] الجَوَلَانِ والطَّوفَانِ والهَيَمَانِ ، والأَلِفِ في نحو : صَوَرَىٰ وحَيَدَىٰ بفتحاتٍ .

حرفُ التاءِ

تكونُ التاءُ بدلاً مِنَ الواوِ والياءِ إذا وقعتا فاءً لصيغةِ (افتعلَ) نحوُ: اتَّقىٰ ، واتَّكل ، واتَّسر ، أصلُهُ: إوتَقىٰ وإوتكلَ وإيتَسرَ.

حرفُ الطاءِ ، وحرفُ الدالِ عرفُ الدالِ يكونانِ بدلاً مِنْ تاءِ الافتعالِ كما سبقَ تفصيلُهُ (١).

حرف الميم يكون بدلاً مِنْ نونٍ ساكنةٍ وقعَتْ قبلَ باءٍ .

الهمزة : إذا وقعَتْ بعدَ همزةٍ في آخِرِ الكلمةِ . . قُلِبَتْ ياءً مطلقاً ، ثمَّ إن كانَ ما قبلَها مفتوحاً . . قُلِبَتْ أَلِفاً ، وإن كانَ مضموماً أو مكسوراً . . حُذِفَتْ في غيرِ النصبِ إذا وقعَ بعدَها ساكنٌ ؛ لكونِ ما هيَ فيهِ صارَ منقوصاً ، وإن كانَ ما قبلَها ساكناً . . بقيَتْ ياءً كما هوَ شأنُ مثلِها .

وإذا كانَ الهمزتانِ في أوَّلِ الكلمةِ ؛ فإن سَكَنَتْ ثانيتُهُما . . وجبَ إبدالُها مِنْ جنسِ حركةِ السابقةِ ؛ نحوُ : آثرتُ أُوثرُ إيثاراً ، وآمنتُ أُومنُ إيماناً ؛ مِنَ الأثرةِ والأمنِ .

وإن تَحرَّكَتْ ؛ فإن كانَتْ مضمومةً أو مفتوحةً بعدَ ضمَّةٍ أو فتحةٍ . . وجبَ قلبُها واواً .

وإن كانَتْ مكسورةً أو مفتوحةً بعدَ كسرةٍ . . وجبَ قلبُها ياءً .

⁽۱) تقدم (۲۰٦/۱) .

وإذا كانَتِ الهمزةُ الأُولىٰ همزةَ المضارعِ . . تَخيَّرتَ بينَ تحقيقِ الهمزةِ الثانيةِ وبينَ قلبِها ؛ على حكمِ القاعدةِ ، وعليكَ باستخراجِ الأمثلةِ ورعايةِ تفصيلِ الحكم فيما يَرِدُ عليكَ مِنَ الكلام .

وإن كانَتِ الهمزتانِ في أثناءِ الكلمةِ . . أُدغِمَتِ الأُولىٰ في الثانيةِ ؛ نحوُ : سَاَّلٍ ورَأَسِ ولَأَلٍ .

فهاذا تقريبُ ضوابطِ الإبدالِ الشائعِ في اللغةِ العربيةِ ، وهناكَ إبدالاتُ تَطَّلِعُ عليها إذا تَوسَّعتَ في مطالعةِ كتبِ اللغةِ .

* * *

الأمرُ الثالثُ نقلُ الحركاتِ مِنْ مواضعِها ، وحذفُ بعضِ حروفِ الكلمةِ

متى تَحرَّكَتِ الواوُ والياءُ وكانَ ما قبلَهُما ساكناً صحيحاً ، ولم تكنِ الكلمةُ فعلاً تَعجُّبيًا ، ولا كأبيض وأسود ، ولا مضارعاً لنحوِ عَوِرَ ، ولا اسمَ آلةٍ كالمِقْودِ والمِخْياطِ . . نُقِلَتْ حركتُهُما إلى الساكنِ قبلَهُما ، وبقيتا ساكنتَينِ سكوناً مرسلاً إن كانَ قبلَ الواوِ ضمَّةٌ ، وقبلَ الياءِ كسرةٌ ، وإلّا . . قُلِبتا أَلِفَينِ ؛ نحوُ : يقولُ ويبيعُ ، وأقامَ وأباعَ ، واستقامَ واستباعَ .

وتُحذَفُ الأَلِفُ مِنَ الإفعالِ والاستفعالِ ، ويُعوَّضُ منها تاءٌ لازمةٌ كما تَقدَّمَ التنبيهُ عليهِ في بابِ المصدرِ (١١) ، ويُحذَفُ لهاذا الإعلالِ واوُ (مفعولِ) نحوِ : مَصُونٍ ومَبيع ، بإبدالِ الضَّمَّةِ كسرةً في نحوِ مبيع .

⁽١) انظر (٢٢٢/١).

الأمرُ الرابعُ: في الإدغام والفكِّ

اعلمْ: أنَّهُ إذا توالى حرفانِ مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كباءَينِ أو دالَينِ في كلمةٍ أو كلمتين . . فهُما موضعُ الفكِّ والإدغامِ ، واستيفاءُ الكلامِ في ذلكَ مِنْ وظيفةِ عِلْم القراءاتِ .

وإنَّما تَكلَّمَ الصَّرفيونَ على المِثلَينِ في كلمةٍ واحدةٍ ؛ حيثُ كانَ بحثُهُم عن أحوالِ المفرداتِ ، فوجبَ أن نسيرَ معَ القوم .

فنقولُ : إذا اجتمعَ المِثلانِ في كلمةٍ . . فتارةً يجبُ الفكُّ ، وتارةً يجبُ الإدغامُ ، وتارةً يجبُ الإدغامُ ، وتارةً يجوزُ كلُّ منهُما .

مواضعُ جوازِهِما: يجوزُ كلُّ مِنَ الفكِّ والإدغامِ في نحوِ حَيِيَ مِنَ الحياةِ أَوِ الحَياءِ ، وعَيِيَ ؛ أي: عَجَز عنِ الإبانةِ ، فيجوزُ أن تقولَ: [حَيَّ وعَيَّ] ، وفي نحوِ وفي نحوِ وقي نحوِ التابعَ فيجوزُ أن تقولَ: اتَّابعَ ؛ بجلبِ همزةِ الوصلِ ، وفي نحوِ استترَ فيجوزُ أن تقولَ: سَتَرَ ؛ بنقلِ الفتحةِ إلى السينِ ، وكسرُ السينِ لغةٌ ، فيستغنَىٰ عن همزةِ الوصلِ .

وفي المضارع الساكنِ الآخِرِ للجزمِ أوِ الوقفِ ، والفكُّ لغةُ الحجازِ ، والإدغامُ لغةُ تميم ، وبكلتَيهِما جاءَ القرآنُ ، وفي الأمرِ .

وإذا أدغمتَ في المضارعِ والأمرِ . . وجبَ تحريكُ ثاني الحرفَينِ للتخلُّصِ .

ويجبُ الفكُّ في موازنِ (فُعَلِ) بضمِّ ففتحٍ ؛ كَصُفَفٍ وعُقَقٍ ، وفي موازنِ (فِعَلٍ) بضمَّ تَينِ ؛ (فِعَلٍ) بخسرٍ ففتحٍ ؛ مثلُ : كِلَلٍ وحِبَبَةٍ ، وفي موازنِ (فُعُلٍ) بضمَّتينِ ؛ كَمَلَلٍ ولَبَبٍ ورَدَدَةٍ ، وفي صيغةٍ كَذُلُلٍ وسُرُرٍ ، وفي موازنِ (فَعَلِ) بفتحتينِ ؛ كَمَلَلٍ ولَبَبٍ ورَدَدَةٍ ، وفي صيغةٍ

إلحاقيَّةٍ ؛ كَهَيْلَلَ وجَلْبَبَ ، وفي (فُعَّلٍ) بضمِّ أَوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ؛ نحوُ : جُسَّسٍ في جمع جاسٍّ .

وفي الأفعالِ الماضيةِ إذا اتصلت بها الضمائرُ المرفوعةُ البارزةُ ؛ نحوُ : حَلَلْتُ ومَلِلْتُ وصَبَبْتُ .

ويجبُ الإدغامُ في غيرِ ذلكَ ، فإن كانَ أَوَّلُ الحرفَينِ ساكناً . فذاكَ ، وإن كانَ مُتحرِّكاً . . نُقِلَتْ حركتُهُ للساكنِ قبلَهُ إن كانَ ؛ نحوُ : أَزِمَّةٌ تُشَدُّ ، وإنّ كانَ مُتحرِّكاً . . خُذِفَتْ ؛ كحَلَّ ومَلَّ وصَبَّ .

وشَذَّتِ العربُ بالفكِّ حيثُ يجبُ الإدغامُ ؛ فقالوا : أَلِلَ السِّقاءُ يَأْلَلُ ؛ أي : فسدَ ، ودَبَبَ زيدٌ يَدبِبُ ؛ أي : نبتَ الشعرُ في جبهتِهِ ، وفي كلماتٍ أُخَرَ مِنَ الأفعالِ والأسماءِ نَبَّهَتْ عليها علماءُ اللغةِ .

مسألةٌ

التاءانِ في أوَّلِ المضارعِ إذا ابتدأتَ بهِ لا يجوزُ فيهِما الإدغامُ ، كما لا يجوزُ في المتصدرينِ سوى ما سلف ، ويكثرُ حذف إحدى تاءي المضارعِ تخفيفاً ؛ نحوُ: تَلظَّىٰ وتَيمَّموا ، فإذا لم تَبتدئ بالمضارعِ . . جازَ الإدغامُ ، فلكَ فيهِ حينئذِ ثلاثةُ أوجهٍ ؛ تقولُ: لا تَتَرَدَّدْ ، ولا تَرَدَّدْ ، ولا تَرَدَّدْ .

مسألةٌ

النونُ الساكنةُ ومنها التنوينُ لها خمسةُ أحوالٍ :

- الأوَّلُ : إبدالُها مِنْ جنسِ ما بعدَها ، وإدغامُها فيه بلا غُنَّةٍ ؛ وذالكَ حيثُ تلاقي الراءَ واللَّامَ ؛ مثلُ : مِنْ رَّبِّهِم ، وأن لَّو .

- الثاني : إبدالُها مِنْ جنسِ ما بعدَها وإدغامُها فيهِ بغُنَّةٍ ، والغُنَّةُ : إخراجُ

الصوتِ مِنَ الخَيْشُومِ في نوعِ تَرنُّمٍ ؛ وذلكَ حيثُ تلاقي الميمَ والواوَ والياءَ ، إلَّا إذا لاقتْهُما في كلمةِ (١) ؛ نحوُ : دُنيا وصِنْوانِ ، والإدغامُ بغُنَّةٍ حكمُها إذا لقيَتْ مثلَها .

- الثالثُ : إبدالُها ميماً معَ غُنَّةٍ حيثُ تلاقي الباءَ كما مرَّ .
 - الرابعُ: إظهارُها حيثُ تلاقى حرفاً حلقياً.
- الخامسُ: إخفاؤُها ؛ وهوَ حالةٌ بينَ الإدغامِ والإظهارِ فيما عدا الحروفَ السابقة .

* * *

⁽١) أي : لاقت الياءَ والواو .

[مخارجُ الحروفِ]

هاذا ؛ واعلم : أنَّ مِنْ وظيفةِ عِلْمِ الصَّرفِ إبانةَ مخارجِ الحروفِ ؛ أي : مواضعِ خروجِها وأوصافِها ؛ لتَعرِفَ كيفيةَ النطقِ بها ، وقد وضعَ بعضُ العلماءِ في ذلكَ رسائلَ مُستقِلَّةً ، وسمَّوهُ : علمَ تجويدِ القرآنِ ؛ لأنَّ القارئَ يلزمُهُ شِدَّةُ الحرصِ على إصابةِ النطقِ بحروفِهِ .

هاذا ؛ وقد سبقَ اطِّلاعُكَ على أنَّ لكلِّ حرفٍ مخرجاً يَخُصُّهُ ('') ، ولكنَّ العلماءَ مشَوا معَ الظاهرِ ، فشرَّكوا بينَ الحروفِ في المخارجِ ؛ فلذلكَ عدُّوها سبعةَ عشرَ .

- أوَّلُها: الجوفُ: للأَلِفِ وحرفَيِ المَدِّ الآخَرَينِ ، واعتُبِرَ الجوفُ أوَّلَ المخارجِ ، وجرى الترتيبُ على ما ترى ؛ لأنَّ الصوتَ قائمٌ بالهواءِ الآخذِ مِنَ المحارجِ ، وجرى الترتيبُ على ما ترى ؛ لأنَّ الصوتَ قائمٌ بالهواءِ الآخذِ مِنَ الجوفِ إلى الخارجِ ، ولوِ اعتُبِرَ وضعُ الإنسانِ وأنَّ أوَّلُها الشفتين .

- ـ وثانيها: أقصى الحَلْقِ: للهمزةِ والهاءِ.
- وثالثُها: وَسَطُّهُ: للعينِ والحاءِ المهملتينِ .
- ورابعُها: أدناهُ: للغينِ والخاءِ المعجمتَينِ.
- وهاذه الأحرفُ الستةُ كما عرفتَ تُسمَّى : الأحرفَ الحَلْقيَّةَ .
 - _ وخامسُها : ما يلى الحَلْقَ : للقافِ .

⁽١) انظر (٩٩/١) .

- وسادسُها: ما يلي ذلك : للكافِ ، ويُنسَبُ الحرفانِ إلى اللَّهاةِ التي هيَ الحدُّ بينَ الحَلْق والحَنكِ ، فيُقالُ : الحرفانِ اللَّهَويَّانِ .

- وسابعُها: وَسَطُ اللِّسانِ وما فوقَهُ مِنَ الحَنكِ: للجيمِ والشِّينِ والياءِ ، وتُسمَّى: الأحرف الشَّجْرِيَّة - بسكونِ الجيمِ - نسبةً لشَجْرِ الحَنكِ ؛ وهوَ ما انفتحَ منهُ بينَ اللَّحْيَين .

_ وثامنُها: إحدى حافَّتي اللِّسانِ مع ما يليها مِنَ الأضراسِ: للضادِ ، وأكثرُ الناسِ يستعملونَ اليسرىٰ ، ومَنْ قَدَرَ على استعمالِهِما جميعاً . . يُسمَّىٰ : أضبط ، وكذلك كانَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ .

- وتاسعُها: حافَّةُ اللِّسانِ وما يليها واقعاً على الضَّاحكِ والنَّابِ والرَّباعيَةِ والثَّنِيَّةِ: للَّامِ، وهوَ أوسعُ الحروفِ مخرجاً، والثَّنيَّةُ: إحدى الثنايا الأربعِ ؛ وهيَ الأسنانُ الوسطى ؛ اثنتانِ فوقُ ، واثنتانِ تحتُ ، ويليها الرَّباعيَاتُ بفتحِ الراءِ وتخفيفِ الياءِ ، ويليها الأنيابُ ، ويليها مِنَ الأضراسِ: الضَّواحكُ الربعةُ ، ويليها الطَّواحنُ الاثنا عشرَ ، ويليها النواجدُ المعروفةُ بأضراسِ العقل .

- وعاشرُها : ما يلي حافَّةَ اللِّسانِ واقعاً على الثَّنِيَّتَينِ : للنونِ الظاهرةِ .
- والحادي عشر : طرف اللِّسانِ بينَ المخرجَينِ السابقَينِ : للراءِ المهملةِ .
- والثاني عشر : طرفُ اللِّسانِ مُنطبِقاً على نِطْعِ الحَنَكِ : بكسرِ النونِ وسكونِ الطاءِ ؛ وهوَ ما وراءَ الثنيتينِ الفوقيتينِ للطاءِ والدالِ والتاءِ ، وتُسمَّىٰ لذٰلكَ : الأحرفَ النَّطْعيَّةَ .
- والثالثَ عشرَ : طرفُ اللِّسانِ ممَّا يلي الثنايا : للصاد والزايِ والسينِ ، وتُسمَّى : الأحرفَ الأَسَلِيَّةَ ؛ نسبةً لأَسَلَةِ اللِّسانِ بفتحِ السينِ وهيَ طرفُهُ .
- ـ والرابعَ عشرَ : طرفُ اللِّسانِ مُنطبِقاً على طرفِ الثنيتَينِ : للظاءِ والذالِ .

فالمخارجُ المنسوبةُ للسانِ اثنا عشرَ ، وحروفُها ثمانيةَ عشرَ .

- والخامسَ عشرَ : طرفُ الثنيتَينِ موضوعاً على بطنِ الشَّفَةِ السُّفليٰ : للفاءِ .

- والسادسَ عشرَ : الشَّفَتانِ مُنفتحتَينِ : للواوِ ، ومُنطبِقتَينِ : للميمِ والباءِ ، فالأحرفُ الشَّفَويَّةُ أربعةٌ .

- والسابعَ عشرَ: الخَيْشُومُ: وهوَ ما وراءَ الأنفِ إلى الرأسِ، لغُنَّةِ النونِ والميم في نحوِ: لمَّا وعمَّا.

[صفات الحروف]

هلذا ؛ وأمَّا أوصاف الحروف . . فهي :

الهمسُ: وحروفُهُ يَجمعُها قولُ الجزريِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ: (فحثَّهُ شخصٌ سَكَتْ) (١) ، ويقابلُهُ الجهرُ ، وحروفُهُ ما عدا تلكَ الأحرفَ ، فيُقالُ: الحروفُ المهموسةُ والمجهورةُ ؛ لِمَا في الأُولىٰ مِنَ الخَفاءِ بالنسبةِ للثانيةِ .

والشِّدَّةُ ، والرَّخاوةُ ، والتَّوسُّطُ :

فالشديدة : يَجمعُها قولُه : (أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ) .

والمُتوسِّطةُ : يَجمعُها قولُهُ : (لِنْ عُمَرُ) .

والرِّخوةُ : ما عدا ذلك .

والاستعلاء : وأحرفه : (خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ) ، ويقابلُه : الاستفال .

والإطباقُ: وأحرفُهُ: الصادُ والطاءُ والضادُ والظاءُ، ويقابلُهُ الانفتاحُ، ولا يَخفاكَ مناسبةُ التسميةِ إذا تأمَّلتَ عملَ آلاتِ النطق.

⁽١) انظر « المقدمة الجزرية » (ص ٣) .

والذَّلاقة : وأحرفُها: (فَرَّ مِنْ لَبِّ) ويُقالُ: الأحرفُ الذُّلْقُ ، ويقابلُها الإصماتُ ؛ وهوَ المنعُ ، قيلَ في وجهِ التسميةِ بالمصمتةِ : إنَّها ممنوعةٌ مِنَ الانفرادِ أصولاً في بناتِ الأربعةِ فما فوقُ ، ولذلك حكموا بأعجميَّةِ لفظِ العسجدِ .

والصَّفيرُ: وأحرفُهُ: الصادُ، والزايُ، والسينُ.

والقَلْقَلَةُ: ويُقالُ: اللَّقْلَقَةُ؛ وأحرفُها: (قُطْبُ جَدٍ) فإذا سَكَّنتَ هاذهِ الأحرفَ.. مِلْتَ بها مَيلاً خفيفاً نحوَ الفتحةِ.

واللِّينُ : وحرفاهُ : الواو والياء إذا سَكَنتا وانفتحَ ما قبلَهُما .

والانحرافُ: وحرفاهُ: اللَّامُ والراءُ، ويُقالُ لهُما: المُنحرِفانِ.

قيلَ : ومِنَ الصفاتِ : التكريرُ ، وحرفُهُ الراءُ ، ومعناهُ : أنَّها قابلةٌ للتكريرِ ؟ لكونِها يَرتعِدُ بها اللِّسانُ ، لا أنَّها تُكرَّرُ في النطقِ ، بل يجبُ الاحتراسُ منهُ .

والتفشِّي: وحرفُهُ كما ذكرَهُ جميعُ المُؤلِّفينَ: الشينُ المعجمةُ ، وقالَ بعضُهُم: إنَّهُ صفةُ الفاءِ والثاءِ المثلثةِ والضادِ ؛ وهوَ انتشارُ الهواءِ بالحرفِ واتساعُهُ .

والاستطالة : وحرفُها : الضاد ؛ لأنَّكَ إذا مَكَّنتَها في مَخرَجِها . . وجدتَها مُمتدَّة زيادة عن سائر الحروفِ .

والتفخيم : وأحرُفُه : المُستعلِية .

والترقيقُ : وحروفُهُ : المُستفِلةُ ، وبعضُ الحروفِ _ كالراءِ واللامِ _ تارةً يُفخَّمُ ، وتارةً يُرقَّقُ ؛ كذكرٍ وفِرْعونَ وصرَاطٍ وخيرٍ .

فهاذه صفاتُ الحروفِ التي يَلزمُ المحافظةُ عليها ، سيَّما في تلاوةِ القرآنِ الشريفِ ؛ لتكونَ ممتثلاً أمرَ اللهِ تعالىٰ في قولِهِ : ﴿ وَرَقِلِ الْقُرُوَانَ تَرَتِيلًا ﴾ (١) ، سواءٌ قرأتَ بالترتيلِ ؛ وهوَ التأنِّي ، أوِ الحَدْرِ ؛ وهوَ العجلةُ ، أوِ التدويرِ ؛ وهوَ العجلةُ ، أو التدويرِ ؛ وهوَ التوسُّطُ ، قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنها : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا قرأً . . تُعَدُّ حروفُهُ ، لا كما تَسرُدونَهُ اليومَ) (٢) .

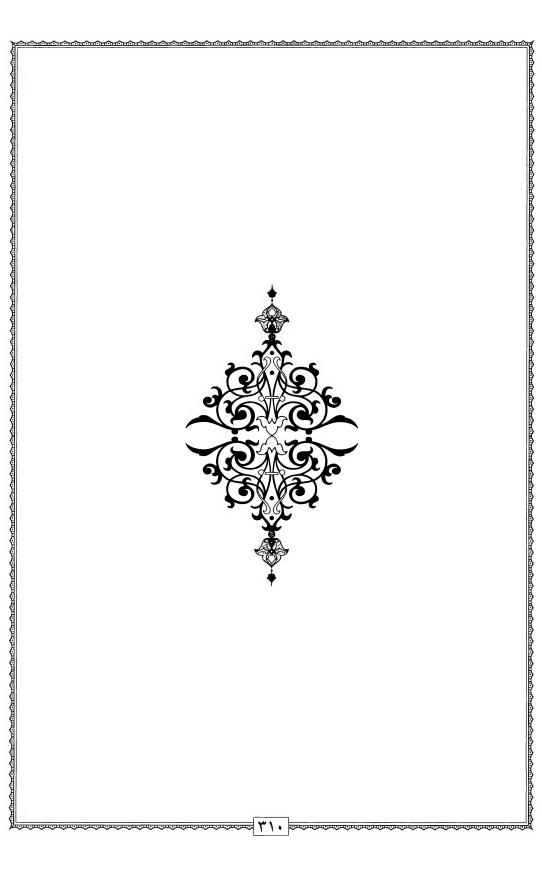
وينبغي للإنسانِ أن يُروِّضَ آلاتِ نطقِهِ ؛ لتكونَ ألفاظُهُ بيِّنةً واضحةً دونَ تَكلُّفٍ ؛ حتى يَخِفَّ على السمع ولا يَمُجُّهُ الطبعُ ، وباللهِ التوفيقُ .

* * *

⁽١) سورة المزمل : (٤).

⁽۲) أخرجه النسائي في « السنن الكبرئ » (۱۰۱۷۳) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (۳۲۳/٦) برقم(۳۲۳) .





[وصيةٌ قبلَ البدءِ بمطالعةِ هنذا العِلْم]

قبلَ المُضيِّ معَكَ في تقريرِ المسائلِ النحْويَّةِ التي بإتقانِها تَعرِفُ كيفَ كانَ فُصحاءُ الأُمَّةِ العربيةِ يَنِطقونَ بلغتِها ، ولِمَ كانَتْ هيئاتُ المُركَّباتِ القرآنيَّةِ على ما أنتَ واجدُها عليه . . لا بدَّ مِنْ دلالتِكَ على السلوكِ الواصلِ بكَ في المُدَّةِ اليسيرةِ إلى المنفعةِ التي هيَ غايةُ كلِّ سعيٍ وطلبٍ ؛ لتلتزمَهُ وتجتنبَ ما عداهُ ، فتكونَ مُمتثِلاً قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : «ٱحْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ ، وَٱسْتَعِنْ بِٱللهِ وَلَا تَعْجِزْ » (١) ، ومُتحقِّقاً مِنْ إصابةِ قولِ القائلِ (١) :

لِمَا نَافِعٍ يَسْعَى ٱللَّبِيبُ فَلَا تَكُنْ لِشَيْءٍ بَعِيدٍ نَفْعُهُ ٱلدَّهْرَ سَاعِيَا وَذَٰلكَ السَلوكُ المُنوَّهُ بِهِ والمدلولُ عليهِ . . هوَ أَن تَجهَدَ كلَّ اجتهادِكَ ، وتَصرِفَ جميعَ هِمَّتِكَ وقتاً ما في تخليصِ الأحكامِ التي اشتملَتْ عليها

العلومُ الآليَّةُ مِنْ سواقطِ الشبهاتِ ، وتناقضِ العباراتِ ؛ حتىٰ يسهلَ عليكَ ضبطُها وجودةُ حفظِها ، ويَتهيَّأُ لكَ ملاحظتُها متىٰ شئتَ ، حيثُ اعترفتَ أنَّها

آلاتٌ وغيرَها المقصودُ.

قالَ أحدُ أكابرِ عقلاءِ الأُمَّةِ ، وقدوةُ سائرِ الأممِ في إخراجِ التاريخِ عن كونِهِ قصصاً وأحاديثَ يُتعجَّبُ منها أو يُضحَكُ عليها ، إلىٰ جعلِهِ أكبرَ مُربِّ للعقولِ ، وأجلَّ مظهرٍ للإنسانيةِ ؛ عبدُ الرحمانِ بنُ خلدونَ رحمةُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ عليهِ : (اعلَمْ : أنَّ العلومَ المتعارفةَ بينَ أهلِ العُمرانِ علىٰ صِنفينِ :

⁽١) أخرجه مسلم (٣٤/٢٦٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضى الله عنه .

⁽٢) انظر « مغني اللبيب » (٣٩١/١) .

علومٌ مقصودةٌ بالذاتِ ؛ كالشَّرعياتِ مِنَ التفسيرِ ، والحديثِ ، والفقهِ ، وعِلْم الكلام ، وكالطبيعيَّاتِ والإللهيَّاتِ مِنَ الفلسفةِ .

وعلومٌ هي آليَّةٌ ووسيلةٌ لهاذهِ العلومِ ؛ كالعربيةِ والحسابِ وغيرِهما للشَّرعياتِ ، وكالمَنطِقِ للفلسفةِ ، وربَّما كانَ آلةً لعِلْمِ الكلامِ ولأصولِ الفقهِ على طريقةِ المُتأخِرينَ .

فأمَّا العلومُ التي هيَ مقاصدُ . . فلا حرجَ في توسعةِ الكلامِ فيها ، وتفريعِ المسائلِ واستكشافِ الأدلةِ والأنظارِ ؛ فإنَّ ذلك يزيدُ طالبَها تمكُّناً في مَلكَتِهِ ، وإيضاحاً لمعانيها المقصودةِ .

وأمَّا العلومُ التي هي آلاتٌ لغيرِها ؛ مثلُ العربيةِ والمَنطِقِ وأمثالِهِما . . فلا ينبغي أن يُنظَرَ فيها إلَّا مِنْ حيثُ هي آلةٌ لذلكَ الغيرِ فقطْ ، ولا يُوسَّعْ فيها الكلامُ ، ولا تُفرَّعُ فيها المسائلُ ؛ فإنَّ ذلكَ مُخرِجٌ لها عنِ المقصودِ ؛ إذِ المقصودُ منها ما هي آلةٌ لهُ لا غيرُ .

فكلَّما خرجَتْ عن ذلك . . خرجَتْ عنِ المقصودِ ، وصارَ الاشتغالُ بها لغواً ، معَ ما فيهِ مِنْ صعوبةِ الحصولِ على مَلَكَتِها ؛ بطولِها وكثرةِ فروعِها ، وربَّما يكونُ ذلك عائقاً عن تحصيلِ العلومِ المقصودةِ بالذاتِ ؛ لطولِ مسائلِها ، معَ أنَّ شأنها أهمُّ ، والعمرُ يَقصُرُ عن تحصيلِ الجميعِ على هذهِ الصورةِ ، فيكونُ الاشتغالُ بهاذهِ العلومِ الآليَّةِ تضييعاً للعمرِ ، وشغلاً بما لا يعنى .

وهاذا كما فعلَ المُتأخِّرون بصناعةِ النحوِ والمنطقِ وأصولِ الفقهِ ؛ فإنَّهُم أوسعوا دائرةَ الكلامِ فيها ، وأكثروا مِنَ التفاريعِ والاستدلالاتِ بما أخرجَها عن كونِها آلةً ، وصَيَّرَها مِنَ المقاصدِ ، وربَّما يقعُ فيها أنظارٌ لا حاجةَ بها في العلومِ المقصودةِ ؛ فهيَ مِنْ نوعِ اللَّغوِ ، وأنَّها مُضِرَّةٌ بالمُتعلِّمينَ على الإطلاقِ ؛

717

لأنَّ المُتعلِّمينَ اهتمامُهُم بالعلومِ المقصودةِ أكثرُ مِنِ اهتمامِهِم بوسائِلها ، فإذا قطعوا العمرَ في تحصيل الوسائل . . فمتى يظفرون بالمقاصدِ ؟!

فلهاذا يجبُ على المُعلِّمينَ لهاذهِ العلومِ الآليَّةِ أَلَّا يَتبحَّروا في شأنِها ، ويُنبِّهوا المُتعلِّمَ على الغرضِ منها ، ويقفوا بهِ عندَهُ ، فمَنْ نزعَتْ بهِ هِمَّتُهُ إلىٰ شيءٍ مِنَ التوغُّلِ . . فليَرْقَ لهُ ما شاءَ مِنَ المراقي ، صعباً أو سهلاً ، وكلُّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ) (١) .

وقالَ في موضع آخَرَ: كانَتْ مُدَّةُ التلميذِ في تونسَ خمسةَ أعوام ، وفي فاسَ ستَّ عشرةَ سنَّةً ، وكانَتِ المنفعةُ في أهلِ تونسَ كثيرةً ، والتقدُّمُ ظاهراً ، وأهلُ فاسَ على خلافِ ذلكَ .

وسببُهُ: أنَّ علماءَ تونسَ جرتْ عادتُهُم أن يسلكوا بالتلامذةِ مسلكَ التعقُّلِ والتفهُّمِ لِمَا تَحفَّظوهُ ، حتىٰ إذا انقضَتْ مُدَّةُ التعلُّمِ . . خرجَ التلميذُ ومعَهُ محصولٌ معقولٌ مفهومٌ يُرشِدُهُ إلىٰ تحصيلِ ما لم يكنْ قد حصلَ لهُ ، ولا يَعجِزُ إلَّا عن بعضِ الأشياءِ ؛ بحيثُ متىٰ رَدَّدَ فكرَهُ أو شاركَ بعضَ إخوانِهِ فيما خَفِيَ عليهِ واستصعبَ . . تَجلَّىٰ لهُ وانقادَ .

وأمَّا أهلُ فاسَ . . فكانَتْ عادتُهُم أن يأخذَ التلامذةُ بحفظِ الكتبِ الطويلةِ ، والعباراتِ العويصةِ ، واللَّغاتِ الحُوشيَّةِ دونَ تَعقُّلِ ، إلَّا أن يكونَ التعقُّلُ قهريًا بديهيًا أو شبيها بهِ .

وبما شرحناهُ مِنَ السببِ وأشباهِهِ تفاوتَ أهلُ الأمصارِ وأجيالُ الأعصارِ في كثرةِ العِلْمِ وثباتِهِ وسرعةِ تحصيلِهِ علىٰ ما كانَ مِنْ صعوبةِ المُؤلَّفاتِ وتقصيرها وكثرةِ أغلاطِها ، كما هوَ شأنُ الأمور المُتجدِّدةِ .

⁽١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٣٧) .

فبتلاحقِ الأفكارِ وتفاوتِ الأنظارِ واختلافِ الأذواقِ . . تَسهلُ المُؤلَّفاتُ ، ويظهرُ الصَّوابُ ، ويَحصُلُ الفائثُ ، حتى تكونَ بمنزلةِ الثمارِ التي بدا صلاحُها وتمَّ نضجُها ، فلسانُ حالِها ينادي : تناولوني ، ولا تَتركوني تُتلِفوني .

ويُنبِّهُكَ على ذلكَ أنَّهُ لم يزلْ عملُ المُتأخِّرينَ لِمَا فيهِ مِنَ المحاسنِ يَنسَخُ عملَ مَنْ سبقَ بهِمُ الزمنُ .

ألا ترى إلى مُؤلَّفاتِ جمالِ الدينِ ابنِ مالكِ كيفَ أبطلَتِ العملَ بما سبقَ مِن التآليفِ ؟! بلِ المُتأخِّرُ مِنْ مُؤلَّفاتِهِ أبطلَ العملَ بالمُتقدِّمِ منها ، وعلى ذلكَ القياسُ .

وبالجملة : فقد تَصفَّتِ العلومُ وتَهذَّبَتْ ، وأمكنَتْ مِنْ نفسِها ، فلا مُعطِّلَ عن سرعة تحصيلِها إلَّا سوءُ طريقة التعليم ، والغفلةُ عنِ المُعوِّقاتِ التي يجبُ اجتنابُها والحذرُ مِنَ الوقوع فيها .

فمِنَ المُعوِقاتِ: المناقشةُ قبلَ فهمِ الأصلِ ، فربَّما تَسمعُ المُعلِّمَ يقولُ: قالَ المُؤلِّفُ كذا وكذا ، فقبلَ أن يُفسِّرَ ألفاظَهُ ويُبيِّنَ الغرضَ منهُ . . يقولُ: وفيهِ شيءٌ ، أو بحثٌ ، أو إشكالٌ ، أو اعتراضاتٌ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الألفاظِ .

ومنها: نقلُ عباراتِ الكتبِ الكبيرةِ في الكتبِ الصَّغيرةِ عندَ تفهُّمِها، ويَجمعُ الناقلُ تلكَ النقولَ في كتابٍ ويُسمِّيهِ: حاشيةً، وربَّما صَعُبَ عليهِ نفسِه بعضُ ما يَنقلُهُ، فيكونُ التلميذُ كمَنْ يَتعلَّمُ السباحةَ في نهرٍ صغيرٍ، فيُكلَّفُ أن يَخرُجَ إلى البحر يقطعُهُ بالسباحةِ!!

ومنها: كثرة التأليفِ في الفنِّ الواحدِ ، وتكليفُ الطالبِ أن يَقرأ جميعَ تلكَ المُؤلَّفاتِ ، فإنَّهُ معَ كونِهِ تكراراً . . مانعُ مِنْ تحصيلِ فنِّ آخَرَ ، وربَّما كانَ سبباً لضياعِ الفنِّ نفسِهِ ؛ فإنَّ الطالبَ إذا تَكرَّرَ استماعُهُ للمسألةِ الواحدةِ . . ملَّ وانصرفَ ذهنهُ عنِ الحضورِ ، فلو فرضنا أنَّ الكتابَ الثانيَ والثالثَ والرابعَ كلُّ يَسْتمِلُ على أمرٍ أو أمورٍ لم يَسْتمِلْ عليها الآخَرُ . . لم يكنْ ذلكَ مفيداً ؛ فإنَّ نفسَ الطالب قد مَلَّتْ ، وذهنهُ قدِ انصرفَ .

وأشدُّ مِنْ ذَلكَ : أنَّ الكتابَ لهُ شرحٌ ، وللشرحِ شرحٌ ، ولشرحِ الشرحِ الشرحِ شرحٌ ، ولشرحِ الشرحِ شرحٌ ، وهَلُمَّ جرّاً ، يريدُ الشارحُ الأوَّلُ أن يُوضِّحَ الكتابَ ويَفتحَ مُقفلَهُ ، فيَعمِدُ الشارحُ الثاني لإغلاقِهِ ، ويزيدُهُ الثالثُ إغلاقاً .

وبالجملة : فالطالبُ يقعُ مِنْ كثرةِ الشُّروحِ المستعملةِ في وقتٍ واحدٍ في أمرٍ عظيمٍ وورطةٍ شديدةٍ ، وتَستشعِرُ نفسُهُ اليأسَ مِنْ تحصيلِ العِلْمِ .

ومِنَ المُعوِّقاتِ: حملُ المُتعلِّمِ على التطبيقِ قبلَ المعرفةِ فضلاً عن جودتِها اللَّازمةِ لذَٰلكَ ؛ مثلاً: يَحضُرُ المُبتدِئُ الذي سمعَ كلمةَ النحوِ ليتَعلَّمَهُ ، فقبلَ أن يَعرِفَ شيئاً ما مِنَ النحوِ يَسمعُ الشيخَ يقولُ: باسمِ اللهِ: الباءُ حرفُ جرِّ أصليٌّ ، ويَشرعُ في تقريرِ الأصليِّ والزائدِ ، ونقلِ الخلافاتِ ، وتكثير الأوجهِ بالعباراتِ الطويلةِ والاستدلالاتِ الدقيقةِ .

فالطالبُ الشديدُ الذكاءِ يَحفظُ تلكَ الألفاظَ ولا يَتعقَّلُ لها معنى ، ويَبقىٰ علىٰ ذلكَ مُدَّةً طويلةً يقرأُ فيها كتباً عديدةً ، فبعدَ انقضاءِ سنواتٍ يكونُ قد تحصَّلَ معَهُ ألفاظٌ كثيرةٌ ، وقد وصلَ لسنِّ الاحتياجِ وتمييزِ النافعِ مِنْ غيرِهِ ، فيَبتدِئُ أن يَتعقَّلَ المرادَ مِنْ تلكَ الألفاظِ ، ويكونُ ذلكَ الوقتُ أوَّلَ طلبِهِ ومعرفتِهِ .

ويَنقسِمُ الطَّلَبةُ حينَئذٍ قسمَينِ :

- أحدُهُما: إنسانٌ تَذكَّرَ منفعةَ الاستكمالِ ، فيأخذُ في التفكُّرِ والتعلُّمِ بنفسِهِ .

- وآخَرُ: يقولُ: إنِّي حَصَّلتُ مَلَكَةَ العِلْمِ ، فأفهمُ الكتبَ وأُعلِّمُ الناسَ ، وأكونُ في درجةِ الفضلاءِ .

فيذهبُ الأوَّلُ صاعداً ، والثاني هابطاً ، حتى يستويا .

فيجبُ ديانةً وعقلاً تداركُ هاذا الخَلَلِ ، واختيارُ أقربِ الطُّرقِ ومُثْلاها ؛ لتصلَ طَلَبةُ العِلْمِ إلى حقيقةِ المعرفةِ ، ويعودَ لهُم شرفُ العلماءِ ، ويظهرَ عليهِم رَوْنقُ التهذُّبِ وجمالُ السيادةِ ، ويكونوا قد حفظوا جوهرةَ العقلِ التي مَيَّزَتْهُم مِنْ بينِ أنواعِ جنسِهِم ، واستعملوها فيما خُلِقَتْ لأجلِهِ ، ويقتطِفَ ثمراتِ الامتثالِ بالدخولِ في المُخاطبينَ بقولِهِ تعالى شأنهُ : ويَتَأَيّها ٱلّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُو تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَلِسِ فَافْسَحُواْ يَقْسَحِ ٱللّهُ لَكُو وَإِذَا قِيلَ الشُرُواْ فَاللّهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾ (١) .

وامتثلوا الأمرَ المُخاطَبَ بهِ النبيُّ والمقصودُ الكلُّ ؛ وهوَ : ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِينِ رَبِّى لِأَقْرُبَ مِنْ هَلَا رَشَدًا ﴾ (٢) .

وقد آنَ أن نمضيَ معَكَ في تقريرِ المسائلِ النحويةِ على ترتيبِ « الخُلاصةِ » لحسنِهِ ، وعمومِ استعمالِها ، والانتفاعِ بها شرقاً وغرباً ، منذُ نظمَها ابنُ مالكِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ؛ فلقد كانَ صادقَ النيَّةِ ، صحيحَ العزم ، شديدَ الاجتهادِ في

⁽١) سورة المجادلة : (١١).

⁽٢) سورة الكهف : (٢٤) .

تأييدِ الإسلامِ ونفعِ المسلمينَ ، حتَّىٰ إنَّ الناسَ بعدَهُ أكثروا مِنْ نظمِ ألفيَّاتٍ مختلفةٍ ، وزادوا فيها على « الخُلاصةِ » ، ولم يُلتفَتْ إليها .

فنقولُ: ينبغي أن نجعلَ الكلامَ في النحوِ منقسماً إلى:

- _ مُقدِّمةٍ .
- _ وخمسةِ أقسامٍ .
 - وخاتمة.

المُقدِّمةُ المُفادِ والتركيبِ ومعنى الكلام]

اعلمْ: أَنَّ الإفرادَ: جعلُ الشيءِ فرداً ليسَ معَهُ آخَرُ ، ويقابلُهُ التزويجُ ؛ وهوَ جعلُ الشيءِ زوجاً يقارنُهُ زوجٌ آخَرُ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١) ، وقالَ : ﴿ وَمِنْ صُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ (٢) .

ثمَّ نقلَهُ النحويونَ كما هوَ شأنُ أكثرِ الألفاظِ المستعملةِ في الفنونِ ؟ فتارةً يريدونَ بالمفردِ : ما ليسَ مُركَّباً مِنَ الألفاظِ ، وتارةً يقابلونَ بهِ المُثنَّىٰ والجمع ، وتارةً يقابلونَ بهِ الجملة ، وطوراً يقابلونَ بهِ المضاف والشبية بهِ .

وأنَّ التركيبَ وضعُ الشيءِ على الشيءِ ، ونُقِلَ إلىٰ جمعِ كلمتَينِ فأكثرَ بحيثُ يفيدُ الاجتماعُ معنىً لم يكنْ قبلُ .

وقد عرفتَ : أنَّ موضوعَ النحوِ . . المُركَّبُ ؛ لكونِهِ يَبحثُ عن أحوالِ الكلماتِ ، حيثُ تكونُ أجزاءً لهُ ؛ مِنَ الإعرابِ والبناءِ ، والتقديمِ والتأخيرِ ، والحذفِ والذِّكرِ ، ولذَّلكَ تَأخَّرَتْ رتبتُهُ عمَّا سبقَهُ من العلومِ العربيةِ ؛ لكونِها تَبحثُ عن المفرداتِ .

وضابطُ المفردِ في هلذا الموضعِ: ما يكونُ إعرابُهُ واحداً وإن كانَ قائماً مِنْ كلمتَينِ يفيدُ كلُّ منهُما معنى ؛ مثلُ: الرجلِ ، وفاطمةَ ، ومصريِّ .

وضابطُ المُركَّبِ: ما يَتعدَّدُ فيهِ الإعرابُ وإن كانَ معناهُ واحداً ؛ كعبدِ اللهِ ، والإنسانِ الكامل ، عَلَمَيْن .

⁽١) سورة النساء: (١).

⁽٢) سورة الذاريات : (٤٩) .

وعرفت: أنَّ الكلام: هوَ المُركَّبُ التامُّ المُشتمِلُ على النسبةِ التامَّةِ التي شأنُها أنْ تُقصَدَ إفادتُها، ويَتلوَها مقطعٌ وفصلٌ بينَها وبينَ غيرِها، سواءٌ قُصِدَتِ الإفادةُ بالفعلِ أم لا، وسواءٌ زاحَتْ جهالةً وحَصَّلَتْ عِلْماً أم لا، وإن كانَ الكلامُ لا يُعتَدُّ بهِ ولا يُعتبَرُ إلَّا إذا وافقَ الحكمةَ الأصليَّةَ في تشريفِ الخالقِ نوعَنا بمزيَّةِ الكلام؛ وهيَ الإفادةُ والاستفادةُ.

وشكَّ أهلُ اللُّغةِ في تفسيرِ الكلامِ: هل هوَ مساوقٌ للقولِ والنطقِ ، أو هوَ ما اكتُفِيَ بنفسِهِ ، ويُستعمَلُ موضعَ التكليمِ كما قالَ شاعرُهُم (''): [من الوافر] فَإِنْ تُمْسِ ٱبْنَةُ ٱلسَّهُ مِيِّ مِنَّا بَعِيداً مَا تُكَلِّمُا كَلَامَا

وإطلاقُ الكلامِ على المعاني النفسيَّةِ المُتعرِّضةِ للعبارةِ عنها . . مجازٌ ، وجعلَها الأخطلُ هي الجديرة باسمِ الكلامِ والأحقَّ بهِ حيثُ يقولُ (٢) :

إِنَّ ٱلْكَلَامَ لَفِي ٱلْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ ٱللِّسَانُ عَلَى ٱلْفُؤَادِ دَلِيلَا وَأَرادَ الأخطلُ بهاذا البيتِ: الردعَ والزجرَ لفريقٍ، والتسليةَ وتسكينَ الخاطر لفريقِ آخَرَ.

وبيانُ ذلك : أنَّ بعضَ الناسِ إذا تَجبَّرَ وعتا ، وساءَتْ أخلاقُهُ ، وقَبُحَتْ أفعالُهُ ، وكانَ معَهُ مِنَ القهرِ والسَّلاطةِ ما يَحبِسُ الألسنَ . . فهوَ مشتومٌ بالضَّميرِ ، ممقوتٌ بالقلوبِ ، مُتمنَّى الزوالِ ، وحَسْبُ امرِئَ جهلاً أن يَعرِفَ بُغْضَ القلوب وشَحناءَ النفوس ويتمادئ في غيّهِ .

وأنَّ بعضَ الناس تَحسُنُ أحوالُهُ ، وتَطيبُ أفعالُهُ ، وتَملأُ الرحمةُ قلبَهُ ،

⁽١) انظر « الأغاني » (٤٧٢٢/١٣) ، والبيت لحاجز بن عوف الأزدي .

⁽٢) انظر « شرح شذور الذهب » (ص ٢٨) .

ثمَّ يَمنَعُ خوفُ ضدِّ غَشومٍ مِنِ انطلاقِ الألسنِ بتقريظِهِ ، والثناءِ عليهِ ، وبثِّ فضائلِهِ ، وللكنَّ القلوبَ منطويةٌ على حُبِّهِ ، ناطقةٌ بمدحِهِ وشكرِهِ ، فهوَ يقولُ : إنَّ العبرةَ بالبواطنِ ، فعندَها الحقائقُ .

وخَصَّ النقلُ الكلمةَ بالقولِ المفردِ ، وفي اللغةِ تُطلَقُ على الجملةِ ، ومنهُ : الكلمةُ الباقيةُ ؛ وهي كلمةُ الإخلاصِ ، وعلى القصيدةِ يقولونَ مثلاً : قالَ امرؤُ القيس في كلمتِهِ الفلانيَّةِ .

والكلمة : بفتح الكافِ وكسرِ اللامِ أو سكونِها وعليهِ تُفتَحُ الكافُ وتُكسَرُ ، ثمَّ إنَّها بمعنى المفردِ : واحدُ الكَلِمِ الذي هوَ اسمُ جنسٍ جمعيٌّ ، موضوعٌ ليُستعمَلَ بالمشيئةِ عندَ الحاجةِ في جميعِ الألفاظِ ، وكلِّ جماعةٍ منها دونَ الاثنينِ والواحدِ ، ويُذكَّرُ ، ويُؤنَّثُ ، ويُفرَقُ بينَهُ وبينَ واحدِهِ بالتاءِ ، كما هوَ شأنُ هلذا النوعِ مِنَ الأسماءِ ، فتقولُ : الكَلِمُ منهُ كَلِمٌ طيِّبٌ ، وكَلِمٌ غيرُ طيبٍ .

[علاماتُ أنواع الكلمةِ]

وعرفتَ تَنوُّعَ الكَلِمِ ، وتَميُّزَ أنواعِهِ الثلاثةِ بالحقائقِ ، ويُذكَرُ لأجلِ التنويرِ على الطالبِ المُبتدِئ وإرشادِهِ بمُرشدٍ محسوسٍ خواصُّ لكلِّ نوعٍ منها ؟ فيُقالُ لهُ :

إذا سمعتَ الكلمةَ مخفوضةَ الآخِرِ ؛ نحوُ : باسمِ اللهِ ، أو منادىً معناها مطلوبُ الإقبالِ بأحدِ الأحرفِ الموضوعةِ لذلكَ ، أو مختومةً بنونٍ ساكنةٍ تُلفَظُ ولا تُكتَبُ ولا يُكتَبُ لها بدلٌ غالباً ، أو مُفتتَحةً به (أل) التعريفيةِ ، أو مسنداً إليها ، أو مضافةً ، أو مُثنَّاةً ، أو مجموعةً . . فاعرف أنَّها اسمٌ .

وإذا رأيتَ الكلمةَ مصحوبةً بتاءٍ ؛ نحوُ : أنا كتبتُ ، وأنتَ كتبتَ ، وهندٌ كتبتْ ، واقرئي ، أو نونٍ ؛ نحوُ : ﴿ لَيُسْجَانَتْ كتبتْ ، أو نونٍ ؛ نحوُ : ﴿ لَيُسْجَانَتْ كتبتْ ،

47.

وَلِيَكُونَا ﴾ (١) ، و﴿ لَأَكِيدَنَّ ﴾ (١) ، و﴿ لَنَشَفَعًا ﴾ (٣) ، أو به (قد) في نحو : قد قامَتِ الصلاةُ ، و﴿ فَدْ يَعْلَمُ ﴾ (١) ، أو بالسين في نحو : سيقولُ ، أو به (سوف) في نحو : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ (٥) . . فاعرف أنَّها فعلٌ .

وتَعرِفُ المضارعَ: بدخولِ (لم) عليهِ في نحوِ: ﴿ لَمْ يَكُنُ ﴾ ('') ، و(لمَّا) في نحوِ: ﴿ لَيْنَفِقَ ﴾ (^) ، و(لا) في نحوِ: ﴿ لِيُنفِقَ ﴾ (^) ، و(لا) في نحوِ: ﴿ لِيُنفِقَ ﴾ (^) ، و(لا) في نحوِ: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ ﴾ (١) .

وتُميِّزُ الماضي : بتاء ؟ نحو : أنا كتبتُ ، وهندٌ كتبَتْ .

وعلامةُ فعلِ الأمرِ: دلالتُهُ على الطلبِ ، وتوكيدُهُ بنونَي التوكيدِ .

[أسماءُ الأفعالِ]

وهنالكَ ألفاظٌ تَدُلُّ على معاني الأفعالِ ولا تَصحبُها سماتُ الأفعالِ وعلاماتُها ، يُقالُ لها: أسماءُ الأفعالِ ؛ لأنَّها وُضِعَتْ ليُستغنى باستعمالِها عنِ النطقِ بألفاظِ الأفعالِ ، وهي مثلُ أفعالِها في التعدِّي واللُّزومِ غالباً ؛ فتقولُ: دَراكِ زيداً ، كما تقولُ: أدركُهُ ، ونَزالِ يا عمرُو ، كما تقولُ: انزلْ .

ومِنَ النادرِ لفظُ (آمينَ) ، فلا تقولُ : آمينَ دعاءَنا ، كما تقولُ : استجبْ دعاءَنا .

⁽١) سورة يوسف : (٣٢) .

⁽٢) سورة الأنبياء: (٥٧) .

⁽٣) سورة العلق : (١٥) .

⁽٤) سورة النور : (٦٣) .

⁽٥) سورة الضحي : (٥).

⁽٦) سورة البينة : (١).

⁽٧) سورة ص ٓ : (٨) .

⁽٨) سورة الطلاق : (٧).

⁽٩) سورة البقرة : (١٩٥) .

وهي أيضاً مثلُ أفعالِها ؛ في أنَّ فاعلَ بعضِها ضميرٌ مستترٌ أبداً ، وبعضَها يكونُ فاعلُه ضميراً مستتراً تارةً ، وتارةً يكونُ اسماً ظاهراً ، وبعضَها في مقابلةِ أفعالٍ ماضيةٍ ، وبعضَها وهو الأكثرُ _ في مقابلةِ أفعالٍ مضارعةٍ ، وبعضَها _ وهو الأكثرُ _ في مقابلةِ أفعالٍ أمريَّةٍ .

ثمَّ إنَّها ثلاثةُ أقسام:

- ـ قسمٌ موضوعٌ مِنْ أَوَّلِ أَمرِهِ اسمَ فعلٍ .
 - ـ وقسمٌ نُقِلَ عن ظرفٍ .
 - وقسمٌ نُقِلَ عن مصدرِ .

فمِنَ الأُوَّلِ: للماضي: هيهاتَ ؛ أي: بَعُدَ ، وشَتَّانَ ؛ أي: افترقَ ، وسَرَعانَ بفَرَ الأُوَّلِ: الماضي: هيهاتَ ؛ أي: أسرعَ ، وبُطْآنَ بضمٍ فسكونٍ ؛ أي: أسطاً .

وللمضارع: وَيْ ؛ أي: أَتعجَّبُ ، وأَوَّهْ ؛ أي: أَتوجَّعُ ، وأُفِّ ؛ أي: أَتوجَّعُ ، وأُفِّ ؛ أي: أَتضجَّرُ ، وَبَخٍ بَخْ بفتحِ باءَيهِما وكسرِ الخاءِ في الأُولىٰ مُنوَّنةً ؛ أي: أستحسنُ وأَتعجَّبُ .

وللأمرِ: تَيْدَ بسكونِ بينَ فتحتَين ؛ أي : ارفق ، وآمينَ ؛ أي : استجب ، وها ؛ أي : خُذْ ، وتُمَدُّ ويُخاطَبُ بها الواحدُ وغيرُهُ بلفظٍ واحدٍ ، وتَتصِلُ بها كافُ الخطابِ مُتصرِّفةً تَصرُّفَ الكافِ الضميرِ ، وتُبدَلُ الكافُ همزةً ، ومنهُ : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِيْيَهُ ﴾ (١) ، وهَيْتَ : كتَيْدَ ، وهِئْتَ : كشِئْتَ ، وهيًّا بفتحِ الهاءِ وكسرِها وتشديدِ الياءِ ، وهَيْتُ : كبَيْتٍ (٢) ؛ أي : أسرعْ ، وهَلُمَّ ؛

⁽١) سورة الحاقة : (١٩) .

⁽٢) كذا في الأصل ، ولعلها : (كحيثُ) .

أي: أَقبِلْ ، وحَيَّهَلَ مثلُ هَلُمَّ ، ويُنطَقُ به (حيَّ) وحدَها ، وتُستعمَلُ في استحثاثِ غيرِهِم غالباً ، ومِنَ استحثاثِ غيرِهِم غالباً ، ومِنَ النادرِ (۱۱):

أَلَا حَيّيا لَيْلَىٰ وَقُولًا لَهَا هَلَا

ومَهْيَمْ: كَمَرْيَمَ ؛ أي: أُخبِرْ (٢).

ومِنَ المنقولِ عن ظرفٍ : عليكَ زيداً ؛ أي : الزمْهُ ، وإليكَ ؛ أي : تأخَّرْ ، وإليَّ ؛ أي : تأخَّرْ ، وإليَّ ؛ أي : أُقبِلْ ، وعندَكَ ، ودونَكَ ؛ أي : خُذْ ، ومكانَكَ ؛ أي : اثبُتْ .

*

ومِنَ المنقولِ عن مصدر لم يُنطقْ لهُ بفعلٍ : بَلْهَ ، بسكونٍ بينَ فتحتَينِ ، قالَ كعبُ بنُ مالكِ الأنصاريُّ في ذكرِ السيوفِ (٣) : [من الكامل] تَذَرُ ٱلْجَمَاجِمَ ضَاحِياً هَامَاتُهَا بَلْهَ ٱلْأَكُفَّ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ

ومعناهُ: اتركْ ، ورُوَيْدَ مُصغَّرَ إروادٍ مصدرِ أرودَ ؛ أي : أمهلَ ، تصغيرَ ترخيمٍ .

وبعضُ أسماءِ الأفعالِ قد يُنوَّنُ وحينَئذٍ يكونُ نكرةً ، ويُسمَّىٰ تنوينُهُ : تنوينَ التنكيرِ .

مثلاً: إذا أردت أن تنهى جليسَكَ عن حديثٍ بعينِهِ مبيحاً لهُ غيرَهُ . .

⁽۱) هاذا صدر بيت للنابغة الجعدي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٣٣) والبيت بتمامه : أَلَا حَيِّيَا لَيْلَىٰ وَقُــولاً لَهَا هَلاَ فَقَدْ رَكِبَتْ أَمْــراً أَغَــرًا مُحَجَّلاً

⁽٣) انظر « خزانة الأدب » (٢١١/٦) .

قلتَ : صَهْ ، دونَ تنوينِ ، معناها : اسكتِ السكوتَ المُتعلِّقَ بهاذا الحديثِ ، وحَدِّثْ ما شئتَ ، وإذا أردتَ أن تنهاهُ عنِ الحديثِ مطلقاً . . قلتَ : صَهِ ، بالتنوينِ ، ومعناهُ : اسكتْ سكوتاً مُتعلِّقاً بكلِّ حديثٍ .

وعلىٰ ذلك : قياسُ ما يَرِدُ عليكَ مِنْ هاذا النوعِ ؛ كمَهْ ومَهِ ؛ أي : انكفِفْ ، وإيهِ وإيهٍ ؛ أي : انكفِفْ ،

ومِنْ أسماءِ الأفعالِ ما يقومُ مَقامَ جملةٍ: مثلُ: هَمْهامْ ، ومَحْماحْ ، وحَمْحامْ ، وجَمْعامْ ، وجَمْحامْ ، وبَحْباحْ ؛ بفتحِ فسكونٍ ، ساكنةَ الأواخرِ ؛ أي : لم يبقَ شيءٌ .

[أسماء الأصواتِ]

ويُذكَرُ معَ أسماءِ الأفعالِ ألفاظٌ يُقالُ لها: أسماءُ الأصواتِ ؛ وهيَ نوعانِ : - الأوَّلُ: الألفاظُ التي تُخاطَبُ بها الحيواناتُ ؛ مثلُ (هَلَا) في زجرِ الخيل ، و(عَدَسْ) في زجرِ البغالِ .

_ والثاني : الألفاظُ التي تُحكىٰ بها الأصواتُ المسموعةُ مِنَ الحيواناتِ وغيرِها ؛ كقولِهِم في حكايةِ صوتِ الغُرابِ : (غاقْ غاقْ) ، وفي حكايةِ صوتِ النُّبابِ (خازِ بازِ) ، وفي حكايةِ صوتِ السيفِ في الضَّريبةِ (قَبْ قَبْ) .

ومَنْ أرادَ التوسَّعَ في معرفةِ أسماءِ الأفعالِ والأصواتِ . . فعليهِ بكتبِ اللغةِ ؛ فإنَّها موضعُ ذلكَ ، وإنَّما يذكرُها النحويُّ لتنبيهِ المُتعلِّمينَ ، وحفظِهِم مِن اعتقادِ كونِها أفعالاً ؛ حيثُ دَلَّتْ دلالتَها وأفادَتْ معانيَها .

وبما أوردناهُ في هذا الموضع . . تستغني عن وضع باب الأسماء الأفعالِ .

القسمُ الأوَّلُ في الإعرابِ والبناءِ ، والمُعرَبِ والمَبنيّ

الإعرابُ: كلمةٌ مُشتَركةٌ بينَ معانٍ كثيرةٍ ، منها الإبانةُ والإظهارُ ، وهوَ الأنسبُ بالمعنى المنقولِ إليهِ ، الذي هوَ الآثارُ المختلفةُ على آخِرِ الكلمةِ المُركَّبةِ حَسَبَ اختلافِ الاقتضاءِ ؛ لتمييزِ المعاني المتعاقبةِ على الكلمةِ مِنَ الفاعليةِ والمفعوليةِ وغيرهِما .

والبناءُ: وضعُ حجرٍ على حجرٍ بلاصقٍ بينَهُما ؛ لحفظِ الصورةِ المرادِ بقاؤُها ، نُقِلَ إلى حالةِ آخِرِ الكلمةِ اللَّازمةِ التي لا تَتبدَّلُ معَ اختلافِ المقتضياتِ .

أنواعُ الإعرابِ أربعةٌ : رفعٌ ، ونصبٌ ، وخفضٌ ، وجزمٌ .

الرفعُ: ضمةٌ ، وأَلِفٌ ، وواوٌ ، ونونٌ ، يُقالُ للضمَّةِ: أصلٌ ، وللأحرفِ الثلاثةِ: نائبةٌ عنها.

والنصبُ : فتحةٌ ، وأَلِفٌ ، وياءٌ ، وكسرةٌ ، وحذفُ نونٍ ، كسابقِهِ : أصلٌ ، ونائبٌ .

والخفضُ : كسرةٌ ، وياءٌ ، وفتحةٌ كذلكَ .

والجزَّمُ: سكونٌ ، وحذفُ حرفِ عِلَّةٍ ، وحذفُ نونٍ ، أصلٌ ونائبانِ .

والبناءُ أربعةُ أنواع : سكونٌ ، وفتحٌ ، وضمٌّ ، وكسرٌ .

وينوبُ عنِ السكونِ : حذفُ حرفِ عِلَّةٍ وحذفُ نونٍ ، وينوبُ عنِ الفتحِ : ياءٌ وكسرةٌ ، وينوبُ عنِ الضمِّ : أَلِفٌ ، ولا ينوبُ عنِ الكسرِ شيءٌ ، وسيردُ عليكَ مواضعُ ما ذُكِرَ ، فلتكنْ علىٰ ذُكْرٍ منهُ .

* * *

[أصناف المَبنيّ]

المبنيُّ: موضعُ البناءِ ؛ وهوَ: جميعُ الحروفِ ، وجميعُ الأفعالِ الماضيةِ ، وجميعُ الأفعالِ الماضيةِ ، وجميعُ الأفعالِ الأمريةِ ، والفعلُ المضارعُ المُتَّصلُ بإحدىٰ نونيِ التوكيدِ أو بنونِ الإناثِ .

ومِنَ الأسماء : الضّمائرُ ، وأسماءُ الإشارةِ ، وأسماءُ الاستفهامِ ، وأسماءُ الاستفهامِ ، وأسماءُ الشرطِ ، وأسماءُ الأفعالِ ، والأسماءُ الموصولةُ ، والأعدادُ المُركَّبةُ مِنْ أحدَ عشرَ إلىٰ تسعةَ عشرَ ، وما أُجريَ مُجراها ؛ كبيتَ بيتَ ، وصباحَ مساءَ ، وأوَّلَ أويومَ يومَ .

والمُركَّباتُ المَزجيَّةُ المختومةُ ب (وَيْهِ) ، واسمُ (لا) والمنادى المفردانِ ، وحيثُ ، وإذ ، وإذا ، وبابُ قبلُ وبعدُ .

ويَحسُنُ _ ولا يجبُ _ بناءُ أسماءِ الزمنِ المضافةِ إلى جملٍ مُصدَّرةٍ بمبنيّ .

ويجوزُ بناءُ كلمةِ (غيرٍ) و(مثلٍ) و(شبهٍ) إذا أُضيفَتْ لمبنيّ .

فما كانَ مِنَ المبنياتِ ساكناً . . فهوَ ساكنٌ أبداً ؛ كه (لم) و(مِنْ) و(كَمْ) ، وكذالكَ المفتوحُ والمضمومُ والمكسورُ ، كذالكَ اللغةُ العربيةُ .

الفعلُ الماضي: إذا اتَّصلَ بغيرِ الأَلِفِ والواوِ مِنَ الضَّمائرِ البارزةِ . . مبنيٌّ على السكونِ ، ومعَ الواوِ على الضمِّ ، وفي غيرِ ذلكَ على الفتحِ ظاهراً أو مُقدَّراً .

والأمرُ الصحيحُ الآخِرِ: في خطابِ الواحدِ وفي خطابِ جماعةِ الإناثِ . . مبنيٌّ على السكونِ ، وفي غير ذلكَ على حذفِ النونِ .

والمُعتلُّ الآخِرِ: مبنيٌّ بحذفِ حرفِ العِلَّةِ في خطابِ الواحدِ، وفي خطابِ جماعةِ الإناثِ مبنيٌّ بالسكونِ، وفي غيرهِما بحذفِ النونِ.

والمُتَّصِلُ بإحدى نونَي التوكيدِ : مبنيٌّ على الفتح .

والمضارعُ المُتصِلُ بإحداهُما : مبنيٌّ على الفتحِ ، والمُتصِلُ بنونِ الإناثِ : مبنيٌّ على السكونِ .

وما كانَ مِنَ الأسماءِ على صورةِ المُثنَّىٰ: مبنيٌّ على الأَلِفِ في مواضعِ الرفع ، وعلى الياءِ في مواضع النصبِ والخفضِ .

ويُبنى (الذينَ) الدالُّ على الجماعةِ بالياءِ مطلقاً .

وجمعُ المُؤنَّثِ السالِمِ في موضعِ النصبِ حيثُ يَستحِقُّ البناءَ . . مبنيُّ على الكسر .

والمُعرَبُ غيرُ ما ذُكِرَ .

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الإعرابِ تمييزَ المعاني المتواردةِ على الكلمةِ . . كانَ حقُّ الأسماءِ ألَّا يُبنى منها شيءٌ ، ولذلكَ تجدُ النحويينَ يلتمسونَ العِلَّةَ لبناءِ ما بُنِيَ منها ؛ فيقولونَ : إنَّما بُنِيَتِ الضَّمائرُ لأمرَين :

ـ الأوَّلُ: أنَّ كثيراً منها كائنٌ مِنْ حرفٍ أو حرفَينِ ، وتلكَ حالُ أكثرِ الحروفِ ، ويُسمُّونَ ذلكَ بالشَّبَهِ الحروفِ ، ويُسمُّونَ ذلكَ بالشَّبَهِ الوضْعيّ .

_ والثاني : أنَّ الضَّمائرَ أنواعٌ ، كلُّ نوعٍ منها مُختصٌّ ببابٍ ، فلم تتواردْ عليها المعاني .

مثلاً : التاءُ المضمومةُ في نحوِ (كتبتُ) مُختصَّةٌ بالفاعليَّةِ ، وكلمةُ (أنا) مُختصَّةٌ بالابتداءِ ، وهلكذا .

وبُنِيَتْ أسماءُ الشَّرطِ ؛ لتضمُّنِها معنى (إنْ) .

وأسماءُ الاستفهام ؛ لتضمُّنِها معنى الهمزةِ و(أَمْ) .

وأسماء الإشارة ؛ لتضمُّنِها معنى (أل) التعريفية .

ويمكنُ اعتبارُ ذلكَ في الضَّمائرِ أيضاً ، ويُسمُّونَ ذلكَ : الشَّبَهَ المعنويَّ .

وبُنِيَتْ أسماءُ الأفعالِ ؛ لأنّها لا يُؤثِّرُ فيها عاملٌ لفظيٌّ ، وهيَ مُؤثِّرةٌ في غيرِها بسببِ نيابتِها عنِ الفعلِ ، فأشبهَتْ (إنَّ) التي معناها : أُحقِّقُ ، و(للكنَّ) التي معناها : أستدركُ ، ويُسمُّونَهُ : الشَّبَهَ الاستعماليَّ .

وبُنِيَتِ الأسماءُ الموصولةُ و(حيثُ) و(إذ) و(إذا) لافتقارِها في تحصُّلِ عينِ المرادِ بها إلى ضميمةِ جملةٍ ، كما أنَّ الحرفَ لا يَتحصَّلُ معناهُ المرادُ إلَّا بضميمةٍ ، ويُسمُّونَهُ: الشَّبَهَ الافتقاريَّ .

وبُنِيَ العددُ المُركَّبُ وما أشبهَهُ ؛ لتضمُّنِهِ معنى حرفِ العطفِ .

وبُنِيَتْ (قبلُ) و(بعدُ) وقَبِيلُهُما لتضمُّنِها معنىٰ (أل) التعريفيةِ .

وأثبتَ بعضُ النحويينَ مُوجِباً للبناءِ ، وسمَّاهُ: الشَّبَهَ اللفظيَّ ، وجعلَ المبنيَّ بهِ لفظَ (لدىٰ) و(علىٰ) والكافِ ؛ حيثُ استُعمِلَتْ (علىٰ) وما بعدَها أسماءً .

ولا تَرِدُ لفظةُ (إلى) بمعنى النعمةِ مفردَ الآلاءِ ؛ لكونِها مقصورةً كالفتىٰ والعصا ، فكما تقولُ : فتاكَ وفتى بالأَلِفِ والتنوينِ . . تقولُ : إلاكَ وإلى ، فلم تُشبِهُ (إلى) الحرفيةَ ، بخلاف (لدىٰ) فإنَّها لا تُنوَّنُ ، وإذا أضفتَها . . قلتَ : لديكَ ولدينا ، كما تقولُ : عليكَ وعلينا .

أصناف المُعرَب

الاسمُ المفردُ وجمعُ التكسيرِ المُنصرِفانِ الصحيحا الآخِرِ: يُرفعانِ بضمَّةٍ ظاهرةٍ ، ويُنصَبانِ بفتحةٍ ظاهرةٍ ، ويُخفَضانِ بكسرةٍ ظاهرةٍ ، وغيرُ المُنصرِفَينِ : يُخفَضانِ بفتحةٍ ظاهرةٍ نيابةً عن الكسرةِ .

والمُعتلَّانِ بِالأَلِفِ: تُقدَّرُ فيهِما الحركاتُ الثلاثُ ؛ لامتناعِ تحريكِ الأَلِفِ. والمُعتلَّانِ باللياءِ المكسورِ ما قبلَها: يُقدَّرُ فيهِما ما عدا الفتحة ؛ لثقلِ تحريكِها بغيرها.

والمُعتلَّانِ غيرُ المُنصرِفَينِ : تُقدَّرُ فيهِما الحركتانِ إلَّا فتحةَ النصبِ في المنقوص ، ويُقالُ : مخفوضٌ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ نيابةً عن الكسرةِ .

المُضافُ إلىٰ ياءِ المُتكلِّمِ: تُقدَّرُ فيهِ الحركاتُ الثلاثُ ؛ لاشتغالِ آخِرِهِ بالكسرةِ المجلوبةِ لمناسبةِ الياءِ قبلَ جعلِ ذلكَ المضافِ جزءَ كلامٍ ، فتَعذَّرَتْ ولم تمكنْ حركاتُ الإعراب .

وتُقدَّرُ الحركاتُ أيضاً في الجملِ المجعولةِ أعلاماً ، وفي الأعدادِ المُركَّبةِ المُسمَّىٰ بها إذا حكيتَها ولم تُعرِبْها لفظاً ؛ لجوازِ الأمرَينِ فيها .

أبوك ، وأخوك ، وحموها ، وفوه ، وذو جاه : مُخرَجةٌ مِنْ حكم المفرداتِ ، فهي مُعرَبةٌ بالواوِ رفعاً ؛ نيابةً عنِ الضمةِ ، وبالأَلِفِ نصباً ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ ، وبالياءِ خفضاً ؛ نيابةً عنِ الكسرةِ ، بشرطِ ألَّا تُصغَّر ، ولا تُجمَع ، ولا تُضاف للياءِ ، ولا تُثنَى ، ولا تقطع عنِ الإضافةِ ، وإلَّا . . أُعرِبَتْ بالحركاتِ أو بإعراب المُثنَىٰ .

المُثنَّىٰ: إعرابُهُ حرفانِ: أَلِفٌ مكسورٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الضمَّة ، وياءٌ ساكنةٌ مفتوحٌ ما قبلَها مكسورٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عن الفتحةِ والكسرةِ .

وأُلحِقَ بهِ : اثنانِ واثنتانِ ، وكِلا وكِلتا مضافتَينِ لضميرٍ ، وإلَّا . . فهُما مِنَ المقصور .

جمعُ المُذكَّرِ السالمِ (''): إعرابُهُ حرفانِ: واوٌ مضمومٌ ما قبلَها مفتوحٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الضمةِ ، وياءٌ ساكنةٌ سكوناً مرسلاً مكسورٌ ما قبلَها مفتوحٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ والكسرةِ .

وأُلحِقَ بهِ: بابُ عشرينَ ، وأُولو جاهٍ ، وما شذُّوا بجمعِهِ على هاذهِ الصِّيغةِ ؛ كأَرَضينَ ، وسِنينَ وبابِهِ ؛ مِنْ جمعِ كلِّ كلمةٍ ثُلاثيَّةٍ حُذِفَتْ لامُها وعُوِّضَ عنها تاءُ التأنيثِ ؛ كعِضِينَ وعِزِينَ ، وما سُمِّيَ بِه مِنْ ذلكَ .

جمعُ المُؤنَّثِ السالم: تنوبُ فيهِ الكسرةُ عنِ الفتحةِ ، فإعرابُهُ حركتانِ .

الفعلُ المضارعُ المُعَربُ: لهُ أربعةُ أحوالٍ:

- الأُولىٰ: أن يكونَ صحيحَ الآخِرِ ، غيرَ مُتَّصلٍ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ التي هي : واوُ الجماعةِ ، وأَلِفُ الاثنينِ ، وياءُ المخاطبةِ ، وإعرابُهُ إذاً : رفعٌ بضمَّةٍ ظاهرةٍ ، ونصبٌ بفتحةٍ ظاهرةٍ ، وجزمٌ بسكونٍ .

_ الحالةُ الثانيةُ : أن يكونَ مُعتلَّ الآخِرِ بالأَلِفِ ؛ فيُرفَعُ بضمَّةٍ مُقدَّرةٍ ، ويُنصَبُ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ ، ويُجزَمُ بحذفِ الأَلِفِ نيابةً عنِ السكونِ .

_ الحالةُ الثالثةُ : أن يكونَ مُعتلَّ الآخِرِ بالواوِ أوِ الياءِ ؛ فيُرفَعُ بضمَّةٍ مُقدَّرةٍ لثقلِ تحريكِهِما بها ، ويُنصَبُ بفتحةٍ ظاهرةٍ لخفتِهِ ، ويُجزَمُ بحذفِها نيابةً عنِ السكون .

⁽۱) يصح في كلمة (السالم) أن تكون نعتاً للمضاف، وأن تكون نعتاً للمضاف إليه، والأرجح: أن تكون نعتاً للمضاف إليه والأرجح: أن تكون نعتاً للمضاف إليه والشيئة الصبان على المضاف الله والله والله والله والله والمسالمة في الحقيقة للمضاف المسالم والمسالم والمسالم

- الحالةُ الرابعةُ: أن يَتصِلَ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ ؛ فيُرفَعُ بالنونِ نيابةً عنِ الضَّمةِ ، ويُنصَبُ ويُجزَمُ بحذفِها نيابةً عنِ الفتحةِ والسكونِ ، وهاذهِ فائدةُ تلكَ النونِ .

هاذا ؛ ولقائلٍ أن يقولَ : إنَّكم قلتُم : إنَّ الغرضَ مِنَ الإعرابِ تمييزُ المعاني المتواردةِ على الكلمةِ ، وكيفَ يَحصُلُ ذلكَ معَ نيابةِ حركةٍ عن حركةٍ ، وحرةٍ ، وحرةٍ ، وحرفٍ واحدٍ عن حركتينِ ، ومعَ كونِ الإعرابِ تقديريًا ؟

فيُقالُ لهُ: إنَّ الإنسانَ يَنشأُ خاليَ الذِّهنِ ، مطبوعاً فيهِ حبُّ المعرفةِ ، للكنْ في أوَّلِ أمرِهِ يكونُ مشغولاً بالمحسوساتِ ، فَرِحاً بالاطِّلاعِ عليها ، طالباً لمعرفةِ أسمائِها ، دونَ أن يَسرِيَ في المعقولات ، فينبغي كما تقتضي الحكمةُ أن يكونَ تعريفُهُ في هاذه الحالةِ بأمورِ ظاهرةٍ وعلاماتٍ محسوسةٍ .

فإذا انتقلَ عن هذه الحالة ، وتراسخَتْ عندَهُ المعاني ، وصارَ موكولاً إلى تعقُّلِهِ . . أُحيلَ في المعرفة على إدراكِ ارتباطِ الكلماتِ في التراكيبِ ، واستغنى بذلك عن العلاماتِ الظاهرةِ والتمييز بها .

* * *

القسمُ الثاني في الجملةِ الاسميَّةِ

الجملةُ الاسميّةُ: هي المُصدَّرةُ بالاسمِ ، ويُقالُ لأحدِ جزأَيها: مبتدأً ، وللجزءِ الآخَر: خبرٌ ؛ نحوُ: العلمُ نافعٌ ، والأدبُ حسنٌ .

فالعلمُ والأدبُ: مبتدآنِ ، ونافعٌ وحسنٌ: خبرانِ .

المبتدأ قسمان : مبتدأٌ حقيقة وصورة ، ومبتدأٌ صورة فعلٌ حقيقة .

ويُسمَّى القسمُ الأوَّلُ: المبتدأَ ذا الخبرِ ، ويُسمَّى القسمُ الثاني: المبتدأَ ذا المرفوع المغني عنِ الخبرِ .

* * *

بيانُ المبتدأ ذي الخبر

هوَ اسمٌ ظاهرٌ ، صريحٌ أو مُؤوَّلٌ ، أو ضميرٌ يَلحَظُ العقلُ معناهُ أوَّلاً ليحكمَ عليهِ بحالٍ مِنْ أحوالِهِ أو بحالٍ مِنْ أحوالِ مُتعلَّقِهِ .

فالاسمُ الصَّريحُ: نحوُ: زيدٌ قائمٌ، والزيدانِ قائمانِ، والزيدونَ قائمونَ، والرجالُ قُوَّمٌ، وهندٌ قائمةٌ، والهندانِ قائمتانِ، والهنداتُ قائماتٌ، والهُنودُ قُوَّمٌ، والفتى حاصرٌ، وغلامي شاهدٌ، والقاضي حاكمٌ.

والاسمُ المُؤوَّلُ: نحوُ: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (١) ، وما تَقرأُ العلمَ حسنٌ ، ومُعتقدي أنَّكَ فاضلٌ .

وأمَّا الضَّميرُ: فهوَ: أنا قائمٌ ، ونحنُ قائمانِ ، وقائمونَ ، وأنتَ قائمٌ ، وأنتِ قائمٌ ، وأنتِ قائمٌ ، وأنتِ قائمةٌ ، وأنتُما قائمانٍ ، وأنتُم قائمونَ ، وأنتُم قائمونَ ، وهُما قائمانِ ، أو قائمتانِ ، وهم قائمونَ ، وهُنَ قائماتٌ .

وهاذهِ الضَّمائرُ تُسمَّىٰ : ضمائرَ الرفعِ المُنفصِلةَ ؛ لأنَّها لا تقعُ إلَّا مبتدأً ، أو فاعلاً ، أو نائباً عن الفاعل ، والكلُّ مرفوعٌ .

وفي اللغة العربية ضميرٌ يُسمَّىٰ: ضميرَ الشأنِ أوِ القِصَّةِ ؛ وهوَ ضميرُ غائبٍ أو غائبةٍ لا يَتقدَّمُ لهُ مَرجِعٌ ، بل يكونُ عبارةً عن مضمونِ جملةٍ تُذكرُ بعدَهُ ، وتُسمَّىٰ : مُفسِّرةَ الضَّمير .

وذلكَ إِنَّمَا يُستَعْمَلُ في الأخبارِ الخطيرةِ ؛ نحوُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدُّ ﴾ (٢) ،

⁽١) سورة البقرة : (١٨٤) .

⁽٢) سورة الإخلاص : (١).

فلفظُ (هوَ) ضميرُ غائبٍ لم يَتقدَّمْ له مَرجِعٌ ، بل هوَ عبارةٌ عن مضمونِ الجملةِ بعدَهُ ؛ وهيَ : اللهُ أحدٌ ، فهيَ مُفسِّرتُهُ ، ونحوُ (١) : [من الطويل] هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ

ويُؤتىٰ بهاذا الضَّميرِ مُذكَّراً ، ويُسمَّىٰ ضميرَ الشَّأْنِ إِن كَانَ عمدةُ الجملةِ بعدَهُ مُذكَّراً ، ويُؤتىٰ بهِ مُؤنَّناً ويُسمَّىٰ ضميرَ القصَّةِ إِن كَانَ عمدتُها مُؤنَّناً .

فالمبتدأُ ذو الخبرِ : اسمٌ صريحٌ ظاهرٌ ، أو اسمٌ مُؤوَّلٌ ، أو ضميرٌ معتادٌ ، أو ضميرُ معتادٌ ، أو ضميرُ شأنٍ ، وهاذا القسمُ يجبُ أن يطابقَهُ المرفوعُ الذي معَهُ _ وهوَ خبرُهُ _ إفراداً وتثنيةً وجمعاً ، وتأنيثاً وتذكيراً ، كما سبقَ في الأمثلةِ ، فلا يجوزُ أن يُقالَ : الزيدانِ قائمٌ ، مثلاً ، بل : قائمانِ .

بيانُ المبتدأ ذي المرفوع المغني عن الخبرِ

هوَ كلُّ اسمِ فاعلٍ أو اسمِ مفعولٍ ولو تأويلاً ، نُفِيَ أو استُفهِمَ عنهُ ؛ نحوُ : ما قائمٌ الزيدانِ ، وما مضروبٌ العمرانِ ، وأَذاهبٌ أخوكَ ؟ وهل أسدٌ هوَ ؟ ولا مُؤدَّبٌ غلاماكَ ، وغيرُ ضائع عملٌ مُخلَصٌ ، و (٢) : [من المديد]

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَىٰ زَمَنٍ يَنْقَضِي بِٱلْهَمِّ وَٱلْمِحَنِ و^(٣):

غَيْرُ لَاهِ عِـدَاكَ فَـاُطَّرِحِ ٱلـلَّـهُ ــ وَ وَلَا تَـغْـتَـرِدْ بِـعَـارِضِ سَـلْـمِ وَلا قائمٌ إلَّا زيدٌ .

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ وَلِللَّهْ رِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ

⁽۱) صدر بيت لعلي بن الجهم في « ديوانه » (ص ۱۷۲) ، والبيت بتمامه :

⁽۲) انظر « خزانة الأدب » (۳٤٥/۱) .

⁽٣) انظر « مغنى اللبيب » (٨٨٦/٢) .

وهاذا القسمُ يُقالُ في إعرابِهِ: الوصفُ مبتدأٌ ، والمرفوعُ بعدَهُ فاعلُهُ أغنىٰ عنِ الخبرِ ، ونائبُ فاعلِهِ كذلكَ ، ما لم يَخرُجْ إلىٰ بابٍ آخَرَ ، وإلَّا . . سُمِّيَ بالاسم الذي لهُ في ذلكَ البابِ .

للكنْ إذا كانَ النافي اسماً . . جُعِلَ هوَ المبتدأَ ، وأُضيفَ للوصفِ .

وشرطُ تَعيُّنِ هاذا الإعرابِ في هاذا القسمِ: ألَّا يَشتمِلَ الوصفُ علىٰ علامةِ تثنيةٍ ، أو علامةِ جمعٍ ؛ لأنَّ الوصفَ حينَئذٍ عُومِلَ لفظُهُ معاملةَ الفعلِ ، فأُسنِدَ للمُثنَّىٰ والجمعِ وهوَ بصورةٍ واحدةٍ ، كما أنَّ معناهُ معنى الفعلِ ؛ إذ عرفتَ أنَّهُ فعلٌ حقيقةً واسمٌ صورةً ، فلا يَصِحُّ أن يكونَ خبراً مُقدَّماً ، والمرفوعُ مبتداً مُؤخَّراً ؛ لعدمِ التطابقِ الواجبِ بينَ المبتدأ ذي الخبرِ وخبرهِ .

فلو طابقَ الوصفُ المرفوعُ في التثنيةِ والجمعِ على حدِّ المُثنَّىٰ . . تَعيَّنَ أَن يكونَ الوصفُ خبراً مُقدَّماً ، والمرفوعُ مبتداً مُؤخَّراً ؛ لوجودِ شرطِهِ ؛ وهوَ التطابقُ ، ولعدمِ إجراءِ لفظِ الوصفِ مُجرى الفعلِ ؛ حيثُ كانَ فيهِ علامةُ التثنيةِ وعلامةُ الجمعِ ؛ إذِ الفعلُ يجبُ تجريدُهُ مِنَ العلامتينِ عندَ إسنادِهِ لغير المفردِ .

وفي غيرِ موضعَيْ تَعيُّنِ أحدِ الإعرابَينِ . . يجوزُ كلاهُما .

فللوصفِ المَنفيِّ أو المُستفهَمِ عنهُ معَ المرفوعِ بعدَهُ ثلاثُ حالاتٍ : تَعيُّنُ الابتداءِ والفاعليَّةِ ، وتَعيُّنُ الخبريَّةِ والابتداءِ ، وجوازُ الأمرَينِ .

فلو جاءَ الوصفُ بعدَ المرفوعِ ، أو لم يكنْ منفيّاً ولا مُستفهَماً عنهُ . . وجبَ المطابقةُ بينَهُ وبينَ المرفوع ، وكانَ مِنَ القسمِ الأوّلِ .

واعلم: أنَّ مِنْ تراكيبِ هاذا القسمِ كلمةَ التوحيدِ كما أشارَ إليهِ

الزمخشريُ (۱) ، حيثُ قالَ : الأصلُ : اللهُ إللهُ ، فقُدِّمَ وأُخِّرَ ، وبيانُهُ : أنَّ مثلَ هاذَا التركيبِ يُقالُ لهُ : عبارةُ القصرِ والتخصيصِ ، ومُفادُهُ : حكمٌ إجماليٌّ يَتفصَّلُ إلى حكمَينِ : إثباتٍ ونفي ؛ فتقولُ : لا إللهَ إلَّا اللهُ ، أصلُهُ : اللهُ اللهُ ، وغيرُهُ ليسَ بإلهِ ، فإذا أردتَ تحويلَهُ إلىٰ عبارةِ الاستثناءِ . . قلتَ : لا شيءَ إللهُ إلى عبارةِ الاستثناءِ . . قلتَ : لا شيءَ إللهُ إلى ألا اللهُ ، أو : لا إللهَ شيءٌ إلَّا اللهُ ، على أن يكونَ التركيبُ مِنَ القسمِ الأوَّلِ ، أو مِنَ القسمِ الثاني ، للكنِ الموجودُ معنا في عبارةِ القصرِ (لا إللهَ) ، فتَعيَّنَ أن يكونَ مِنَ القسمِ الثاني .

فالمحذوفُ المُستثنى منهُ هوَ المرفوعُ بكلمةِ (إللهٌ) ، وذلكَ أنَّهُ ملحوظٌ في معناها الفاعلُ بالقدرةِ عن إرادتِهِ التابعةِ لعلمِهِ ، فهوَ مثلُ : لا أسدَ إلَّا زيدٌ ؛ فالمعنى : لا فاعلَ شيءٍ مِنَ الأشياءِ الموجودةِ إلَّا اللهُ ، فيكونُ هَدْماً قريباً لمُعتقَداتِ الباطل .

* * *

⁽١) في تأليف له مفرد في هاذه المسألة ، كما ذكر ذلك ابن هشام في « مغني اللبيب » (٧٤٦/٢) .

بيانُ الخبرِ

الخبرُ: ما يَلحَظُ العقلُ معناهُ ثانياً ليَحكمَ بهِ على المبتدأ ، أو ليُفسِّرَهُ ويُبيِّنَ المرادَ بهِ .

وهوَ قسمانِ : خبرٌ حقيقيٌّ ، وخبرٌ سببيٌّ .

- فالحقيقيُّ: ما يكونُ حالاً مِنْ أحوالِ المبتدأ المُنتسِبةِ لهُ نسبةَ الفاعليَّةِ ، أو نسبةَ الفاعليَّةِ ، أو مُبيِّناً لحقيقتِهِ ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، ومُكرَمٌ ، وزيدٌ أَكرَمَ ، أو أُكرمَ ، وأكرمَ هُ عمرٌو ، وهنذا القنديلُ ذهبٌ .

- والسببيُّ: ما يكونُ حالاً مِنْ أحوالِ شيءٍ لهُ تَعلُّقٌ بالمبتدأ ، فيكونُ الخبرُ مُنتسِباً لذٰلكَ المُتعلِّقِ ، للكنْ لكونِ الحالِ حالَ مُتعلِّقِ بالمبتدأ يُخبَرُ بها عنه ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ أبوهُ ، وركبتُ فرسَهُ ، وجُلِسَ في دارهِ .

ثمَّ الخبرُ:

_ يكونُ مفرداً جامداً غيرَ مُؤوّلٍ بمُشتقٍ ، فلا يكونُ مُشتمِلاً على ضميرٍ ؟ نحوُ : هذا القنديلُ زجاجٌ ، وهذا الخاتمُ حديدٌ .

- ويكونُ مفرداً مُشتقاً ، فيكونُ مُشتمِلاً على ضميرٍ مُستتِرٍ يعودُ للمبتدأ إن لم يَرفعْ ظاهراً ولا ضميراً مُنفصِلاً ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، تَلحَظُ في قائمٍ معنى (هوَ) ، وهندٌ قائمةٌ ، تَلحَظُ معنى (هوَ) ، والزيدانِ قائمانِ ، تَلحَظُ معنى (هما) ، وهاكذا .

_ ويكونُ مفرداً جامداً مُؤوَّلاً بمُشتقِّ ، فيَشتمِلُ على ضمير كذلك ؛ نحو :

227

زيدٌ أسدٌ ، وعمرٌو ذئبٌ ، وخالدٌ سيفٌ ؛ إذِ المعنى : شجاعٌ يُشبِهُ الأسدَ ، وخَتَّالٌ يُشبِهُ الذئبَ ، وصارمٌ ماضٍ يُشبِهُ السيفَ .

- ويكونُ جملةً فعليَّةً ، ماضويَّةً أو مضارعيَّةً أو أمريَّةً ، وجملةً اسميَّةً ، ولا بدَّ أن تَشتمِلَ على ضميرِ المبتدأ ليَربِطَها بهِ ، ويُعيِّنَ أنَّها خبرُهُ ، ويكونُ مذكوراً أو محذوفاً يَدُلُّ الكلامُ عليهِ ؛ نحوُ : زيدٌ جاءَ ، وعمرُّو ذهبَ أبوهُ ، وخالدٌ يَتكلَّمُ ، وبكرٌ اضربْهُ ، وحسنٌ غلامُهُ ظريفٌ ، والسَّمْنُ مَنَوَانِ بدرهمٍ ؛ أي : منوانِ منهُ ، ويَدُلُّ الكلامُ عليهِ ، والمذكورُ مُستيرٌ وبارزٌ كما رأيتَ .

فالخبرُ مفردٌ أو جملةٌ ، وجميعُ المُشتقَّاتِ إِن كَانَ الملحوظُ فيها المعنى الوصفيَّ . لا تكونُ إلَّا أخباراً أو مبتدآتٍ صوريَّةً ، وإذا كانَ الملحوظُ فيها الموصوفَ . . كانَتْ مبتدآتٍ حقيقيةً وكانَتْ أخباراً ؛ فنحوُ : (زيدٌ ضاربٌ) معناهُ : يضربُ أو سيضربُ ، ف (ضاربٌ) بهاذا المعنى لا يكونُ مبتدأً حقيقياً ؛ لأنَّ الملحوظَ فيه المعنى الوصفيُّ ، فهوَ بمنزلةِ الفعلِ الذي لا يكونُ متذا ً الله مُسنَداً ، ونحوُ : (ضاربُ زيدٍ هوَ ضاربُ عمرٍ و) معناهُ : الشخصُ الذي ضربَ زيداً هوَ الشخصُ الذي ضربَ عمراً ، ف (ضاربٌ) هنا مبتدأٌ حقيقيٌّ وخبرٌ ؛ لأنَّ الملحوظَ فيهِ الموصوفُ ، فهوَ بمنزلةِ الموصولِ الذي يكونُ مُسنَداً ومُسنَداً إليهِ .

ونحوُ: (السَّفرُ الحميدُ في يومِ الاثنينِ)، و(السيرُ الرفيقُ في الأرضِ السَّهلةِ)، و(زيدٌ في الدارِ)، و(عمرٌ وعندَ خالدٍ) مِنْ كلِّ اسمٍ مِنْ أسماءِ الأعيانِ الجواهرِ أو أسماءِ المعاني الأعراضِ، أُخبرَ عنهُ بالكونِ والحصولِ مِنْ غيرِ اعتبارِ حالٍ خاصَّةٍ في مكانٍ أو زمانٍ مُختصَّينِ . . جملةٌ تامَّةٌ مُركَّبةٌ مِنْ عبر اعتبارِ حالٍ خاصَّةٍ المتزمَتْ أنْ تَحذِفَ منها شيئاً ؛ لأنَّهُ يَقرُبُ مِنْ مبتدأً وخبرٍ، للكنَّ اللغةَ التزمَتْ أنْ تَحذِفَ منها شيئاً ؛ لأنَّهُ يَقرُبُ جداً فهمه مِنْ نفس الكلام ؛ فنحوُ: (زيدٌ في الدار) على معنى: زيدٌ

449

حاصلٌ أو كائنٌ أو ثابتٌ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأفعالِ العامَّةِ ، أو حصلَ أو كانَ ، أو يَحصُلُ أو يكونُ ، حَسَبَ ما تريدُ مِنَ الأزمنةِ ؛ فإذا لاحظتَ (حصلٌ) ونحوَهُ . . كانَ مِنْ قبيلِ الخبرِ المفردِ ، وإذا لاحظتَ (حصلَ) أو (يَحصُلُ) . . كانَ مِنْ قبيلِ الخبرِ الجملةِ ، للكنْ ليسَ لكَ أن تَنطِقَ بهِ ، بل عليكَ أن تلاحظهُ فقطْ .

للكنْ أسماءُ الأعيانِ الجواهرِ لا يفيدُ الإخبارُ عنها بالكونِ والحصولِ في الأزمنةِ ؛ مثلاً : إذا قلتَ : (زيدٌ يومَ الخميسِ) أو (عمرٌو في شهرِ العيدِ) . . لم يكنْ مفيداً فائدةً مطلوبةً ، فيكونُ كلاماً غيرَ مُعتدٍّ بهِ .

نعم ؛ قدْ يفيدُ ، كما تقولُ للناسي أو الغاوي : نحنُ في شهرِ رمضانَ ، للكنِ الفائدةُ حينَئذٍ ليسَتْ مِنْ مُجرَّدِ الإخبارِ بالكونِ في الزمانِ ، بل ممَّا يَستتِبعُهُ الكلامُ ؛ إذ معنى (نحنُ في شهرِ رمضانَ) : تَذكَّرْ فلا تأكلْ ولا تشربْ ، أو احترم الشهرَ المُعظَّمَ فلا تَفسُقْ ولا تَفجُرْ . واعتبرْ مثلَ ذلكَ .

وقد تكونُ الأعيانُ مُرتبِطةً بالأزمنةِ تَحدُثُ وتَزولُ مُتجدِّدةً ، فتُشبِهُ المعانيَ التي وضعُها وفطرتُها على التجدُّدِ والتقضِّي بالارتباطِ بالأزمنةِ التي شأنُها ذلكَ ، فيكونُ الإخبارُ عنها بالحصولِ في الزمنِ مفيداً ، كما تقولُ : (الهلالُ الليلةَ) أي : يكونُ ، و(الوَرْدُ في شهرٍ من السنةِ) أي : يَحصُلُ ، و(الرُّطَبُ شهرَينِ) ومنهُ : (اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ) (١)

فاسمُ المعنى يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في المكانِ ، ويُخبَرُ عنهُ بالكونِ في الزمانِ ، واسمُ العينِ يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في الزمانِ إلَّا واسمُ العينِ يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في الزمانِ إلَّا حيثُ الإفادةُ كما رأيتَ ، والاعتمادُ على حصولِ الفائدةِ ؛ فمتى حصلَتْ . . كانَ الكلامُ مُعتدًا بهِ ، ومتى لم تَحصُلْ . . كانَ مِنْ لغو القولِ .

⁽١) كلمة لامرئ القيس . انظر خبره في « معاهد التنصيص » (١٠/١ ـ ١١) .

وإذا توالى مبتدآنِ مُذكّرانِ أو مُؤنّثانِ وأُخبِرَ عن ثانيهِما بحالِ أوّلِهِما بعيثُ تكونُ الحالُ مُنتِسبةً للأوّلِ نسبةً قويّةً كنسبةِ الفاعليَّةِ ، ومُنتسِبةً للثاني نسبةً ضعيفةً كنسبةِ المفعوليَّةِ . . فتكونُ الحالُ حالَ الأوّلِ وصفتهُ بسببِ قُوّةِ نسبتِها إليهِ ، ويَصِحُ الإخبارُ بها عنِ الثاني لكونِها مُنتسِبةً إليهِ ؛ نحوُ : زيدٌ عمرٌو ضاربهُ ، أو ضربهُ ، أو يَضرِبُهُ ، لا فرقَ بينَ الفعلِ وغيرِهِ ، ونحوُ : هندٌ دعدٌ ضاربتُها ، أو مضروبتُها ؛ فزيدٌ مبتدأٌ ، وعمرٌو مبتدأٌ ثانٍ ، وكذا هندٌ ودعدٌ ، فإذا أردتَ أنَّ الضربَ حاصلٌ مِنْ زيدٍ وهندٍ ، واقعٌ بعمرٍو ودعدٍ . . فقد أخبرتَ عن ثانِ المبتدأينِ بحالِ أوّلِهِما ، وهاذهِ إرادتُكَ ونيّتُكَ ، للكنِ فقد أخبرتَ عن ثانِ المبتدأينِ بحالِ أوّلِهِما ، وهاذهِ إرادتُكَ ونيّتُكَ ، للكنِ الكلامُ يأبى بظاهرِهِ أن يفيدَ ذلكَ ؛ إذِ المتبادرُ للفهم : أن يكونَ الخبرُ صفةَ المُخبَرِ عنهُ وحالَهُ ، فيكونُ القريبُ للفهمِ : أنَّ فاعلَ الضربِ عمرٌو ودعدٌ ، ومفعولَهُ زيدٌ وهندٌ .

فالمَخلَصُ مِنْ ذلكَ : أن تأتي بدلَ الضميرِ الذي كانَ واجبَ الاتصالِ والاستتارِ بضميرٍ منفصلٍ مُؤخّرٍ ؛ لأجلِ أن يَدُلَّ ذلكَ على أنَّ الحالَ التي أخبِرَ بها عنِ الثاني ليسَتْ لهُ ، بل هي حالُ الأوَّلِ ؛ فتقولُ : زيدٌ عمرٌو ضاربُهُ هوَ ، وضربَهُ هوَ ، وهندٌ دعدٌ ضاربتُها هيَ ، أو ضربَتْها هيَ . . . إلى غير ذلكَ .

فإذا كانَ المبتدآنِ مُختلِفَينِ تذكيراً وتأنيثاً ؛ نحوُ: هندٌ زيدٌ ضاربتُهُ ، وزيدٌ هندٌ ضاربُها . . كنتَ مستغنياً عن فصلِ الضميرِ ؛ لظهورِ المرادِ بالاختلافِ ، وأنَّ الصفةَ للمبتدأ الأوَّلِ بعلامةِ التذكير والتأنيثِ .

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنْ إعطاءِ النوعِ الإنسانيِّ قُوَّةَ النطقِ أَن يُفِيدَ المُتكلِّمُ بكلامٍ سامعَهُ فائدةً لم تكنْ عندَهُ . . كانَ تَكلُّمُهُ بما يَعرِفُ أَنَّ مُخاطَبَهُ عارفٌ بهِ ضائعاً لغواً لا يُعتَدُّ بهِ ؟ نحوُ : السماءُ فوقَنا ، والأرضُ تحتَنا ، والنارُ حارَّةٌ ،

451

والنخلُ طويلةٌ ، ورجلٌ جاء ، ودارٌ في البلدِ ، وهنذا الغلامُ قائمٌ ، وهنذا الفرسُ يأكلُ ؛ لمَنْ يُبصِرُ ذلك .

هاذا ؛ وقد سبق لك أنَّ الأسماء : إمَّا مُعيِّنةٌ لأشخاصٍ ، وإمَّا مُعيِّنةٌ لأجناسٍ ، وأنَّ الأسماء المُعيِّنة للأجناسِ : إمَّا أن يُرادَ بها أنفسُ الأجناسِ ، وإمَّا أن يُرادَ بها بعضٌ منها مُعيَّنٌ وإمَّا أن يُرادَ بها بعضٌ منها مُعيَّنٌ بواسطةِ عهدٍ أو حضورٍ ، أو بعضٌ مُبهَمٌ ؛ وذلكَ بحَسَبِ الأحكامِ التي تريدُ إفادتها (۱).

فأحكامُ الأشخاصِ غيرُ أحكامِ الأجناسِ ، وأحكامُ الأجناسِ غيرُ أحكامِ جميع الأفرادِ ، وهاكذا .

مثلاً: إذا أردت أن تَجعلَ زيداً مبتداً .. كانَ المحكومُ عليهِ الشخصَ المُسمَّىٰ بزيدٍ ، وإذاً تَحكمُ عليهِ بحالِهِ التي تَعرِفُها لهُ وتريدُ أن تفيدَها مَنْ يَجهلُها ؛ فتقولُ : زيدٌ كاتبٌ ، وعمرٌ و شاعرٌ ، وهاكذا كلُّ لفظٍ تريدُ بهِ شخصاً بعينِهِ ؛ نحوُ : هاذا الغلامُ طبيبٌ ، والذي هوَ قائمٌ بينَ يدَيكَ يَتكلَّمُ بكثيرٍ مِنَ الألسنةِ .

وإذا أردتَ أن تَجعلَ لفظَ الإنسانِ مثلاً مريداً بهِ نفسَ الجنسِ مبتداً.. كانَ المحكومُ عليهِ نفسَ جنسِ الإنسانِ مِنْ غيرِ اعتبارِ أفرادِهِ رأساً، وإذاً تحكمُ عليهِ بالأحوالِ الثابتةِ للأجناسِ؛ فتقولُ: الإنسانُ نوعٌ شريفٌ بفكرِهِ ونطقِهِ، والحيوانُ منهُ مُتفكِّرٌ ومنهُ غيرُ مُتفكِّرٍ، فأمثالُ هاذا يكونُ المرادُ

⁽۱) انظر (۱۱۵/۱ _ ۱۱۱) .

فيها نفسَ الجنسِ ؛ إذ لا يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ فردٍ مِنْ أفرادِ الإنسانِ نوعٌ ، ولا بعضُ الأفرادِ ، ولا كلُّ حيوانٍ منهُ مُتفكِّرٌ ومنهُ غيرُ مُتفكِّرٍ ، ولا بعضُ الأفرادِ .

* *

وإذا أردتَ أن تجعلَ اسمَ الجنسِ ؛ كالإنسانِ ، والحيوانِ ، والغائبِ ، والشاهدِ ، مريداً بهِ جميعَ الأفرادِ مبتداً . . كانَ المحكومُ عليهِ كلَّ فردٍ ؛ فتخبرُ بالأحوالِ العامَّةِ لكلِّ واحدٍ واحدٍ ؛ فتقولُ : الحيوانُ مُتنفِّسٌ مُتيقِّظٌ نائمٌ ، يَصِحُّ ويَمرَضُ ؛ إذ يَصِحُ أن تقولَ : كلُّ حيوانٍ كذلكَ .

وضابطُ ما يُرادُ بهِ جميعُ الأفرادِ : صحَّةُ وضعِ (كلِّ) معَهُ ؛ نحوُ : الغائبُ والشاهدُ معلومانِ للهِ ، يَصِحُّ أَن تقولَ : كلُّ غائبِ وشاهدٍ .

وضابطُ ما يُرادُ بهِ نفسُ الجنسِ : ألَّا يَصِحَّ وضعُ (كلِّ) معَهُ ؛ نحوُ : النخلُ منهُ طويلٌ ومنهُ قصيرٌ ومنهُ مُتوسِّطٌ ، لا يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ نخل .

وإذا أردت أن تَجعلَ اسمَ الجنسِ مراداً بهِ واحدٌ ما مبتداً . أخبرت بالأحوالِ التي تَحصُلُ بأيِّ واحدٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ ؛ كقولِ عمرَ حينَ استُفتِيَ في فديةِ الجرادةِ على قاتلِها في الحجِّ ، فأفتى بالتصدُّقِ بتمرةٍ ، فرأى بعضَ الناسِ يُقلِّلُ ذلكَ : (تمرةٌ خيرٌ مِنْ جرادةٍ) (١) ، فواحدٌ مِنْ آحادِ جنسِ التمرِ يَصلُحُ للفديةِ ، وهوَ خيرٌ مِنَ الجرادةِ .

فتَلخُّصَ : أنَّ المحكومَ عليهِ الذي تَجعلُ اسمَهُ مبتدأً . . هوَ ما يقتضيهِ

⁽١) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٨٢٤٦) .

الحالُ مِنْ واحدٍ مُعيَّنٍ أو غيرِ مُعيَّنٍ ، ومِنْ نفسِ جنسٍ أو جميعِ أفرادِهِ ، وإنَّما المَدارُ على حصولِ الفائدةِ .

وحيثُ كانَ المبتدأُ محكوماً عليهِ موصوفاً ، وكانَ الخبرُ محكوماً بهِ صفةً . . كانَ المناسبُ أن يُقدَّمَ المبتدأُ في النطقِ ، للكنْ أجازَتِ اللغةُ تقديمَ الخبرِ فيهِ حيثُ لم يَحصُلِ اختلالٌ ، فإذا حصلَ اختلالٌ بتقديمِ الخبرِ . . وجبَ تأخيرُهُ وإلزامُهُ موضعَهُ ، وإذا حصلَ اختلالٌ بتقديمِ المبتدأ . . وجبَ تأخيرُهُ وإزالتُهُ عن موضعِهِ ، والاختلالُ الذي يَحصُلُ مِنْ ذلكَ فسادٌ في المعنى الذي تريدُ أن تفيدَهُ .

وقدِ استُقرِئَتِ المواضعُ التي يَحصُلُ فيها فسادُ المعنىٰ بتأخيرِ المبتدأ عنِ الخبرِ ، فؤجِدَتْ خمسةً ، والمواضعُ التي يَحصُلُ فيها فسادُ المعنىٰ بتأخيرِ الخبرِ عنِ المبتدأ ، فؤجِدَتْ خمسةً أيضاً ؛ فأحوالُ المبتدأ معَ الخبرِ ثلاثةٌ :

- ـ جوازُ التقديمِ والتأخيرِ .
 - _ وجوب التقديم .
 - ـ وجوبُ التأخير .

مواضع وجوبِ تقديم المبتدأ

الأوّلُ: كلُّ جملةٍ مُركَّبةٍ مِنْ كلمتَينِ تَصلُحُ كلُّ منهُما لأن تكونَ مبتداً ولأن تكونَ خبراً ؛ فلا يَتعيَّنُ المبتدأُ لكونِهِ مبتداً ، ولا يَتعيَّنُ الخبرُ لكونِهِ خبراً . . إلّا بالرتبةِ بجعلِ المبتدأ أولاً في اللفظِ والخبرِ آخِراً فيهِ ؛ حتىٰ يَتبيَّنَ كونُ الأوّلِ محكوماً عليهِ ، والثاني محكوماً بهِ ، فيفيدُ التركيبُ المعنى المرادَ ، فلو عكستَ . . لتبادرَ إلى الفهمِ بحسبِ هنذا الأصلِ المُقرَّرِ أنَّ المُقدَّمَ مبتدأٌ محكومٌ عليهِ ، والمُؤخَّرَ خبرٌ محكومٌ بهِ ، ويفيدُ التركيبُ حينَئذٍ معنى غيرَ المقصودِ .

مثلاً: تُخاطِبُ إنساناً بقولِكَ: (عدوِّي حبيبُكَ) فهاذا القولُ جملةٌ مُركَّبةٌ مِنْ كلمتَينِ تَصلُحُ كلِّ منهُما لكونِها مبتداً وكونِها خبراً، ف (عدوِّي) مبتدأً، و(حبيبُكَ) خبرُهُ، ولو قلتَ: حبيبُكَ عدوِّي. كانَ (حبيبُكَ) [مبتدأً]، و(عدوِّي) خبراً، ولكلٍّ مِنَ التركيبَينِ معنى يخالفُ معنى الآخرِ؛ فمعنى قولِكَ: (عدوِّي حبيبُكَ): أنَّ الشخصَ الذي أعاديه تُحبُّهُ أنتَ، فأنت عدوِّي؛ لأنَّ مُحِبَّ العدوِّ عدوٌّ.

فالخُلاصةُ: أنَّكَ تريدُ بهاذا التركيبِ أن ترميَ مُخاطَبَكَ الذي يَدَّعي حُبَّكَ والصَّداقةَ لكَ بالكذبِ في دعواهُ ، واتصافِهِ بضدِّها .

ومعنى (حبيبُك عدوِّي): أنَّ الشخصَ الذي تُحِبُّهُ أنتَ أعاديهِ أنا ؛ فأنا أُبغِضُكَ وأكرهُكَ .

فخُلاصةُ الأمرِ مِنْ هاذا التركيبِ: أنَّ المُتكلِّمَ يريدُ أن يُبعِدَ المُخاطَبَ عن نفسِهِ ، ويَصُدَّهُ عن ودادِهِ ، ويُعرِّفَهُ أنَّهُ مكروهٌ لهُ .

فهاذان معنيانِ مختلفانِ ، كلٌّ منهُما مخصوصٌ بتركيبٍ مِنَ التركيبَينِ ، ولا يُستفادُ أحدُهُما إلَّا بتعيينِ المحكومِ عليه ، وتعينِ المحكومِ به ، وذلك لا يَحصُلُ إلَّا بتقديمِ المبتدأ وتأخيرِ الخبرِ ، فوجبا ، فلو نطقتَ بأحدِ التركيبَينِ مريداً بهِ معنى التركيبِ الآخرِ . . كنتَ مخطئاً ؛ إذ لم تُفِدْ مرادَكَ لمخاطبكَ .

وهاذا المعنى هوَ الذي يُعبِّرُ عنهُ النحويونَ بالإلباسِ الذي يجبُ اجتنابُهُ ؟ فالإلباسُ في الكلامِ: كونُهُ يتبادرُ منهُ خلافُ المرادِ بهِ .

ونظيرُ (عدوِّي حبيبُكَ) : (أفضلُ منِّي أفضلُ منكَ) حيثُ تريدُ الاستعلاءَ على مُخاطَبكَ ، و(أفضلُ منكَ أفضلُ منِّي) حيثُ تريدُ الاستدناءَ عنهُ .

فإذا لم تَصلُحْ كلُّ مِنَ الكلمتَينِ لأن تكونَ مبتداً ولأن تكونَ خبراً ، بل تتعيَّنُ إحداهُما لأحدِهِما ، والأُخرىٰ للآخرِ . . لم يجبِ التقديمُ والتأخيرُ ، بل كانَ على أصلِ الجوازِ .

مثلاً: إذا أردت أن تُلحِق صغيراً معلوماً أنّه الصغير بكبيرٍ معلوم أنّه الكبيرُ ، على وجهِ التشبيهِ بإسقاطِ أداةِ التشبيهِ ؛ للمبالغةِ في الإلحاقِ ، كما تقولُ: أبو يوسفَ أبو حنيفة ، على معنى: أنّ أبا يوسفَ التلميذَ مثلُ أبي حنيفة الشيخِ ، فتسقطُ لفظة (مثلٍ) ، وتجعلُ الكلامَ مبتداً وخبراً بلا واسطةٍ ؛ فتقولُ: أبو يوسفَ أبو حنيفة ، فيُعلَمُ أنّ المحكومَ عليهِ بالمشابهةِ واللّحوقِ هوَ أبو يوسفَ ، فهوَ مُتعيِّنٌ لكونِهِ مبتداً ، فلو قُدِّمَ أو أُخِرَ . . لم يختلُ المعنى ، ومِنْ هاذا قولُ الشاعر (۱):

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَبَاعِدِ

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٤٤٤/١) .

الموضعُ الثاني: كلُّ جملةٍ يكونُ خبرُ مبتدئِها جملةً فعليَّةً فاعلُ فعلِها ضميرٌ مُستتِرٌ ؛ نحوُ: كلُّ إنسانٍ لا يَبلُغُ حقيقةَ الشكرِ . . فيجبُ في مثلِ هاذه الجملةِ تقديمُ المبتدأ ؛ إذ لو أخَّرتَهُ . . لتبادرَ كونُهُ فاعلاً ، ويَختلِف المعنى ؛ إذ معنى (كلُّ إنسانٍ لا يبلغُ . . .) : نفيُ البلوغِ عن جميعِ أفرادِ الإنسانِ ، ومعنى (لا يَبلُغُ كلُّ إنسانِ . . .) : نفيُ الكونِ للكلِّ ، فيُحتمَلُ النفيُ عنِ البعضِ والإثباتُ للكلِّ ، فيُحتمَلُ النفيُ عنِ البعضِ والإثباتُ للبعضِ . . .

ويَتعيَّنُ الحملُ عليهِ ما لم تقمْ قرينةٌ على خلافِهِ ؛ لأنَّهُ القَدْرُ المُتيقَّنُ ، وتلكَ العبارةُ يَعُدُّها المنطقيُّ مِنْ أسوارِ الجزئيَّةِ ؛ لأنَّهُ لا يَعتبِرُ غيرَ المُتيقَّنِ ، والغرضُ النصُّ على نفي البلوغِ عنِ الجميعِ ؛ وذلكَ على جعلِ (كلُّ إنسانٍ) مبتدأً ، فيجبُ تقديمُهُ لذلكَ .

فلو كانَ فاعلُ الفعلِ اسماً ظاهراً ، أو ضميراً بارزاً ؛ نحوُ : زيدٌ قامَ أبوهُ ، وزيدٌ قاماً أجوهُ ، وزيدٌ قاموا إخوانهُ . . جازَ تأخيرُ المبتدأ ؛ إذ لا يتبادرُ كونهُ فاعلاً ؛ لاستيفاءِ الفعل فاعلَهُ ظاهراً .

الموضعُ الثالثُ: كلُّ جملةٍ تريدُ أن تَقصُرَ معنى مبتدئِها على معنى خبرِها ، ويُسمَّى : قَصْرَ الموصوفِ على الصفةِ ؛ رَدَّا على مَنْ زعمَ اتصافَهُ بغيرِ المذكورِ ، ويُسمَّى : قَصْرَ قَلْبٍ ، أو زعمَ اتصافَهُ بالمذكورِ وغيرِهِ ؛ ويُسمَّى : قَصْرَ إفرادٍ ، أو قطعاً لشكِّ مَنْ تَردَّدَ في اتصافِهِ بالمذكورِ وغيرِهِ ؛ ويُسمَّى : قَصْرَ تَعيين .

والقصرُ حكمٌ إجماليٌّ يَتضمَّنُ حكمَينِ:

أحدُهُما : إثباتُ المذكورِ .

والثاني : نفيُ غيرِهِ .

نحوُ: إنَّما زيدٌ كاتبٌ ؛ معناهُ: زيدٌ مقصورٌ على الاتصافِ بالكتابةِ ، ليسَ مُتَّصِفاً بغيرِها ، لا وحدَهُ ولا معَها ، وما زيدٌ إلَّا شاعرٌ ؛ أي : مقصورٌ على الاتصافِ بالشعر .

فلو أخّرت المبتدأ فقلت: إنّما قائمٌ زيدٌ . . لتبادرَ كونُهُ مِنْ قَصْرِ معنى الخبرِ على معنى المبتدأ ، ويُسمّى : قَصْرَ الصفةِ على الموصوفِ ، فيكونُ المعنى : أنّ القيامَ ثابتٌ لزيدٍ لا لعمرٍ وحدّهُ أو معَ زيدٍ ، فلو كانَ مرادُكَ هاذا المعنى . . كانَ التركيبُ مِنَ المواضعِ التي يجبُ فيها تقديمُ الخبرِ كما سيأتي .

الموضعُ الرابعُ: كلُّ جملةٍ أجريتَ مبتداً ها مُجرى الشرطِ ، وخبرَها مُجرى الموضعُ الرابعُ: كلُّ جملةٍ أجريتَ مبتداً ها مُجرى المبتدأُ اسماً موصولاً بجملةٍ البجزاءِ ، فأدخلتَ الفاءَ بينَهُما ؛ وذلكَ إذا كانَ المبتدأُ اسماً موصوفةً بجملةٍ استقباليةٍ ، أو موصوفاً بهِ ، أو مُضافاً لأحدِهِما ، أو نكرةً موصوفةً بجملة استقباليةٍ ، أو مضافاً إليها ؛ نحوُ: الذي يَدُلُّني على مطلوبي فلهُ دينارٌ ، والرجلُ الذي يطيعُ الله فلهُ الجنَّةُ ، وغلامُ الذي يَعقِلُ الأمورَ فهوَ مُؤدَّبٌ ، ورجلٌ يُصدِّقُني _ فهوَ حقيقٌ بالثناءِ ؛ إذِ المعنىٰ في ورجلٌ يُصدِّقُني _ فهوَ حقيقٌ بالثناءِ ؛ إذِ المعنىٰ في هاذهِ التراكيبِ هوَ المعنى الذي يُقصَدُ بالجملةِ الشرطيةِ ، كأنَّكُ قلتَ : إن دَلّني أحدٌ علىٰ مطلوبي . . فلهُ دينارٌ .

الموضعُ الخامسُ: كلُّ جملةٍ يكونُ مبتدؤُها كلمةً يجبُ تصديرُها في جملتِها ؛ وهي كلماتُ الاستفهامِ ، وكلماتُ الشرطِ ، وضميرُ الشأنِ ، ومبتدآتُ الأمثالِ ، والمبتدأُ الذي تدخلُ عليه لامُ التأكيدِ التي تُسمَّىٰ : لامَ

الابتداءِ ، يفيدُ بها المُتكلِّمُ جزمَهُ بمضمونِ الخبرِ ؛ نحوُ : مَنْ يكرهُ الحقَّ ؟ استفهاماً ، ومَنْ تُكرِمْهُ . . أُكْرِمْهُ ؛ شرطاً ، وهوَ اللهُ أحدٌ ؛ ضميرَ الشأنِ ، وطُوبيٰ لكَ ، والشرطُ أَملكُ عليكَ أم لكَ ؛ مِنَ الأمثالِ (١١) .

وتقديمُ المبتدأ في هاذا الموضعِ التزامٌ لغويٌّ ، لا [فرارٌ] مِنْ فسادِ معنى ، إلَّا في ضمير الشأنِ .

مواضع تقديم الخبر

خمسةٌ أيضاً:

الموضعُ الأوَّلُ: كلُّ جملةٍ يكونُ معَ مبتدئِها ضميرٌ يعودُ علىٰ شيءٍ في الخبر؛ نحوُ: [من المديد]

لِلْفَتَىٰ عَفْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ لَللَّهُ يَا لَهُ يَا لَهُ يَسْبِقُ مُبيّنُهُ ، فيَنفِرَ السامعُ .

الموضعُ الثاني : كلُّ جملةٍ يكونُ الخبرُ فيها واجبَ التصديرِ ؛ نحوُ : أينَ زيدٌ ؟ وكيفَ عمرٌو ؟ ومِنْ أيّ باب دخولُكَ ؟

الموضعُ الثالثُ : كلُّ جملةٍ تريدُ أن تَقصُرَ معنىٰ خبرِها علىٰ معنىٰ معنىٰ معنىٰ معنىٰ معنىٰ مبتدئِها ؛ نحوُ : إنَّما شاعرٌ زيدٌ ، وما لنا إلَّا الإسلامُ .

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٢٠٦/٢) .

⁽٢) البيت لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٨٠) .

الموضعُ الرابعُ : كلُّ جملةٍ تكونُ مثلَ : ﴿ لِكُلِّ نَبَاإٍ مُّسَتَقَرُّ ﴾ (١) ، وفي كلِّ أرض سعدٌ (١) .

الموضعُ الخامسُ: كلُّ جملةٍ يكونُ مبتدؤُها (أنْ) وصلتَها؛ نحوُ: عندي أنَّكَ فاضلٌ ومرادي أنَّك تَتعلَّمُ؛ إذ لا يَتعيَّنُ كونُ (أنْ) وصلتِها مبتدأً إلَّا بتأخيرِها وتقديم الخبرِ.

وحيثُ كانَ الكلامُ مُنبِئاً عن أحدِ الجزأينِ لو حُذِفَ . . جازَ حذفُهُ ، وكانَ أولى مِنْ ذكرِهِ ؛ مثلاً : إذا سألكَ سائلٌ فقالَ : مَنْ عندَكَ ؟ فجوابُكَ : زيدٌ أو عمرٌو ؛ بالشخصِ الذي يكونُ عندَكَ ، فزيدٌ في جوابِكَ مبتدأٌ لم يُنطَقْ لهُ بخبرٍ ، والكلامُ لكونِهِ جوابَ سؤالٍ . . مُنبئٌ عنِ الخبرِ المحذوفِ ؛ إذِ السائلُ المُخاطَبُ يفهمُ أنَّكَ نويتَ : زيدٌ عندي ، والمدارُ في الكلامِ على فهمِ المُخاطَبِ مرادَ المُتكلِّم .

وإذا سألكَ سائلٌ ب (كيفَ زيدٌ) الذي معناهُ: أصحيحٌ زيدٌ أو مريضٌ مثلاً . . فجوابُكَ : (صحيحٌ) فصحيحٌ خبرٌ لم تَنطِقْ بمبتدئِهِ ، والتقديرُ : زيدٌ صحيحٌ ، والمُخاطَبُ يفهمُ ذلكَ ، فالعمدةُ في الحذفِ : أن يَفهَمَ المُخاطَبُ المحذوفَ بسببِ دليلِ يَدُلُّ عليهِ .

وفي أربعةِ مواضعَ يجبُ حذفُ المبتدأ ، فيكونُ النطقُ بهِ خطأً . وفي أربعةِ مواضعَ يجبُ حذفُ الخبر ، فيكونُ النطقُ بهِ خطأً أيضاً .

⁽١) سورة الأنعام : (٦٧) .

⁽٢) مثل مشهور قاله الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، رأى من أهله وقومه أموراً كرهها ، فرأى من غيرهم مثل ما رأى منهم ، فقال : (في كل أرض سعد بن زيد) انظر « مجمع الأمثال » (0.000) .

مواضعُ وجوبِ حذفِ المبتدأ

الموضعُ الأوَّلُ: الأوصافُ المذكورةُ لغرضِ المدحِ أوِ الذمِّ أوِ الترحُّمِ إذا رُفِعَتْ ؛ نحوُ: زرتُ زيداً الوليُّ ، وارفقْ بخالدِ المسكينُ ، فهوَ على تقديرِ: هوَ الوليُّ ، وهوَ المسكينُ ، وتمامُ القولِ في ذلك يأتي في بابِ النعبِ (١٠).

الموضعُ الثاني: كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ: (في ذَمَّتي لَأَفعلَنَّ كذا) على معنى اليمينِ ؛ فقولُكَ: (في ذَمَّتي) خبرٌ لمبتدأً واجبِ الحذفِ ، تقديرُهُ: في ذَمَّتي يمينٌ أو قَسَمٌ أو حَلِفٌ ، كما تَلحَظُ ، ونظيرُهُ: في ضماني وفي عُنُقي لَأَفعلَنَّ كذا ، على ذلك المعنى .

الموضعُ الثالثُ: كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ: (نِعْمَ الرجلُ عمرٌو ، وبئسَ الإنسانُ خالدٌ) تَمدَّ به (نِعْمَ) ، وتَذُمُّ به (بئسَ) مُعبِّراً عنِ الممدوحِ والمذمومِ الإنسانُ خالدٌ) تَمدَّ به ثمَّ تُعبِّرُ عنهُ باسمِهِ الخاصِّ علىٰ نيَّةِ مبتدأً يكونُ الاسمُ الخاصُّ خبراً عنهُ ؛ فقولُكَ: (نِعْمَ الرجلُ) جملةٌ تامَّةٌ يَفْهَمُ منها المُخاطَبُ الخاصُّ خبراً عنهُ ؛ فقولُكَ: (نِعْمَ الرجلُ) جملةٌ تامَّةٌ يَفْهَمُ منها المُخاطَبُ أَنَّكَ تَمدحُ شخصاً مُعيَّناً ، وعَبَّرتَ عنهُ باسمِهِ العامِّ ، فنفسُهُ تَتشوَّقُ لذكرِ اسمِهِ الخاصِّ ، كأنَّهُ يقولُ: مَنْ هوَ ذلكَ الرجلُ [الذي] تَمدحُهُ ؟ فتقولُ: زيدٌ ، فهاذا المبتدأُ لا يُنطَقُ بهِ .

الموضعُ الرابعُ: نحوُ قولِكَ: (سمعٌ وطاعةٌ) جواباً لِمَنْ يأمرُكَ بأوامرَ، مِنْ كلِّ مصدرِ يَصِحُّ وضعُ الفعلِ موضعَهُ ؛ لأنَّ المقصودَ هوَ المعنى الفعليُّ ؛

⁽١) انظر (٤٨١/١).

إذ معنى قولِكَ: سمعٌ وطاعةٌ: أسمعُ قولَكَ وأُطيعُ أمرَكَ ، فمَنْ يقولُ: سمعٌ وطاعةٌ . . ينوي: أمري وحالي وشأني سمعٌ وطاعةٌ ، فيجبُ حذفُ هذا المبتدأ .

مواضع وجوب حذف الخبر

الموضعُ الأوَّلُ: كلُّ تركيبٍ تبدؤُهُ بلفظِ (لَعَمْرُكَ) أو (لَعَمْرُ اللهِ) أو (لَعَمْرُ اللهِ) أو (لَايمُنُ اللهِ) ، وهاذانِ اللَّفظانِ مُستعملانِ في القَسَمِ ، لا يُستعملانِ في غيرِهِ ، فإذا قلتَ : لَعَمْرُكَ لَأَتبعَنَّ رأيكَ . . فمعناهُ : لَعَمْرُكَ قَسَمي ويميني ، فلفظُ (قَسَمي) خبرٌ مبتدؤُهُ (لَعَمْرُكَ) .

وعمرٌ بفتحِ العينِ وبضمِّها: مُدَّةُ الحياةِ ، للكنْ لم يقعْ في الحَلِفِ إلَّا المفتوحُ ، وكذَّلكَ المعنى ، فالخبرُ اللهِ لأقتديَنَّ بكَ ، فهوَ على ذَٰلكَ المعنى ، فالخبرُ محذوفٌ وجوباً .

الموضعُ الثاني : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ : (كلُّ إنسانٍ وعملُهُ ، وكلُّ عاملٍ ونيتُهُ ، وكلُّ شخصٍ وحرفتُهُ) فإنَّ معناهُ : كلُّ شخصٍ وحرفتُهُ مصطحبانِ ، والواوُ الواقعةُ في التركيبِ تفيدُ معنىٰ (مصطحبانِ) الذي هوَ الخبرُ المحذوفُ مِنْ قولِكَ : (كلُّ شخص وحرفتُهُ) الذي هوَ المبتدأُ المذكورُ ،

⁽١) في الأصل زيادة : (وافعل) .

فلمًّا كانَتِ الواوُ تفيدُ المعيَّةَ والمصاحبةَ قطعاً ، وهوَ معنى الخبرِ . . وجبَ حذفه .

الموضعُ الثالثُ : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ : (نصحي الإخوانَ قابلينَ ، وأخذي المالَ حلالاً ، وأكملُ ما يكونُ الإنسانُ مُتَّقِياً ربَّهُ ، وأقربُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ وهوَ ساجدٌ) إذِ المعنى : نصحي الإخوانَ إذا وجدتُهُم قابلينَ ، وأكملُ ما يكونُ الإنسانُ إذا استمرَّ مُتَّقِياً ، وهاكذا .

وضابطُ هذا الموضعِ: أن يكونَ المبتدأُ مصدراً صريحاً أو مُؤوَّلاً عاملاً في اسمٍ يعودُ عليهِ الضميرُ مِنَ الخبرِ المحذوفِ، أو اسمَ تفضيلٍ مضافاً إلى مصدر كذلك ، فلفظُ (إذا) المُقدَّرُ في هذا التركيبِ هوَ الخبرُ ، حُذِف وجوباً لانفهامِ الكلامِ بدونِهِ ؛ إذ معناهُ: نصحي الإخوانَ حاصلٌ في وقتِ وجدانِهِم قابلينَ للنصحِ ، فهذا المعنى مُنفهِمٌ بلا تأمُّلٍ ولا بُعْدٍ مِنْ قولِكَ: نصحي الإخوانَ في حالِ قَبولِهِم، نصحي الإخوانَ في حالِ قَبولِهِم، وهوَ غيرُ خفيّ .

الموضعُ الرابعُ: كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ ٱللّهِ ٱلنّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (١) ، وهي التراكيبُ المُفتتَحةُ بـ (لولا) التي وضعَتْها اللغةُ لتفيدَ انتفاءَ مضمونِ جملةٍ بسببِ ثبوتِ مضمونِ جملةٍ أخرىٰ ، وتُسمَّىٰ : لولا الامتناعية .

ويقولُ النحويونَ : لولا : لامتناعِ الجوابِ لوجودِ الشرطِ ، فلا بدَّ بعدَها مِنْ جملتَينِ ينتفي مضمونُ ثانيتِهِما بسببِ ثبوتِ مضمونِ أُولاهُما ، وتُسمَّى

⁽١) سورة البقرة : (٢٥١) .

الجملةُ الأُولى : جملةَ الشرطِ ، والثانيةُ : جملةَ الجوابِ والجزاءِ .

لاكنِ الجملةُ الأُولى يجبُ أن تكونَ جملةَ اسميةً مُركَّبةً مِنْ مبتدأً يُذكَرُ وخبرٍ يُحذَفُ وجوباً إذا كانَ وصفاً مِنَ الأوصافِ العامَّةِ التي هي : الكونُ والوجودُ والثبوتُ والحصولُ ؛ فمعنى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَقَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (١) : لولا الدفعُ موجودٌ وحاصلٌ وثابتٌ فيما بينَ الناسِ . . لفسدَتِ الأَرْضُ ، فانتفاءُ فسادِ الأرضِ لثبوتِ وجودِ الدفع .

فلو كانَ سببُ انتفاءِ الجوابِ ثبوتَ صفةٍ خاصَّةٍ ، كما في قولِكَ : لولا زيدٌ يُكرِمُ عمراً ويُعظِّمُ) و(يُعظِّمُ) ولا يُعظِّمُ) ولا يُعظِّمُ) عمراً ويُعظِّمُ) ولا يُعظِّمُ) خبرٌ عن زيدٍ لا يُفهَمُ إلَّا بذكرِهِ . . وجبَ ذكرُهُ ولم يَصِحَّ حذفهُ إلَّا إذا دلَّ عليهِ دليلٌ .

وتحريرُ هاذا الموضعِ الذي يجبُ فيهِ حذفُ الخبرِ: هوَ حيثُ يكونُ سببُ انتفاءِ مضمونِ الجوابِ مُجرَّدَ الكونِ والحصولِ ؛ فلو قلتَ : لولا زيدٌ لَهلكَ عمرٌو . . فَهِمَ المُخاطَبُ بسرعةٍ أنَّ المعنىٰ : لولا زيدٌ موجودٌ ؛ فمتىٰ كانَ خبرُ المبتدأُ الواقعُ بعدَ (لولا) هاذهِ كوناً عاماً . . لم يُلفَظْ ، ومتىٰ كانَ كوناً خاصاً ؛ فإن كانَ لو حُذِفَ فُهِمَ . . صحَّ حذفهُ ، وإلَّا . . وجبَ ذكرُهُ ، وبتأمُّلِ المثالين يظهرُ الحالُ .

[تعدُّدُ الخبر]

ويتعدَّدُ الخبرُ فيكونُ اثنَينِ وأكثرَ ، والمبتدأُ واحدٌ في اللَّفظِ ؛ وهوَ علىٰ نوعَينِ :

النوعُ الأوَّلُ: أن يكونَ المبتدأُ الواحدُ في اللَّفظِ واحداً في المعنىٰ أيضاً ، وتعدُّدُ خبرهِ يكونُ على ثلاثةِ أنواع:

⁽١) سورة البقرة : (٢٥١) .

- النوعُ الأوَّلُ: أَن تُخبِرَ عنهُ بوصفَينِ مُمتزِجَينِ قامَ منهُما وصفٌ ثالثٌ ، فيجوزُ أَن تُخبِرَ بالوصفَينِ وأَن تُخبِرَ بذلكَ الوصفِ ؛ كقولِكَ : الرُّمَّانُ حُلْوٌ حامِضٌ ، والرُّمَّانُ مُنَّزٌ ؛ فالحَلاوةُ والحُموضةُ وصفانِ مُمتزجانِ قامَ منهُما وصفٌ واحدٌ يُسمَّى : المُزوزةَ ؛ فلكَ أَن تقولَ : حُلْوٌ حامضٌ ، ولك أَن تقولَ : مُزٌّ .

ونظيرُهُ: هاذا الماءُ حارٌ باردٌ ؛ أي : فاترٌ ، وهاذا الفرسُ أبيضُ أسودُ ؛ أي : أَكْهَبُ .

ولا يَصِحُّ أَن تُدخِلَ بِينَ الوصفَينِ المُمتزِجَينِ واواً ؛ فلا تقولُ : (حُلْوٌ وحامضٌ) إلَّا إذا أثبتَ الأمرَ المُتوسِّطَ بنفي الضِّدَّينِ ، كما تقولُ : هاذا الرُّمَّانُ لا حُلْوٌ ولا حامضٌ .

_ النوعُ الثاني : أن تُخبِرَ بوصفَينِ مُتجاورَينِ مُتمَيِّزَينِ ؛ كقولِكَ : هاذا الفرسُ أبيضُ أسودُ ؛ أي : أبلقُ ، وهاذا يَصِحُّ بواوٍ وبدونِها ، فتقولُ : أبيضُ وأسودُ ، وأبيضُ أسودُ .

- النوع الثالث : أن تُخبِرَ بأوصافٍ لا امتزاجَ فيها ولا تَجاوُرَ ؛ كقولِك : الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ ، وزينةٌ ومفاخراتٌ .

النوعُ الثاني : أن يَتعدَّدَ المبتدأُ معنىً وهوَ واحدٌ لفظاً : وتَعدُّدُ الخبرِ فيهِ يكونُ علىٰ نوعَينِ :

- النوعُ الأوَّلُ: أن يكونَ الوصفُ مُشترِكاً بينَ الجميعِ ؛ كقولِكَ: غلاما زيدٍ شاعرانِ كاتبانِ وصانعانِ ، فهوَ كالواحدِ لفظاً ومعنى .

- النوعُ الثاني: أن يكونَ لكلِّ واحدٍ وصفٌ يَخُصُّهُ ، فتجبُ الواوُ ؟

كقولِكَ : أبناؤُكَ كاتبٌ وشاعرٌ وتاجرٌ ، فجميعُ هاذه الأخبار التي فيها التعدُّدُ يُقالُ فيها : خبرٌ أوَّلُ ، وخبرٌ ثانٍ ، وخبرٌ ثالثٌ ، وهاكذا إن لم تكن الواوُ ، فإن كانَتِ الواوُ . قيلَ للأوَّلِ : خبرٌ ، وللباقي : معطوفاتٌ ، وللواوِ : حرفُ عطفٍ كما يُبيَّنُ في التوابعِ ، وإن كانَتِ الكلُّ أخباراً بحسبِ المعنى .

وقد يكونُ لفظُ الخبرِ هوَ لفظَ المبتدأ ؛ حيثُ يُرادُ التعظيمُ أوِ التحقيرُ ؛ كقولِ الراجزِ (١):

أَنَا أَبُو ٱلنَّجْم وَشِعْرِي شِعْرِي

وطريقُ التعظيمِ: أنَّ المُتكلِّمَ بمثلِ هاذا الكلامِ يُخيِّلُ أنَّهُ لمَّا ذكرَ المبتدأَ ليصفَهُ بجمائلِ صفاتِهِ . . تَحيَّرَ لكثرةِ تَوارُدِها عليهِ معَ كونِهِ ظاهرَ الشَّرفِ والكمالِ ، فهوَ يقولُ : لا حاجةَ لذكرِ صفاتِهِ ؛ لاستغنائِهِ بظهورِ كمالِهِ ، واضطرارِ المُطَّلِع عليهِ بالاعترافِ لهُ بكمالِ رتبتِهِ في بابهِ .

ويقولُ الناسُ : العالِمُ عالِمٌ ، والجاهلُ جاهلٌ .

وقالَ الشاعرُ: [من البسيط]

اَلسَّبْعُ سَبْعٌ وَإِنْ كَلَّتْ مَخَالِبُهُ وَالْكَلْبُ كَلْبٌ وَإِنْ طَوَّقْتَهُ ذَهَبَا

ويُحتملُ أن يكونَ مِنْ هاذا القبيلِ قولُ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ وَالسَّهِ عُونَ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ وَالسَّهِقُونَ السَّهِ عُونَ السَّهِ عَلَى السَّهُ عَلَى السَّهِ عَلَى السَّهِ عَلَى السَّهُ عَلَى

ونظيرُهُ مِنْ بابِ الشرطيةِ: قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ » (٣).

⁽١) هو أبو النجم العجلي في « ديوانه » (ص ١٩٨) .

⁽Y) meرة الواقعة : (١٠ _ ١١) .

⁽٣) أخرجه البخاري (٥٤) ومسلم (١٩٠٧) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

[أحوالُ المبتدأ والخبر]

هـٰذا ؛ واعلمْ : أنَّ للمبتدأ والخبرِ أربعَ أحوالٍ :

الحالةُ الأولىٰ : أن تَنطِقَ بهِما مُجرَّدَينِ :

وحكمُهُما حينَئذِ: رفعُهُما لفظاً ، أو تقديراً ، أو مَحلاً ، ولا يفيدُ التركيبُ إلا مُجرَّدَ الحكم بوقوع النسبةِ .

الحالةُ الثانيةُ : أن تَقرُنَ بهما (كانَ) أو إحدى أخواتِها :

وحكمُهُما حينَاذٍ : رفعُ المبتدأ ونصبُ الخبرِ ، ويَتغيَّرُ الاسمُ ؛ فيُقالُ للمبتدأ : (اسمُ كانَ) أو إحدى أخواتِها ، وللخبرِ : (خبرُ كانَ) أو إحدى أخواتِها ، وللخبرِ : (خبرُ كانَ) أو إحدى أخواتِها ، ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوعِ النسبةِ مع ما لتلكَ الألفاظِ مِنَ المعاني المرادِ بها بيانُ زمانِ النسبةِ وبعضِ أحوالِها .

الحالةُ الثالثةُ : أن تَقرُنَ بهِما أحدَ الأحرفِ الثمانيةِ التي هيَ (إِنَّ) و(أَنَّ) وأخواتُهُما :

وحكمُهُما إذاً: نصبُ المبتدأ ورفعُ الخبرِ ، ويُقالُ للمبتدأ : (اسمُ إنَّ) مثلاً ، وللخبرِ : (خبرُها) ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوعِ النسبةِ مُقترِناً بمعاني تلكَ الكلماتِ .

الحالةُ الرابعةُ: أَنْ تَقرُنَ بِهِما كلمةَ (ظنَّ) أو إحدى أخواتِها:

وحكمُهُما حينَئذِ: النصبُ ، ويُقالُ للمبتدأ: (مفعولٌ أوَّلُ) وللخبرِ: (مفعولٌ ثانٍ) ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوع النسبةِ على وجهِ الظنِّ أوِ اليقينِ.

ولكونِ تلكَ الكلماتِ في الأبوابِ الثلاثةِ تُغيِّرُ حكمَ المبتدأ والخبرِ واسمَهُما . . يُسمُّونَها : نواسخَ الابتداءِ ؛ مِنَ النَّسخِ ؛ بمعنى : الإبطالِ والإزالةِ .

* * *

بيانُ بابِ (كانَ)

(كانَ) وأخواتُها إلَّا (كادَ) وصواحبَها.. تَدخُلُ على جملةِ الابتداءِ كيفَ كانَتْ ، للكنْ لا يقعُ الأمرُ هنا خبراً ، وكذلكَ لا يقعُ الماضي خبراً لا رصارَ) و(ليسَ) وأفعالِ الاستمرارِ ؛ وذلكَ لأنَّ (صارَ) دالَّةٌ على الانتقالِ والتحوُّلِ إلى صفةٍ لها استمرارٌ ودوامٌ ؛ نحوُ : صارَ زيدٌ أسداً ، وشجاعاً ، ويصنعُ المعروف ، وهاذا هوَ المانعُ مِنْ وقوعِهِ خبراً لأفعالِ الاستمرارِ .

وكذلكَ لا يقعُ خبراً لـ (ما دامَ) إلَّا إذا كانَ ذا أثرٍ مُستمِرٍ ؛ نحوُ : واجبٌ عليكَ أن تفعلَ كيتَ وكيتَ ما دمتَ أعطيتَ بهِ عهدَك والتزمتَ فعلَهُ .

وفيما عدا ذلكَ يقعُ خبراً ؛ لتحقيقِ الحصولِ أوِ الدلالةِ على تقادمِهِ ؛ فتقولُ :

كَانَ زِيدٌ قَائِماً ، وأصلُهُ : زِيدٌ قَائمٌ .

وكانَ الزيدانِ قائمَينِ ، وأصلُهُ : الزيدانِ قائمانِ .

وكانَ الزيدونَ قائمينَ ، وأصلُهُ : الزيدونَ قائمونَ .

وكانَ أن تصوموا رمضانَ خيراً ، والأصلُ : أن تصوموا رمضانَ خيرٌ ؛ على تأويل : صومُكم رمضانَ خيرٌ .

وكانَ ما تَحفظُ العِلْمَ حسناً ، وأصلُهُ: ما تَحفظُ العِلْمَ حسنٌ ؛ على تأويلِ: حفظُكَ العِلْمَ حسنٌ .

وكانَ اللهُ أحدٌ ، والأصلُ : هوَ اللهُ أحدٌ ، على أنَّ المبتدأَ ضميرُ الشأنِ مُفسَّراً بالجملةِ بعدَهُ .

وأضحيتُ وأمسيتُ مُرشِداً ، والأصلُ : أنا مُرشِدٌ ، فحينَ دخلَ العاملُ

عليهِ . . جئتَ بضميرِ الرفعِ المتصلِ بدلَ ضميرِ الرفعِ المنفصلِ ؛ إذ لا يَصِحُّ الفصلُ معَ إمكانِ الوصلِ ، وكذلكَ بقيَّةُ الضَّمائرِ ، ومعَ الاتصالِ يَستتِرُ .

وليسَ لهُ لفظٌ في كانَ وكانَتْ ويكونُ ، وهندٌ تكونُ ، وأكونُ ، ونكونُ ، وتكونُ ، وتكونُ ، وتكونُ ، وتكونُ ، وكانَ زيدٌ يقومُ أبوهُ ، وكانَ زيدٌ أبوهُ قائمٌ .

وقالَ زهيرٌ (١): [من الطويل]

وَكَانَ طَوَىٰ كَشْحاً عَلَىٰ مُسْتَكِنَّةٍ فَلَا هُو أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ وَكَانَ طَوَىٰ كَشُحاً عَلَىٰ مُسْتَكِنَّةٍ فَلَا هُو أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ وَقَالَ آخَرُ (٢):

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً عَشِيَّةَ لَاقَيْنَا جُذَامَ وَحِمْيَرَا

في الخبرِ الجملةِ ، وكانَ زيدٌ في الدارِ ، وكانَ زيدٌ عندَكَ ، في الخبرِ المُحتمِل أن يكونَ جملةً ، وأن يكونَ مفرداً .

واعلمْ: أنَّ تركيبَ (كنتُ أفعلُ) و(أكونُ أفعلُ) و(كُنِ افعلْ) وهوَ نادرٌ . . للدلالةِ علىٰ تكرُّرِ الفعلِ ، والتحاقِهِ بالعاداتِ ، أمراً بذلكَ أو إخباراً عنهُ .

وطريقُ ذلكَ : أنَّ الفعلَ القابلَ للاستمرارِ حينَ يُعلَّقُ بالكونِ المُستمِرِّ . . يَدُلُّ على إرادةِ الاستمرارِ ، فمعنى قولِ الشاعرِ (٣) : [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ أَنْ خُوماً مُلِمَّاتُ أَنَّ حِسْبانَهُ أُخوَّةَ أبي عمرِو وصداقتَهُ . . أمرٌ مُستمِرٌ إلى أن أظهرَتِ الشِّدَّةُ

⁽۱) انظر « شرح شعر زهير » لثعلب (ص ٢٩) .

⁽٢) هو زفر بن الحارث ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (٧٩/١) .

⁽٣) هو أبو شبل الأعرابي ، كما في « معجم الأدباء » (٣٨٦/٢) .

فسادَ طويَّتِهِ وتمويهَ أُخوَّتِهِ ، ومعنى قولِ الآخَرِ (١): [من الوافر] وَكُونِي بِٱلْمَكَارِم ذَكِّرِينِي

ليكنْ تذكيرُكِ إيَّايَ بالمكارم فعلاً مُستمِرًا وعادةً دائمةً ، ولو قالَ لها : ذكِّريني . . لكفي ؛ لامتثالِ أمرهِ التذكيرَ مَرَّةً واحدةً ، وتقولُ : إن دامَ هلذا الطالبُ كما أرى في الاجتهادِ وتَحفَّظِ الأحكامِ الأصليةِ . . فسيكونُ يَفهَمُ في عَويصاتِ المسائل.

وخبرُ (كانَ) لكونِهِ أحدَ المنصوباتِ التي ستقفُ على عددِها عندَ مرورِ أبوابها عليكَ : يكونُ تارةً ضميراً مِنْ ضمائرِ النصبِ المنفصلةِ ، التي هي : إِيَّايَ وإِيَّاكَ وإيَّاهُ وفروعُها ، وتارةً ضميراً مِنَ الضَّمائرِ المتصلةِ المُشترَكةِ بينَ النصبِ والخفضِ ، قالَ الشاعرُ (٢): [من الطويل]

بِبَذْلٍ وَحِلْم سَادَ فِي قَوْمِهِ ٱلْفَتَىٰ وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لعمرَ حينَ هَمَّ بقتلِ ابنِ صائدٍ الذي ظهرَ في عهدِ الرسالةِ مِنَ اليهودِ على صورةِ المسيخ الدجَّالِ الذي أنذرَتْهُ الأنبياءُ أَمَمَها ، وكانَ يَتحدَّثُ ببعضِ المُغيَّباتِ : « إِنْ يَكُنْهُ . . فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا يَكُنْهُ . . فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ » (٣) ، ولا تدخلُ هلذهِ الأفعالُ على جملِ يجبُ حذفُ مبتدآتِها ، ولا على مبتدآتِ ملازمةِ للابتدائيةِ ؛ نحوُ : (ما) التعجبيةِ ، ونحوُ: سلامٌ عليكَ ، ومبتدآتِ الأمثالِ.

ويجوزُ في هلذا البابِ: تقديمُ الأخبارِ على الأسماءِ ، ويجبُ: إن كانَ

⁽١) هذا صدر بيت ، انظر « خزانة الأدب » (٢٦٦/٩) ، والبيت بتمامه :

وَكُونِي بِٱلْمَكَارِم ذَكِّرينِي وَدَلِّسِي ذَلَّ مَساجِسدَةٍ صَنَاع (٢) انظر «شرح ابن عقيل على الألفية » (٢٧٠/١) .

⁽٣) أخرجه البخاري (١٣٥٤) ، ومسلم (٢٩٣٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

معَ الاسمِ ضميرٌ يعودُ على شيءٍ في الخبرِ ، أوِ اقترنَ بـ (إلَّا) لفظاً أو تقديراً ، أو كانَ (أنْ) وصلتَها ، ويَمتنِعُ : إذا كانَ مقصوراً عليهِ .

ويجوزُ تقديمُ الأخبارِ على أنفسِ الأفعالِ ، إلَّا (دامَ) و(زالَ) وصواحبَها ؟ لامتناعِ الفصلِ بينَ هاذه الأفعالِ والأدواتِ التي يلزمُ أن تكونَ معَها ، وإلَّا (ليسَ) على الأفصحِ ، ويَمتنِعُ تقديمُها على (ما) النافيةِ وحدَها ، أو معَ هاذهِ الأفعالِ ، ويجبُ تقديمُها إن كانَتْ مِنَ المُتصدِّراتِ .

ويَمتنِعُ تقديمُ الأسماءِ على الأفعالِ ، كما يَمتنِعُ الفصلُ بينَهُما بغيرِ الظرفِ والجارِّ والمجرورِ مِنْ معمولاتِ الخبرِ .

واختصَّتْ (كانَ) بورودِها زائدةً لا يُفادُ بها غيرُ التوكيدِ ، ومُلغاةً لإفادةِ الزمنِ بلا عملٍ .

فالأُولىٰ : كقولِ الشاعر : [من الوافر]

سَرَاةُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامَى عَلَىٰ - كَانَ - ٱلْمُسَوَّمَةِ ٱلْجِيَادِ

والثانية : نحوُ قولِك : ما كانَ أصحَّ عِلْمَ مَنْ تَقدَّمَ ، ولا أرى مُوجِباً لإلغائِها في مثلِ هاذا ، ويكونُ اسمُها ضميراً عائداً على (ما) ، والجملة بعدُ خبرٌ ، والتعجُّبُ مِنَ الأمورِ الماضيةِ ، وفي مثلِ : ما أحسنَ تقريرَكَ وأقوى اجتهادَكَ مِنَ الأمورِ الحاضرةِ .

واختصَّتْ (كانَ) أيضاً بجوازِ حذفِها معَ اسمِها ويبقى خبرُها، وهوَ جيّدٌ، أو معَ خبرها، وهوَ رديءٌ.

واشتَهرَ الحذفُ معَ (لو) ومعَ (إنْ)، كقولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « ٱلْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ » (() ؛ أي : ولو كانَ المُلتمَسُ خاتَماً ، وكقولِهِ : « لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ » (() ؛ أي : ولو كانَتِ الهديَّةُ فِرسنَ . . . وكقولِ الشاعر (") :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقاً وَإِنْ كَذِباً فَمَا ٱعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا

ومنهُ العبارةُ ذاتُ الأوجهِ ؛ كقولِهِ : كلُّ امرئُ مَجزيٌّ بعملِهِ ؛ إن خيراً . . فخيرٌ ، وهوَ أرجحُ فخيرٌ ، وهوَ أرجحُ الأوجهِ .

والثاني _ وهوَ رديئُها _ : رفعُ الأوَّلِ ونصبُ الثاني ؛ أي : إن كانَ في عملِهِ خيرٌ . . فهوَ يُجزئ خيراً ، وكانَ رديئاً ؛ لأنَّ فيهِ حذفَ الخبرِ معَ (كانَ) ، وكثرةَ الحذفِ مِنَ الجزاءِ ، ولأنَّ فيهِ ضَعفاً بحَسَبِ المعنى ؛ لأنَّ الغرضَ : إن كانَ عملُهُ خيراً ، لا : إن كانَ بعضُهُ وبعضُهُ .

ورفعُهُما يلي الرديءَ ، ونصبُهُما يلي الجيدَ ، وإنَّما يجوزُ رفعُ الأوَّلِ حيثُ يمكنُ تقديرُ الخبرِ ، وإلَّا . . وجبَ النصبُ ؛ نحوُ : أنا ماضٍ معَ زيدٍ إلىٰ مقصِدِهِ ؛ إن راكباً . . فراكبٌ ، وإن ماشياً . . فماشٍ .

[المقامةُ النحويةُ للحريريّ]

وعلى هاذهِ المسألةِ بنى أبو محمدِ الحريريُّ مَقامتَهُ الرابعةَ والعشرينَ ، الموسومةَ ب (المَقامةِ النحويةِ) (،) ، ورأيتُ إيرادَها في هاذا الموضع ،

⁽١) أخرجه البخاري (٥١٢١) ، ومسلم (١٤٢٥) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

⁽٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) ، ومسلم (١٠٣٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

⁽٣) انظر « محاضرات الأدباء » (٥٧٢/٣) .

⁽٤) وسمَّاها مؤلفها: المقامة القطيعية.

مُلتمِساً مِنَ الطَّلَبةِ أَن يُنعِموا أنظارَهُم في كيفيةِ سياقِها ، وتحيُّلِ البلغاءِ على إيرادِ المسائلِ العلميَّةِ في الأساليبِ الأدبيَّةِ ؛ عسى أَن يَلمَحوا الغايةَ التي لها يسعى مَنْ يَكُدُّ نفسهُ ويَتحاملُ على قُواهُ ، ويَصرِفُ مِنْ نفيسِ عمرِهِ في تَعلُّمِ الفنونِ المُتعلِّقةِ باللغةِ العربيةِ ؛ وهي (١):

(حكى الحارثُ بنُ همَّامٍ قالَ: عاشرتُ بقَطِيعةِ الرَّبيعِ ، في إبَّانِ الرَّبيعِ ، في إبَّانِ الرَّبيعِ ، فتيةً وجوهُهُم أبلجُ مِنْ أنوارِهِ ، وأخلاقُهُم أبهجُ مِنْ أزهارِهِ ، وألفاظُهُم أرقُ مِنْ نسيمِ أسحارِهِ ، فاجتليتُ منهُم ما يُزرِي على الربيعِ الزاهرِ ، ويغني عن رَنَّاتِ المزاهرِ ، وكنَّا تقاسمنا على حفظِ الوِدادِ ، وحظرِ الاستبدادِ ، وألَّا يَتفرَّدَ أحدُنا بالتذاذِ ، ولا يَستأثرَ ولو برَذاذٍ .

فأجمعنا في يوم سما دَجْنُهُ ، ونما حُسنُهُ ، وحكم بالاصطباحِ مُزنُهُ . . على أن نلتهي بالخروجِ ، إلى بعضِ المروجِ ؛ لنُسرِّحَ النواظرَ ، مُزنُهُ . . على أن نلتهي بالخروجِ ، إلى بعضِ المروجِ ؛ لنُسرِّحَ النواظرَ ، في الرياضِ النواضرِ ، ونَصقُلَ الخواطرَ ، بشيمِ المواطرِ ، فبرزنا ونحنُ كالشُّهورِ عِدَّةً ، وكنَدْمانَيْ جَذِيمةَ مَودَّةً ، إلى حديقةٍ أخذَتْ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ ، وتَنوَّعَتْ أزاهيرُها وتَلوَّنَتْ ، ومعنا الكُمَيْتُ الشَّمُوسُ ، والسُّقاةُ الشُّموسُ ، والسُّقاةُ الشُّموسُ ، والسُّاميَ ويُلهيهِ ، ويَقْري كلَّ سمعٍ الشُّموسُ ، والسُّامي ويُلهيهِ ، ويَقْري كلَّ سمعٍ ما يَشتهيهِ .

فلمَّا اطمأنَّ بنا الجلوسُ ، ودارَتْ علينا الكُؤوسُ . . وَغَلَ علينا ذِمْرُ (٢) ، عليه فِمْرٌ ، فَتَجهَّم الغِيدِ الشِّيبَ ، ووجدنا صفوَ يومِنا قد شِيبَ ، واللهُ مَلَّ ، فتَجهَّم الغيدِ الشِّيبَ ، ووجدنا صفوَ يومِنا قد شِيبَ ، واللهُ مَلَّمُ تسليمَ أُولي الفهم ، وجلسَ يَفُضُّ لطائمَ النثرِ والنظم (٣) ، ونحنُ

⁽١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٦٩) ، وسيأتي المصنف بملحق فيه شرح بعض ألفاظها وأخبارها ، ونقل الفصل الشارح لأحاجيها وألغازها .

⁽٢) يعني : دخل علينا رجل شجاع .

⁽٣) اللطائم: جمع لطيمة ؛ وهي وعاءُ العطر ، أو المسكُ .

ننزوي مِنِ انبساطِهِ ، وننبري لِطَيّ بساطِهِ ، إلى أن غَنَّىٰ شادينا المُغْرِبُ ، ومُغرّدُنا المُطرِبُ: [من الوافر]

وَلَا تَــأُويــنَ لِــي مِــمَّــا أُلَاقِــي إِلَّامَ سُعَادُ لَا تَصِلِينَ حَبْلِي وَكَادَتْ تَبْلُغُ ٱلرُّوحُ ٱلتَّرَاقِي صَبَرْتُ عَلَيْكِ حَتَّىٰ عِيلَ صَبْري وَهَاأَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى ٱنْتِصَافٍ فَإِنْ وَصْلاً أَلَـذُ بِهِ فَـوَصْلٌ

أُسَاقِي فِيهِ خِلِّي مَا يُسَاقِي وَإِنْ صَرْماً فَصَرْمٌ كَالطَّلَاقِ

قالَ: فاستفهمنا العابثَ بالمثاني (١١)، لِمَ نصبَ الوصلَ الأوَّلَ ورفعَ الثاني ؟ فأقسمَ بتربةِ أبوَيهِ ؛ لقد نطقَ بما اختارَهُ سيبويهِ ، فتشعَّبَتْ حينَئذِ آراءُ الجمع ، في تجويزِ النصبِ والرفع ؛ فقالَتْ فِرقةٌ : رفعُهُما هوَ الصوابُ ، وقالَتْ طائفةٌ : لا يجوزُ فيهما إلَّا الانتصابُ ، واستبهمَ على آخَرينَ الجوابُ ، واستعرَ بينَهُمُ الاصطخابُ ، وذلكَ الواغلُ يُبدِي ابتسامَ ذي معرفةٍ ، وإن لم يَفُهُ ببنتِ شفةٍ ، حتَّىٰ إذا سكنتِ الزَّماجرُ ، وصمتَ المزجورُ والزاجرُ . . قالَ : يا قوم ؛ أنا أُنبِّئُكم بتأويلِهِ ، وأُميّزُ صحيحَ القولِ مِنْ [عليلِهِ] ؛ إنَّهُ لَيجوزُ رفعُ الوصلَين ونصبُهُما ، والمغايرةُ في الإعرابِ بينَهُما ؛ وذلكَ بحَسَبِ اختلافِ الإضمار ، وتقدير المحذوفِ في هنذا المضمار .

قالَ : فَفَرَطَ مِنَ الجماعةِ إفراطٌ في مماراتِهِ ، وانخراطٌ إلى مباراتِهِ ، فقالَ : أَمَّا إذا دعوتُمْ نَزَالِ ، وتَلبَّبتُم للنِّضالِ . . فما كلمةٌ هيَ إنْ شئتُم حرفٌ محبوبٌ ، أوِ اسمٌ لِمَا فيهِ حرفٌ حَلُوبٌ ؟

> وأيُّ اسم يَتردَّدُ بينَ فردٍ حازم ، وجمع ملازم ؟ وأيَّةُ هاءِ إذا التحقَتْ . . أماطَتِ الثقلَ ، وأطلقَتِ المُعتقَلَ ؟

⁽١) أراد أوتار العود ؛ لكونها مثنى مثنى .

وأينَ تَدخُلُ السينُ فتَعزِلُ العاملَ ، مِنْ غيرِ أَن تجاملَ ؟ وما منصوبٌ أبداً على الظَّرفِ ، لا يَخفِضُهُ سوىٰ حرفٍ ؟

وأيُّ مضافٍ أخلَّ مِنْ عُرَا الإضافةِ بعُروةٍ ، واختلفَ حكمُهُ بينَ مساءٍ وغُدُوةٍ ؟

وما العاملُ الذي يَتصِلُ آخِرُهُ بأوَّلِهِ ، ويَعملُ معكوسُهُ مثلَ عملِهِ ؟ وأيُّ عاملٍ نائبُهُ أرحبُ منهُ وكراً ، وأعظمُ مكراً ، وأكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً ؟ وفي أيِّ موطنٍ تَلبَسُ الذُّكرانُ ، براقعَ النِّسوانِ ، وتَبرُزُ ربَّاتُ الحِجالِ ، بعمائم الرجالِ ؟

وأينَ يجبُ حفظُ المراتبِ ، على المضروبِ والضَّاربِ ؟

وما اسمٌ لا يُعرَّفُ إلَّا باستضافةِ كلمتَينِ ، أوِ الاقتصارِ منهُ علىٰ حرفَينِ ، وفي وضعِهِ الأوَّلِ التزامُ ، وفي الثاني إلزامٌ ؟

وما وصفٌ إذا أُردِفَ بالنونِ . . نَقَصَ صاحبُهُ في العُيونِ ، وقُوِّمَ بالدُّونِ ، وخرجَ مِنَ الزَّبونِ ، وتَعرَّضَ للهُونِ ؟

فهاذهِ ثنتا عشرةَ مسألةً وَفْقَ عددِكُم ، وزنةَ لَدَدِكُم ، ولو زدتُم . . زدنا ، وإن عُدتُم . . عُدنا .

قالَ المُخبِرُ بهاذهِ الحكايةِ: فوردَ علينا مِنْ أحاجيهِ التي هالَتْ لمَّا انهالَتْ ، ما حارَتْ لهُ الأفكارُ وحالَتْ ، فلمَّا أعجَزَنا العَومُ في بحرِهِ ، واستسلمَتْ تمائمُنا لسحرِهِ . عدلنا مِنِ استثقالِ الرؤيةِ لهُ ، إلى استنزالِ الروايةِ عنهُ ، ومِنْ بغي التبرُّم بهِ ، إلى ابتغاءِ التعلُّم منهُ .

فقالَ : والذي نَزَّلَ النحوَ في الكلامِ ، مَنزِلةَ المِلحِ في الطَّعامِ ، وحجبَهُ عن بصائرِ الطَّعامِ ؛ لا أنلتُكُم مراماً ، ولا شَفَيتُ لكُم غراماً ، أو تُخوِّلني كلُّ يدٍ ،

ويَختصَّني كلُّ منكم بيدٍ ، فلم يَبقَ في الجماعةِ إلَّا مَنْ أَذَعنَ لحكمِهِ ، ونبذَ إليهِ خُبْأَةَ كُمِّهِ ، فلمَّا حصلَتْ تحتَ وِكائِهِ . . أضرمَ شُعلةَ ذكائِهِ ، فكشفَ حينئذٍ عن أسرارِ ألغازِهِ ، وبدائعِ إعجازِهِ ، ما جلا بهِ صَداً الأذهانِ ، وجَلَّىٰ مَطلَعَهُ بنورِ البُرهانِ .

قالَ الراوي: فَهِمْنا ، حينَ فَهِمْنا ، وعَجِبْنا ؛ إذ أُجِبْنا ، وندمنا ، على ما ندَّ منَّا ، وأخذنا نعتذرُ إليهِ اعتذارَ الأكياسِ ، ونَعرِضُ عليهِ ارتضاعَ الكاسِ ، فقالَ : مَأْرَبٌ لا حفاوة ، ومَشرَبٌ لم يَبقَ لهُ عندي حلاوةٌ ، فأطلنا مراودتَهُ ، ووالينا معاودتَهُ ، فشَمَخَ بأنفِهِ صَلَفاً ، ونأى بجانبهِ أَنفاً ، وأنشدَ : [من البسيط]

نَهَانِيَ ٱلشَّيْبُ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاحِي فَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ ٱلرَّاحِ وَٱلرَّاحِ وَقَدْ أَنَارَ مَشِيبُ ٱلرَّأْسِ إِصْبَاحِي وَهَلْ يَجُوزُ ٱصْطِبَاحِي مِنْ مُعَتَّقَةٍ رُوحِي بِجِسْمِي وَأَلْفَاظِي بِإِفْصَاحِي آلَيْتُ لَا خَامَرَتْنِي ٱلْخَمْرُ مَا عَلِقَتْ وَلَا أَجَلْتُ قِدَاحِي بَيْنَ أَقْدَاح وَلَا ٱكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ ٱلسُّلَافِ يَدُّ هَمِّي وَلَا رُحْتُ مُرْتَاحاً إِلَىٰ رَاح وَلَا صَرَفْتُ إِلَىٰ صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ شَمْلِي وَلَا ٱخْتَرْتُ نَدْمَاناً سِوَى ٱلصَّاحِي وَلَا نَظَمْتُ عَلَىٰ مَشْمُولَةٍ أَبَداً رَأْسِي فَأَبْغِضْ بهِ مِنْ كَاتِبِ مَاحِي مَحَا ٱلْمَشِيبُ مِرَاحِي حِينَ خَطَّ عَلَىٰ مَلْهِي فَسُحْقاً لَهُ مِنْ لَائِح لَاحِي وَلَاحَ يَلْحَىٰ عَلَىٰ [جَرّي] ٱلْعِنَانَ إِلَىٰ بَيْنَ ٱلْمَصَابِيحِ مِنْ غَسَّانَ مِصْبَاحِي وَلَوْ لَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبٌ لَخَبَا وَٱلشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ ٱلتَّوْقِيرُ يَا صَاح قَوْمٌ سَجَايَاهُمُ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمُ

ثمَّ إِنَّهُ انسابَ انسيابَ الأَيْمِ ، وأجفلَ إجفالَ الغَيمِ ، فعلمتُ أنَّهُ سِراجُ سَرُوجَ ، وبدرُ الأدبِ الذي يَجتابُ البُروجَ ، وكانَ قُصارانا التحرُّقَ لبُعدِهِ ، والتفرُّقَ مِنْ بَعدِهِ .

تفسيرُ ما أُودِعَ هاذهِ المَقامةَ مِنَ النُّكتِ العربيةِ والأحاجي النحويَّةِ (''
أمَّا صدرُ البيتِ الأخيرِ مِنَ الأُغنيةِ ، الذي هوَ : « فإنْ وصلاً أَلَذُ بهِ
فوصلٌ » . . فإنَّهُ نظيرُ قولِهِمُ : المرءُ مَجزيٌّ بعملِهِ ؛ إنْ خيراً . . فخيرٌ ، وإنْ
شرّاً . . فشرٌّ ، وهاذهِ المسألةُ أُودعَها سيبويهِ « كتابَهُ » ، وجَوَّزَ في إعرابِها
أربعةَ أوجهٍ :

أحدُها _ وهوَ أجودُها _ : أن تَنصبَ « خيراً » الأوَّلَ وترفعَ الثانيَ ، وتَنصبَ « شرّاً » الأوَّلَ وترفعَ الثانيَ ، ويكونُ تقديرُهُ : إن كانَ عملُهُ خيراً . . فجزاؤُهُ خيرٌ ، وإن كانَ عملُهُ شرّاً . . فجزاؤُهُ شرٌ ؛ فتَنصِبُ الأوَّلَ على أنَّهُ خبرُ « كانَ » ، وترفعُ الثانيَ على أنَّهُ خبرُ مبتدأً محذوفٍ ، وقد حذفتَ في هاذا الوجهِ « كانَ » واسمَها ؛ لدلالةِ حرفِ الشرطِ الذي هو « إن » على تقديرِهِما ، وحذفتَ أيضاً المبتدأً ؛ لدلالةِ الفاءِ التي هيَ جوابُ الشرطِ عليهِ ؛ لأنَّهُ كثيراً ما يقعُ بعدَها .

والوجهُ الثاني: أن تنصبَهُما جميعاً ، ويكونُ تقديرُ الكلامِ: إن كانَ عملُهُ خيراً . . فهوَ يُجزى شرّاً ؛ فيَنتصِبُ الأوَّلُ على أنَّهُ خبرُ «كانَ » ، ويَنتصِبُ الثاني انتصابَ المفعولِ بهِ .

والوجهُ الثالثُ: أن ترفعَهُما جميعاً ، ويكونُ تقديرُ الكلامِ: إن كانَ في عملِهِ خيرٌ . . فجزاؤُهُ خيرٌ ؛ فيَرتفِعُ « خيرٌ » الأوَّلُ على أنَّهُ اسمُ « كانَ » ، ويَرتفِعُ « خيرٌ » الأوَّلُ على أنَّهُ اسمُ « كانَ » ، ويَرتفِعُ « خيرٌ » الثاني على ما بُيِّنَ في شرحِ الوجهِ الأولِ ، وقد يجوزُ أن يَرتفِعَ « خيرٌ » الأوَّلُ على أنَّهُ فاعلُ « كانَ » ، وتَجعلُ « كانَ » المُقدَّرةَ ها هنا هي التامَّةَ التي تأتي بمعنى حدث ووقعَ ، فلا تَحتاجُ إلىٰ خبرٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَإِن كَانَ دُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ (٢) ، ويكونُ التقديرُ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَإِن كَانَ دُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ (٢) ، ويكونُ التقديرُ

⁽١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٧٥) .

⁽٢) سورة البقرة : (٢٨٠) .

في المسألةِ: إن كانَ خيرٌ . . فجزاؤُهُ خيرٌ ؛ أي : إن حدثَ خيرٌ . . فجزاؤُهُ خيرٌ .

والوجهُ الرابعُ _ وهوَ أضعفُها _ : أن ترفعَ الأوَّلَ على ما تَقدَّمَ شرحُهُ في الوجهِ الثاني ، ويكونُ الوجهِ الثاني ، ويكونُ التقديرُ : إن كانَ في عملِهِ خيرٌ . . فهوَ يُجزىٰ خيراً .

وعلى حَسَبِ هاذا التقديرِ والمُقدَّراتِ المحذوفةِ فيه يَجري إعرابُ البيتِ الذي غُنِّيَ بهِ ، وممَّا يَنتظِمُ في هاذا السِّلكِ : قولُهُمُ : المرءُ مقتولٌ بما قَتلَ بهِ ؟ إنْ سيفاً . . فسيفٌ ، وإنْ خَنْجَراً . . فخَنْجَرُ (١١) .

وأمَّا الكلمةُ التي هي حرفٌ محبوبٌ ، أو اسمٌ لِمَا فيهِ حرفٌ حَلُوبٌ . . فهي « نعمْ » إن أردتَ بها تصديقَ الأخبارِ ، أو العِدةَ عندَ السؤالِ . . فهي حرفٌ ، وإن عنيتَ بها الإبلَ . . فهي اسمٌ .

والنَّعَمُ تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ ، ويُطلَقُ على الإبلِ وعلى كلِّ ماشيةٍ فيها إبلٌ ، وفي الإبلِ الحَرْفُ ؛ وهيَ الناقةُ الضَّامرةُ ، سُمِّيَتْ حَرْفاً ؛ تشبيهاً لها بحَرْفِ السيفِ ، وقيلَ : إنَّها الضَّخمةُ ؛ تشبيهاً لها بحَرْفِ الجبلِ .

وأمَّا الاسمُ المُتردِّدُ بينَ فردٍ حازمٍ وجمعٍ ملازمٍ . . فهوَ « سراويلُ » قالَ بعضُهُم : هوَ واحدٌ ، وجمعُهُ : سراويلاتٌ ، فعلىٰ هلذا القولِ هوَ فردٌ ، وكنَّىٰ عن ضمِّهِ الخصرَ بأنَّهُ حازمٌ .

وقالَ آخَرونَ : بل هوَ جمعٌ ، واحدُهُ : سِرُوالٌ ؛ مثلُ : شِمْلالٍ وشماليلَ ،

⁽۱) انظر «الكتاب» لسيبويه (۲٥٨/۱).

وسِربالٍ وسرابيلَ ، فهوَ على هذا القولِ جمعٌ ، ومعنى قولِهِ : « ملازمٌ » ؛ أي : لا يَنصرِفُ ، وإنَّما لم يَنصرِفُ هذا النوعُ مِنَ الجمعِ ؛ وهوَ كلُّ جمعِ ثالثُهُ أَلِف وبعدَها حرفٌ مُشدَّدٌ أو حرفانِ أو ثلاثةٌ أوسطُها ساكنٌ . . [لثقلِهِ] وتفرُّدِه دونَ غيرِه مِنَ الجموع بأنَّهُ لا نظيرَ لهُ في الأسماءِ الآحادِ (١) .

وأمَّا الهاءُ التي إذا التحقّ أماطَتِ الثِّقلَ ، وأطلقَتِ المُعتقَلَ . فهيَ الهاءُ اللّاحقةُ بالجمعِ المُقدَّمِ ذكرُهُ ؛ كقولِكَ : صيارفةٌ وصياقلةٌ ، فينصرِفُ هلذا الجمعُ عندَ التحاقِ الهاءِ بهِ ؛ لأنّها قد أصارَتْهُ إلىٰ أمثالِ الآحادِ ؛ نحوُ : رفاهيةٍ وكراهيةٍ ، فخفّ بهلذا السببِ ، وصُرِفَ لهلذهِ العِلّةِ ، وقد كَنّىٰ في هلذهِ الأُحجيةِ عمَّا لا يَنصرِفُ بالمُعتقلِ ، كما كَنّىٰ في التي قبلَها عمَّا لا ينصرِفُ بالمُعتقلِ ، كما كَنّىٰ في التي قبلَها عمَّا لا ينصرِفُ بالملازم .

وأمَّا السِّينُ التي تَعزِلُ العاملَ مِنْ غيرِ أن تجاملَ . . فهيَ التي تَدخُلُ على الفعلِ المُستقبَلِ ، وتَفصِلُ بينَهُ وبينَ « أَنْ » التي كانَتْ قبلَ دخولِها مِنْ أدواتِ النصبِ ، فيَرتفِعُ حينَئذِ الفعلُ ، وتَنتقِلُ « أَنْ » عن كونِها الناصبةَ للفعلِ إلىٰ النصبِ ، فيَرتفِعُ حينَئذِ الفعلُ ، وتَنتقِلُ « أَنْ » عن كونِها الناصبةَ للفعلِ إلىٰ [أَن] تصيرَ المُخفَّفةَ مِنَ الثقيلةِ ؛ وذلكَ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ عَلِمَ أَنَ سَيَكُونُ مِنكُم

[أَن] تصيرَ المُخفَّفةَ مِنَ الثقيلةِ ؛ وذلكَ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ عَلِمَ أَنَ سَيكُونُ مِنكُم

مَرْضَىٰ ﴾ (٢) ، وتقديرُهُ : علمَ أنَّهُ سيكونُ .

وأمًّا المنصوبُ على الظَّرفِ ، الذي لا يَخفِضُهُ سوىٰ حرفٍ . . فهوَ « عندَ »

⁽١) زاد في « المقامات » (ص ١٧٧) : (وقد كنَّىٰ في هاذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم ، كما كنَّىٰ في التي قبلها عمَّا ينصرف باللازم) .

⁽٢) سورة المزمل : (٢٠) .

إذ لا يَجرُّهُ غيرُ « مِنْ » خاصَّةً ، وقولُ العامَّةِ : ذهبتُ إلى عندِهِ . . لحنٌ .

وأمَّا المُضافُ الذي أخلَّ مِنْ عُرَا الإضافةِ بعُروةٍ ، واختلف حكمُهُ بينَ مساءٍ وخُدْوةٍ . فهوَ «لدنْ » ولدنْ : مِنَ الأسماءِ الملازمةِ للإضافةِ ، وكلُّ ما يأتي بعدَها مجرورٌ بها إلَّا غُدْوةً ؛ فإنَّ العربَ نصبَتْها بـ «لدنْ » لكثرةِ استعمالِهِم إيَّاها في الكلامِ ، ثم نوَّنتُها أيضاً ليَتبيَّنَ بذلكَ أنَّها منصوبةٌ ، لا أنَّها مِنْ نوع المجروراتِ التي لا تَنصرِفُ .

وعندَ بعضِ النحويينَ : أنَّ «لدنْ » بمعنى «عندَ » والصحيحُ : أنَّ بينَهُما فرقاً لطيفاً ؛ وهوَ أنَّ «عندَ » يشتملُ معناها على ما هوَ في مِلكِكَ ومُكْنَتِكَ ممَّا دنا منكَ وبَعُدَ عنكَ ، و«لدنْ » يَختصُّ معناها بما حضرَكَ وقرُبَ منكَ .

وأمَّا العاملُ الذي يَتَّصِلُ آخِرُهُ بأوَّلِهِ ، ويَعملُ معكوسُهُ مثلَ عملِهِ . . فهوَ «يا » ، ومعكوسُها : « أيْ » ، وكلتاهُما مِنْ حروفِ النداءِ ، وعملُهُما في الاسمِ المُناديٰ سِيَّانِ ، وإن كانَتْ «يا » أجولَ في الكلامِ ، وأكثرَ في الاستعمالِ ، وقدِ اختارَ بعضُهُم أن يُناديٰ بـ « أي » القريبُ فقطْ كالهمزةِ .

وأمّا العاملُ الذي نائبُهُ أرحبُ منهُ وَكُراً ، وأعظمُ مَكُراً ، وأكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً . فهوَ باءُ القسمِ ، وهاذهِ الباءُ هيَ أصلُ حروفِ القسمِ ؛ بدلالةِ استعمالِها معَ ظهورِ فعلِ القسمِ في قولِكَ : أقسمُ باللهِ ، ولدخولِها أيضاً على المضمرِ ؛ كقولِكَ : بِكَ لَأفعلَنَ ، وإنّما أُبدِلَتِ الواوُ منها في القسمِ ؛ لأنّهُما جميعاً مِنْ حروفِ الشّفةِ ، ثمَّ لتقاربِ معنيَيْهِما ، لأنّ الواوَ تفيدُ الجمعَ والباءَ

تفيدُ الإلصاقَ ، والمعنيانِ متقاربانِ ، ثمَّ صارَتِ الواوُ المبدلةُ مِنَ الباءِ أدورَ في الكلامِ ، وأعلقَ بالإقسامِ ، ولهنذا أَلغزَ بأنَّها أكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً ، ثمَّ إنَّ الواوَ أكثرُ موطناً مِنَ الباءِ ؛ لأنَّ الباءَ لا تَدخُلُ إلَّا على الاسمِ ، ولا تَعملُ غيرَ الجرِّ ، والواوُ تَدخُلُ على الاسمِ والفعلِ والحرفِ ، وتَجُرُّ تارةً بالقسمِ ، وتارةً بإضمارِ رُبَّ ، وتَنتظِمُ أيضاً معَ نواصبِ الفعلِ وأدواتِ العطفِ ، فلهنذا وصفها برَحْبِ الوَكْرِ ، وعِظَم المَكْرِ .

وأمَّا الموطنُ الذي يَلبَسُ فيهِ الذُّكرانُ براقعَ النِّسوانِ ، وتَبرُزُ فيهِ ربَّاتُ الحِجالِ بعمائمِ الرِّجالِ . . فهوَ أوَّلُ مراتبِ العددِ المُضافِ ، وذلكَ ما بينَ الثلاثةِ إلى العشرةِ ؛ فإنَّهُ يكونُ معَ المُذكَّرِ بالهاءِ ، ومعَ المُؤنَّثِ بحذفِها ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَهَيَنيَةَ أَيَّامٍ ﴾ (١) ، والهاءُ في غيرِ هلذا الموطنِ مِنْ خصائصِ المُؤنَّثِ ؛ كقولِكَ : قائمٌ وقائمةٌ ، وعالمٌ وعالمةٌ ، فقد رأيتَ كيفَ انعكسَ في هلذا الموضعِ حكمُ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ ، حتى انقلبَ كلُّ منهُما في ضدِّ قالبِهِ ، وبرَزَ في بزَّةِ صاحبِهِ .

وأمَّا الموضعُ الذي يجبُ فيهِ حفظُ المراتبِ على المضروبِ والضاربِ.. فهوَ حيثُ يَسْتبِهُ الفاعلُ بالمفعولِ ؛ لتعذُّرِ ظهورِ علامةِ الإعرابِ فيهِما ، وذلكَ إذا كانا مقصورَينِ ؛ مثلُ : موسى وعيسىٰ ، أو مِنْ أسماءِ الإشارةِ ؛ نحوُ : ذاكَ وهاذا ، فيجبُ حينَئذٍ لإزالةِ اللَّبسِ إقرارُ كلِّ منهُما في رتبتِهِ ؛ ليُعرَفَ الفاعلُ منهُما بتقدُّمِهِ والمفعولُ بتأخُّرهِ .

⁽١) سورة الحاقة : (٧).

وأمَّا الاسمُ الذي لا يُفهَمُ إلَّا باستضافةِ كلمتَينِ أوِ الاقتصارِ منهُ علىٰ حرفَين . . فهوَ « مهما » ، وفيها قولانِ :

أحدُهُما : أنَّها مُركَّبةٌ مِنْ « مَهْ » التي هيَ بمعنى : اكفف ، ومِنْ « ما » .

والقولُ الثاني _ وهوَ الصحيحُ _ : أنَّ الأصلَ فيها « ما » فزيدَتْ عليها « ما » أخرى ، كما تزادُ « ما » على « أنَّ » ، فصارَ لفظُها « ماما » ، فثقُلَ عليهِ م توالي كلمتَينِ بلفظٍ واحدٍ ، فأبدلوا مِنْ أَلِفِ « ما » الأُولى هاءً ، فصارتا « مهما » .

ومهما: مِنْ أدواتِ الشرطِ ، ومتى لفظتَ بها . . لم يَتِمَّ الكلامُ ولا عُقِلَ المعنىٰ إلَّا بإيرادِ كلمتَينِ بعدَها ؛ كقولِكَ : مهما تَفعلْ . . أفعلْ ، وتكونُ حينَئذِ مُلتزِماً للفعلِ ، وإنِ اقتصرتَ منها على حرفَينِ ؛ وهما « مَهْ » التي بمعنى : اكففْ . . فُهمَ المعنىٰ ، وكنتَ مُلزماً مَنْ خاطبتَهُ أَن يَكُفَّ .

وأمَّا الوصفُ الذي إذا أُردِفَ بالنونِ نَقَصَ صاحبُهُ في العيونِ ، وقُوِّمَ بالنونِ نَقَصَ صاحبُهُ في العيونِ ، وقُوِّمَ بالذُّونِ ، وخرجَ مِنَ الزَّبونِ ، وتَعرَّضَ للهُونِ . . فهوَ «ضيفٌ » إذا لحِقَتْهُ النونُ . . استحالَ إلى «ضَيْفَنِ » وهوَ الذي يَتبعُ الضَّيفَ ، ويَتنزَّلُ في النقدِ منزلةَ الزَّيفِ) (١٠) .

[خبرُ ندماني جَذيمةَ الأبرش]

وحيثُ أوردنا هاذهِ المَقامةَ طلباً لتلكَ الفائدةِ . . فمِنَ اللَّازمِ لإتمامِها أن نُلمِّحَ بكيفيةِ شرحِها ، ونذكرَ ما إليهِ أشارَ الحريريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ قِصَّةِ نَدْمانَيْ جَذِيمةَ ، وما يَحسُنُ إلحاقُهُ بحفظِها ممَّا يكونُ حِلْيةً مِنْ حُلِيِّ الرجالِ العُلماءِ ، فنقولُ :

⁽١) إلىٰ هنا ينتهى النقل عن العلامة الحريري من « مقاماته » (ص ١٦٩ ـ ١٨١) .

المعاشرة : المخالطة ، واشتقاقه من لفظ العشرة ؛ آخِرِ أُولى مراتبِ العددِ ؛ وذلك أنّه كانَ مِنْ عاداتِ العربِ : أنّ القوم الذينَ يَجتمعونَ في معيشةٍ أن يَجلسوا على الجِفانِ عشرة عشرة ؛ يُقالُ عَشَرْتُ القوم ؛ مِنْ بابِ نصرَ ؛ أي : كمَّلتُهُم عشرة بكوني معَهُم ، كما يُقالُ : تَسَعْتُهُم وثَمَنْتُهُم الى غير ذلك ، ومنه جاءَتِ المفاعلة والتفاعل .

وقطيعةُ الرَّبيعِ: ناحيةٌ عندَ غربيةِ بغدادَ ، كانَ أقطعَها أبو جعفرِ المنصورُ ثاني الخلفاءِ مِنْ بني العبَّاسِ وزيرَهُ أبا الفضلِ الرَّبيعَ ، فبنىٰ فيها ، وبنى الناسُ معَهُ ، فصارَتْ قريةً كبيرةً ، وإليهِ نُسِبَتْ ، يُقالُ : أقطعَ السلطانُ بعضَ رعيَّتِهِ أرضَ كذا ؛ أي : مَلَّكَهُ إيَّاها ليَنتفِعَ بها كيفَ شاءَ وتُورَثَ عنهُ دونَ مقابلٍ ، وكانَ الموضعُ المحيطُ بجامعِ أحمدَ بنِ طُولونَ يُسمَّىٰ بالقطائعِ ؛ لأنَّهُ كانَ إذ ذاكَ فضاءً ، فمَلَّكَهُ ذاكَ الوالي لبعضِ الناسِ ، فبنوا فيهِ ، وصارَ بلداً كما تراهُ في وقتِنا هاذا مِنَ العِمارةِ الإسماعيليَّةِ .

والبَلَجُ : الوُضوحُ والظُّهورُ ، ومنهُ : [الحقُّ أبلجُ] .

والأنوارُ : جمعُ نَوْرٍ بفتحِ النونِ ؛ وهوَ الأبيضُ مِنَ الأزهارِ ، وخُصَّتِ الأزهارُ بغير الأبيض .

ويُقالُ : زرى عليهِ : مِنْ بابِ ضربَ ؛ أي : عابَهُ ، وأزرى بهِ مِنَ المهموزِ ؛ أي : نَقَّصَهُ وكانَ غيرَ لائقٍ بهِ .

والمِزْهَرُ كمِنْبَرٍ: عُودُ الضَّربِ المُطربِ ، والإجماعُ على الأمرِ: العزمُ والتصميمُ .

وأمَّا قِصَّةُ جَذِيمةَ ونَدْمانَيهِ _ واسمُهُما مالكٌ وعَقيلٌ _ . . فهيَ أنَّ جَذِيمةَ هاذا كانَ مَلَكَ أيامَ الطَّوائفِ بشاطئ الفراتِ وما والأهُ إلى السَّوادِ ستينَ سنةً .

قالَ ابنُ الكلبيِّ (١): جَذِيمةُ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ قُضاعةَ بالحِيرةِ ، وأَوَّلُ مَنْ حذا النعالَ ، وأدلجَ مِنَ الملوكِ ، ورُفِعَ لهُ الشمعُ .

وكانَ مِنْ أفضلِ ملوكِ العربِ رأياً ، وأظهرِهِم حزماً ، وهوَ أوّلُ مَنِ استَجمعَ المُلْكُ لهُ بأرضِ العراقِ ، وغزا بالجيوشِ ، وكانَ بهِ بَرَصٌ ، فكَنَّتِ العربُ عنِ البرصِ إعظاماً ، فقالَتْ لهُ : جَذِيمةُ الوَضَّاحُ ، وجَذِيمةُ الأبرشُ ، وكانَ غزا طَسْماً وجَدِيساً في منازلِهِم ، فصادف حسَّانَ بنَ تُبَّعِ قد أغارَ عليهِما ، فانصرف جَذِيمةُ ، وصادفَتْ خيولُ تُبَّعٍ سَرِيَّةً لهُ ، فقتلُوهُم ، فبلغَ الخبرُ فانصرف جَذِيمةً ، فقالَ :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمَالَاتُ فِي [فُتُوِّ أَنَا] كَالِئُهُمْ مِنْ بَلَايَا غَزْوَةٍ مَاتُوا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمُ نَحْنُ أَسْرَيْنَا وَهُمْ بَاتُوا

وكانَ جَذِيمةُ قد تَنبَّأُ وتَكهَّنَ ، واتَّخذَ صنمَينِ ، وسمَّاهُما : [الضَّيْزَنَيْنِ] ، ومكانُهُما بالحِيرةِ معروفٌ ، وغزا إياداً بعينِ أباغٍ ، فبعثوا قوماً منهُم سرقوا منهُم [الضَّيْزَنَيْنِ] ، وأصبحوا بهِما في إيادٍ ، فأرسلوا إليهِ : أنَّ صنَميكَ أصبحا عندَنا ؛ زهداً فيكَ ، ورغبةً فينا ، فأعطنا عهداً ألَّا تغزونا ونَرُدُّهُما إليكَ ، ففعلَ (٣) .

وكانَ بلغَهُ أنَّ غلاماً مِنْ لخمٍ يُسمَّىٰ عديَّ بنَ نصرٍ . . مقيمٌ في أخوالِهِ مِنْ إيادٍ ، ولهُ ظَرْفٌ ولبٌّ ، وإنَّهُ لحسنٌ أن يُنادِمَ المَلِكَ ويقومَ بمجلسِهِ ، فاشترطَ على إيادٍ أن يَبعثوا معَ الصنمَينِ بعديِّ بنِ نصرٍ ، وكانَ لهُ جمالٌ وظَرْفٌ ،

⁽١) انظر « الأغاني » (١٦٥٨/١٦).

⁽۲) انظر « تاریخ الطبري » (۱۱۳/۱) .

⁽٣) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٤/١) .

فدفعوهُ إليهِ معَهُما ، فضمَّهُ إلى نفسِهِ ، وكانَ ينادمُهُ ، فتَعشَّقَتْهُ رَقَاشِ أَختُ جَذِيمةَ ، فبعثَتْ إليهِ : إذا سقيتَ أخي واستنشى . . فاخطُبْني لكَ ، وأشهِدْ عليهِ ، عليهِ ، ففعلَ ، فلمَّا طَرِبَ جَذِيمةُ . . خطبَها ، فأنعمَ عليهِ ، وأشهدَ عليهِ ، فقالَ لهُ : عَرِّسْ بأهلِكَ ، ففعلَ .

وأصبحَ على جَذِيمةَ مُضرَّجاً بالطِّيبِ ، فقالَ لهُ: ما هاذهِ الآثارُ ؟ فقالَ : آثارُ العُرْسِ ، قالَ : وأيُّ عُرْسٍ ؟ قالَ : عُرْسُ رَقَاشِ ، فأكبَّ جَذِيمةُ على الأرضِ ، وفرَّ عديُّ ، وطلبَهُ جذيمةُ فلم يُدرِكْهُ ، وقيلَ : ظَفِرَ بهِ ، وقالَ لرَقَاش :

حَدِّثِينِي رَقَاشِ لَا تَكْذِبِينِي أَبِحُرٍّ زَنَيْتِ أَمْ بِهَ جِينِ أَمْ بِهَ جِينِ أَمْ بِهَ جَينِ أَمْ بِعَبْدٍ أَمْ بِكُونٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِحُدُونِ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِحُونِ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِحَدُونِ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِحَدُونِ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِحَدُونِ فَالَتْ لَهُ:

أَنْتَ زَوَّجْتَنِي وَمَا كُنْتُ أَدْرِي فَأَتَانِي ٱلنِّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ ٱلْمُدَامَةَ صِرْفاً وَتَمَادِيكَ فِي ٱلصِّبَا وَٱلْمُجُونِ

فحبَسَها في قصرِها ، فاشتملَتْ على حَمْلٍ ، فأتَتْ بغلامٍ ، وسَمَّتْهُ عمراً ، ورَبَّتْهُ حتى تَرعرعَ ، فجمَّلَتْهُ وأعطرَتْهُ وألبَستْهُ كسوةَ مثلِهِ ، ثمَّ أزارَتْهُ خالَهُ ، فأعجِبَ بهِ وأُلقِيَتْ عليهِ مَحبَّتُهُ .

وخرجَ جَذِيمةُ في سنةٍ قد أكمأت ، وبُسِطَ لهُ في روضةٍ ، وعمرٌو معَ [خِلْمةٍ] يَجتنونَ الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبة . . أكلوها ، وإذا أصابها عمرٌو . . خبأها ، ثمَّ أقبلوا يتعادونَ وعمرٌو يقدمُهم يقولُ : [من الرجز] هَلذَا جَنَايَ وَخِيبَارُهُ فِيبِهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيبِهِ فالتزمّهُ جَذِيمةُ وحلَّ منهُ بمكان .

ثمَّ إِنَّ الجِنَّ استهوَتْهُ ، فطُلِبَ زماناً ، وأَرسلَ فيهِ في الآفاقِ ، فلم يَجِدْ لهُ خبراً .

ثم إن عمراً أوفى على مالك وعقيل ابني فارج بن مالك بن كعب بن قيس بن حمير بن قضاعة وقد نزلا منزلا ، وهما مُتوجِّهانِ إلى خالِهِ جَذِيمة ، ومعَهُما قَينة يُقالُ لها : أم عمرو ، وهي تُغنِّيهِما وتَسقِيهما ، فرأت عمراً وقد تلبَّدَ شعره ، وطالَت أظفاره ، وساءَت حاله ، فاحتقرَته ، فرمت إليهِ بكراع مِنْ طعامِهِما ، وناولَتهُما ، وأوكأت زِقها ولم تناول عمراً شيئاً ، فقالَ لها عمرو (١٠) :

صَدَدْتِ ٱلْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَمَا شَرُّ ٱلشَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو فَمَا شَرِبَ ٱلشَّرَابَ كَمِثْلِ عَمْرٍو فَمَا شَرِبَ ٱلشَّرَابَ كَمِثْلِ عَمْرٍو فَإِلَّا تُنْكِرِي عَمْراً فَإِنِّي وَخَالِي لَا أَبَا لَكِ ذُو ٱلْمَعَالِي

وَكَانَ ٱلْكَأْسُ مَجْرَاهَا إِلَيْنَا بِصَاحِبِكِ ٱلَّذِي لَا تَصْبَحِينَا وَمَا نَالَ ٱلْمَكَارِمَ فَاصْبَحِينَا أَنَا ٱبْنُ عَدِيَّ حَقًا فَاعْرِفِينَا جَذِيمَةُ كَيْفَ وَيْحَكِ تُنْكِرينَا جَذِيمَةُ كَيْفَ وَيْحَكِ تُنْكِرينَا

فقالا له : مَنْ أنت يا فتى ؟ قال : أنا عمرُو بنُ عديٍ ، فضمّاهُ إليهِما ، وغسلا رأسَهُ ، وأخذا مِنْ شَعرِهِ ، وقلَّما أظفارَهُ ، وألبساهُ بعض الثيابِ التي كانَتْ معَهُما ، وقالا : ما كنَّا نُهدي جَذِيمةَ أنفسَ مِنِ ابنِ أختِهِ ، ثمَّ وردا بهِ على جَذِيمةَ ، فسُرَّ بهِ سروراً شديداً ، وقال لهُما : تَمَنَّيا ، فسألاهُ أن يكونا نديمَيهِ ما عاش وعاشا ، فنادماهُ أربعينَ سنةً ، ما أعادا عليهِ حديثاً ، فضُرِبَ بهما المثلُ في تأكيدِ الأُلفةِ (٢) .

⁽١) انظر « شرح المعلقات » للتبريزي (ص ٢٥٤) فالبيتان الأوَّلان من معلقة عمرو بن كلثوم .

⁽٢) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٦/١) .

وقالَ مُتمِّمُ بنُ نُويرةَ في مالكٍ أخيهِ حينَ قتلَهُ خالدُ بنُ الوليدِ في غزوةِ أهلِ الردَّةِ ، وكانَ مُتمِّمٌ أخوهُ أحدَ الصحابةِ ، ولمَّا قُتِلَ مالكٌ أخوهُ . . جَزِعَ أهلِ الردَّةِ ، وكانَ مُتمِّمٌ أخوهُ أحدَ الصحابةِ ، ولمَّا قُتِلَ مالكٌ أخوهُ . . جَزِعاً شديداً ، وأكثرَ مِنْ قولِ الشعرِ في ذلكَ ، وقالَ لهُ يوماً أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ : ليتَ أخي زيداً قيلَ في رثائِهِ مثلُ ما تقولُ في مالكٍ أخيكَ ، فقالَ : لو علمتُ أنَّ مالكاً ماتَ على الإسلامِ كزيدٍ أخيكَ . . ما رثيتُهُ ، والبيتانِ الموردانِ في هاذا الموضعِ مِنْ قصيدةٍ طويلةٍ (١) : [من الطويل]

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مَنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّىٰ قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا فَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةً حِقْبَةً لِللَّهُ مَعَا فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً لِطُولِ ٱجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

وقالَ أبو خراشِ الهذليُّ يرثي أخاهُ (٢): [من الطويل]

تَـقُـولُ أَرَاهُ بَـعْـدَ عُـرْوَةَ لَاهِـياً وَذَٰلِكَ رُزْءٌ لَـوْ عَـلِـمْـتِ جَـلِـيلُ فَلَا تَحْسَبِي أَنْ قَدْ تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أُمَيْمَ جَـمِيلُ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا خَلِيلَا صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيلُ

وغزا جَذِيمةُ عمرَو بنَ الظِّرِبِ بنِ حسانَ بنِ أُذينةَ [السَّمَيْدَعَ] العِمْلِيقيَّ مِنَ العماليقِ ؛ وهم قومٌ مِنْ حميرَ ، وكانَ ملكَ الجزيرةِ وملكَ الحضرِ ؛ وهي مدينةٌ قديمةٌ بينَ دجلةَ والفراتِ ، فهزمَ جَذِيمةُ جيوشَ عمرٍو ، وقتلَهُ وفَرَّقَ جموعَهُ ، وقالَ في ذلكَ شاعرُهُم (٣):

كَأَنَّ عَمْرَو بْنَ بَرْقَىٰ لَمْ يَكُنْ مَلِكاً وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ ٱلرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ لَا قَالَ الرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ لَا قَىٰ جَذِيمَةَ فِي شَعْوَاءَ مُشْعَلَةٍ فِيهَا حَرَاشِفُ بِٱلنِّيرَانِ تَرْتَشِقُ لَا قَىٰ جَذِيمَةَ فِي شَعْوَاءَ مُشْعَلَةٍ فِي شَعْوَاءَ مُشْعَلَةٍ

⁽۱) انظرها في « المفضليات » (ص ٢٦٧) .

⁽٢) انظر « ديوان الهذليين » (١١٦/٢) .

⁽٣) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٨/١) .

⁽٤) في « تاريخ الطبري » (٦١٨/١) : (ثربيٰ) بدل (برقيٰ) .

[خبرُ جذيمةَ الزباءِ]

فملكَتْ بعدَهُ الزَّبَّاءُ ابنتُهُ ، واسمُها نائلةُ ، قالَ ابنُ الكلبيّ : ولم يكنْ في عصرِ الزَّبَّاءِ أجملُ منها جمالاً ، وأكملُ منها كمالاً ، وكانَ لها شَعَرُ إذا مشَتْ . . يَتدلَّىٰ وراءَها ، وإذا نشرَتْهُ . . جَلَّلَها ، فسُمِّيَتِ : الزَّبَّاءَ ؛ لكثرةِ شعرِها ، فجمعَتْ خيلَ أبيهَا ، وغزتْ بالجيوشِ مَنْ حواليها مِنَ الملوكِ ، فذلَّلتُهُم ، فضُرِبَ بها المثلُ ، فقيلَ : أعزُّ مِنَ الزَّبَّاءِ ، واشتَهرَ عنها عُلُوُ الهِمَّةِ ، ومُضَاءُ العزم ، وبذلُ الأموالِ .

فلمًّا استحكم مِلكُها . . أرادَتْ أن تَغزوَ جَذِيمةَ لتُدرِكَ فيه ثأرَ أبيها ، فنهتُها أختُها زبيبةُ عن ذلكَ ، وقالَتْ : لا طاقةَ لكِ بهِ ، ولكنِ ابني أمرَكِ فيه على المكرِ والحِيلِ ، فبعثَتْ إلى جَذِيمةَ تَخطُبُهُ على نفسِها ؛ ليَتصِلَ مِلكُهُ بمِلكِها ، فيصيرا بذلكَ أعزَّ الملوكِ ، وكانَ بلغَهُ عن جمالِها ما أطمعَهُ في الظَّفرِ بها ، فأخبرَ أربابَ دولتِهِ بمخاطبتِها إيَّاهُ ، فكلُّهُم أشارَ عليهِ أن يَتزوجَها ، إلَّا قصيرَ بنَ سعدِ بنِ عمرٍو ، وكانَ لبيباً عاقلاً ، لهُ عزمٌ وحزمٌ ، وكانَ خازنَهُ وعميدَ دولتِهِ ؛ فإنَّهُ قالَ لهُ : هاذا رأيٌ فاترٌ ؛ لأنَّ عزمٌ وحزمٌ ، وكانَ خازنَهُ وعميدَ دولتِهِ ؛ فإنَّهُ قالَ لهُ : هاذا رأيٌ فاترٌ ؛ لأنَّ الزَّبَاءَ قتلتَ أباها ، والدمُ لا ينامُ ، ولكَ في بناتِ الملوكِ الأَكْفاءِ مُتَسعٌ ، فقالَ لهُ المَلِكُ : إنَّ النَّفْسَ إلىٰ ما تُحِبُّ تَوَّاقةٌ ، وإن كانَ القَدَرُ قد جرئ بشيءٍ . . فلا مَفَرَّ عنهُ .

وكتبَتْ إليهِ الزَّبَّاءُ تَطلُبُ منهُ قدومَهُ عليها للنكاحِ ، وقالَتْ لهُ: لولا أنَّ السعيَ في مثلِ هاذا بالرجالِ أجملُ ، ولهُم ألزمُ . . لسرتُ إليكَ ، وأهدَتْ معَ كتابِها مِنَ العبيدِ والسلاحِ والأموالِ والذهبِ هديَّةً سنيَّةً ، فلمَّا وصلَتْ . . أبهجَتْهُ ، وحَسِبَ أنَّ ذٰلكَ لفَرْطِ رغبتِها فيهِ ، فشاورَ قومَهُ وابنَ أختِهِ عمراً ، فشجَعوهُ على المسيرِ إليها ، واستخلفَ عمراً على ملكِهِ ، وسارَ في خواصِّهِ ، فشجَعوهُ على المسيرِ إليها ، واستخلفَ عمراً على ملكِهِ ، وسارَ في خواصِّهِ ،

479

حتى نزلوا بالفرضة ، فشاور خواصّه وقصيراً في الجملة ، فأشاروا عليه بالمسير إلّا قصيراً ، فإنّه قال : أيّها المَلِك ؛ كلُّ عزمٍ لا يُؤيّدُ بحزمٍ . . فآخِرُهُ إلى فسادٍ ، ولولا أنّ الأمور تجري على المقدورِ . . لعزمتُ على المَلِكِ ألّا يفعلَ .

فقالَ جذيمة : الرأي مع الجماعةِ ، فقالَ قصيرٌ : أرى القَدَرَ سابقَ الحذرَ ، ولا يُطاعُ لقصيرِ رأيٌ .

فلمّا قَرُبَ مِنْ ديارِها . . أرسلَ إليها يُعلِمُها بموضعِهِ ، فأظهرَتِ السُّرورَ بهِ ، وأخرجَتْ لهُ هدايا وأنواعاً مِنَ الأطعمةِ والأشربةِ ، فقالَ لقصيرٍ : كيفَ ترىٰ ؟ فقالَ قصيرٌ : مَنْ لم يَنظُرْ في العواقبِ . . لم يأمنِ المصائبَ ، فاستدركِ الأمرَ قبلَ فوتِهِ وارجعْ ؛ فإنَّ في يديكَ بقيَّةً تَستدرِكُ بها الصَّوابَ ، وإن كنتَ لا بدَّ فاعلاً . . فإنَّ القومَ إن تَلقَّوْكَ غداً يجيءُ قومٌ ويذهبُ قومٌ ، فالأمرُ في يديكَ ، وإن تَلقَّوكَ صفَينِ ؛ فإذا تَوسَّطتَهُم وأحدقوا بكَ . . فقد ملكوكَ ، وهاذهِ العصا _ وهي فرسٌ لجَذِيمة _ تَسبِقُ الطيرَ ، فسأعرضُها لكَ ، فاركبُها لتسلمَ عليها ؛ فإنَّهُ لا يُشَقُّ غبارُها ، فأرسلَها مثلاً .

فلمَّا كَانَ غَدٌ . . لقُوهُ صفَّينِ ، فلمَّا تَوسَّطَهُم . . انقضوا عليهِ ، فقالَ لقصيرٍ : صدقتَ ، فما الرأيُ ، فقالَ لهُ : قد تركتَ الرأيَ ، وهذهِ العصا ، اركبْها ، فشغلَهُ الأمرُ عنها ، فلمَّا رأى قصيرُ الجيوشَ تسيرُ بجَذِيمةَ . . أعطى العصا عِنانَها ، فهوتْ بهِ هُوِيَّ الريحِ ، فتطاولَ إليهِ جَذِيمةُ يَنظُرُهُ ، فقالَ : ويلٌ لهُ جَذِيمةُ ، فجرَتْ بهِ إلىٰ غروبِ الشمسِ .

قالَ الأصمعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ (١): لم تقفْ حتىٰ جرتْ ثلاثينَ مِيلاً ، ثمَّ وقفَتْ فبالَتْ فبُنِيَ على الموضع برجٌ يُسمَّىٰ: برجَ العصا.

⁽۱) كما في «الأغاني» (١٦/١٤/١٥).

وأشرَفَتِ الزَّبَّاءُ مِنْ قصرِها تَنظُرُ إلىٰ جذيمة وهو يُساقُ ، فقالَتْ : ما أحسنَكَ مِنْ عروسٍ يُرَفُّ إليَّ ، فدخلوا به إليها وحولَها أَلْفُ وصيفةٍ لا تُشبِهُ واحدةٌ صاحبتَها في خَلْقٍ ولا زِيِّ ، وهي بينَهُنَّ كالقمرِ حُفَّتْ به النجومُ ، فأمرَتْ بالأَنطاعِ فبُسِطَتْ ، وقالَتْ للوصائفِ : خذنَ بيدِ سيدِكُنَّ وبعلِ مولاتِكُنَّ فأمرَتْ بالأَنطاعِ فبُسِطَتْ ، فقعلنَ به ذلك ، ثم كشفَتْ له عن شِعْرَتِها ، فرأى فأجلسنَهُ على الأنطاعِ ، ففعلنَ به ذلك ، ثم كشفَتْ له عن شِعْرَتِها ، فرأى شعرَها قد طالَ حتى عقدَتْهُ مِنْ وراءِ ظهرِها ، فقالَتْ له : يا جَذِيمةُ ؛ أشوَارَ فقالَتْ له : يا جَذِيمةُ ؛ أشوَارَ فاللهِ ؛ ما ذاكَ مِنْ عدم المَواسي ، ولكنَّها شيمةُ أناسي .

ثمَّ أمرَتْ بهِ فسُقِيَ الخمرَ حتى أخذَتْ فيهِ ، وكانَتِ الملوكُ لا تَضرِبُ الأعناقَ إلَّا في الحربِ ، ثمَّ أمرَتْ أن تُقطَعَ رواهشُهُ ، وقالَتْ : تَحفَّظنَ بدمِهِ ، لأَنَّهُ إن قَطَرَتْ مِنْ دمِهِ قطرةٌ في غيرِ الطَّسْتِ . . طُلِبَ بدمِهِ ، فجرىٰ دمُهُ في طَسْتِ ذهبٍ ، فلمَّا ضعفَتْ يداهُ . . سقطتا ، فقطرَتْ على النِّطعِ مِنْ دمِهِ قطراتٌ ، فقالَتْ : لا تُضيِّعوا دمَ الملوكِ ، فقالَ لها : لا يَحزُنْكِ دمٌ ضَيَّعَهُ أهلُهُ ، فذهبَتْ مثلاً .

فقالَتْ : إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ مِنَ الكَلَبِ ، وواللهِ ؛ ما وقَّىٰ دمُكَ ، ولا شفى قتلُكَ ، ثم أمرَتْ بهِ فدُفِنَ .

وكانَ عمرُو بنُ عديٍّ يَخرِجُ كلَّ يومٍ لبعضِ الحِيرةِ يَستطلِعُ أَمرَ خالِهِ ، فنظرَ يوماً إلى فارسٍ قد أقبلَ ، فأشرفَ عليهِ قصيرٌ ، فقالَ لهُ : ما وراءَكَ ؟ فقالَ لهُ : سعى القَدَرُ بالمَلِكِ إلىٰ حَتْفِهِ ، فاطلبْ بثأرهِ ، فقالَ عمرٌو : وأيُّ ثأرٍ يُطلَبُ مِنَ الزَّبَّاءِ وهي أمنعُ مِنْ عُقابِ الجوِّ ؟! فقالَ قصيرٌ : واللهِ ؛ لا أنامُ عن طلبِ دمِهِ ما لاحَ نجمٌ ، فاجدعْ أنفي ، واضرِبْ ظهري ، ودعْني وإيَّاها ، فقالَ عمرٌو : ما أنتَ لذلكَ بأهلٍ ، وقد علمتُ نصحَكَ لخالي ، فقالَ : خلِّ عني إذاً .

فجَدَعَ أَنفَهُ ، فلَحِقَ بالزَّبَّاءِ ، فقالَتْ : ما جاء بك ؟ فأشارَ بظهرِهِ وأنفِهِ ، فقالَتْ العربُ : لأمرٍ ما جَدَعَ قصيرٌ أَنفَهُ ، فقالَتْ : يا قصيرُ ؛ وبيننا دمٌ خطيرٌ ؟! فقالَ : يا بنةَ الملوكِ العظامِ ؛ لا ثأرَ ولا قَوَدَ ، ولقد أتيتُ فيهِ ما يأتي مثلُكِ في مثلِهِ ، وقد جئتُكِ مستجيراً بكِ مِنْ عمرٍو ؛ فإنّهُ عَلِمَ أنّي أشرتُ علىٰ خالِهِ بالمجيءِ إليكِ ، فجَدَعَ أنفي وأذني ، وأوجعَ ظهري ، وحالَ بيني وبينَ مالي وولدي ، فاستجرتُ بكِ لعلمي أنّي لا أكونُ معَ أحدٍ أثقلَ عليهِ منكِ .

فقالَتْ لهُ: أهلاً وسهلاً ، وكانَ يَبلُغُها مِنْ رأيهِ وحزمِهِ ، فاختصَّتْهُ وأنزلَتْهُ واصطفَتْهُ .

فلمَّا وَثِقَتْ بهِ . . أَخذَتْ تستشيرُهُ في أمورِها ، فقالَ لها يوماً : إنَّ عمراً يَطلُبُكِ بخالِهِ ، والرأيُ أن تتخذي نفقاً ؛ لعلَّكِ تحتاجينَ إليهِ ، فقالَتْ لهُ : إنِّي قدِ اتخذتُهُ تحتَ سريرِ أختي ، وكانَ الفراتُ يَشُتُّ بينَ قصرَيهما ، فأظهرَ لها السُّرورَ .

ثمَّ قالَ لها: إنَّ لي بالعراقِ أموالاً كثيرةً تَصلُحُ للملوكِ ، فإن جهَّزتِني بمالٍ للتجارةِ . تَوصَّلْتُ بهِ إلى أخذِ تلكَ الذَّخائرِ ، وننقلُها إليكِ ، فجهزَتْهُ ، فاحتالَ حتَّىٰ وصلَ إلىٰ عمرو ، فجَهَّزَهُ بطُرَفٍ مِنَ الجواهرِ والخَزِّ والدِّيباجِ والأسلحةِ ، فرجع بها .

فلمَّا تَحقَّقَتْ نصحَهُ . . أرسلَتْهُ إلى العراقِ ثالثَ سَفْرةِ ؛ ليَضرِبَ لها بها عِدَّةً مِنَ السلاحِ ، ويشتريَ لها خيلاً وعبيداً ؛ لتُجهِّزَ جيشاً إلىٰ مَنْ حواليها مِنَ الملوكِ ، فمشىٰ فيما أمرَتْهُ بهِ ، وتَوصَّلَ إلىٰ عمرٍو ، وقالَ : قد أصبتَ الفُرْصةَ مِنَ الزَّبَّاءِ ، فقالَ عمرٌو : قُلْ . . أسمعْ ، ومُرْ . . أفعلْ ؛ فأنتَ طبيبُ هاذهِ القَرْحةِ ، فقالَ : الرجالَ والمالَ ، فقالَ : حكمُكَ فيما عندي مُسلَّطٌ ، فعَمَدَ إلىٰ أَلْفَيْ رجلٍ مِنْ أهلِ القتالِ ، وجعلَهُم في غرائرَ سُودٍ ، وجعلَ فعَمَدَ إلىٰ أَلْفَيْ رجلٍ مِنْ أهلِ القتالِ ، وجعلَهُم في غرائرَ سُودٍ ، وجعلَ

47.4

سلاحَهُمُ السُّيوفَ والحَجَفَ (١) ، وجعلَ رؤوسَ الغرائرِ مربوطةً مِنْ داخلِها ، وجعلَ عمراً في الحملةِ ، وساقَ الخيلَ والعبيدَ ، فلمَّا قاربَها . . بعثَ إليها البشيرَ بسلامةِ قصيرٍ وكلِّ ما جاءَ بهِ ، فسألَتْ عنِ العِيرِ : أينَ نزلَ ؟ فقيلَ لها : بالغُويْرِ ، وكانَتْ تَنظُرُهُ مِنْ غيرِ طريقِ الغُويْرِ ، فقالَتْ : عسى الغُويْرُ أبؤساً .

وتَقدَّمَ قصيرٌ ، فدخلَ عليها يَسُرُّها ، فرَقِيَتْ سطحاً عالياً لتنظرَ مجيءَ الإبلِ ، فنظرَتْ قوائمَها تَسوخُ في الأرضِ لِمَا عليها مِنَ الأثقالِ ، فقالَتْ :
[من الرجز]

مَالِلْجِ مَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا أَمْ صَرَفَاناً بَارِداً شَدِيدَا أَمْ الرِّجَالَ جُثَما قُعُودَا

وكانَتْ قالَتْ لجواريها: إنِّي أرى الموتَ الأحمرَ في الغرائرِ السُّودِ ، فذهبَتْ مثلاً ، فدخلَتِ الجِمالُ المدينةَ ، فجَسَّ بوَّابٌ بمِخْصَرةٍ في يدِهِ غِرَارةً على آخِرِ بعيرٍ ، فأصابَتِ المِخْصَرةُ خاصرةَ رجلٍ ، فضرطَ ، فصاحَ : الشرَّ الشرَّ ، فأظهروا علامةً كانَتْ بينَهُم ، فحلُّوا رؤوسَ الجَوَالقِ ، فخرجَ منها الشرَّ ، فأقهروا علامةً كانَتْ بينَهُم ، فحلُّوا رؤوسَ الجَوَالقِ ، فخرجَ منها أَلْفا دارعِ بأَلْفَيْ سيفٍ ، فصاحوا : يا لِثارِ المَلِكِ المقتولِ غدراً ، وهربَتِ الزَّبَّاءُ تَطلُبُ النفقَ إلى تحتِ الفراتِ ، فسبقَ عمرٌو إلى بابِهِ معَ قصيرٍ ، وكانَتْ صورةُ عمرٍو مُصوَّرةً في جانبِها ، فعندَما رأَتْهُ . . عرفَتْهُ ، وكانَتْ جعلَتْ تحتِ الفَسَّ وقالَتْ : بيدي لا بيدِ عمرٍو ، فسقطَتْ وعمرٌو وقصيرٌ يضربانِها بالسيفِ ، فماتَتْ بينَ الشَّمّ والسيفِ .

⁽١) الحَجَف: جمع حجفة ؛ وهي الترس.

فاستباحوا بلدَها بما فيهِ ، واستولى عمرُو على مملكتِها ، واتخذَ عمرُو الحِيرةَ دارَ ملكِهِ ، وتوارثَها بنوهُ واحداً واحداً إلى النُّعمانِ بنِ المنذرِ ، وهوَ الذي أدركَ زمنَ المصطفى صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقتلَهُ كسرى ، وهوَ آخِرُهُم ، وكانَ مَقتَلُ والدِ الزَّبَّاءِ عندَ بعثِ عيسىٰ عليهِ السلامُ .

وقال ابنُ دريدٍ (۱) : [من الرجز]

لَقَدْ سَمَا عَمْرٌو إِلَى أَوْتَارِهِ فَٱخْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِي ٱلْمُنْتَمَىٰ وَٱسْتَنْزَلَ ٱلزَّبَّاءَ قَسْراً وَهْيَ مِنْ عُقَابِ لَوْحِ ٱلْجَوِّ أَعْلَىٰ مُنْتَهَىٰ

هلذا ؛ وتجويزُ الحريريِّ أن يكونَ المحذوفُ (كانَ) التامَّةَ التي بمعنى حدثَ ، والمرفوعُ فاعلَها . . رَدَّهُ العلماءُ بعدمِ انسياقِ الفهمِ لها ؛ حيثُ لم يكنْ معتاداً حذفُها .

[عودٌ للحديثِ عن (كانَ) وأخواتِها]

ول (كانَ) موضعٌ آخَرُ كَثُرَ حذفُها فيهِ ، وتعويضُ كلمةِ (ما) التأكيديةِ عنها ؛ كقولِ الشاعر (٢٠):

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلُهُمُ ٱلضَّبُعُ

الأصلُ: أن كنتَ ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالِ ﴾ (") ، فحُذِفَتْ (كانَ) ، وحَلَّت (ما) مَحَلَّها ، وانفصلَ الضَّميرُ ، وحلُّ البيتِ : يا أبا خراشةَ ؛ لأجلِ أن كنتَ ذا نفرٍ وصاحبَ عشيرةٍ يَحمونَكَ ويدافعونَ عنكَ . . جزتَ حَدَّكَ ، وتَعدَّيتَ طَورَكَ ، وأدللتَ على كأنَّكَ ظننتَنى فريداً لستُ ذا عشيرةٍ

⁽١) المقصورة بشرح ابن خالويه (ص ٢٠٤) ، وفيها : (منتمي) بدل (منتهي) .

⁽۲) انظر « خزانة الأدب » (۱۳/٤) .

⁽٣) سورة القلم : (١٤).

مثلِ عشيرتِكَ ؛ فاكفُفْ مِنْ غَرْبِكَ ، والزمْ أدبَكَ ، وقفْ عندَ حَدِّكَ ؛ فإنَّ قومي الذينَ عرفتَهُم . . لم تأكلهُمُ الضَّبُعُ .

والمرادُ بالضَّبُعِ: الحيوانُ المعروفُ ، أو السَّنَةُ المُجدِبةُ ؛ إذ كانَ مِنْ عاداتِهِم أن يتركوا القتلى في الحروبِ حتَّىٰ تأكلَهُمُ السِّباعُ ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حينَ قُتِلَ حمزةُ عمُّهُ رضيَ اللهُ عنهُ: « لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ _ وهيَ أختُ حمزةَ _ لَتَرَكْتُهُ حَتَّىٰ يُحْشَرَ مِنْ أَجْوَافِ ٱلسِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ ٱلطُّيُورِ » (١).

وقالَ الشَّنفري (٢):

[من الطويل]

فَلَا تَقْبُرُونِي إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَاكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ إِذَا حَمَلُوا رَأْسِي وَفِي ٱلرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ ٱلْمُلْتَقَىٰ ثَمَّ سَائِرِي هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَجِيسَ ٱللَّيَالِي مُبْسَلاً بِٱلْحَرَائِرِ

وأمُّ عامرٍ: كنيةُ الضَّبُعِ، فكأنَّهُ قالَ: فإنَّ قومي لم تُفنِهِمُ الحروبُ حتى أكلَتْهُمُ السِّباعُ، أو فإنَّ قومي لم تَتتابعْ عليهِم أيامُ قَحْطٍ وجَدْبٍ حتى أفناهُمُ السِّباعُ، أو فإنَّ قومي لم تَتتابعْ عليهِم أيامُ قَحْطٍ وجَدْبٍ حتى أفناهُمُ الجوعُ.

ومِنَ الضَّبُعِ بمعنى السَّنَةِ: قولُ أبي العلاءِ المعريِّ ("): [من الطويل] إِذَا ٱلضَّبُعُ ٱلشَّهْبَاءُ حَلَّتْ بِسَاحَتِي نَضَوْتُ عَلَيْهَا كُلَّ مَوَّارَةِ ٱلضَّبْع

واختصَّتْ أيضاً (كانَ) بجوازِ حذفِ نونِ مضارعِها ، حيثُ يُجزَمُ ولم يَتصِلْ بهِ ساكنٌ ولا ضميرٌ .

⁽١) أخرجه أبو داوود (٣١٢٨) ، والترمذي (١٠١٦) عن سيدنا أنس رضى الله عنه .

⁽٢) انظر « ديوان الشنفري » (ص ٥٨ ـ ٥٩) ، وفيه (بالجرائر) بدل (بالحرائر) .

^(*) انظر « شروح سقط الزند » (1787/7).

وأفعالُ هاذا البابِ مِنَ الألفاظِ المُشترَكةِ ؛ فتُستعمَلُ تامَّةً مقصودةَ المعاني بالإفادةِ ، كما تقولُ لصاحبِكَ : أمسيتُ ؛ أي : دخلتُ في المساءِ ، إلَّا (فَتِئَ) و(ليسَ) و(زالَ) التي مضارعُها يَزالُ .

[الحروف التي تَعمل عمل (ليسَ)]

وأثبتَ النحويونَ إعمالَ أربعةِ أحرفٍ مِنْ حروفِ النفيِ إعمالَ (ليسَ) وهي : (ما) و(إن) ، و(لا) و(لات) .

أمَّا كلمةُ (ما).. فنسبوا إعمالَها لأهلِ الحجازِ ؛ فيُقالُ: (ما) حجازيةٌ ، ويُقالُ عندَ إهمالِها: تميميةٌ ، وباللَّغتينِ وردَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿ مَا هَذَا سَمَرًا ﴾ (١) ، بنصبِ بشرٍ ورفعِهِ (٢) ، وألطفَ الشاعرُ في قولِهِ (٣): [من الكامل] وَمُهَفْهَفِ ٱلْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ ٱنْتَسِبْ فَأَجَابَ مَا قَتْلُ ٱلْمُحِبِّ حَرَامُ يقولُ: إنَّهُ انتسبَ إلىٰ تميم ؛ حيثُ تَكلَّمَ بلغتِهِم .

وللكنَّ إعمالَها مشروطٌ بأربعةِ شروطٍ:

الأوَّلُ: ألَّا تصحبَها (إن) مثلُ: ما إنِ الحقُّ خافٍ.

الثاني: ألّا يَنتقِضَ نفيُها بـ (إلّا) مثلُ: ما أنتَ إلّا مجتهدٌ فبالغٌ ، أو متوانٍ فمحرومٌ ؛ لأنَّ إعمالَها إنَّما هوَ بجهةِ نفيها ، ولذلكَ إذا استدركتَ أو أضربتَ بعدَ منصوبِها بإثباتِ مخالفِهِ . . رفعتَ ، وكانَ المرفوعُ جزءَ جملةٍ حُذِفَ صدرُها ؛ مثلُ : ما زيدٌ كاتباً للكنْ شاعرٌ ، أو : بل شاعرٌ ؛ أي : للكنْ هوَ ، أو بل هوَ .

⁽١) سورة يوسف : (٣١) .

⁽٢) انظر « الدر المصون » (٢٦٢/١٠) .

⁽٣) انظر « نفح الطيب » (٢٢٧/٥) .

الثالثُ : ألَّا يَتقدَّمَ معمولُ الخبر على المبتدأ ، وليسَ ظرفاً ولا صاحبَهُ .

الرابعُ: ألَّا يَتقدَّمَ الخبرُ على المبتدأ ، ولذلكَ حكموا بغَلَطِ التميميِّ ـ وهوَ أبو فراسٍ همامُ بنُ غالبٍ المشهورُ بالفرزدقِ ـ حيثُ أرادَ أن يَتكلَّمَ بلغةِ ممدوحِهِ الحجازيّ فقالَ (١):

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ ٱللهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرُ فَأَصْبَحُوا قَد أَعَادَ ٱللهُ نِعْمَتَهُمْ بَشَرُ فَعُهُ بَذَلَكَ الشرطِ.

وأمَّا كلمةُ (إنْ).. فنسبوا إعمالَها لأهلِ عاليةِ نجدٍ خاصَّةً، قالَ شاعرُهُم (٢):

إِنْ هُوَ مُسْتَوْلِياً عَلَىٰ أَحَدِ إِلَّا عَلَىٰ أَضْعَفِ ٱلْمَجَانِينِ وَمِنْ كلامِ بعضِهِم: إِن أحدٌ خيراً مِنْ أحدٍ إلَّا بالعافيةِ ، ولقِلَّةِ مَنْ أعملَها حكمَ النحويونَ بقِلَّةِ إعمالِها.

وأمّا (لا) و(لات) بزيادة التاء .. فلم يَنسُبوا إعمالَها لأحدٍ ، غيرَ أنَّهُم نقلوا اختصاصَ (لاتَ) بالعملِ في أسماء الأزمنة ؛ كالحينِ والوقتِ والمُدَّةِ والأوانِ ، وأنَّهُ يَلزمُ حذفُ أحدِ معمولَيها ، وحذفُ المرفوعِ أكثرُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَانَ حِينَ مَنَاسِ ﴾ (٣) ، تقديرُهُ : ولاتَ الحِينُ حِينَ مناص .

⁽١) انظر « ديوان الفرزدق » (٣١٦/١) .

⁽٢) انظر « أوضح المسالك » (٢٦١/١) .

⁽٣) سورة ص : (٣).

وأثبتَ الكوفيةُ أنَّ بعضَ العربِ يَجُرُّ بها على اختصاصِها بأسماءِ الأزمنةِ ، وشاهدُهُم على ذلكَ قولُ أبي فراس (١): [من الخفيف]

طَلَبُ وا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ

وهيَ عندَهُم حينَئذِ مثلُ (ربَّ) و(لعلَّ) ، وجرى علىٰ ذٰلكَ أبو الطيبِ ؛ حيثُ كانَتِ الكوفةُ مَنشأَهُ ، وبها تَأدَّبَ ، فقالَ (٢): [من البسيط]

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّىٰ لَاتَ مُصْطَبَرٍ وَٱلْآنَ أَقْحَمُ حَتَّىٰ لَاتَ مُقْتَحَمِ

وتفسيرُ البيتِ : تَصبَّرتُ إلى زمنٍ غيرِ زمنِ اصطبارٍ ، والآنَ أَقحَمُ إلى زمنِ غيرِ زمنِ اقتحامِ .

ويظهرُ أنَّهُم حكمُوا باسميَّتِها وتَصرُّفِها تصرُّفَ كلمةِ (غيرٍ) ، فيكونُ التقديرُ في قولِ أبي فراسٍ : طلبوا صلحَنا وغيرُ أوانِ صلحٍ أوانُ طلبِهِم ، وقد نصُّوا على اسميَّةِ (لا) في نحو : جئتُ بلا زادٍ (٣) .

وأما (لا): فقالَ البصريةُ . . إنَّها تعملُ بشروطِ (ما) في النكراتِ لا غيرُ ؛ كقولِهِ (ن) : [من الطويل]

تَعَزَّ فَلَا شَيْءٌ عَلَى ٱلْأَرْضِ بَاقِيَا وَلَا وَزَرٌ مِـمَّا قَـضَى ٱللهُ وَاقِـيَا

وأثبتَ الكوفيةُ إعمالَها في المعارفِ ، وعليهِ قولُ أبي الطيبِ (°): [من الطويل] إذا ٱلْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصاً مِنَ ٱلْأَذَىٰ فَلَا ٱلْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا ٱلْمَالُ بَاقِيَا

وإنَّما تَعرَّضتُ في هلذا الموضع لحكايةِ نقلِ الكوفيينَ ؛ ليَعرِفَهُ الطَّلَبةُ

⁽١) في « خزانة الأدب » (١٨٩/٤ _ ١٩٠) أن البيت لأبي زبيد الطائي .

⁽٢) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٢٥) .

⁽٣) يعني : الكوفيين . انظر « مغني اللبيب » (٣٢٢/١) .

⁽٤) انظر « أوضح المسالك » (٢٥٦/١) .

⁽٥) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٣٣٤) .

في كلامِ أبي الطيبِ المتنبي ، حيثُ يَمرُّ بهِم عندَ قراءتِهِ اللَّازِمةِ لطَلَبةِ العلمِ ؟ ليَعرِفوا تفاوتَ الأقوالِ في البلاغةِ ، وحسنِ السياقِ ، واختيارِ العباراتِ ؟ إذ كانَ ذلكَ هوَ الطريقَ لمعرفةِ إعجاز القرآنِ .

[(كادَ) وأخواتُها]

وأمَّا (كادَ) وأخواتُها . . فإنَّها تَختصُّ مِنْ بينِ الجملِ الابتدائيةِ بجملةٍ يكونُ خبرُها فعلاً مضارعاً رافعاً لضميرِ المبتدأ ؛ مثلُ : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَوْلَقُونَكَ ﴾ (١) ، ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزَلِقُونَكَ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَا كَادُواْ لَيَزَلْقُونَكَ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَا كَادُواْ لَيَعْمُونَ ﴾ (١) .

وأمَّا نحوُ (١٠):

فَأُبْتُ إِلَىٰ فَهُمٍ وَمَا كِدْتُ آيِباً وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ وَلَا الْمِزِ] ونحوُ (°):

أَكْفَرْتَ فِي ٱلْعَذْلِ مُلِحًا دَائِمَا لَا تُكْثِرَنْ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمَا

ونحوُ: عسى الغُوَيْرُ أبؤساً . . فمحكومٌ بندرتِهِ ، وعدمِ جوازِ استعمالِ مثلِهِ .

للكنْ يجبُ اقترانُ خبرِ (حَرَىٰ) و(اخلولقَ) بكلمةِ (أَنْ) مثلُ : اخلولقَتِ

⁽١) سورة الإسراء : (٧٣) .

⁽٢) سورة القلم: (٥١).

⁽٣) سورة البقرة : (٧١) .

⁽٤) هو لتأبط شرّاً في « ديوانه » (ص ٩١) .

⁽٥) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٣٢٤/١) .

السماءُ أَن تُمطِرَ ، وهوَ الأكثرُ في خبر (عسىٰ) و(أوشك) ، وفي خبرِ (كادَ) و لَكَرَبَ) الأكثرُ التجرُّدُ منها .

فمِنَ الكثيرِ: قولُ العربِ: كادَ المُنتعِلُ يكونُ راكباً ، وكادَ العروسُ يكونُ مَلِكاً ، وكادَ العروسُ يكونُ مَلِكاً ، وكادَ الخَلُقِ يكونُ سَبُعاً ، وكادَ الفقرُ عبداً ، وكادَ النقرُ يكونُ طيراً ، وكادَ البخيلُ يكونُ كفراً ، وكادَ البيانُ يكونُ سحراً ، وكادَ النَّعامُ يكونُ طيراً ، وكادَ البخيلُ يكونُ كَلْباً .

ومِنَ القليلِ: ما وقعَ في بعضِ المرويِّ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «كَادَ ٱلْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً » ('') ، و «كَادَ ٱلْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً » ('') ، و «كَادَ ٱلْحَسَدُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً » ('') ، و «كَادَ ٱلْحَسَدُ أَنْ يَسْبِقَ ٱلْقَدَرَ » ("") .

ويجبُ التجرُّدُ في أخبارِ أفعالِ الشروع .

ول (عسى) و (اخلولق) و (أوشك) استعمالٌ آخَرُ ؛ وهوَ أن يُؤتَىٰ بعدَ الأفعالِ ب (أَنْ) ومدخولِها ، ويُقالُ : (أَنْ) وما دَخلَتْ عليهِ سَدَّتْ مَسدَّ الاسمِ والخبرِ ؛ نحوُ : عسىٰ أن يَنجليَ الحقُّ ، وأوشكَ أن يَحسُنَ التحصيلُ .

وحينَئذٍ يكونُ لكَ في إعرابِهِ وجهانِ :

الأوَّلُ : أن تقولَ : (أن) وما دَخلَتْ عليهِ في موضعِ الاسمِ والخبرِ ، وسادَّةٌ مَسدَّهُما .

والثاني : أن تقولَ : خبرٌ مُقدَّمٌ ، واسمٌ مُؤخَّرٌ .

وبناءً على الأوَّلِ: تَقولُ: عسى أن يقومَ الزيدانِ ، وعسى أن يقومَ الزيدونَ ،

⁽۱) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٨٠/٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وانظر « المقاصد الحسنة » (٧٨٨) .

⁽٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

⁽٣) انظر « المقاصد الحسنة » (٧٨٧) .

وعسى أن تقومَ الهنداتُ ، وعسى أن تظهرَ الشمسُ ، وعسى أن يظهرَ الشمسُ ، وعسى أن يظهرَ الشمسُ ، والزيدانِ عسى أن والزيدونَ عسى أن يقوموا ، والهنداتُ عسى أن يقمنَ ، وهندٌ عسى أن تقومَ .

وبناءً على الثاني: تقولُ: عسى أن يقوما الزيدانِ ، وعسى أن يقوموا الزيدونَ ، وعسى أن يقوموا الزيدونَ ، وعسى أن يقمن الهنداتُ ، وعسى أن تظهرَ الشمسُ ، لا غيرُ ، والزيدانِ عسيا أن يقوما ، والزيدونَ عسوا أن يقوموا ، والهنداتُ عسينَ أن يقمنَ ، وهندٌ عستْ أن تقومَ .

وبعضُ العربِ يَكسِرُ سينَ (عسىٰ) عندَ إسنادِهِ للضمائرِ البارزةِ ، وبهِ قرأَ نافعٌ .

[بيانُ (باب إنَّ) وأخواتِها]

بيانُ الأحرفِ الثمانيةِ التي تنصبُ المبتداَ ويُقالُ لهُ: اسمُها ، وتَرفعُ الخبرَ ويُقالُ لهُ: اسمُها ، وتَرفعُ الخبرَ ويُقالُ لهُ: خبرُها ؛ وهي : (إنَّ) و(أنَّ) و(للكنَّ) و(كأنَّ) و(لعلَّ) و(ليتَ) و(لا) و(إلَّا) .

الأحرفُ الستةُ الأولُ يَمتنعُ تقديمُ أخبارِها على الأسماءِ ما لم تكنْ ظروفاً أو صواحبَها ، ولْنُفرِدْ كلَّ حرفٍ بالكلام عليهِ ؛ فنقولُ :

الكلامُ علىٰ (إنَّ)

تكونُ في جملةٍ مستأنفةٍ ، وجملةِ صلةٍ ، وجملةِ جوابِ القسمِ ، وجملةٍ حُكِيَتْ بقولٍ ، وجملةٍ أُضِيفَتْ لها (حيثُ) ، وجملةٍ وقعَتْ حالاً ، وجملةٍ وقعَتْ بعدَ (حتَّى) الابتدائية ؛ وهي التي لا يُقصَدُ فيها معنى العايةِ ، بل يُقصَدُ فيها معنى السببيةِ ؛ كقولِكَ : أصلحَ زيدٌ أحوالَهُ ، حتى إنَّ الناسَ مُتفقونَ على شكرهِ .

وتصحبُها لامُ الابتداءِ ، فتُزحلَقُ عن موضعِها الذي كانَ لها ؛ حيثُ كانَ اسمُ (إنَّ) مبتداً . . إلى خبرِ إنَّ ، فتَدخُلُ عليهِ ، وعلى معمولِهِ المُتقدِّمِ عليهِ ، وعلى الفَصْلِ في نحوِ : إنَّ زيداً لهوَ المُنطلِقُ ، وإنَّ هنداً لهيَ المُنطلِقةُ ؛ تقريباً للَّامِ مِنْ موضعِها حَسَبَ الإمكانِ ، فلو تَأخَّرَ الاسمُ عنِ المبتدأ . . صحبَتْهُ ولم تصحَبِ الخبرَ ؛ لزوالِ المنكرِ الذي هوَ اجتماعُ مُؤكِّدَينِ حرفَينِ شبيهَين بالزائدِ في الكلام .

وإذا كانَ خبرُ (إنَّ) مَنفيّاً ، أو فعلاً ماضياً مُتصرِّفاً خالياً مِنْ (قد) . . ا امتنعَتِ اللَّامُ . وتُخفَّفُ (إِنَّ) بحذفِ النونِ الثانيةِ وبقائِها [على] حرفَينِ مُتحرِّكٍ وساكنٍ ، فيَزولُ اختصاصُها بالاسمِ ، وتَدخُلُ على الفعلِ ، ويَكثُرُ إهمالُها مع وجودِ الاسمِ بلصقِها ، وحينَئذِ تَلزمُ اللَّامُ معَها ؛ لرفعِ اشتباهِها به (إن) النافيةِ ، فلو تَعيَّنَتْ بدونِ اللَّامِ . . لم تَلزمُ ؛ كقولِهِ (١) : [من الطويل]

إِنِ ٱلْحَقُّ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذِي بَصِيرَةٍ

وقولِهِ (۲):

أَنَا ٱبْنُ أَبَاةِ ٱلضَّيْمِ مِنْ آلِ مَالِكٍ وَإِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامَ ٱلْمَعَادِنِ إِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامَ ٱلْمَعَادِنِ إِذْ لَا يَحتمِلُ الكلامُ النافية ؛ لظهور فسادِ المعنى .

وإذا دخلَتْ على الفعلِ فأكثرُ ما يكونُ فعلاً ماضياً ناسخاً ؛ نحوُ : إن كادَ ليَصُدُّنا ، ﴿ وَإِن وَجَدْنَا أَكَثَرُهُمْ لَفَسِقِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِن كَانَتُ لَكِيرَةً ﴾ (١) .

ودونَهُ: أَن يكونَ فعلاً مضارعاً ناسخاً ؛ نحوُ: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُرْلِقُونَكَ وَإِن نَظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَذِبِينَ ﴾ (٥).

ودونَهُ: أن يكونَ فعلاً ماضياً غيرَ ناسخ ؛ نحوُ: [من الكامل]

... إِنْ قَـتَـلْتَ لَـمُـسْـلِـماً

واختلفوا في صحةِ القياسِ عليهِ .

إِنِ ٱلْحَقُّ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذِي بَصِيرَةِ وَإِنْ هُـوَ لَـمْ يَعْدَمْ خِلَافَ مُعَانِدِ

⁽۱) انظر « مغنى اللبيب » (٣٠٦/١) ، والبيت بتمامه :

⁽٢) انظر « همع الهوامع » (١١/١٥).

⁽٣) سورة الأعراف : (١٠٢) .

⁽٤) سورة البقرة : (١٤٣) .

⁽٥) سورة القلم: (٥١).

⁽٦) انظر « مغني اللبيب » (٣٧/١) ، والبيت بتمامه : شَـلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً حَـلَّتْ عَلَيْكَ عُـقُوبَةُ ٱلْمُتَعَمِّدِ

ودونَهُ: أَنْ يكونَ فعلاً مضارعاً غيرَ ناسخٍ ؛ نحوُ: إِنْ يَزينُكَ لَنفسُكَ ، وإِنْ يَشينُكَ لهيَهُ .

وأجمعوا على امتناع القياسِ عليهِ (۱) ، والسِّرُّ في ذلك : أنَّ وضعَها على الاختصاصِ بالجملةِ الاسميةِ ، فحاولَتِ اللَّغةُ عندَ تخفيفِها ألَّا يزولَ اختصاصُها بالمَرَّةِ ، فأصحبوها النواسخَ التي هي مصاحبةٌ دائماً لجملةِ المبتدأ والخبرِ ، فكأنَّها لم تُزَلْ عمَّا لها .

الكلامُ علىٰ (أنَّ)

هيَ مِنَ الموصولاتِ الحرفيَّةِ كما سبقَ (٢) ، فالجملةُ بعدَها مفردٌ مطلوبٌ لإتمامِ الكلامِ ، أو مُتعلِّقٌ مِنْ مُتعلِّقاتِهِ ؛ وذلكَ المفردُ مصدرٌ يُؤخَذُ مِنْ خبرِها ويُضافُ لاسمِها إن كانَ الخبرُ مُشتقاً ، ونفسُ الخبر مصحوباً بياءِ النَّسَبِ ـ التي تُسمَّىٰ ياءَ المصدريةِ ـ وتاءِ التأنيثِ إن كانَ الخبرُ جامداً ؛ فتقولُ في نحوِ : بلغني أنَّ زيداً قائمٌ ؛ تقديرُهُ : بلغني قيامُ زيدٍ ، وفي نحوِ : بلغني أنَّ زيداً قائمٌ ؛ تقديرُهُ : بلغني أسديَّةُ زيدٍ ؛ أي : كونُهُ أسداً .

وتقعُ فاعلاً كما مرَّ ، ومفعولاً ؛ نحوُ : علمتُ أنَّ زيداً كاتبٌ ، ومجروراً ؛ نحوُ : قصدتُكَ أنَّكَ فاضلٌ ؛ أي : لأنَّكَ ، وتُثابُ في الآخرةِ بأنَّكَ تَعملُ الخيرَ في الآخرةِ بأنَّكَ تَعملُ الخيرَ في الدنيا ، ولأجلِ أنَّكَ مستقيمٌ أَحبَّكَ الناسُ ، ومبتداً ؛ نحوُ : يقيني أنَّ زيداً مُدرِكٌ ، وخبراً لمبتدأ هوَ اسمُ معنىً غيرُ قولٍ ، ولا يكونُ خبرُ (أنَّ) صادقاً عليهِ ؛ بحيثُ يكونُ مِنْ أفرادِهِ ، وإلَّا . . كانَ موضعَ المكسورةِ ؛ نحوُ : زيدٌ إنَّهُ فاضلٌ ؛ في الإخبارِ عنِ اسمِ العينِ ، وقولي إنَّهُ مستقيمٌ ، واعتقادي إنَّهُ حقٌ ، فاضلٌ ؛ في الإخبارِ عنِ اسمِ العينِ ، وقولي إنَّهُ مستقيمٌ ، واعتقادي إنَّهُ حقٌ ،

⁽١) انظر « همع الهوامع » (١٣/١٥) .

⁽٢) انظر (١٣٩/١).

وخبرُ زيدٍ إنَّهُ صادقٌ ؛ [فالاعتقادُ] فردٌ مِنْ أفرادِ الحقِّ ، وخبرُ زيدٍ فردٌ مِنْ أفرادِ الحقِّ ، وخبرُ زيدٍ صدقهُ ، والمثالُ أفرادِ الصادقِ ؛ فلا يَصِحُّ : اعتقادي حقِّيَّتُهُ ، ولا : خبرُ زيدٍ صدقهُ ، والمثالُ الجامعُ للشروطِ : حالُ زيدٍ أنَّهُ يقولُ الحقَّ ، ومُعتقدي أنَّهُ شاعرٌ ؛ تقولُ : حالُهُ قولُ الحقّ ، ومُعتقدي شعرُهُ .

وتقعُ معطوفةً على تلكَ الأشياءِ ، فالحاصلُ : أنَّ جملتَها بالنسبةِ لأجزاءِ الكلامِ غيرُ مقصودةِ الجمليةِ ، وإن كانَتْ جمليتُها بحَسَبِ المعنى مقصودةً ؛ إذ مركزُ التوكيدِ والتقويةِ هوَ نسبةُ الخبرِ للمبتدأ ، حتى إنَّهُ ليسَ معنى قولِ مَنْ يقولُ : أعجبَني أنَّ زيداً قائمٌ ؛ على تقديرِ : أعجبَني قيامُ زيدٍ . . أنَّ نفسَ القيامِ الذي هوَ الانتصابُ هوَ الذي أعجبَهُ مِنْ حيثُ سرعتُهُ أو مهلتُهُ مثلاً ، بل معناهُ : أنَّ الذي أعجبَهُ صدورُ القيامِ وحصولُهُ مِنْ زيدٍ ، وهاذا هوَ معنى الجملةِ .

وتُخفَّفُ (أنَّ) فلا [يَزولُ] اختصاصُها ، للكنَّها تَلزمُ حالاً ؛ هيَ أنَّ اسمَها لا يُذكَرُ ، وهوَ ضميرُ شأنِ إن لم يكنِ المَحَلُّ صالحاً لضميرِ عادةً ، وأنَّ خبرَها يجبُ أن يكونَ جملةً اسميةً ، أو فعليةً فعلُها جامدٌ أو دعاءٌ أو منفيٌ ، أو مبتدأٌ ب (قد) أو مبتدأٌ بالسينِ أو (سوفَ) أو (لو) نحوُ : علمتُ أنْ زيدٌ قائمٌ ، وبلغني أنْ نِعْمَ زيدٌ ، ﴿ وَلَلْيَسَهُ أَنْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهَا ﴾ (١) ، ﴿ أَيَحَسَبُ أَن لَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (١) ، ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾ (١) .

وَٱعْلَمْ فَعِلْمُ ٱلْمَرْءِ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرًا

⁽١) سورة النور : (٩) وهي قراءة نافع ، كما في « النشر في القراءات العشر » (٣٣٠/٢) .

⁽٢) سورة البلد: (٥).

⁽٣) سورة المزمل : (٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح ابن عقيل على الألفية » (٣٨٧/١) ، والبيت من السريع .

وسرَّني أن قد قامَ زيدٌ ، ﴿ وَأَلَوِ ٱسْتَقَامُواْ عَلَى ٱلظّرِيقَةِ ﴾ (١).

وهنالكَ أربعةُ مواضعَ يجوزُ فيها على اختلافِ الملاحظةِ أن تأتيَ بالمفتوحةِ وأن تأتي بالمكسورةِ:

الْأَوَّلُ: حيثُ يقعُ التركيبُ بعدَ (إذا) الفجائيةِ ؛ كقولِهِ: [من الطويل] وَكُنْتُ أُرَىٰ زَيْداً كَمَا قِيلَ سَيِّداً إِذَا أَنَّهُ عَبْدُ ٱلْقَفَا [وَٱللَّهَازِمِ]

معنى البيتِ: كانَ يُخيَّلُ لي سيادةُ زيدٍ وَفقَ المشهورِ عنهُ ، فلمَّا اختبرتُهُ . . وجدتُهُ مبذولَ الهِمَّةِ في تسمينِ بدنِهِ ؛ فهوَ عبدُ شهواتِهِ ، لا يحتمِلُ مكارهَ السيادةِ اللازمةَ لِمَنْ أرادَ الشرفَ والرئاسةَ والتقدُّمَ على الغيرِ ، قالَ العربيُّ (٢) :

بِبَذْلِ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ ٱلْفَتَىٰ وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ وقالَ أبو الطيب^(٣):

لَوْلَا ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ الْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلْإِقْدَامُ قَتَّالُ

فإنَّ الواقعةَ بعدَ (إذا) يجوزُ فتحُها على أنَّ المذكورَ أحدُ ركنَيِ الجملةِ ، والآخَرَ محذوفٌ ، والتقديرُ : فإذا عبوديتُهُ لقفاهُ و[لهازمِهِ] هيَ الواقعُ ، ويجوزُ الكسرُ على أنَّ المذكورَ الجملةُ بتمامِها .

الثاني: إذا وقعَتْ بعدَ قَسَمٍ وليسَ معَها لامٌ ؛ نحوُ: أَحلِفُ أَو أُقسِمُ بِاللهِ ؛ إِنَّ اليقينَ خيرٌ مِنَ الظَّنِّ ، فإذا كانَ التقديرُ: أَحلِفُ

⁽١) سورة الجن : (١٦) .

⁽٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢٧٠/١) .

⁽٣) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٣٦٩) .

علىٰ أنَّ اليقينَ خيرٌ . . فتحتَ (أنَّ) وتكون حذفتَ الجارَّ .

الثالثُ : إذا وقعَتْ بعدَ فاءِ جوابِ الشرطِ ؛ نحوُ : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوَّا الشَّرَطِ ؛ نحوُ : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوَّا يَجَهَلَةِ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأُنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ، الفتحُ على تقديرِ : فمغفرتُهُ لهُ ورحمتُهُ إيَّاهُ واقعتانِ حَسَبَ ما تَفضَّلَ بكتابتِهِ على نفسِهِ جلَّ ذكرُهُ .

الرابعُ: حيثُ يكونُ خبرُها يمكنُ أن يُؤخَذَ منهُ ما يَصدُقُ على المبتدأ ؛ نحوُ: أوَّلُ كلامي وآخِرُهُ أنِّي أشكرُ الله على تواتر نَعمائِهِ.

فالكسرُ على أنَّ المقصودَ: أوَّلُ الكلامِ وآخِرُهُ هاذا اللَّفظُ، والفتحُ على أنَّ التقديرَ: أوَّلُ الكلام وآخِرُهُ شكرُ اللهِ.

[الكلامُ على (كأنَّ)]

وأمَّا (كأنَّ).. فإنَّها إذا خُفِّفَتْ.. لم تُهمَلْ، ويكونُ اسمُها مذكوراً، ومحذوفاً، واسماً ظاهراً، وضميراً، وإذا كانَ خبرُها مضارعاً.. غلبَ كونُهُ منفيّاً؛ نحوُ: ﴿ كَأَن لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ (٢)، وإذا كانَ ماضياً.. كانَ مُقترِناً برقد)؛ نحوُ (٣):

. كَأَنْ قَـدُ أَلَـمًا

⁽١) سورة الأنعام : (٥٤).

⁽٢) سورة يونس: (٢٤).

لَا يَهُولَنَّكَ ٱصْطِلَاءُ لَظَى ٱلْحَرْ بِ فَمَحْذُورُهَا كَانٌ قَدْ أَلَمَّا

ووقوعُهُ مذكوراً ؛ نحوُ (١):

كَأَنْ ظَبْيَةٌ تَعْطُو إِلَىٰ وَارقِ ٱلسَّلَمْ

[من الطويل]

وَيَوْمَ تُوافِينَا بِوَجْهِ مُقَسِّمٍ

[الكلامُ علىٰ (لكنَّ)] وأمَّا (لكنَّ) . . فإنَّها إذا خُفِّفَتْ . . أهملَتْ في الفصيح .

[الكلامُ علىٰ (ليتَ) و(لعلَّ)] وأمَّا (ليتَ) و(لعلَّ).. فإنَّهُما لا يُخفَّفانِ.

وهاذه الأحرف الستة تعقبُها (ما)، فيَزولُ اختصاصُها بالاسم، وتَدخُلُ على اللسم، إلَّا على الاسم، إلَّا على اللسم، إلَّا ليتَ) فلا يَزولُ اختصاصُها، ولذلكَ كانَ إعمالُها أكثرَ مِنْ إهمالِها، بل أوجبَهُ بعضُهُم.

ودخولُها على الفعلِ نحوُ: زيدٌ كأنّما يَنظُرُ بعينَيْ أسدٍ ، ونحوُ: إنّما رأيتُهُ وهوَ ساكتٌ ، إلّا (أنّ) و(لكنّ) و(أنّ) إذا أتيتَ بعدَ استكمالِ جملتِها مِنَ الاسمِ والخبرِ باسمٍ يشاركُ اسمَها في حكمِهِ . . جازَ لكَ عطفُهُ عليهِ ، وجازَ لكَ رفعُهُ بالابتداءِ والخبرُ محذوفٌ لدلالةِ السابقِ ، أو بالعطفِ على الضّميرِ المستترِ في خبرِ (إنّ) ، وحينَئذٍ لا بدَّ مِنَ الفصلِ بينَهُ وبينَ حاملِ الضّميرِ كما ستقفُ عليه عندَ القولِ في التوابعِ (٢) ؛ نحوُ: إنّ زيداً قائمٌ وعمرٌو ؛ أي : كذلكَ ، وإنّ زيداً قائمٌ هوَ وعمرٌو .

⁽٢) انظر (٤٨١/١) .

الكلامُ علىٰ (لا)

إذا أردتَ أن تَنُصَّ على انتفاءِ شيءٍ عن جنسِ شيءٍ ؟ بحيثُ يكونُ الانتفاءُ عن جميعِ أفرادِهِ . . جئتَ ب (لا) ، وتُسمَّىٰ (لا) التبرئةَ ، و(لا) النافيةَ للجنسِ .

ونصبتَ بها الاسمَ لفظاً: إن كانَ مضافاً ، أو رفعَ فاعلاً _ ويُسمَّىٰ هاذا وما بعدَهُ: شبيهاً بالمضافِ _ أو نصبَ مفعولاً أو تَعلَّقَ بهِ ظرفٌ ؛ نحوُ: لا غلامَ خدمةٍ عندَ زيدٍ ، ولا ظريفاً طبعُهُ مذمومٌ ، ولا قارئاً عِلْماً محرومٌ ، ولا رفيقاً بالناس مشتومٌ ، ولا واقفاً عندَ حدِّهِ مزيفٌ .

ونصبتَهُ مَحَلّاً وبنيتَهُ على الفتح : إن كانَ غيرَ ذلكَ ؛ نحوُ : لا رجلَ قائلٌ ما تقولُ ، وعلى الياءِ في نحوِ : لا رجلَينِ ، ولا غافلينَ ، وعلى الكسرِ في نحوِ : لا ذاكراتِ ، نيابةً عنِ الفتحةِ .

وشاعَ في تركيبِ (لا) هـٰذهِ تركُ اللَّفظِ بالخبرِ ؛ لانفهامِهِ ، ومنهُ قولُ القارئ : لا أحدَ ، بعدَ قراءتِهِ : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (١) ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ (١)

وربَّما أُرِيدَ بتركيبِها - الذي هوَ مِنَ الخبرياتِ - النهيُ ، فيصيرُ مِنَ الإنشائياتِ مثلُ هاذا ، ومثلُ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » (٣) ، ولا بأسَ باستيفاءِ القولِ في (لا) في هاذا الموضع .

قد عرفتَ أنَّها مِنْ أحرفِ النفي ، للكنَّها ذاتُ أحوالٍ مختلفةٍ :

فإذا دخلَتْ على المضارع . . لم تعملْ شيئاً ، ولكَ تَكرارُها وعدمُهُ حَسَبَ

⁽١) سورة النساء : (٨٧) .

⁽٢) سورة طله : (٩٧) .

⁽٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٥٢) عن سيدنا ابن عباس رضى الله عنهما .

حاجتِكَ ؛ نحوُ : ﴿ لَا يَمَسُّهُ وَ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (١) ، ونحوُ : ﴿ لَاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِٱلنَّقْسِ ٱللَّوَامَةِ ﴾ (١) .

وإذا دخلَتْ على الفعل الماضي:

فإن كانَتْ للدعاءِ . . فكذلكَ ؛ نحوُ : لا زالَ طالبُ الخيرِ يجدُهُ ، ولا برحَ باغي الشرِّ يَهديهِ اللهُ ويَصرِفُهُ عنهُ .

وإن كانَتْ للإخبارِ . . وجبَ تَكرارُها ؛ نحوُ : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّا ﴾ (٣) ، ولا راحَ ولا جاءَ .

وإذا دخلَتْ على الجملةِ الاسميةِ:

فإن كانَتْ أجزاؤُها نكراتٍ ، ولم تُفصَلْ مِنَ المبتدأ . . أعملتَها عملَ (إنَّ) حيثُ تريدُ النصَّ على النفي عنِ الجنسِ ، وأعملتَها عملَ (ليسَ) حيثُ تريدُ النفي عنِ الواحدِ ؛ نحوُ : لا رجلٌ يقولُ ذلكَ ، بل جميعُ أهلِ المدينةِ ، ونحوُ : لا رجلٌ يقولُ ذلكَ ولا رجلانِ ، بل جميعُ الناسِ .

وإذا وردَتْ عاملةً هاذا العملَ ولا قرينةَ على مرادٍ . . وجبَ الحملُ على النفي عن الجنسِ ؛ إذ هوَ الظاهرُ ، ولا مقتضى للعدولِ عنهُ .

فإذا كانَتْ أجزاءُ الجملةِ معارفَ أو نكراتٍ ، وفُصِلَتْ (لا) مِنَ المبتدأ : لم تَعملْ شيئاً ، ولزمَ تكرارُها ؛ نحوُ : ﴿ لَا فِيهَا غَوَّلُ وَلَا هُرْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ ('') ، ونحوُ : لا زيدٌ في الحقّ ولا عمرٌو .

⁽١) سورة الواقعة : (٧٩) .

⁽٢) سورة القيامة : (١ - ٢) .

⁽٣) سورة القيامة : (٣١) .

⁽٤) سورة الصافات : (٤٧).

وتجيءُ مُكرَّرةً معَ الأوصافِ: إمَّا لإثباتِ الوَسَطِ؛ نحوُ: لا حارٌّ ولا باردٌ؛ أي: فاترٌ ، ولا حلوٌ ولا حامضٌ؛ أي: مُزُّ ، وإمَّا لغيرِ ذلكَ ؛ نحوُ: ﴿ لَا ظَلِيلِ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ (١).

الكلامُ علىٰ (إلَّا)

هيَ مِنَ النواسخِ إذا كانَتْ بمعنى (للكنَّ) ، وجاء بعدَها ما ليسَ مِنْ جنسِ ما قبلَها ؛ بشرطِ أن يُتوهَّمَ شمولُ الحكمِ لهُ ؛ حتى يَصِحَّ الاستدراكُ ، وإذا كانَ ما بعدَها مِنْ جنسِ ما قبلَها ، وحُكِمَ عليهِ بغيرِ نقيضِ الحكمِ السابقِ ؛ نحوُ : خرجَ أهلُ البلدِ للنزهةِ إلَّا حماراً ، على معنى للكنَّ حماراً لم يَخرجُ وبقيَ في البلدِ ؛ فإنَّ الكلامَ السابقَ يُوهِمُ أنَّهُ لم يبقَ حيوانٌ مِنَ المُستعمَلاتِ في الركوبِ حيثُ كانَ الخروجُ عاماً لأهلِ البلدِ .

ونحوُ: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَن قَوْلَىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ الْأَخْبَرَ ﴾ (٢) على معنى: لستَ عليهِم بمحافظٍ تُلجِئُهُم إلى الدخولِ في الدِّينِ ، للكنَّ المتوليَ الكافرَ يُعذِّبُهُ اللهُ ، والكلامُ السابقُ على (إلَّا) ربَّما أوهمَ إهمالَهُم.

هلذا ؛ وقد رأيتُ تأخيرَ الكلامِ على مفعولَيِ الأفعالِ الإدراكيَّةِ والأفعالِ التصييريَّةِ اللَّذَينِ عرفتَ أنَّهُما النوعُ الثالثُ مِنَ النواسخِ . . إلى بابِ المفعولِ بهِ ؛ ليكونَ الكلامُ آخذاً بعضُهُ بحُجَزِ بعضٍ .

* * *

⁽١) سورة المرسلات : (٣١).

⁽٢) سورة الغاشية : (٢٢ _ ٢٤) .

القسمُ الثالثُ في الجملةِ الفعليَّةِ عرفتَ أنَّ الجملةَ الفعليَّة عرفتَ أنَّ الجملةَ الفعليَّة هيَ المُصدَّرةُ بالفعلِ.

الكلامُ على الفاعلِ ونائبهِ

الفاعلُ يَرفعُهُ فعلُ المعلومِ بما تَضمَّنهُ مِنَ المعنى الذي تَنسُبُهُ إليهِ على وجهِ طلبهِ منهُ ، أو الإخبارِ بصدورِهِ عنهُ ، فجميعُ ما دلَّ دلالةَ فعلِ المعلومِ يَرفعُ الفاعلَ ؛ فيرفعُهُ : المصدرُ ، والأفعالُ ، واسمُ الفاعلِ ، والصِّفةُ ، واسمُ التفضيلِ ، والمُصغَّرُ لالتحاقِهِ بالصِّفاتِ ، والمنسوبُ إن لاحظتَ في معناهُ : [ينتسبُ] ، والظروفُ المُستقرَّةُ بما فيها مِنْ معاني الأفعالِ ؛ نحوُ : أعجبَتْني كتابةُ العلمِ زيدٌ ، وحرصُهُ على الفائدةِ ، ونِعْمَ ما يَصنعُ ، فأكرموهُ ؛ فإنَّهُ عالى الهِمَّةِ ، حسنُ الصُّنعِ ، ولم أرَ رجلاً أجملَ بهِ الإكرامُ منهُ بطالبِ العلمِ ، وما في ذلكَ شكُّ ، وهل عندَ أحدٍ فيهِ رِيبةٌ ؟ وكلُّ محمديِّ الطريقةِ مُصدِّقٌ بذلكَ ، وهل مُسَيْكِينٌ إلَّا مَنْ يَجهلُ قيمةَ أعمالِهِ ؟!

ويكونُ الفاعلُ : اسماً ظاهراً ، ويكونُ ضميراً مستتراً ؛ أي : ملحوظاً ليسَ لهُ لفظٌ ، وبارزاً ، ومُتصِلاً ، ومُنفصِلاً .

يكونُ ضميراً مستتراً: في أمرِ الواحدِ ، وفي مضارعِ المُتكلِّمِ الحاكي عن نفسِهِ وحدَهُ ، والحاكي عن نفسِهِ وغيرِهِ ، وفي مضارعِ المُخاطَبِ الواحدِ ، وفي فعلِ التعجُّبِ ، وفي أفعالِ الاستثناءِ ، وفي اسمِ التفضيلِ غيرِ نحوِ ما في المثالِ السابقِ (۱).

⁽١) هو قوله المتقدم: لم أرّ رجلاً أجملَ به الإكرامُ منه بطالب العلم.

ويكونُ ضميراً بارزاً : في غير ذلك ، وفي غيرِ أفعالِ الغيبةِ .

ويكونُ ضميراً بارزاً تارةً واسماً ظاهراً تارةً: في أفعالِ الغَيبةِ غيرِ فعلِ الغائبِ الواحدِ والغائبةِ الواحدةِ ، وفيهِما يكونُ اسماً ظاهراً تارةً وضميراً مستتراً تارةً .

وبسببِ كونِ الفاعِل في هلذَينِ الموضعَينِ تارةً يكونُ ضميراً مستتراً ، وتارةً يكونُ اسماً ظاهراً . . تَسمعُ المُعرِبينَ يقولونَ في نحوِ : (زيدٌ عرف) : الفاعلُ فيهِ ضميرٌ مستترٌ جوازاً ، فالجوازُ صفةُ مجموعِ كونِهِ ضميراً مستتراً ؛ لِمَا عرفتَ أنَّ كونَهُ ضميراً غيرُ لازم ، وفي المواضعِ التي لا يكونُ الفاعلُ فيها إلا ضميراً مستترٌ وجوباً ؛ الله معنى أنَّه لا يكونُ غيرَ ضمير ألبتةَ .

ويكونُ ضميراً مُنفصِلاً : إذا حُصِرَ فيهِ الفعلُ به (ما) و (إلَّا) ، أو به (إنَّما) ، أو فُصِلَ بأداةِ التفصيل ، أو حُذِفَ فعلُهُ .

الأمثلةُ لذلك : أعرف ، أعرف ، نعرف ، تعرف ، ما أعرف زيداً ، عُرِف القومُ ما خلا زيداً ، وما عداهُ ، وحاشاهُ ، وليس ، ولا يكونُ ، وهو أعرَف مِن عمرٍ و ، وعرفت ، وعرفت ، وعرفت ، وعرفت ، وعرفت ا ، وعرفت ، وعرفت ا ، وعرفت ا ، وعرفت ، وعرفت ا ، وعرفت ، وعرفت ا ، وعرفت ، واعرفا ، واعرفوا ، وتعرفين ، واعرفا ، واعرفوا ، واعرفن ، واعرفا ، واعرفا ، واعرفا ، واعرفا ، وعرفت ، واعرف ويعرف الرجلان ، والرجلان عرفا ، ويعرفان ، وعرفت الرجال المرأتان ، والمرأتان عرفا الرجال ، وتعرفان ، وعرفت الرجال عرفا ويعرفون ، وعرفت وتعرف النساء ، والنساء عرفن ويعرف المرأة ، والمرأة عرف ويعرف المرأة ، والمرأة عرفن ويعرف ، وما عرف ويعرف ، وعرفت وتعرف هو ، ويقرأ إمّا النو إمّا أنت ، وإمّا المرأة ، والمرأة ، وله وأنها عرف هو ، ويقرأ إمّا أنا وإمّا أنت ، ويقول إنسان : مَنْ قرأ ؟ فتقول : أنا ، على ملاحظة قرأت ،

فحذفتَ الفعلَ ؛ اتكالاً على فهمِهِ بقرينةِ السؤالِ ، وفصلتَ الضميرَ .

وممَّا سلفَ تَعرِفُ أَنَّ الفعلَ متى أُسنِدَ إلى الأسماءِ الظاهرةِ . . كانَ على صورةِ فعلِ الغائبِ الواحدِ دائماً ؛ فلا تقولُ : عَرَفا الزيدانِ ، ولا عَرَفوا الرجالُ ، ولا عَرَفق النساءُ ، ولا عَرَفَ النساءُ ، عرفَ النساءُ ، كما تقولُ : عَرَفَ هندُ .

وهنالكَ لغةٌ رديئةٌ يُسمِّيها النحويونَ لغةَ (أكلوني البراغيثُ) تُلحِقُ الفعلَ : الأَلِفَ والواوَ والنونَ أحرفاً تَدُلُّ بها على الاثنينيَّةِ والجمعيَّةِ ، وذلكَ المثالُ المسموعُ مِنْ أهل تلكَ اللَّغةِ المشهورُ عنهُم.

والأوصافُ الملحوظةُ ملاحظةَ الأفعالِ لها حكمُها ، ولذلكَ تقولُ كما عرفتَ : أقائمٌ الزيدانِ ؟ وما قائمٌ العمرونَ ، كما تقولُ : أقائمٌ زيدٌ ؟ وما قائمٌ عمرٌو ، فالتركيبُ مبتدأٌ صوريٌّ وفاعلٌ ، وإذا قلتَ : أقائمانِ الزيدانِ ؟ وما قائمونَ العمرونَ . . فالتركيبُ خبرٌ مُقدَّمٌ ومبتدأٌ مُؤخَّرٌ ، والوصفُ ومرفوعُهُ غيرُ جملةٍ إلَّا في مثلِ هاذا التركيبِ .

وإذا كانَ الفاعلُ مُتصِلاً بالفعلِ ، وكانَ ضميرَ أُنثى حقيقةً ، أو اعتباراً ، أو اسماً ظاهراً لأُنثى حقيقةً ، أو جمعَ مُؤنَّثٍ سالمٍ لم يُجْرَ مُجرى جمعِ التكسيرِ ، وليسَ مُفردُهُ اسمَ ذكر . . وجبَ لأجلِهِ تأنيثُ الفعلِ ، فتأتي معَ الماضي بتاءِ التأنيثِ الساكنةِ ، وتفتتحُ المضارعَ بالتاءِ ؛ فتقولُ : هندٌ كتبَتْ وتكتبُ ، والشمسُ طلعَتْ وتَطلُعُ ، وقرأَتْ وتَقرأُ عمرةُ .

وإذا فُصِلَ ، أو كانَ اسماً ظاهراً لأُنثى اعتباراً ، أو كانَ جمعَ غيرِ مُذكَّرِ سالمٍ ، وغيرِ مُؤنَّثٍ لم يُجْرَ مُجرى المُكسَّرِ ، وليسَتْ آحادُهُ ذكوراً . . جازً التأنيثُ على ملاحظةِ معنى الجماعةِ في الجموعِ ، والتذكيرُ على ملاحظةِ معنى الجمع فيها .

وأمَّا جمعُ المُذكَّرِ السالمِ . . فيجبُ معَهُ تذكيرُ الفعلِ ، وقد سَلَفَ حكمُ جمعِ المُؤنَّثِ السالمِ ، والأحسنُ التأنيثُ معَ الإناثِ ، إلَّا في نحوِ : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ (١) ، والأحسنُ التذكيرُ في نحوِ : ما قامَ إلَّا هندٌ ، وإنَّما كتبَ عمرةُ ، ونِعْمَ المرأةُ هندٌ .

ويُحذَفُ الفعلُ جوازاً في نحوِ قولِ المرأةِ: إِلَّا حظيةٌ . . فلا أليةٌ ؛ معناه : إلَّا تَتفِقُ وتَحصُلُ حالةٌ أحظى بها . . فلا آلو ؛ أي : أُقصِّرُ في أمورِ النساءِ ، وكلامُ هاذهِ المرأةِ تُخبِرُ بهِ أنَّها عاملةٌ بقولِ الشاعرِ (٢) : [من الطويل]

عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ وَيَقْضِي إِلَهُ ٱلْخَلْقِ مَا كَانَ قَاضِيَا وفي رواية (٣):

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ ٱلدَّهْرُ

وفي ثالثةٍ (١٠):

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَتِمَّ ٱلْمَطَالِبُ

ومِنْ حذفِ الفعلِ جوازاً قولُ الحارثِ بنِ نهيكِ (°): [من الطويل] ليُبْكَ يَزِيدٌ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ ٱلطَّوَائِحُ لِيُبْكَ يَزِيدٌ) فعلٌ أمرَ ببكاءِ يزيدَ ، ولم يذكرِ الباكيَ ؛ فإنَّ الفعلَ في (ليُبْكَ يزيدُ) فعلٌ

⁽١) سورة يوسف : (٣٠) .

⁽٢) هو إبراهيم بن المهدي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٢) .

⁽٣) بهذه الرواية عند ابن المقري في « نفح الطيب » (٦٥٩/٢) ، والبيت بتمامه : عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ لِمَا فِيه نَفْعُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ ٱلدَّهْرُ

⁽٤) انظر « نفحة اليمن » (ص ١٧٦) ، والبيت بتمامه : عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ عَلَى ٱلْخَيْرِ جَهْدَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَتِمَّ ٱلْمَطَالِبُ

مجهولٌ ، فاقتضى الحالُ السؤالَ عنهُ ، فكأنَّهُ قيلَ : مَنْ يَبكيهِ ؟ فقالَ : يَبكيهِ ضارعٌ ، فحذفَ الفعلَ ؛ اعتماداً على السؤالِ المُقدَّر .

ويُحذَفُ وجوباً: في نحوِ: ﴿ وَإِنْ أَحَدُ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ (١) ، وهل زيدٌ كتبَ ؟ مِنْ كلِّ تركيبٍ ذُكِرَ فيهِ مُفسِّرٌ معَ ما يَختصُّ بالفعلِ ، ولا يُحذَفُ الفاعلُ أصلاً ، ويُحذَفانِ معاً ، ومنهُ الحذفُ معَ أحرفِ الجوابِ ؛ نحوُ: هل قامَ زيدٌ ؟ فتقولُ: نعم ، أو: لا ؛ أي: قامَ زيدٌ ، أو لم يقمْ .

ولا يجوزُ تقديمُ الفاعلِ على الفعلِ .

وأمَّا نائبُ الفاعلِ : فيَرفعُهُ فعلُ المجهولِ ، واسمُ المفعولِ ، ومنهُ المنسوبُ إذا لاحظتَ معنى المنسوبِ والمعزيّ [والمُنْمَىٰ] .

وينوبُ عنِ الفاعلِ: المفعولُ بهِ ، والمصدرُ الذي لم يلازمِ النصبَ ؛ نحوُ: اللهِ ، اللهِ ، والمصادرُ الملازمةُ للنصبِ ؛ نحوُ: مَعاذَ اللهِ ، سبحانَ اللهِ . . غيرُ قابلةٍ لذلكَ .

وينوبُ عنهُ أيضاً: الظُّروفُ المُتصرِّفةُ ؛ نحوُ: تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ غنيٍّ ، تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ غنيٍّ ، تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ بغيِّ (٢).

ومثلُ الظرفِ الجارُّ والمجرورُ ؛ نحوُ : بِيعَ واشتُرِيَ في المسجدِ ، وقُرِئَ في المسجدِ ، وقُرِئَ في الأسواقِ .

وإذا كانَ الفعلُ ذا مفعولَينِ . . فالأفصحُ إنابةُ أَوَّلِهِما ، ويجوزُ إنابةُ الثاني معَ وجودِ الأُوَّلِ إذا لم يلزمْ لَبْسٌ ؛ نحوُ : كُسِيَتْ جُبَّةٌ زيداً ، ولا يجوزُ : أُعطِيَ سالمٌ غانماً ؛ لأنَّهُ يَتبادرُ : أَنَّ سالماً هوَ الآخذُ ، وغانماً هوَ المأخوذُ ، والقصدُ

⁽١) سورة التوبة : (٦).

⁽٢) أصل هذه الأمثلة حديث مرفوع أخرجه البخاري (١٤٢١) ، ومسلم (١٠٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضى الله عنه .

خلافُ ذلكَ ، فالواجبُ أُعطِيَ غانمٌ سالماً ؛ ليَفهَمَ سامعُكَ مرادَكَ حَسَبَ الغرضِ مِنَ الكلام .

وإلى هنا عرفتَ الأنواعَ المرفوعةَ مِنْ نوعِ الاسمِ ؛ وهيَ ستةٌ : المبتدأُ ، والخبرُ ، واسمُ بابِ (كانَ) ، وخبرُ بابِ (إنَّ) ، والفاعلُ ، ونائبهُ ، والمنصوباتُ منهُ عشرةُ أنواعٍ ، مضى منها اثنانِ ؛ هما خبرُ بابِ (كانَ) ، واسمُ بابِ (إنَّ) ، وبقيتُهُ ثمانيةٌ ؛ وهيَ : المفعولُ بهِ ، والمفعولُ المطلقُ ، والمفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فيهِ ، والمفعولُ معَهُ ، والمستثنى ، والحالُ ، والتمييزُ .

الكلامُ على المفعولِ بهِ

المفعولُ به : هو اسم الشيء الذي تَعلَّقَ به الفعلُ على وجه التأثير فيه .

ويكونُ صريحاً ؛ نحوُ : نقشتُ الخاتمَ ، وكتبتُ الكتابَ ، وبريتُ القلمَ ، ومُؤوّلاً ؛ نحوُ : أودُّ لو تَحفظُ العِلْمَ ، ف (لو) موصولٌ حرفيٌّ يُؤوّلُ صلتَهُ بمصدر هوَ المفعولُ بهِ ، فالتقديرُ : أودُّ حفظَكَ العِلْمَ ، ونحوُ : أسألُكَ أن تَجتهِدَ في التعلُّمِ ، تقديرُهُ : أسألُكَ الاجتهادَ ، ونحوُ : بَلَّغتُ زيداً أنَّكَ مجتهدٌ ، تقديرُهُ : بَلَّغتُ زيداً اجتهادَكَ ، ونحوُ : أشكرُ ما تُكرِمُ زيداً ؛ تقديرُهُ : أشكرُ اكرامَكَ .

ويكونُ ظاهراً كما مرَّ ، وضميراً مُتصِلاً ؛ وهوَ النوعُ المُشترَكُ بينَ مواضعِ النصبِ ؛ نحوُ : غلامي أعجبَني (١) ، ومواضعِ الخفضِ ، ومُنفصِلاً ؛ وهوَ النصبِ ؛ نحوُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعَبُدُ وَإِيَّاكَ نَسَتَعِيكُ ﴾ (١) . ويكونُ واحداً واثنينِ وثلاثةً كما عرفتَ (٣) .

المفعولُ الواحدُ يكونُ لكلِّ فعلٍ لا يكفي في حصولِهِ فاعلُهُ ، بل يَحتاجُ في حصولِهِ لغيرِ فاعلُهُ ، بل يَحتاجُ في حصولِهِ فعر لغيرِ فاعلِهِ ؛ وهوَ المُتعدِّي والمُتجاوِزُ ، فإن كفى في حصولِهِ شيءٌ واحدٌ معَ الفاعلِ . . فهوَ المُتعدِّي لواحدٍ ؛ نحوُ : قرأتُ القرآنَ ، وحفظتُ المسائلَ ، وفهمتُ ما نطقتَ بهِ حينَ سمعتُهُ .

فإذا كانَ المفعولُ الواحدُ ضميراً . . وجبَ أن يُؤتَى بهِ مُتصِلاً بعاملِهِ ،

⁽١) لعل الأنسب: أن يُؤخَّر هـٰذا المثال إلىٰ ما بعد قوله: (ومواضع الخفض) .

⁽٢) سورة الفاتحة : (٥) .

⁽٣) انظر (١٧٣/١).

إلَّا إذا قدمتَهُ عليهِ ، أو حصرتَ فيهِ الفعلَ ، أو فصلتَهُ به (إمَّا) ، أو حذفتَ عاملَهُ ؛ فإنَّهُ يجبُ أن يُؤتَىٰ بهِ مُنفصِلاً في هاذهِ المواضع .

المُتصِلُ: أكرمَني ، وأكرمَنا ، وأكرمَكَ ، وأكرمَكِ ، وأكرمَكُما ، وأكرمَكُم ، وأكرمَكُم ، وأكرمَهُنَّ . وأكرمَهُما ، وأكرمَها ، وأكرمَهُما ، وأكرمَهما ، وأكرمَها ، وأكرمَهما بالمُعرباتِ المُعرباتِ المُعرباتُ المُعرباتِ ا

والمُنفصِلُ: للتقديمِ: إيَّايَ أكرمَ زيدٌ، وإيَّانا، وإيَّاكَ، وإيَّاكِ، وإيَّاكِما، وإيَّاكُما، وإيَّاكُما، وإيَّاكُمْ، وإيَّاكُمْ، وإيَّاكُمْ، وإيَّاهُم، وإيَّاهُم، وإيَّاهُم، وإيَّاهُمْ، وإيَّاهُمْ، وإيَّاهُمْ،

المُنفصِلُ: للقصرِ: زيدٌ ما أكرمَ إلَّا إيَّايَ ، وإنَّما أكرمَ إيَّايَ . . . وهَلُمَّ . المُنفصِلُ: للتفصيلِ به (إمَّا) نحوُ: أنا وزيدٌ لا نجتمعُ ؛ فادعُ إمَّا إيَّايَ ، وإمَّا إيَّاهُ .

المُنفصِلُ لحذفِ العاملِ : إيَّاكَ وأفعالَ الأراذلِ ؛ تحذيراً ، ونحوُ : مَنْ ذَكَرَ عمرٌو بخيرٍ ؟ فتقولُ في جوابِهِ : إيَّاكَ ، والأصلُ : ذكرَكَ ، والأصلُ في سابقِهِ : أُحذِرُكَ ، فلمَّا حُذِفَ العاملُ . . لم يجدِ الضميرُ ما يَتصِلُ بهِ ، فانفصلَ ضرورةً .

المفعولانِ اللَّذانِ يَطلُبُهُما بابا (أعطىٰ) و(ظنَّ) : ولمفعولَيْ كلِّ مِنَ البابَينِ مسائلُ تَتعلَّقُ بِهما يَتعيَّنُ إيرادُها هنا .

مفعولا باب (أعطى)

قد عرفتَ أنَّ المفعولَينِ لبابِ (أعطىٰ) يُسمَّىٰ أحدُهُما: مفعولاً أوَّلَ ، وضابطُهُ: أن يكونَ لهُ فاعليَّةٌ في المعنىٰ ، ويُسمَّى الآخَرُ: مفعولاً ثانياً ، وضابطُهُ: ألَّا يكونَ لهُ فاعليَّةٌ في المعنىٰ ، بل لهُ المفعوليَّةُ الخالصةُ .

والذي يجبُ أن تَعرِفَهُ هنا: أنَّهُ يَكثرُ حذفُهُما ، ويكونُ الفعلُ مُنزَّلاً منزلةَ

الأفعالِ اللَّازمةِ ؛ حيثُ يكونُ الغرضُ الإخبارَ بنفسِ الفعلِ ؛ كقولِكَ : اللهُ هوَ الذي يُعطي ويَمنعُ .

كما يَكثرُ حذفُ المفعولِ الواحدِ ، ويكونُ فعلُهُ كذلكَ ؛ نحوُ : هوَ الذي يُحيى ويُميتُ ، ويُضحِكُ ويُبكِي ، ويُغني ويُفقِرُ ؛ فهاذهِ الأفعالُ مُنزَّلةٌ مَنزِلةَ الأفعالِ اللَّذرمةِ ؛ إذِ الغرضُ الإخبارُ بحصولِها أنفسِها ، وذلكَ مفيدٌ كما رأيتَ .

ويجوزُ حذفُ أحدِهِما مِنْ غيرِ دلالةٍ عليهِ ، فيكونُ الفعلُ مُنزَّلاً مَنزِلةَ المُتعدِّي لواحدٍ ؛ حيثُ لا يَتعلَّقُ الغرضُ بذكرِ المحذوفِ ؛ كقولِكَ : أعطىٰ زيدٌ عمراً ؛ حيثُ لا يُقصَدُ الإخبارُ بالشيءِ الذي أعطاهُ ، وكقولِكَ : أعطىٰ زيدٌ دراهمَ ودنانيرَ ؛ حيثُ لا تقصدُ الإخبارَ بالأشخاصِ الذينَ أعطاهُم ، ويُسمَّىٰ مائذا الحذفُ : الحذفَ اقتصاراً .

وأمَّا حذفُ أيِّ لفظٍ مِنَ الكلامِ اعتماداً على دليلٍ يَدُلُّ عليهِ ، فيكونُ المحذوفُ ملحوظاً ، غايةُ الأمرِ : أنَّكَ استغنيتَ عن ذكرِهِ بسببِ كونِهِ مفهوماً مِنَ الدليلِ الذي يَدُلُّ عليهِ . . فإنَّهُ يُسمَّى : الحذف اختصاراً ، وهوَ جائزٌ في المفاعيل وغيرها .

وإذا كانَ المفعولانِ ضميرَينِ ؛ فإن كانا مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كقولِكَ لعبدِكَ : مَلَّكتُكَ إِيَّاكَ ، فيقولُ العبدُ : سيِّدي مَلَّكني إِيَّايَ ، فتُخبِرُ أنتَ عن ذلكَ فتقولُ : عبدي مَلَّكتُهُ إِيَّاهُ . . وجبَ فصلُ الثاني ، فلا يَصِحُّ : مَلَّكتُكَ ، ولا مَلَّكتُهُ إيَّاهُ . . وجبَ فصلُ الثاني ، فلا يَصِحُّ : مَلَّكتُكَ ، ولا مَلَّكنِيَّ (۱) ، ولا مَلَّكتُهُوهُ ؛ للقبحِ الظاهرِ في غيرِ ضميرَيِ الغَيبةِ ، وفيهِما يَخِفُّ الوصلُ خِفَّةً ما ، سيَّما عندَ اختلافِهِما تذكيراً وتأنيثاً ، وإفراداً وتثنيةً يَخِفُ الوصلُ خِفَّةً ما ، سيَّما عندَ اختلافِهِما تذكيراً وتأنيثاً ، وإفراداً وتثنيةً

⁽١) إذا أصله: (مَلَّكَنِيي) الياء الأُولى وهي ياء المتكلم المفعول الأول ، والياء الثانية المفعول الثاني ؟ فأُدغمت الأولى بالثانية .

وجمعاً ، فالأفصحُ فيهِما الفصلُ ، وجاءَ الوصلُ ؛ قال ('': [من الطويل] وَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ لِضَغْمِهِمَاهَا يَقْرَعُ ٱلْعَظْمَ نَادِمُهُ

وإن لم يكونا مِنْ جنسٍ واحدٍ . . جازَ لكَ في الذي تَجعلُهُ ثانياً في اللَّفظِ أن تأتيَ بهِ مُنفصِلاً ، وأن تأتيَ بهِ مُتصِلاً ؛ نحوُ : ﴿ أَنْلِزِمُكُمُوهَا ﴾ (٢) ، للكن لا يجوزُ أنْ تأتيَ بهِ متصلاً إلَّا إذا كانَ سابقُهُ أخصَّ منهُ .

والمرادُ بالأخصِّ مِنَ الضَّمائرِ: الأعرفُ والأبعدُ عنِ الاحتمالِ والاشتباهِ ؛ فالأخصُّ: ضميرُ المُتكلِّمِ ؛ إذ لا شبهةَ فيمَنْ يقولُ: (أنا) أنَّهُ يَقصِدُ شخصَهُ ، وأنزلُ منهُ: ضميرُ المُخاطَبِ ؛ إذ لو كانَ بينَ يدَيكَ اثنانِ وخاطبتَ أحدَهُما به (أنتَ).. حصلَ اشتباهٌ في مرادِكَ منهُما ، ولذلك تَحتاجُ في رفعِهِ إلى التوجُّهِ إليهِ والإشارةِ حَسَبَ ما يُحتاجُ لتعيينهِ.

فأنزلُ الضَّمائرِ: ضميرُ الغَيبةِ ؛ لأنَّكَ تَعتمِدُ في تعيينِ المرادِ بهِ مَرجِعَهُ ، وربَّما خَفِيَ المَرجِعُ بسببِ كونِهِ التزاميّاً ، أو تضمنيّاً ، أو مُختلِطاً بأشياءَ تَصلُحُ أن تكونَ مَرجِعاً ، حتى إنَّهُ قد يُوجِبُ السؤالَ .

فالمَرجِعُ الالتزاميُّ : كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ (٣) .

وكقولِ لبيدٍ (١٠): [من الكامل]

حَتَّىٰ إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ ٱلثُّغُورِ ظَلَامُهَا وَلَّاتُ عُورَاتِ ٱلثُّغُورِ ظَلَامُهَا والتضمينُ: كقولِهِ تعالى: ﴿ أَعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقُوكِ ﴾ (*)، وتقولُ: زيدٌ

⁽١) هو مغلس بن لقيط ، كما في « خزانة الأدب » (٣٠٣/٥) ، والرواية فيها وفي « الكتاب » (٣٦٥/٢) : (نابُها) بدل (نادمه) .

⁽٢) سورة هود : (٢٨) .

⁽٣) سورة ص : (٣٢) .

⁽٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٣١٦) .

⁽۵) سورة المائدة : (۸) .

خزنَ مالاً ، وصرفَ مالاً ، ولو كانَ صرفَهُ في وجوهِ برِّ . . لكانَ لهُ خيراً .

فتقولُ: الدرهمُ أعطيتُكهُ ، وأعطيتُكَ إيَّاهُ ؛ مُخيَّراً ، فإذا قلتَ: الدرهمُ أعطيتُهُ . . وجبَ الفصلُ ؛ فتقولُ: إيَّاكَ ، والمعروفُ سألتُهُ إيَّاكَ ، والجُبَّةُ كسوتُها إيَّاكَ ، فمتى قَدَّمتَ الأخصَّ . . جازَ لكَ في المُؤخَّرِ الفصلُ والوصلُ ، ومتى أخَّرتَهُ . . وجبَ فصلُهُ .

كما أنَّهُ يجوزُ الفصلُ في خبرِ (كانَ) وأخواتِها إذا وقعَ ضميراً ، وكانَ الاسمُ ضميراً ؛ كقولِكَ : الصديقُ الخَصِيصُ كنتَهُ ، وكنتَ إيَّاهُ ، والعدوُّ البغيضُ زيدٌ كانَهُ ، وكانَ إيَّاهُ .

[مفعولا باب (ظنَّ)]

وكمفعولَيْ (أعطىٰ) إذا كانا ضميرَينِ . . مفعولا (ظنَّ) وأخواتِها ، ولمفعولَيْ (ظنَّ) وأخواتِها مسائلُ تَتعلَّقُ بها :

الأُولىٰ: مفعولا (بابِ ظنَّ) أصلُهُما المبتدأُ والخبرُ كما سبقَ (١) ، وجميعُ صورِ المبتدأ والخبرِ والمبتدأ ذي المرفوعِ ومرفوعِهِ . . تقعُ بعدَ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي هيَ (ظنَّ) وأخواتُها ؛ فتقولُ : ظننتُ زيداً قائماً ، وظننتُهُ قامَ ، وظننتُهُ يقومُ ، وظننتُهُ أبوهُ قائمٌ ، وظننتُهُ في الدارِ ، وظننتُهُ عندَكَ ، وظننتُهُ الأمرُ غيرُ هَيِّنِ علىٰ زيدٍ .

لَكُنَّ الضَّمَائرَ المُنفصِلةَ المرفوعةَ تصيرُ ضمائرَ مُتصِلةً منصوبةً ؛ لأنَّكَ تَجعلُ المبتدأَ والخبرَ مفعولَينِ لهاذهِ الأفعالِ ، ونحوُ : أظنُّ زيداً إن تُكرِمْهُ . . يُكرِمْكَ ، وأظنُّ ما مستقيمٌ الزيدانِ ، وعلمتُ أراضِ أخواكَ .

وحيثُ كانَ مَفادُ هاذا التركيبِ أنَّ ظنَّكَ أو علمَكَ تَعلَّقَ بوقوع نسبةِ أمرِ

⁽١) انظر (١٧٦/١).

لأمرٍ في زمنٍ ما . . لم يمكنْ جعلُ الجملةِ التي يكونُ خبرُها طلباً مُتعلَّقاً للظنِّ أو العِلْم إلَّا على التأويلِ .

مثلاً: إذا قلتَ: زيدٌ، وسكتَ. قالَ سامعُكَ: ما لهُ ؟ فإذا قلتَ : اضربهُ ، أو : لا تُهِنْهُ ، أو : هل رضيَ أبوهُ عنهُ . حصلَتِ الإفادةُ ، وانقطعَ تَشوُّفُ السامعِ دونَ تأويلٍ وإعمالِ فكرٍ ، بخلافِ ما إذا قلتَ : ظننتُ زيداً ؛ فإنَّ سامعَكَ يقولُ : ظننتَهُ ماذا ؟ فإذا قلتَ : أكرمهُ . . رجعَ السامعُ بفكرِهِ إلى التركيبِ ، واستبانَ أنَّ مُرادَكَ بقولِكَ : ظننتُ زيداً أكرمهُ . . ظننتُ زيداً بسببِ كونِهِ مستقيمَ الأحوالِ حسنَ السيرةِ طيِّبَ السريرةِ ؛ مُستحقًا لأن تأمرَ بإكرامِهِ ، فحاصلُهُ : أنَّ معنىٰ كلامِكَ : ظننتُ زيداً خيِّراً ، ثمَّ تبينتَ خلافَ ذلكَ .

الثانية : هاذه الأفعالُ تَتعلَّقُ في الحقيقة بنسبة الخبرِ للمبتدأ ؛ لأنَّكَ تفيدُ أَمراً مظنونٌ لكَ ، وأنَّ أمراً معلومٌ لكَ ، فإذا قلتَ : علمتُ زيداً قائماً . . فليسَ غرضُكَ أن تفيدَ كونَ شخصِ زيدٍ معلوماً لكَ ، ولا أنَّ معنى القائمِ وهوَ شيءٌ منسوبٌ لهُ القيامُ - معلومٌ لكَ ، ولاكنْ تريدُ أن تفيدَ أنَّ ثبوتَ القائمِ لزيدٍ أمرٌ معلومٌ لكَ ، فالموصوفُ بالمعلوميَّةِ هوَ ثبوتُ الخبرِ للمبتدأ أو انتفاؤهُ عنهُ ، فهوَ المفعولُ في الحقيقةِ ، للكنْ لمَّا لم يمكنْ إبرازُ النِسبةِ إلاّ بالتركيبِ . أُورِدَ التركيبُ ، وجُعِلَ النصبُ الذي هوَ علامةُ المفعوليةِ على المبتدأ والخبرِ اللَّذينِ هما الطَّرَفانِ للنسبةِ ؛ إذِ النِسبةُ هيَ الارتباطُ بينَ على المبتدأ والخبرِ الثاني للأوَّلِ أو انتفائِهِ عنهُ .

الثالثة : إذا قَدَّمتَ الجزأينِ على الأفعالِ ، أو وَسَّطتَ الأفعالَ بينَهُما . . جازَ لكَ أن تَنصِبَهُما مفعولَينِ ، وأن ترفعَهُما مبتداً وخبراً ؛ فتقولُ : زيداً

أظنُّ قائماً ، أو زيدٌ أظنُّ قائمٌ ، وزيداً قائماً أظنُّ ، أو زيدٌ قائمٌ أظنُّ ، وتُسمَّى الأفعالُ عندَ الرفع : مُلغاةً .

الرابعة : إذا كانَتْ جملة المبتدأ والخبرِ مُصدَّرةً به (ما) النافية ، أو بر (إن النافية ، أو بر (لا) النافية ، أو مُصدَّرةً بقَسَم ، أو مُصدَّرةً باستفهام ، أو مُشتمِلةً على لام الابتداء مُصدَّرةً فيها ، أو مُزحلَقةً لوجودِ (إنَّ) في صدرِ الجملة .. وجبَ رفع الجزأينِ مبتدأ وخبراً ، ويُقالُ : إنَّ الجملة في محلِّ نصبِ مُشتمِلةً على مفعولَيْ (ظنَّ) مثلاً ؛ كما إذا كانَتِ الجملة شرطيَّة ، وحينَئذٍ تُسمَّى الأفعالُ : مُعلَّقةً عنِ العملِ ؛ حيثُ لم يكنْ لها تسلُّطٌ على لفظِ ما بعدَها بالنصبِ ؛ نحوُ : علمتُ ما زيدٌ قائمٌ ، وأظنُّ لا زيدٌ قائمٌ ، وأظنُّ لا لزيدٌ قائمٌ ، وعلمتُ واللهِ لزيدٌ قائمٌ ، وعلمتُ أعندَكَ زيدٌ أم عمرٌو ، وعلمتُ هل زيدٌ في الدارِ ، وتَظنُّ أيُّ الرجلَينِ أفضلُ ؟ وأنا ظانٌ أو عالمٌ لَزيدٌ قائمٌ ، واعلمْ إنَّ زيداً لقائمٌ ،

فإذا وقعَتْ (إنَّ) بعدَ عِلْمٍ ولا لامَ معَها . . وجبَ فتحُها ، وحينَئذٍ يُقالُ : (أنَّ) وصلتُها في تأويلِ مفردٍ مصدر سادٍّ مَسَدَّ مفعولَيْ نحوِ : علمتُ أنَّ اللهَ علىٰ كلِّ شيءٍ ، والتقديرُ : علمتُ قدرةَ اللهِ علىٰ كلِّ شيءٍ ، ونحوِ : علمتُ إن يقمْ زيدٌ . . يقمْ عمرُو ، وتَعلَّمْ مهما يُردِ اللهُ . . يكنْ .

فلا يكونُ المفعولُ جملةً إلَّا في (بابِ ظنَّ) وقد عرفتَ أنَّ المفعولَ في الحقيقةِ هوَ النسبةُ ، فجعلُ الجملةِ مفعولاً . . مشيٌّ معَ الظاهِر .

المسألةُ الخامسةُ: يَندُرُ حذفُ المفعولَينِ أو أحدِهِما في هذا البابِ

اقتصاراً ؛ لعدمِ الفائدةِ في الإخبارِ بأنَّ عندَكَ ظنّاً أو عِلْماً غالباً ، فإذا قلتَ : أظنُّ أو أعلمُ ؛ تفيدُ أنَّ عندَكَ ظنّاً أو عِلْماً . . لم يكنْ مسموعاً منكَ ، بخلافِ : زيدٌ يعطي ويَتفضَّلُ ؛ فإنَّ لهُ فائدةً ظاهرةً .

ومِنَ النادرِ: قولُهُم: مَنْ يَسمعْ . . يَخَلْ ، وهوَ مفيدٌ ، وتقولُ مثلاً : خُلِقَ الإنسانُ يَعلمُ ويَظنُّ ويَتخيَّلُ ويَشُكُُّ ويَتوهَّمُ ، فكيفَ تُكلِّفُني تركَ ما هوَ خاصَّةُ نوعى ؟! فيكونُ مفيداً كذلكَ .

وقد عرفتَ أنَّ الاعتمادَ في جميعِ الكلامِ على حصولِ الفائدةِ التي لم تكنْ عندَ المُخاطَبِ ، وإلَّا . . كانَ لغواً .

تكملةٌ [في أنَّ القولَ قد يَتعلَّقُ باللَّفظِ]

القولُ يَتعلَّقُ بِاللَّفظِ ، فيكونُ مفعولُهُ اللفظَ المَحكيَّ بعدَهُ مُفاداً أنَّهُ المنطوقُ بهِ ؛ فتقولُ : قلتُ كلمةً ؛ أي : هاذا اللَّفظَ ، أو لفظاً آخَرَ عَبَّرتَ عنهُ بالكلمةِ ؛ كزيدٍ أو عمرٍو ، وقلتُ زيداً ؛ أي : هاذا اللَّفظَ ، وقلتُ : زيدٌ قائمٌ ، وهاكذا ، فالمفعولُ بهِ للقولِ وما تَصرَّفَ منهُ : هوَ الألفاظُ .

والمفعولُ بهِ لبابِ (ظنَّ): هوَ النِّسبةُ ، والمفعولُ بهِ لبقيةِ الأفعالِ: هوَ الأشياءُ التي تَعلَّقَتْ بها الأفعالُ على وجهِ التأثيرِ فيها .

وحيثُ عرفتَ أنَّ معنى الفعلِ منسوبٌ يُلحَظُ أوَّلاً ، ونسبةٌ تُلحَظُ ثانياً ، ومنسوبٌ إليهِ يُلحَظُ ثالثاً ، وكانَتْ نسبةُ الفعلِ إلى فاعلِهِ سابقةً في التعقُّلِ عن نسبتِهِ إلى مفعولِهِ ، ونسبتِهِ إلى مفعولِهِ الأوَّلِ كذلكَ . . فالمناسبُ أن يكونَ اللَّفظُ علىٰ هاذا الترتيبِ ؛ تقولُ : كتبَ زيدٌ كتاباً ، وأعطىٰ بكرٌ أباهُ داراً ، ولاكنْ تارةً يقتضى الحالُ خلافَ ذلكَ .

أمَّا الفاعلُ: فلا يَتقدَّمُ على الفعلِ أصلاً ، وأمَّا غيرُهُ ؛ فإن كانَ كلمةً لها صدرُ الكلامِ . . وجبَ تقديمُهُ ؛ نحوُ: ما تكتبُ ؟ ومَنْ تُخاطِبُ ؟ ومَنْ تُكرِمْ . . أُكرِمْ ، ومَنْ تُهِنْ إِنْ زيداً وإِنْ غيرَهُ . . أُهِنْ .

وإن كانَ الفاعلُ ضميراً ، أو كانَ هوَ والمفعولُ غيرَ ظاهرَيِ الإعرابِ ، أو كانَ المفعولِ عنِ ألمفعولُ عن المفعولُ عن المفعولُ عن المفعولُ عن المفعولُ عن الفاعلِ ؛ نحوُ : أكرمتُ زائراً ؛ لأنَّ تقديمَهُ عليهِ يُوجِبُ فصلَهُ معَ إمكانِ وصلِهِ ، وهوَ ممتنعٌ ، ومنهُ تَفهمُ أنَّ الغرضَ عدمُ تقديمِهِ على الفاعلِ فقطْ ، والفصلُ بينَهُ وبينَ الفعل ، فيتقدَّمُ على الفعل حيثُ لا مانعَ .

ونحوُ: أساءَ ذلك هلذا ، وأكرمَ عيسىٰ موسىٰ ؛ فإنَّهُ لا يَتميَّزُ الفاعلُ مِنَ المفعولِ إلَّا بالموضعِ ؛ لصلاحيةِ كلِّ لأن يكونَ فاعلاً ، ولأن يكونَ مفعولاً ، ولا ظهورَ للإعرابِ .

فلو تَعيَّنَ كلُّ لكلِّ بغيرِ الموضعِ . . لم يَلزمْ ذلكَ ؛ نحوُ : أكلَ الكُمَّثرىٰ هلذا الفتىٰ ، وسبقَ عيسىٰ موسىٰ بألفِ سنةٍ ، ونحوُ : إنَّما قصدَ زيدٌ دارَكَ ؛ أي : قصدَ دارَكَ ولم يَقصِدُ دارَ غيركَ .

وأجازَ النحويونَ هنا أن يَتقدَّمَ المقصورُ عليهِ بـ (إلَّا) معَها ؛ نحوُ : ما قصدَ إلَّا دارَكَ زيدٌ ؛ فإنَّهُ لا يُعرَفُ المقصورُ عليهِ بـ (إنَّما) إلَّا بالموضعِ ، بخلافِ المقصورِ عليهِ بـ (ما) و(إلَّا) .

وإذا كانَ المفعولُ ضميراً ، أو كانَ الفاعلُ مقصوراً عليهِ ب (إنَّما) ، أو كانَ مع الفاعلِ على الفاعلِ ؛ مع الفاعلِ ضميرٌ مَرجِعُهُ المفعولُ . . وجبَ تقديمُ المفعولِ على الفاعلِ ؛ نحوُ : أكرمَني زيدٌ ، وإنَّما أهانَ عمراً زيدٌ ، وزانَ الشجرَ نورُهُ .

واجعلِ المفعولَ الأوَّلَ فاعلاً ، وأَعمِلْ فكرَكَ في قياسِهِما على الفاعلِ والمفعولِ ؛ لتستخرجَ أحكامَهُما ؛ نحوُ : أعطيتُكَ عبداً ، وأعطى زيدٌ

سالماً غانماً ، وإنَّما كسا زيدٌ عمراً جُبَّةً ، وإنَّما كسا بكرٌ جُبَّةً خالداً ، وهلكذا .

وقد سمعتَ غيرَ مَرَّةٍ: أَنَّ كلَّ لفظٍ يُفهَمُ معناهُ دونَ ذكرِهِ لدلالةِ قرينةٍ لفظيةٍ أو حاليةٍ عليهِ . . جازَ لكَ حذفُهُ ؛ كما قالَ (١): [من الرجز] وَحَـذْفُ مَـا يُـعُـلَـمُ جَـائِـزٌ . . .

وسمعتَ أيضاً: أنَّ بعضَ الألفاظِ يجبُ حذفهُ ، وبعضَها يجبُ ذكرهُ ، فيجبُ ذكرهُ ، وسمعتَ أيضاً: أنَّ بعضَ الألفاظِ يجبُ حذفهُ ، وبعضَها يجبُ ذكرُ المفعولِ بهِ كغيرِهِ إذا كانَ جواباً ، أو مقصوراً عليهِ ، أو مُتعجَّباً مِنْ صفتِهِ ، ما لم يكنْ في معطوفٍ ؛ كقولِكَ : أكتبُ جواباً ، لمَنْ يَسألُكَ : ماذا تكتبُ ؟ ولا أقصدُ إلَّا إبانةَ الحقِّ ، وما أحسنَ زيداً وأجملَ !!

[مواضعُ وجوبِ حذفِ ناصبِ المفعولِ بهِ] ويجبُ حذفُ ناصبِ المفعولِ بهِ في خمسةِ مواضعَ بإنابةِ شيءٍ عنهُ وبدونِها :

الموضعُ الأوَّلُ: تراكيبُ معدودةٌ مسموعةٌ ، وهي الأمثالُ وما جرى مَجراها ؛ مِنْ ذَلكَ قولُهُ تعالى : ﴿ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ (٢) ؛ أي : انتهوا عنِ التثليثِ وأُتوا خيراً ، ومثلُهُ قولُهُم : حَسْبُكَ خيراً [لك] وقولُ أبي الأسودِ : وراءَكَ أوسعَ لكَ ، والقرينةُ : ذكرُ ما يُؤمَرُ بهِ لملائمتِهِ وموافقتِهِ عقبَ النهي عن غيرهِ .

ومنها قولُهُم : امرأً ونفسَهُ ؛ أي : دع امرأً ونفسَهُ أو معَ نفسِهِ ؛ نهياً عنِ

⁽۱) هو ابن مالك في « ألفيته » ، كما في « شرح ابن عقيل على الألفية » (۲٤٣/۱) ، والبيت بتمامه : وَحَـــذْفُ مَـا يُـعْـلَـمُ جَـائِـزٌ كَـمَا تَـقُـولُ زَيْــدٌ بَـعْـدَ مَــنْ عِـنْدَكُـمَا

⁽٢) سورة النساء : (١٧١) .

التعرُّضِ بالنصيحةِ لغيرِ قابلٍ وربَّما استعقبَتْ شرّاً ، وفي الحديثِ : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً . . فَلِيُغَيِّرُهُ بِيَدِهِ ؟ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِلِسَانِهِ » (١٠) .

ولبعضِ الشعراءِ (٢):

[من السريع]

لَا تَـرْجِعُ ٱلْأَنْفُسُ عَـنْ غَيِّـهَا مَالَمْ يَكُـنْ مِنْهَا لَـهَا زَاجِـرُ ولآخَرَ:

إِذَا مَا هَدَيْتَ ٱمْرَأً مُخْطِئًا أَضَلَّ ٱلسَّبِيلَ إِلَىٰ قَصْدِهِ وَلَا مَا هَدَيْتَ ٱمْرَأً مُخْطِئًا فَحَسِّنْ لَهُ ٱلْمَشْيَ فِي ضِدِّهِ وَلَا مُحَسِّنْ لَهُ ٱلْمَشْيَ فِي ضِدِّهِ

أَيْ: إِنِ اضطُرِرتَ لذَلكَ ، ومَنْ جَرَّبَ . . عَرَفَ ، ولأبي الطيِّبِ (") : [من الخفيف] إِنَّ مَا تُنْجِحُ ٱلْمَقَالَةُ فِي ٱلْمَرْ عِ إِذَا صَادَفَتْ هَوىً فِي ٱلْفُوَادِ

ومنها قولُهُم: أهلاً وسهلاً ومرحباً ؛ أي: لقيتَ أهلاً لا أجانبَ ، وصادفتَ مكاناً سهلاً ، وحللتَ موضعَ رحبٍ ؛ أي: سعةٍ ، [مِنْ] رَحُبَتْ دارُكَ ؛ أي: كانَتْ رَحْبةً ، بسكونِ الحاءِ ؛ وصفَ المُؤنَّثِ مِنْ رَحُبَ ؛ فهوَ رَحْبٌ ؛ مِنَ الباب الخامس .

ومنها قولُهُم: هاذا ولا زعماتِكَ ؛ تقولُهُ إذا رميتَ مُخاطَبَكَ بحكايةِ الأكاذيبِ عندَ سماعِكُما خبراً عليهِ سيما الصدقِ ؛ أي: هاذا أقبلُ وأصدقُ وأزعمُ ولا أسمعُ زعماتِكَ ولا أقبلُها ولا أعتبرُها ، وَقدِّرْ ما يناسبُ الحالَ .

ومنها قولُهُم : عذيرَكَ مِنْ فلانٍ ، وعذيري منه ؛ تقولُهُ لِمَنْ أساءَ شخصاً

⁽١) أخرجه مسلم (٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

⁽٢) انظر « المستطرف » (٣٥٤/٣) .

⁽٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥٠) .

يظهرُ أنَّهُ لا يَستحِقُّ الإساءةَ عتاباً ، أو يَستحِقُّ ثناءً ؛ أي : اذكرْ عذرَكَ أو عاذرَكَ ؛ أي : الحالَ التي بها عاذرَكَ ؛ أي : الحالَ التي بها تعذرُ ، أو أعلمُ أنا عذرَكَ ، أو الحالَ التي بها تعذرُ .

ومنها قولُهُمُ : الكلابَ على البقرِ ؛ أصلُهُ في الصَّيدِ ، وهوَ موردُ المثلِ ، وتقولُهُ لإرشادِ صاحبِكَ إلى متاركةِ الناس وأعمالِهِم .

ومنها قولُ العربيِّ لغيرِهِ: أهلَكَ واللَّيلَ ؛ أي : ائتِ أهلَكَ معَ الليلِ ، أوِ ائتِ أهلَكَ معَ الليلِ ، أوِ ائتِ أهلَكَ نهاراً واسبقِ الليلَ ؛ فإنَّ الليلَ تَنتشِرُ فيهِ السباعُ والحشراتُ واللصوصُ .

ومنها قولُهُم : عَمْرَكَ الله ، بنصبِ الكلمتَينِ ؛ أي : سألتُ الله تعميرَكَ ومذَّ أيامِكَ ، بحذفِ زيادتَي المصدرِ .

وهاذا أُنموذجٌ يُنبِّهُكَ على التقاديرِ المناسبةِ فيما يَرِدُ عليكَ مِنَ الأمثالِ وما يَجري مَجراها ؛ فإنَّكَ مُطالَبٌ بما فيهِ زيادةُ منفعتِكَ ؛ مِنَ الاطلاعِ على أمثالِ العربِ وغيرِهِم ؛ حيثُ كانَتِ الأمثالُ أحرارَ الكلامِ ، ومُستقرَّ البلاغةِ ، وينابيعَ الحِكمِ ، منها تستفيدُ ، وبها تَتأدَّبُ ، وعليها تَعتمدُ .

الموضعُ الثاني: تراكيبُ النداءِ ، بضمِّ أُولِهِ علىٰ أنَّهُ مصدرٌ صوتيٌّ ، وبكسرِهِ علىٰ أنَّهُ مصدرُ مفاعلةٍ ؛ فالمنادىٰ مفعولٌ بهِ لا يُذكَرُ ناصبُهُ معَ إقامةِ أحرفِ النداءِ مُقامَهُ .

غيرَ أنَّ لهُ أحوالاً بحَسَبها تَختلِفُ أحكامُهُ:

الحالةُ الأُولىٰ : أن يكونَ مفرداً ، معرفةً _ إفرادُهُ وتَعرُّفُهُ اللَّذَينِ عرفتَهُما _ منادىً مطلوبَ الإقبالِ فقطْ .

وحكمُهُ في هاذه الحالةِ: البناءُ على ما يُرفَعُ بهِ لو كانَ مُعرَباً؛ فيُبنى على الضَّمِّ الظاهرِ في نحوِ: يا زيدُ، ويا رجلُ، والمُقدَّرِ في نحوِ: يا هاذا، ويا أنتَ، ويا إيَّاكَ على لغةِ مَنْ قالَ: يا إيَّاكَ قد كفيتُكَ، ويا سيبويهِ، ويا فتى، ويا قاضي؛ لامتناع ظهورِهِ أو ثقلِهِ، وعلى الألفِ في المُثنَّى، وعلى الواوِ في جمعِ المُذكَّرِ السالمِ، وهوَ في موضعِ نصبٍ؛ لكونِهِ مفعولاً بهِ لفعلٍ ملتزمِ الحذفِ، تقديرُهُ: (دعوتُ) بلفظِ الماضي؛ لأنَّهُ صارَ إنشاءً، والمعهودُ نقلُهُ إلى الإنشاءِ هوَ الماضي؛ كبعتُ واشتريتُ.

نعم ؛ إذا كانَ المنادى عَلَماً ، موصوفاً بابنٍ أو ابنةٍ ، مُتَّصِلَينِ بهِ ، مضافَينِ لعَلَمٍ أبيهِ أو أُمِّهِ . . جازَ لكَ ضمُّ المنادى ، وفتحُهُ ؛ وهوَ المختارُ للتخفيفِ ، ولهاذهِ العِلَّةِ يُحذَفُ تنوينُهُ وأَلِفُ (ابنٍ) و(ابنةٍ) مِنَ الخَطِّ إن لم تكنْ أوَّلَ سطر .

وقولُهُ (١) : [من الرجز]

جَارِيَةٌ مِنْ قَيْسٍ ٱبْنِ ثَعْلَبَهُ

شاذٌّ .

وإذا كانَ مكرَّراً ، والثاني مضافٌ ؛ كقولِ الشاعرِ (٢): [من البسيط]

يَا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لَا أَبَا لَكُمُ لَا يُلْفِينَّكُمُ فِي سَوْءَةٍ عُمَرُ

وقولِ الآخَرِ (٣): [من الرجز]

يَسَا ذَيْدُ ذَيْدَ ٱلْدَيْعُ مَ لَاتِ ٱلدُّبَّ لِ تَسطَّاوَلَ ٱلسَّنْدِلُ عَسلَيْكَ فَسَانُـزِلِ

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٢٣٦/٢) .

⁽٢) انظر « خزانة الأدب » (٢٩٨/٢) .

⁽٣) انظر « خزانة الأدب » (٣٠٣/٢) .

جازَ لكَ ضَمُّهُ لكونِهِ مِنَ المنادى ذي الحالةِ التي نحنُ في إبانةِ حكمِ صاحبِها ، وجازَ لكَ نصبُهُ إغضاءً عنِ الثاني ، وكأنَّهُ غيرُ موجودٍ ، في كونُ المنادى حينَئذٍ ليسَ مِنَ المنادى ذي الحالةِ التي نحنُ في إبانةِ حكمِها ، وعليهِ تقولُ : يا غلامانِ غلامَيْ صاحبي ، أو يا غلامَيْ غلامَيْ صاحبي ، ويا زيدونَ زيدِي [اليعملاتِ]، ويا زيدِي زيدِي اليعملاتِ.

وإذا أردت أن تنادي بالاسم المُفتتَح بـ (أل): وجب أن تَفصِلَ بينة وبينَ حرفِ النداءِ بكلمتَيْ (أيُّها) في المُذكَّرِ و(أيَّتُها) في المُؤنَّثِ؛ فكلمةُ (أيِّ السمُّ مُبهَمُ بمعنى شيءٍ فُسِّرَ بالمنادى ، فالمُفتتَحُ بـ (أل) هو المنادى في الحقيقةِ ، للكنَّ الصناعة تُلزِمُكَ أن تقولَ : إنَّ كلمةَ (أيِّ) هي المنادى المبنيُّ على الضمِّ في موضع نصبٍ ، وها : حرفُ تنبيهِ ، وما بعدَها صفةٌ ليسَ لها حكمُ تابعِ المنادى الذي يَرِدُ عليكَ تفصيلُ أحكامِهِ عندَ الكلامِ على التوابع .

ومثلُ (أَيِّ) في هذا اسمُ الإشارةِ ، وربَّما جُمِعَ بينَهُما ؛ نحوُ : ﴿ يَاأَيُّهَا اللَّهِ وَمَثْلُ (أَيِّ) في هذا اسمُ الإشارةِ ، وربَّما جُمِعَ بينَهُما ؛ نحوُ : ﴿ يَاأَيُّهَا اللَّهِ ﴾ (' ') ، ﴿ يَاأَيُّهَا اللَّهِ ﴾ (' ') ، ﴿ يَاأَيُّهَا اللَّهِ ﴾ (' ن) ، ﴿ يَاأَيُّهَا اللَّهِ ﴾ (السريع] يا أيتُهاتي المرأةُ ، ولبعضِهم (') : [من السريع]

فَحُبُّهُ ٱلْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي مِسْكِيَّةٌ فِي خَدِّهِ ٱلْمُذْهَبِ طُلُوعُهُ شَمْساً مِنَ ٱلْمَغْرِبِ أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ إِلَيْهِ ٱذْهَبِي مُفَضَّضُ ٱلثَّغْرِ لَهُ نُقْطَةٌ أَيْئَسَنِي ٱلتَّوْبَةَ فِي حُبّهِ

⁽١) سورة الانفطار : (٦).

⁽٢) سورة الفجر : (٢٧) .

⁽٣) سورة الحجر : (٦).

⁽٤) هو ابن طلحة الصقلي ، كما في « وفيات الأعيان » (٢٩١/١) .

وأجازَتْ ضرورةُ الشعرِ أن يجمعَ الشاعرُ بينَ (يا) و(أل) ، فلا يجوزُ في الكلامِ إلَّا إذا كانَ المنادى جُملةً جُعِلَتْ عَلَماً ؛ نحوُ: يا المنطلقُ زيدٌ ، وإلَّا إذا كانَ لفظَ الجلالةِ ؛ فتقولُ: يا أللهُ ، بقطعِ الهمزةِ على الأفصحِ ، والأحسنُ: اللهُ مَ بتعويضِ الشديدةِ عن (يا) ، ولمكانِ التعويضِ شذَّ جمعُهُما في الشعر ؛ كقولِهِ (١):

إِنِّي إِذَا مَا حَدَثُ أَلَهُمَّا اللَّهُمَّا اللَّهُمَّا يَا [ٱللَّهُمَّا] يَا [ٱللَّهُمَّا] ولضرورةِ الشعرِ يُنوَّنُ هاذا المنادى ، وهوَ باقٍ على ضمِّ بنائِهِ في أصحِّ القولَين .

الحالةُ الثانيةُ : ألَّا يكونَ المنادى مطلوبَ الإقبالِ فقطْ ، بل يكونُ معَ طلبِ إقبالِهِ مُستغاثاً مطلوباً أن يكونَ غوثاً مُنقِذاً مِنْ شِدَّةٍ ، ويُذكَرُ بعدَهُ صاحبُ الشِّدَّةِ ، وتارةً يكونُ هوَ المستغيثَ ، وتارةً يكونُ غيرَهُ ، أو يُذكَرُ بعدَهُ نفسُ الشِّدَّةِ ، وحينَئذٍ يُسمَّى المنادىٰ : مُستغاثاً ، وصاحبُ الشِّدَّةِ : مُستغاثاً لأجلِهِ ، والشِّدَّةُ : مُستغاثاً منهُ .

وحكمُهُ حينَاذٍ : أن يُخفَضَ بلامٍ مفتوحةٍ ؛ لأنَّ المنادىٰ واقعٌ موقعَ كافِ الخطابِ الضميرِ ، ومعَ الضَّمائرِ تُفتَحُ اللَّامُ ؛ وهي لامُ الاختصاصِ ، مُتعلِّقةٌ بالفعلِ المُقدَّرِ وإن كانَ مُتعدِّياً ؛ لضَعفِهِ بالحذفِ ، ويُخفَضُ المُستغاثُ لأجلِهِ بالمعروةِ كما يُخفَضُ بها المعطوفُ ، إلَّا إذا كَرَّرتَ (يا) لكونِهِ مُستغاثاً مُستقِلاً ، فتفتحُ معَهُ اللَّامَ وتَخفِضُ المُستغاثَ منهُ به (مِنْ) نحوُ : يا لَزيدٍ لِعمرو ، ويا لَبكرٍ لي ، ويا لَهشامٍ ولِخالدٍ ، ويا لَهشامٍ ويا لَخالدٍ ، ويا لَخالدٍ منْ جورِ الأحكام .

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٢٩٥/٢) .

ولكَ أَن تَحذِفَ لامَ المُستغاثِ وتُعوِّضَ منها بعدَ آخِرِهِ أَلِفاً ؛ نحوُ : يا زيدَا لعمرو .

ومثلُ المُستغاثِ: المُهدَّدُ والمُتعجَّبُ منهُ في كيفِهِ أو كَمِّهِ ؟ نحوُ (١٠):

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ ٱلْفِرَارُ في التهديدِ.

وكقولِ العربيِّ حيثُ ينتهي إلى ماءِ كثيرٍ نميرٍ صافٍ ، وعشبٍ كثيرٍ ريَّانَ ناضر : يا لَلماءِ ، ويا لَلعشبِ .

ومنهُ: يا عجبًا ، وكثيراً ما يَغلطُ القارئُ فيقولُ: (يا عجباً) بالتنوينِ . فحكمُ المُهدَّدِ والمُتعجَّبِ منهُ . . حكمُ المستغاثِ .

الحالةُ الثالثةُ : ألَّا يكونَ المنادى مفرداً مُعرَّفاً ، بل إمَّا أن يكونَ مضافاً وما يضارعُهُ ، وإمَّا أن يكونَ نكرةً :

وحكمُهُ حينَئذٍ : النصبُ لفظاً أو تقديراً ؛ نحوُ : يا أخا فهمٍ ، ويا فتى الفتياذِ ، والمرادُ بما يضارعُ المضافَ : ثلاثةُ أشياءَ :

- أحدُها: الاسمُ العاملُ ؛ نحوُ: يا حسناً وجهه ، ويا محسناً أعمالَهُ ، ويا محسناً أعمالَهُ ، ويا بصيراً بأمرهِ .

- الثاني: الاسمُ الموصوفُ بجملةِ أو ظرفٍ ؛ كقولِهِ ('': [من الوافر] أَعَبْداً حَلَّ فِي شُعَبَىٰ غَريباً أَلُـوْماً لَا أَبَا لَـكَ وَٱغْـتِـرَابَا

⁽¹⁾ البيت لمهلهل بن ربيعة في « ديوانه » (∞) .

⁽٢) تقدم (١/٥٤٥) .

وكقولِهِ (١): [من الطويل]

أَيَا شَاعِراً لَا شَاعِرَ ٱلْيَوْمَ مِثْلُهُ جَرِيرٌ وَلَاكِنْ فِي كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ وكقولِهِ (۲):

أَدَاراً بِحُزْوَىٰ هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَمَاءُ ٱللهَوَىٰ يَرْفَضُ أَوْ يَتَرَقْرَقُ

_ الثالثُ : العددُ المُشتمِلُ على العطفِ ؛ كأحدٍ وعشرينَ ، واثنَينِ وعشرينَ .

وكلُّ ذٰلكَ يُستعملُ في مُعيَّنٍ ، وفي غيرِ مُعيَّنٍ ، ويَظهرُ ذٰلكَ في الأوصافِ . فعلى الأوَّلِ : تقولُ : يا غلامَ خدمةٍ الماهرَ ، ويا حسناً وجهُهُ المحسنَ ، ويا ثلاثةً وثلاثينَ الأذكياءَ .

وعلى الثاني : تقولُ : ماهراً ، ومحسناً ، وأذكياءَ .

غيرَ أنَّ الموصوفَ بجملةٍ أو ظرفٍ لا يُوصَفُ بعدُ بالمعرفةِ ، كأنَّهُمُ استنكروا صفة المعرفةِ بعدَ صفةِ النكرةِ .

والصحيحُ: جوازُ نداءِ النكراتِ ؛ وهيَ ما لا يُقصَدُ بها مُعيَّنُ ، موصوفةً وغيرَ موصوفةً وغيرَ موصوفةً ؛ نحوُ: يا رجلاً يرجو رحمةَ ربّهِ ويَخافُ غضبَهُ .

هلذا ؛ ومِنَ المنادى : أسماءُ الأشياءِ التي يُتوجَّعُ منها ، أو يُتفجَّعُ عليها ، ويُسمَّى نداؤُها : ندبةً ، ويُسمَّى المنادى : مندوباً .

ولا يُندَبُ إلا معرفة بالعلميّة ، أو بالإضافة إلى مُعيّن ، أو بصلة مشهورة فيما بينَ الناس ؛ نحو : وا زيد ، بضم آخِرِه مُتفجّعاً عليه ، ونحوه : وا كبير

⁽١) القائل هو الصلتان العبدي ، كما في « خزانة الأدب » (١٧٤/٢) .

⁽٢) القائل هو ذو الرُّمة في « ديوانه » (٤٥٦/١) .

البلدِ، وا عظيمَ الكرماءِ، وا غلامي، وا غلامَكَ، وا غلامَكِ . . . إلى آخِرِ النَّهُ النَّهُ النَّهِ عَنْ حَفْرَ بَئْرَ زَمْزَمَ ؛ نَدْبَةً لَعْبَدِ المُطَّلِّ جَدِّ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ؛ لكونِهِ اشتَهرَ في ذلكَ الأوانِ بمضمونِ هاذهِ الصِّلةِ، وا مَنْ عليهِ وسَلَّمَ ؛ لكونِهِ اشتَهرَ في ذلكَ الأوانِ بمضمونِ هاذهِ الصِّلةِ، وا مَنْ بنى وضعَ علمَ النحوِ ؛ لأبي الأسودِ الدُّئِلِيِّ ؛ لاشتهارِهِ بذلكَ ، وا مَنْ بنى القاهرةَ ؛ ندبةً لجوهر القائدِ مملوكِ المُعِزِّ لدينِ اللهِ ، أوَّلِ ملوكِ الفواطمِ بمصرَ لذلكَ .

ولكَ أن تزيدَ بعدَ ما تَنطِقُ بهِ في الندبةِ أَلِفاً ، وتَحذِفَ لأجلِها ما قبلَها مِنْ تنوينٍ أو أَلِفٍ ؛ فنحوُ : (وا موسى) يحتملُ أن تكونَ الألِفُ آخِرَ المندوبِ ، أو زائدةً وآخِرُهُ محذوفٌ ، وتَقلِبَ ضمَّةَ المضمومِ وكسرةَ المكسورِ فتحةً لأجلِ الأَلِفِ التي تزيدُها ، وتُسمِّيها : أَلِفَ النُّدبةِ ، إلَّا إذا كانَتِ الضَّمَّةُ مُميِّزةً شيئاً مِنْ شيءٍ ؛ فإنَّكَ تزيدُ بعدَها عِوَضَ الأَلِفِ واواً ؛ نحوُ : وا غلامَهُو ، فالضَّمَّةُ تُميِّزُ ضميرَ المُذكَّرِ مِنْ ضميرِ المُؤنَّثِ ، فلو زدتَ أَلِفاً وقلتَ : وا غلامَها . . لالتبسَ بضميرِ الأُنثى .

وإلَّا إذا كانَتِ الكسرةُ مُميِّزةً شيئاً مِنْ شيءٍ ، فإنَّكَ تزيدُ بعدَها ياءً ؛ نحوُ : وا غلامَكي ، خطاباً لأُنثىٰ ؛ فإنَّكَ لو قلتَ : وا [غلامَكا] . . لالتبسَ بخطابِ الذَّكر .

ولكَ أَن تزيدَ وقفاً هاءَ سكتٍ ؛ فتقولَ وا زيداهْ ، وا غلامَكيهْ ، وا غلامَهُوهْ . ولكَ أَن تأتي بالمندوب مُجرَّداً مِنَ المَدِّ والهاءِ كما رأيتَ .

وقد حذفَتِ العربُ تخفيفاً مِنْ آخِرِ المنادىٰ غيرِ المندوبِ ، وغيرِ المُستغاثِ ، وغيرِ المُستغاثِ ، وغيرِ الإضافةِ وشبهِها ، وغيرِ ذي التركيبِ الإسناديِّ ، وسمَّاهُ النحويونَ : ترخيماً .

فإذا كان المنادى مختوماً بتاءِ التأنيثِ . . رُخِّمَ بحذفِها فقطْ .

وإذا لم يكنْ مختوماً بها . . حُذِفَ آخِرُهُ إن كانَ عَلَماً زائداً على ثلاثةِ أحرفٍ ؟ ك (يا سُعا) في سُعادَ .

ويُحذَفُ معَ الآخِرِ ما قبلَهُ إن كانَ أَلِفاً زائدةً ، أو واواً قبلَها ضمَّةٌ ، أو ياءً قبلَها كسرةٌ ، وكانَتِ الأحرفُ الثلاثةُ مسبوقةً بثلاثةِ أحرفٍ ؛ نحوُ : (يا مَرْوُ) في مروانَ ، و(يا سَلْمُ) في سلمانَ ، ويا (أَسْمُ) في أسماءَ ، و(يا مِسْكُ) في مسكينِ علماً ؛ كمسكينِ الداريِّ ، و(يا مَنْصُ) في منصورٍ .

وإن كانَ المنادى مُركَّباً مزجيّاً . . رُخِّمَ بحذفِ عَجُزِهِ ؛ نحوُ : (يا بَعْلُ) في بعلبكَّ ، و(يا معدي) في [معديكربَ] .

وإذا حذفتَ مِنَ المنادى ما حذفتَ ترخيماً . . فلكَ فيما بقيَ وجهانِ : الأوَّلُ : أن تبقيَهُ على صورتِهِ قبلَ الحذفِ ، فيكونُ المحذوفُ ملحوظاً بحالتِهِ ، ويُسمَّىٰ : لغةَ مَنْ يَنتظِرُ ؛ أي : يَنتظِرُ المحذوفَ .

الوجهُ الثاني : أن تجعلَهُ منادئ مُستقِلًا ، وتقطعَ النظرَ عنِ المحذوفِ ، فتَضُمَّ آخِرَ ما بقيَ معَكَ ، ويُسمَّىٰ : لغةَ مَنْ لا يَنتظِرُ .

وإذا حصلَ بعدمِ الانتظارِ اشتباهٌ . . وجبَ الانتظارُ ، فإذا رخمتَ نحوَ : (مُسْلِمةٍ) . . وجبَ أن تقولَ : يا مُسْلِمَ ، بفتحِ الميمِ ؛ إذ لو ضممتَ . . لاشتبهَ بنداءِ مَنِ اسمُهُ مسلمٌ بلا تاءٍ .

وقد عاملَتْ لغةُ مَنْ لا يَنتظِرُ ما بقيَ معاملةَ الأسماءِ التامَّةِ ، فأعطتْهُ ما يَستحِقُّهُ حَسَبَ ما أفادَتْكَ القواعدُ الصَّرفيَّةُ .

مثلاً: إذا ناديتَ (ثمودَ) ورَخَّمتَهُ . . لزمَ أن يكونَ اسماً آخِرُهُ واوٌ قبلَها ضمَّةٌ ، وقد عرفتَ أنَّهُ غيرُ موجودٍ في اللغةِ ، فوجبَ لذلكَ قلبُ الواوِياءً ، وإبدالُ الضَّمَّةِ كسرةً ؛ فتقولُ : يا ثَمِي ، ويصيرُ مِنَ المنقوص .

وإذا ناديتَ نحوَ (حَلاوةٍ) و(هِدايةٍ).. قلتَ: يا حَلاءُ ويا هِداءُ ، بإبدالِ الواوِ والياءِ همزةً ، كما عرفتَ في نظائرِهِ ؛ كسماءٍ وشراءٍ ، ومَنِ استحضرَ ما عرفَ .. لم يَصعُبْ عليهِ اعتبارُ ما يلزمُ .

وبعضُ الأسماءِ لا تُستعمَلُ في الكلامِ إلَّا مناداةً ؛ وهي : نَوْمانُ ؛ فتقولُ : يا نَوْمانُ ؛ سبّاً بالكسلِ والبلادةِ والوخامةِ ، ولُؤْمانُ بضمِّ أولِهِ ، ومَلْأمانُ بفتحة ؛ سبّاً بقوةِ اللؤمِ ، ومَلْكَعانُ كمَلْأمانَ ؛ سباً بالرخاوةِ ، ومَكْذَبانُ ومَخْبَثانُ ، ومَكْرَمانُ ومَطْيَبانُ ؛ مدحاً بهما .

فهاذهِ الأسماءُ لا تُستعمَلُ في غيرِ النداءِ ، ولا يُقاسُ عليها ، كما أنَّ (فُلُ) كنايةً عن ذَكرٍ ، و(فُلَةُ) كنايةً عن أُنثى . . مُختصَّانِ بالنداءِ ، ولا يُستعمَلانِ في غيرِ شعرٍ .

ولكَ أَن تُحوِّلَ كلَّ اسمِ فاعلٍ ثلاثيٍّ يَدُلُّ على معنى يُسَبُّ بهِ إلى وزنِ (فَعالِ)، ويَختصُّ بالنداءِ في سبِّ الإناثِ؛ فتقولُ: يا خَباثِ؛ مُحوَّلاً عن خبيثةٍ، ويا فَجارِ؛ مُحوَّلاً عن فاجرةٍ، ويا غَدارِ؛ مُحوَّلاً عن غادرةٍ، وليسَ لكَ أَن تُحوِّلَ في سبِّ الذُّكورِ.

وقد ورد التحويلُ في سبِّهِم إلى وزنِ (فُعَلِ) ، فتَقتصِرُ على ما وردَ منه ؟ نحوُ : يا خُدَرُ ، ويا لُكَعُ ، ويا فُسَقُ ؛ مُضِيّاً بالحكمِ معَ الكثرةِ والقِلَّةِ ، وقد وردَ حذفُ (يا) نحوُ : ﴿ اَنَدُ أَتَتَخِذُ أَصَّنَامًا ﴾ (١) في قراءةِ ضمِّ الراءِ ، ونحوُ : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِيقُ ﴾ (١) .

⁽١) سورة الأنعام : ($\forall X$) ، برفع الراء ، وهي قراءة يعقوب ، كما في « النشر في القراءات العشر » ($\forall X$) .

⁽٢) سورة يوسف : (٢٩) .

⁽٣) سورة يوسف : (٤٦) .

الموضعُ الثالثُ: تراكيبُ يُقالُ لها: تراكيبُ الاختصاصِ؛ وهي كلُّ تركيبٍ مُشتمِلٍ على اسمٍ يُذكَرُ في أثناءِ جملةٍ أو بعدَها؛ لتبيينِ الموضعِ الذي يُخَصُّ بهِ حكمُ الجملةِ ، ويكونُ مطابقاً للمحكومِ عليهِ فيها؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « نَحْنُ ـ مَعَاشِرَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ـ لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ » (١) ، فلفظةُ (معاشرَ) اسمٌ ذُكِرَ في أثناءِ جملةٍ ؛ لبيانِ الموضعِ المخصوصِ بحكمِ الجملةِ الذي هوَ ثبوتُ عدمِ الإرثِ ، وكونُ المتروكِ صدقةً ، المُعبَّرُ عنهُ به (نحنُ) ، وهوَ مطابقٌ للمحكومِ عليهِ وهوَ (نحنُ) ، والفعلُ الناصبُ المحذوفُ وجوباً: أَخُصُّ معاشرَ الأنبياءِ .

ونظيرُهُ: قولُهُم: نحنُ _ العربَ _ أقرى الناسِ للضَّيفِ ، وفي ذكرِ هاذا الاسمِ رفعُ بهامةٍ في (نحنُ) ، وقد يكونُ لمُجرَّدِ التعاظُم ؛ نحوُ: أنا _ فتى الفتيانِ _ أُكرِمُ الضيوفَ ، وأستعمِلُ السيوفَ ، وكونُهُ بعدَ ضميرِ مُتكلِّمٍ . . أكثرُ مِنْ كونِهِ بعدَ ضميرِ خطابِ .

وقد يُؤتىٰ بلفظِ (أيِّ) و(أيَّةٍ) مُفسَّراً باسمٍ هوَ المُختصُّ في الحقيقةِ ، في الحقيقةِ ، في الختصاصيةُ جملةٌ النَّمُ ، ويُقالُ : إنَّهُما في محلِّ نصبٍ ، والجملةُ الاختصاصيةُ جملةٌ اعتراضيةٌ فائدتُها ما سبقَ أو حاليةٌ .

الموضعُ الرابعُ: تراكيبُ الإغراءِ والتحذيرِ، ويُسمَّى المفعولُ فيها: مُغرى بهِ، أو مُحذَّراً منهُ ؛ نحوُ: الغزالَ الغزالَ ، ونحوُ: سهمَكَ والغزالَ ، ونحوُ: سهمَكَ والغزالَ ، ونحوُ: إن لم تَكذِبْ . . فشأنَكَ ومَدْحَ الناسِ ؛ إغراءً على تقديرِ: اطلبِ الغزالَ ، وانظرْ شأنَكَ وقلْ مدحَ الناس .

⁽١) انظر « البدر المنير » (٣١٤/٧) ، وأصله عند البخاري (٣٠٩٣) عن سيدنا أبي بكر رضى الله عنه .

ونحوُ: الأسدَ الأسدَ، ورأسَكَ والسيفَ؛ تحذيراً على تقديرِ: احذرِ الأسدَ، وقِ رأسَكَ وتَجنَّبِ السيفَ.

لَكَنْ شُرطُ وجوبِ حذفِ الفعلِ تَكرارُ الاسمِ أوِ العطفُ كما رأيتَ ، إلَّا إذا ذكرتَ في عبارةِ التحذيرِ لفظةَ (إيَّاكَ) فإنَّهُ يجبُ الحذفُ بلا شرطٍ ؟ نحوُ : إيَّاكَ الجدلَ في غيرِ حقّ .

وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ ٱلْمِرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى ٱلشَّرِّ دَعَّاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبُ

وإيَّاكَ وفعلَ الأراذلِ ، وإيَّاكُم أن تعتمدوا علىٰ غيرِ اللهِ ؛ علىٰ تقديرِ : إيَّاكَ أُحذِّرُ الجدلَ ، وإيَّاكَ أُحذِّرُ وتَجنَّبْ فعلَ الأراذلِ .

الموضعُ الخامسُ: تراكيبُ الاشتغالِ ، وصورتُها أن تذكرَ اسماً تأتي بعدَهُ بفعلٍ أو اسمِ فاعلٍ أو اسمِ مفعولٍ مُتصِلاً بهِ أو مُنفصِلاً عنهُ ، وتشغلُهُ بضميرِ ذلكَ الاسمِ أو بما يَشتمِلُ على ضميرِهِ ، وحينَئذٍ يُسمَّى المحذوفُ: المضمرَ على شريطةِ التفسيرِ ، ويُسمَّى المذكورُ مِنَ الفعلِ وصاحبَيهِ: مُفسِّراً .

ولمكانِ التفسيرِ وجبَ حذفُ المُفسَّرِ لذكرِ المُفسِّرِ ؛ إذ لا يَجتمِعُ العوضُ والمُعوَّضُ ، للكنْ يلزمُ في الأوصافِ المستعملةِ في هلذهِ التراكيبِ أن تكونَ مُعتمِدةً على مبتدأً يُذكرُ قبلَ المفعولِ المحذوفِ ناصبُهُ أو بعدَهُ ، أو على نفي أو استفهامٍ ؛ نحوُ : زيدٌ هنداً مُكرِمُها ، وعمراً أنتَ مُحسِنٌ إليهِ ، وما زيداً صاحبُهُ أخواهُ ، وأزيداً مُربّيهِ أبواهُ ؟

فكلُّ ذٰلكَ صحيحٌ ، [ولو] وضعتَ فيهِ الفعلَ موضعَ الأوصافِ . . لم يكنِ الحكمُ مختلفاً ؛ تقولُ : زيدٌ هنداً يُكرِمُها . . . وهلكذا ، بخلافِ [ما إذا] لم

⁽١) البيت من الطويل ، وهو من شواهد « الكتاب » لسيبويه (٢٧٩/١) .

يَعتمِدِ الوصفُ ؛ فإنَّهُ لا يجوزُ استعمالُهُ في هاذهِ التراكيبِ كما يجوزُ استعمالُ الفعل ؛ تقولُ : زيداً مُكرمُهُ أصحابُهُ ، ولا تقولُ : زيداً مُكرمُهُ أصحابُهُ .

هاذا ؛ والمضمرُ على شريطةِ التفسيرِ إن أمكنَ تقديرُهُ مِنْ مادَّةِ المُفسِّرِ . . فذاكَ ، وإلَّا . . قَدَّرتَ ما يناسبُهُ ويَدُلُّ عليهِ ؛ فتقولُ في نحوِ : طريقَ الحقِّ سلكتَها ، التقديرُ : سلكتَ طريقَ الحقِّ ، وفي نحوِ : مذهبَ الخيرِ أنتَ رافعٌ منارَهُ ، التقديرُ : أوضحتَ وبَيَّنتَ مذهبَ الخيرِ ، وفي نحوِ : زيداً اشتريتَ غلامَهُ : بايعتَ أو لابستَ زيداً ، وفي نحوِ : زيداً مررتَ بهِ إلى الحاكمِ : أذهبتَ زيداً .

وباعتبارِكَ هانمه الأمثلة لا يَصعُبُ على ذوقِكَ ولا يَبعُدُ عن إدراكِكَ تقديرُ ما يناسبُ في نحو : زيداً ضربتَ عمراً وأخاهُ ، وشتمتَ رجالاً يصحبونَهُ .

هاذا ؛ واعلم : أنَّ هاذا الاسمَ الذي نحنُ في إبانةِ كونِهِ مفعولاً واجباً حَذْفُ عاملِهِ . . لا يلزمُ أن يكونَ كذلكَ إلَّا في بعضِ التراكيبِ ، ولذلكَ تنقسمُ التراكيبُ المُشتمِلةُ على هاذا الاسمِ أربعةَ أقسامٍ : قسمٌ يَتعيَّنُ فيهِ نصبُ الاسمِ المذكورِ ، وقسمٌ يَترجَّحُ فيهِ النصبُ ، وقسمٌ يستوي فيهِ النصبُ والرفعُ بالابتداءِ ، وقسمٌ يَترجَّحُ فيهِ الرفعُ .

- القسمُ الأوَّلُ: كلُّ تركيبٍ وقعَ فيهِ الاسمُ بعدَ ما يَختصُّ بالفعلِ ؟ كأدواتِ الشرطِ والتحضيضِ و(هل) نحوُ: إنْ زيداً أكرمتَهُ . . أكرمَكَ ، وهلَّ زيداً تُكرمُهُ ، وهل زيداً اختبرتَهُ .

- القسمُ الثاني: كلُّ تركيبٍ وقعَ فيهِ الاسمُ بعدَ ما يَغلِبُ صحبتَهُ للفعلِ ؟ كهمزةِ الاستفهامِ ؟ نحوُ: أزيداً أكرمتَهُ ؟ وحيثُ ؟ [نحوُ]: أجلسُ حيثُ زيداً وجدتَهُ ، أو قبلَ فعلٍ ذي طلبٍ ؟ نحوُ: زيداً أكرمْهُ ، وعمراً لا تُهنْهُ ، أو عُطِفَ ذلكَ التركيبُ على جملةٍ فعليَّةٍ ؟ نحوُ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَنَ مِن نُظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

مُّيِنٌ وَٱلْأَنْكَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ . . . ﴾ (١) ، أو كانَ نصبُ الاسمِ الواقعِ فيهِ يُعيِّنُ المقصودَ ، والرفعُ يَحتمِلُ غيرَهُ ؛ نحوُ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) ؛ فإنَّ المقصودَ الحكمُ بأنَّ خَلْقَ كلِّ شيءٍ بقَدَرٍ ، لا أنَّ الأشياءَ المخلوقةَ بقَدَرٍ .

- القسمُ الثالثُ : كلُّ تركيبٍ وقعَ بعدَ جملةٍ اسميَّةٍ والخبرُ فيها جملةٌ فعليَّةٌ ؛ نحوُ : زيدٌ كَرُمَتْ شمائلُهُ والإحسانُ تحققتُهُ منهُ .

- القسمُ الرابعُ: ما عدا تلكَ التراكيبَ .

ولمَّا كانَ المفعولُ في غيرِ الموضعِ الأوَّلِ مُختصًا بأحكامٍ مُفصَّلةٍ في مسائلَ . . ترجمَ النحويونَ لكلِّ جملةٍ متناسبةٍ مِنْ تلكَ المسائلِ ؛ فقالوا : بابُ النداءِ ، وبابُ الاختصاصِ ، وبابُ الإغراءِ والتحذيرِ ، وبابُ الاشتغالِ .

* * *

⁽١) سورة النحل : (٤ _ ٥) .

⁽٢) سورة القمر : (٤٩) .

المفعول المطلق

مصدرٌ ، يُذكَرُ بعدَ مشتقٍّ يكونُ ناصباً لهُ ؛ لأحدِ أغراضٍ ثلاثةٍ :

توكيدُ معنىٰ ناصبِهِ: ليفيدَ أنَّ معناهُ هوَ المرادُ باللفظِ ، وليسَ المرادُ معنىُ آخَرَ عُبِّرَ عنهُ بلفظِهِ مبالغةً ؛ نحوُ قولِكَ : ضربتُ زيداً ضرباً ، وأنا مهيئهُ إهانةً ؛ فلفظُ (ضرباً) مصدرٌ أكَّدتَ بهِ معنىٰ (ضربَ) لتفيدَ أنَّ الحاصلَ منكَ ضربُ زيدٍ لا نوعٌ مِنْ أنواعِ الأذيَّةِ ؛ كالشتمِ ، عَبَّرتَ عنهُ بالضَّرب مبالغةً .

وبيانُ نوعِهِ: نحوُ: ضربتُ زيداً ضرباً شديداً أو ضعيفاً ، وتَكلَّمَ عمرٌو تَكلُّماً حسناً ، وسارَ سيراً طويلاً .

أو بيانُ عددٍ: نحوُ: وثبتُ وثبةً ، وقامَ قَوْمةً ، وتَكلَّمَ زيدٌ تَكلُّمَينِ: تَكلُّماً أُعجبَ ، وتَكلُّماً .

[ما ينوب عن المصدر]

وينوبُ عنِ المصدرِ أشياءُ فتُسمَّىٰ : مفعولاً مطلقاً بالنيابةِ ؛ وهيَ أربعةَ عشرَ :

_ لفظةُ (كلِّ) أو (بعضٍ) مضافتَينِ إليهِ ؛ نحوُ : اجتهدَ زيدٌ كلَّ الاجتهادِ ، وتوانئ عمرٌو بعضَ التواني ؛ وذلكَ لبيانِ النوعِ ؛ إذِ المعنى : اجتهاداً كاملاً ، وتوانياً قليلاً .

- والإشارةُ إليهِ ؛ نحوُ : زجرتُهُ ذلكَ الزجرَ فلم يُفِدْ فيهِ ؛ لبيانِ النوعِ أيضاً ؛ إذِ المعنى : الزجرَ الشديدَ الذي اطلعتَ عليهِ .

_ وعددُهُ ؛ نحوُ: مررتُ بهِ عشرينَ مَرَّةً.

- _ وأداةُ السُّؤالِ عن عددِهِ ؛ نحوُ : كم مَرَّةً مررتَ بهِ ؟
- والسُّؤالُ عن نوعِهِ ؛ ك: أيَّ وصفٍ وصفتَ زيداً ؟ على معنى : أوَصفاً حسناً وصفتَ زيداً أم وصفاً غيرَ حسن ؟
- ومصدرُ فعلِ غيرِ فاعلِهِ على التشبيهِ بهِ بعدَ حذفِهِ وحذفِ أداةِ التشبيهِ ؟ نحوُ: قرأَ زيدٌ قراءةَ العلماءِ ؟ على تقدير : قراءةً مثلَ قراءةِ العلماءِ .
- ومصدرُ فعلٍ فيهِ معنىٰ فعلِهِ ؛ نحوُ: فرحَ زيدٌ بكذا جَذَلاً ؛ إذِ الجَذَلُ الفرحُ الشديدُ ، وسكتَ صمتاً ؛ إذِ الصَّمتُ السكوتُ المقصودُ لخيريَّةِ السكوتِ .
 - _ واسمُ عينٍ مِنْ مادَّةِ الفعلِ ؛ نحوُ : ﴿ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتَا ﴾ (١).
- واسمٌ بمعناهُ يُقالُ لهُ: اسمُ المصدرِ ؛ نحوُ: أعطىٰ زيدٌ عطاءً ؛ بمعنىٰ : إعطاءً .
 - _ وضميرُهُ ؛ نحوُ: أعجبني القولُ الذي قلتَهُ ؛ أي : النطقُ الذي نطقتَهُ .
 - ـ وصفتُهُ ؛ نحوُ : سرتُ طويلاً ؛ أي : سيراً ، ولبثنا قليلاً ؛ أي : لُبثاً .
- _ وآلتُهُ ؛ نحوُ : ضربتُهُ سوطاً ، أو عَصَوَينِ ، وفي هـٰذا معَ بيانِ آلةِ الفعلِ بيانُ عددِهِ ، أليسَ المعنى : ضربتُهُ ضربةً بسوطٍ ، وضربتَين بعصاً ؟!
- وألفاظٌ وُضِعَتْ لبيانِ أنواعِ أفعالٍ ؛ نحوُ: رجعَ القهقرىٰ ؛ أي: بظهرِهِ إلى خَلْفٍ ، وقعدَ القُرْفُصاءَ ، واشتملَ الصَّمَّاءَ ، واعتمَّ القَفْداءَ ؛ أي: التفَّ بثوبِهِ ، ولم يُرسِلْ مِنْ [عِمامتِهِ] شيئاً ، وهانهِ الثلاثةُ ممدودةٌ ، وعدا الجَمَزَىٰ ، والمَرَطَىٰ ، والبَشَكَىٰ ؛ أي: عدواً شديداً ، ومشى الحمارُ حَيَدَىٰ ؛ أي: مُتلوِّياً إلىٰ يمينِ مَرَّةً وإلىٰ شِمالٍ مَرَّةً ، في ألفاظٍ أُخَرَ .

⁽١) سورة نوح : (١٧) .

ولأبي الطيّبِ (١): [من المتقارب]

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ ٱلْخَيْزَلَى فِدَىٰ كُلِّ مَاشِيَةِ ٱلْهَيْدَبَىٰ

فالهَيْدَبَىٰ : نوعٌ مِنْ مشي الإبلِ ، والخَيْزَلَىٰ : نوعٌ مِنْ مشي النساءِ ؛ يقولُ : تركَ الهزلَ وأخذَ في الجِدِّ ، فهوَ يفدي النوقَ بالنساءِ .

والمصدرُ المُؤكِّدُ تكريرٌ للفعلِ ؛ فمَنْ قالَ : ضربتُ ضرباً . . كأنَّهُ قالَ : ضربتُ ضرباً . . كأنَّهُ قالَ : ضربتُ ضربتُ ، ولذلكَ لا يُثنَّىٰ ولا يُجمَعُ ، بخلافِ المُبيِّنِ للنوعِ والمُبيِّنِ للعددِ ؛ تقولُ : سرتُ سيرَيِ الغاوي والراشدِ .

ويُحذَفُ ناصبُ المفعولِ المُطلَقِ إذا دلَّ عليهِ دليلٌ ، ويجبُ حذفه :

إذا أُقيمَ المصدرُ مُقامَهُ في الطَّلبِ ؛ نحوُ: قراءةً للعِلْمِ ؛ أي : اقرأ العِلْمَ ، فهوَ بدلُ الفعلِ ، ولذلكَ يُؤكَّدُ ويُبيَّنُ نوعُهُ وعددُهُ ؛ فتقولُ : ضرباً زيداً ضرباً ، وضربَ تأديب ، وضَرَباتٍ .

وإذا كانَ بعدَ استفهامٍ توبيخيٍّ ؛ نحوُ : أتوانياً وقد جدَّ الناسُ ؟! أي : أتتواني ؟!

وإذا فُصِلَ بـ (إمَّا) نحوُ : ﴿ فَإِمَّا مَنَّا بَعَدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ ('') ؛ أي : فإمَّا تَمنُّونَ ، وإمَّا تَفدونَ .

وإذا كُرِّرَ وكانَ عاملُهُ خبراً عنِ اسمٍ لا يكونُ المصدرُ خبراً عنهُ إلَّا مجازاً ، وإذا كانَ مقصوراً عليهِ كذلك ؛ نحوُ: أنتَ سيراً سيراً ؛ أي: تسيرُ ، وما أنتَ سيراً ، وإنَّما أنتَ سيرةَ الحكماءِ ، وإنَّكَ حفظاً حفظاً ، ويجوزُ أن

⁽١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٨٢) ، وفيه : (الهيذبي) بدل (الهيدبي) وهما بمعنيّ .

⁽٢) سورة محمد : (٤) .

يكونَ منهُ: ما كنتَ إلَّا اشتغالاً بالخيرِ ، وما وجدتُكَ إلَّا حرصاً على الفائدةِ وابتهاجاً بالنادرةِ .

كما يجوزُ أن يكونَ مُحدَّثاً بهِ خبراً في الأوَّلِ ، ومفعولاً بهِ في الثاني ، كما لو رفعتَ المصدرَ في سابقِهِ .

وإذا كانَ بعدَ جملةٍ مُشتمِلةٍ على معناهُ قطعاً ، ويُسمَّى حينَئذٍ : مُؤكِّداً لنفسِهِ ؛ نحوُ : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُم جَيعاً وَعْدَ اللهِ ﴾ (١) ، ف (وعدَ اللهِ) مفعولٌ مطلقٌ محذوفُ العاملِ وجوباً ، يُسمَّىٰ : مؤكداً لنفسِهِ ؛ لكونِهِ واقعاً بعدَ جملةٍ تضمَّنتُ معنى الوعدِ قطعاً ؛ وهيَ : (إليهِ مرجعُكُم) فإنَّها إخبارٌ بأنَّ اللهَ سيحيي الخلق ويُعيدُهُم ويرجعونَ إلىٰ حسابِهِ ، وهوَ وعدٌ منهُ ، ونحوُ : لزيدٍ عليَّ ألفٌ إقراراً .

وإذا كانَ بعدَ جملةٍ مُتضمِّنةٍ معناهُ لا حتماً ، ويُسمَّىٰ : مُؤكِّداً لغيرِهِ ؟ نحوُ : أنا ناصحٌ لكَ صدقاً ؟ فإنَّ (أنا ناصحٌ لكَ) خبرٌ يَحتمِلُ الصدقَ .

وإذا كان واقعاً بعدَ مصدرٍ في جملةٍ تامَّةٍ علىٰ معنى التشبيهِ ؛ نحوُ : لزيدٍ صوتٌ صوتَ حمار .

وإذا بَيَّنَ فاعلَ فعلِهِ أو مفعولِهِ بذكرِهِ بعدَهُ مُضافاً إليهِ أو مجروراً بلام ؟ نحو : بُعْداً لزيدٍ ؟ أي : بَعُدَ زيدٌ بُعْداً ، وحُكْمَ اللهِ ؟ أي : حَكَمَ اللهُ حُكْماً ، وسقياً لكَ ، ورَعْياً لكَ ؛ الأصلُ : سقاكَ اللهُ سَقْياً ، ورعاكَ ، وحفظكَ ورعايتَكَ كذلك .

فيُحذَفُ وجوباً في تسعةِ مواضعَ ، وجوازاً في غيرِها : إذا دلَّ عليهِ دليلٌ ، كما إذا قيلَ لكَ : أضربتَ زيداً ؟ فتقولُ : ضرباً ، كما يجوزُ حذفُ المصدر

⁽١) سورة يونس : (٤).

كذلك ؛ كأن يُقالَ لك : هل ضربتَ زيداً ضربَ التأديبِ على ما صَدَرَ منه ؟ فتقولُ : ضربتُهُ ؛ أي : ضربتُهُ ضربَ التأديبِ ، كما يُحذَفُ هوَ وعاملُهُ لو أجبتَ ب (نعم) أو (لا) .

ويَتقدَّمُ المفعولُ المُطلَقُ ويَتأخَّرُ حَسَبَ الاقتضاءِ حيثُ لا مانعَ .

واعلمْ: أنَّ الفعلَ مِنْ حيثُ الحَدَثُ يَتضمَّنُ معنيَينِ: معنىً مُشترَكُ بينَ جميع الأفعالِ ويُعبَّرُ عنهُ بالإيجادِ والإيقاعِ والفعلِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ ، ومعنى خاصٌّ يَتعلَّقُ بهِ ذلكَ المعنىٰ .

ألا ترى أنَّكَ تَفهمُ مِنْ قولِنا : ضربَ زيدٌ ، وقامَ عمرٌو : أوجدَ زيدٌ ضرباً ، وأوقعَ عمرٌو قياماً ؟!

فالمعنى الخاصُّ: هوَ المفعولُ ؛ ولذلكَ سُمِّيَ الدالُّ عليهِ مفعولاً دونَ تقييدٍ به (فيهِ) أو (معَهُ) كما هوَ الحالُ في كلِّ ما يُسمَّىٰ مفعولاً ، ويُوضِّحُ لكَ ذلكَ : أنَّهُ ربَّما اعتُبِرَ المعنى العامُّ في الفعلِ المُتعدِّي فلَزِمَ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهُزِّي ٓ إِلَيْكِ بِجِنْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ (١) ؛ أي : أوجدي الهزَّ بهِ وأوقعيهِ فيهِ ، وقولِ العربيِّ (١) :

. يَجْرِحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي

أي : يَفعلِ الجرحَ بها .

* * *

⁽١) سورة مريم: (٢٥).

⁽٢) هو ذو الرُّمة . في « ديوانه » (١٥٦/١) ، والبيت بتمامه :

وَإِنْ تَعْتَذِرْ بِٱلْمَحْلِ عَنْ ذِي ضُرُوعِهَا ۚ إِلَى ٱلضَّيْفِ يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي

المفعول لأجله

وهوَ اسمٌ ، يُذكرُ لبيانِ العِلَّةِ الباعثةِ على الفعلِ أوِ الغرضِ المُترتِّبِ عليهِ ؟ وهوَ ما يكونُ مُتقدِّماً في التصوُّرِ وتصوُّرُهُ باعثٌ على الفعلِ ، ومُتأخِّراً في الوجودِ ؟ نحوُ : أكرمتُكَ لإكرامِكَ إيَّايَ ، أو أكرمتُكَ لتشكرَني .

وإنّما يُنصَبُ : إذا كانَ مصدراً ، وقتُهُ ووقتُ فعلِهِ واحدٌ ، وفاعلُهُما كذلك ؟ نحوُ : قامَ زيدٌ إجلالاً لعمرو ؛ فمتى تَخلّفَ شرطٌ مِنَ الشُّروطِ الثلاثةِ . . لم يُنصَبْ ؛ نحوُ : سافرَ زيدٌ للشتاءِ ؛ فليسَ مصدراً ، وأكرمتُ عمراً لإكرامِهِ إيّايَ ؛ فليسَ الفاعلُ واحداً ، وأكرمتُ زيداً اليومَ لإهانتي لهُ أمسِ ؛ فليسَ الوقتُ واحداً .

ومنهُ: أزورُ زيداً مِنْ أجلِ لطافتِهِ ، و « دَخَلَتِ ٱمْرَأَةٌ ٱلنَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ؟ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ ٱلْأَرْضِ » (١) ؟ أي: بسببِ هِرَّةٍ .

ويجوزُ في المستوفي للشروطِ ألَّا يُنصَبَ ؛ فتقولُ : قامَ زيدٌ لإجلالِ عمرٍو ، فليسَ المفعولُ لأجلِهِ مِنَ المنصوباتِ وجوباً .

* * *

⁽١) أخرجه البخاري (٣٣١٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ مقارب.

المفعولُ فيهِ

ويُسمَّىٰ: ظرفاً ؛ لاشتمالِهِ على الفعلِ وإحاطتِهِ بهِ اشتمالَ الظُّروفِ علىٰ مظروفاتِها وإحاطتَها بها .

قد سلفَ لكَ أنَّ جميعَ الألفاظِ التي يَربِطُها بالأفعالِ حروفُ الإضافةِ تُسمَّىٰ: مفعولاً بهِ غيرَ صريحٍ ، ومفعولاً بهِ بواسطةٍ ، ويُقالُ حينَئذٍ للأفعالِ: إنَّها مُتعدِّيةٌ إليها بالواسطةِ ، في مقابلةِ المفعولِ بهِ الصَّريح (۱).

فعلى هاذا تقولُ في نحوِ: أنا جالسٌ هنا لانتظارِ زيدٍ ، وخرجتُ للنزهةِ في يومِ الجمعةِ ، وجلستُ في مجلسِ فلانٍ أُحدِّثُهُ ويُحدِّثُني: إنَّ لفظَ (لانتظارِ) ولفظَ (في يومِ) ولفظَ (في مجلسِ) منصوبةُ الموضع ؛ لكونِها مفاعيلَ غيرَ صريحةٍ ، للكنِ [اطَّرَدَ] حذفُ الخافضِ في بعضِ المواضعِ ، والتُزِمَ في بعضِها ، ومِنْ تلكَ المواضعِ : المفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فيهِ ، والتُزِمَ في بعضِها ، ومِنْ تلكَ المواضعِ : المفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فيهِ ، وتراكيبُ (أنَّ) بفتحِ النونِ المُشدَّدةِ ، و(أنْ) بسكونِ النونِ ، وتلكَ المواضعُ هيَ التي يكونُ حذفُ حرفِ الإضافةِ فيها قياسيًا مُطَّرداً حَسَبَ ما تَقرَّرَ في بابِ حروفِ الإضافةِ فيها قياسيًا مُطَّرداً حَسَبَ ما تَقرَّرَ في بابِ حروفِ الإضافةِ .

فاتَّضحَ لكَ أنَّ المفعولَ لأجلِهِ والمفعولَ فيهِ مُنتظِمانِ في المفعولِ بهِ ، لكنْ [لاطِّرادِ] حذفِ الخافضِ منهُما والتزامِهِ في بعضِهِما . . جعلَهُما النحويونَ نوعَينِ مُستقِلَّينِ مِنْ أنواعِ المنصوباتِ ، وترجموا لمسائلِهِما ، نظيرُ ما فعلوا في النداءِ وما معَهُ .

⁽١) انظر (١٧٨/١).

⁽٢) انظر (١٢٦/١).

[ضابطٌ لحذفِ الخافضِ وانتصابِ المخفوضِ على الظرفيةِ]

هلذا ؛ والذي علينا أن نَعرِفَهُ في هلذا الموضع : أنَّ حذفَ الخافض وانتصابَ المخفوضِ على الظرفيَّةِ . . مُطَّردٌ في جميعِ أسماءِ الأزمنةِ ، فنذكرُ بعدَ ما فيه معنى الفعلِ لتعيينِ الزمنِ الذي وقعَ فيهِ الفعلُ نوعاً ما مِنَ التعيينِ ؛ نحوُ : سرتُ شهراً ، وأقمتُ سنةً . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنْ أسماءِ الأزمنةِ وما أضيفَ إليها ممَّا يفيدُ الاستغراقَ أوِ التبعيضَ ؛ نحوُ : انتظرتُكَ كلَّ اليومِ ، ويوماً ، وبعضَ آخَرَ ، وأكثرَ النهارِ .

وأمَّا أسماءُ الأمكنةِ . . فما كانَ منها لمحدودٍ ذي صورةٍ قارٍّ في موقعِهِ ؟ كالمدينةِ والبلدِ والدارِ والطريقِ . . فلا يَطَّرِدُ فيها ذلكَ إلَّا معَ (دخلتُ) و(سكنتُ) و(نزلتُ) تقولُ : دخلتُ دارَ زيدٍ ، وسكنتُ مصرَ ، ونزلتُ بغدادَ .

ويَطّرِدُ في غيرِ ذٰلكَ ؛ كأسماءِ الجهاتِ التي هي : فوق ، وتحت ، وأمام ، وقُدّام ، ووراء ، وخَلْف ، ويمنة ، ويسرة ، ويمين ، ويسار ، وأسماء وأمام ، وقدّام ، ووراء ، وخلف ، وشبر ، وكأسماء الأمكنةِ التي سبق لك أنّها من المُقدّراتِ ؛ كفرْسخ ، وميلٍ ، وشبر ، وكأسماء الأمكنةِ التي سبق لك أنّها مِن المُشتقّاتِ ، على تفصيلٍ فيها حاصله : أنّ أسماء الأمكنةِ المُشتقّة مِن الأفعال ؛ إن كانَتْ مأخوذة مِنْ أفعالِ دالّةٍ على الاستقرارِ والكونِ في مكانٍ . . فإنّها كما تُنصب بأفعالِها تُنصب بما تضمن ذلك المعنى ؛ نحو : جلست مجلِس زيدٍ ، وأقمت مَجلِسهُ . . . وهاكذا ؛ كالمكانِ ، والمقامِ ، والمَسكنِ ، والمَوقِفِ ، والمَقيلِ ، والمَبيتِ ، وإن لم تكنْ على هاذا الحدِّ . . لم تُنصب والمَوقِف ، والمَقيلِ ، والمَبيتِ ، وإن لم تكنْ على هاذا الحدِّ . . لم تُنصب على القربِ أو البعدِ ؛ نحوُ : زيدٌ منك مَزجَرَ الكلبِ ، ومَناطَ الثُريَّا ، ومَقعَدَ المابلةِ ، ومَعقِدَ الإزار .

[الظروف المتصرفة وغير المتصرفة]

ثمَّ إنَّ بعضَ الظروفِ لم تُستعمَلْ إلَّا منصوبةً أو مخفوضةً ب (إلى) أو (حتى) ، أو ب (إلى) فقط ؛ نحو : حتى متى ؟ وإلى متى ؟ وإلى أينَ ؟ أو مخفوضة ب (مِن) التي هي للابتداء أو الظَّرفية نيابة عن (في) حَسَبَ ما يَقتضيهِ ذوقُكَ ، ويَنساقُ إليهِ فهمُكَ ؛ نحو : ﴿ لِلّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبَلُ وَمِن مَعْدُ ﴾ (١) ؛ أي : في الزمنِ السابقِ ، وفي الزمنِ اللاحقِ ، ونحو : ﴿ هَبُ لِي مِن الدُنكَ ﴾ (١) ، ﴿ وَعَلَمْنَهُ مِن لَدُنّا ﴾ (٣) ، و ﴿ خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ ﴾ (١) .

وهاذه الظُّروفُ التي هاذا شأنُها تُسمَّىٰ: ظروفاً غيرَ مُتصرِّفة ، وما عداها يُسمَّىٰ: ظُروفاً مُتصرِّفة ، فمعنى كونِها مُتصرِّفة : أنَّها تَخرجُ عنِ الظَّرفيةِ وما أُلحِقَ بها ، لا أنَّ وصفَ التصرُّفِ ثابتٌ لها معَ كونِها ظُروفاً ؛ تقولُ : يومُ الجمعةِ يومٌ مُباركٌ ، على الابتداءِ والإخبار ، ولا ظرفية .

ويَنوبُ عن أسماءِ الأزمنةِ: مصادرُ ، فتُنصَبُ بدلَها ؛ نحوُ: آتيكَ خُفوقَ النجمِ ، وطلُوعَ الشمسِ ، وقُدومَ الحاجِّ ؛ أي : وقتَ خُفوقٍ وطُلوعٍ وقُدومٍ .

ومِنَ المصادرِ النائبةِ عنِ اسمِ زمنٍ ، فيكونُ منصوباً على الظَّرفيةِ بالنيابةِ : المصدرُ المُؤوَّلُ ملاحظةً مِنْ مُشتقِّ بسابكِ (ما) التي تُسمَّىٰ مَصدريَّةً ظرفيةً ؛ نحوُ : أنا مُنتظِرُكَ ما دامَ هاذا النجمُ ، فهوَ على تأويلِ (دوامَ هاذا النجمِ) ، فو (دوامَ) منصوبٌ على الظرفيةِ بالنيابةِ ، والأصلُ : وقتَ دوام .

ومنه : (رَيْثَما) في نحو قولِكَ : انتظرْني رَيْثَما تَقرأُ سورةً وُسْطى ؟ إذ رَيْثَ

⁽١) سورة الروم : (٤).

⁽٢) سورة مريم : (٥).

⁽٣) سورة الكهف : (٦٥) .

⁽٤) سورة محمد : (١٦).

مصدرُ راثَ ؛ بمعنى : بَطُؤ ، و(ما) التي بعدَها مصدريةٌ فقط ، والتقديرُ : ريثَ قراءةٍ ، على معنى : وقتَ بطْءِ قراءةٍ .

وقلَّ إنابةُ المصدرِ عن ظرفِ المكانِ ؛ نحوُ : جريتُ رميةَ نُشَّابةٍ ؛ أي : مسافةَ رميها ، وفي الحديثِ : أقطعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ الزبيرَ حُضْرَ فرسِهِ (١) ؛ أي : مسافةَ حُضْرِها ، والحُضْرُ - بضمٍّ فسكونٍ - : العَدْوُ ، وأريدَ بهِ في الحديثِ العَدْوُ حُبْسَةَ نَفَس .

* * *

⁽١) أخرجه أبو داوود (٣٠٦٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

المفعولُ معَهُ

هوَ اسمُ الشيءِ الذي فُعِلَ الفعلُ بمَعيَّتِهِ وصحبتِهِ ومقارنتِهِ ، يُذكَرُ مسبوقاً بواوِ بعدَ الفعلِ المُنتِهِ على أنَّهُ حصلَ ووقعَ بمقارنتِهِ ؛ تقولُ : سرتُ والجبلَ حتى وصلتُ لأقصى الصَّعيدِ ، فمعناهُ : أنَّكَ فعلتَ السيرَ والجبلُ مقارنٌ ومصاحبٌ لكَ طولَ سيرِكَ ، وتقولُ لِمَنْ سألَكَ عن موضع : امشِ وهنذا الطريقَ لا تَنحرفْ لا يَمنةً ولا يَسرةً . . تَصِلْ إلى مقصودِكَ .

[أحوالُ المفعولِ معه مشاركاً في الفعل أو لا]

ثمَّ المفعولُ معَهُ: تارةً يكونُ مشاركاً في الفعلِ ، وتارةً لا يكونُ مشاركاً في الفعلِ ، وتارةً لا يكونُ مشاركاً فيهِ ، غايةُ الأمرِ: أنَّهُ مُصاحِبٌ للفاعلِ حالةَ الفعلِ في الوجودِ والموضع .

ومِنْ حيثُ إِنَّ المفعولَ معَهُ يكونُ مشاركاً تارةً وغيرَ مشاركٍ تارةً ؟ فمتىٰ كانَ مشاركاً . . كانَ عطفُهُ على الفاعلِ أفصحَ وأرجحَ ، إلَّا إذا أضعف العطفَ مُضعِفٌ ، كما إذا كانَ لفظُ الفاعلِ ضميراً مُتصِلاً لم يُفصَلْ بينهُ وبينَ الواوِ بفاصلٍ ؛ نحوُ : سرتُ وزيدٌ وزيداً إلىٰ بلدِ كذا ؛ فإنَّ النصبَ علىٰ كونِهِ مفعولاً معَهُ أرجحُ ؛ وذلكَ لأنَّ الضَّميرَ المرفوعَ المُتصِلَ لا يُعطَفُ عليهِ إلَّا إذا وُجِدَ فاصلٌ بينَهُ وبينَ الواوِ ، فإذاً يكونُ العطفُ أرجحَ في نحوِ : سرتُ إلىٰ بلدِ كذا وزيدٌ ، وأرجحيَّهُ في نحوِ : سرتُ إلىٰ بلدِ كذا وزيدٌ ، وأرجحيَّهُ العطفِ : لكونِهِ نصًا في المشاركةِ في الفعلِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ المفعولَ معَهُ تارةً يكونُ مشاركاً ، وتارةً يكونُ غيرَ مشاركِ ، فلا نصَّ فيهِ على المشاركة .

ومتىٰ لم يكنِ المفعولُ معَهُ مشاركاً . . وجبَ نصبُهُ وامتنعَ العطفُ ؛ نحوُ : سرتُ والطريقَ ، فالطريقُ غيرُ سائر .

ومتى كانَ الفعلُ مِنَ الأفعالِ الاشتراكيةِ التي لا تَحصُلُ إلَّا مِنِ اثنَينِ فصاعداً . . امتنعَ المفعولُ معَهُ ووجبَ العطفُ ؛ كاختصمَ زيدٌ وعمرٌو ، واصطفَّ خالدٌ وبكرٌ ورجلٌ ؛ إذ وضعُ البابِ علىٰ أن يكونَ الفاعلُ يَستقِلُّ بالفعل ، وهاذهِ الأفعالُ لا يمكنُ استقلالُ الواحدِ بها .

وكما أنَّكَ تُنبِّهُ على مقارنةِ فاعليةِ الفعلِ للمفعولِ معَهُ . . تُنبِّهُ على مقارنةِ مفعوليةِ الفعلِ به ؛ نحوُ : علفتُهَا تبناً وماءً ؛ حيثُ يكونُ الماءُ حاضراً وقتَ العَلْفِ لا مَسقيّاً ، وإلّا . . كانَ نصبُ الماءِ على تقديرِ : وسقيتُها ؛ كقولِ الشاعر (١٠) :

[عَلَفْتُهَا] تِبْناً وَمَاءً بَارِداً حَتَّىٰ غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا وقولِهِ (٢٠): [من الوافر]

إِذَا مَا ٱلْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ ٱلْحَواجِبَ وَٱلْعُيُونَا أَي : كَحَّلْنَ العيونَ .

[وجوب نصب المفعولِ معَهُ بفعل محذوفٍ]

ونصبَتِ العربُ المفعولَ معَهُ بفعلٍ محذوفِ وجوباً بعدَ (كيفَ) و(ما) الاستفهاميتَينِ ؛ فقالوا : كيف أنت وقصعةً مِنْ ثريدٍ ؟ الأصلُ : كيفَ تكونُ وقصعةً . . . ، فكيفَ : خبرٌ مُقدَّمُ لـ (تكونُ) ، واسمُهُ ضميرُ المُخاطَبِ المُتصِلُ المُستتِرُ ، فلمَّا حُذِفَ الفعلُ . . بَرَزَ الضَّميرُ وانفصلَ ، كما هو

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (١٣٩/٣) .

⁽٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢٤٢/٢) .

العادةُ ، ومعنى العبارةِ : أقادراً تكونُ على التهامِ القصعةِ أم عاجزاً عنهُ ؟ أجابَ بعضُهُم فقالَ : آكُلُها وأقولُ : هل مِنْ مزيدٍ ؟ فذلكَ حُطَمةٌ لُهَمةٌ ، ونحوُ : ما أنتَ وهلذا ؟ لِمَنْ يَتعرَّضُ لِمَا لا خبرةَ لهُ بهِ ؛ أي : ما تكونُ وهلذا فعلَ بهِ ما ذُكِرَ .

المُستثنى

وهوَ اسمُ شيءٍ ثُنِيَ وصُرِفَ عنهُ حكمٌ شاملٌ لهُ بأداةٍ مخصوصةٍ ؛ نحوُ : خرجَ أهلُ البلدِ إلَّا زيداً ؛ فزيدٌ : اسمُ شخصٍ صُرِفَ عنهُ حكمٌ وردَ على أهلِ البلدِ الشاملِ لمُسمَّىٰ زيدٍ ؛ وهوَ الخروجُ .

[أحوال المستثنى]

وإنَّما يجبُ نصبُهُ: إذا كانَ بعدَ كلامٍ مُثبَتِ تامٍّ كالمثالِ ، أو كانَ معَ كلامٍ مَنفيٍ تامٍّ وقُدِّمَ على المُستثنى منهُ ؛ نحوُ : ما خرجَ إلَّا زيداً أهلُ البلدِ ، فلو لم يكنْ مُتقدِّماً على المُستثنى منهُ . . لم يجبُ نصبُهُ ، بل جازَ لكَ فيهِ أمرانِ : أن تَنصِبَهُ مُستثنى ، وأن تَجعلَهُ تابعاً للمُستثنى منهُ في إعرابِهِ ، ويُسمَّى حينَئذٍ : بدلاً ، كما ستَعرِفُ في شرح التوابع (۱) .

فإذا لم يكنِ الكلامُ تامّاً ؛ بأن حُذِفَ المُستثنى منهُ . . قامَ المُستثنى مَقامَهُ ، وعُومِلَ بما يَقتضيهِ العاملُ ؛ فإن كانَ المُستثنىٰ منهُ مرفوعاً . . رفعتَ المُستثنىٰ ؛ لقيامِهِ مَقامَهُ ؛ نحوُ : ما قامَ أحدٌ إلا زيدٌ ؛ فتقولُ : ما قامَ إلّا زيدٌ ، وإذا كانَ منصوباً . . نصبتَ المُستثنىٰ ؛ نحوُ : ما رأيتُ أحداً إلا زيداً ؛ فتقولُ : ما رأيتُ إلّا زيداً ، فتنصِبُهُ علىٰ أنّهُ مفعولٌ بهِ ، وإذا كانَ مجروراً . . جررتَ المُستثنىٰ ، ونقلتَ إليهِ الخافضَ ؛ نحوُ : ما مررتُ بأحدٍ إلّا زيدٍ أو زيداً ؛ فتقولُ : ما مررتُ بأحدٍ إلّا بزيدٍ ، وهاذهِ عبارةُ القصر .

ويُقالُ لهاذا النوعِ مِنَ الاستثناءِ: الاستثناءُ المُفرَّغُ ؛ يعني: الاستثناءَ الذي فُرِّغَ فيهِ العاملُ عن الاشتغالِ بالمُستثنى منه ، وشُغِلَ بالمُستثنى ؛ لعِلْمِكَ أَنَّهُ

⁽١) انظر (٤٨١/١) .

أُقيمَ مُقامَهُ ، وأكثرُ ما يكونُ التفريغُ في النفي ؛ لأنَّ أكثرَ الإثباتاتِ لا يَصِحُ فيها التفريغُ ؛ مثلاً : إذا قلتَ : رأيتُ إلَّا زيداً .. كانَ معناهُ : رأيتُ كلَّ أحدٍ إلَّا زيداً ، وهوَ فاسدٌ ، بخلافِ قولِكَ : ما رأيتُ إلَّا زيداً ، فإنَّ معناهُ : ما رأيتُ أحداً إلَّا زيداً ، وهوَ صحيحٌ ؛ لإمكانِهِ .

والتفريغُ الصحيحُ في الإثباتِ . . نحوُ : قرأتُ إلَّا سورةَ (الرَّعدِ) فإنَّ معناهُ : قرأتُ كلَّ القرآنِ إلَّا سورةَ (الرَّعدِ) وهوَ صحيحٌ ، وضابطُهُ : أن يكونَ ثبوتُ الفعلِ لكلِّ أفرادِ جنسِ المُستثنى ممكناً .

[الاستثناءُ بغير (إلَّا)]

ويكونَ الاستثناءُ بحرفٍ هوَ (إلَّا) ، وباسمَينِ هما (غيرٌ) و(سوىً) ، وبأربعةِ أفعالٍ هيَ : (ليسَ) ، و(خلا) ، و(عدا) ، [و (حاشىٰ)] ، وبكلمةٍ مُركَّبةٍ مِنْ فعلِ وحرفٍ هيَ (لا يكونُ) .

فإذا كانَ الاستثناءُ به (غيرٍ) و(سوىً) . . كانَ المُستثنى مجروراً دائماً بالإضافةِ ، وكانَ حكمُ المُستثنى به (إلَّا) مِنْ وجوبِ نصبٍ وجوازِ نصبٍ واتباع ومعاملةٍ بما يَقتضيهِ العاملُ . . ثابتاً لكلمتَيْ (غيرٍ) و(سوىً) .

وإذا كانَ الاستثناءُ به (ليسَ) . . كانَ المُستثنى منصوباً أبداً على أنّهُ خبرٌ له (ليسَ) ، واسمُها ضميرٌ مستترٌ وجوباً يَعودُ على بعضِ الشاملِ للمُستثنى ؛ فإذا قلتَ : خرجَ أهلُ البلدِ ليسَ زيداً . . فهوَ على إضمارِ ضميرٍ في (ليسَ) يَعودُ على بعضِ أهلِ البلدِ المحكومُ لهُم يَعودُ على بعضِ أهلِ البلدِ ؛ فالمعنى : ليسَ بعضُ أهلِ البلدِ المحكومُ لهُم بالخروج زيداً ، ومثلُ (ليسَ) : (لا يكونُ) .

وإذا كانَ الاستثناءُ بـ (خلا) و(عدا) ؛ فإن أتيتَ قبلَهُما بـ (ما) المصدريةِ . . وجبَ نصبُ المُستثنىٰ علىٰ أنَّهُ مفعولٌ بهِ للفعلَينِ ، وفاعلُهُما

ضميرٌ مستترٌ وجوباً يَعودُ على بعضِ الشاملِ ، كما في (ليسَ) و (لا يكونُ) ، وإن لم تأتِ ب (ما) المصدريةِ . . جازَ لكَ نصبُ المُستثنى على ما سبقَ ، وجازَ جرُّهُ ب (خلا) و (عدا) على أنَّهُما حرفا جرِّ ؛ لأنَّهُما يُستعمَلانِ فعلَينِ ويُستعمَلانِ حرفينِ ، كما أنَّ (حاشا) كذلكَ ، فيجوزُ نصبُ مستثناها وجرُّهُ على الرعايتين .

فالمُستثنى ليسَ مِنَ المنصوباتِ دائماً ، وبعضُهُ مِنْ أنواعِ المنصوباتِ السابقةِ ، خلا أنَّ عباراتِهِ ملحوظٌ فيها معنى (إلَّا) مخصوصةً بحالٍ لم تكنْ قاصرةً عليهِ في غير الاستثناءِ .

[أحوالُ المستثنى مع تكرار (إلَّا)]

هاذا ؛ وقد وردَتْ (إلَّا) مُكرَّرةً : فإن كانَ المُستثنى مُتعدِّداً في اللَّفظِ ، واحداً في المعنى ؛ بأن عَبَّرتَ عن شيءِ باسمَينِ مِنْ أسمائِهِ ؛ نحوُ : إلَّا الفتى إلَّا العَلَا ، و : إلَّا أبا حفصٍ إلَّا عمرَ . . كانَتْ (إلَّا) الثانيةُ مُؤكِّدةً للأُولى تأكيداً لفظيًا ، وكانَ الاستثناءُ واحداً ، وإذا كانَ مُتعدِّداً لفظاً ومعنى . . كانَتِ الاستثناءاتُ مُتعدِّدةً أيضاً ، وكانَ الرَّا) مُؤسِّسةً .

وتفصيلُ القولِ حينَئدٍ :

أنَّهُ إذا كانَ الاستثناءُ مُفرَّغاً ؛ فإذا كانَتِ الاستثناءاتُ مِنْ مُستثنىً منهُ واحدٍ . . أعطيتَ العاملَ واحداً مِنَ المُستثنياتِ ، والأرجحُ الأوَّلُ ، [ونصبتَ الباقيَ ؛ نحوُ : ما أقبلَ إلّا زيدٌ إلّا عمراً إلّا بكراً ، وإذا كانَ لكلِّ مُستثنى مُستثنى منهُ على حِدَةٍ . . تَعيَّنَ إعطاءُ الأوّلِ للعاملِ ، ونصبتَ الباقيَ ؛ نحوُ : لا تُكرِمْ إلّا الحكماءَ إلّا الفسقةَ منهُم إلّا التائبَ إلّا مَنْ لا تُؤثِّرُ التوبةُ في جنايته .

وإذا لم يكنْ مُفرَّغاً ؛ فإن تَقدَّمَتِ المُستثنياتُ . . وجبَ نصبُها بحكمِ ما سَلَفَ ، وإن تَأخَّرَتْ ؛ فإن كانَ الكلامُ إيجابيّاً . . وجبَ النصبُ كما سَلَفَ أيضاً ، وإن كانَ سلبيّاً . . تَخيَّرتَ في واحدٍ ؛ بينَ إتباعِهِ للمُستثنى منهُ _ وهوَ الأرجحُ _ وبينَ نصبهِ ، ونصبتَ الباقيَ إذا كانَ المُستثنى منهُ واحداً .

وها هنا تركيبٌ وقعَ فيهِ اختلافٌ انبنى عليهِ الاختلافُ في حكمٍ شرعيٍّ ؟ وهوَ نحوُ قولِكَ في الإقرارِ : لهُ عليَّ عشرةٌ إلَّا أربعةً إلَّا ثلاثةً .

فبعضُ الفقهاءِ يقولُ: الاستثناءانِ مِنَ العشرةِ ، فيكونُ المُقَرُّ بهِ ثلاثةً ؟ لأنَّهُ أخرجَ الأربعةَ والثلاثةَ _ وهيَ سبعةٌ _ مِنَ العشرةِ ، فبقيَ ثلاثةٌ تكونُ هيَ المُقَرَّ بهِ .

وبعضُهُم يقولُ: إنَّ استثناءَ كلِّ ممَّا قبلَهُ ، فيكونُ المُقرُّ بهِ تسعةً . وبعضُهُم يقولُ: إنَّ التركيبَ مُحتمِلٌ ، فيَرجِعُ لاستفسار المُقِرّ .

وكلُّ ذلكَ إذا أمكنَ الأمرانِ ، وإلَّا . . كانَ استثناءُ كلِّ ممَّا قبلَهُ ؛ فلو قالَ المُقِرُّ : لهُ عليَّ عشرةٌ إلَّا تسعةً إلَّا ثمانيةً . . . وهلكذا إلى الواحدِ . . كانَ المُقرُّ بهِ خمسةً على رأي مَنْ يقولُ بالاحتمالِ (۱) ومَنْ يقولُ : إنَّ استثناءَ كلِّ ممَّا قبلَهُ ، وباطلٌ لاغِ عندَ غيرِهِم .

* * *

⁽١) الذي يقول بالاحتمال . . فإنه يرجع إلى استفسار المقر ، إلا إذا كان هنذا المثال مما لا يحتمل غير الخمسة عنده ، والله تعالى أعلم .

الحالُ

وهوَ اسمٌ أو ما يقعُ مَوقِعَهُ مِنْ جملةٍ ، يُذكَرُ لبيانِ الهيئةِ التي يكونُ عليها الفاعلُ حالَ حالَ مفعوليتِهِ لهُ ، ويكونُ الفعلُ مُقيَّدَ الفاعلُ حالَ مفعوليتِهِ لهُ ، ويكونُ الفعلُ مُقيَّدَ الحصولِ بها ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ راكباً .

ف (راكباً): اسمٌ ذُكِرَ لبيانِ هيئةِ زيدِ الفاعلِ للمجيءِ التي هوَ عليها حالةً
 فاعليتِهِ للمجيءِ ، ونحوُ: أكرِمْ زيداً مجتهداً في طلبِ العِلْمِ .

ف (مجتهداً) : اسمٌ ذُكِرَ لبيانِ هيئةِ زيدٍ المفعولِ التي هوَ عليها حالَ المفعوليةِ ، وأفادَتْ أنَّ إكرامَهُ لا يَحصُلُ إلَّا حالةَ اجتهادِهِ .

فحصولُ الفعلِ مُقيَّدٌ بوجودِ الاجتهادِ ؛ فلو قلتَ : (أَكرِمْ زيداً) ولم تَزِدْ . . كانَ المعنى : أنَّ إكرامَكَ لهُ يَحصُلُ مطلقاً غيرَ مُقيَّدٍ بشيءٍ .

[أحوالُ صاحبِ الحالِ وعاملِها]

وللحالِ صاحبٌ هوَ المُتصِفُ بها ، وعاملٌ هوَ رافعُ صاحبِها أو ناصبُهُ مثلاً .

وأكثرُ ما يكونُ صاحبُ الحالِ معرفةً ، ويكونُ نكرةً إن سُبِقَ : بنفي ، أو نهيٍ ، أو استفهامٍ ، أو وصفٍ ، أو تَقدَّمَتْ عليهِ الحالُ .

فالمعرفة : نحو : جئتُك زائراً ؛ فصاحبُ الحالِ تاءُ المُتكلِّمِ ، وهوَ معرفة .

والنكرةُ : نحوُ قولِكَ : ما جاءَ رجلٌ ماشياً ولا راكباً ، ولا يَعتب أحدٌ أحداً

مُحتقِراً إثمَ الغِيبةِ ، وأعقلُ الناسِ رجلٌ مسلمٌ عاملاً بعلمِهِ داعياً لدينِهِ لاطفاً بحزبهِ (١) ، وقولِهِ (٢) :

لِمَيَّةً مُوحِشاً طَلَلُ

ولا يكونُ صاحبُ الحالِ مُضافاً إليهِ إلّا إذا كانَ المُضافُ جزءاً منهُ أو مثلَ الجزءِ ؛ نحوُ : ﴿ أَنِ اتَّبِعَ مِلَةَ مثلَ الجزءِ ؛ نحوُ : خذْ بيدِ المظلومِ مُستغيثاً بكَ ، ونحوُ : ﴿ أَنِ اتَّبِعَ مِلَةَ إِثْرَهِيمَ حَنِيفَا ﴾ (٣) ، وإلّا إذا كانَ المُضافُ عاملاً فيهِ عملَ الفعلِ ولو بالتأويلِ وملاحظةِ المعنى ؛ نحوُ : أنا مُكرِمُ زيدٍ باذلاً هِمَّتَهُ فيما يعني ، ونحوُ : أنتَ حسنُ الوجهِ نافعاً للناسِ ، ونحوُ قولِكَ وقد رأيتَ رسمَ بابٍ كبيرٍ لدارٍ صغيرةٍ : هذا بابُ الدار كبيرةً ، على معنى : هذا يناسبُ الدار كبيرةً .

وعاملُ الحالِ: كلُّ ما فيهِ رائحةُ الفعلِ ملاحظةً ؛ كحرفِ التنبيهِ ، واسمِ الإشارةِ ، وأداةِ التشبيهِ ، وحرفِ التمنِّي ، وما عدا الفعلَ وفروعَهُ يُسمَّىٰ : عاملاً معنويّاً ؛ لأنَّهُ إنَّما عَمِلَ بالمعنى الفعليِّ الملحوظِ معَهُ ؛ نحوُ : ﴿ وَهَلذَا بَعَلِى شَيْخًا ﴾ ('') ؛ أي : أُنبِّهُكُم لرؤيتِهِ في تلكَ الحالِ ، أو أشيرُ إليهِ فيها ؛ لأجلِ أن تَتحقَّقوا إمكانَ بشراكم ، ونحوُ : كأنَّ زيداً جبلٌ مُزاحِماً شدائدَ الأمور .

[مواضعُ وجوبِ حذفِ عاملِ الحالِ] ويُحذَفُ عاملُ الحالِ وجوباً في أربعةِ مواضعَ :

الأوَّلُ: إذا كانَتْ مُؤكِّدةً لمعنى جملةٍ ، وسيأتي (٥٠).

⁽١) ومثال النكرة المسبوقة باستفهام قول الشاعر: (من البسيط)

يَا صَاحِ هَلْ حُمَّ عَيْشٌ بَاقِياً فَتَرَىٰ لِنَفْسِكَ ٱلْعُذْرَ فِي إِبْعَادِهَا ٱلْأَمَلَا

⁽٢) صدر بيت لكثير عزة ، كما في « ديوانه » (ص ٥٠٦) ، والبيت بتمامه :

لِمَيَّةً مُوحِشًا طَلَلُ يَلُوحُ كَانَّهُ خِلَلُ

⁽٣) سورة النحل : (١٢٣) .

⁽٤) سورة هود : (٧٢) .

⁽٥) انظر (٤٥٣/١).

الثاني : إذا كانَتْ سادَّةً مَسدَّ خبرٍ حُذِفَ وجوباً ، وسبقَ (١).

الثالثُ : إذا كانَتْ لبيانِ زيادةٍ أو نقصٍ ؛ نحوُ : هاذا يساوي ألفَ درهمٍ فصاعداً أو فنازلاً ؛ أي : فيذهبُ العددُ صاعداً ، وللصَّاحبِ بهاءِ الدينِ زهير (٢٠) :

لَـعَـنَ ٱللهُ صَاعِـداً وَأَبَـاهُ فَـصَاعِـداً وَبَـنِيهِ فَـنَازلاً وَاحِـداً ثُـمَ وَاحِـدا

الرابعُ: إذا وقعَتْ في التوبيخِ بالاستفهامِ ؛ نحوُ: أعاصياً وقد أطاعَ الناسُ ؟! أي: أتبقى عاصياً ، ومنهُ: أتميميّاً مَرَّةً وقيسيّاً أخرىٰ ؟!

وفي غيرِ ذلكَ يكونُ كبقيةِ الألفاظِ التي يجوزُ حذفُها ؛ اعتماداً على القرائنِ .

ويجوزُ تقديمُ الحالِ على صاحبِها وعلى عاملِها: إن كانَ فعلاً مُتصرِّفاً ، أو اسمَ تفضيلٍ وكانَ أو اسمَ تفضيلٍ وكانَ العاملُ اسمَ تفضيلٍ وكانَ المُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليهِ كلُّ منهُما صاحبَ حالٍ ، أو شيئاً واحداً فُضِّلَ على نفسِهِ باعتبار حالين:

فالأوَّلُ: كقولِكَ: زيدٌ مُنفرِداً أنفعُ مِنْ عمرِو مُصطحِباً جيشاً ؛ فه (مُنفرِداً) و (مُصطحِباً): حالانِ ؛ الأُولى لزيدٍ ، والثانيةُ لعمرو ، والعاملُ فيهِما لفظُ (أَنفعُ) الذي هو اسمُ تفضيلٍ ، وقُدِّمَتْ أُولى الحالَينِ عليهِ .

والثاني : كقولِكَ : هاذا البَلَحُ بُسْراً أطيبُ منهُ رُطَباً ؛ ف (بُسراً) و (رُطَباً) : حالانِ للبلح ، والعاملُ فيهما لفظُ (أطيبُ) الذي هوَ اسمُ تفضيلِ ، وقُدِّمَتِ

⁽۱) انظر (۳۵۲/۱).

⁽٢) انظر « ديوان بهاء الدين زهير » (ص ٨٩) .

الأُولىٰ عليهِ ، والمُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليهِ هوَ البَلَحُ باعتبارِ كونِهِ بُسْراً وباعتبارِ كونِهِ بُسْراً وباعتبارِ كونِهِ رُطَباً .

وتعدَّدُ الحالُ وصاحبُها واحدٌ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ راكباً لابساً أحسنَ ثيابهِ مُتقلِّداً سلاحَهُ ، وتَتعدَّدُ وصاحبُها مُتعدِّدٌ ؛ فإذا كانَتْ مِنْ لفظِ واحدِ . . فَتقلِّداً سلاحَهُ ، وتَتعدَّدُ وصاحبُها مُتعدِّدٌ ؛ فإذا كانَتْ مِنْ لفظِ واحدِ ، بلِ اختلفا في ذاتِهِما ، أو بحسبِ مُتذاكرِينَ ، فإن لم يكونا مِنْ لفظٍ واحدٍ ، بلِ اختلفا في ذاتِهِما ، أو بحسبِ ما يتعلَّقُ بهِما . . أتيتَ بكلٍّ مِنَ الحالَينِ على حِدةٍ ؛ نحوُ : لقيتُ راكباً ما شياً ، وفي هلذا تكونُ الحالُ الأُولى للاسمِ زيداً ماشياً ، وفي هلذا تكونُ الحالُ الأُولى للاسمِ الأوَّلِ ، أو بالعكسِ ؛ حَسَبَ ما تعطيهِ القرائنُ ، ونحوُ : لقيتُ راكباً حماراً زيداً راكباً فرساً ، ورأيتُ زيداً راكباً حماراً راكباً فرساً ، ورأيتُ زيداً راكباً حماراً راكباً فرساً . كذلك .

[أقسامُ الحالِ]

وإذا لم يُفهَمْ معنى الحالِ مِنْ لفظٍ مِنَ الألفاظِ المذكورةِ معَها . . سُمِّيَتْ : حالاً مُؤسِّسةً .

وإذا فُهِمَ معناها مِنْ عاملِها . . سُمِّيَتْ : مُؤكِّدةً لعاملِها ؛ نحوُ : ﴿ وَلَا تَعْثَوُاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١) ؛ فإنَّ العُثُوَّ معناهُ الإفسادُ ، فلفظُ (مفسدينَ) حالٌ مُؤكِّدةٌ للفظِ (تعثَوا) الذي هوَ عاملُها .

وإذا فُهِمَ معناها مِنْ صاحبِها . . سُمِّيَتْ : مُؤكِّدةً لصاحبِها ؛ نحو ﴿ لَامَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُهُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢) ، ف (جميعاً) : حالٌ صاحبُها لفظُ (مَن)

⁽١) سورة البقرة : (٦٠) .

⁽٢) سورة يونس : (٩٩) .

الموصولِ بلفظِ (في الأرضِ) ، المُؤكَّدِ ب (كلُّهُمْ) فُهِمَ منهُ معنى الإحاطةِ والشُّمولِ والعمومِ ، وأُفيدَ هاذا المعنىٰ بلفظِ (جميعاً) ، فهيَ حالٌ مُؤكِّدةٌ لصاحبها .

وتكونُ مُؤكِّدةً لمعنى تَضمَّنته جملة اسمية مُنعقِدةٌ مِنِ اسمَينِ جامدَينِ ، وتكونُ مُؤكِّدة المجملة ؛ نحو : زيدٌ أبوكَ شَفُوقاً عليكَ ، وعمرٌو أخوكَ مساعداً لكَ ؛ وذلك حيث تكونُ الجملة معطية معنى الحالِ التزاماً حَسَبَ ما تَحكمُ بهِ العادة ، وهذه الحالُ في بابِها نظيرة المصدرِ المُؤكِّدِ لنفسِهِ في بابهِ .

وهاذا مِنْ مواضعِ وجوبِ حذفِ عاملِ الحالِ كما سبقَ الوعدُ بهِ (١)، وتقديرُهُ: خلقَهُ اللهُ وأودعَهُ طباعَهُ وأظهرَ نتائجَها شَفُوقاً عليكَ.

وأثبتَ بعضُ العلماءِ للحالِ عاملاً غيرَ ما سَلَفَ ؛ وهوَ نسبةُ الخبرِ للمبتدأ وثبوتُهُ لهُ ، وبهِ رُدَّ منعُ سيبويهِ مجيءَ الحالِ مِنَ المبتدأ ، مُعلِّلاً ذلكَ بعدمِ ما تكونُ الحالُ قيداً لهُ ، فإنَّها حينَئذِ تكونُ قيداً للمعنى الفعليِّ الذي يُشَمُّ مِنْ نسبةِ الخبرِ للمبتدأ ، والردُّ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ الحالَ تكونُ حينئذِ مِنْ ضميرِ المبتدأ المحمولِ لذلكَ الفعلِ الملحوظِ ، وعلى هاذا تكونُ الحالُ المُؤكِّدةُ للجملةِ المذكورةِ ليسَتْ محذوفةَ العاملِ .

وإذا كانَتِ الحالُ مِنَ الأوصافِ الثابتةِ لصاحبِها دائماً . . شُمِّيَتْ : حالاً لازمةً ، وحينَئذٍ لا تفيدُ تقييدَ العاملِ ؛ إذ معنى تقييدِهِ أنَّهُ يَحصُلُ ويُوجَدُ وقتَ وجودِها ، وينتفي حصولُهُ وقتَ انتفائِها وعدمِها ، والحالُ اللَّازمةُ ليسَ لها انتفاءٌ ؛ نحوُ : سألتُ الله عالماً بحالِ السائلينَ ، فالعِلْمُ صفةٌ ثابتةٌ

⁽١) انظر (٤٥٠/١).

دائماً للهِ تعالى الذي هو صاحبُ الحالِ ، وليسَتْ مُقيَّدةً لحصولِ السُّؤالِ ؛ فإنَّكَ لا تَلحَظُ أَنَّكَ تَسألُهُ في حالِ ثبوتِ العِلْمِ لهُ دونَ حالِ انتفائِهِ عنهُ ، فإنَّهُ لا ينتفي ، ومِنَ اللَّارَمةِ نحوُ : خلقَ اللهُ الزَّرافةَ يدَيها أطولَ مِنْ رجلَيها ، واليَرْبوعَ رجلَيه أطولَ مِنْ يدَيهِ .

وإذا كانَتْ مِنَ الأوصافِ التي تثبتُ حيناً وتنتفي حيناً ؛ كرُكوبِكَ ومشيِكَ وقُعودِكَ . شُمِّيَتْ : حالاً مُنتقِلةً ، وهاذهِ هي التي يُقصَدُ بها تقييدُ العاملِ ، فإذا قلتَ : اضربْ زيداً مسيئاً . . فمعناهُ : أطلبُ منكَ ضربَ زيدٍ في حالِ كونِهِ مسيئاً ، فإذا انتفَتْ إساءتُهُ وصارَ محسناً . . فلا أطلبُ منكَ ضربَهُ .

ولا تكونُ الحالُ إلَّا نكرةً: فإذا جاءَتْ معرفةً في اللَّفظِ .. فهيَ نكرةٌ بحسَبِ المعنى الملحوظِ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ وحدَهُ ، فلفظُ (وحدَهُ) حالٌ ، وهوَ معرفةٌ بإضافتِهِ للضَّميرِ ، للكنْ معناهُ : جاءَ زيدٌ مُنفرِداً ، فهوَ نكرةٌ بحسَبِ الملاحظةِ ؛ إذِ الغرضُ مِنَ الحالِ بيانُ هيئةِ صاحبِها وصفتِهِ ، وذلكَ يَحصُلُ بلفظِ النكرةِ ، فلا غرضَ في التعريفِ .

ومنهُ قولُهُم: أقبلَتِ الخيلُ بَدَادِ ؛ كفَجَارِ ، عَلَمَ جنسِ للتبدُّدِ ؛ أي : مُتبدِّدةً غيرَ مُجتمِعةٍ ، وقولُهُم : أرسلَها العِراكَ ؛ أي : مُعترِكةً ، وهاذا مِنْ تراكيبَ وردَتْ عنهُم مشتملةً على مصدرِ منصوبٍ يُتبادرُ مِنْ فحوى الكلامِ أنَّهُمُ اعتبروهُ حالاً ؛ نحوُ : طلعَ بغتةً ، وأقبلَ ركضاً ، وبذلكَ قالَ بعضُ النحويِّينَ حاكماً بشذوذِهِ ، غيرَ مُجيزِ القياسَ عليهِ ، وأجازَهُ بعضٌ ، ومنهُم مَنْ جعلهُ مفعولاً مطلقاً ؛ أي : طُلوعَ بغتةٍ ، ومجيءَ ركضِ .

وأكثرُ ما تكونُ الحالُ مِنَ المُشتقَّاتِ صراحةً : حيثُ عرفتَ أنَّها وصفٌ ،

وجاءَتْ مُشتقَّةً بالتأويلِ والملاحظةِ كما جاءَ أخوها الخبرُ كذلكَ ؛ نحوُ: بِيعَ البُرُّ إردبًا بدينارٍ ؛ أي : مُسعَّراً ، وكلَّمتُهُ فاهُ إلىٰ فِيَّ ؛ أي : مشافهة ، وبعْهُ كذا يداً بيدٍ ؛ أي : مناقدة ، وكرَّ زيدٌ أسداً ؛ أي : مُشْبهاً [لهُ] .

[جملة الحالِ وروابطُها]

ثمَّ إِنَّ الحالَ تكونُ مفردةً كما رأيتَ ، وتكونُ جملةً خبريَّةً ؛ اسميَّةً أو فعليَّةً ، ماضيَّةً أو مضارعيَّةً ، مثبتةً أو نافيةً ، ولا بدَّ لها مِنْ رابطٍ يَربِطُها بصاحبِها ، أو واوٌ تُفتتَحُ بها الجملة ؛ بصاحبِها ، أو واوٌ تُفتتَحُ بها الجملة ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ يَتبسَّمُ ؛ ف (يَتبسَّمُ) : جملةٌ فعليةٌ مضارعيَّةٌ حالٌ مِنْ زيدٍ ، مُرتبِطةٌ بالضَّميرِ المُستتِرِ في الفعلِ العائدِ على زيدٍ ، ونحوُ : جئتُكَ والشمسُ طالعةٌ ؛ ف (الشمسُ طالعةٌ) : جملةٌ اسميَّةٌ حالٌ مِنْ ضميرِ المُتكلِّمِ أو مِنْ ضميرِ المُتكلِّمِ أو مِنْ ضميرِ المُتكلِّمِ أو مِنْ ضميرِ المُخاطَبِ ، مُرتبِطةٌ بالواوِ الداخلةِ عليها .

ويكونُ الرابطُ الواوَ وحدَها إن لم يكنْ في الجملةِ ضميرٌ كما رأيتَ ، ويكونُ الرابطُ الضَّميرَ وحدَهُ كما رأيتَ أيضاً ، وقد يَجتمِعانِ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ وهوَ ضاحكُ السِّنِّ .

[مواضعُ اقتصار الربطِ على الضميرِ]

للكنْ تَمتنعُ الواوُ ، ويجبُ الاقتصارُ في الربطِ على الضّميرِ في ستةِ مواضع :

الأوَّلُ: إذا كانَتْ جملةُ الحالِ مُؤكِّدةً لمضمونِ جملةٍ ؛ نحوُ: هوَ الحقُّ لا شكَّ فيهِ ، و﴿ ذَلِكَ ٱلْكِتَكِ لَا رَبِّ فِيهِ هُدًى لِلْسَتَقِينَ ﴾ (١).

⁽١) سورة البقرة : (٢) .

الثاني: إذا كانَتِ الجملةُ ماضويَّةً عُطِفَ فيها به (أو) التعميميةِ ؛ نحوُ: لأُكرمنَّ زيداً أحسنَ أو أساءَ ، معناهُ: مُتَّصِفاً بأيِّ صفةٍ .

الثالثُ: إذا وقعَتْ بعدَ عاطفٍ ؛ نحوُ: ﴿ بَيَكَنَّا أَوْ هُمْ قَايِلُونَ ﴾ (١).

الرابعُ: إذا كانَ مضارعُها مَنفيّاً به (ما) نحوُ: عهدتُكَ ما تصبو.

الخامسُ: إذا كانَ مضارعُها مُثبتاً ؛ نحوُ: جاءَ زيدٌ يَتبسَّمُ.

السادسُ: إذا كانَ مضارعُها مَنفيّاً بر (لا) نحوُ: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ ﴾ (٢) .

وتَتعيَّنُ الواوُ لربطِ المضارعِ المسبوقِ ب (قد): نحوُ: ﴿ لِمَ تُؤَذُونَنِي وَقَدَ تَعَيَّنُ الواوُ لربطِ المضارعِ المسبوقِ ب (قد): نحوُ: ﴿ لِمَ تُؤَذُونَنِي وَقَدَ تَعَلَمُونَ ﴾ (٣).

* * *

⁽١) سورة الأعراف : (٤).

⁽٢) سورة المائدة : (٨٤) .

⁽٣) سورة الصف : (٥).

التمييزُ

اسمٌ يَذكرُهُ المُتكلِّمُ ؛ ليُبيِّنَ بهِ عينَ مرادِهِ مِنِ اسمٍ سابقٍ يَصلُحُ لأن يُرادَ بهِ أَشياءُ كثيرةٌ ؛ وهوَ على نوعَينِ :

النوعُ الأوَّلُ: أَن يُذكَرَ الاسمُ الصالحُ لأن يُرادَ بهِ أَشياءُ كثيرةٌ أولاً ، ثمَّ يُذكَرَ الاسمُ الذي نُسمِّيهِ تمييزاً لذلكَ الغرض .

النوعُ الثاني : أن يُلحَظَ الاسمُ الصالحُ للأشياءِ أولاً ولا يُلفَظَ ، ثمَّ يُذكَرَ التمييزُ لذلكَ الغرض .

[تمييزُ الكيل والوزنِ والعددِ والمساحةِ]

شرحُ النوعِ الأوَّلِ: أسماءُ الكيلِ والوزنِ والعددِ والمِساحةِ ؛ مثلاً: تُذكَرُ فيعلَمُ شيءٌ ما مكيلٌ أو موزونٌ أو معدودٌ أو ممسوحٌ ؛ فإذا قلتَ : عندي إردبٌ ، أو عندي قنطارٌ ، أو عندي ذراعٌ ، أو عندي عشرةٌ . . فمعناهُ : عندي مكيلُ إردبٍ ، وموزونُ قنطارٍ ، وممسوحُ ذراعٍ ، ومعدودُ عشرةٍ ؛ فمكيلُ إردبٍ يصلُحُ لأن يُرادَ بهِ قمحٌ (١) ، أو شعيرٌ ، أو رزٌ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأشياءِ التي اعتادَ الناسُ كيلَها ، وكذلكَ موزونُ قِنطارٍ يَصلُحُ أن يُرادَ بهِ عسلٌ موزونُ قِنطارٍ ، أو سمنٌ ، أو زيتٌ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأشياءِ التي اعتادَ الناسُ وزنَها ، وهنكذا في الممسوح والمعدودِ .

وحينئذٍ علمتَ أنَّ هاذهِ الأسماءَ لا تفيدُ مُخاطَبَكَ مُرادَكَ منها ، فصارَتْ مُبهَمةً ؛ أي : مُبهَماً مُرادُكَ غيرَ مُتعيِّنٍ في ضمنِ الأشياءِ التي تَصلُحُ لإرادتِها هاذهِ الأسماءُ ، فتَذكرُ اسمَ الشيءِ الذي تريدُهُ ، ويُسمَّىٰ : تمييزاً ؛ لتفيدَ

⁽١) في الأصل زيادة : (مكيل إردب) .

مُخاطَبَكَ مُرادَكَ ؛ فتقولُ : عندي إردبُّ بُرّاً ، أو قِنطارٌ عسلاً ، وذراعٌ قماشاً ، وعشرةُ عبيدٍ ؛ ف (برّاً) ومثلُهُ هوَ الذي يُسمَّىٰ تمييزاً ؛ لأنَّهُ مَيَّزَ مُرادَكَ مِنَ الأشياءِ التي كانَ مُختلِطاً بها .

للكنْ تمييزُ الكيلِ والوزنِ والمِساحةِ لا يجبُ نصبُهُ ، بل يجوزُ ، ويجوزُ ، ويجوزُ جرُّهُ بكلمةِ (مِنْ) ، فلكَ فيهِ ثلاثةُ جرُّهُ بكلمةِ (مِنْ) ، فلكَ فيهِ ثلاثةُ أوجهِ ؛ تقولُ : عندي إردبُّ بُرّاً بالنصبِ ، وعندي إردبُّ بُرٍّ ؛ بجرِّ الإضافةِ ، وعندي إردبُّ مِنْ بُرٍّ ؛ بجرِّ (مِنْ) ، فليسَ تمييزُ هلذهِ الأسماءِ مِنَ المنصوبِ وجوباً .

وأمَّا تمييزُ العددِ . . فتمييزُ ثلاثةٍ إلى عشرةٍ وتمييزُ مئةٍ سواءٌ كانَتْ وحدَها أو مُركّبةً معَ ثلاثةٍ إلى تسعةٍ ، أو مُثنَّاةً ، وتمييزُ أَلْفٍ . . يجبُ جرُّها ، إلّا أنّ تمييزَ الثلاثةِ إلى العشرةِ يكونُ بلفظِ جمعٍ ، وتمييزُ المئةِ والأَلْفِ بلفظِ مفردٍ ، وتمييزُ المئةِ والأَلْفِ بلفظِ مفردٍ ، وتمييزُ أحدَ عشرَ إلى تسعةٍ وتسعينَ . . يجبُ نصبُهُما ، فليسَ تمييزُ العددِ منصوباً كلِّيّاً ، بل هوَ على هذا التفصيلِ ؛ يجبُ نصبُهُما ، فليسَ تمييزُ العددِ منصوباً كلِّيّاً ، بل هوَ على هذا التفصيلِ ؛ تقولُ : عندي ثلاثةُ أثوابٍ ؛ بجرِّ إضافةِ اسمِ العددِ إلى اسمِ المعدودِ ، وهاكذا أربعةُ عبيدٍ ، وعشرةُ أسيافٍ ، ومئةُ درهمٍ ، ومئتا دينارٍ ، وثلاثُ مئةِ عبدٍ ، وألفُ رجل ، وأحدَ عشرَ بيتاً ، [وعشرونَ] داراً ، وتسعٌ وتسعونَ نَعْجةً .

فلو قلتَ : عندي عشرونَ ألفَ رأسٍ مِنَ الغنمِ . . ف (أَلْفَ) : تمييزٌ ل (أَلْفَ) مخرورٌ وجوباً . ل (عشرينَ) منصوبٌ وجوباً ، و(رأسِ) : تمييزٌ ل (أَلْفَ) مجرورٌ وجوباً .

و﴿ ثَلَثَ مِأْتَةِ سِنِينَ ﴾ (١): طريقٌ أخرى غيرُ طريقِ التمييزِ ، سُلِكَتْ لزيادةِ التعجيبِ مِنْ هلذهِ الحادثةِ الغريبةِ ، على معنى : أردتُ بالعددِ سنينَ ، لا أيَّاماً ولا شهوراً .

⁽١) سورة الكهف : (٢٥) .

[تمييزُ النِّسبةِ]

شرحُ النوعِ الثاني مِنَ التمييزِ: هوَ أَن تَلحَظَ اسماً صالحاً لأَن يُرادَ بهِ أَشياءُ كثيرةٌ ولا تَلفظه ، وللكنْ تكونُ هاذهِ الأشياءُ الكثيرةُ مُتعلِّقةً بشيءٍ فتَذكرُ ذلكَ الشيءَ الذي لهُ تلكَ الأشياءُ انتساباً وتَعلُّقاً بهِ ، ناسباً إليهِ أمراً بحسبِ ذلكَ الشيءَ الذي لهُ تلكَ الأشياءُ انتساباً وتَعلُّقاً بهِ ، ناسباً إليهِ أمراً بحسبِ الظاهرِ ، وفي الملاحظةِ والاعتبارِ هوَ منسوبٌ للاسمِ المُبهَمِ الملحوظِ ، ثمَّ تذكرُ اسمَ مُرادِكَ بعدُ تمييزاً .

مثالُ ذٰلكَ : أن تقولَ : طابَ زيدٌ ؛ فلفظُ (طابَ) يَدُلُّ على حصولِ الطيبِ الذي هوَ مقابلُ التُّفالةِ ، قاصداً أنَّ شيئاً مِنَ الأشياءِ المُنتسِبةِ لزيدٍ هوَ الموصوفُ بالطيبِ ، للكنْ لم تَذكرْ لفظَ الشيءِ ، ونسبتَ (طابَ) إلىٰ (زيدٌ) ، فالتقديرُ : طابَ شيءٌ مِنَ الأشياءِ المُتعلِّقةِ بزيدٍ ، وزيدٌ يَتعلَّقُ بهِ رائحتُهُ ، ونفسُهُ ، وأهلُهُ ، وغلمانُهُ ، ودُورُهُ ، ودوابُّهُ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ ، ومُرادُكَ شيءٌ مِنْ تلكَ الأشياءِ بعينِهِ ، فتَذكرُهُ بعدَ زيدٍ تمييزاً ؛ إلىٰ غيرِ ذلكَ ، ومُرادُكَ شيءٌ مِنْ تلكَ الأشياءِ بعينِهِ ، فتَذكرُهُ بعدَ زيدٍ تمييزاً ؛ فتقولُ : طابَ زيدٌ رائحةً ؛ أي : عطرَتْ ولم تخبثْ ، وخبثُ الرائحةِ هوَ معنى التُّفالةِ ، أو طابَ زيدٌ داراً ، أو طابَ غلاماً ، أو أباً . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ الأشياءِ الطيبِ .

ومنه : زيدٌ أعلى الناسِ منزلةً .

ومنهُ: ما أكرمَ زيداً صاحباً ؛ حيثُ تريدُ مدحَ صاحبهِ دونَهُ .

ومنهُ: للهِ زيدٌ فُروسيَّةً أو فارساً ، وبعضُهُم يُعرِبُ (فارساً) : حالاً ، وهوَ ظاهرٌ ، كما إذا أردتَ مدحَ زيدٍ بقولِكَ : ما أكرمَهُ صاحباً ، فتُعرِبُ (صاحباً) : حالاً ، قالَ جريرٌ (() : [من الكامل]

لَا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فِي تَغْلِبٍ فَٱلزَّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمُ أَخْوَالًا

⁽۱) انظر « ديوان جرير » (٦٥/١) .

فأخوالاً: يُعرَبُ حالاً ، لا تمييزاً ؛ فإنَّكَ تَمدحُ الزَّنجَ وخُؤولتَهُم ، ولا تريدُ أن تَمدحَ أخوالَهُم حتى تكونَ أردتَ شيئاً يُنسَبُ للزَّنجِ ثمَّ بينتَهُ بعدُ كما هوَ شأنُ التمييز .

ومنه : ضربتُ زيداً ظهراً وبطناً .

وما يكونُ مُفسِّراً لفاعلٍ يُسمَّى: تمييزَ الفاعلِ ، وما يكون مُفسِّراً لمفعولٍ يُسمَّى: تمييزَ المفعولِ ، وهاذا النوعُ مِنَ التمييزِ منصوبٌ وجوباً ، وناصبُ التمييز الاسمُ المُفسَّرُ بهِ .

والنحويونَ يُسمُّونَ النوعَ الأوَّلَ: تمييزَ المفردِ ، ويُسمُّونَ النوعَ الثانيَ: تمييزَ النسبةِ وتمييزَ الجملةِ ؛ لأنَّ البَهامةَ بحَسَبِ الظاهرِ في نسبةِ الفعلِ التي هيَ روحُ الجملةِ .

وتحقيقُ القولِ: أنَّ التمييزَ مُفسِّرٌ لمفردٍ مُبهَمٍ دائماً ، غايةُ الأمرِ: أنَّهُ ملفوظٌ أو ملحوظٌ .

ولا يكونُ التمييزُ إلا نكرةً ، ولا يتقدَّمُ على عاملِ المفسَّرِ .

[أحكامُ تمييز العددِ]

هلذا ؛ وإذا جرى ذكرُ العددِ في هلذا الموضعِ . . فلا بأسَ أن نُلخِصَ لكَ بقيةَ أحكامِهِ ، فنقولُ :

اعلمْ: أنَّ الواحدَ والاثنينِ لا يُميَّزانِ ؛ فلا تقولُ: واحدٌ رجلٌ مثلاً ، استغناءً بإفادةِ لفظِ رجلٍ وامرأةٍ الوَحدة ، ولفظِ رجلينِ وامرأتينِ الاثنينيَّة ، بخلافِ نحوِ رجالٍ ، فلا دلالة لهُ على عددٍ بعينِهِ ، فيُذكَرُ العددُ المقصودُ ، ويُميَّزُ بالمعدودِ ، وأنَّهُ قد خُولِفَ بألفاظِ العددِ مِنْ ثلاثةٍ إلىٰ عشرةٍ مُفرَدةً أو مُركَّبةً طريقُ التأنيثِ والتذكيرِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ بعضَ الألفاظِ المُشترَكةِ بينَ الإناثِ

٤٦.

والذُّكورِ تَلحقُها التاءُ عندَ إرادةِ الأُنثى ، وفي العددِ المذكورِ التاءُ معَ المُذكَّرِ ، والنَّكورِ العادُ عندَ إرادةِ الأُنثى ، وفي العددِ المذكورِ التاءُ معَ المُذكَّرِ ، والعبرةُ في التأنيثِ والتذكيرِ باللَّفظِ ؛ فتقولُ : ثلاثةُ أشخاصٍ ، وأنتَ تريدُ ذُكوراً .

وقد جاءَ اعتبارُ المعنى ، قالَ عمرُ بنُ أبي ربيعة (۱) : [من الطويل] وَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ وَالأَفْصِحُ : ثلاثةُ أشخاص كما عرفتَ .

وإذا تَعدَّدَ التمييزُ وكانَ مُذكَّراً ومُؤنَّثاً ؛ فإن فصلتَ بينَهُ وبينَ العددِ بكلمةِ (بينَ) أو بكلمةِ (مِنْ) في غيرِ يومٍ وليلةٍ ، أو كانَ المُذكَّرُ عاقلاً . . فالعبرةُ بالمُذكَّرِ ؛ تقولُ : ملكتُ خمسةً بينَ عبدٍ وجاريةٍ ، أو بينَ جاريةٍ وعبدٍ ، ومِنْ عبدٍ وجاريةٍ ، وعكسِهِ ، وتقولُ : لقيتُ خمسةَ عشرَ امرأةً ورجلاً .

وإذا لم تَفصِلْ ولم يكنِ المُذكَّرُ عاقلاً . . فالعبرةُ بالسابقِ .

وإن كانَ المُميِّزُ يوماً وليلةً . . فالعبرةُ باللَّيلةِ ؛ فإنَّ اعتبارَ التاريخِ عندَ العربِ باللَّيالي ، قالَ تعالى : ﴿ يَرَيَّصُنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَذْبَعَةَ أَشْهُرِ وَعَشْرًا ﴾ (٢) .

وفي الحادي والثاني والثالثِ تَرجِعُ للأصلِ ؛ فتقولُ : المسألةُ الحاديةَ عشرةَ ، والبابُ الرابعَ عشرَ ، وموازنُ فاعلٍ هلذا تارةً يُستعمَلُ اسمَ فاعلٍ ، ويُضافُ لِمَا يليهِ مِنَ الدَّرجةِ في العددِ ، أو يَنصِبُهُ ؛ فتقولُ : خرجتُ إلى الجهةِ الفلانيةِ عاشرَ تسعةِ رجالٍ ، أو عاشراً تسعةَ رجالٍ ، وتارةً يُستعمَلُ لفظاً دالاً على الواحدِ مِنَ العددِ ، فيُضافُ لهُ فقطْ ؛ فيُقالُ : خرجَ فلانٌ رابعَ أربعةٍ ، وجاءَ خامسَ خمسةٍ ؛ أي : بعضَ أربعةٍ ، وبعضَ خمسةٍ .

⁽۱) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ١٢٧) .

⁽٢) سورة البقرة : (٢٣٤) .

وإذا أردتَ تعريفَ العددِ ولم يكنْ مُضافاً . . أدخلتَ عليهِ (أل) ، فتقولُ : هاتِ الخمسةَ عشرَ درهماً ، وإذا كانَ مُضافاً . . فالفصيحُ إدخالُ (أل) على المُضافِ إليهِ ، قالَ الشاعرُ في يزيدَ بنِ المُهلَّبِ (١) :

مَا زَالَ مُلْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ فَسَمَا فَأَدْرَكَ خَمْسَةَ ٱلْأَشْبَارِ يُدْنِي كُلِّ مُعْتَرَكِ ٱلْعَجَاجِ مُثَارِ يُدْنِي كُلِّ مُعْتَرَكِ ٱلْعَجَاجِ مُثَارِ وبعضُ العربِ يُدخِلُ (أَل) على الجزأين في المُضافِ والمُركَّبِ.

هاذا ؛ وتقولُ : أعطيتُ فلاناً كذا ، أو كذا كذا ، أو كذا وكذا ، كنايةً عن عددٍ ؛ فتُميِّزُهُ بمُميِّزٍ تَنصِبُهُ ، أو تَخفِضُهُ به (مِنْ) ، فتقولُ : كذا درهماً ، ومِنْ درهمٍ ، ومثلُ (كذا) في هاذا الحكم . . كلمةُ (كأيِّنْ) و(كم) الخبريَّةِ التي يُفادُ بها التكثيرُ ؛ نحوُ : كم يدٍ لي عندَكَ ؛ تارةً تُستعمَلُ كالعشرةِ ، فتُميَّزُ بجمع مخفوضٍ بالإضافةِ ، وتارةً تُستعمَلُ كالمئةِ .

و(كم) الاستفهامية ؛ نحو : كم كتاباً ملكت ؟ يجبُ نصبُ تمييزِها إلَّا إذا خُفِضَتْ هي بحرفِ ؛ نحو : بكم درهماً اشتريتَ هذا ؟ فإنَّهُ حينَئذٍ يجوزُ خفضُهُ بالإضافةِ ، وإلَّا إذا فُصِلَتْ ، فيجوزُ جرُّهُ به (مِنْ) نحو : ﴿ سَلْ بَنِيَ الْمَرْ عِيلَ كَرْ ءَاتَيْنَاهُمُ مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ (٢) .

* * *

⁽١) هو الفرزدق في « ديوانه » (٤٩٨/١) .

⁽٢) سورة البقرة : (٢١١) .

الكلامُ على المُضافِ إليهِ وعلى التوابع وعلى التوابع

المُضافُ إليهِ: هوَ الاسمُ الصَّريحُ أو المُؤوَّلُ ، المخفوضُ بأحدِ حروفِ المُضافةِ ملفوظاً أو ملحوظاً .

[المخفوضُ بحرفٍ ملفوظٍ]

فالأوَّلُ: تتميمُ الكلامِ عليهِ: أنَّ المخفوضَ به (مذْ) و(منذُ) لا يكونُ إلا اسمَ وقتٍ ظاهراً .

والمخفوضَ بـ (رُبَّ) لا يكونُ إلا نكرةً ، والمخفوضَ بالكافِ والواوِ و(حتى) لا يكونُ إلَّا ظاهراً ، والتاءُ مُختصَّةٌ بلفظِ الجلالةِ ولفظِ (ربّ) .

و مثلُ قولِ الشاعر (١٠): [من الخفيف]

رُبَّـهُ فِـتْـيَـةً دَعَـوْتُ إِلَـىٰ مَـا يُـورِثُ ٱلْـمَجْـدَ دَائِـباً فَـأَجَـابُـوا وقولِ الراجز (٢٠):

وَلَنْ تَرَىٰ بَعْلاً وَلَا حَلائِلًا كَهْ وَلَا كَهُنَّ إِلَّا حَاظِلَا

شاذٌ ، وبعضُ العربِ يَخفِضُ به (متىٰ) ، وهيَ عندَهُم بمعنىٰ (مِنْ) ، قالَ شاعرُهُم (٣) :

شَرِبْنَ بِمَاءِ ٱلْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَىٰ لُجَجِ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

⁽۱) تقدم (۱٤٤/۱).

⁽٢) انظر « ديوان رؤبة بن العجاج » (ص ١٢٨) .

⁽٣) انظر « ديوان الهذليين » (٥٢/١) وهو لأبى ذؤيب الهذلى .

وبعضٌ آخَرُ يَخفِضُ بـ (لعلَّ) ، قالَ شاعرُهُم (١): [من الطويل] فَقُلْتُ ٱدْعُ أُخْرَىٰ وَٱرْفَعِ ٱلصَّوْتَ جَهْرَةً لَعَلَّ أَبِي ٱلْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ وَلَافَعِ ٱلصَّوْتَ جَهْرَةً لَعَلَّ أَبِي ٱلْمِغُونِ بِها جزءُ الكلامِ الواقعِ و(لعلَّ) في هاذهِ اللَّغةِ . . مثلُ (ربَّ) المخفوضِ بها جزءُ الكلامِ الواقعِ بعدَها ، فهوَ مُعرَبُ اللَّفظِ والمَحَلِّ بإعرابَينِ مُختلِفَينِ .

وقد ورد : لولا أنا ، ولولاي ، ولولا نحن ، ولولانا . . . إلى آخِرِ الضَّمائرِ ، وعرفتَ أَنَّ هاذا النوعَ مِنَ الضَّمائرِ مُشترَكٌ بينَ النصبِ والخفضِ ؛ نحو : غلامُكَ أكرمَكَ ((ربَّ)) ، وقالَ آخَرونَ : هوَ مِنْ إنابةِ ضميرٍ عن ضميرٍ ((()) ؛ كالإنابةِ في قولِهِم : ما أنا كأنتَ ، ولا أنتَ كأنا .

وإذا اتصلَتْ (ما) بـ (ربَّ) والكافِ . . عَمِلا ، ولم يعملا ، وإذا لم يعملا ، وإذا لم يعملا . . دخلا على الجملتَينِ ، وتُسمَّىٰ حينَئذٍ كلمةُ (ما) الزائدةِ : كافَّةً مُهيِّئةً ؛ لكفِّهِما عنِ العملِ ، وتهيئتِهِما للدُّخولِ على الجملِ ، كما تُسمَّىٰ بهنذا الاسم إذا أبطلَتْ عملَ (إنَّ) وأخواتِها .

[المخفوضُ بحرفٍ ملحوظٍ]

النوعُ الثاني مِنَ المُضافِ: هوَ المخفوضُ بحرفِ يُلحَظُ ولا يُلفَظُ أصلاً ؟ وذلكَ الحرفُ هوَ: لامُ المملكِ وشبهِهِ ؟ نحوُ: غلامُ زيدٍ ؟ أي : الغلامُ المملوكُ لزيدٍ ، ونحوُ: سَرجُ الفرس ، وبَرْذعةُ الحمارِ.

⁽¹⁾ هو كعب بن سعد الغنوي في (*7/10) (*77/10) .

⁽٢) انظر (٣٦١/١).

⁽٣) انظر « مغنى اللبيب » (٣٧٧/١) .

والغرضُ مِنَ الإضافةِ: تعيينُ المُضافِ؛ بإضافتِهِ إلى مُعيَّنٍ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ المعارفِ، وتخصيصُهُ بإضافتِهِ إلى مخصوصٍ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ النكراتِ.

فالأوَّلُ: كقولِكَ: هاذا غلامي ، وغلامُنا ، وغلامُك . . . إلى آخِرِ الضَّمائرِ ، فالموادُ: به (غلام) تعيَّنَ بإضافتِهِ إلى الضَّميرِ الذي مدلولُهُ مُتعيِّنٌ ، وهاكذا بقيةُ المعارفِ .

والثاني: كقولِكَ: هاذا غلامُ رجلٍ ؛ فمدلولُ (غلامٍ) صارَ مخصوصاً بإضافتِهِ إلى مخصوصٍ ؛ وهوَ جنسُ الرجلِ ، فإنَّكَ لو قلتَ: غلامٌ . . يَخصَّصَ بأحدِ يَتناولُ غلامَ الرجلِ وغلامَ المرأةِ ، فلمَّا أضفتَهُ . . تَخصَّصَ بأحدِ الجنسينِ .

[أنواعُ الإضافاتِ]

وبعضُ الإضافاتِ قد تكونُ بينَ مظروفِ وظرفٍ ، فيُتخيَّلُ أنَّها على معنى (في) كقولِكَ : سيرُ الليلِ مبروكُ (١) ، ونومُ الظهرِ مندوبٌ ، فمعناهُ الحقيقيُ : السيرُ المنسوبُ لِلَّيلِ بسببِ وقوعِهِ فيهِ ، والنومُ المنسوبُ للظهر بذلكَ .

وبعضُها يكونُ بينَ شيءٍ وجنسِهِ الذي اتُّخِذَ منهُ ، فيُتخيَّلُ أَنَّها على معنى (مِنْ) كقولِكَ : خاتمُ ذهبٍ ، وبابُ ساجٍ ، وثوبُ حريرٍ ، فمعناهُ : خاتمٌ منسوبٌ للذهبِ بسببِ كونِهِ مُتخَذاً منهُ ، وهاكذا .

وهاذا النوعُ مِنَ الإضافةِ يُسمَّىٰ: إضافةً بيانيةً ، وضابطُها: أن يكونَ المُضافُ إليهِ جنساً للمُضافِ .

⁽١) كذا في الأصل.

وهنالكَ إضافةٌ تُسمَّىٰ بالإضافةِ للبيانِ ؛ نحوُ: شجرُ الأراكِ ، وضابطُها: أن يكونَ المُضافُ إليهِ نوعاً مِنَ المُضافِ .

فالنسبةُ في الإضافةِ البيانيَّةِ: العمومُ والخصوصُ مِنْ وجهِ ، وفي الإضافةِ للبيانِ: العمومُ والخصوصُ المطلقانِ.

وتُسمَّىٰ هاذهِ الإضافةُ: إضافةً معنويةً .

وثَمَّ إضافةٌ تُسمَّىٰ: إضافةً لفظيَّةً ؛ وهي إضافةُ اسمِ الفاعلِ أو اسمِ المفعولِ أو السمِ المفعولِ أو الصفةِ المُشبَّهةِ لمعمولٍ مِنْ معمولاتِها ؛ فيكونُ المُضافُ إليهِ مُتعلِّقاً بالمُضافِ تَعلُّقَ الفاعليَّةِ لهُ أو المفعوليَّةِ بهِ ، ويكونُ المُضافُ مُتعلِّقاً بالمُضافِ عَلَيَّة اللهُ أو الوقوعِ بهِ ؛ كقولِكَ : أنا راكبُ الفرسِ بالمُضافِ إليهِ تَعلُّقَ الحصولِ منهُ أو الوقوعِ بهِ ؛ كقولِكَ : أنا راكبُ الفرسِ غداً ، ومسابقُ الفرسانِ ، وزيدٌ عظيمُ الأملِ فيكَ ، وهوَ مُروَّعُ القلبِ .

فلفظُ (راكبِ): اسمُ فاعلٍ تَعلَّقَ بالفرسِ تَعلُّقَ الوقوعِ بهِ ، ولفظُ (الفرسِ) مُتعلِّقٌ به (الكبُّ المفعوليَّةِ ؛ إذ يَصِحُّ أن تقولَ: أنا راكبُ الفرسَ ؛ بنصبِ الفرس على المفعوليَّةِ .

وكذلك : مسابقٌ الفرسانَ ، وزيدٌ عظيمٌ أملُهُ ؛ برفعِ الأملِ فاعلاً ، ومُروَّعٌ قلبُهُ ؛ برفعِ الأملِ فاعلاً ، ومُروَّعٌ قلبُهُ ؛ برفعِ القلبِ نائبَ فاعلٍ ، فليسَتْ هلذهِ الإضافةُ حقيقيةً ، ولذلكَ سُمِّيَتْ : لفظيَّةً .

وفائدتُها: التخفيفُ بحذفِ تنوينِ الوصفِ المُفرَدِ ، ونونِ المُثنَّىٰ والجمعِ على حدِّهِ ، ولا يستفيدُ المُضافُ بها تعيُّناً وهوَ ظاهرٌ ، ولا اختصاصاً ؛ لأنَّهُ حاصلٌ بتَعلُّقِ الفاعليَّةِ أوِ المفعوليَّةِ ، كما يَظهرُ لكَ عندَ الرجوعِ للأصلِ مِنْ نصبِ المفعولِ ورفع الفاعلِ .

ثمَّ إنَّ الإضافةَ توجبُ: حذفَ تنوينِ المُضافِ، وحذفَ نونِهِ إن كانَ مُثنَّى أو جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ، وتَمنعُ أن تَدخُلَ (أل) على المُضافِ ، للكنِ المُضافُ في الإضافةِ اللفظيَّةِ يجوزُ أن تَدخُلَ عليه (أل) إن كانَ مُثنَّى أو جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ بلا شرطٍ ، وإن كانَ غيرَهُما . . فجوازُهُ مشروطٌ بكونِهِ مُضافاً إلى ما فيهِ (أل) أو مُضافاً إلى مُضافٍ لِمَا فيهِ (أل) نحوُ : هاذانِ الراكبا فرسٍ ، والطالعو جبلِ ، والحسنُ الوجهِ ، والضاربُ رأسِ الجاني .

[ما يكتسبُّهُ المضافُ من المضافِ إليهِ]

ثمَّ إنَّ المُضافَ: كما يَكتسِبُ التعيُّنَ مِنَ المُضافِ إليهِ المعرفةِ بسببِ إضافتِهِ إليهِ ، والتخصُّص مِنَ المُضافِ إليهِ النكرةِ بسببِ إضافتِهِ إليهِ . . يَكتسِبُ الظَّرفيةَ منهُ إذا كانَ ظرفاً بسببِ إضافتِهِ إليهِ ؛ نحوُ: أجيئُكَ كلَّ حينٍ ، وبعضَ الأحيانِ ، وذاتَ يومٍ ، وذاتَ ليلةٍ ، وقمتُ كلَّ مَقامٍ لزيدٍ ، وجلستُ بعضَ مجالسِ عمرو .

ويَكتسِبُ المفعوليَّةَ المُطلقةَ إذا أُضيفَ لمصدرٍ يكونُ لولا المُضافُ مفعولاً مطلقاً ؛ نحوُ: مشيتُ كلَّ مشي ، وقرأتُ أحسنَ القراءةِ ، ووقفتُ بعضَ الوقوفِ ، ويكونُ مدلولُ لفظةِ (كلِّ) في مثلِ هلذا: جميعَ أفرادِ جنسِ ما أُضيفَتْ إليهِ ، ومعنى (بعضٍ): بعضَ أفرادِهِ ، ومعنى (أحسنَ) ـ ومثلِهِ مِنْ كلِّ اسمِ تفضيلٍ ـ: الفردَ الزائدَ مِنْ أفرادِ ما أُضيفَ إليهِ في الصفةِ المدلولِ عليها بلفظِهِ .

وكذلك يَكتسِبُ وجوبَ تَصدُّرِهِ في الجملةِ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ الأمورِ التي يجبُ تَصدُّرُها ؛ كالمُضافِ لاسمِ استفهامٍ ، أو اسمِ شرطٍ ؛ نحوُ : غلامَ مَنْ صحبتَ ؟ وكتابَ أيِّ شخصٍ استعرتَ ؟ وغلامَ مَنْ تُكرِمْ . أكرِمْ . وكذلك يَكتسِبُ منهُ التأنيثَ إن كانَ المُضافُ مُذكَّراً ، والمُضافُ إليه

مُؤنَّثاً ، ويَكتسِبُ التذكيرَ إن كانَ بالعكسِ ، وللكنْ شرطُ هلذَينِ الاكتسابَينِ : أن يكونَ المُضافُ بحيثُ لو حُذِفَ . . لبقيَ الحكمُ لهُ صحَّةٌ ، أمَّا إذا لو حُذِفَ فسدَ الحكمُ ل متنعَ هلذانِ الاكتسابانِ .

صورةُ الصحةِ : قولُكَ (١) : [من البسيط]

إِنَارَةُ ٱلْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْع هَوىً

الإنارةُ مُؤنَّتُ مُضافٌ للعقلِ المُذكَّرِ ، اكتسبَ المُؤنَّتُ مِنَ المُضافِ إليهِ التذكيرَ ، ولذلكَ قلتَ : مكسوفٌ ، ولم تقلْ : مكسوفٌ ، والشرطُ حاصلٌ ؛ فإنَّكَ لو حذفتَ لفظَ الإنارةِ ، وقلتَ : العقلُ مكسوفٌ بطوعِ هوىً . . بقيَ الحكمُ صحيحاً ، ونظيرُهُ (٢) :

رُؤْيَةُ ٱلْفِكْرِ مَا يَوُولُ لَهُ ٱلْأَمْ مُ مُعِينٌ عَلَى ٱجْتِنَابِ ٱلتَّوَانِي وقولُكُ تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ وَقُولُكُ تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ (٣).

صورةُ الفسادِ: قولُكَ: جاءَتْ فتاةُ زيدٍ، لا يَصِحُّ أَن تقولَ: جاءَ فتاةُ زيدٍ؛ لامتناعِ الاكتسابِ فيهِ ؛ إذ لو حذفتَ لفظَ (الفتاةِ) المُضافَ . . لفسدَ الحكمُ ؛ فإنَّ المجيءَ لم يَتعلَّقْ بزيدٍ أصلاً ، بخلافِ القطعِ في (قُطِعَتْ بعضُ الأصابعِ) مثلاً ؛ فإنَّ القطعَ الواقعَ على البعضِ واقعٌ على الأصابعِ في الجملةِ ، فلو قلتَ : قُطِعَتِ الأصابعُ ؛ بمعنى : أنَّ القطعَ تَعلَّقَ بالأصابع وحصلَ فيها مِنْ غيرِ ملاحظةِ العموم . . كانَ الحكمُ صحيحاً .

⁽١) انظر « مغني اللبيب » (٦٦٥/٢) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

إِنَارَةُ ٱلْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعٍ هَوى وَعَقْلُ عَاصِي ٱلْهَوَىٰ يَزْدَادُ تَنْوِيرَا

⁽٢) انظر « همع الهوامع » (١٢/٢ ٥).

⁽٣) سورة آل عمران : (٣٠) .

[أسماءٌ ملازمةٌ للإضافةِ]

ثمَّ إنَّ مِنَ الأسماءِ أسماءً تقتضي بطبيعةِ معناها أن تكونَ مُضافةً ، فلازمَتِ الإضافة ؛ وهي لفظُ (كلِّ) و(بعضٍ) ، وربَّما حُذِفَ ما أُضيفا إليهِ ملحوظاً ، ولفظةُ (وَحْدٍ) ، ولا تُضافُ إلَّا إلى ضميرٍ ؛ كوَحدي ، ووَحدَكَ ، ووَحدَكَ ، ووَحدَكَ ، ووَحدَكُ ، ومثلُ وَحدَكَ : (لبَّيْكَ) ـ تثنيةُ (لَبٍّ) محذوفِ زوائدِ التلبيةِ ـ في الجوابِ ، و(سعدَيكَ) و(دواليكَ) في الدعاءِ بالسَّعدِ والدولةِ ، و(حنانيكَ) في الاستعطافِ ، قالَ الشاعرُ (۱):

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَٱسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

و(هذاذَيْكَ) في طلبِ الإسراعِ ، ولفظةُ (حيثُ) مِنْ أسماءِ الأمكنةِ ، ولفظةُ (إذَ مِنْ أسماءِ الأمكنةِ ، ولفظةُ (إذَ مِنْ أسماءِ الزمنِ الماضي ، ولا يُضافانِ إلَّا إلى جملةٍ ، وكَثُرَ تعويضُ التنوينِ عنها مع (إذ) ، ولفظةُ (إذا) مِنْ أسماءِ الزمنِ المستقبلِ ، ولا تُضافُ إلَّا إلىٰ جملةٍ فعليَّةٍ ، ويُعوَّضُ عنها التنوينُ أيضاً ، ولفظةُ (لدنْ) ، وتضافُ لمفردٍ وجملةٍ ؛ نحوُ : ﴿ مِن لَدُنَّا ﴾ (٢) ، ونحوُ (٣) : [من الطويل]

صَرِيعُ غَوَانٍ رَاقَهُ نَ وَرُقْنَهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّىٰ شَابَ سُودُ ٱلذَّوَائِبِ

ونصبوا بها (غدوةً) تمييزاً ، ولفظة (عندَ) ولفظة (معَ) ، ولا يُضافانِ إلَّا لمفردٍ ، وتَسكُنُ عينُ (معَ) ، وإذا وليَها ساكنٌ . . كُسِرَتْ أو فُتِحَتْ ، وتُنصَبُ حالاً ؛ نحوُ : (أقبلتا معاً) فلا تُضافُ .

ولفظةُ (كلا) و(كلتا) ، ولا يُضافانِ إلَّا للفظِ يَدُلُّ على اثنَينِ أوِ اثنتَينِ ؟ نحوُ : كلا الرجلَينِ ، وكلتا المرأتَينِ ، وكلاهُما ، وكلتاهُما .

⁽۱) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ۱۷۲) .

⁽٢) سورة النساء : (٦٧) .

⁽٣) هو للقطامي في « ديوانه » (ص ٢٨٠) .

ولفظة (أيّ)، ولا تُضافُ إلّا لِمَا يُلحَظُ فيهِ التعدُّدُ ؛ لأنَّ المقصودَ منها كيفَ استُعمِلَتُ واحدٌ مِنْ آحادِ ما تُضافُ إليهِ ، للكنْ إذا استعملتَها موصولةً . . وجبَ أن تُضافَ لمعرفةٍ ؛ نحوُ : يعجبُني أيُّهُم هوَ يَتقي الله ، على معنى الذي منهُم هوَ يَتقي الله .

وإذا كانَتْ صفةً أو حالاً . . وجبَ إضافتُها إلىٰ نكرةٍ ؛ نحوُ : زيدٌ رجلٌ أيُّ رجلٍ ايُّ رجلٍ ايُّ رجلٍ ايُّ رجلٍ ايُّ إنسانٍ .

وإذا كانَتِ استفهاميةً أو شرطيَّةً . . جازَ إضافتُها إلى معرفةٍ وإلى نكرةٍ ؟ نحوُ : أيُّ الرجالِ عندَكَ ؟ وأيُّ رجلٍ عندَكَ ؟ [ونحوُ] : أيَّ الرجالِ تُكرِمْ . . أُكرِمْ ، وأيَّ رجلٍ تُكرِمْ . . أُكرِمْ .

ولفظةُ (غيرٍ) و(قبلٍ) و(بعدٍ) و(تحتٍ) و(فوقٍ) و(أمامٍ) و(قُدَّامٍ) و(وراءٍ) و(خلفٍ) و(أسفلَ) و(دونٍ) و(أوَّلَ) و(مِنْ علٍ)، ولهاذهِ الألفاظِ أربعةُ أحوالٍ:

الأوَّلُ: إضافتُها لفظاً كما هوَ مقتضى طبيعةِ معناها.

الثاني : أن يُحذَف ما أُضيفَتْ إليهِ ملحوظَ اللَّفظِ ، فتبقىٰ علىٰ صورتِها عندَ وجودِهِ .

الثالثُ : أن يُحذَف غيرَ ملحوظٍ أصلاً ، وتكونُ الكلماتُ مُستعمَلةً نكراتٍ ، فتُعرَبُ حَسَبَ الاقتضاءِ .

الرابعُ: أن تُستعمَلَ معارفَ ملحوظاً فيها تَعيُّنُ المدلولِ ، فتكونُ مُتضمِّنةً معنى (أل) كما سبقَ في قسم المُعرَبِ والمَبني (١).

تقولُ: جاءَ زيدٌ قبلَ عمرِو ، وجاءَ زيدٌ وجاءَ عمرٌو بعدَ ؛ أي: بعدَهُ

⁽١) انظر (٣٢٥/١).

بنصبها كما كانَتْ ، ونحوُ (١):

[من الوافر]

فَسَاغَ لِيَ ٱلشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً

أي: في زمنٍ سابقٍ ، ونحوُ: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبَلُ وَمِنْ بَعَدُ ﴾ (٢) ؛ أي : السّابقِ واللاحقِ ، وحينَئذٍ تُبنى على الضمِّ ، وتسمَّى [هاذهِ] الظُّروفُ : غاياتٍ ؛ لأنَّها صارَتْ إذاً غاياتٍ بعدَ أن كانَ الغايةُ غيرَها .

ثمَّ كثيراً يُحذَفُ المُضافُ ، فيقومُ المُضافُ إليهِ مَقامَهُ في وظيفتِهِ مِنَ الكلامِ . ويُحذَفُ المُضافُ إليهِ ، ويَبقى المُضافُ على صورتِهِ ؛ بشرطِ أن يُعطَفَ عليهِ لفظٌ مُضافٌ لمثلِ ما حُذِفَ منه ؛ نحوُ قولِكَ : قطعوا يدَ ورجلَ القاطعِ ، فالأصلُ : يدَ القاطعِ ورجلَهُ ، فحُذِفَ المُضافُ إليهِ لـ (يدٍ) ، فلم يَبقَ مَرجِعٌ للضَّميرِ في (رِجْلٍ) ، فجيءَ بالاسمِ الظاهرِ ، فدلَّ على المحذوفِ مِنَ الأَوَّلِ .

ثمَّ لا يُفصَلُ المُضافُ مِنَ المُضافِ إليهِ إلَّا بمعمولِ المُضافِ ، فإنَّهُ يجوزُ ، والأحسنُ تركُهُ ؛ كقولِكَ : زيدٌ معطي درهماً عمرو ، والأحسنُ : معطي عمرو درهماً .

[أحوالُ المضافِ لياءِ المتكلِّمِ] ثمَّ المُضافُ لياءِ المُتكلِّمِ : إن كان آخِرُهُ صحيحاً أو مُلحَقاً بهِ . . وجبَ

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٤٢٦/١) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه : فَـسَـاغَ لِـيَ ٱلـشَـرَابُ وَكُـنْتُ قَبْلاً أَغَـصُّ بِنُـقْـطَـةِ ٱلْـمَـاءِ ٱلْحَمِيم

⁽٢) سورة الروم : (٤).

كسرُهُ ، وجازَ لكَ فتحُ الياءِ وتسكينُها ؛ كغلامِي وغلامِي ، ودلوِي ودلوِي ، ودلوِي ، ودلوِي ، وظبيي .

وإن كانَ آخِرُهُ أَلِفاً . . بقيَتِ الأَلِفُ بصورتِها ، وتَعيَّنَ فتحُ الياءِ ؛ كفتايَ وعصايَ وغلامايَ .

وإن كانَ آخِرُهُ ياءً ساكنةً . . وجبَ إبقاؤُها بصورتِها وإدغامُها في ياءِ المُتكلِّم مفتوحةً وجوباً ؛ كغُلامَيَّ وزيدِيَّ ، جمعَ مُذكَّرِ سالم .

وإذا كانَ آخِرُهُ ياءً مُشدَّدةً . . جازَ إبقاؤُها بصورتِها معَ إسكانِ الياءِ ، وجازَ حذفُ ثانيةِ الياءَينِ معَ فتحِ ياءِ المُتكلِّمِ ؛ كقولِكَ : هلذا بُنَيِّي مُصغَّراً ، وبُنَيَّ ، وهلذا كرسِيِّي وكرسِيَّ .

وإن كانَ آخِرُهُ واواً ـ وهوَ جمعُ المُذكَّرِ السالمِ إذا كانَ بالواوِ ـ . . وجبَ قلبُ واوِهِ ياءً وإدغامُها في ياءِ المُتكلِّمِ ، فإن كانَ ما قبلَ الواوِ ضمةً . . أُبدِلَتْ كسرةً ، وإن كانَ فتحةً . . بقيَتْ ؛ نحوُ : هنؤلاءِ زيدِيَّ وهُم مُصطفَيَّ ؛ بفتحِ الفاءِ ، وكسر الدالِ .

وإذا كانَ المُضافُ لياءِ المُتكلِّمِ منادىً صحيحاً أو مُلحَقاً بهِ . . جازَ لكَ إبقاءُ الياءِ ساكنةً ، ومفتوحةً ، وحذفُها ، وقلبُها أَلِفاً وفتحُ ما قبلَها لأجلِها ، وحذفُ الأَلِفِ وإبقاءُ الفتحةِ ؛ نحوُ : يا غلاميْ ، وغلاميَ ، وغلامِ بالكسرِ ، وغلاما ، وغلامَ بالفتح ، ونحوُ : (يا بُنَيَّ) مُحتمِلٌ .

وجازَ في خصوصِ لفظةِ (أبٍ) ولفظةِ (أُمٍّ) حذفُ الياءِ وتعويضُ تاءٍ منها ؛ فتقولُ : يا أبتِ ويا أُمَّتِ ، مكانَ أبي وأمي ، فلا يجوزُ أن تَجمعَ بينَهُما ، ولكَ فتحُ التاءِ على أنَّ المحذوفَ المُعوَّضَ عنهُ هوَ الأَلِفُ المُنقلِبةُ عن ياءِ المُتكلِّمِ ، ولكَ كسرُها بناءً على أنَّ المحذوفَ الماءُ .

والتزمَتِ العربُ في : يا بنَ أُمِّ ، وابنةَ أمِّ ، وابنَ عمِّ ، وابنةَ عمِّ . . حذفَ ياءِ المُتكلِّمِ دونَ إبدالِها أَلِفاً فيبقىٰ ما قبلَها مكسوراً ، وبعدَ إبدالِها أَلِفاً فيبقىٰ مفتوحاً .

[الممنوع مِنَ الصَّرفِ]

هلذا ؛ وقد عرفتَ أنَّ الأسماءَ التي لا تَنصرِفُ _ أي : لا تُنوَّنُ تنوينَ التمكينِ الذي يُسمَّىٰ صَرْفاً _ تُخفَضُ بالفتحةِ نيابةً عنِ الكسرةِ ، إلَّا إذا أُضيفَتْ أو عُرِّفَتْ به (أل) ، فإنَّها حينَئذٍ تُخفَضُ بالكسرةِ .

وهاذهِ أنواعُ ما لا يَنصرِفُ ؛ وهي :

كلُّ جمع لا نظيرَ لهُ في الآحادِ ، والمنقوصُ مِنْ هاذا النوعِ _ نحوُ : دواعِ وسوارٍ _ تُحذَفُ ياؤُهُ في حالتَي الرفعِ والخفضِ ، ويُعوَّضُ عنها تنوينٌ يُقالُّ لهُ : تنوينُ العوض .

وكلُّ مُؤنَّثٍ بإحدى الألفَينِ .

وكلُّ وصفٍ يوازنُ (فَعْلَانَ) بفتحِ الفاءِ ؛ بشرطِ أن يكونَ مُؤنَّثُهُ على وزنِ (فَعْلَىٰ) كسكرانَ ، سَكرىٰ .

وكلُّ وصفٍ أتىٰ علىٰ زنةٍ خاصَّةٍ بالفعلِ أو غالبةٍ فيهِ ، ولم يُؤنَّثْ بالتاءِ ، وكانَ أصليَّ الوصفيَّةِ .

وكلُّ وصفٍ معدولٍ عن أصلٍ ؛ كمَوْحَدَ وأُحادَ . . . إلى آخِرِ ما وردَ ، وأُخَرَ المعدولِ عنِ الآخَرِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ اسمَ التفضيلِ لا يُثنَّىٰ ولا يُجمَعُ إلَّا حيثُ يُعرَّفُ ، فإذا قلتَ : بنساءٍ أُخَرَ . . كانَ حقُّهُ بنساءٍ آخَرَ ؛ أي : أشدَّ تأخُّراً .

وكلُّ عَلَم مُركَّبِ تركيباً مَزجيّاً بغيرِ (وَيْهِ) .

وكلُّ عَلَمٍ زِيدَ في آخِرِهِ أَلِفٌ ونونٌ ؛ كحسَّانَ وعفَّانَ مِنَ الحِسِّ والعِفَّةِ ، لا مِنَ الحُسْنِ والعُفونةِ .

وكلُّ عَلَمٍ مُؤنَّثٍ بالتاءِ ، وكلُّ أعلام الإناثِ .

وكلُّ عَلَم أعجميّ ، غيرِ ثُلاثيّ ، ساكنِ الوسطِ .

وكلُّ عَلَم جاءَ علىٰ زنةٍ تَخُصُّ الفعلَ أو تَغلِبُ فيهِ .

وكلُّ عَلَم آخِرُهُ أَلِفُ إلحاقٍ.

وكلُّ عَلَمٍ معدولٍ عن أصلٍ ؛ كعُمَرَ المعدولِ بهِ عن عامرٍ ؛ وذلكَ لأنَّهُ جربِ العادةُ أن يسمُّوا عامراً تفاؤلاً بالعمارةِ ، ثمَّ يُعدَلُ بهِ لتلكَ الصِّيغةِ .

ولفظُ (سَحَرَ) الذي أردتَ بهِ سَحَرَ يومِكَ ، و(قَطامَ) وما أشبهَهُ ممَّا لا يَنصرِفُ في لغةِ تميم ، ومبنيةٌ على الكسرِ في لغةِ الحجازِ كما سلفَ (١١).

وإذا نُكِّرَتِ الأعلامُ . . صُرِفَتْ ، وكذا إذا صُغِّرَتْ ، ما لم تَخرِجْ إلى نوعٍ آخَرَ مِنْ أنواعِ ما لا يَنصرِفُ ؛ كأعورَ ، إذا صغَّرته . . قلتَ : أُعَيْوِرُ ، فيُوازِنُ : أُبَيْطِرُ .

ويُنوَّنُ مَا لَا يَنصرِفُ لضرورةِ الشَّعرِ ، ويُسمَّى التنوينُ : تنوينَ الضَّرورةِ ، وللتناسبِ ؛ نحوُ : ﴿ سَلَسِلًا وَأَغَلَلاً ﴾ (٢) ، ويُسمَّىٰ : تنوينَ التناسبِ .

وإذا نُوِّنَ ما لا يَنصرِفُ للضَّرورةِ . . خُفِضَ بالكسرةِ .

[تنويةٌ بما مرَّ مِنَ الألفاظِ العاملةِ عملَ الأفعالِ] هاذا ؛ وممَّا سلفَ لكَ عرفتَ أنَّ الألفاظَ العاملةَ عملَ الأفعالِ ؛ مِنَ المصدر

⁽۱) انظر (۱/۳۲۹ ـ ۳۷۰) .

⁽٢) سورة الإنسان : (٤) ، وهي قراءة نافع والكسائي ، بالتنوين في (سلالاً) انظر « النشر في القراءات العشر » (٣٩٤/٢) .

وغيرِهِ . . قد يُضافُ لبعضِ معمولاتِهِ (') ؛ مثلاً : تقولُ : يعجبُني حفظُ زيدٍ لطائفَ الأشعارِ ، بإضافةِ (حفظُ) لـ (زيدٍ) ، وبدونِها ويُنوَّنُ ، وحفظُ لطائفِ الأشعارِ زيدٌ ، وتقولُ : معطٍ عمراً درهماً ، ومُعطىٰ عمرٍو درهماً ، ومُعطىٰ درهم عمراً .

[بعضُ أحكام الصفةِ المُشبَّهةِ]

غيرَ أنَّ للصفةِ المُشبَّهةِ أحكاماً تحتاجُ لتفصيلِها .

وحاصلُهُ: أنَّكَ إذا أجريتَ صفةَ شيءٍ على صاحبِهِ إخباراً بها عنهُ أو نعتاً لهُ بها ؛ نحوُ: زيدٌ حسنُ الوجهِ ، وهوَ رجلٌ سليمُ القلبِ ؛ فالحسنُ والسلامةُ صفتا الوجهِ والقلبِ ، أجريتَهُما على صاحبَيهِما ؛ إخباراً في الأوّلِ ، ونعتاً في الثاني . . فقد نطقتَ بتركيبِ يجوزُ أن يكونَ على صور شتّى .

والضَّبطُ أن تقولَ: إنَّ الصفة: إمَّا أن تكونَ بـ (أل) أو بدونِها ، والضَّبطُ أن تقولَ: إنَّ الصفة بـ (أل) أو بدونِها ، مُضافاً إلى ضميرِ صاحبِهِ أو لا ، واسمُ موضعِ الصفةِ مرفوعٌ أو منصوبٌ أو مخفوضٌ ، فهاذهِ ثمانيَ عشرة صورةً .

منها صورتانِ باطلتانِ ؛ هما : الحسنُ وجهِ ، والحسنُ وجهٍ ، بخفضِ الوجهِ فيهما .

ومنها ثلاثٌ مُمتنِعةٌ في السَّعةِ ؛ وهي : الحسنُ وجهَه ، وحسنٌ وجهَه بالنصب ، وحسنٌ وجههِ بالخفض .

ومنها صورتانِ غيرُ قبيحتَينِ ؛ وهما : الحسنُ الوجهَ ، وحسنٌ الوجهَ ، بالنصبِ فيهِما على التشبيهِ بالمفعولِ بهِ .

⁽١) انظر (٢٦٦/١) .

ومنها صورتانِ قبيحتانِ ؛ وهما : الحسنُ الوجهُ ، وحسنٌ الوجهُ ، بالرفعِ فيهما .

ومنها صورتانِ أقبحُ مِنْ هاتَينِ ؛ وهما : الحسنُ وجهٌ ، وحسنٌ وجهٌ ، بالرفع فيهِما .

ومنها صورةٌ مُتوسِّطةٌ ؛ وهيَ : حسنُ وجهٍ بالجرِّ .

وما عدا ذلك فصيحٌ جيدٌ سائرَ الاستعمالِ ؛ وهي : الحسنُ وجههُ بالرفع ، والحسنُ الوجهِ بجرِّ الإضافةِ ، والحسنُ وجهاً بنصبِ التمييزِ ، الأُولى أصلٌ ، والثِّنتانِ فرعاها ، وحسنٌ وجههُ ، وحسنُ الوجهِ ، وحسنٌ وجهاً كذلك .

ومتى رفعَتِ الصفةُ اسمَ موضعِها . . لم يكنْ فيها ضميرُ صاحبِهِ ، فهيَ تطابقُ اسمَ الموضعِ ؛ تقولُ : هندٌ حسنٌ وجهُها ، وزيدٌ حسنةٌ أخلاقهُ ، ومتى لم ترفعهُ . . كانَتْ مُشتمِلةً على ضميرِ صاحبِهِ ، فهيَ تطابقُهُ ؛ نحوُ : هندٌ الحسنةُ وجهاً والوجهِ ، وزيدٌ حسنٌ أخلاقاً والأخلاقِ .

* * *

بيانُ عواملِ مُعرَبِ الأفعالِ

مُعرَبُ الأفعالِ كما سلفَ لكَ هوَ المضارعُ (١) ؛ فيكونُ مرفوعاً حيثُ يَتجرَّدُ مِنْ ناصبُ ، ومجزوماً إذا دخلَ عليهِ ناصبُ ، ومجزوماً إذا دخلَ عليهِ جازمٌ .

بيانُ نواصبِهِ

هي : (لن) ، والفعلُ معَها لا يكونُ إلَّا مُستقبَلاً ؛ ولذلكَ يُقالُ فيها : إنَّها حرفُ نفي ونصبِ واستقبالٍ .

و(إذاً)، بشرطِ تَصدُّرِها واستقبالِ منصوبِها، واتصالِهِ بها، ولا يَضُرُّ الفصلُ بقسَم أو نداءِ.

و(كي)، مسبوقةً باللَّام وغيرَ مسبوقةٍ.

ول (أن) ثلاثةُ أحوالٍ : وجوبُ ذكرِها ، ووجوبُ حذفِها ، وجوازُ الأمرَينِ .

فيجبُ ذكرُها: إذا تَوسَّطَتْ بينَ اللَّامِ و(لا) ؛ نحوُ: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكَامِ وَلَا) ؛ نحوُ: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِيْرِ فَا اللَّهِ عَلَمَ الْمُلْ

ويجبُ حذفُها: بعدَ لامِ الجُحودِ؛ وهوَ أشدُّ الإنكارِ، وتكونُ مسبوقةً به (ماكانَ) أو (لم يكنُ) مثلاً؛ نحوُ: ﴿ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ (٤) ، وأفادَتِ العبارةُ الجَحدَ بسببِ أنَّهُ قد

⁽١) انظر (٣٣١/١).

⁽٢) سورة الحديد : (٢٩) .

⁽٣) سورة النساء: (١٣٧) .

⁽٤) سورة الأنفال : (٣٣) .

نُفِيَ الفعلُ بنفيِ الاستعدادِ لهُ ؛ فمَنْ يقولُ : ما كنتُ لأكتمَ علماً . . يريدُ : أَنِّي لم أكنْ مُستعِداً لذلكَ ، ولم يكنْ مِنَ الأحوالِ الكونيَّةِ التي تدخلُ تحتَ الاستطاعةِ .

وبعدَ (أو) التي تُفسَّرُ بـ (إلىٰ أن) إذا وقعَتْ بعدَ فعلِ لهُ امتدادٌ وبقاءٌ ، وبد (إلَّا أن) إذا وقعَتْ بعدَ غيرِ مُمتدٍ ؛ نحوُ (١): [من الطويل]

لأَسْتَسْهِلَنَّ ٱلصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ ٱلْمُنَى فَمَا ٱنْقَادَتِ ٱلْآمَالُ إِلَّا لِصَابِرِ

فاستسهالُ الصَّعبِ أمرٌ يَمتدُّ معَ الأزمنةِ ، فتُفسَّرُ (أو) به (إلى أن) .

ونحوُ: لَأَقتلنَّ المُرتدَّ أو يتوبَ ، فالقتلُ ليسَ لهُ امتدادٌ ، فتُفسَّرُ (أو) برالًا أن).

وبعدَ (حتى) الغائيةِ الخافضةِ ، فما بعدَها مستقبلٌ لِمَا قبلَها ، لا الابتدائيةِ التي تفيدُ السببيَّةَ ، وما بعدَها حاليُّ ؛ نحوُ : ﴿ وَكُولُواْ وَاَشْرَبُواْ حَقَىٰ الابتدائيةِ التي تفيدُ السببيَّةَ ، وما بعدَها حاليُّ ؛ نحوُ : ﴿ وَكُولُواْ وَاَشْرَبُواْ حَقَىٰ يَتَبَيِّنَ لَكُمُ ﴾ (٢) ، أي : إلى تبيُّنِ الخيطِ ، والابتدائيةُ كقولِكَ : وأنتَ داخلٌ مَكَّةَ : سرتُ اللَّياليَ ذواتِ العددِ حتَّىٰ أدخلُ مَكَّةَ ؛ أي : فهاأنا ذا أدخلُها .

وبعدَ فاءٍ تفيدُ سببيَّةَ سابقِها للاحقِها ، فتُسمَّىٰ : فاءَ السببيةِ .

وبعدَ واوٍ تفيدُ تَعلُّقَ الحكمِ بالجمع بينَ أمرَينِ ، فتُسمَّىٰ : واوَ المعيَّةِ .

ولا يُستعملانِ إلَّا بعدَ نفي ، أو طلبٍ ؛ مِنْ أمرٍ ، ونهي ، واستفهامٍ ، وتَمنِّ ، وعَرْضِ ، وحَضِّ ؛ كقولِهِ (٣) : [من البسيط]

يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

⁽١) انظر « أوضح المسالك » (١٥٧/٤) .

⁽٢) سورة البقرة : (١٨٧) .

⁽٣) انظر « همع الهوامع » (٣٨٩/٢).

وقولِهِ : لا تُعْنَ بالجفاءِ وتَمدحَ عمراً .

وإذا حذفتَ الفاءَ بعدَ الطَّلبِ . . جزمتَ الفعلَ به (إن) التي يَتضمَّنُ الكلامُ معناها ، مثلاً : تقولُ : أعطني ما سألتُكَ فتجدَني مسارعاً إلى هواكَ ، تَحذِفُ الفاءَ فيصيرُ : أعطني . . تجدْني ، فمعناهُ : إن تعطني .

وهاذهِ الكلماتُ التي هيَ الواوُ والفاءُ و(أو).. هيَ أحرفُ العطفِ، للكنَّ عطفَها يَعتمِدُ ملاحظةَ المعنى ، فالمعطوفُ عليهِ مصدرٌ ملحوظٌ مِنَ الفعلِ السابقِ ؛ فقولُكَ : لأطلبنَّ أو أبلغَ المنى .. تأويلُهُ : ليكنْ منِّي طلبٌ أو بلوغٌ .

ويجوزُ حذفُ (أن) باقيةَ العملِ بعدَ لامِ التعليلِ ، وبعدَ عاطفٍ على السمِ ؛ نحوُ : أزورُكَ لتزورَني ، أو لأن تزورَني ، ونحوُ : [من الوافر]

وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ ٱلشُّفُوفِ ونحوُ: حالُ الفقراءِ وأَبلُغَ المجدَ خيرٌ.

فإذا حذفت (أن) في غيرِ هاذا . . وجبَ رفعُ الفعلِ ، قالَ (١٠) : [من الطويل] أَلَا [أَيُّهَاذَا] ٱلزَّاجِرِي أَحْضُرُ ٱلْوَغَىٰ وَأَنْ أَشْهَدَ ٱللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي أَحْضَرَ ، فحذف ورفعَ .

بيانُ جوازمِهِ

هيَ (لم) ، و(لمَّا) ، و(لا) الناهيةُ ، ولامُ الأمرِ ، و(إن) الشرطيةُ ، وما تَضمَّنَ معناها مِنَ الأسماءِ ، و(إذما) .

ف (لم) تَجزِمُ المضارعَ وتَنفي حصولَهُ في الأوقاتِ الماضيةِ ، فيَخرجُ عن أصلِ وضعِهِ ، ولذلك تَسمعُهُم يقولونَ : (لم) : حرفُ نفي وجزم وقلبٍ .

⁽۱) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٣١) .

وبينَها وبينَ (لمَّا) فرقٌ ؛ وذلكَ : أنَّ (لمَّا) يَنسجِبُ نفيُها على حالِ التكلُّمِ ، ولا تُستعمَلُ إلَّا معَ مُنتظرِ الحصولِ ، فهيَ مقابلةٌ لـ (قد) في الإثباتِ ، مثلاً : تكونُ مُنتظِراً إقامةَ الصلاةِ خارجَ المسجدِ بحيثُ يَسمعُكَ بعضُ مَنْ فيهِ ؛ فتقولُ : هل أقاموا الصلاة ؟ فيجيبُكَ : لمَّا يقيموها ، فإذا أقاموها . أجابَكَ بـ : قد أقاموها ، ولذلك يُقالُ : قد : حرفُ توقُّعِ ؛ أي : تصحَبُ المُتوقَّعَ المُنتظَرَ .

والفعلُ الماضي معَ (إن) في موضعِ جزمٍ ، يَظهرُ ذلكَ في العطفِ عليهِ ؟ تقولُ : إن أرضاكَ زيدٌ ويَسْعَ في أغراضِكَ . . وجبَ إكرامُهُ ؟ لأنَّ الماضيَ إذاً مستقبلٌ في المعنى ، فللماضي حالةُ إعرابِ .

بيانُ التوابع

خمسةُ أشياءَ مِنْ أجزاءِ التركيبِ تُسمَّىٰ: توابع ؛ لأنَّها تكونُ دائماً تابعةً في إعرابِها لِمَا قبلَها ، فيكونُ متبوعاً لها ؛ وهي : النعتُ ، والتوكيدُ ، وعطفُ البيانِ ، وعطفُ النسقِ ، والبدلُ .

[النعتُ وأقسامُهُ]

والنعتُ يَنقسِمُ باعتبارِ الغرضِ منهُ أربعةَ أقسام :

- القسمُ الأوَّلُ: نعتٌ يكونُ الغرضُ منهُ تعيينَ متبوعِهِ وتمييزَهُ عن سائرِ ما عداهُ ؛ فإن كانَ متبوعُهُ نوعاً مِنَ الأنواعِ . . سُمِّيَ النعتُ : مُعرِّفاً ووصفاً كاشفاً ؛ كقولِكَ : الإنسانُ الحيوانُ الناطقُ . . نوعٌ شرَّفَهُ اللهُ تعالى بالعقلِ ، وصَرَّفَهُ فيما على الأرضِ ، فقولُكَ : (الحيوانُ الناطقُ) نعتُ للإنسانِ يُميِّزُهُ عن سائرِ الأنواع ، فهوَ مُعرِّفٌ لهُ ، ووصفٌ كاشفٌ عن حقيقتِهِ .

وهاذا النوعُ مِنَ النعتِ يَصِحُّ أَن تضعَ بينَهُ وبينَ منعوتِهِ كلمةَ (أي)، وهي حرف تفسيرٍ ؛ لكونِ النعتِ مُفسِّراً ومُبيِّناً ومُفصِّلاً لمجملٍ ؛ فتقولُ : الإنسانُ ؛ أي : الحيوانُ الناطقُ .

وضابطُ هاذا: أن يكونَ النعتُ أمراً مُشترَكاً بينَ سائرِ أشخاصِ نوع مُنفرِدةٍ به ؛ بحيثُ يُعيِّنُ جميعَ الأشخاصِ ويُعرِّفُها لِمَنِ اطَّلعَ عليهِ ، ويُميِّزُها مِنْ غيرِها ، والغالبُ فيهِ أن يُؤتى بهِ على صورةِ خبرٍ لمبتدأً هوَ المنعوتُ ، فيُقالُ : الإنسانُ : حيوانٌ ناطقٌ ؛ حيثُ يكونُ الغرضُ مُجرَّدَ التعريفِ .

- القسمُ الثاني: نعتُ يكونُ الغرضُ منهُ تعيينَ شخصٍ أو جماعةِ

511

أشخاص، وتمييزَهُ مِنْ مشاركٍ في اسم، أو في اسمٍ ووصفٍ مثلاً ، ويُسمَّى : نعتاً مُقيِّداً ؛ نحوُ : جاءَني زيدٌ التاجرُ ؛ حيثُ يكونُ في معلومِكَ على ما فهمَ المُتكلِّمُ أشخاصٌ كلُّهُم مُسمَّونَ بزيدٍ ، إلَّا أنَّ زيداً منهُم عالمٌ ، وزيداً آخَرَ تاجرٌ ، وزيداً آخرَ زرَّاعٌ ، فتقولُ : (زيدٌ التاجرُ) تمييزاً لهُ مِنْ مشاركيهِ في الاسم ، مُقيِّداً لهُ بوصفِهِ .

وتقولُ: جاءَني زيدٌ التاجرُ العالمُ ؛ حيثُ يكونُ ثَمَّ زيدٌ تاجرٌ فقطْ ، وزيدٌ عالمٌ فقطْ ، وزيدٌ تاجرٌ عالمٌ ، فيَتعدَّدَ النعتُ بسببِ حاجةِ التمييزِ حتى يَحصُلَ .

- القسمُ الثالثُ: نعتُ يُذكرُ لغرضِ مدحِ منعوتِهِ بفضيلةٍ أو ذَمِّهِ برذيلةٍ ، وإنَّما يكونُ ذلكَ إذا كانَ المنعوتُ مُتعيِّناً مُتميِّزاً بدونِ النعتِ ؛ لأجلِ أن ينصرِفَ ذهنُ المُخاطَبِ إلى أنَّ الغرضَ هوَ المدحُ أوِ الذمُّ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَالْمَرَاتُهُ وَ حَمَّالَةَ الْخَطَبِ ﴾ (١) ، فامرأةُ أبي لهبٍ - أحدِ أعمامِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - معلومٌ أنَّها أُمُّ جميلٍ أختُ أبي جهلٍ ، فلم تكنْ مُفتقِرةً إلى التعيينِ والتمييزِ ، فعلمنا أنَّ ذكرَ (حمالةَ الحطبِ) نعتاً إنَّما هوَ لذمِّها بذلكَ ، والحَطَبُ الذي كانَتْ تَحمِلُهُ هوَ حطبٌ شائكُ ، كانَتْ تَلُمُّهُ ثمَّ تلقيهِ وتُفرِّقُهُ في مسالكِ النبيّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ - تؤذيهِ بذلكَ .

وكقولِكَ : جاءَنا والي البلدِ الهُمامُ .

ونظيرُ ذلكَ : الأوصافُ التي تُذكَرُ للترحُّمِ والتعطُّفِ ؛ نحوُ : اللهُمَّ ؛ إنِّي عبدُكَ المسكينُ الضعيفُ .

⁽١) سورة المسد: (٤).

- القسمُ الرابعُ: نعتُ يُذكَرُ لغرضِ تأكيدِ معنى يَتضمَّنُهُ متبوعُهُ ؛ كقولِهِم : أبعدُ مِنْ أمس الدَّابر ، وأقربُ مِنَ الغدِ المُقبل .

وجميعُ أقسامِ النعتِ تفيدُ معنىً في المتبوعِ ، للكنْ ليسَتْ إفادتُهُ هيَ الغرضَ بتبعيتِهِ دائماً ؛ لما عرفتَ .

[النعتُ الحقيقيُّ والسببيُّ]

ويَنقسِم باعتبارِ كونِهِ صفةً لمتبوعِهِ ، أو صفةً لشيءٍ مِنْ مُتعلَّقاتِ متبوعِهِ إلى قسمَين :

القسمُ الأوَّلُ: يُسمَّىٰ: نعتاً حقيقيّاً.

القسمُ الثاني : يُسمَّىٰ : نعتاً سببيّاً ؛ لأنَّ وصفَ الغيرِ إنَّما جُعِلَ وصفاً للمنعوتِ . للمنعوتِ في الكلامِ بسببِ كونِ صاحبِ الوصفِ مُنتسِباً ومُرتبِطاً بالمنعوتِ .

فَالْأَوَّلُ: كَقُولِكَ: زيدٌ العالمُ ، فالعِلْمُ صفةُ زيدٍ حقيقةً .

والثاني: كقولِكَ: زيدٌ العالمُ أبوهُ ، فالعِلْمُ صفةٌ للأبِ ، ونُعِتَ بها زيدٌ لكونِ الأبِ مِنْ مُتعلَّقاتِ زيدٍ ، فليسَ العِلْمُ صفةَ زيدٍ ، بل صفةُ أبيهِ ، للكنْ مِنْ حيثُ كونُهُ عالمَ الأبِ .

وللأوَّلِ حكمٌ: وهوَ أنَّه يجبُ أن يكونَ موافقاً لمتبوعِهِ في إعرابِهِ رفعاً ونصباً وجرّاً ، وفي تعريفِهِ وتنكيرِهِ ، وفي إفرادِهِ وتثنيتِهِ وجمعِهِ ، وفي تذكيرِهِ وتأنيثِهِ .

ومِنْ هنا سُمِّيَ: تابعاً ؛ فلا تُوصَفُ معرفةٌ بنكرةٍ ، ولا بالعكسِ ، ولا مُفرَدٌ بغيرِهِ ؛ فتقولُ : زيدٌ الفاضلُ ، ورجلٌ صالحٌ ، والزيدانِ الفاضلانِ ، ورجلانِ فاضلانِ ، والزيدونَ الفاضلونَ ، ورجالٌ فُضَلاءُ ، وهندٌ الفاضلةُ ، وامرأةٌ فاضلةٌ . . . إلى غير ذلك .

فيُقالُ فيهِ : إنَّهُ يتبعُ منعوتَهُ في أربعةِ أشياءَ مِنْ عشرةٍ ؛ هيَ : الرفعُ والنصبُ والجرُّ ، والتعريفُ والتنكيرُ ، والإفرادُ والتثنيةُ والجمعُ ، والتذكيرُ والتأنيثُ .

وللثاني حكمٌ: وهوَ [أنَّهُ] يجبُ أن يوافقَ متبوعَهُ في إعرابِهِ ، وفي تعريفِهِ وتنكيرِهِ فقطْ ، وأمَّا تذكيرُهُ وتأنيثُهُ ، وإفرادُهُ وتثنيتُهُ وجمعُهُ . . فبحسبِ ما بعدَهُ ؛ وهوَ صاحبُ الوصفِ المذكورِ حقيقةً ، فيُقالُ : إنَّهُ تابعٌ لمنعوتِهِ في شيئينِ مِنْ خمسةٍ ؛ هيَ : الرفعُ والنصبُ والجرُّ ، والتعريفُ والتنكيرُ ؛ فتقولُ : زيدٌ القائمةُ أُمُّهُ ، وهندٌ القائمُ أبوها ، ورجلٌ ذاهبةٌ جاريتُهُ .

ولكونِ الوصفِ الرافعِ للفاعلِ أو نائبِهِ في الحقيقةِ فعلاً . تُجرِّدُهُ مِنْ علامتَيِ التثنيةِ والجمعِ وإنِ اكتنفَتْهُ التثنيةُ ، مثلاً : تقولُ : رأيتُ الزيدَينِ الكاتبَ أبواهما ، فلا تقلِ : الكاتبَينِ ، ولا اللَّذين يكتبُ أبواهما ، فلا تقلِ : الكاتبَينِ ، ولا اللَّذين يكتبانِ .

للكنْ إنَّما يجبُ إتباعُ النعتِ منعوتَهُ في إعرابِهِ إذا لم يَتعيَّنْ بدونِ النعتِ ، فإذا تَعيَّنَ بدونِهِ . . جازَ لكَ الإتباعُ ، وجازَ لكَ قطعُ النعتِ بإعرابِ وحدَهُ تَجعلُهُ بذلكَ جملةً مُستقِلَةً مُشتمِلةً على ذكرِ وصفٍ مِنْ أوصافِ شيءٍ سبقَ في جملةٍ أخرى .

وإذا كانَ الغرضُ المدحَ أو البذمَّ أو الترحُّم .. وجبَ حذفُ صدرِ الجملةِ التي فيها الوصفُ ؛ كقولِكَ : جاءَني زيدٌ السَّهلَ الطِّباعِ ، الحميدَ الخصالِ ، بنصبِ (السهلَ) و(الحميدَ) على نيَّةِ (أذكرُ السَّهلَ وأمدحُهُ) ، وكقولِكَ : رأيتُ زيداً المِسكينُ ؛ ترحُّماً ، أو الخبيثُ الشقيُّ ؛ ذمّاً ، على تقديرِ : هوَ ؛ فمِنْ (أذكرُ . . .) إلىٰ آخِرِهِ ، ومِنْ (هوَ . . .) إلىٰ آخِرِهِ . . جملةٌ مُستقِلَةٌ حُذِفَ منها الفعلُ والفاعلُ أو المبتدأُ ذُكِرَتْ لغرضِ المدحِ أو الذمّ

٤٨٤

أوِ الترحُّمِ ، وإذا لم يكنِ الغرضُ ذلكَ . . لم يجبْ حذفُ صدرِ الجملةِ ؛ كما تقولُ : زارَني اليومَ أميرُ البلدِ المُتصرِّفُ في أمورِ الناسِ وأنفسِهِم ، مُخاطِباً مَنْ يَجترِئُ عليكَ ؛ تريدُ بذلكَ التهويلَ عليهِ وإزاحةَ غفلتِهِ ، فلكَ أن تذكرَ صدرَ الجملةِ ، فتقولَ : أعني المُتصرِّفَ ، أو هوَ المُتصرِّفُ .

[انقسامُ النعتِ إلى مفردٍ وجملةٍ]

ويَنقسِمُ إلى مُفرَدٍ وجملةٍ ، للكنْ لا يُوصَفُ بالجملِ إلَّا النكرة ؛ فلو وقعَتْ جملُ الأوصافِ بعدَ المعارفِ . . أعرِبَتْ أحوالاً ، وإذا وقعَتْ بعدَ معرفةٍ فيها تنكيرٌ أو نكرةٍ مُخصَّصَةٍ . . جازَ لكَ الأمرانِ ؛ كقولِكَ : جاءَني رجلٌ فيها ألعِلْمَ ؛ فجملةُ (يَقرأُ) صفةٌ لـ (رجلٌ) النكرةِ ، وجاءَني زيدٌ يَتكلَّمُ بما يُعجِبُ ، فـ (يَتكلَّمُ) حالٌ مِنْ (زيدٌ) المعرفةِ .

وكقولِكَ : ادخلِ السُّوقَ يُباعُ فيهِ اللَّحمُ فاشترِ كذا ؛ حيثُ لم يكنْ بينَكَ وبينَ مُخاطَبِكَ معهوديةُ سُوقٍ بعينِهِ ، بلِ الغرضُ مِنَ التعريفِ الإشارةُ إلى الماهيةِ المُتعيِّنةِ المُتحقِّقةِ في آحادِها ، فمعناهُ : ادخلْ واحداً مِنْ تلكَ الآحادِ المتساويةِ الأقدامِ في استحقاقِ اسمِ السُّوقِ ، فهوَ معرفةٌ في اللَّفظِ ، نكرةٌ في المعنى ، فإن راعيتَ اللَّفظَ . . جعلتَ الجملةَ حالاً ، وإن راعيتَ المعنى . . جعلتَها صفةً .

وكقولِكَ: رأيتُ رجلاً صالحاً يأمرُ بالمعروفِ وينهى عنِ المنكرِ ، ف (رجلاً) نكرةٌ مُخصَّصةٌ بالصفةِ ، فلكَ في الجملةِ أن تجعلَها صفةً ثانيةً ، فيكونَ التقديرُ: رجلاً صالحاً آمراً ناهياً ؛ أي : جامعاً بينَ الأوصافِ الثلاثةِ ، وأن تجعلَها حالاً ، فيكونَ المعنى : رأيتُ رجلاً مُتَّصِفاً بالصَّلاحِ في حالِ أمرِهِ ونهيهِ .

وإن تَعدَّدَ النعتُ لمُتعدِّدٍ ؛ فإن كانَ النعتُ أوصافاً متخالفةً . . وجبَ ذكرُ كلِّ نعتٍ على حِدَةٍ بعطفِ اللَّاحقِ على السابقِ ؛ كقولِكَ : جاءَني الزيدونَ العالمُ والتاجرُ والصانعُ .

وإن كانَتْ مِنْ جنسٍ . . ثَنَّيتَ وجمعتَ ؛ فتقولُ : الزيدانِ الفاضلانِ ، والزيدونَ الفاضلونَ ، والهنداتُ الفاضلاتُ .

وإذا تَفرَّقَ المنعوتُ بهاذا النعتِ في جملتَينِ ؛ فإنِ اتفقَ عاملاهُما لفظاً ومعنى . . جازَ لكَ الإتباعُ ، وجازَ لكَ القطعُ بشرطِهِ ؛ نحوُ : جاءَني زيدٌ وجاءَني عمروٌ العالمانِ ؛ بالإتباعِ ، [والعالمَينِ] ؛ بالقطعِ ، على تقديرِ : اذكرِ العالمَينِ .

فإنِ اختلفَ العاملانِ لفظاً ؛ نحوُ : جاءَ وأتى ، أو معنىً ؛ نحوُ : تَكلَّمَ ؛ أي : نحوُ : تَكلَّمَ فأفصحَ أي : نطقَ ، وتَكلَّمَ ؛ أي : تَجرَّحَ . . وجبَ القطعُ ؛ كقولِكَ : تَكلَّمَ فأفصحَ زيدٌ وتَكلَّمَ فسالَ دمُهُ عمرٌ و الشُّجاعَينِ ، وجاءَ زيدٌ وأتى عمرٌ و الفاضلينِ ، كما إذا كانَ أحدُ المنعوتينِ مرفوعاً والآخَرُ منصوباً مثلاً ؛ لتعذُّر الإتباع إذاً .

وما سمعتَ في تَعدُّدِ الخبرِ تُجريهِ بعينِهِ في الحالِ وفي النعتِ ؛ حيثُ كانَ الغرضُ العامُّ في الأنواعِ الثلاثةِ هوَ إثباتَ الأوصافِ ونسبتَها إلى موصوفاتِها ، بيدَ أنَّ اختلافَ الأغراضِ الخاصَّةِ أوجبَ اختلافَ الكيفياتِ والمغايرةَ بينَ الألقابِ ، فكما تقولُ : هلذا الرُّمَّانُ حُلْوٌ حامضٌ ، أو لا حُلْوٌ ولا حامضٌ . . . إلى آخِرهِ ؛ تقولُ : آكلُ الرُّمَّانَ حُلْواً حامضاً ، واشتريتُ فرساً أبيضَ أسودَ . .

وقد جاءَ الإخبارُ والنعتُ والتقييدُ الحاليُّ بالمصدرِ ؛ مبالغةً في تَحقُّقِ الوصفِ للموصوفِ ؛ نحوُ : هنذا الرجلُ صِدْقٌ ، وهنذانِ الرجلانِ عَدْلٌ ؛ بإفرادِ المصدرِ وتذكيرِهِ ، على معنى : أنَّهُ تَكوَّنَ من العدلِ ، وليسَ شيئاً آخَرَ وراءَهُ .

قالَتِ الخنساءُ في صفةِ ناقةٍ فقدَتْ ولدَها ، فهيَ لا تزالُ تُقبِلُ وتُدبِرُ في البسيط] البحثِ عنهُ (١):

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ

وليسَ على التأويلِ ، ولا تقديرِ مُضافِ كما قيلَ ؛ إذ هوَ خروجٌ عنِ الغرضِ ، ولعلَّ حكمَ النحويِّينَ بشذوذِ وقوعِ المصدرِ حالاً . . مِنْ جهةِ إحداثِهِ كيفيَّةً في التركيبِ ، وإلَّا . . فهوَ مجازٌ سائغٌ مسموعُ نوعِ العلاقةِ ، كما هوَ شرطُ المَجازِ على ما أوضحَ أهلُ البيانِ .

[أحكامٌ متفرقةٌ للنعتِ والمنعوتِ]

ولا يَتقدَّمُ النعتُ على المنعوتِ ؛ فإذا تَقدَّمَ نعتُ النكرةِ . . جُعِلَ حالاً ، وإذا تَقدَّمَ نعتُ المعرفةِ . . جُعِلَ المنعوتُ عطفَ بيانٍ ، وخرجَ إذاً عن كونِهِ نعتاً .

ولا يُفصَلُ بينَ النعتِ والمنعوتِ بأجنبيِّ عنهُما ؛ نحوُ : إنَّ رجلاً على أبيهِ مُجترِئاً ، ولأُمِّهِ مُهيناً . . لَرجلُ سَوءٍ ، وإنَّ مُكرِماً أباهُ راحماً لهُ ، بارًا بأُمِّهِ . . لَرجلُ خيرٍ وبرِّ .

فنحوُ قولِكَ : قراءةُ زيدٍ لا تعجبُني الدَّرْجُ . . لا يَصِحُ ، بل يجبُ : قراءةُ زيدٍ الدَّرْجُ لا تعجبُني ؛ لأنَّ خبرَ المبتدأُ ليسَ مُتعلِّقاً بمعنى المصدرِ ، فهوَ أجنبيٌّ مِنَ النعتِ والمنعوتِ .

⁽١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٣) ، وهو عجز بيت ، والبيت بتمامه : تَـرْنَـعُ مَـا رَتَـعَـتْ حَتَّـىٰ إِذَا ٱذَّكَــرَتْ فَــإنَّــمَــا هِــــىَ إِقْــبَــالٌ وَإِذْبَـــــارُ

ويَكثُرُ حذفُ المنعوتِ ، فيقومُ النعتُ مَقامَهُ ، وربَّما التُزِمَ حيثُ اشتَهرَتِ الصفةُ لموصوفِها ، كما في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَمَلَنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسُرٍ ﴾ (١) ؛ أي : سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ ومساميرَ ، فلا تَذكُرُ الموصوفَ في مثلِهِ ، وكقولِهِ : ﴿ أَنِ ٱعْمَلُ سَلِعَاتٍ ﴾ (٢) ؛ أي : دُروعاً سابغاتٍ .

وها هنا نكتةٌ بلاغيَّةٌ ؛ وهي الاقتصارُ في العبارةِ على موضعِ العجبِ ؛ كأنَّ الكلامَ يناديكَ : انظرْ أيُّها الإنسانُ هداية مولاكَ الذي ألهمَكَ هاذهِ الأعمالَ حتى استخرجتَ مِنَ الخشبِ والحديدِ هاذا الشكلَ الذي سلكتَ بهِ البحورَ كما تسلكُ في البرورِ ، وكيفَ وصلتَ إلى إلانةِ الحديدِ حتى صارَ كشمع تُصوِّرُ منهُ ما شئتَ ، وتعملُ منهُ ما تعملُ مِنَ الكَتَّانِ وشبهِهِ ثياباً سابغةً تقيكً البأسَ ، فلو قالَ : (سفينةٍ) و(دروعاً) . . لمضى الذِّهنُ وما اعتادَ ، فلم يَتأمَّلُ في حُسْنِ صنع اللهِ الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ ، وفي كلِّ شيءٍ عجبٌ .

ولا يُحذَفُ منعوتُ الجملةِ إلَّا إذا كانَ بعضاً مِنْ مجرورٍ به (مِنْ) أو (في) ، نحوُ: القومُ منهُم ظَعَنَ ومنهُم أقامَ ؛ أي: منهُم فريقٌ ظَعَنَ ومنهُم فريقٌ أقامَ ، والناسُ فيهِمُ اجتهدَ في تحصيلِ العِلْمِ ، وفيهِم كَسِلَ واتبعَ الهوىٰ ؛ أي: فيهِم جمعٌ اجتهدَ وجمعٌ كَسِلَ .

ويَقِلُّ حذفُ النعتِ ؛ نحوُ : رأيتُ زيداً الصالحَ وعمراً ومِنَ العجبِ المتعاعُهُما ؛ تريدُ وعمراً الفاسقَ ؛ بدلالةِ الحالِ وإشعارِ المَقالِ .

⁽١) سورة القمر: (١٣).

⁽٢) سورة سبأ: (١١).

التوكيدُ

لفظٌ يُذكَرُ بعدَ ذكرِهِ أُوَّلاً ، ويُسمَّىٰ : توكيداً لفظيّاً ؛ كقولِكَ : قامَ قامَ زيدٌ ، في تأكيدِ المحكومِ عليهِ ، وكقولِكَ : قامَ زيدٌ زيدٌ ، في توكيدِ المحكومِ عليهِ ، وكقولِكَ : قامَ زيدٌ قامَ زيدٌ قامَ زيدٌ ، في توكيدِ الحكم .

وتوكيدُ الضَّمائرِ المُنفصِلةِ بإعادةِ ألفاظِها ؛ نحوُ : (أنتَ أنتَ) في قولِهِ : [من الكامل]

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يُبَاعُ بِدِرْهَمِ وَكَفَاكَ شَاهِدُ مَنْظَرِي عَنْ مَخْبَرِي إِلَّا صَبَابَةُ مَاءِ وَجُهِ صُنْتُهَا مِنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَنْتَ أَنْتَ ٱلْمُشْتَرِي

ونحنُ نحنُ السَّاعونَ في حاجتِكَ ، وإيَّاكَ إيَّاكَ قصدتُ .

والضَّمائرُ المُتصِلةُ تُؤكَّدُ بإعادةِ ألفاظِها معَ ما اتصلَتْ بهِ ؛ نحوُ : أكرمتُ أكرمتُ زيداً ، ولهُ لهُ تَوجَّهتُ .

أو بضميرِ رفعٍ مُنفصِلٍ ؛ نحوُ : كنتَ أنتَ ، وكنَّا نحنُ ، وإنَّا نحنُ ، وإنِّي أنا .

وحيثُ يُؤكَّدُ منصوباً أو مخفوضاً . . فهوَ مِنْ وضعِ ضميرٍ مكانَ ضميرِ .

ولا يُؤكَّدُ مِنَ الحروفِ إلَّا أحرفُ الجوابِ ؛ كقولِهِ ('': [من مجزوء الرجز] نَعَمْ مَحَّفْتُ هُمْ صِدْقَ [ٱلْوَلَا] تَصطَوُّلَا فَلَا عَمْ مَحَفْ اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا مَصلَا وَقَا وَلَا وَلَا مَصلَا وَقَا وَلَا وَلَا مَصلَا وَقَا وَلَا وَلَا مَا وَلَا عَمْ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَا عَمْ اللهُ ال

⁽¹⁾ انظر « خلاصة الأثر » للمحبي (200).

وبقيةُ الحروفِ تُعادُ معَ ما اتصلَتْ بهِ ؛ نحوُ: لزيدٍ لزيدٍ قصدتُ ، وقولُهُ (١):

فَلَا وَٱللهِ لَا يُلْفَىٰ لِمَا بِي وَلَا لِلِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاءُ وقولُهُ (٢):

لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاثِقاً وَعُهُودَا مِنَ الشُّذوذِ بمكانٍ.

[التوكيدُ المعنويُّ وألفاظهُ]

أو لفظُ مخصوصٌ يلاقي لفظاً ذُكِرَ أَوَّلاً في المعنى ، ويُسمَّىٰ : توكيداً معنوياً .

وألفاظُهُ: النفسُ، والعينُ، وكلا، وكلتا، وكلُّ ، وأجمعُ ، وجمعاءُ ، وأجمعونَ ، وجُمَعٌ ؛ نحوُ: جاءَ زيدٌ نفسهُ ، ومررتُ بعمرو عينِهِ ، وجاءَ الزيدونَ أنفسهُم ، ورأيتُ العَمْرِينَ أنفسهُم ، ومررت بهندٍ عينِها ، وبالهنداتِ أعينِهِنَ ، وجاءَ الزيدانِ أنفسهُما أو أعينُهُما ؛ بجمعِ التأكيدِ ، وهوَ الأفصحُ ، ويجوزُ: الزيدانِ نفساهُما وعيناهُما بالتثنيةِ ، ونفسُهُما وعينُهُما بالإفرادِ .

ولا بدَّ مِنِ اتصالِ النفسِ والعينِ بضميرِ المُؤكَّدِ المُطابِقِ لهُ تذكيراً وتأنيثاً ، وإفراداً وتثنيةً وجمعاً ، كما رأيتَ ، ولكَ أن تُدخِلَ باءً على النفسِ والعينِ ، فتقولَ : جاءَ والعينِ ، فتقولَ : جاءَ الزيدانِ كلاهُما ، والهِندانِ كلتاهُما ، ورأيتُ الزيدَينِ كليهِما ، ومررتُ بهِما كليهما ، وهاكذا .

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٣٠٨/٢) .

⁽٢) انظر « خزانة الأدب » (١٥٩/٥) .

وتقولُ : جاءَ الرجالُ كلُّهُم وأجمعُ ، والنساءُ جمعاءُ وجُمَعُ ، والأحسنُ أن تكونَ بعدَ (كلِّ) .

ولا بدَّ مِنِ اتصالِ (كلِّ) و(كلا) و(كلتا) بالضَّميرِ المُطابِق .

ولا تُؤكَّدُ نكرةٌ إلَّا إذا كانَتْ محدودةً بطرفَينِ ، فتُؤكَّدُ لإفادةِ الشُّمولِ ؟ نحوُ : انتظرتُكَ يوماً أجمعَ .

والغرضُ مِنَ التوكيدِ: دفعُ توهُم مُخاطَبِكَ أنَّكَ سهوتَ أو غلطتَ أو تَجوَّزتَ عن شيء بذكرِ مُتعلَّقِهِ ؛ إذ يجوزُ أن تقولَ: جاءَني زيدٌ ، وكنتَ تريدُ أن تقولَ: جاءَني عمرُو ، فسهوتَ أو غلطتَ ، وتقولُ: هاذا كتابُكَ ؛ لنسخةٍ نُقِلَتْ منهُ تَجوُّزاً ، ولذلكَ تقولُ: هاذا كتابُكَ بعينِهِ .

وللتوكيدِ أغراضٌ أُخَرُ ، موضعُ شرحِها عِلْمُ المعاني كما ستقفُ عليهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ (١).

فاللفظُ المُؤكِّدُ يكونُ تابعاً لمُؤكَّدِهِ في إعرابِهِ رفعاً ونصباً وجرّاً وجزماً والله في إعرابِهِ رفعاً ونصباً وجرّاً وجزماً إن كانَ مُؤكَّدُهُ مُعرَباً ، وما سوى النَّفْسِ والعينِ لتوكيدِ الإحاطةِ والشُّمولِ وعمومِ الحُكْمِ ، وقد أكَّدوا بلفظِ (عامَّةٍ) فقالوا: جاءَ القومُ عامَّتُهُم ، وأكَّدوا بر جميعاً) و(طرّاً) و(قاطبةً) و(كافةً) منصوباتٍ على الحالِ .

* * *

⁽١) انظر (٦٨/٢).

عطف البيان

اسمٌ ، فيهِ خصوصٌ ، يُذكَرُ بعدَ اسمٍ يَعُمُّ معنى الاسمِ الذي تذكرُهُ بياناً وغيرِهِ ، فيكونُ مُبيّناً لخصوصِ مُرادِكَ مِنَ العامّ .

فالبيانُ: إمَّا شخصٌ مِنْ أشخاصِ اشتملَ عليها الأوَّلُ ، أو جنسٌ مِنْ أجناسٍ كذٰلكَ ، فيكونُ المعطوفُ والمعطوفُ عليهِ نكرتينِ ؛ نحوُ: ﴿ مِن شَجَرَةٍ [مُّبَرَكَةٍ] نَيْتُونَةٍ ﴾ (١) ، وجاءَني اليومَ إنسانٌ رجلٌ ، أو إنسانٌ امرأةٌ ، ومعرفتينِ ؛ نحوُ: قَدِمَ صديقُكَ خالدٌ .

ومِنْ عطفِ البيانِ: الاسمُ الواقعُ بعدَ اسمِ الإشارةِ ، المُبيِّنُ جنسَ المُشارِ المُشارِ المُشارِ المُشارِ المُشارِ المُشارِ اللهِ حيثُ يكونُ اشتباهٌ ، كما إذا كانَ بينَ يدَيكَ كتابٌ وقلمٌ ؛ فتقولُ : خذْ هاذا الكتابَ ، أو خذْ هاذا القلمَ .

ومنه : الأسماء والألقاب الواقعة بعد الكنى ؛ نحو : أبو حفص عمر ، وأبو يزيد معاوية ، وأبو الحسن عليٌ ؛ فلولا ما تَذكُرُ مِنَ البيانِ . . لم يُعرَفْ مرادُكَ ؛ لعموم الاسم الأوَّلِ وشمولِهِ للبيانِ وغيرِهِ .

وكلُّ موصوفٍ قَدَّمتَ عليه صفتَهُ . . صارَ عطفَ بيانٍ ؛ فلو قلتَ : رأيتُ زيداً التاجرَ . . كانَ لفظُ (التاجرَ) صفةً ، فإذا قلتَ : رأيتُ التاجرَ زيداً . . كانَ عطفَ بيانِ .

[حرفانِ للتفسيرِ]

ويُستعمَلُ عطفُ البيانِ بكلمةِ (أي) التفسيريةِ فاصلةً بينَهُ وبينَ المعطوفِ عليهِ ، وبدونِها ؛ تقولُ : عندَ زيدٍ عسجدٌ ؛ أي : ذهبٌ ، وهاذا هوَ الغضنفرُ ؛

⁽١) سورة النور : (٣٥) .

أي : الأسدُ ، أو : عسجدٌ ذهبٌ ، والغضنفرُ الأسدُ ، وتُسمَّىٰ (أي) حرفَ عطفٍ بيانيٍّ ، فعطفُ البيانِ تابعٌ للمعطوفِ عليهِ مُبيِّنُهُ في إعرابِهِ وتعريفِهِ وتنكيرهِ .

وهنالكَ للتفسيرِ والبيانِ حرفٌ آخَرُ بمنزلةِ (أي) غيرَ أنَّهُ في موضعِهِ لازمٌ لا يَسوغُ حذفُهُ ؛ وهوَ (أنِ) التفسيريةُ ، ولا تقعُ إلَّا بينَ جملةٍ مُفسِّرةٍ ومُفرَدٍ مُفسَّرٍ يُذكَرُ ويُحذَفُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنِ اصْنَعِ ٱلْفُلُكَ ﴾ (١) ، وقولِهِ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ ٱلْفُلُكَ ﴾ (١) ، فللتفسيرِ حرفانِ .

* * *

⁽١) سورة طله : (٣٨ ـ ٣٩) .

⁽٢) سورة المؤمنون : (٢٧) ، والذي في كتب النحو : أنَّ الجملة المُفسِّرة هي المسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه . انظر « شرح الأشموني على ألفية ابن مالك » (٢٨٥/٣) .

عطف النسق

هوَ تابعٌ بواسطةِ حرفٍ ، يجعلُ الكلمتَينِ شبهَ خرزتَينِ مُنتسِقتَينِ ؛ أي : منتظمتَين .

وأحرفُهُ المُتفَقُ عليها: تسعةٌ ؛ وهي : (الفاءُ ، وثُمَّ ، والواوُ ، وحتى ، وأو ، ولكن ، ولا ، وبل) .

وهاذه الأحرفُ وإن سبقَ القولُ فيها لا بأسَ بالتكلُّمِ عليها في هاذا الموضعِ ؛ لتكونَ على ثقةٍ مِنْ كيفيةِ استعمالِها وحفظِ أحكامِها ؛ فنقولُ :

الكلامُ على (الفاءِ)

الفاءُ: إن عطفَتْ ما لهُ إعرابٌ على ما لهُ إعرابٌ ؛ بأن عطفَتْ مفرداً على مفردٍ على جملةٍ مثلِها . . شَرَّكَتْ على مفردٍ على جملةٍ مثلِها . . شَرَّكَتْ بينَهُما في الحكمِ والإعرابِ ، معَ إفادةِ الاتصالِ الزمانِيّ ، وترتيبِ اللاحقِ معَ السابقِ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ فعمرٌو . . فمعناهُ : أنَّ زيداً وعمراً اشتركا في المجيءِ ، ومجيءَ عمرٍو واقعٌ بعدَ مجيءِ زيدٍ على الفورِ ، ولذلك يُقالُ : الفاءُ للترتيبِ والتعقيب .

وإذا قلتَ : زيدٌ يَحضرُ أبوهُ فيسافرُ أخوهُ . . فجملةُ (يسافرُ أخوهُ) وجملةُ (يسافرُ أخوهُ) وجملةُ (يحضرُ أبوهُ) واقعتانِ موقعَ مفردَينِ ؟ لكونِهِما خبراً لمبتدأً ؟ فالمعنى : زيدٌ حاضرٌ أبوهُ فمسافرٌ أخوهُ ، فأفادَتِ الفاءُ الاشتراكَ والتعقيبَ والترتيبَ .

وإذا عطفَتْ ما لا إعرابَ لهُ على مثلِهِ ؛ بأن عطفَتْ جملةً ليسَتْ واقعةً

موقعَ مفردٍ على مثلِها . . أفادَتِ اشتراكَهُما في الحصولِ والترتيبِ والتعقيبِ ، وفي عطفِ الجملِ ربَّما أُفيدَ بها سببيةُ السابقِ لِلَّاحقِ ؛ تقولُ : جاءَ زيدٌ فذهبَ عمرٌو .

الكلامُ علىٰ (ثمَّ)

ثمَّ: كالفاءِ في التشريكِ والترتيبِ وعطفِ المفرداتِ والجملِ ، إلَّا أَنَّها تفيدُ المهلةَ والتراخيَ ، وتَلحَقُها التاءُ ؛ فيُقالُ : ثُمَّتَ ، وإذاً تَختصُّ بعطفِ الجمل .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ ثمَّ عمرٌو . . فمعناهُ : أنَّ زيداً وعمراً اشتركا في المجيءِ ، وأنَّ مجيءَ عمرو بعدَ مجيءِ زيدٍ ، وللكنْ بينَ المجيئينِ مُدَّةٌ طالَتْ أو قَصُرَتْ ، بحيثُ لا يَحكُمُ العُرْفُ معَها باتصالِهِما .

الكلامُ على (الواو)

الواوُ: لإفادةِ الاشتراكِ مطلقاً عنِ التقييدِ بترتيبٍ واتصالٍ أو تراخٍ ؟ فأيُّ واحدٍ حَصَلَ ولم يكنِ الغرضُ إفادتَهُ بخصوصِهِ . . تُستعمَلُ فيهِ الواوُ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ وعمرُو . . فمعناهُ : أنَّهُما اشتركا في المجيءِ فقطْ ، ثمَّ تارةً يكونانِ جاءا معاً ، أو مُرتَّباً باتصالٍ ، وبدونِهِ ، فالعاطفُ بالواوِ غيرُ مُتعرِّضِ لشيءٍ مِنْ ذلكَ .

وتَعطِفُ الواوُ المفرداتِ والجملَ على ما سبقَ في الفاءِ.

ولكونِ هاذهِ الأحرفِ الثلاثةِ مُشرِّكةً جامعةً بينَ الشيئينِ إذا وقعَتْ بينَ جملتَينِ . . جعلَتْهُما جملةً واحدةً ؛ بحيثُ متى وقعتا في المواضعِ المحتاجةِ للربطِ . . كفى وجودُ الرابطِ في المعطوفةِ ، كما إذا وقعتا صلةً أو صفةً أو حالاً

أو خبراً ؛ كقولِكَ : (الذي أفرحُ فيفرحُ . . زيدٌ) ، فجملةُ (أفرحُ) ليسَ فيها ضميرٌ يعودُ على (الذي) ، ولا محذورَ في ذلكَ ؛ لأنّها ليسَتْ صلةً مُستقِلّةً ، بل جزءُ صلةٍ ؛ لأنّ الفاءَ جعلَتْها وجملةَ (يفرحُ) المُشتمِلةَ على ضميرِ الموصولِ العائدِ الذي لا بدّ منهُ لربطِ الصلةِ بالموصولِ جملةً واحدةً ، فيكونُ المعنى : الذي يعقبُ فرحي ويتسبّبُ عنهُ . . زيدٌ ، فأنتَ ترى بتبيينِ المعنى أنّ الجملتينِ صارتا جملةً واحدةً .

وكذا البيانُ في نحوِ قولِكَ : رأيتُ رجلاً يفرحُ زيدٌ فيغضبُ ، وقولِكَ : رأيتُ رجلاً يفرحُ زيدٌ فيغضبُ ، وقولِكَ : رأيتُ زيدً يشتدُ الحربُ فيزدادُ إقداماً ، وكقولِكَ : زيدٌ يجيءُ عمرٌو ويذهبُ ، وكقولِكَ : زيدٌ يجيءُ عمرٌو ويذهبُ ، والبيانُ . . البيانُ .

ولكونِ الواوِ لا تفيدُ تعقيباً ولا ترتيباً ، فتُستعمَلُ في اشتراكِ المعيَّةِ والمصاحبةِ . . اختَصَّتْ بالعطفِ معَ الأفعالِ التي لا تَحصُلُ إلَّا مِنْ مُتعدِّدٍ ؟ نحوُ : اصطفَّ زيدٌ وعمرٌو ، واختصمَ بكرٌ وخالدٌ ، وتَشاجرَ هاذا وذاكَ ، ومِنْ ثمَّ اختَصَّتْ بالوقوع بعدَ (بينَ) نحوُ : اجلسْ بينَ زيدٍ وعمرٍو .

الكلامُ علىٰ (حتىٰ)

حتى : كالواوِ في إفادةِ اشتراكِ الشيئينِ ، لكنْ لا تَعطِفُ إلَّا اسماً ظاهراً يكونُ بعضاً مِنَ المعطوفِ عليهِ أو بمنزلةِ بعضِهِ .

ولا بدَّ أن يكونَ بينَ أبعاضِ المعطوفِ عليهِ تَرتُّبُ عقليٌّ في الوجودِ أوِ الشرفِ والخِسَّةِ ؛ ليكونَ المعطوفُ ب (حتى) غايةً للمعطوفِ عليهِ ؛ كقولِكَ : سرتُ الليلةَ حتى آخِرَها ؛ فالليلةُ ذاتُ أجزاءٍ تَرتَّبَتْ عقلاً في الوجودِ ، والآخِرُ بعضُها وغايتُها ، فمعناهُ : سرتُ الليلةَ وآخِرَها أيضاً .

وكقولِكَ : ماتَ الناسُ حتَّى الأنبياءُ ؛ فالناسُ أشخاصٌ مُرتَّبةٌ في الشرفِ ، والأنبياءُ غايتُهُم فيهِ .

وكقولِكَ : قَدِمَ الحُجَّاجُ حتَّى المُشاةُ ، وأعجبَتْني الجاريةُ حتَّى حديثُها ؟ فالحديثُ ليسَ بعضَ الجاريةِ ، للكنَّهُ بمنزلتِهِ ؛ لشِدَّةِ الاتصالِ .

وما بعدَ حتَّىٰ مُشارِكٌ ما قبلَها في الحكم كما رأيتَ .

الكلامُ علىٰ (أو)

أو: لإفادةِ أحدِ الأمرَينِ.

فإذا قلت : جاء زيدٌ أو عمرٌو . . فمعناهُ : أنَّ أحدَ الشخصَينِ ثبتَ لهُ المجيءُ ، ولم يجتمعا فيهِ .

فإذا وقعَتْ بينَ أمرَينِ لا يَجتمِعانِ عقلاً أو شرعاً . سُمِّيَتْ : (أو التخييرية) لكونِها للتخيير بينَ الشيئينِ ؛ كقولِكَ : اجعلْ هاذا الثوبَ أسودَ أو أحمر ، وتَزوَّجْ هنداً أو أختَها ؛ فالسَّوادُ والحمرةُ لا يَجتمعانِ عقلاً ، وهندٌ وأختُها لا يَجتمعانِ شرعاً .

وإذا وقعَتْ بينَ أمرَينِ يَجتمِعانِ . . سُمِّيَتْ : (أوِ الإباحيةَ) نحوُ : جالسِ العلماءَ أوِ الحكماءَ ، ولا تجالسِ الجُهَّالَ ، فمعناهُ : [حَظْرُ] مجالسةِ الجُهَّالِ ، وإباحةُ مجالسةِ العُلماءِ والحُكماءِ .

وإذا [وقعَتْ] بينَ أقسامِ شيءٍ . . سُمِّيَتْ : التقسيميةَ ، وتَصلُحُ مكانَها الواوُ ؛ نحوُ : السمُّ وفعلٌ . . . ويَستعمِلُها الشاكُُ والمُشكِّكُ . . .

وتكونُ (أو) للإضرابِ والإعراضِ ؛ نحوُ: صلتُكَ أقاربَكَ حسنةٌ

أو واجبةٌ ، أعرضتَ عن إثباتِ الحُسْنِ إلىٰ إثباتِ الوجوبِ ، وهوَ معنىٰ (بل) الآتى بيانُها .

وقد سلفَ لكَ أنَّها تكونُ قائمةً مقامَ (إلىٰ أن) أو (إلَّا أن) $^{(1)}$.

الكلامُ علىٰ (أم)

أَمْ: حرفٌ يَستعمِلُهُ المُسوِّي بِينَ أَمرَينِ بِكلمةِ (سواءٍ) ، ويقعُ بِينَ جملتَينِ لفظاً ، مفردَينِ لحظاً ، ويأتي في صدرِ جملتِها همزةٌ تُسمَّىٰ: همزةَ التسويةِ ، وتُحذَفُ تارةً ؛ نحوُ: ﴿ سَوَآةٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ (٢) ، تقديرُهُ: إنذارُكَ وعدمُ إنذارِكَ سواءٌ ؛ أي: متساويانِ .

فالجملتانِ اللَّتانِ تكتنفانِ (أم) هاذهِ . . مُنسبِكتانِ في الملاحظةِ بمصدرَينِ ؟ مبتدأً ومعطوفٍ عليهِ ، مُخبَرٍ عنهُما به (سواءٌ) ، فه (أم) في هاذا الاستعمالِ بمعنى : الواوِ .

وقد ورد التركيبُ مُصرَّحاً فيهِ بالمُسوَّىٰ بينَهُما مفردَينِ والعطفِ بالواوِ ، وقد ورد التركيبُ أن أن الطويل [من الطويل]

سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلَ ٱبْنَ مَعْمَرٍ إِذَا مِتَّ بَأْسَاءُ ٱلْحَيَاةِ وَلِينُهَا

وتقولُ: سواءٌ كانَ لي زيدٌ أم كانَ عليَّ ، فلا تَذكُرُ الهمزةَ ، وتقديرُهُ: كونُ زيدٍ لي وكونُهُ عليَّ سواءٌ ؛ أي : لا يَنفعُ ولا يَضُرُّ .

ويَستعمِلُها طالبُ التصوُّرِ بهمزةِ الاستفهامِ على ما سلفَ بيانُهُ ، ولذلكَ تُسمَّىٰ (أم) في هاذيَنِ الاستعمالَينِ : (أم المُتصِلةَ) ، و(أم المُعادِلةَ) لأنَّها

⁽١) انظر (١/٨٧٤) .

⁽٢) سورة البقرة : (٦).

⁽٣) انظر « خزانة الأدب » (٣٩٨/١) .

كما رأيتَ لا تقعُ إلَّا بينَ شيئينِ لا بدَّ منهُما ، فشيئاها بمنزلةِ العِدلَينِ ؛ أي : شِقّي الحِمْلِ .

وهيَ في الاستعمالِ الثاني ك (أو) في كونِها لأحدِ الشيئينِ ، إلّا أنّ (أو) لا تَصِحُّ في موضعِها ؛ لأنّكَ إذا قلتَ : أزيدٌ قائمٌ أو عمرٌو ؟ فمعناهُ : هل أحدُ الشخصَينِ قائمٌ ؟ فتكونُ لم تعلمْ حصولَ أمرِ وجهلتَ تَعيُّنَهُ ، فهوَ طلبٌ لأصلِ النسبةِ ، فجوابُهُ : نعم أو لا ، فإذا أجبتَ ب (نعم) . . كانَ المعنىٰ : قامَ أحدُ الشخصَينِ ، وإذا أجبتَ ب (لا) . . كانَ معناهُ : لم يقمْ أحدُ الشخصَينِ ، وحينئذِ : أحدُ الشخصَينِ ، وعينئذِ ، علمتَ بوقوعِ النسبةِ مِنْ أحدِ الشخصَينِ ، وحينئذِ : فلكَ أن تطلبَ تعيينهُ ، فتسألَ بالهمزةِ و(أمِ) المُتصِلةِ فتقولَ : أزيدٌ قامَ أم عمرٌو ، أو : مَنِ القائمُ منهُما ؟ والمعنى . . المعنىٰ ، فيُقالُ بتعيينِ أحدِ الشخصَينِ ، والسُؤالُ الشخصَينِ ، فتقولُ : (زيدٌ) إن كانَ الفاعلَ ، وتقولُ : (عمرٌو) إن كانَ إيّاهُ ، فالسُؤالُ بالهمزةِ و(أو) لا يكونُ إلّا مِنْ عالمٍ بأمرٍ وجاهلٍ بآخرَ ، والسُؤالُ بالهمزةِ و(أو) لا يكونُ إلّا مِنْ جاهلٍ محضٍ .

فمرتبةُ السُّؤالِ بالهمزةِ و(أم) بعدَ مرتبةِ السُّؤالِ بالهمزةِ و(أو)، وربَّما يَظُنُّ ظانٌّ أنَّ أحدَ الأمرَينِ واقعٌ اعتماداً على أمارةٍ ، ويكونُ الواقعُ خلافَ ما ظنَّ ، فيسألُ بالهمزةِ و(أم) ، فيُجابُ بر (لا) كما في حكايةِ غيلانَ ذي الرُّمَّةِ والعجوز ، التي ساقَها في قولِهِ (۱):

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحاً عَلَىٰ بَابِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا أَذُو زَوْجَةٍ بِٱلْمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بِٱلْبَصْرَةِ ٱلْعَامَ ثَاوِيَا فَقُلْتُ لَهَا بِٱلْبَصْرَةِ ٱلْعَامَ ثَاوِيَا فَقُلْتُ لَهَا بِٱلْبَصْرَةِ ٱلدَّهْنَا جَمِيعاً وَمَالِيَا

أُرَاجِعُ فِيهَا يَا بْنَةَ ٱلْعَمّ قَاضِيَا

وَمَا أَنَا مُذْ أَبْصَرْتِنِي فِي خُصُومَةٍ

⁽١) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٣١١/٢) ، وفيه (القرم) بدل (العم) .

الكلامُ علىٰ (للكنْ)

للكنْ: حرفٌ يَستعمِلُهُ المُستدرِكُ على كلامٍ سبقَ منه ؛ ليَرفعَ وهماً غيرَ صحيحٍ يَنشأُ مِنْ كلامِهِ السابقِ ، ولا تُستعمَلُ إلَّا بعدَ نفي أو نهي ، ولا تكونُ عاطفةً إلَّا إذا تَجرَّدَتْ مِنْ واو تَسبقُها ، فإذا لم يَسبقُها نفيٌ ولا نهيٌ . . كانَتْ لمُجرَّدِ الاستدراكِ ، وسُمِّيَتْ : حرف ابتداءٍ ، ولم تكنْ عاطفةً ، وكذلك إذا سُبِقَتْ بواوِ فتكونُ الواوُ للعطفِ ، وهيَ لمحضِ الاستدراكِ .

فالعاطفةُ: كقولِكَ: ما جاءَ زيدٌ للكنْ أخوهُ ، ولا تضربْ زيداً للكنْ أخاهُ .

بيانُ معنى الاستدراكِ فيهِ: أنَّكَ لمَّا قلتَ: ما جاءَ زيدٌ، ومِنَ العادةِ أنَّهُ إذا لم يجئ أحدُ الأخوينِ لم يجئ الآخرُ.. فيَتوهَّمُ السامعُ عدمَ مجيءِ الآخرِ بمُقتضى العادةِ ، فيَستدرِكُ المُتكلِّمُ ويرفعُ هلذا الوهمَ ويقولُ: للكنْ أخوهُ .

وضابطُها: أنَّكَ تنفي أحدَ أمرَينِ متلازمَينِ في العادةِ ، فيَنصرِفُ ذهنُ المُخاطَبِ إلى أنَّ النفي تَعلَّقَ بالمتلازمَينِ ، والواقعُ خلافُهُ ، فتَستدرِكُ وترفعُ الوهمَ .

والابتدائية : كقولِك : جاء زيدٌ للكنْ عمرٌو لم يجئ .

وإذا قلتَ : ما جاءَ زيدٌ ولكنْ عمرٌو . . فالعاطفُ الواوُ ، فكأنَّكَ قلتَ : وعمرٌو جاءَ ، أقحمتَ كلمةَ (للكنْ) لمكانِ الاستدراكِ .

الكلامُ علىٰ (لا)

لا: حرفٌ لنفي حكم ما قبلَهُ عمَّا بعدَهُ ، ولا يقعُ إلَّا بعدَ أمرٍ ، أو نداءٍ ، أو خبرٍ مثبتٍ ؛ نحوُ : أكرمْ زيداً لا عمراً ، ونحوُ : يا زيدُ لا عمرُو ، ونحوُ : جاءَ زيدٌ لا عمرٌو .

الكلامُ علىٰ (بل)

بل : إذا وقعَتْ بعدَ نفي أو نهي . . كانَتْ لتقريرِهِ وإعطاءِ ما بعدَها خلافَهُ .

فإذا قلتَ : ما جاءَ زيدٌ بل عمرٌو . . فمعناهُ : أنَّ انتفاءَ المجيءِ عن زيدٍ مُتقرِّرٌ ، للكنِ المجيءُ ثابتُ لعمرو ، وكذلكَ إذا قلتَ : لا تُهِنْ زيداً بل عمراً .

وإذا وقعَتْ بعدَ أمرٍ أو إثباتٍ . . كانَتْ للإعراضِ عنِ السابقِ ، وتَنْقُلُ حكمَهُ لِلَّاحقِ ، ويُسمَّىٰ إضراباً إبطاليًا ، وما قبلَهُ يُسمَّىٰ : إضراباً انتقاليًا ؛ نحوُ : اضربْ زيداً بل عمراً ، فمعناهُ : غلطتُ في الأمرِ بضربِ زيدٍ ، ومطلوبي ضربُ عمرٍ و ، ونحوُ : جاءَ زيدٌ بل عمرٌ و ، معناهُ أيضاً : إظهارُ الغَلَطِ والتداركِ بالصَّوابِ .

وإذا جاءَ بعدَ (بل) جملةٌ . . لم تكنْ عاطفةً ، وسُمِّيَتْ : حرفَ ابتداءٍ ؟ ك (للكنْ) إذ ما بعدَهُما يكونُ كلاماً مُبتدَأً .

وتُستعمَلُ (أو) و(أم) هاذا الاستعمالَ كما سلفَ ، فتُسمَّىٰ (أم): (أم المُنقطِعة) ، وتُفسَّرُ بلفظةِ (بل) فقطْ إن كانَ بعدَها (هل) نحوُ: ﴿ هَلَ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبُورُ ﴾ (١) فمعناهُ: بل هل تستوي . . . ، وهوَ انتقالٌ مِنْ ضربِ مثلِ إلىٰ ضربِ مثلِ آخَرَ .

وتُفسَّرُ به (بل) والهمزة إن لم تكنْ بعدَها (هل) وكانَ المعنى على الاستفهام ؛ نحوُ : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ ﴾ (٢) ، فمعناهُ : بل أكنتم شهداء .

وربَّما استُعمِلَتْ (بل) في التدرُّجِ في النفيِ أوِ الإثباتِ أوِ الأمرِ ، ويُسمَّى : الترقِّيَ ؛ فتقولُ : ما جاءَ زيدٌ بل عمرٌو ؛ تعني : أنَّهُ انتفىٰ مجيءُ زيدٍ ، بلِ

⁽١) سورة الرعد: (١٦).

⁽٢) سورة البقرة : (١٣٣) .

انتفى مجيء عمرو ؛ حيث يكونُ انتفاء مجيء عمرو أبعدَ مِنِ انتفاء مجيءِ زيدٍ ، وتُنبِّهُ على ذلكَ ، كما تقولُ : ما حضر زيدٌ بل عمرٌو الذي يَحضرُ كلَّ مَأْدُبةٍ وإن لم يُدعَ إليها ، وتقولُ : جاءَ الوزيرُ بلِ السلطانُ ، وتقولُ : أهنْ زيداً بل أباهُ .

والأحسنُ في هاذا توسيطُ الواوِ بينَ (بل) ومدخولِها ، فتقولُ : جاءَ الوزيرُ بل والسلطانُ ؛ لذلك الغرض .

وأمَّا المُختلَفُ في أنَّهُ حرفُ عطفٍ أو لا . . فهيَ كلمةُ (إمَّا) التفصيليةِ التي تقعُ مقابلةً له (إمَّا) مثلِها ؛ نحوُ : المُنطلِقُ إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرٌو ، فقيلَ : (إمَّا) الثانيةُ حرفُ عطفٍ ، والصَّحيحُ أنَّ (إمَّا) وأختَها حرفا تفصيلٍ يفيدانِ ما تفيدُهُ (أو) وإن كانَ بينَهُما وبينَها فرقٌ دقيقٌ ؛ وذلكَ أنَّ (أو) للتردُّدِ في المحمولِ ، وهما للتفصيلِ ، والسياقُ مُختلِفٌ ، والعطفُ معَ (إمَّا) على الصَّحيح للواوِ المصاحبةِ لها .

وأثبتَ بعضُهُم أنَّ كلمةَ (ليسَ) تكونُ عاطفةً ، فتقولُ : جاءَ زيدٌ ليسَ عمرٌو ؟ كما تقولُ : لا عمرٌو .

ويُعطَفُ اسمٌ ظاهرٌ على اسمٍ ظاهرٍ ؛ نحوُ : زيدٌ وعمرٌو ، وضميرٌ مُنفصِلٌ على ضميرٍ مُنفصِلٍ ؛ نحوُ : أنا وأنتَ ، وإيّاي وإيّاكَ قصدَ عمرٌو ، ويُعطَفُ ظاهرٌ على ضمير وبالعكسِ ؛ نحوُ : أنا وزيدٌ ذاهبانِ ، وزيدٌ وأنا مقيمانِ .

إِلَّا أَنَّهُ لا يُعطَفُ على ضميرٍ مرفوعٍ مُتصِلٍ إِلَّا بعدَ أَن تَفصِلَ بينَهُ وبينَ العاطفِ بضميرٍ مُنفصِلٍ يُؤتى بهِ للتوكيدِ ، أو بفاصلِ آخَرَ ؛ نحوُ : سرتُ أنا

وزيدٌ ، وسلكتُ الطريقَ وعمرٌو ، فنحوُ : سرتُ وزيدٌ . . نادرٌ لا يُستعمَلُ ، فيُنصَبُ ما بعدَ الواو مفعولاً معَهُ .

وإذا عطفتَ على ضميرٍ مخفوضٍ ؛ فإن كانَ المعطوفُ ضميراً . . وجبَ إعادةُ الخافضِ ؛ نحوُ : بي وبكَ ، وغلامي وغلامُكَ ، وإلا . . كانَتِ الأفصحَ .

وكما يُعطَفُ الفعلُ على الفعلِ في نحوِ قولِكَ: لم يطعْ ويستقمْ زيدٌ.. يجوزُ أن يُعطَفَ الفعلُ على وصفٍ بمعناهُ ؛ نحوُ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِقِينَ وَٱلْمُصَّدِقَينَ وَٱلْمُصَّدِقِينَ وَٱلْمُصَدِقِينَ وَٱلْمُصَدِقِينَ وَالْمُصَدِقِينَ وَالْمُصَدِقِينَ وَالْمُصَدِقِينَ وَالْمُصَدِقِينَ وَالْمُصَدِقِينَ وَالْمُصَدِقِينَ وَالْمُعنى : إِنَّ الذينَ تصدَّقوا واللَّواتي تصدَّقنَ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهُ ﴾ (١) ، فهوَ على معنى : إنَّ الذينَ تصدَّقوا واللَّواتي تصدَّقنَ وأقرضوا ، وضميرُ جماعةِ الذُّكورِ فيهِ عائدٌ على الذُّكورِ والإناثِ بتغليبِ الأشرفِ .

ونحوُ: زيدٌ راكبٌ فرسَهُ غداً ويسابقُ الفرسانَ ، فهوَ في معنى: زيدٌ يركبُ ويسابقُ ، فهوَ في معنى: زيدٌ يركبُ ويسابقُ ، ويجوزُ عكسُهُ ؛ نحوُ: زيدٌ يركبُ فرسَهُ غداً فمسابقٌ ، فلكَ في مثلِ هاذا التركيبِ أربعةُ أوجهٍ: راكبٌ فمسابقٌ ، يركبُ فيسابقُ ، راكبٌ فيسابقُ ، يركبُ فمسابقٌ .

وقد يُحذَفُ مِنَ الكلامِ اعتماداً على القرينةِ الفاءُ ومعطوفُها ، والواوُ ومعطوفُها ، والواوُ ومعطوفُها ؛ نحوُ : ﴿ اَضْرِب يِعْصَاكَ الْخُجَرِ فَالْنفَجَرَتَ ﴾ (٢) ؛ أي : فضربَهُ فانفجرَتْ ، ونحوُ : راكبُ الناقةِ والناقةُ .

وقد يُحذَفُ عاملٌ معطوفٌ بالواو وتبقى الواوُ ومعمولُ المحذوفِ ؛ نحوُ :

⁽١) سورة الحديد : (١٨) .

⁽٢) سورة البقرة : (٦٠) .

⁽٣) طليحان : مثنى طلح ؛ بمعنى : متعب ومجهد .

﴿ تَبَوَّءُو الدّارَ وَالْإِيمانَ ﴾ (١) ؛ أيْ : وأَلِفوا الإيمانَ ؛ لأنَّ الدارَ تُسكَنُ والإيمانَ لا يُسكَنُ ، ويظهر أن لا تقديرَ ولا حذف في الآيةِ ، ويكونُ التبوُّءُ مُتعلِّقاً بالدارِ والإيمانِ ؛ فإنَّ لفظَ (الإيمانِ) في لسانِ الشرعِ لا يُقتَصرُ فيهِ على ملاحظةِ معنى التصديقِ ، بل يُلحَظُ هوَ والآثارُ المُترتِّبةُ عليهِ ؛ مِنْ وقوعِ الأمنِ بينَ الناسِ ، وارتفاعِ المَخافاتِ التي كانَتْ لا تبرحُ قائمةً إذ ذاكَ ، ومِنَ الاشتراكِ في المنافع ، والمحافظةِ على الحقوقِ ، وعموم ارتفاقِ البعضِ بالبعضِ ؛ حتَّى تكونَ الأمَّةُ في حالةٍ جامعةٍ ، فهيَ بمنزلةِ الأهلِ بينَ آباءٍ وأبناءٍ ، فتلكَ الحالةُ تُعتَبرُ اعتبارَ الظُّروفِ ، فكأنَّهُ قيلَ : جمعَتْهُم وأحاطَتْ بهِم واشتملَتْ عليهِمُ الدارُ وتلكَ الأحوالُ ؛ فهوَ مِنْ عموم المجازِ .

ولا يَتقدَّمُ المعطوفُ على المعطوفِ عليهِ .

* * *

⁽١) سورة الحشر : (٩) .

البدلُ

أربعة أقسام:

- قسمٌ يُسمَّىٰ: بدلَ الكلِّ مِنَ الكلِّ ، وتَأَدَّبَ المُتأخِّرونَ حيثُ لاحظوا وقوعَهُ في أسماءِ اللهِ تعالىٰ وتَقدَّسَ عن كلِّ وبعضٍ ، فسمَّوهُ: البدلَ المُطابِقَ .

- وقسمٌ يُسمَّىٰ : بدلَ البعض مِنَ الكلِّ .

- وقسمٌ يُسمَّىٰ : بدلَ الاشتمالِ .

_ وقسمٌ يُسمَّىٰ : بدلَ الغَلَطِ .

البدلُ المُطابِقُ

لفظٌ يُرادُ بهِ معنى أُريدَ بلفظٍ سابقٍ ؛ نحوُ : رأيتُ صديقَكَ خالداً ، وارحمْ أخاكَ زيداً ، وشَمِّيَ بدلَ الكلِّ مِنَ الكلِّ ؛ لأنَّهُ أُريدَ بلفظِ (البدلِ) كلُّ ما أُريدَ بلفظِ المُبدَلِ منهُ .

وأمثلةُ هاذا القسمِ مِنَ البدلِ تَشتبِهُ بأمثلةِ عطفِ البيانِ ؛ فربَّما تَخيَّلَ مُتخيِّلٌ أَنَّ أَحدَهُما يغني عنِ الآخرِ ، فلا حاجةَ إلى إثباتِ تابعَينِ يُخَصُّ كلُّ منهُما باسمٍ ، وهوَ تَخيُّلٌ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ بينَ عطفِ البيانِ وبينَ هاذا القسمِ مِنَ البدلِ فرقين : فرقاً معنوياً ، وفرقاً صناعيًا .

أمَّا الفرقُ المعنويُّ . . فهوَ أنَّ عطفَ البيانِ إنَّما يُذكَرُ لبيانِ المرادِ مِنَ المعطوفِ عليهِ فحَسْبُ .

وأمَّا البدلُ . . فإنَّهُ يُذكَرُ لبيانِ خصوصيةٍ بمعناهُ اقتضَتِ الحكمَ السابقَ المربوطَ بالمُبدَلِ منهُ ربطاً غيرَ قارٍّ ، بلِ الغرضُ منهُ السلوكُ بهِ إلى المرادِ بالبدلِ

ملحوظاً فيهِ خصوصيةٌ ، ومِنْ هنا يقولُ النحويُّ : إنَّ البدلَ تابعٌ هوَ المقصودُ بالحكمِ ، فلا يكونُ المُبدَلُ منهُ مقصوداً بهِ ، بل يقولُ : في نيَّةِ الطَّرحِ ، ويقولُ أيضاً : إنَّهُ على نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ؛ فمَنْ يَنطِقْ بالبدلِ معَ المُبدَلِ منهُ . . نَطَقَ بجملتَينِ ، غايةُ الأمرِ أنَّهُ حذفَ مِنَ الجملةِ الثانيةِ بعضَها ؛ اعتماداً على ذكرِ مثلِهِ في الجملةِ السابقةِ .

وبيانُ ذلك : أنَّك إذا قلت : تَوسَّلْ إلى زيدٍ بحبيبِهِ خالدٍ ؛ فإن كنتَ لاحظتَ أنَّ التوسُّلَ إلى زيدٍ وإفادتَهُ ما ترجوهُ منهُ يَحصُلُ بتوسُّطِ الحبيبِ مِنْ جهةِ كونِهِ حبيباً ، لا مِنْ جهةِ خصوصيَّةٍ في شخصِ خالدٍ ، حتَّىٰ لو كانَ حبيبُهُ غيرَ خالدٍ كنتَ آمراً بالتوسُّلِ بهِ ، وكان مفيداً . . كانَ لفظُ (خالدٍ) عطفَ بيانٍ تُعلِمُ بهِ مُخاطَبَكَ الشخصَ الذي أردتَهُ بلفظِ (الحبيبِ) الذي هوَ المعطوفُ عليهِ .

فإذا كانَ التوسُّلُ لخصوصيةٍ في خالدٍ ؛ بأن يكونَ أعزَّ الأحبَّةِ ، فلا يفيدُ التوسُّلُ إلَّا بهِ ؛ إذ ليسَ مُجرَّدُ المَحبَّةِ كافياً في ذلكَ . . كانَ لفظُ (خالدٍ) بدلاً ؛ كأنَّك قلتَ : تَوسَّلُ إليهِ بخصوصِ خالدٍ الذي لا يفيدُ التوسُّلُ إلَّا بهِ ، فكانَ لفظُ (الحبيبِ) كأنَّهُ لم يُذكرُ .

وربَّما أفادَ البدلُ كشفاً وبياناً ، للكنَّهُ غيرُ مقصودٍ بهِ .

وكذلكَ تقولُ: ارحمُ أخاكَ زيداً المسكينَ الضَّعيفَ العاجزَ ، تجعلُ عِلَّةَ طلبِ رحمتِهِ كونَهُ خصوصَ زيدٍ بمسكنتِهِ وضَعفِهِ وعجزِهِ ؛ كأنَّكَ تقولُ: لو لم يكنْ زيدٌ أخاكَ . . لكانَ ينبغي أن يُرحَمَ .

وبتأمُّلِ هاذا يُعرَفُ أنَّ البدلَ هوَ المقصودُ بالحكمِ ، وأنَّهُ على نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ، وأنَّهُ لا يغني عنهُ عطفُ البيانِ .

وأمَّا الفرقُ الصناعيُّ . . فهوَ أنَّكَ تضيفُ لفظاً مُصدَّراً بـ (أل) إلى لفظِ كذلكَ ، فتجوزُ الإضافةُ ؛ كقولِكَ : رأيتُ الحسنَ الوجهِ ، فإذا أتبعتَ المُضافَ إليهِ بلفظِ خالٍ مِنْ (أل) كقولِهِ (١٠ :

أَنَا ٱبْنُ ٱلتَّارِكِ ٱلْبَكْرِيِّ بِشْرٍ عَلَيْهِ ٱلطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعَا

تَعيَّنَ في ذلكَ التابعِ الخالي مِنْ (أل) كونُهُ عطفَ بيانٍ ، ولا يجوزُ أن يكونَ بدلاً ؛ لأنَّهُ يلزمُ حينَئذٍ إضافةُ ما فيهِ (أل) إلىٰ خالٍ منها ؛ إذ هوَ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ كما عرفتَ ، وهوَ غيرُ جائزٍ ، فلفظُ (بشرٍ) عطفُ بيانٍ للمرادِ بلفظِ (البكريّ).

وتقولُ: يا رجلُ ، نداءً لمقصودِ العينِ مُوجِّهاً إليهِ الكلامَ ، والمُنادى الذي هاذا شأنُهُ وليسَ مُضافاً ولا شبيهاً بهِ يُبنىٰ على الضمِّ كما سبقَ (١) ، وهوَ في محلِّ نصبِ ، فإذا عطفتَ عليهِ بياناً . . جازَ لكَ نصبُهُ رعايةً لِللَّفظِ كما ستَعرِفُهُ لكَ نصبُهُ رعايةً لِللَّفظِ كما ستَعرِفُهُ في تفصيلِ تابعِ المنادىٰ (٣) ، فإذا جعلتَهُ بدلاً . . وجبَ ضمُّهُ بناءً ؛ لكونِهِ منادىً مُستقِلاً ، فتقولُ على العطفِ : يا رجلُ خالدٌ بالرفع ، وخالداً بالنصبِ ؛ على الرعايتينِ ، وعلى البدلِ : يا رجلُ خالدُ عالمُ النصبِ ؛ على الرعايتينِ ، وعلى البدلِ : يا رجلُ خالدُ بالرفع ، بالضَّمِّ بلا تنوينٍ ، كأنَّكَ قلتَ : يا رجلُ يا خالدُ ، وسيأتي لهاذا مزيدُ بيانٍ (١٠) .

ومِنْ هاذا القسمِ مِنَ البدلِ : بدلُ التفصيلِ ؛ كقولِكَ : جاءَ الرجالُ زيدٌ وعمرٌو وبكرٌ .

⁽١) هو المرار الفقعسي ، كما في « خزانة الأدب » (٢٨٤/٤) .

⁽٢) انظر (٤١٩/١) .

⁽٣) انظر (١٠/١٥).

⁽٤) انظر (١٠/١) .

بدلُ البعضِ مِنَ الكلِّ

لفظٌ يكونُ المرادُ بهِ بعضَ المرادِ بلفظِ المُبدَلِ منهُ ؛ نحوُ : قرأَ زيدٌ الكتابَ أكثرَهُ ، وسرينا اللَّيلَ مُعظمَهُ ، ولم يفهمْ زيدٌ العِلْمَ شيئاً منهُ .

وهاذا البدلُ يجبُ أن يَصحبَهُ ضميرُ المُبدَلِ منهُ كما رأيتَ ، ونحوُ : رأيتُ الرجلَينِ أكبرَهُما .

ولا يُستعمَلُ هاذا البدلُ بلاغةً إلَّا حيثُ يكونُ البعضُ هوَ المُعتبَرَ حتى كأنَّهُ الكلُّ ، وتقريبُهُ : أنَّ إنساناً يقولُ لصاحبِهِ : فلانٌ شربَ الماءَ ، فيقولُ لهُ صاحبُهُ : أشربَهُ كلَّهُ ؟ فيقولُ : أكثرَهُ ، فلمَّا كانَ المشروبُ أكثرَ الماءِ . . ساغَ للمُخبِرِ أن يقولَ : شربَ فلانٌ الماءَ ، كأنَّ الباقيَ عدمٌ بعدَ الذاهبِ .

بدلُ الاشتمالِ

لفظٌ يكونُ المرادُ منهُ شيئاً لهُ تَعلُّقٌ وارتباطٌ بالمرادِ مِنْ لفظِ المُبدَلِ منهُ ؛ كأوصافِهِ ، ومملوكاتِهِ ، وأهلِهِ ، ومظروفاتِهِ ؛ نحوُ : أعجبَني زيدٌ كلامهُ ، ونفعَني بكرٌ علمهُ ، وطابَ خالدٌ أبوهُ ، ونحوُ : لا يجوزُ يومُ العيدِ صيامٌ فيهِ .

وهاذا البدلُ أيضاً يجبُ أن يَصحبَهُ ضميرُ المُبدَلِ منهُ ، ولا يُستعمَلُ بلاغةً إلَّا حيثُ يكونُ معنى البدلِ كأنَّ المُبدَلَ منهُ ليسَ شيئاً وراءَهُ ؛ فمَنْ يقولُ : أعجبَنى زيدٌ كلامهُ . . كأنَّهُ يقولُ : ليسَ زيدٌ شيئاً وراءَ كلامِهِ .

بدلُ الغَلَطِ

لَفظٌ يُذكَرُ لإفادةِ أنَّ ذكرَ المُبدَلِ منهُ كانَ غَلَطاً أو سهواً ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ خالدٌ ، وخذِ الكتابَ الفرسَ ، واستعمالُهُ به (بل) أحسنُ .

ويُستعمَلُ هاذا النوعُ مِنَ البدلِ عندَ تَغيُّرِ النيَّةِ ، ويُسمَّىٰ : بدلَ البَداءِ ، مثلاً : إذا أمرتَ خادمَكَ بإحضارِ الحمارِ ، ثمَّ تَغيَّرَتْ نيَّتُكَ إلى الفرسِ ، فقلتَ : أحضرِ الحمارَ الفرسَ . . فهوَ بدلُ البَداءِ ؛ أي : الظُّهورِ ؛ لأنَّهُ ظهرَ لكَ ما لم يكنْ ظاهراً .

ولا يُبدَلُ اسمٌ ظاهرٌ مِنْ ضميرِ مُتكلِّمٍ ، ولا مِنْ ضميرِ مُخاطَبٍ . . إلَّا حيثُ يُنبَّهُ بهِ على الإحاطةِ والشُّمولِ ؛ كقولِكَ : يا بني عُذْرةَ ؛ إنَّ العِشقَ فيكم أُوَّلِكُم وآخِرِكُم ، وإنَّنا كبارَنا وصغارَنا راغبونَ إلى اللهِ .

ويُبدَلُ الاسمُ الظاهرُ مِنْ ضميرِ الغائبِ بدلَ كلٍّ ، ومنهُ ومِنْ غيرِهِ بدلَ بعضٍ واشتمالٍ وغَلَطٍ ؛ نحوُ: انتفعتُ بهِ زيدٍ ، وأعجبْتَني كلامُكَ .

وإذا أردت أن تُبدِلَ مِنِ اسمِ شرطٍ أوِ اسمِ استفهامٍ . . وجبَ أن تَذكُرَ معَ البدلِ مِنِ اسمِ الاستفهامِ همزتَهُ ؛ البدلِ مِنِ اسمِ الاستفهامِ همزتَهُ ؛ تقولُ : مَنْ عندَكَ أزيدٌ أم عمرٌو ؟ وما تريدُ أذهاباً أم بقاءً ؟ ومَنْ ذا تَطلُبُ أزيداً أم عمرًا ؟ أو : أزيدٌ أم عمرٌو . . . وهلكذا ، ومَنْ يأتِكَ إن زيدٌ وإن عمرٌو . . . فأكرمْهُ ، وما تفعل إن خيراً وإن شرّاً . . تُجزَ بهِ .

ويُبدَلُ الفعلُ مِنَ الفعلِ ؛ نحوُ: ﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَعُونَ أَمَدَّكُمُ بِأَقَكِمِ وَيُبِينَ ﴾ (١) ، ونحوُ: نعبدُ الله ؛ نصلِّي ونصومُ ، ونرجو ثوابَهُ ونخافُ عقابَهُ.

فهاذهِ التوابعُ يكونُ إعرابُها إعرابَ متبوعاتِها ، والعاملُ في متبوعاتِها هوَ العاملُ في متبوعاتِها هوَ العاملُ فيها ، إلّا البدلَ .

⁽۱) سورة الشعراء: (۱۳۲ ـ ۱۳۳) ، ولعل مراد المؤلف بإبدال الفعل من الفعل: إبدال الجملة من الجملة من الجملة ، كما في « أوضح المسالك » (٣٦٢/٣) .

لَكُنْ لَكُلِّ مِنْ تَابِعَيِ المُنادَىٰ واسمِ (لا) التبرئةِ تفصيلٌ ؛ لأنَّ فيهِما نوعَ مخالفةٍ ، فلا بدَّ مِنْ إيرادِهِ ، فنقولُ :

تابعُ المُنادى

إن كانَ بدلاً أو معطوفاً عطف نسقٍ لم يُصدَّرْ به (أل) . . كانَ كمُنادىً مُستقِلٍ ؛ لكونِ البدلِ على نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ، ولنيابةِ العاطفِ عن حرفِ النداءِ ، فيُبنى على ما يُرفَعُ بهِ إن كانَ مقصودَ العينِ غيرَ مُضافٍ ولا شبيهِ بهِ ، ويُنصَبُ إن كانَ أحدَهُما ، سواءٌ كانَ المُنادى متبوعُهُ مبنيًا أو منصوباً ؛ نحوُ : يا غلامُ بشرُ ، ويا أبا عبدِ اللهِ بشرُ ، ويا زيدُ وعمرُو ، ويا أبا الفضلِ وعمرُو .

وإن كانَ التابعُ غيرَ بدلٍ وغيرَ معطوفٍ كذلكَ ؛ فإن كانَ نعتَ (أيِّ) أو اسمِ إشارةٍ . . كانَ مبنيّاً على ما يُرفَعُ بهِ ؛ نحوُ : يا أيُّها الرَّجلُ ، ويا أيَّتُها المرأةُ ، ويا أيُّها الرَّجلانِ ، ويا أيُّها المؤمنونَ ، ويا هاذا الإنسانُ ، ويا تانِ المرأتانِ ، ويا هاؤلاءِ الفاضلونَ .

فإن لم يكنْ نعتاً لـ (أيِّ) ولا اسمِ إشارةٍ ؛ فإن كانَ متبوعُهُ منصوباً . . كانَ منصوباً ، وإن كانَ متبوعُهُ مبنيّاً ؛ فإن كانَ مُضافاً . . وجبَ نصبُهُ ، إلَّا إذا كانَ المُضافُ نعتاً مُصدَّراً بـ (أل) ، فإنَّهُ يجوزُ رفعُهُ رعايةً لِلَّفظِ ، ونصبُهُ رعايةً للمَحَلّ .

كما أنَّ بقيَّة التوابع إذا لم تُضَفْ كذلك في جوازِ الوجهَينِ ؛ نحوُ : يا زيدُ حسنَ الوجهِ نعتاً ، ويا زيدُ نفسَكَ توكيداً ، ويا زيدُ أبا عمرو عطفَ بيانٍ ، ويا زيدُ الحسنُ الوجهِ بالنصب ، نعتاً مُصدَّراً بر أل) ، ويا تميمُ أجمعونَ أو أجمعينَ توكيداً ، ويا غلامُ بشرُ أو بشراً عطفَ

بيانٍ ، ويا زيدُ والظَّريفَ الطِّباعِ أو والظَّريفُ الطِّباعِ ، معطوفاً عطفَ نسقٍ مُصدَّراً به (أل) .

تابع اسم (لا)

إذا أتبعتَ المبنيَّ بمُتَّصِلٍ بهِ نعتاً أو تأكيداً أو بياناً . . جازَ لكَ فتحُ التابعِ بناءً لتركيبِهِ معَ متبوعِهِ ، ونصبُهُ رعايةً لمَحَلِّ متبوعِهِ ، ورفعُهُ رعايةً لِمَا كانَ لهُ ؛ حيثُ كانَ مبتداً كما وردَ في اللغةِ .

وإذا أتبعتَهُ بها مُنفصِلةً أو بمعطوفٍ عطف نَسَقٍ لم تُكرَّرْ معَهُ (لا) . . جازَ النصبُ والرفعُ دونَ الفتحِ ؛ لامتناعِ التركيبِ إذاً ، فإن كَرَّرتَ (لا) معَ المعطوفِ نَسَقاً . . جازَتْ فيهِ الأوجهُ الثلاثةُ ؛ وذلكَ حيثُ يكونُ التابعُ مفرداً ، وإلَّا . . فهوَ كالمُنفصِلِ ، وتابعُ المُعرَبِ لهُ حكمُ سائرُ التوابعِ ، والبدلُ جملةٌ مُستقِلَّةٌ .

[التنازعُ في العملِ]

هاذا ؛ ومِنَ التراكيبِ تركيبٌ تَرجمَ النحويونَ لبيانِ أحكامِهِ بالتنازعِ في العملِ ، هاذا موضعُ بيانِهِ ؛ لأنَّهُ يَتعلَّقُ بما سَلَفَ مِنَ الأبوابِ .

فاعلمْ: أنَّهُ متىٰ كانَ تركيبٌ . . فألبتةَ يكونُ مُشتمِلاً علىٰ : عاملٍ ، ومعمولٍ ، وعملٍ ، ومقتضٍ لذلكَ العملِ ، وبعضُهُم قسمَ النحوَ أربعةَ أقسامِ لذلكَ ، ونِعْمَ ما صنعَ .

فالعملُ: هوَ ما نُسمِّيهِ إعراباً.

ومقتضيهِ : طالبُ التميُّز مِنَ الفاعليةِ والمفعوليةِ وغيرهِما .

والمعمولُ : هوَ المُعرَبُ .

والعاملُ: هوَ ما تَنسُبُ إليهِ إيجادَ العملِ وإحداثَهُ ، فهوَ عندَهُم بمنزلةِ العاملُ: هو ما تَنسُبُ إليهِ إيجادَ العملِ وإحداثَهُ ، فهوَ عندَهُم بمنزلةِ العاليَّةِ .

ومِنَ المعقولِ : أنَّهُ لا يمكنُ تأثيرُ مُؤثِّرَينِ في أثرٍ واحدٍ ؛ فمِنْ ثَمَّ إذا وُجِدَ عاملانِ بعدَهُما معمولٌ . . وجبَ أن تعطيَهُ لأحدِهِما ، وتُقدِّرَ للآخرِ ، وهلذا هوَ صورةُ التركيبِ المذكور .

حاصلُهُ: أن تذكرَ عاملَينِ مِنَ الأفعالِ وشبهِها فقطْ ، وتعقبَهُما بمعمولٍ مِنَ المرفوعاتِ أو المنصوباتِ أو المخفوضاتِ ، فيكونَ المعمولُ لأحدِهِما ، والثاني أولى بهِ عندَ البصريَّةِ ؛ لاتصالِهِ بهِ ، والأوَّلُ عندَ الكوفيَّةِ ؛ لسبقِ طلبهِ .

وعلى ملاحظةِ ما رُوِيَ مِنْ أَنَّ الصَّيدَ لِمَنْ قَنَصَهُ ، لا لِمَنْ أَثارَهُ (١٠ . . فالرأيُ معَ البصريَّةِ .

فإن كانَ المعمولُ فَضْلةً ؛ فإن أعملتَ الثانيَ . . أضمرتَ للأوَّلِ ضميراً مُطابِقاً للمعمولِ المذكورِ ، وحذفتهُ وجوباً ، وإن أعملتَ الأوَّلَ . . أضمرتَ في الثاني ، وذكرتَهُ وجوباً ؛ نحوُ : أكرمتُ وحبوتُ زيداً ، التقديرُ : أكرمتُهُ ، فحُذِفَ الضَّميرُ على إعمالِ الثاني ، وتقولُ : أكرمتُ وحبوتُهُ زيداً ، ذاكراً للضَّميرِ على إعمالِ الأوَّلِ ، وتقولُ : أكرمتُ وحبوتُهُ زيداً ، ذاكراً للضَّميرِ على إعمالِ الأوَّلِ ، وتقولُ : مررتُ وطُفتُ بو بزيدٍ ، وخرجَ مررتُ وطُفتُ بهِ بزيدٍ ، وخرجَ زيدٌ وسافرَ يومَ الجمعةِ ؛ أي : خرجَ فيهِ ، وخرجَ وسافرَ فيهِ يومَ الجمعةِ .

⁽١) انظر « الدراية في تخريج أحاديث الهداية » (٢٥٦/٢) .

وعلى هاذا القياسُ ، وجاءَ نادراً ما يخالفُ ذلكَ ، قالَ ('): [من الطويل] إِذَا كُنْتَ تُرْضِيهِ وَيُرْضِيكَ صَاحِبٌ جِهَاراً فَكُنْ فِي ٱلْغَيْبِ أَحْفَظَ لِلْوُدِّ فِي صَاحِبٌ حَذْفِهِ ، وقالَ آخَرُ في صفةِ فَذكرَ ما الحُكْمُ وجوبُ حذْفِهِ ، وقالَ آخَرُ في صفةِ سيفٍ (''):

بِعُكَاظَ يُعْشِي ٱلنَّاظِرِي نَ إِذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعَهُ أي: لمحوهُ ، فحذف ما الحُكْمُ وجوبُ ذكرهِ .

ومتى كانَ المعمولُ عُمدةً ؛ بأن كانَ فاعلاً ، أو كانَ مبتداً ، أو خبراً بحسَبِ الأصلِ ؛ بأن كانَ العواملُ مِنَ النواسخِ . . وجبَ الإضمارُ للمُهمَلِ ، ووجبَ ذكرُ الضَّميرِ مطلقاً ، مُستتِراً في مواضع الاستتارِ ، وبارزاً في مواضع البُروزِ .

تقولُ : أصبحَ زيدٌ وأمساهُ قارئاً ، وأصبحَهُ زيدٌ وأمسىٰ قارئاً ، وظنَّنِيهِ زيدٌ وظننتُهُ أخاً ، وظنَّنِي زيدٌ وظننتُهُ إيَّاهُ أخاً .

وعلىٰ هـٰذا القياسُ ، وفصلُ الضَّمائرِ ووصلُها علىٰ ما سلفَ لكَ شرحُهُ .

ومتى لم يُطابِقِ المُفسِّرُ مُفسَّرهُ . امتنعَ الإضمارُ ووجبَ الإظهارُ ، وفي هاذا التركيبِ يعودُ ضميرٌ على مُتأخِّرٍ لفظاً ورتبةً ، وهوَ أحدُ مواضعَ ستَّةٍ يعودُ فيها الضَّميرُ على المُتأخِّرِ لفظاً ورتبةً ، ويُقالُ : إنَّ مَرجِعَ الضَّميرِ تَقدَّمَ حُكْماً ، فأقسامُ تَقدُّم المَرجِعِ ثلاثةٌ : تَقدُّمٌ لفظيٌّ ، وتَقدُّمٌ رُتْبيٌّ ، وتَقدُّمٌ حُكْميٌّ .

بقيةُ المواضعِ المذكورةِ هي : تركيبُ (نِعْمَ) و(بئسَ) ، وتركيبُ (رُبَّهُ

⁽١) انظر « مغني اللبيب » (٤٣٨/١) .

⁽٢) القائل هو السيدة عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله عنها ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١٣٠/٢) .

فتى) ، وتركيبُ (مررتُ بهِ زيدٍ) ، وتركيبُ ضميرِ الشأنِ ، وتركيبُ نحوِ قولِكَ (۱) :

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ

وقولِكَ : هي العربُ تقولُ ما شاءَتْ ، على أنَّ كلمتَيِ (النفسُ) و(العربُ) خبرانِ .

* * *

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ وَلِللَّهْ رِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ

⁽١) تقدم (٣٣٥/١) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

القسمُ الرابعُ في الجملةِ الشرطيَّةِ

الجملةُ الشرطيَّةُ: هي المُصدَّرةُ بأداةِ شرطٍ ؛ حرفٍ أو اسمٍ ضُمِّنَ معناهُ ، وقد سلفَتْ (١) ، والغرضُ هنا: بيانُ مَفادِ الجملةِ الشرطيَّةِ ، وما يعملُ مِنَ الأدواتِ وما لا يعملُ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ الأحكامِ المُتعلِّقةِ بها ، فنقولُ :

أمَّا مَفادُ الجملةِ الشرطيَّةِ . . فهوَ ارتباطُ وقوعِ النسبةِ التي تَضمَّنها جملةُ الجزاءِ بوقوعِ النسبةِ التي تَضمَّنها جملةُ الشرطِ ، على وجهِ توقُّفِ عليهِ توقُّفَ المُسبَّبِ على السببِ ، أو المشروطِ على الشرطِ ؛ فوقوعُ نسبةِ جملةِ الشرطِ . . سببٌ أو شرطٌ لوقوع نسبةِ الجزاءِ .

فالنسبةُ التي يَتعلَّقُ بها الحكمُ في الجملةِ الشرطيَّةِ .. مُستقرُّها بينَ جملتَيِ الشرطِ والجزاءِ ، وهما طرفاها ، فهُما بمنزلةِ المحمولِ والموضوعِ في الجملةِ الخبريَّةِ ، فلا حكمَ فيهِما ، إلَّا أنَّهُ إذا كانَ الجوابُ طلباً . . فإنَّهُ يكونُ موضعَ الحكمِ ، والشرطُ قيدٌ لمُسنَدِهِ ، وهنذا هوَ المذهبُ الأخيرُ الذي انحطَّ عليهِ رأيُ المُحقِقينَ بعدَ اختلافٍ أُطيلَتْ فيهِ الاعتراضاتُ والأجوبةُ ؛ فكانَ بعضُ العلماءِ المُتقدِّمينَ على أنَّ الحكمَ في الجزاءِ والشرطُ قيدٌ لمُسنَدِهِ ، وبعضُ المُتوسِّطينَ ـ كالشريفِ الجُرجانيِّ وشيعتِهِ ـ على أنَّ الحكمَ بينَ الشرطِ والجزاءِ مطلقاً .

[أدواتُ الشرطِ]

وأمَّا العاملُ مِنْ أدواتِ الشرطِ . . فهيَ حرفانِ : (إن) و(إذما) ، وعشرةُ

⁽١) انظر (٣٤٨/١) .

أسماء : (مَنْ) و(ما) و(أيُّ) و(مهما) و(متىٰ) و(أيَّانَ) و(أينَ) و و(حيثُما) و(أنَّىٰ) و(كيفَما) .

ف (كيفَما) منها منصوبةٌ على الحاليَّةِ أبداً ، وأسماءُ الأمكنةِ والأزمنةِ منها منصوبةٌ على الظَّرفيةِ ، وغيرُها مُعرَبةٌ حَسَبَ الاقتضاءِ ، وناصبُ المنصوبِ منها : هوَ فعلُ الشرطِ كما يظهرُ لكَ بحَلِّ التركيبِ لإبانةِ صريحِ المعنىٰ .

مثلاً: إذا قلتَ: كيفَما يُصَلِّ الإمامُ يُصَلِّ المأمومُ.. فحَلُّهُ لذلكَ: إن يُصَلِّ الإمامُ مُسرِعاً، ومُتوسِّطاً إن مُبطِئاً، ومُتوسِّطاً إن مُبطِئاً، ومُتوسِّطاً إن مُتوسِّطاً. مُتوسِّطاً.

وإذا قلتَ : أينَ تجلسْ أجلسْ . . فحَلَّهُ : إن تجلسْ داخلَ المسجدِ . . أجلسْ داخلَهُ ، وخارجَهُ إن خارجَهُ .

وإن قلتَ : ما تصنعْ أصنعْ . . فحَلُّهُ : إن تصنعْ معروفاً . . أصنعْهُ ، ومُنكَراً إن مُنكَراً .

وغيرُ الحالِ والظُّروفِ: كما يكونُ منصوباً - مثلَ ما رأيتَ - يكونُ مرفوعاً ومخفوضاً ؛ نحوُ: مَنْ تزرْهُ . . أزرْهُ ، وحلُّهُ : كلُّ شخصِ إن تزرْهُ . . أزرْهُ ، وحلُّهُ : كلُّ شخصِ إن تزرْهُ . . أكرِمهُ ، أزرْهُ ، مبتدأُ والجملةُ الشرطيةُ خبرٌ ، ونحوُ : غلامُ أيّهِم تُكرِمهُ . . أكرِمهُ ، ونحوُ : بمَنْ تثقْ . . أثقْ ، وحَلُّهُ : غلامُ كلِّ شخصٍ إن تُكرِمهُ . . أكرِمهُ ، ونحوُ : بمَنْ تثقْ . . أثقْ ، وحَلُّهُ : إن تثقْ بزيدٍ . . أثقْ بهِ ، وبعمرٍ و إن بعمرٍ و ، وهلكذا ، مَنْ أعملَ الفكرَ . . ينلْ ما يَطلُبُهُ .

[أحوالُ الشرطِ والجزاءِ]

هـٰذا ؛ وأمَّا الشرطُ والجزاءُ . . فتارةً يكونانِ مضارعَينِ ، وتارةً ماضيَينِ ،

وتارةً يكونُ الشرطُ ماضياً والجزاءُ مضارعاً ، وتارةً يكونُ الشرطُ مضارعاً والجزاءُ ماضياً ، وهوَ قليلٌ ، وتارةً يكونُ الجزاءُ جملةً .

والأوَّلُ هو الأصلُ ؛ لموافقتِهِ مقتضى تعليق ما ليسَ حاصلاً على مثلِهِ ، وظرفُ الحصولَين المستقبلُ ؛ ولذٰلكَ يكونُ الماضي الواقعُ شرطاً هوَ ماضِ في اللَّفظِ فقطْ ، أُوقِعَ موقعَ المضارع لغرضٍ يُبيَّنُ في عِلْمِ المعاني .

الأمثلة : ﴿ إِن تَعُودُواْ نَعُدٌ ﴾ (' ' ، ﴿ إِنْ عُدَثَّرُ عُدْنَا ﴾ (' ') ، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ (٣).

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . غُفِرَ لَهُ (٤)

وقالَتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: (إنَّ أبا بكر رجلٌ أَسِيفٌ ؟ متى يقم مَقامَكَ . . رَقَّ) (٥) .

وقالَ العربيُّ (٢):

مَنْ يَكِدْنِي بِسَيِّئُ كُنْتُ مِنْهُ

كَٱلشَّجَا بَيْنَ حَلْقِهِ وَٱلْوَريدِ

[من الخفيف]

و آخَهُ (۷): [من البسيط]

مَلَأْتُمُ أَنْفُسَ ٱلْأَعْدَاءِ إِرْهَابَا إِنْ تَصْرِمُونَا وَصَلْنَاكُمْ وَإِنْ تَصِلُوا

⁽١) سورة الأنفال : (١٩) .

⁽۲) سورة الإسراء: (٨) .

⁽٣) سورة الشورى : (٢٠) .

⁽٤) أخرجه البخاري (٣٥) ، ومسلم (٧٦٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

⁽٥) أخرجه البخاري (٣٣٨٤) .

⁽٦) انظر « خزانة الأدب » (٧٦/٩) .

⁽٧) انظر « همع الهوامع » (١/٢٥٥).

وآخَرُ (١):

إِنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً مِنِّي وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا وَنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا وَالْحَرُ (٢):

إِنْ يَعْلَمُوا ٱلْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرّاً أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وحكمُ الشرطِ والجزاءِ الجزمُ لفظاً أو محلّاً ، ولا إعرابَ للماضي كما عرفتَ في غيرِ هلذا الموضعِ ، للكنْ إذا كانَ الشرطُ ماضياً . . جازَ رفعُ الجزاءِ المضارع ، قالَ زهيرٌ يَمدحُ هرمَ بنَ سنانٍ (٣) :

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ

وإذا كانَتْ جملةُ الجزاءِ: جملةُ اسميةً ، أو طلبيةً ، أو مُصدَّرةً بفعلٍ جامدٍ ، أو ب (لن) ، أو بالسينِ ، أو بالسينِ ، أو ب (سوفَ) . . كانَتْ كما يَحكُمُ بهِ الوِجدانُ آبيةً عنِ الربطِ الشرطيّ ، فأوجبَتِ اللغةُ مساعدةَ الأداةِ بفاءِ السببيةِ الملاقيةِ لها معنى ، وأجازَتْ ذلكَ حيثُ يكونُ مضارعُ الجزاءِ منفيّاً به (لا) ، وحيثُ يكونُ ماضيها مقصوداً بهِ الوعدُ أو الوعيدُ ، ولا تجوزُ الفاءُ في غيرِ ذلكَ ، وما وردَ على خلافِهِ مُؤوَّلٌ بتقديرِ ما يجعلُ الجملةَ مِنْ مواضع الفاء ؛ نحوُ : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ ﴾ (١٠) ، تقديرُهُ : امن البسط] فهوَ ينتقمُ ، وحذفُ الفاءِ حيثُ وُجِدَتْ . . ضرورةٌ ؛ كقولِهِ (٥) : [من البسط] مَنْ يَفْعَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱلللهُ يَشْكُرُهَا

⁽۱) انظر « مغنى اللبيب » (۹۰۸/۲) .

⁽٢) انظر « عيون الأخبار » (٢٨/٢) .

⁽٣) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمي » (ص ١٢٠) .

⁽٤) سورة المائدة : (٩٥) .

⁽٥) انظر « الكتاب » لسيبويه (٦٥/٣) ، و « خزانة الأدب » (٣٥٧/١١) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه : مَنْ يَفْعَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱللهُ يَشْكُرُهَا وَٱلسَّمَّــرُّ بِالسَّمَّـرِّ عِـنْــدَ ٱللهِ مِـثْـلَانِ

وقد ورد بعد (إن) خاصَّةً إقامة (إذا) الفجائية مُقامَ الفاء ؛ حيثُ يكونُ الجوابُ جملةً اسميةً غيرَ طلبيةٍ ولا مُصدَّرةٍ بر إنَّ) المُؤكِّدةِ ولا بأداةِ نفي ؛ نحوُ: ﴿ وَإِن تُصِبَّهُمُ سَيِّنَةٌ بِمَا قَدَمَتُ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (١) ، وقد وردَ الربطُ برا إذا) مكانَ الفاء ، وبهِما معاً بعدَ (إذا) مِنَ الأدواتِ غيرِ العاملةِ ؛ نحوُ: ﴿ حَقَّ إِذَا فُيتَحَتْ يَأْجُوبُ وَمُلْمُ مِن كُلِّ حَدَبِ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ الْحَقُ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١) .

وإذا جئتَ بعدَ الجزاءِ بمضارعِ مسبوقِ بفاءٍ أو واو . . جازَ لكَ جزمُهُ على العطفِ ، ورفعُهُ على الاستئنافِ ، ونصبُهُ به (أن) مضمرةً بعدَ واوِ المَعيَّةِ وفاءِ السبيةِ ، ويُزادُ هاذا على مواضعِهِ ما السالفةِ ، وبثلاثةِ الأوجهِ يُروى قولُهُ (٣) :

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ ٱلنَّاسِ وَٱلْبَلَدُ ٱلْحَرَامُ وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبِّ ٱلظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ

الذِّنَابُ: ككتابٍ ، والسَّنامُ: كسَحابٍ ، وإذا وَسَّطتَهُ . . لم يجزِ الرفعُ .

ويجوزُ حذفُ الجزاءِ ؛ نحوُ : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِى نَفَقًا . . . ﴾ الآيةَ ('') ؛ أي : فافعلْ ، ونحوُ : ﴿ وَلَوَ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتُ بِهِ لَلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّم بِهِ ٱلْمُوقِيَّ ﴾ ('') ؛ أي : لكانَ ('') .

⁽١) سورة الروم : (٣٦) .

⁽٢) سورة الأنبياء : (٩٦ _ ٩٧) .

⁽٣) هو النابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ١٠٥) .

⁽٤) سورة الأنعام : (٣٥) .

⁽٥) سورة الرعد : (٣١) .

⁽٦) أي : لكان هنذا القرآن ، وقدره ابن هشام في « مغنى اللبيب » (٨٤٩/٢) : لَما آمنوا به .

ويجبُ إذا كانَ الشرطُ ماضياً ولو معنى ، وتَقدَّمَ على الأداةِ أو اكتنفها ما يَصلُحُ أن يكونَ جواباً ، أو تَقدَّمَها قَسَمٌ لم يَصحَبْهُ طالبُ خبرٍ ؛ نحوُ : أجلسُ إن جلسَ زيدٌ ، أو : إن لم يجلسْ ، وأنا إن لم يجلسْ جالسٌ ، ونحوُ : أحلِفُ إن خرجَ زيدٌ لأخرجنَ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِن أَطَعْتُمُوهُمُ إِنَّكُمُ لَا مُشْرِكُونَ ﴾ (١) ، فإن تَأخَّرَ القَسَمُ أو صحبَهُ طالبُ خبرٍ . . لم يكنِ الجوابُ محذوفاً .

[الجوابُ إن توالىٰ شرطانِ]

وإذا توالى شرطانِ ؛ فإذا عطفتَ بالواوِ . . كانَ الجوابُ المذكورُ لهُما معاً ، وإذا عطفتَ بـ (أو) . . أجبتَ أحدَهُما وأضمرتَ للآخرِ ؛ نحوُ : إن زارَكَ زيدٌ أو إن زارَتْكَ هندٌ . . فأكرمْهُ ، أو فأكرمْها ، وفي نحوِ : إن جاءَ زيدٌ فإن جاءَ عمرٌو . . فأكرمْهُ ؛ الجوابُ : الفاءُ ومدخولُها ، وإذا لم تعطف . . فالجوابُ للأوَّلِ ، وجوابُ الثاني مُقدَّرٌ بجملةٍ قائمةٍ مِنَ الشرطِ الأوَّلِ وجوابِهِ ؛ كقولِكَ (٢) :

إِنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا إِنْ تُذْعَرُوا تَجِدُوا مِنَّا مَعَاقِلَ عِزٍّ زَانَهَا كَرَمُ

فالتقديرُ: إن تذعَرُوا ؛ فإن تستغيثوا بنا . . تجدوا .

وحذفُ كلِّ الشرطِ قليلٌ جدّاً ؛ كقولِهِ (٣): [من الطويل]

مَتَىٰ تُؤْخَذُوا قَسْراً بِظِنَّةِ عَامِرٍ وَلَا يَنْجُ إِلَّا فِي ٱلصِّفَادِ يَزِيدُ

تقديرُهُ: متى تُثقَفوا ، فعلٌ مجهولٌ ؛ أي : تُوجدوا ، والظِّنَّة بكسرِ الظاءِ : التُّهَمَةُ ، والصِّفادُ : جمعُ صَفَدٍ ، واحدُ الأصفادِ ؛ وهوَ القيدُ .

⁽١) سورة الأنعام : (١٢١) .

⁽٢) انظر « خزانة الأدب » (٣٥٨/١١) .

⁽٣) انظر « همع الهوامع » (٢/٣٥).

وحذف بعضِهِ كثيرٌ ؛ كقولهِ (١):

[من الوافر]

فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُفْء وَإِلَّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ ٱلْحُسَامُ

أي: وإلَّا تُطلِّقُها، وقولِ الناسِ: إمَّا لا؛ أي: افعلْ هاذا إلَّا تفعلْ ذلك، وقد ونحوِ: ﴿ وَإِنْ أَمَدُ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ (٢) ، وإنْ خيراً . . فخيرٌ ، وقد سلفَ أنَّ كلمةَ (إن) مُقدَّرةٌ معَ الطَّلبِ الذي جزمَتْ ما يَدُلُّ على الحاصلِ المُرتَّبِ على امتثالِهِ (٣) .

* * *

⁽١) هو الأحوص الأنصاري في « ديوانه » (ص ٢٣٨) .

⁽٢) سورة التوبة : (٦).

⁽٣) انظر (٣٦٠/١).

القسم الخامس

في بيانِ الجملِ الإنشائيةِ ، والجملِ التي لها محلٌّ مِنَ الإعرابِ والجملِ التي لا محلَّ لها منهُ

[الجملُ الخبريةُ والإنشائيةُ]

عرفتَ أنَّ المُركَّبَ التامَّ: إن كانَ حكايةً عمَّا لهُ وقوعٌ وحصولٌ . . فهوَ الإنشاءُ . الخبرُ والقضيةُ ، وإن لم يكنْ كذلكَ . . فهوَ الإنشاءُ .

فالخبرُ: مُركَّبُ تامُّ مفيدٌ بهيئتِهِ التركيبيةِ الحكمَ بثبوتِ أمرٍ لأمرٍ أوِ انتفائِهِ عنهُ ؛ نحوُ: زيدٌ قائمٌ ، وقامَ زيدٌ ، ويقومُ عمرٌو ، وما قامَ عمرٌو ، وليسَ خالدٌ بقائمٍ ، ويُسمَّىٰ هـٰذا النوعُ مِنَ الخبرِ: خبراً حمليّاً .

أو مُركَّبُ تامُّ يفيدُ استلزامَ وقوعِ نسبةٍ وقوعَ نسبةٍ أخرى ؛ وهوَ الخبرُ الشرطيُّ .

فالخبرُ : إمَّا حمليٌّ ، وإمَّا شرطيٌّ .

وأمَّا الجملةُ التي يُسمِّيها أهلُ المَنطِقِ الشرطيةَ المُنفصِلةَ في مقابلةِ الشرطيةِ المُنفصِلةَ في الحمليَّةِ ؛ فإنَّ الشرطيةِ المُتصِلةِ السابقةِ . . فهيَ عندَ النحويينِ داخلةٌ في الحمليَّةِ ؛ فإنَّ قولَكَ : الشيءُ إمَّا أن يكونَ وإمَّا ألَّا يكونَ . . بمنزلةِ قولِكَ : الشيءُ كائنٌ أو غيرُ كائنٍ ، فهوَ مبتدأٌ وخبرٌ .

وبينَ هاذَينِ التركيبَينِ مِنْ جهةِ التعقُّلِ فرقٌ دقيقٌ ؛ وذلكَ أنَّ الحكمَ في الأولِ بالعِنادِ والتنافرِ بينَ وقوعَيِ النسبتَينِ ، ولذلكَ تلاحظُ أنَّهُ في تقديرِ شرطيتَينِ مُتصلتَينِ يَستلزِمُهُما ؛ وهما إن كانَ الشيءُ كائناً . . لم

يكنْ غيرَ كائنٍ ، وإن كانَ غيرَ كائنٍ . . لم يكنْ كائناً ، وبهاذهِ الملاحظةِ شُمِّيَتِ المُنفَصِلةُ شرطيَّةً ، والحكمُ في الثاني بثبوتِ أحدِ الأمرينِ فحَسْبُ ، وليسَ للملاحظةِ عملٌ بعدَ ذلكَ ، ويُسمَّىٰ عندَهُمُ : المحمولَ المُردَّدَ .

والإنشاءُ هوَ:

الأمرُ ؛ نحوُ : أكرمْ زيداً .

والنهيُ ؛ نحوُ : لا تُهِنْ عمراً .

والتمنِّي ؛ نحوُ: ليتَ الحبيبَ حاضرٌ.

والحضُّ ؛ نحوُ : هَلَّا أو أَلَّا أو لولا أو لوما تفعلُ أو فعلتَ ؛ وهوَ في المُستقبَلِ بمعنى : ما كانَ ينبغي أن تفعلَ ، وفي الماضي بمعنى : ما كانَ ينبغي أن تفعلَ ، قيلَ : وهوَ طلبٌ لتداركِ ما يمكنُ تداركُهُ ، ويَستعمِلُهُ الزاجرُ ؛ لأنَّ الحَضَّ كما عرفتَ يكونُ بشِدَّةٍ وعنفٍ .

والعَرْضُ ؛ نحوُ : أَلَا تفعلُ ، ويَستعمِلُهُ المُستعطِفُ الخاضعُ ؛ وذلكَ أَنَّ أصلَهُ الاستفهامُ ، فهوَ طلبٌ لرأي المُخاطَبِ ، ولذلكَ صُدِّرَ بأداةِ النفي ، فكأنَّهُ قالَ : هلِ الأحسنُ بقاءُ الشيءِ على الانتفاءِ ؟ والمقصودُ : أَنَّ فكأنَّهُ قالَ : هلِ الأحسنُ بقاءُ الشيءِ على الانتفاءِ ؟ والمقصودُ : أَنَّ الأحسنَ كونُهُ وحصولُهُ ، ولذلكَ يُرتَّبُ عليهِ السببُ في الحكمِ بحسنِهِ ؛ كقولِهِ (۱) :

يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا والأستفهامُ ، وسبق تفصيلُهُ (٢).

⁽١) انظر « همع الهوامع » (٣٨٩/٢).

⁽٢) انظر (١٦٣/١).

والتعجُّبُ ؛ نحوُ : لِلهِ أنتَ ، ولِلهِ دَرُّكَ ، ولهُ صيغتانِ مشهورتانِ يَبحثُ النحويُّ عنهُما :

- إحداهُما: فعلٌ ثلاثيٌ مهموزٌ يقبلُ معناهُ الشِّدَّةَ والضَّعفَ ، مسبوقٌ بكلمةِ (ما) التي معناها: شيءٌ عظيمٌ ، وهيَ مبتدأٌ ، وفاعلُ الفعلِ المذكورِ ضميرٌ واجبُ الاستتارِ يعودُ على (ما) نحوُ: ما أحسنَ زيداً ، وما أجملَ عمراً ، وما ألطفَ خالداً .

(١) مَا أَقْدَرَ ٱللّٰهَ أَنْ يُدْنِيْ عَلَىٰ شَحَطٍ مَنْ دَارُهُ ٱلْحَزْنُ مِـمَّنْ دَارُهُ صُـولُ

معناهُ: شيءٌ عظيمٌ صَيَّرَ اللهَ قادراً (٢)، وشيءٌ عظيمٌ صَيَّرَ زيداً جميلاً، نُقِلَ هاذا التركيبُ مِنْ هاذا المعنى الخبريِّ المشروحِ لإنشاءِ التعجُّبِ مِنْ قُوَّةِ الوصفِ وشِدَّتِهِ.

وكيفيةُ السلوكِ للانتقالِ: هيَ أنَّ المُتكلِّمَ لمَّا جعلَ حُسْنَ زيدٍ حُسْناً عنِ العادةِ . . جعلَ لهُ مُوجِداً مُبهَماً غيرَ معلومٍ ، غيرَ المُوجِدِ الذي عُلمَ أنَّهُ يَخلقُ الأوصافَ ، ولذلكَ يَجعلُ بعضُ النحويينَ كلمةَ (ما) فيهِ استفهاميةً ، وهاذهِ المعاني مُحالةٌ في أنفسِها باطلةٌ ، ألا ترى أنَّ قدرةَ اللهِ جلَّ وعزَّ ليسَتْ بإيجادِ موجدٍ ولا بتصييرِ مُصيِّرٍ حتىٰ يُقالَ : (ما أقدرَ اللهَ) بذلكَ المعنىٰ ؟! بل معناهُ : أتعجَّبُ مِنْ قُوَّةٍ قدرةِ اللهِ تعالىٰ ، وهوَ معنى صحيحٌ .

_ الصِّيغةُ الثانيةُ : فعلٌ ثلاثيٌّ مهموزٌ بهمزةِ الصَّيرورةِ ، محمولٌ مِنْ صورةِ الصّيرورةِ ، محمولٌ مِنْ صورةِ الماضي إلى صورةِ الأمرِ ؛ نحوُ : أَنعِمْ بزيدٍ ، وأَكرِمْ بهِ ، وأحسِنْ بخالدٍ ،

⁽١) من البسيط ، والبيت لحندج بن حندج المري ، كما في « شرح الحماسة » (١٦١/٤) .

⁽٢) وسيردُّ المؤلفُ هاذا المعنىٰ قريباً ، وذكر الإمام السيوطي في « همع الهوامع » (٣٢١/٣) : (والمعنىٰ في « ما أعظمَ الله » : أنه في غاية العظمة ، ومعنى التعجب فيه أنه لا يُنكر ؛ لأنه مما تَحار فيه العقولُ ، وإعظامه تعالىٰ وتعظيمه : الثناء عليه بالعظمة واعتقادها ، وكلاهما حاصل ، والموجب لهما أمر عظيم) .

وأَظرِفْ بهِ ، أَصلُهُ: أحسنَ زيدٌ ؛ أي : صارَ ذا حُسْنِ ، يَتكلَّمُ بهاذا المُتكلِّمُ المُتكلِّمُ المُخاطَبونَ المُتعجِّبُ معَ مَنْ يَعلمُ حُسْنَ زيدٍ ، فلا يَحتاجُ لأن يُخبِرَ بهِ فيَعلَمَ المُخاطَبونَ أَنَّهُ مُتعجِّبٌ ، والباءُ بعدَهُ زائدةٌ ، والاسمُ بعدَها في محلِّ رفع هوَ الفاعلُ .

يُقالُ: أَحسِنْ بزيدٍ: فعلٌ ماضٍ تَعجُّبيٌّ جيء بهِ على صورة الأمرِ ، والفعلُ الثلاثيُّ الذي تَهمِزُهُ ليصيرَ فعلاً تَعجُّبيّاً هوَ فعلٌ مِنْ بابِ (كَرُمَ) بالأصالةِ ؛ مثلُ: حَسُنَ ؛ مِنَ الحُسْنِ ، ونَعُمَ ؛ مِنَ النَّعْمةِ بفتح فسكونٍ ؛ أي : التَّرَفِ ، أو بالتحويلِ ؛ كضَرُبَ وفَقُهَ المُحوَّلينِ عن ضَرَبَ وفَقَهَ بفتح عينِهِما .

ولكَ _ كما سلفَ ويأتي _ أن تَستعمِلَ أفعالَ هاذا البابِ للتعجُّبِ ، وأن تهمزَها لتحصيلِ تينِكَ الصِّيغتَينِ ، والفعلُ المُتعدِّي يصيرُ بتحويلِهِ لازماً كما هوَ شأنُ الباب .

وإذا أردتَ أن تذكرَ مفعولَهُ . . أوصلتَهُ إليهِ بلامِ التعديةِ ، وليسَ لها موضعٌ سواهُ ؛ تقولُ : ضَرُبَ زيدٌ لعمرو ، وفَقُهَ لمسائلِ الكلامِ .

ثمَّ إنَّ فعلَ التعجُّبِ لا يُصاغُ إلَّا ممَّا يُصاغُ منهُ اسمُ التفضيلِ ، وما توصَّلُ بهِ إلى التعجُّبِ ، تَتوصَّلُ بهِ إلى التعجُّبِ ، والبيانُ . . البيانُ .

ومِنَ الإنشاءِ: (نِعْمَ) للمدحِ و(بئسَ) للذمِّ وما جرى مَجراهُما مِنْ كلِّ فعلٍ ثلاثيّ على (فَعُلَ) بضمِّ العينِ ، حيثُ يُرادُ بهِ المدحُ والتعجُّبُ مِنْ قُوَّةِ الوصفِ في صاحبهِ .

وهاذا الفعلُ الذي يُمدَحُ بهِ أو يُذَمَّ . . يرفعُ فاعلاً مُفتتَحاً به (أل) ، أو مُضافاً لمُفتتَح بها ؛ نحوُ : نِعْمَ المُتقي ربَّهُ ، و﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (١) ، و﴿ فَيِئْسَ

⁽١) سورة الرعد : (٢٤) .

الْقَرِينُ ﴾ (١) ، أو ضميرٌ واجبُ الاستتارِ مُذكَّرٌ ، ولك تأنيثُهُ معَ المُؤنَّثِ كما سَلَفَ ، مفردٌ دائماً ، ويُفسَّرُ باسمٍ يُذكَرُ بعدَهُ منصوباً على التمييزِ ، وهاذا الاسمُ النكرةُ الذي يُجعَلُ تمييزاً مُفسِّراً للضَّميرِ . . هوَ الذي يُجعَلُ فاعلاً مُفتتَحاً باللَّمِ أو مُضافاً لمُفتتَح بها ، ومعنى هاذا الاسمِ هوَ الشيءُ الذي يقعُ المدحُ أو الذمُّ مِنْ جهتِهِ ولأجلِهِ ؛ وهوَ اسمُ جنسٍ ، والشخصُ المُعيَّنُ الذي سيقَ الكلامُ لمدحِهِ أو ذمِّهِ . . فردٌ لذلكَ الجنسِ ، فيُذكَرُ قبلُ أو بعدُ مبتداً ، والجملةُ خبرُهُ .

وقيل : إذا تَأخَّر . كانَ خبراً لمُبتدأً واجبِ الحذفِ ، والجملةُ منهُ ومِنَ المحذوفِ مُستأنفةٌ مبنيةٌ على سؤالٍ يَلزمُ نفسَ المُخاطَبِ ؛ نحوُ : زيدٌ نِعْمَ الرجلُ ، ونحوُ : نِعْمَ الفارسُ عمرٌو ، ف (عمرٌو) على القولِ الثاني : خبرٌ لرهوَ) مُقدَّرٌ ، كأنَّ المُخاطَبَ لمَّا سمعَ المُتكلِّمَ يقولُ : نِعْمَ الفارسُ . . سألَ : مَنْ هوَ ؟ فقالَ المُتكلِّمُ : عمرٌو ؛ أي : هوَ عمرٌو .

ويقعُ بعدَ هاذهِ الأفعالِ كلمةُ (ما) نحوُ : نِعْمَ ما يَصنعُ زيدٌ .

فإن لاحظتَ أنَّ المعنى : نِعْمَ الشيءُ الذي يَصنعُهُ زيدٌ ، على كونِ (ما) موصولةً . . كانَتْ فاعلاً .

وإن لاحظتَ أنَّ المعنى : نِعْمَ شيئاً يَصنعُهُ زيدٌ ، على كونِها نكرةً موصوفةً بالجملةِ . . كانَتْ تمييزاً ، والفاعلُ : الضَّميرُ المستترُ .

وعلى كلِّ يُذكَرُ المقصودُ بالمدحِ أو الذمِّ ، مثلاً : تقولُ : نِعْمَ ما يَصنعُ زيدٌ ؛ تَكلُّمُهُ في موضع الكلامِ ، وصمتُهُ في موضعِ الصمتِ .

والأفعالُ التي تُستعمَلُ في المدح والذمّ هيَ : (نِعْمَ) و(بِئْسَ) و(ساءَ)

⁽١) سورة الزخرف : (٣٨) .

و (حُبَّ) ، وسائرُ الأفعالِ الثلاثيةِ الآتيةِ على (فَعُلَ) بضمِّ العينِ وضعاً أو تحويلاً ؛ فيُقالُ : شَرُفَ الرجلُ زيدٌ ، ونَبُهَ المرءُ خالدٌ ، وظَرُفَتِ المرأةُ دعدٌ ، وطابَتِ الفتاةُ هندٌ ، وأصلُهُ : طَوُبَ بواوِ مضمومةٍ قُلِبَتْ أَلِفاً .

وقالوا: حَبَّذا مدحاً ، ولا حَبَّذا ذمّاً ، فجعلوا الفاعلَ اسمَ إشارةٍ مُذكَّراً مفرداً دائماً كما أفردوا الضَّميرَ الفاعلَ دائماً ؛ فيُقالُ: حَبَّذا زيدٌ والزيدانِ والزيدونَ ، وحَبَّذا هندٌ ، كما يُقالُ: نِعْمَ رجلَينِ [ورجالاً] ، وقالوا: حُبَّ الرجلُ زيدٌ ، وحُبَّتِ المرأةُ هندٌ بضمِّ الحاءِ ، وحُبَّ بزيدٍ عالماً ، وحُبَّ بهندٍ عفيفةً .

والاسمُ الخاصُّ الذي سيقَ لهُ المدحُ أوِ الذمُّ يُسمَّى : المخصوصَ بالمدحِ أوِ الذمُّ يُسمَّى : المخصوصَ بالمدحِ أوِ الذَّم .

ومِنَ الإنشاءِ: صيغُ العقودِ والحلولِ ؛ نحوُ: بعثُ ، واشتريتُ ، وحَبَّستُ ، وسَبَّلتُ ، وفسختُ ، وطَلَّقتُ ، وأنتِ طالقٌ ، وأنتَ حرٌّ ؛ إذ لا يُقصَدُ بها الحكايةُ .

ومِنَ الإنشاءِ: الدُّعاءُ؛ نحوُ: أصلحَ اللهُ حالَكَ ، وأطالَ بقاءَكَ ، ولا زلتَ معَ الحقِّ ، و[نحوُ]:

لَـنْ تَـزَالُـوا كَـذَٰلِكُمْ ثُـمَ لَا زِلْـ ـ تُ لَكُمْ خَالِداً خُلُودَ ٱلْجِبَالِ لَكُمْ خَالِداً خُلُودَ ٱلْجِبَالِ لَعْدم قصدِ الحكايةِ أيضاً.

⁽١) هو الأعشى الكبير في « ديوانه » (١٢٥/١) .

وأمَّا الجملُ التي لا يَخرجُ الكلامُ عنها ، ومنها : ما لهُ مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ ، ومنها : ما لا مَحَلَّ لهُ منهُ . . فهيَ خمسَ عشرةَ جملةً ؛ سبعٌ لها مَحَلُّ مِنَ الإعرابِ ، وثمانٍ لا مَحَلَّ لها .

[الجملُ التي لها مَحَلُّ مِنَ الإعراب]

فذواتُ المحلّ :

- جملةُ الخبرِ عمَّا له خبرٌ ؛ مِنْ مبتدأً وناسخ .
- وجملةُ المفعولِ في (بابِ ظنَّ) إذا وقعَتْ مفعولاً ثانياً أو سادَّةً مَسَدًّ المفعولَينِ ؛ حيثُ يُعلَّقُ الفعلُ عن نصبِ الأجزاءِ بإحدى المُعلِّقاتِ ، وبقيةُ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي لم تُعامَلْ مُعاملةَ (ظنَّ) لعدمِ استحقاقِها ذلكَ بحسبِ معناها . يَدخُلُها التعليقُ ، فالجملةُ بعدَها مفعولٌ ؛ نحوُ : ذكرتُ أقامَ زيدٌ أم لم يقمْ ، وشككتُ هل قالَ ما نسبوا لهُ ، ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُشِينُهَا ﴾ (١) ، وفي هاذا وجهٌ آخرُ ؛ وهوَ أنَّ (كيفَ) اسمٌ لم يُضمَّنْ معنى الهمزةِ ، فهوَ المفعولُ ، ومنهُ : ﴿ أَرِفِ كَيْفَ تُحْيُ ٱلْمَوْقَ ﴾ (١) .
 - _ وجملة الحال .
 - ـ وجملةُ النعتِ .
 - _ والجملةُ المُضافُ إليها .
 - _ وجملة الجزاء المُفتتَحة بالفاء (").
 - _ والجملة المعطوفة على إحدى هاذه الجمل .

⁽١) سورة البقرة : (٢٥٩) .

⁽٢) سورة البقرة : (٢٦٠) .

⁽٣) أو المفتتحة به (إذا) الفجائية .

كلُّها في محلِّ إعرابٍ ؛ لأنَّها واقعةٌ موقعَ مفرداتٍ _ وذلكَ ضابطُها _ لو ذُكِرَتْ . . لكانَتْ مُعرَبةً لفظاً .

مثلاً: زيدٌ أبوهُ قائمٌ ، (زيدٌ): مبتدأٌ ، و(أبوهُ): مبتدأٌ ، و(قائمٌ): خبرُ المبتدأ الثاني ، والجملةُ في محلِّ رفعِ خبرِ المبتدأ الأوَّلِ واقعةٌ موقعَ (قائمُ الأبِ)، فلفظُ (قائمٌ) يكونُ خبراً مرفوعاً بضمةٍ ظاهرةٍ ، وعليهِ القياسُ .

[الجملُ التي ليسَ لها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ] والتي لا مَحَلَّ لها:

- _ جملة فعل الشرطِ.
- _ وجملة جزاء الشرط التي لم تصحبها فاء (١١).
 - _ وجملة جوابِ القَسَم .
- وجملةُ الصِّلةِ لاسمٍ أو حرفٍ: وصلةُ الاسمِ جملةٌ خبريةٌ ضرورةَ كونِها مسوقةً لتعيينِ المرادِ بسببِ عهدِ المُخاطَبِ وسَبْقِ شعورِهِ بحصولِ مضمونِها .

ويجبُ أن تَشتمِلَ ـ كما هوَ شأنُ جميعِ الجملِ المُتعلِّقةِ بغيرِها تَعلَّقاً شديداً ـ على رابطٍ بمعنى الموصولِ ، ويُسمَّى : العائدَ ، ويجبُ كونُهُ مُطابِقاً للموصولِ في الإفرادِ وفرعَيهِ ، والتذكيرِ وفرعِهِ ، إلَّا في الموصولاتِ المُشتركةِ ، فيجوزُ فيها اعتبارُ اللَّفظِ ، فيُفرَدُ ويُذكَّرُ ، ويكونُ مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضاً ، ويجوزُ حذفُهُ مرفوعاً إن لم يكنْ فاعلاً وطالَتِ الصِّلةُ في غيرِ ومخفوضاً ، ومخفوضاً بمُضافٍ (أيِّ) لدفع البَشاعةِ ، ومنصوباً بفعلٍ أو وصفٍ تامَّينِ ، ومخفوضاً بمُضافٍ

⁽١) أو لم تصحبها (إذا) الفجائية.

وصفٍ أو حرفٍ ، وشرطُ الحذفِ تَعيُّنُهُ ؛ بحيثُ يكونُ عينَ المرادِ بيِّناً ، والفصيحُ في صلةِ (أل) كونُها وصفاً جارياً مَجرى الفعل .

وفي الصِّلةِ والعائدِ تَلطَّفَ شرفُ الدين ابنُ عنينٍ حيثُ كانَ مريضاً وخاطبَ سلطانَ ديارِ الشأمِ في وقتِهِ عيسى المُعظَّمَ الأيوبيَّ بقولِهِ: [من الكامل]

أَنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلَىً لَمْ يَزَلْ يُولِي ٱلنَّدَىٰ وَتَلَافَ قَبْلَ تَلَافِي أَنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُولِي ٱلنَّدَىٰ وَٱلْجَزَاءَ ٱلْوَافِي أَنَا كَٱلَّذِي أَحْتَاجُهُ فَاعْنَمْ ثَوَابِي وَٱلْجَزَاءَ ٱلْوَافِي

وأحسنَ السُّلطانُ _ رحمَ اللهُ الجميعَ _ جوابَهُ ؛ حيثُ زارَهُ بنفسِهِ ومعَهُ بدرةُ دنانيرَ ، وقالَ : (هاذهِ الصِّلةُ ، وأنا العائدُ) (١٠ .

ـ وجملةُ التفسير .

- والجملةُ الاعتراضيةُ: وهي الواقعةُ بينَ أجزاءِ الكلامِ لغرضٍ مِنَ الأغراضِ التي مَحَلُّ بيانِها عِلْمُ المعاني ؛ نحوُ: زيدٌ - والإكرامُ عادتُهُ - الأغراضِ التي مَحَلُّ بيانِها عِلْمُ المعاني ؛ نحوُ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَتِ سُبْحَنَهُ, وَلَهُم الرمني ، وتقعُ بالواوِ والفاءِ وبدونِهِما ؛ نحوُ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَتِ سُبْحَنَهُ, وَلَهُم المَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢).

- والجملةُ الاستئنافيةُ : وهيَ الواقعةُ في افتتاحِ النطقِ ؛ نحوُ : زيدٌ قارئُ ، أو أو بعدَ انتهاءِ الكلامِ جواباً عن سؤالٍ مُقدَّرٍ ؛ نحوُ : أكرمْ زيداً ؛ إنَّهُ عالمٌ ، أو غيرَ جوابٍ ؛ نحوُ : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٣) ، وأهلُ البيانِ يَخصُّونَ اسمَ الاستئنافيةِ بالواقعةِ جواباً (١٠) .

⁽١) انظر « وفيات الأعيان » (٤٩٦/٣) ، وفي « ثمرات الأوراق » لابن حجة الحموي (ص ٤٤) : (فحضر إليه المعظّم بنفسه ومعه ثلاث مئة دينار ، وقال له : أنت « الذي » ، وأنا « العائد » ، وهذه « الصلة ») .

⁽٢) سورة النحل : (٥٧) .

⁽٣) سورة الإسراء : (٨١) .

⁽٤) وهو ما يُعبَّر عنه بالاستئناف البياني .

_ والجملة التابعة لإحدى هذه الجمل.

فتَلخَّصَ: أنَّ الكَلِمَ العربيَّ مِنْ حيثُ يَبحثُ النحويُّ عنهُ.. هوَ المُركَّباتُ المتمايزةُ بالضَّوابطِ، فلا بحثَ لهُ عنِ المُفرَدِ إلَّا مِنْ حيثُ كونُهُ جزءَ كلامٍ، ولذلكَ عَرَّفَهُ بما يكونُ إعرابُهُ واحداً ؛ إذِ الألفاظُ قبلَ التركيبِ لا تُوصَفُ بإعرابٍ ولا بناءٍ ؛ لأنَّكَ قد عرفتَ أنَّ الإعرابِ والبناءَ تأثيرُ مُؤثِّرٍ مُتحصِّلٍ مُصاحِب وعدمُهُ (١).

وأنّه يَبحثُ عنِ المُركّباتِ مِنْ جهاتٍ خاصّةٍ ؛ وهي كونُ الكلماتِ ـ التي هي أجزاءُ التركيبِ ـ مُعرَبةً لفظاً وموضعاً إعراباً ظاهراً أو مُقدَّراً ، أو مُعرَبةً موضعاً مبنيةً لفظاً وموضعاً ، وأنّها واقعةٌ في مواضعها التي يقتضيها لها الترتُّبُ التعقليُّ للمعاني أو لا ، التزاماً لذلك ودونَهُ ، وأنّها ملفوظةٌ بأسرها أو لا كذلك .

والأغراضُ المُترتِّبةُ على إيرادِ التراكيبِ في تلكَ الصورِ . . هيَ مباحثُ عِلْمِ المعاني ، ولكونِ تلكَ الصُّورِ في نظرِ صاحبِ عِلْمِ المعاني لأغراضٍ . . لم تكنْ عندَهُ صورةٌ غيرُ مُلتزَمةٍ ، والنحويُّ لمَّا لم يكنْ باحثاً عن تلكَ الأغراضِ ، ورأى التركيبَ تارةً وتارةً . . أثبتَ الجوازَ ؛ فتَتبَّعَ أجزاءَ التراكيبِ بضبطِها ضبطاً نوعيّاً ، ومَيَّزَ كُلاً باسمٍ مناسبٍ يَخُصُّهُ ، فخرجَتْ لهُ مِنْ ذلكَ أبوابٌ وفصولٌ ، ثمَّ كما تَتبَّعَ أجزاءَ التراكيبِ . . تَتبَّعَ أنفسَ التراكيبِ بالكيفيةِ التي تَتبَّعَ بها الأجزاءَ .

وعلىٰ ذلكَ تمَّ لهُ فنُّ ضبطَ بهِ اللُّغةَ العربيةَ ضبطاً أصليّاً لازماً ؛ إذ بهِ

⁽١) انظر (٣٢٩/١).

تبقى اللُّغةُ التي بها وصلَ إلينا دينُنا محفوظاً مَحُوطاً أن يَدخُلَهُ شائبةُ تغييرِ أو زحزحةٌ عن مُستقرِّ .

فرحمَ اللهُ أولئكَ المجتهدينَ في تأييدِ هاذا الدِّينِ المتينِ ، صلواتُ اللهِ وتسليماتُهُ على مَنْ جاءَ بهِ وعلى تابعيهِ أجمعينَ .

* * *

[الإخبارُ ب (الذي) والألفِ واللَّام]

وقد جرتْ عادةُ النحويينَ أن يضعوا باباً لاختبارِ حافظةِ الطَّلَبةِ وتمرينِهِم على استعمالِ تلكَ القوانينِ التي صرفوا لتحصيلِها صدراً مِنْ نفيسِ أعمارِهِم ، واحتملوا لهُ بعضَ الخروجِ عن مألوفِ النفوسِ ، وسمَّوهُ : الإخبارَ به (الذي) والألف واللَّام .

وصورةُ ذلكَ : أَنْ يَسَالُكَ سَائلٌ : كَيْفَ تُخبِرُ بِهِ (أَلَ) أَو بِ (الذي) عن (زيدٍ) مِنْ : مررتُ بزيدٍ ؟ فتجيبُهُ : الممرورُ بهِ لي زيدٌ ، أو الذي مررتُ بهِ زيدٌ .

وبيانُ ذلكَ : أنَّ غَرَضَ السائلِ أن يأتيَ بتركيبٍ ما ، ويَطلُبَ منكَ أن تُحوّلَهُ إلى صورةِ التركيبِ الذي تُخبرُ فيهِ عنِ الموصولاتِ .

وضابطُهُ: أن تأتي بأحدِ الموصولاتِ حَسَبَ الاقتضاءِ وتَجعلَهُ مبتداً ، وتجعلَ الاسمَ الذي قيلَ: (كيفَ تخبرُ عنهُ) خبراً عن ذلكَ المبتدأ ، بعدَ أن تضعَ موضعَهُ ضميراً مُطابقاً يكونُ خلَفاً منهُ.

فيظهرُ لكَ حينَئذِ: أنَّ قولَهُم: (أَخبِرْ بد «الذي » عن زيدٍ) فيه قلبٌ ، ووجهه أن أُخبِرْ عنِ (الذي) بزيدٍ ، ومِنَ التكلُّفِ أن تُجعَلَ الباءُ للآلةِ ، وأنَّ الإخبارَ في الحقيقةِ عن ذلكَ الاسمِ ؛ لأنَّ ذلكَ التركيبَ الذي يُرادُ التحويلُ إليهِ في هلذا البابِ تركيبٌ مقصودٌ ، جُعِلَ فيهِ المُسنَدُ إليهِ مِنَ الموصولاتِ لأحدِ الأغراض المُبيّنةِ لهُ في عِلْم المعاني .

فإذا عرفتَ أنَّ الغَرَضَ تأخيرُ اسمٍ مِنَ التركيبِ لتجعلَهُ خبراً ، وأن تضعَ مكانَهُ ضميراً ، وأن تأتي بموصولٍ تُصدِّرُهُ وتَجعلُهُ مبتداً . . أطلقتَ فكرَكَ

في القواعدِ التي حفظتها ، فقلتَ في نفسِكَ : إنَّ تأخيرَ الاسمِ يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنَ الأسماءِ التي يجبُ تصديرُها ، وأنَّ رفعَهُ خبراً يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنَ الأسماءِ التي تَلزمُ حالةً واحدةً ؛ كالمصادرِ الملازمةِ للنصبِ ، والظروفِ غيرِ المُتصرِّفةِ ، وألَّا يكونَ جزءَ مُركَّبٍ ذي معنىً واحدٍ ، وأنَّ وضعَ الضَّميرِ موضعَهُ يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنْ أجزاءِ التراكيبِ التي يجبُ أن تكونَ نكراتٍ أو أسماءً ظاهرةً ، وأن يكونَ بحيثُ يَصِحُ وضعُ الضَّميرِ موضعَهُ ؛ بألَّا يكونَ مُضافاً ، ولا موصوفاً ، ولا مصدراً عاملاً ؛ إذِ الضَّميرُ لا يُضافُ ، ولا يُوصَفُ ، ولا يَحملُ ، وألَّا يَحصُلَ بذلكَ العملِ فسادٌ في التركيبِ ؛ بحيثُ لا يكونَ مفيداً ، وأنَّ الإتيانَ بالموصولِ ليكونَ مبتداً يُوجِبُ أن تكونَ الجملةُ التي يُطلَبُ فيها إجراءُ ذلكَ صالحةً لأن تكونَ صلةً ، وأن يمكنَ صَوْغُ صلةٍ منها لا (أل) حيثُ يكونُ الإخبارُ عنها .

فحينَئذٍ متى سألكَ سائلٌ: كيفَ تُخبِرُ عن كذا، وكانَ اسمَ استفهامٍ، أو اسمَ شرطٍ، أو ضميرَ شأنٍ، أو مبتداً، أو مثلَ: معاذَ اللهِ، وعندَ ولدى، أو حالاً، أو تمييزاً، أو مخفوضاً به (رُبَّ) أو به (حتى) أو به (مذ)... إلى غيرِ ذلكَ ممَّا تَمنعُ القواعدُ أن يكونَ عليهِ التركيبُ الذي تُحوِّلُ إليهِ المُركَّبَ الذي يُطلَبُ منكَ تحويلُهُ.. قلتَ: لا يمكنُ الإخبارُ ؛ للمانعِ الذي هوَ كذا.

مثلاً: يُقالُ لكَ: أَخبِرْ عنِ الصَّديقِ الخَصِيصِ والعدوِّ البغيضِ مِنْ قولِكَ: كانَ زيدٌ الصديقَ الخصيصَ والأيامُ باسمةٌ، ثمَّ صارَ العدوَّ البغيضَ وهي كاشرةٌ . . فتقولُ: الذي كانَهُ - أو إيَّاهُ - زيدٌ والأيامُ باسمةٌ . . الصَّديقُ الخَصِيصُ ، ثمَّ الذي صارَهُ - أو إيَّاهُ - وهي كاشرةٌ . . العدوُّ البغيضُ .

ويُقالَ لكَ : أَخبِرْ عن رجلٍ مِنْ قولِكَ : رُبَّ رجلٍ يَعرِفُ فضلَ العِلْمِ

والتهذُّبَ وحُسْنَ السيرةِ . . فتقولُ : لا يمكنُ ؛ لأنَّ التركيبَ يصيرُ هاكذا : الذي رُبَّهُ يَعرِفُ . . . رجلٌ ، فيلزمُ أن يكونَ مخفوضُ (رُبَّ) معرفةً ، وهوَ غيرُ سائغ .

وعليكَ بالفكرِ في القياسِ واستخراجِ ما يمكنُ فيهِ ذلكَ العملُ وما لا يمكنُ ، وقدِ التزمتُ شِدَّةَ الاختصارِ في هنذا الموضعِ ؛ إبقاءً لفكرِكَ بسطَهُ وتفصيلَهُ حَسَبَ ما تَحصَّلَ معَكَ مِنَ الأحكام ومعرفةِ العملِ في هنذا البابِ .

وبعضُ النحويينَ أوردَ هاذا البابَ عندَ الكلامِ على المبتدأ والخبرِ ، وبعضُ هم عندَ الكلامِ على الموصولِ ؛ مخالفةً لوضعِ المُتقدِّمينَ لهُ في هاذا الموضعِ ، ونِعْمَ ما صنعَ المُتقدِّمونَ ؛ فإنَّ الغَرَضَ بهِ _ كما عرفتَ _ اختبارُ حفظِكَ لسائر قواعدِ الفنّ .

مسألةٌ

[في الطَّلَبِ بكلمتَي (أيِّ) و(مَنْ)]

كلمتا (أي) و(مَنْ) إذا طلبتَ بهِما مِنَ المُخاطَبِ تعيينَ مرادِهِ بنكرةٍ أوردَها في كلامِهِ . . حكيتَ بالأُولئ وصلاً ووَقفاً صورةَ تلكَ النكرةِ مِنَ الإفرادِ والتذكيرِ وفروعِهِما ، وحَرَّكتَ آخِرَها ، وبالثانيةِ وَقفاً فقطْ .

فتقولُ: أيٌّ وأيَّةُ بثلاثِ الحركاتِ ، وأيَّانِ وأيَّتانِ وأيَّتينِ وأيَّتينِ ، وأيَّاتُ ؛ حيثُ تكونُ النكرةُ جمعاً لا يَصلُحُ أن يُوصَفَ بجمعِ مُذكَّرٍ سالمٍ ، وأيُّونَ وأيِّينَ ؛ حيثُ تكونُ النكرةُ جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ ، أو جمعاً يَصلُحُ وصفُهُ بهِ ، مُوزِّعاً ذلكَ حَسَبَ ما عرفتَ .

وتقولُ: مَنُو ومَنَا ومَنِي ، بثلاثِ الحركاتِ وإشباعِها ، ومَنَانْ ومَنَينْ ومَنُونْ ومَنَانْ ومَنَينْ ومَنُونْ ومَنَاتْ .

و(أيٌّ) على إعرابِها، و(مَنْ) على بنائِها، فلواحقُ الثانيةِ مِنَ الحركاتِ والحروفِ للحكايةِ اتفاقاً، وفي لواحقِ الأُولىٰ خلافٌ، وعلى القولِ بكونِها إعراباً يكونُ الخافضُ عندَ حكايةِ الخفضِ محذوفاً، وعلى القولِ بكونِها للحكايةِ فضَمَّةُ (أيِّ) مُقدَّرةٌ ؛ لكونِها حينَئذٍ مبتداً.

وإذا أوردَ مُخاطَبُكَ في كلامِهِ عَلَماً مُشترَكاً وطلبتَ تعيينَهُ به (مَنْ) دونَ أن تَقرُنَها به (واو) أو (فاء) ، وجئتَ بعدَها بلفظِ العَلَمِ غيرَ متبوعٍ إلَّا بعطفِ نسقٍ أو وصفٍ بابنٍ أو ابنةٍ . . جازَ لكَ أن تَنطِقَ بهِ على صورتِهِ في كلامِ المُخاطَبِ ، فضمَّتُهُ مُقدَّرةٌ ؛ لكونِهِ مبتدأً أو خبراً ، والأفصحُ أن تَنطِقَ بهِ حَسَبَ الاقتضاءِ .

الخاتمةُ [في خلاصةِ ما تقدَّمَ]

قد عرفتَ أنَّ إفادةَ الكلامِ ما يُرادُ بهِ مُرتبِطةٌ بهيئتِهِ الصَّحيحةِ ، وذلكَ لا يَخُصُّ لغةً دونَ لغةٍ ، ولذلكَ احتاجَتْ كلُّ لغةٍ لوضعِ فنونٍ لضبطِ صورِها الصَّحيحةِ ، وكانَتِ اللغةُ العربيةُ أشدَّ احتياجاً لذلكَ ؛ بسببِ الإعرابِ والبناءِ وغيرهِما .

ولم يكنْ للعربِ خلا عربِ اليمنِ عِلْمٌ بالكتابةِ ، وإنَّما دخلَتْ فيهِم بعدَ وُرودِ الإسلامِ الذي جمعَ بينَ الأُممِ ، وأوجبَ اختلاطَ الكافَّةِ ، فاحتاج كلُّ لمعرفةِ كلٍّ ، فكتبَتِ العربُ أحرفاً دالَّةً على مادَّةِ اللفظِ دونَ صورتِهِ ؟ لاستغنائِهِم بصحَّةِ لغتِهِم .

ثمَّ تَنبَّهَ الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ ، فنقطَ المصحف ؛ حيثُ دخلَ الاشتباهُ ، وحصلَ اللحنُ بالسببِ الذي سبقَ شرحُهُ ، وجرى العملُ على الكتابةِ دونَ شكلٍ يُعرِّفُ صورَ الألفاظِ ، فاشتدَّتِ الحاجةُ لتحصيلِ طريقةٍ بمعرفتِها تُضبَطُ صورةُ اللغةِ ، ولوِ اشتملَتِ الكتابةُ على ما يَدُلُّ على صورِ الألفاظِ . . لَبقيَتْ لغةُ العربِ صحيحةً ، ولم يَدخُلها كلُّ ذلكَ التغييرِ المشهودِ في لسانِ مَنْ يتكلَّمُ باللغةِ العربيةِ ؛ وهُم _ كما سلفَ _ أهلُ مصرَ ومغربِها والشأمِ والحجازِ واليمن (۱) ، ولم يَطُلُ فنُّ النحو هاذا الطُّولَ .

وللكنْ لمَّا لم يكنْ ذلكَ . . قامَتْ طائفةٌ مِنْ عقلاءِ الأُمَّةِ مجتهدينَ في تحصيل الطُّرقِ التي تَنضبطُ بها اللغةُ العربيةُ مِنْ كلّ وجهٍ ، فتَحصَّلَتِ

⁽١) انظر (١٠٦/١).

العلومُ العربيةُ المُسمَّاةُ بالفنونِ الأدبيَّةِ نسبةً إلى الأدبِ ؛ وهوَ تعويدُ المُتحرِّكِ بالإرادةِ على الحركاتِ المُستحسَنةِ الموافقةِ لِمَا جُعِلَ ذلكَ المُتحرِّكُ لهُ .

فلا تظنَّ أنَّ الأدبَ _ كما تُوهِمُهُ الشُّهرةُ _ هوَ الأشعارُ والنوادرُ والحكاياتُ وما أشبهَ ذلكَ ، ولا أنَّ الأدبَ خاصٌّ بالإنسانِ ، بل هوَ كما يَقتضيهِ تعريفُهُ عامٌ لكلِّ حيٍّ ؛ فلكلِّ حيٍّ أدبٌ يليقُ بهِ .

فأدبُ الإنسانِ: تَعوُّدُهُ الأحوالَ التي يصيرُ بها نافعاً لنفسِهِ ولأهلِ الأرضِ المنفعة التي يمكنُهُ القيامُ بها في طائفتِهِ المُشارِكةِ لهُ في ذلكَ ، حَسَبَ الأوضاعِ الإلهيَّةِ ، حيثُ خلقَ كلَّ نوعٍ وخَصَّهُ بأعمالٍ ، وجعلَ نوعَ الإنسانِ هوَ النوعَ الرئيسَ المُدبِّرَ لبقيَّةِ الأنواعِ ، فكَثُرَتْ أعمالُهُ ، واقتضى الحالُ تقسيمَهُ طوائفَ مُوزَّعةً عليها أنواعُ الأعمالِ ، مربوطاً بذلكَ حفظُ حياتِهِم وحسنُ معيشتِهِم ، ولهذا المعنى الإشارةُ بقولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ فَيَنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمُ وحسنُ معيشتِهِم ، ولهذا المعنى الإشارةُ بقولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ فَيَنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمُ اللهُ اللهُ عَلَى المُعنى الإشارةُ بقولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ فَيَنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى المُعنى الإشارةُ بقولِهِ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ فَيَنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمُ اللهُ اللهِ اللهُ الله

وأدبُ الجَمَلِ: تَعوُّدُهُ البُروكَ حيثُ يُرادُ منهُ ، ونهوضُهُ بالأثقالِ المحمولةِ عليهِ ، وانقيادُهُ بتلكَ السَّلاسةِ . . . وهاكذا .

وأدبُ حِمارِ الرُّكوبِ: التصاقَهُ بسَلَمِهِ ، وامتثالُهُ لتحريكاتِ اللِّجامِ . . . وهلمَّ .

إِلَّا أَنَّ للأدبِ أصولاً هي بمنزلةِ الأغذيةِ ، وفُروعاً هي بمنزلةِ الفواكهِ ، ولكَ التشبيهُ بصورةِ الإنسانِ مثلاً ؛ فوجودُهُ حيّاً بعِظامِهِ وعُروقِهِ وجميعِ ما لا بدَّ منهُ في الحياةِ ، وجَمالُهُ بأمورٍ لا تزولُ الحياةُ بزوالِها ؛ كالشّعرِ الأسودِ

⁽١) سورة الزخرف : (٣٢) .

الأثيثِ المُسترسِلِ ، واللَّونِ الوَسَطِ ، وتناسُبِ الأعضاءِ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأمور المشروحةِ في الغزلِ .

فأصولُ الأدبِ لطائفةِ النَّجَّارِ مثلاً: معرفةُ إمساكِ القَدُومِ والمِنشارِ والفأرةِ والمِخرازِ والمِنقرةِ ، واستعمالُ تلكَ الآلاتِ لتحصيلِ ما بهِ الوقايةُ مِنَ الحرِّ والبردِ والأمنِ مِنَ اللِّصِّ وخروجِ الحيوانِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ ، وفروعُهُ : النقوشُ ، والتحليةُ ، والعملُ على الحسابِ ، ورعايةُ التناسبِ بينَ أنواعِ مصنوعاتِهِ ؛ فالشُّبَّاكُ العالي يناسبُهُ ما لا يناسبُ الشُّبَاكَ السافلَ ، وبابُ الدارِ لا يكونُ كبابِ أحدِ بيوتِها ، وبابُ القاعةِ الكبيرةِ غيرُ بابِ المبيتِ .

وعليكَ الفكرُ ؛ فعلىٰ ذلكَ تعرفُ أنَّ أصولَ أدبِ طائفةِ العلماءِ : أن يَعرِفوا الكتابةَ والقراءةَ ، وصحةَ الكلامِ مادَّةً وصورةً ، وَيتعقَّلُوا كيفيةَ تحصيلِ المعاني الأصليَّةِ التي تفيدُها أنفسُ التراكيبِ ؛ وذلكَ بمعرفةِ ما قبلَ علومِ البلاغةِ ومقاصدِها مِنْ علوم العربيةِ ، وهوَ ما سبقَ تلخيصُهُ .

وكانَ العملُ في تعليمِ تلكَ الفنونِ وتعلَّمِها في صدرِ الإسلامِ: أن يَنتخِبَ الشيخُ بعضَ الأشعارِ والخُطَبِ والمحاوراتِ ، ويلقيَها لتلامذتِهِ يَتحفَّظُونَها ويَتصوَّرونَ هيئاتِها الإفراديةَ والتركيبيةَ عملاً مُستمِرًا ، حتى يَحصُلَ للتلميذِ صورةٌ خياليَّةٌ تكونُ لهُ معياراً وقانوناً بما تقتضيهِ ، يَتكلَّمُ حكايةً وإنشاءً وإنشاداً .

ولم يكنْ ذلك كافياً للضَّبطِ المطلوبِ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ الاعتمادِ على الحافظةِ التي هيَ عُرْضةٌ لتغييراتِ حوادثِ الأيامِ ، فجَهَدوا في وضعِ القواعدِ .

وابتداءُ ذلك _ كما سلف _ لأميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، واستعملَ أبا الأسودِ الدُّوليَّ في البناءِ على ما أسَّسَ لهُ ، فعملَ ما يَسَّرَ اللهُ لهُ .

ثمَّ أخذَ الناسُ في تتميمِ ذلكَ ؛ مثلُ أبي عمرو ، وعبدِ الملكِ الأصمعيِّ ، حتَّىٰ وضعَ عمرُو بنُ بشرِ المشهورُ بسيبويهِ (١) كتابَهُ الذي صارَ الإمامَ في ذلكَ الفنِّ ، وصارَ « الكتابُ » لهُ عَلَماً بالغَلَبةِ ، فأقبلَ الناسُ علىٰ قراءتِهِ وشرحِهِ وبيانِ معانيهِ .

ومع ذلك لم يتركوا الحال الأولى ، بل جمعوا بين معرفة القواعد وحفظها واستعمالها ، وقراءة دواوينِ العربِ ومحاوراتِهِم ، متفاوتينَ في ذلك حَسَبَ الاقتضاءِ ؛ فمَنْ يسعى ليكونَ مُعلِّماً . . لايكونُ كأولادِ الملوكِ ، ومَنْ يسعى ليكونَ مُعلِّماً . . لا يكونُ كمَنْ يريدُ التفقُّهَ في الدِّينِ ليكونَ في إحدى الخَدَمِ السُّلطانيَّةِ . . لا يكونُ كمَنْ يريدُ التفقُّهَ في الدِّينِ ليجتهدَ في تحصيلِ مذهبِ يَستخرِجُهُ مِنْ أصولِ الدِّينِ المجملةِ ، التي يحتاجُ مَنْ يريدُ استخراجَ أحكامِ الحوادثِ منها إلى إعمالِ فكرٍ ، ودِقَّةِ نظرٍ ، وتحصيلِ علوم شتَّى ، أو ليتولَّى إفتاءً أو قضاءً . . . وهَلُمَّ .

ونِعْمَ ما كانوا يصنعونَ ، وعلى ذلكَ جرى عملُ الناسِ ، حتى بلغَ العِلْمُ غايةَ قُوَّتِهِ ، ثمَّ أَخذَ الناسُ في الاقتصارِ على معرفة بعضِ القواعدِ دونَ استعمالٍ ، ونظروا إلى الآلاتِ نظرَ المقاصدِ ، واقفينَ عندَ ذلكَ الحدِّ ، فصارَتْ علومُهُم بمنزلةِ حبوبٍ تُخزَنُ في أماكنَ صالحةٍ لذلكَ أو غيرِ صالحةٍ ؛ حتى تصيرَ تراباً ، ويَنقلِبَ بعضُها حشراتٍ وهوامَّ بشعةَ المناظرِ ، ما ويئةً الأعمالِ ، مؤذيةً بلدغِها ونَتْنِ رائحتِها ، فما يَستحِقُّهُ ذلكَ مِنَ اللّهِ والتعنيفِ والمقتِ مِنَ اللهِ والناسِ . يَستحِقُّهُ أولئكَ الناسُ الذينَ يَتظاهرونَ بدعاوىٰ غير مُدلَّلةٍ .

⁽۱) في « سير أعلام النبلاء » ($1/\Lambda$) : (عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر) .

وَٱلدَّعَاوَىٰ مَا لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءُ

فالطَّريقةُ المُثلى _ كما سبقَ تنبيهُكَ عليهِ وإرشادُكَ لهُ (٢٠ _ : أن يبتدئ الطالبُ بتحصيلِ الفنونِ الأصليَّةِ صافيةً نقيَّةً مِنَ الشُّبُهاتِ والاعتراضاتِ ، وإيرادِ العباراتِ المنقوضةِ ؛ تَحفُّظاً لها ، وعملاً بها فيما يَرِدُ عليهِ أثناءَ ذلكَ مِنَ الكتبِ التي يَتعلَّمُ بها ، والأشعارِ المُضمَّنةِ فيها .

فإذا أتقنَ ذلكَ واعتادَ لسانُهُ أن يَنطِقَ بالكَلِمِ العربيةِ كما كانَتِ العربُ تَنطِقُ بها . . انتقلَ إلى معرفةِ الفنونِ البلاغيَّةِ التي يستفيدُ بها دقائقَ المعاني الإشاريَّةِ الملحوظةِ وراءَ المعاني الأصليَّةِ ؛ ليبلغَ بذلكَ درجةَ إتقانِ الإنشاءِ حَسَبَ اقتضاءِ الأحوالِ ، فارقاً بينَ كلِّ مَقامٍ وغيرِهِ ؛ فخُطبةُ المِنبرِ غيرُ خُطبةِ عقدِ الصُّلحِ ، وهما غيرُ خُطبةِ رفعِ المُهادنةِ ونبذِ العهدِ ، وهي غيرُ خُطبةِ الإملاكِ ، والعباراتُ عن صيغِ العقودِ والشهاداتِ والمشارطاتِ . . غيرُ عباراتِ التعزياتِ والتهنئاتِ والبشاراتِ . . . وهلكذا .

وطريقُ الوصولِ إلىٰ ذلك : معرفةُ الفنونِ البلاغيَّةِ ، وكثرةُ القراءةِ في منشآتِ المُتقدِّمينَ على اختلافِ أنواعِها ؛ بتعقُّلِ لسياقاتِها ومسالكِها ، ومباديها وأوساطِها وغاياتِها ، معَ الصبرِ علىٰ ذلكَ والتأنِّي في تَعقُّلِهِ ، كما قيلَ (٣) :

لَا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا

⁽١) من الخفيف ، وانظر « ديوان البوصيري » (ص ٦٣) .

⁽٢) تقدم (١/٩٣٥) .

⁽٣) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٤٠/٤) .

وقيلَ (١):

[من الطويل]

وَمَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِ وَمَنْ لَمْ يُذِلَّ ٱلنَّفْسَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَا وكما قيلَ (٢):

أَطْلُبْ وَلَا تَضْجَرَ مِنْ مَطْلَبِ أَمَا تَرَى ٱلْحَبْلَ بِتَكْرَادِهِ وقيلَ (٣):

مَا وَهَبَ ٱللهُ لِآمْرِئَ هِبَةً هُمَا حَيَاةُ ٱللهُ لِآمْرِئَ هِبَةً

وَمَنْ يَخْطُبِ ٱلْحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى ٱلْبَذْلِ
يَسِيراً يَعِشْ دَهْراً طَوِيلاً أَخَا ذُلِّ
[من السريع]

فَآفَةُ ٱلطَّالِبِ أَنْ يَضْجَرَا فِي ٱلصَّخْرَةِ ٱلصَّمَّاءِ قَدْ أَثَّرَا وبي الصَّخْرةِ ٱلصَّمَّاءِ قَدْ أَثَّرَا [من المنسرح]

أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهُ فَضَلَ مِنْ أَدَبِهُ فَضَلَ مِنْ أَدَبِهُ فَضَدُهُ لِلْحَيَاةِ أَلْيَتُ بِهُ

وزمنُ التحصيلِ هوَ زمنُ أنفَسِ العمرِ ؛ حيثُ تكونُ الشبيبةُ مشبوبةً ، والقُوئ مُستكمَلةً ، والرُّوحُ فرِحاً بامتثالِ أمرِهِ ونهيهِ ؛ وذلكَ يُوجِبُ الإعراضَ عنِ الشهواتِ ، والإغماضَ عن كثيرٍ مِنَ اللذَّاتِ ، كما كانَ يقولُ أحدُ شيخي الحديثِ مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ النيسابوريُّ بعدَ كَتْبِهِ ما يَتحصَّلُ لهُ مِنْ نتائجِ أعمالِهِ وفرائدِ مكابداتِهِ : (لا يُنالُ العِلْمُ براحةِ الجسم) (ن) .

فيَحصُلُ الطالبُ المُجتهِدُ علىٰ ذلكَ الحدِّ علىٰ أمرٍ قَلَما يكونُ في حسابِهِ وتحتَ نظرِهِ ؛ وهوَ أنَّهُ إذا مَسَّهُ بعضُ الضَّعفِ اللَّازمِ لخِلقةِ الحيوانِ ، واحتاجَ إلىٰ سكونِ راحةٍ ، وتَحفَّظَ مِنْ آلامِ أمورٍ لم تكنْ تُؤثِّرُ فيهِ أيامَ التهابِ

⁽١) البيتان لابن هشام الأنصاري ، كما في « بغية الوعاة » (٦٩/٢) .

⁽٢) انظر « المزهر » (٣٠٣/٢) .

⁽٣) انظر «معجم الأدباء» (٧٠/١).

⁽٤) صحيح مسلم (١٧٥/٦١٢) عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى من قوله بلفظ: (لا يستطاع العلم . . .) .

شبيبتِهِ تأثيرَها فيهِ أيامَ تخامدِها واستيلاءِ ضدِّها عليهِ ؛ مِنْ يابسِ البردِ ، وبِلَّةِ الرُّطوبةِ . . وجدَ مأوى كافياً ، ومَلبساً واقياً ، وخدمةً مريحةً ، وما يعينه على عبادةِ ربِّهِ وسَدادِ رأيهِ الذي يكونُ إذ ذاكَ وظيفته المُرادة منه ، بها ينتفعُ وينفعُ أُمَّتَهُ ، ويكونُ في تلكَ الحالةِ مُستقِرًا في الرتبةِ النبويَّةِ التي ليسَ وراءَها رتبة شرفٍ .

وبالثدالتّوفيق لأقوم طريق



خاتمت *لطب*ع

يقولُ المفتقرُ إلى ألطافِ ربِّهِ المَنَّانِ ، عبدُه أحمدُ مروانَ :

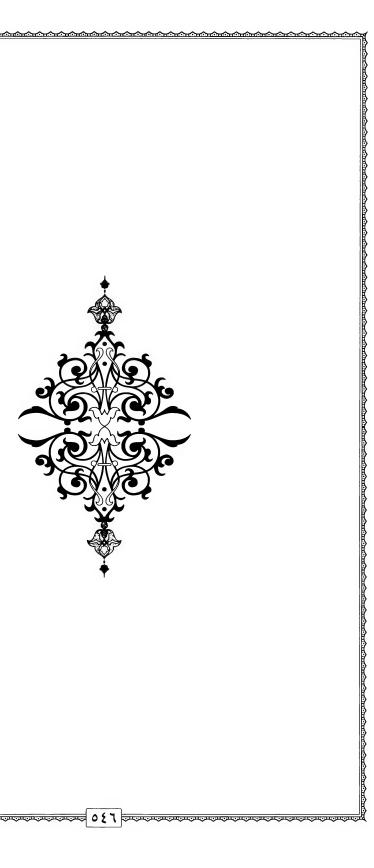
قد تم ّ بحمدِ اللهِ الجزءُ الأولُ مِنَ « الوسيلةِ الأدبيةِ للعلومِ العربيةِ » () ، ويليهِ الجزءُ الثاني ؛ أولُهُ: المقصدُ الثالثُ في فنونِ البلاغةِ ، تأليفُ الفاضلِ الأمجدِ ، والأستاذِ الأوحدِ ؛ حضرةِ العلاّمةِ الشيخِ حسينِ المَرْصَفيِّ ؛ وذلكَ في عهدِ نظارةِ صاحبِ المعارفِ السنيةِ ؛ دولتلو محمد طوسون باشا ، ناظرِ عمومِ المدارسِ والأوقافِ المصريةِ ، ومستشاريةِ الإمامِ الجليلِ سعادة حسن باشا راسم .

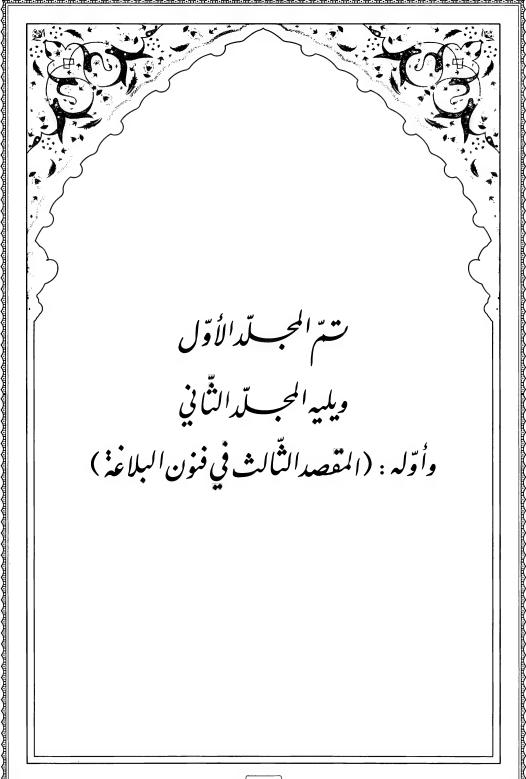
وصارَ هاذا الطبعُ بملاحظةِ حائزِ قصبِ السبقِ في ميادينِ البراعةِ ، ناظرِ قلمِ الروضةِ ومطبوعاتِ المعارفِ علي فهمي رفاعة ، بمطبعةِ المعارفِ الملكيةِ ، سنةَ ألفٍ ومئتَينِ واثنتَينِ وتسعينَ هجريةٍ .

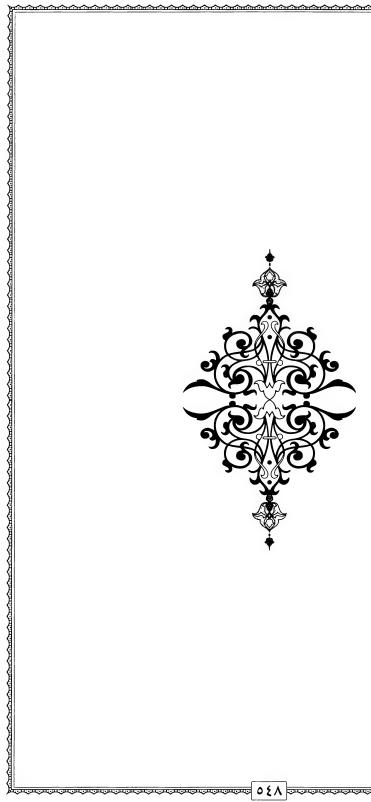
وأزكى الصلاةِ وأتمُّ السلامِ ، على النبيِّ وآلِهِ وأصحابِهِ الأئمَّةِ الأعلامِ ، آمين .

* * *

⁽١) كذا في نسخة الأصل ، وقد أثبت فيها عنوان الجزء الأول : « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » بإثبات (إلى) بدل اللام ، فليتنبه .







 $\{ egin{array}{ll} egin{array}{ll} egin{array}{ll} egin{array} e$

محتنوى المحب للدالأوّل

۱۳	طليعة الكتاب
19	بين يدي الكتاب
**	ترجمة المؤلف
٣٦	لمحات مضيئة عن الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية
٤١	وصف النسخة المعتمدة
٤٣	منهج العمل في الكتاب
٤٥	صور من النسخة المعتمدة
٥١	« الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية »
٥٣	خطبة المؤلف
٥٩	تمهيد: في تعريف الأدب
77	_ أمثلة معرفة لمحاسن الأشياء ومواضعها
77	ـ المثال الأول: في التخلق ببعض الأخلاق
74	ـ المثال الثاني : التكلم بصحيح اللغة أمر حسن ، واللحن غير حسن
٦٤	ـ المثال الثالث: الشعر كان زائد الحسن
٧٣	_ خلاصة القول في ذلك
٧٥	المقصد الأول: في العقل وبيان أصناف المعقول

vv	بيان معنىٰ كلمة العقل
٧٨	مراتب العقلمراتب العقل
٧٩	أحد عشر صنفاً يتعلق بها العقل فتكون معقولة
v ٩	الصنف الأول: ذات ثابت ثبوتاً أزلياً
V 9	الصنف الثاني : أعيان الكائنات
AY	الصنف الثالث: أحوال تُسمَّىٰ كمَّا
ΑΥ	الصنف الرابع: أحوال تُسمَّىٰ كيفاً
۸۳	الصنف الخامس: حال يُسمَّىٰ أيناً
۸۳	الصنف السادس: حال يُسمَّىٰ متىٰ
۸۳	الصنف السابع: حال يُسمَّىٰ إضافة
۸۳	الصنف الثامن: حال يُسمَّىٰ وضعاً
٨٤	الصنف التاسع : حال يُسمَّىٰ مِلْكاً وجدة ووجداً
٨٤	الصنف العاشر: حال يُسمَّىٰ فِعْلاً
٨٤	الصنف الحادي عشر: حال يُسمَّى انفعالاً
۸۰	التكلم عن أنواع المعقول ضمن مسائل
	المسألة الأولى : في صور المعقول وأوجه تعقَّل النسب الت
ي ، وأنواع	المسألة الثانية : في انقسام التعقُّل إلى نظري وبديه
٨٦	بدیهیات
AV	المسألة الثالثة: في انقسام المعقول إلى كلي وجزئي

۸٧	 المسألة الرابعة : في انقسام المعقول إلىٰ كلِّ وجزء
۸۸	- المسألة الخامسة : في الكليّات الخمسة
۸۸	المسألة السادسة: في النسبة بين مفهومين
ل	ـ المسألة السابعة : في بيان القياس الحملي ، والشرطي المتصا
۸۹	والمنفصل
91	ـ المسألة الثامنة : في أنواع الحدود
91	- المسألة التاسعة : في أنواع النسب ، والخبر والإنشاء
۹۲	ـ المسألة العاشرة: في أنواع القضايا
98	ـ المسألة الحادية عشرة : في انقسام القضايا إلى ضرورية وممكنة
94	ـ المسألة الثانية عشرة : في أدلة صدق القضايا
۹٤	* الاستقراء
9 8	* التمثيل
۹٤	* القياس
97	لمقصد الثاني : في حدِّ اللغة ودواعي وضعها
99	نعريف اللغة وأقسام علومها
١٠١	• لمحة عن أمة العرب
١٠١	ـ مساكنهم
١٠١	ـ عوائدهم

١٠٦	ـ لسانهـم
١.٨	ـ فشو اللحن سبب لوضع علم النحو
	القسمالأقرل
118	في فف التّ
110	• تقاسيم الكلمة
110	لتقسيم الأول: اللفظ
117	• قسم العلم
17.	 قسم المعارف بالواسطة ستة
١٢٠	ـ الصنف الأول: الضمائر
١٢.	- الصنف الثاني: أسماء الإشارة
١٢١	ـ الصنف الثالث : الأسماء الموصولة
177	ـ الصنف الرابع : المحلَّىٰ بـ (أل)
١٢٣	ـ الصنف الخامس: المضاف لشيء من المعارف
١٢٣	ـ الصنف السادس : الاسم المقرون به (يا)
178	• قسم اسم الجنس الجوهري الجامد
١٢٥	• قسم المصدر
١٢٦	● قسم الحروف
١٢٦	* أحرف الإضافة
, , , , , , , , , , , , , , , , , , , 	007

A	
177	ـ الكلام في (مِنْ)
177	_ الكلام في (إلىٰ)
177	_ الكلام في (عن)
171	_ الكلام في (عليٰ)
) YA	ـ الكلام في (عدا وحاشا وخلا)
177	_ الكلام علىٰ (في)
179	ـ الكلام في الكاف
179	_ الكلام في اللام
179	_ الكلام في الباء
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	_ الكلام في (مذ ومنذ)
۱۳۰	ـ الكلام في (حتىٰ)
١٣٠	_ الكلام في (كي)
١٣٠	* أحرف المعاني
۱۳۰	ـ الكلام في حرفي التشبيه
۱۳۰	- الكلام في أحرف التوكيد
181	ـ الكلام في أحرف النفي
۱۳۱	ـ الكلام في أحرف الجواب
۱۳۱	_ الكلام في أحرف النداء
	ـ الكلام في حرف العرض
	~ '

١٣٢	ـ الكلام في أحرف التخصيص
	ـ الكلام في حرفي الاستفهام
144	_ الكلام في همزة التسوية
177	* أحرف الشرط
144	_ (إن)
188	ـ (لو)
١٣٥	_ (أما)
١٣٥	ـ (لولا)
١٣٥	ـ (لمَّا)
١٣٥	* أحرف التنبيه
و حصول ١٣٦	* أحرف التشريك بين شيئين في حكم أ
١٣٦	* حرف الترديد (أو)
140	* حرف الإضراب والإعراض (بل)
١٣٧	* حرف التفصيل (إما)
127	* حرف النهي (لا)
١٣٨	* حرف الأمر اللام
١٣٨	* حرف الاستثناء (إلا)
١٣٨	* أحرف التعليل
١٣٨	* أحرف الاستقبال

ابك ١٣٨	* الأحرف المصدرية ، أو الموصولات الحرفية ، أو الأحرف السوا
149	* حرف الردع والزجر (كلا)
149	* حرفا التفسير (أي وأن)
18.	* حرفا التوكيد الفعلي وأحوالهما
187	نكملة : للكلام علىٰ قسم الحروف
187	لتقسيم الثاني من تقاسيم فقه اللغة: في الخاص والمشترك
۱٤۸	ـ المشترك ولطائفه
١٤٨	ـ من أغراض اشتراك المعاني في اللفظ الواحد
1 8 9	ـ ألفاظ وأضدادها من المشترك
101	ـ الجناس التام من لطائف المشترك
100	ـ ألغاز فقهية من لطائف المشترك
171	التقسيم الثالث: في الأسماء المتباينة والمترادفة والمتكافئة
171	ـ فائدة المترادف
۱٦٣	التتميم: في ذكر أربعة أنواع من الأسماء العامة
۲۲۲	ـ أسماء الشرط
771	- أسماء الاستفهام

\ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \	•.1 .ti 1 f
178	. أسماء الزمان
1 V •	الضمائر
١٧٣	الكلام العام على الأفعال
174	ـ تقسيم الفعل إلىٰ لازم ومتعدٍّ
١٧٣	- أقسام الفعل المتعدي
١٧٨	نقسيم آخر للفعل: إلىٰ تام وناقص
	القسم الثّاني
١٨١	قسمالصّرف
١٨٣	نعريف الصرف ومحاور البحث
١٨٤	لمقدمة: في التمهيد لعلم الصرف
١٨٤	ـ الاشتقاق ، والميزان الصرفي
١٨٥	ـ أنواع الزيادة في الكلمات
\ AY	لمقالة الأولى: في الكلام على الفعل
١٨٧	نقاسيم الفعل
\AY	• التقسيم الأول: من حيث الزمن
١٨٨	• التقسيم الثاني: من حيث الصحة والاعتلال
19.	• التقسيم الثالث : باعتبار مادته وعدد حروفه
	001

191	• الكلام علىٰ أبواب الثلاثي
191	ـ الباب الأول: باب (نصر)
198	ـ الباب الثاني: باب (ضرب)
198	- الباب الثالث : باب (فتح)
198	ـ الباب الرابع : باب (فرح)
190	ـ الباب الخامس : باب (كرُم)
190	ـ الباب السادس: باب (حسِب)
197	• الكلام على أبواب الرباعي
197	صيغة المهموز يكثر استعمالها في ستة معانٍ
197	أحدها: تصيير شيء فاعلاً فعلاً
١٩٨	ثانيها: سلب شيء وإزالته عن شيء
191	ثالثها: مصادفة الشيء على صفة
١٩٨	رابعها: صيرورة شيء ذا شيء بكونه مالكاً له
199	خامسها: حينونة الشيء للشيء
199	سادسها : تعريض الشيء لشيء
199	ـ صيغة المضعف تشارك المهموز في معنيين
199	أحدهما: تصيير الشيء فاعلاً
۲۰۰	ثانيهما: السلب والإزالة
Y • • · · · · · · · · · · · · · · · · ·	ـ صيغة المضعف تنفرد بستة معانٍ

Y••	أحدها : صيرورة الشيء شبه شيء
۲.,	يروو ي ثانيها : نسبة شيء لشيء باعتقاد أو دونه
۲	يان
Y • • · · · · · · · · · · · · · · · · ·	رابعها : النطق بألفاظ تأخذ منها الصيغة
۲	خامسها : قبول شيء وتحصل الغرض منه
Y••	سادسها: التكثير
7.1	ـ صيغة (فاعل) تأتي لمعنيين
رء الآخر	" أحدهما : أن شيئاً فعل فعلاً مع شيء آخر ، فقابله ذلك الشم
7.1	بمثله
Y•Y	ثانيهما: تصيير الشيء ذا صفة
7.4	• الكلام علىٰ أبواب الخماسي
۲۰۳	بيان المعاني التي تأتي لها تلك الصيغ
۲.۳	ـ صيغة (انفعل) تأتي لمعنىً واحد وهو المطاوعة
7.4	ـ صيغة (افعلَّ) تأتي لمعنىً واحد هو قوة اللون أو العيب
7.7	 صیغة (تفاعل) تأتي لأربعة معانٍ
۲۰۳	أحدها: تشارك شيئين فأكثر
۲۰٤	ثانيها : التظاهر بالفعل دون حقيقة
3.7	الثالث : حصول الشيء تدريجاً
3.7	الرابع : مطاوعة (فَاعَلَ)
	000

7.8	ـ صيغة (تفعَّل) تأتي لخمسة معانٍ
۲۰٤	أحدها: تكلف الشيء ومحاولة أن يحصل
3.7	ثانيها: تجنب الشيء
7.0	ثالثها : اتخاذ الشيء شيئاً
7.0	رابعها: تحصيل الشيء تدريجاً
7.0	خامسها : مطاوعة (فَعَّلَ) مضعف العين
Y . 0	_ صيغة (افتعل) تأتي لستة معانٍ
Y.0	أحدها: الاتخاذ
Y . 0	ثانيها: الاجتهاد
7.0	ثالثها: التشارك في الفعل
Y.0	رابعها: إظهار الشيء
7.7	خامسها: القوة
7.7	سادسها : مطاوعة ثلاثي كثيراً ، ومطاوعة غيره قليلاً
Y•V	ـ صيغة (تفعلل)
Y•A	• الكلام على أبواب السداسي
Y•A	_ صيغة (استفعل) تأتي لستة معانٍ
Y•A	أحدها : طلب الشيء حقيقة أو مجازاً
۲۰۸	ثانيها: اعتقاد الشيء
Y • A	ثالثها : صيرورة الشيء

۲ ،	۸	رابعها : المصادفة والوجدان
۲,	٠ ٩	خامسها: النطق بكلام أخذ منه الفعل
۲,	٠ ٩	سادسها: القوة
۲.	٠ ٩	نكملة فيها مسائل
۲,	٠ ٩	ـ المسألة الأولى : في همزتي الوصل والقطع في الأفعال
۲,	١.	- المسألة الثانية: في أحرف المضارعة
۲ '	١١	- المسألة الثالثة: في حركة الحرف الواقع قبل آخر المضارع من غير الثلاثيالثلاثي
۲ '	١١	- المسألة الرابعة : في اشتمال المضارع على أحرف الماضي وما يستثنى من ذلك
۲,	۱۱	ـ المسألة الخامسة : في أحوال النطق بالفعل الماضي
۲,	۱۳	ـ المسألة السادسة: في أحوال النطق بالفعل المضارع
۲	٤١	• التقسيم الرابع: في بنائه للفاعل والمفعول
۲ '	١٥	• التقسيم الخامس: في انقسامه إلى متصرف وجامد
۲ '	١٦	لمقالة الثانية: في الكلام على الاسم
۲,	۲۱	• تقاسيم الاسم
۲	۲۱	ـ التقسيم الأول: في الجامد والمشتق
۲ ٔ	۱٧	• بيان المصدر

	Ablati i s Si ti
717	ـ النوع الأول : مصادر الثلاثي
717	* القياسي * القياسي
717	* السماعي
771	* المصدر الميم <i>ي</i>
777	_ النوع الثاني : مصادر الأفعال الرباعية
777	* لمهموز الثلاث <i>ي</i>
777	* لمضعف العين
777	* لـ (فاعَل)
777	_ النوع الثالث : مصادر الخماسي
777	* ل (تفعلل)
777	* ل (تفعَّل)
377	* لـ (تفاعَل)
377	* ل (انفعل)*
377	* ل (افتعل)*
377	* لـ (افعلَّ)
377	ـ النوع الرابع: مصادر السداسي
377	* ل (استفعل)
770	* لنحو (اخشوشن)*
775 775 770 770	* ضابط لمصادر الأفعال المبدوءة بهمزة الوصل

YY0	تكملة : في صيغتي المرة والهيئة
777	• بيان اسم الفاعل
***	ـ الغرض من اسم الفاعل
YYA	ـ اسم الفاعل من غير الثلاثي
779	• بيان اسم المفعول
۲۳•	_ ألفاظ على وزن (فعيل) بمعنى أوزان أخرى
۲۳۱	• بيان الصفة المشبهة
۲۳۱	ـ الأوصاف من باب (كَرُمَ)
747	ـ الأوصاف من باب (فَرِحَ)
744	• بيان اسم الزمان والمكان
740	• بيان اسم الآلة
777	• بيان اسم التفضيل
اه ۲۳۷	_ حالات اسم التفضيل من جهة نطقه ومن جهة معن
747	_ استعمالات اسم التفضيل
749	تكملة: في صيغ المبالغة
7 2 1	_ التقسيم الثاني : المذكر والمؤنث
7 £ 7	_ علامات التأنيث
7 £ 7	* الكلام على التاء
788	* الكلام على الألفينِ

۲٤٣	* أبنية الألف المقصورة
7	* أبنية الألف الممدودة
720	* الأبنية المشتركة بين المقصورة والممدودة
Y & V	ـ التقسيم الثالث : المجرد والمزيد
Y & V	* بيان أوزان الثلاثي المجرَّد
Y & V	* بيان أوزان الرباعي المجرَّد
7 & A	* بيان أوزان الخماسي المجرَّد
787	* أدلة الزيادة في الاسم تسعة
۲۰	* ضوابط الزيادة
704	ـ التقسيم الرابع: المقصور والممدود والمنقوص
۲٥٤	ـ التقسيم الخامس: المفرد والمثنى والجمع
408	* الكلام على المثنيٰ
700	* الكلام على جمع تصحيح الذكور
Y00	* الكلام على جمع المؤنث السالم
707	تنبيه : على أن المراد بالاسم في الجموع ما يقابل الصفة
707	* الكلام على جمع التكسير
YoV	* صيغ جمع القلة
709	* صيغ جموع الكثرة
777	* تفصيل أوزان منتهى الجموع

779	• خاتمة فيها مسائل
Y79	- المسألة الأولى: في ضوابط الجمع بصيغة منتهى الجموع
YV •	ـ المسألة الثانية : في جمع الجمع
معي ۲۷۱	ـ المسألة الثالثة : في الجمع واسم الجمع واسم الجنس الجم
YVY	- المسألة الرابعة : في كيفية جمع المركبات والمثنى والجمع
ني حُذف	ـ المسألة الخامسة : في زيادة ياء لصيغة منتهى الجموع الت
TVT	منهامنها
ء التأنيث ٢٧٢	ـ المسألة السادسة : في أنَّ صيغة منتهى الجموع تلحقها تاء
٢٧٣	- المسألة السابعة: في الأفصح من صيغ الجمع عند تعددها
YV0	 التقسيم السادس: في المكبَّر والمصغَّر
770	* بيان صيغه
YV0	ـ مسائل في أحكام التصغير
YV0	* المسألة الأولى: في أحوال الحرف الثاني بعد التصغير
***	 المسألة الثانية : في أحوال الحرف التالي لياء التصغير
ر ۲۷۷	* المسألة الثالثة : في تتمة أحوال الحرف التالي لياء التصغير
YVA	* المسألة الرابعة : في تصغير الاسم الزائد على أربعة أحرف
YVA	 المسألة الخامسة: في تصغير الاسم الباقي على حرفين
YV4	 المسألة السادسة: في تصغير الأسماء المؤنثة الثلاثية
779	* المسألة السابعة : في تصغير الترخيم

بنية ۲۸۰	 * المسألة الثامنة : في شذوذ تصغير الأفعال والحروف والأسماء الم
7.1	• النسب
۲۸۱	ـ مسائل في أحكام المنسوب
7.1.1	* المسألة الأولى : في النسب لما آخره ياء مشددة
7.7.7	* المسألة الثانية : في النسب للاسم المقصور والمنقوص
۲۸۳	* المسألة الثالثة : في النسب إلى الاسم المختوم بتاء التأنيث
۲۸۳	* المسألة الرابعة: في النسب إلى المركبات
۲۸٤	 المسألة الخامسة: في النسب إلى فعِلِ بتثليث أوله
۲۸٥	* المسألة السادسة : في النسب إلى الممدود
710	* المسألة السابعة : في المنسوب الثلاثي إن بقي منه حرفان
Y A Y	* المسألة الثامنة : في النسب إلى الثنائي وضعاً
Y A Y	* المسألة التاسعة : في النسب إلى الجمع
YAY	* المسألة العاشرة: في النسب إلى الحِرَفِ
۲۸۹	الخاتمة: في أمور لا تخصُّ بعض أنواع الكلمة
719	• الأمر الأول: أحكام الوقف
797	• الأمر الثاني: الإبدال
797	* أحرف الإبدال
۲۹۳	ـ حرف الهاء
	010

798	ـ حرف الهمزة
397	ـ تنبيه : إبدال الهمزة من الواو والياء
790	ـ حرف الياء
۲۹٦	ـ حرف الواو
797	ـ حرف الألف
Y9A	ـ حرف التاء
Y9A	ـ حرف الطاء وحرف الدال
Y9A	ـ حرف الميم
Y9A	ـ الهمزة
حروف الكلمة ٣٠٠	• الأمر الثالث : نقل الحركات من مواضعها وحذف بعض
٣.١	• الأمر الرابع: في الإدغام والفكِّ
٣٠٢	ـ مسألة : التاءان في أول المضارع
٣.٢	ـ مسألة : أحوال النون الساكنة والتنوين
٣٠٤	ـ مخارج الحروف
٣٠٦	ـ صفات الحروف
	القسم الثّالث
٣٠٩	قب م النّحو
۳۱۱	وصية قبل البدء بمطالعة هنذا العلم

٣١٨	المقدمة : في بيان الإفراد والتركيب ومعنى الكلام
٣٢٠	ـ علامات أنواع الكلمة
٣٢١	_ أسماء الأفعال
٣٢٤	ـ أسماء الأصوات
٣٢٥	القسمُ الأوَّلُ: في الإعرابِ والبناءِ والمعربِ والمبنيِّ
411	ـ أصناف المبني
٣٣٠	ـ أصناف المعرب
th.	القسمُ الثاني : في الجملةِ الاسميةِ
377	 بيان المبتدأ ذي الخبر
٣٣٥	ـ بيان المبتدأ ذي المرفوع المغني عن الخبر
TTA	• بيان الخبر
٣٤٥	• مواضع وجوب تقديم المبتدأ
٣٤٩	- مواضع تقديم الخبر
401	ـ مواضع وجوب حذف المبتدأ
٣٥٢	ـ مواضع وجوب حذف الخبر
408	- تعدد الخبر
٣°V	ـ أحوال المبتدأ والخبر

709	• بیان باب (کان)
٣٦٣	ـ المقامة (النحوية) للحريري
موية ٣٦٨	ـ تفسير ما أودع هلذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النح
۳۷۳	 خبر ندماني جذيمة الأبرش
*Y9	_ خبر جذيمة الزباءِ
۳ ۸٤	_ عود للحديث عن (كان) وأخواتها
ዮ ል፯	ـ الحروف التي تعمل عمل (ليس)
۳۸۹	ـ كاد وأخواتها
797	• بيان باب (إنَّ) وأخواتها
۳۹۲	ـ الكلام علىٰ (إنَّ)
٣٩٤	ـ الكلام علىٰ (أنَّ)
44 0	_ الكلام علىٰ (كأنَّ)
۳۹۸	_ الكلام علىٰ (للكنَّ)
۳۹۸	_ الكلام علىٰ (ليت) و(لعلَّ)
49 9	الكلام على (لا)
٤٠١	_ الكلام علىٰ (إلَّا)
٤٠٢	القسم الثالث : في الجملة الفعلية
٤٠٢	• الكلام على الفاعل ونائبه
	~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

٤٠٨	• الكلام على المفعول به
٤ • ٩	ـ مفعولا باب ( أعطى )
٤١٢	ـ مفعولا باب ( ظنَّ )
٤١٥	تكملةٌ : في أن القول قد يتعلق باللفظ
نها ۲۱۷	ـ مواضع وجوب حذف ناصب المفعول به بإنابة شيء وبدو
٤١٧	* الموضع الأول: تراكيب معدودة مسموعة
٤١٩	* الموضع الثاني: تراكيب النداء
٤٢٨	* الموضع الثالث: تراكيب الاختصاص
٤٢٨	* الموضع الرابع: تراكيب الإغراء والتحذير
٤٢٩	* الموضع الخامس: تراكيب الاشتغال
٤٣٢	• المفعول المطلق
٤٣٢	ـ ما ينوب عن المصدر
£ <b>*</b> V	• المفعول لأجله
٤٣٨	• المفعول فيه
٤٣٩	- ضابط لحذف الخافض وانتصاب المخفوض على الظرفية
٤٤٠	ـ الظروف المتصرفة وغير المتصرفة
2	• المفعول معه
733	ـ أحوال المفعول معه مشاركاً في الفعل أو لا
٤٤٣	ـ وجوب نصب المفعول معه بفعل محذوف

<b>{                                    </b>	• المستثنى
<b>£ £</b> 0	ـ أحوال المستثنى
<b>£</b> £7	ـ الاستثناء بغير ( إلا )
٤٤٧	ـ أحوال المستثني مع تكرار ( إلا )
٤٤٩	• الحال
٤٤٩	ـ أحوال صاحب الحال وعاملها
<b>£0.</b>	ـ مواضع وجوب حذف عامل الحال
207	ـ أقسام الحال
200	ـ جملة الحال وروابطها
£00	ـ مواضع اقتصار الربط على الضمير
£ o V	• التمييز
ξοV	ـ تمييز الكيل والوزن والعدد والمساحة
१०९	ـ تمييز النسبة
٤٦.	ـ أحكام تمييز العدد
لأفعال وعملى	الكلام على المضاف إليه وعلىٰ عوامل معرب ا
773	التوابعا
£74	• المضاف إليه
£7٣	ـ المخفوض بحرف ملفوظ
<b>£</b> 7 <i>£</i>	ـ المخفوض بحرف ملحوظ

१२०	ـ أنواع الإضافات
٤٦٧	- ما يكتسبه المضاف من المضاف إليه
٤٦٩	ـ أسماء ملازمة للإضافة
٤٧١	ـ أحوال المضاف لياء المتكلم
٤٧٣	ـ الممنوع من الصرف
٤٧٤	ـ تنويه بما مر من الألفاظ العاملة عمل الأفعال
٤٧٥	- بعض أحكام الصفة المشبهة
٤٧٧	• بيان عوامل معرَبِ الأفعال
ξVV	ـ بيان نواصبه
٤٧٩	ـ بيان جوازمه
٤٨١	• بيان التوابع
٤٨١	• النعت وأقسامه
٤٨٣	ـ النعت الحقيقي والسببي
٤٨٥	ـ انقسام النعت إلىٰ مفرد وجملة
£AV	ـ أحكام متفرقة للنعت والمنعوت
٤٨٩	• التوكيد
٤٩٠	ـ التوكيد المعنوي وألفاظه
٤٩١	ـ الغرض من التوكيد
٢٩٤	• عطف البيان

	~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
£9 Y	ـ حرفان للتفسير
898	• عطف النسق
٤٩٤	ـ الكلام على (الفاء)
٤٩٥	ـ الكلام على (ثمَّ)
٤٩٥	ـ الكلام على (الواو)
٤٩٦	ـ الكلام على (حتى)
£9 V	ـ الكلام علىٰ (أو)
٤٩٨	_ الكلام علىٰ (أم)
0	ـ الكلام علىٰ (لكن)
0	الكلام على (لا)
0.1	ـ الكلام علىٰ (بل)
0 · Y	المختلف في أنه حرف عطف أو لا
0.0	• البدل
0.0	ـ البدل المطابق
o•A	بدل البعض من الكل بدل الاشتمال بدل الغلط بدل الغلط تابع المنادئ
٥٠٨	ـ بدل الاشتمال
	ـ بدل الغلط
٥١٠	ـ تابع المنادئ
011	تابع اسم (لا)
	0 V Y

#WATER CONTRACT CONTR

011	المنانية المالية
011	ـ التنازع في العمل
010	القسم الرابع: في الجملة الشرطية
010	ـ أدوات الشرط
017	ـ أحوال الشرط والجزاء
07.	ـ الجواب إن توالىٰ شرطان
لها محل من	لقسم الخامس: في بيان الجمل الإنشائية والجمل التي
077	لإعراب والجمل التي لا محل لها منه
٥٢٢	ـ الجمل الخبرية والإنشائية
٥٢٨	ـ الجمل التي لها محل من الإعراب
٥٢٩	ـ الجمل التي ليس لها محل من الإعراب
٥٣٣	• الإخبار بالذي والألف واللام
040	مسألة : في الطلب بكلمتي (أي) و(من)
٥٣٧	لخاتمة: في خلاصة ما تقدم
0 8 0	ـ خاتمة الطبع
०१९	محتوى المجلد الأول محتوى المجلد الأول
	* * *